

مكتبة  
الشيخ  
الشيخ  
الشيخ

GOVERNMENT OF DUBAI

# فتوح العيب

في الكشف عن قناع الرب  
وهو حاشية الطيبي على الكشاف

للإمام شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي  
الترقي سنة ٧٤٢ هـ رجمة الله تعالى

التعريف العام على الإخراج العلمي للكتاب  
الدكتور محمد عبد الرحمن سلطان العلماء

مكتبة  
الشيخ  
الشيخ  
الشيخ

مكتبة  
الشيخ  
الشيخ  
الشيخ

فتوح الغيب

## فتوح الغيب

في الكشف عن قناع الرب

تأليف: الإمام شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي

الطبعة الأولى: ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

جميع الحقوق محفوظة لجائزة دبي الدولية للقرآن الكريم ©

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية بالأردن: (٢٠١٠/٧/٢٥٣٣)

الرقم المعياري الدولي: ٩٧٨٩٩٥٧٢٣١٨٠٤

ما ورد في حواشي هذا الكتاب يعبر عن رأي محققه ولا يعبر بالضرورة عن رأي الجائزة

ص. ب. ٤٢٠٤٢ - دبي - الامارات العربية المتحدة

هاتف: +٩٧١٤٢٦١٠٦٦٦

فاكس: +٩٧١٤٢٦١٠٠٨٨

الموقع على الانترنت: [www.quran.gov.ae](http://www.quran.gov.ae)

البريد الالكتروني: [Rs@quran.gov.ae](mailto:Rs@quran.gov.ae)

جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم

وحدة البحوث والدراسات

أسهر في نشر هذا الكتاب

ADIB



مصرف أبوظبي  
الإسلامية

# فتوح الغيب

في الكشف عن قناع الرب

وهو حاشية الطيبي على الكشاف  
للإمام شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي  
المتوفى سنة ٧٤٣ هـ رحمه الله تعالى

الجزء التاسع

تفسير السور من الحجر إلى الآية ٢٣ من سورة مزيم

حقق هذا الجزء

الدكتور عمر حسن القيام

الباحث بجامعة العلوم الإسلامية العالمية بالأردن

المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب

الدكتور محمد عبد الرحيم سلطان العلماء

جائزة الدولة التقديرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## سورةُ الحجر مَكِّيَّة، وهي تسعٌ وتسعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ ١]

﴿تِلْكَ﴾ إشارةٌ إلى ما تَضَمَّنَتْهُ السُّورَةُ مِنَ الآيَاتِ، وَالكِتَابِ، وَالْقُرْآنِ الْمُبِينِ:

## سورةُ الحجر مَكِّيَّة، وهي تسعٌ وتسعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: ﴿﴿تِلْكَ﴾ إشارةٌ إلى ما تَضَمَّنَتْهُ السُّورَةُ مِنَ الآيَاتِ، وَهُوَ عَلَى مَنَوَالٍ: هَذَا أَخْوَكُ. قَالَ الْمَصْنُفُ: لَا يَكُونُ «هَذَا» إِشَارَةً إِلَى غَيْرِ الْأَخ. قَالَ ابْنُ الْحَاجِبِ: الْمَشَارُ إِلَى اللَّهِ لَا يُشْتَرَطُ أَنْ يَكُونَ موجوداً حَاضِراً، بَلْ يَكْفِي أَنْ يَكُونَ موجوداً ذَهْنًا<sup>(١)</sup>.

قَالَ أَبُو الْبَقَاءِ: ﴿﴿تِلْكَ﴾﴾: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُبْتَدَأً، وَ﴿﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾﴾: خَبْرُهُ، وَأَنْ يَكُونَ خَبْرَ ﴿﴿الرَّ﴾﴾، وَ﴿﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾﴾ بَدَلٌ أَوْ عَطْفٌ بَيَانٌ<sup>(٢)</sup>، وَاخْتَارَ الْمَصْنُفُ الْأَوَّلَ لِقَوْلِهِ: «وَالْمَعْنَى: تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْكَامِلِ فِي كَوْنِهِ كِتَاباً»، فَقَوْلُهُ: «الْكَامِلِ فِي كَوْنِهِ كِتَاباً»

(١) «الإيضاح في شرح المفصل» (١: ٤٧٩).

(٢) قاله في تفسير فاتحة «الرعد» من «التبيان في إعراب القرآن» (٢: ٧٤٩)، وأحال عليه في أوائل تفسير

سورة «الحجر» (٢: ٧٧٦).

السُّورَة، وتتكبيرُ القرآن؛ للتفخيم. والمعنى: تلك آياتُ الكتابِ الكاملِ في كونه كتاباً،  
وأي قرآنٍ مُبين، كأنه قيل: الكتابُ الجامعُ للكمالِ والغرابةِ في البيان.

مُستفادٌ من التعريفِ الجِنسيِّ، وإيقاعُ ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ خبراً من اسمِ الإشارةِ كما سبقُ  
في «البقرة».

وقوله: «وأي قرآنٍ» مستفادٌ من التنكيرِ التفخيميِّ في «قرآن».

وقوله: «الجامعُ للكمالِ» من توسيطِ العاطفِ بينَ الوصفينِ.

قوله: (وأي قرآنٍ مبین) بالجرِ عطفاً على «كتابٍ كاملٍ»<sup>(١)</sup>.

قوله: (والغرابية في البيان) من إيقاعِ ﴿مُبِينٍ﴾ وصفاً للقرآنِ بعدَ تعدادِ حروفِ التهجِّي،  
وأنَّ المِيزانَ من: أبان، بمعنى بان، للمبالغة. قال محيي السُّنة: فإن قيل: لم ذكّرَ الكتابُ ثم قال:  
﴿وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾، وكلاهما واحد؟ قيل: ليُفيدَ أن المرادَ بالكتابِ: ما يُكتبُ، وبالقرآنِ: ما  
يُجمَعُ بعضُهُ إلى بعضٍ<sup>(٢)</sup>، ذهبَ إلى معنى العطفِ من الوصفينِ.

فإن قلت: رجَع المألِّ إلى أنَّ ﴿الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ﴾ وصفانِ لموصوفٍ واحدٍ أقيماً  
مقامه، فما ذلك الموصوفُ؟ وكيف تقديرُه؟ فإن قدرته معرفةً دَفَعَهُ ﴿وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾، وإن  
ذهبتَ إلى أنه نكرةٌ، أباهُ لفظُ الكتابِ؟

قلت: أفدَرُه معرفةً، ﴿وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾: في تأويلِ المعرفةِ<sup>(٣)</sup>، لأنَّ معناه: البالغُ في الغرابةِ  
إلى حدِّ الإعجازِ، فهو إذاً محدودٌ بل محصور، كأنه قيل: تلك آياتُ الكتابِ الكاملِ المعجزِ<sup>(٤)</sup>،  
وإليه أشارَ بقوله: «الكتابُ الجامعُ بينَ الكمالِ والغرابةِ في البيان»، فقوله: «الكتاب» هو

(١) هذه الفقرة أثبتتها من (ط)، وسقطت من (ح) و(ف)، وقوله: «عطفاً على (كتاب كامل)»، لفظُ  
«الكشاف»: «الكتاب الكامل».

(٢) «معالم التنزيل» (٤: ٣٦٧).

(٣) في (ف) و(ح): «في تأويل المعرف».

(٤) في النسخة (ف) «الكتاب المعجز البالغ» دون قوله: «الكامل».

[ ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ \* ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٢-٣﴾ ]

قُرئ: (رُبَمَا) و(رُبَّمَا) بالتشديد، و﴿رُبَمَا﴾، (وَرَبَمَا) بالضم والفتح مع التخفيف. فإن قلت: لم دخلت على المضارع وقد أبوا دخولها إلا على الماضي؟

الموصوفُ المضمَر، وأحدُ الوَصْفَيْنِ ما دَلَّ عليه قوله: «للكمال»، لأنه معنى الكتاب المذكور في التنزيل، ومعنى «الكمال» فيه مستفادٌ من التعريفِ الجِنْسِيِّ، كما سبق، والآخرُ قوله: «الغرابية في البيان»، وهو المعنِيُّ من قوله: ﴿وَقَرَأَ إِنْ تُبِينِ﴾ على ما أسلفناه.

فإن قلت: جعلت ﴿أَلَكْتُبِ وَقَرَأَ إِنْ تُبِينِ﴾ وَصْفَيْنِ لموصوف، والمصنَّفُ جعلها في قوله: «والكتابُ والقرآنُ المبين: السُّورَةُ نَفْسُ السُّورَةِ؟» قلتُ: لما قلتُ: أقيماً مقامَ الموصوف، صحَّ ذلك، ولا منافاة.

قوله: (قُرئ: ﴿رُبَمَا﴾)، نافعٌ وعاصمٌ: بتخفيفِ الباء، والباقون بالتشديد<sup>(١)</sup>، والبقاوي شواذ<sup>(٢)</sup>.

قوله: (وقد أبوا دخولها إلا على الماضي). قال ابنُ الحاجب: لأنها لتقليلٍ ما ثبتَ وتحقيقه. وقيل: هي لتقليلِ المحقق، وهو بالماضي أجدر، نصَّ عليه المبرِّد<sup>(٣)</sup>.

قيل: إن ﴿يَوَدُّ﴾، بمعنى: ودَّ؛ لأنه خبر من الله مقطوع به، فجرى مجرى الماضي المُحَقَّق، و(ما) في ﴿رُبَمَا﴾: اسم نكرة، و﴿يَوَدُّ﴾ نعتُه، وإنما حذف فعل (رُبَّ) لأن الصفة قد أغنت عنه، وسدَّت مسدَّه. ذكره اليميني<sup>(٤)</sup>.

(١) وعلله الكسائي بقوله: «هما لغتان والأصل التشديد، لأنك لو صغرت «رَبَّ» لقلت: رُبَيْب، فرددته إلى أصله». انتهى من «حجّة القراءات»، ص ٣٨٠.

(٢) يعني قراءة «رُبَمَا» بضم الرّاء والباء وتخفيفها، وبها قرأ محمد بن حبيب الشموني. انظر: «مختصر شواذ القرآن» لابن خالويه، ص ٧٠.

(٣) «الإيضاح في شرح المفصل» (٢: ١٥٣)، ولتتام الفائدة انظر: «الكامل» للمبرِّد (١: ٢٦٩).

(٤) من قوله: «قيل: إن يودَّ» إلى هنا، أثبتّه من (ط).



قلت: لأنَّ المُتَرَقِّبَ في إخبار الله عزَّ وجلَّ بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه، فكأنه قيل: ربما وُدَّ. فإن قلت: متى تكون وِدَادُهم؟ قلت: عند الموت، أو يوم القيامة إذا عاينوا حالهم وحال المسلمين. وقيل: إذا رأوا المسلمين يَخْرُجُونَ من النار، وهذا أيضاً من باب الودادة. فإن قلت: فما معنى التقليل؟ قلت: هو واردٌ على مذهب العرب في قولهم: لعلك ستندم على فعلك، وربما ندم الإنسان على ما فعل، ولا يشكون في

قوله: (وقيل: إذا رأوا المسلمين يَخْرُجُونَ من النار، وهذا أيضاً باب من الودادة). يعني: تأويل هذه الآية بهذا المعنى من الودادة الباطلة، وتفسيرها بما يهوى ويحب، قال الإمام: هذا قول أكثر المفسرين، كابن عباس، ومجاهد<sup>(١)</sup>. والعجب من هذا الرجل كيف يجترئ على هذا الكلام؟

وقلت: بل فسرها من هبط إليه التنزيل على ما روينا عن الترمذي، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، في تفسير هذه الآية، قال: «إذا أخرج أهل التوحيد من النار وأدخلوا الجنة، ودد الذين كفروا لو كانوا مسلمين»<sup>(٢)</sup>، وعليه معنى التمني؛ وإنما يحسن موقعه<sup>(٣)</sup> إذا رأى الكافرون حُسن عاقبة المسلمين، وشاهدوا سوء مغبة الكافرين، وأيقنوا اليأس التام، والإقنات الكلي، كما يقول الكافر: ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [النبا: ٤٠] قال المصنف: «يُحَسِّرُ الحيوان غير المكلف، حتى يقتصر للجهنم من القرناء ثم تردُّ تراباً، فيودُّ الكافر حاله»<sup>(٤)</sup>. وقال الراغب: ومن المودة التي تقتضي معنى التمني قوله تعالى: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) «مفاتيح الغيب» (١٩: ١٥٤).

(٢) أخرجه الترمذي بعد الحديث رقم (٢٦٣٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٢٠٧) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٣) في (ط): «لأن أمثال هذا التمني إنما يحسن موقعه».

(٤) انظر: (١٦: ٢٦٢). وهو مستفاد من قوله ﷺ: «إن الجاهل لتقص من القرناء يوم القيامة» أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٥٢٠) من حديث عثمان رضي الله عنه، وصححه ابن حبان (٧٣٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه تمام تحريجه.

(٥) «مفردات القرآن»، ص ٥١٧.

تندّمه، ولا يقصدون تقيّلَه، ولكنهم أرادوا: ولو كان الندم مشكوكاً فيه أو كان

قوله: (لو كان الندم مشكوكاً فيه) يُشيرُ لقوله: «لعلك ستندم»، وقوله: «ربما ندّم الإنسان على ما فعل» أي: هذا الذي فعلت، ربّما ندّم الإنسان عليه.

وخُلاصةُ الجواب أن يقال: لا شكّ أنّهم يُكثرون الودادة، ولكن استعمل ربّ لتقليلها على الاستعارة، أي: تَقَلُّ ودادتهم للإسلام حينئذ على إرادة أنّهم يُبالغون في الودادة، ويكثرون منها لاقتضاء مقام التوبيخ لهم، ثم تُفيد هذه الاستعارة على طريقة الكناية الإيائية - وهي أخذ الرُبْدَة والخُلَاصَة من المجموع - معنى توخي انتهاز فرصة الإسلام، أي: اغتيموا فرصة الإسلام، وسارعوا في تحصيله، فإنكم لو كنتم تودّونه مرة واحدة فبالحرى أن تُسارعوا فيها، فكيف والحال ما ذكرناها؟

الانتصاف: العربُ تُعبّرُ عن المعنى بضدّه، ومنه:

قد أترك<sup>(١)</sup> القرن مضمّراً أنامله<sup>(٢)</sup>

وإنّما يُمتدّح بالإكثار من ذلك، وعبّر عنه بـ«قد» المُفيدة للتقليل، ومنه «وقد تعلّمون إني رسول الله إليكم» [الصف: ٥]، فإن القصد توبيخهم على الأذى، مع توفّر عليهم برسالته ونُصّحه<sup>(٣)</sup>.

قلت: ومنه قوله تعالى: ﴿قَدْ رَمَى تَقَلُّبِ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٤٤] أي: من حقّ اهتمامك بشأن القبلة مع كثرة تقلّب وجهك في السماء أن يكون أكثر ممّا وجد منك وشوهد من حالك، لأن أصل أمرك أن تستقبل قبلة آبائك، ولكونه أذعى للعرب إلى الإيمان، ولوجوب مخالفة اليهود.

(١) في النسخة (ف): «أنزل» بالزاي واللام، وهو تصحيف.

(٢) لأبي المثلّم الهذلي، كما في «شرح أشعار الهذليين» للسكّري (١: ٢٨٦)، وتمام البيت:

كان في ريطته نضح أرقان

وعزاه الحمدوني في «تذكرته» (١: ١٥٦)، لرجل من بني جُذم.

وانظر في معنى البيت: «لسان العرب» (قطر).

(٣) الانتصاف بحاشية الكشاف» (٢: ٥٦٩).

قليلًا لَحَقَّ عَلَيْكَ أَنْ لَا تَفْعَلَ هَذَا الْفِعْلَ؛ لِأَنَّ الْعُقْلَاءَ يَتَحَرَّزُونَ مِنَ التَّعَرُّضِ لِلغَمِّ الْمُظَنُّونَ، كَمَا يَتَحَرَّزُونَ مِنَ الْمُتَيْقِنِ، وَمِنَ الْقَلِيلِ مِنْهُ كَمَا مِنْ الْكَثِيرِ، وَكَذَلِكَ الْمَعْنَى فِي الْآيَةِ: لَوْ كَانُوا يُودُّونَ الْإِسْلَامَ مَرَّةً وَاحِدَةً؛ فَبِالْحَرَى أَنْ يُسَارِعُوا إِلَيْهِ، فَكَيْفَ وَهُمْ يُودُّونَهُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ. ﴿لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾: حِكَايَةٌ وَدَادَتِهِمْ، وَإِنَّمَا جِيءَ بِهَا عَلَى لَفْظِ الْغَيْبَةِ؛ لِأَنَّهُمْ مُخْبَرٌ عَنْهُمْ، كَقَوْلِكَ: حَلَفَ بِاللَّهِ لَيَفْعَلَنَّ. وَلَوْ قِيلَ: حَلَفَ بِاللَّهِ: لِأَفْعَلَنَّ، وَلَوْ كُنَّا مُسْلِمِينَ؛ لَكَانَ حَسَنًا سَدِيدًا، وَقِيلَ: تَدَهَّشُهُمْ أَهْوَالُ ذَلِكَ الْيَوْمِ فَيَقُونَ

قَوْلُهُ: (فَبِالْحَرَى أَنْ يُسَارِعُوا) قِيلَ: «أَنْ يُسَارِعُوا»: مَبْتَدَأٌ، وَ«بِالْحَرَى»: خَبْرُهُ، وَهُوَ مُصَدَّرٌ، وَابْتِئَانٌ غَيْرُ زَائِدَةٍ، أَيْ: الْمَسَارِعَةُ ثَابِتَةٌ بِالْحَرَى، وَإِذَا جُعِلَ صِفَةً مُشَبَّهَةً، فَالْبَاءُ زَائِدَةٌ، وَبِالْحَرَى: مَبْتَدَأٌ، وَ«أَنْ يُسَارِعُوا»: الْخَبْرُ، كَقَوْلِكَ: بِحَسْبِكَ زَيْدٌ، وَقُلْتُ: جَوَابٌ لَوْ مَحذُوفٌ، وَالْفَاءُ فِي فَبِالْحَرَى جَوَابٌ لِشَرْطٍ مَحذُوفٍ، يَعْنِي: لَوْ كَانُوا يُودُّونَ الْإِسْلَامَ مَرَّةً وَاحِدَةً لَكَانَ الْوَاجِبُ الْمَسَارِعَةَ إِلَيْهِ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَبِالْحَرَى أَنْ يُسَارِعُوا إِلَيْهِ، فَكَيْفَ وَهُمْ يُودُّونَهُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ؟ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَوَابًا لـ«لَوْ»، لِمَعْنَى الشَّرْطِيَّةِ فِيهَا، وَجَاءَ فِي «الْبَقْرَةِ» فِي قِصَّةِ الْمُنَافِقِينَ أَنَّ قَوْلَهُمْ هَذَا لَوْ صَدَرَ عَنْهُمْ لَا عَلَى وَجْهِ النِّفَاقِ، وَعَقِيدَتُهُمْ عَقِيدَتُهُمْ فَهُوَ كُفْرٌ.

قَوْلُهُ: (وَإِنَّمَا جِيءَ بِهَا عَلَى لَفْظِ الْغَيْبَةِ لِأَنَّهُمْ مُخْبَرٌ عَنْهُمْ)، قَالَ صَاحِبُ «الْفَرَائِدِ»: لَا بُدَّ لِقَوْلِهِ ﴿يُودُّ﴾ مِنْ مَفْعُولٍ، فَ«لَوْ» مَعَ مَا بَعْدَهُ نَزَلَ مِنْزِلَتَهُ، كَأَنَّهُ قِيلَ: ﴿رُبَّمَا يُودُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مَا يَلِازِمٌ<sup>(١)</sup> لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ، [وَهُوَ الْخِلَاصُ مِنَ النَّارِ وَدُخُولُ الْجَنَّةِ، وَلَوْ قِيلَ: لَوْ كُنَّا مُسْلِمِينَ لَكَانَ التَّقْدِيرُ: ﴿رُبَّمَا يُودُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الْإِسْلَامَ قَائِلِينَ: لَوْ كُنَّا مُسْلِمِينَ] <sup>(٢)</sup> لَمَّا ابْتُلِينَا بِالنَّارِ وَلَدَخَلْنَا الْجَنَّةَ، فَظَهَرَ مِنْ هَذَا أَنَّ الْغَيْبَةَ أَوْلَى بِالذِّكْرِ، لِأَنَّهَا أَقْلُّ أَحْوَجًا إِلَى التَّقْدِيرِ.

وقلت: ولهذا قَدَّمَهُ الْمُصَنِّفُ عَلَى الثَّانِي، وَقَالَ: «لَوْ قِيلَ: لَكَانَ كَذَا، لَكَانَ سَدِيدًا».

قَوْلُهُ: (وَقِيلَ: تَدَهَّشُهُمْ) جَوَابٌ لِأَخْرُ لِلسُّؤَالِ مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ: «هُوَ وَارِدٌ»، وَرُبَّ حَيْثُئِذٍ: لِلتَّقْلِيلِ حَقِيقَةً.

(١) قَوْلُهُ: «مَا يَلِازِمُ»: سَقَطَ مِنَ النِّسْخَةِ (ف).

(٢) سَقَطَ مَا بَيْنَ الْمَعْكَوفِينَ مِنَ النِّسْخَةِ (ف).

مَبْهُوتِينَ، فَإِنْ كَانَتْ مِنْهُمْ إِفَاقَةٌ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ مِنْ سَكَرَتِهِمْ تَمَنَّوْا؛ فَلذَلِكَ قَلَّ . ﴿ ذَرَّهُمْ ﴾ : يعني: اقطعْ طَمَعَكَ مِنْ أَرْعَوَاتِهِمْ، وَدَعِّمْ عَنْ النَّهْيِ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ وَالصَّدُّ عَنْهُ بِالتَّذَكُّرِ وَالنَّصِيحَةِ، وَخَلِّمْ ﴿يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾ بِدُنْيَاهُمْ وَتَنْفِيذِ شَهَوَاتِهِمْ، وَيَشْغَلْهُمْ أَمْلُهُمْ وَتَوَقُّعُهُمْ لَطُولِ الْأَعْمَارِ وَاسْتِقَامَةِ الْأَحْوَالِ، وَأَنْ لَا يَلْقَوْا فِي الْعَاقِبَةِ إِلَّا خَيْرًا ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ سَوْءَ صَنِيْعِهِمْ. وَالغَرَضُ الْإِيذَانُ بِأَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الْخِذْلَانِ، وَأَنَّهُمْ لَا يَجِيءُ مِنْهُمْ إِلَّا مَا هُمْ فِيهِ، وَأَنَّهُ لَا زَاجَرَ لَهُمْ وَلَا وَاعِظَ إِلَّا مُعَايِنَةً مَا يُنذَرُونَ بِهِ حِينَ لَا يَنْفَعُهُمُ الْوَعْظُ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى اتِّعَازِهِمْ قَبْلَ ذَلِكَ، فَأَمَرَ رَسُولَهُ بِأَنْ يُخَلِّيَهُمْ وَشَأْنَهُمْ وَلَا يَشْتَغَلَ بِمَا لَا طَائِلَ تَحْتَهُ، وَأَنْ يَبَالِغَ فِي تَخْلِيَتِهِمْ حَتَّى يَأْمُرَهُمْ بِمَا لَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نَدَمًا فِي الْعَاقِبَةِ. ....

قوله: (من أروعواهم)، النهاية: لا يرعوي: أي لا ينكف ولا ينزجر عن القبيح.

قوله: (وأن لا يلقوا) عطف على سبيل البيان على قوله: «الطول الأعمار واستقامة الأحوال»، أي: خلهم يشغلهم توقعهم أن لا يلقوا في العاقبة إلا خيراً.

قوله: (حين لا ينفعهم): ظرف لقوله: «معاينة».

قوله: (فأمر رسول الله ﷺ) <sup>(١)</sup> مسبب عن قوله: «والغرض» أي: الغرض من إيراد قوله: ﴿ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيَلْهَمُ الْأَمَلُ﴾ الإعلام بأنهم من أهل الخذلان على سبيل الكناية، لا حقيقة الأمر، فأمر رسول الله ﷺ بأن يخليهم لذلك الغرض، كما أن الأمر في قوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] لطلب الكفر ظاهراً، والغرض منه التهديد والوعيد <sup>(٢)</sup>.

قوله: (وأن يبالغ في تخليتهم حتى يأمرهم بما لا يزيدهم إلا ندماً)، فإن قلت: ليس

(١) كذا في الأصول الخطية، وفي «الكشاف»: «رسوله».

(٢) وهو حاصل عبارة ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣: ٥١٣) حيث قال: الآية توعد وتهديد، أي: فليختر كل امرئ لنفسه ما يجده غداً عند الله عز وجل. انتهى.

وفيه إلزامٌ للحجّة، ومبالغةٌ في الإنذار، وإعذارٌ فيه. ....

في الآية أمرٌ، فكيف قال: حتى يأمرهم؟ قلتُ: قوله: ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَمْتَعُوا﴾ كلمة موادعة<sup>(١)</sup> ومُتاركة، ولا يُذهبُ إليه إلا بعدَ الإيأس التامِّ والإقناطِ الكلّي، كأنه قيل: «كلوا وتمتعوا» كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ [إبراهيم: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ﴾ [المرسلات: ٤٦].

وموقعُ قوله: ﴿رُبِمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا يَسْتَشْخِرُونَ﴾ موقعُ الاعتراضِ بينَ قوله: ﴿الرَّيَّةَ أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ وبينَ قوله: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ كقوله تعالى: ﴿الرَّيَّةَ أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ١-٢]، فإنه تعالى لما بالغَ في وَصْفِ الكتابِ على ما سبقَ حتى بلغَ القُضيا في كماله، وبالغوا في التَكذيبِ حتى قابلوه بقَوْلِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ سَلَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ بقوله: ﴿رُبِمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ أي: هوّنَ على نَفْسِكَ فَإِنَّكَ بِالْغَتِّ فِي الْإِرْشَادِ وَالْإِنذَارِ، وَهُمْ أَيْضًا أَفْرَطُوا فِي التَكْذِيبِ، فَهَم قَوْمٌ جَهْلَةٌ قَلِيلُوا الدَّرَايَةَ، لَوْ كَانُوا يَوَدُّونَ الْإِسْلَامَ مَرَّةً فَبالْحَرَى أَنْ يُسَارِعُوا إِلَيْهِ، فَكَيْفَ وَهُمْ يَوَدُّونَهُ كُلَّ سَاعَةٍ؟ وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَاقْطَعْ طَمَعَكَ فِي أَرْعَائِهِمْ، وَدَعِّهِمْ عَنِ النَّهْيِ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ، وَالصَّدِّ عَنْهُ بِالتَّذْكَرَةِ، بَلْ مُرِّهِمْ بِالْأَكْلِ كَالْأَنْعَامِ وَالتَّمَتُّعِ فِيهَا أَيَّامًا قَلِيلًا، فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ سُوءَ صَنِيعِهِمْ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قوله: (وفيه إلزامٌ) أي: في قوله: ﴿ذَرَهُمْ﴾، وقلتُ: في الأمرِ بالتمتُّعِ والاشتغالِ بالتلذُّذِ: إدماجٌ لهذا المعنى، لأنَّ هذا القولَ لا يصدُرُ عن الرِّسُولِ إلا بعدَ الإنذارِ البالغِ حدّه، واليأسِ مِنَ الْإِيمَانِ، أي: أبلِغْتَ فِي الْإِنذَارِ وَالزَّمْتِ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ، فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ.

قوله: (وإعذارٌ فيه)، الجوهري: أعذَرَ، أي: بالغَ في الإنذارِ، وقيل: يجوزُ أَنْ تَكُونَ الْهَمْزَةُ لِلسَّلْبِ.

(١) في (ح) و(ف): «مرادعة» بالراء، والمثبت من (ط).

وفيه تنبيه على أن إيثارة التلذذ والتنعم وما يؤدي إليه طول الأمل - وهذه هجيري أكثر الناس - ليس من أخلاق المؤمنين، وعن بعضهم: التمرغ في الدنيا من أخلاق الهالكين.

[ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا وَهَلَّا كِتَابٌ مَعْلُومٌ \* مَا نَسِيقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴿٤-٥﴾ ]

﴿وَهَلَّا كِتَابٌ﴾: جملة واقعة صفة لـ ﴿قَرِيَةٍ﴾، والقياس أن لا يتوسط الواو بينهما،

قوله: (وفيه تنبيه) أي: في تخصيص الأكل والتمتع بالمستهيات والتلهي بالأمل إدماج أيضاً بأن هذه الأشياء ليست من أخلاق المؤمنين، فقوله: «وهذه هجيري أكثر الناس» جملة معترضة، قال بعض المشايخ: التزيين بالدنيا من أخلاق المنافقين، والتمتع بها من أخلاق الكافرين، والتمرغ فيها من أخلاق الهالكين<sup>(١)</sup>.

قوله: (وهذه هجيري أكثر الناس). الراغب: الهجر: الكلام المهجور لقبه، وأهجر فلان: إذا أتى بهجر من الكلام عن قصد، يقال: رمأه بهجرات فيه، أي: بفضائح كلامه، وقولهم: فلان هجيراه كذا، إذا أولع بذكره، وهدى به هديان المريض المهجر، ولا يكاد يستعمل الهجيري إلا في العادة الذميمة<sup>(٢)</sup>.

قوله: (التمرغ في الدنيا)، الجوهري: مرغته في التراب فتمرغ، أي: معكته، وفي تخصيص التمرغ إشارة إلى ذاب<sup>(٣)</sup> الحيوان.

قوله: (أن لا يتوسط الواو) يعني: القياس أن لا يتوسط بين الصفة والموصوف العاطف

(١) دَمَ الدُّنْيَا عَلَى الْإِطْلَاقِ لَيْسَ بِالصُّوَابِ، وَإِنَّمَا تَذَمُّ إِذَا لَمْ تُسَخَّرْ لِلْآخِرَةِ، وَكَانَ صَاحِبِهَا عَبْدًا لَهَا، كَمَا قَالَ ﷺ: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ» الحديث. أما من سخرها لآخرته فتكون عمودة، قال تعالى: ﴿وَابْتِغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧].

(٢) «مفردات القرآن»، ص ٨٣٣-٨٣٤.

(٣) في النسخة (ف): «ذات».

كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٨]، وإنما توسّطت؛ لتأكيد لُصوق الصّفة بالموصوف، كما يقال في الحال: جاءني زيدٌ عليه ثوبٌ، وجاءني وعليه ثوبٌ.

لشِدّة اتّصالها به، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٨]، لكن لما افترق الحكمُ بينهما اختصّت هذه بها، فإن لُصوق الصّفة فيما نحن فيه أشدُّ من لُصوقها في قوله: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾، فإن إهلاك قرية من القرى لكون أجلبها مُقدّراً لا ينفك عن قضائه وقدره، بخلاف إهلاكها عن إنذارٍ مُنذر، فإنه قد ينفك عنه، قال تعالى: ﴿وَلَنْ مِّن قَرِيْبَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ أَلْقِيْمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيْدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوْرًا﴾ [الإسراء: ٥٨].

قوله: (كما يقال في الحال)، يعني: هذه الواوُ الداخلة بين الصّفة والموصوف كالواوِ الداخلة بين الحالِ وصاحبها<sup>(١)</sup>، فكما أن معنى الحالِية لا يتغيّر إذا قلت: جاءني زيدٌ عليه ثوبٌ، وجاءني زيدٌ وعليه ثوبٌ، كذلك هاهنا. وأيضاً، كما أن الواوِ هناك لمجرّد الرّبط، فكذلك هاهنا، وذلك أن الأصل في الجملة إذا وقعت موقع الحالِ أن لا تدخلها الواوُ لفوات المغايرة؛ لأنّ حكمَ الحالِ مع صاحبها حكمُ الخبرِ مع المُخبرِ عنه، والخبرُ ليس مَوْضِعاً لدخولِ الواوِ، وإنما تدخلُ لمجرّد الرّبط، لا سيما إذا كانت جملة اسمية فإنها أشدُّ افتقاراً إلى الرّبط، فحكمُ الصّفة كذلك، ويؤيّدُه قولُ أبي البقاء: وساغ دخولُ الواوِ لما كانت صورةُ الجملة هاهنا كصورتها إذا كانت حالاً<sup>(٢)</sup>.

وقال صاحبُ «التقريب»: في قولِ المصنّف نظر؛ لأنّ توسيطَ العاطفِ بين الصّفات معهودٌ لا بين الصّفة والموصوف، والحالُ ليس وزاناً الصّفة، إذ حقّها الواوِ، وقد تُحذف، وإنما لم يجعله حالاً لتأكيدِ ذي الحالِ، وهو (قرية)، وجاز أن يقال: عمومها يُصحح كونها ذا الحالِ، كما في المبتدأ، نحو: ما أحدٌ خيرٌ منك، وهو تبعُ صاحبِ «المفتاح»، حيث

(١) في (ط): «بين الحال وذي الحال».

(٢) «التيبان في إعراب القرآن» (١: ١٧٣) قاله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ

﴿كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾: مكتوبٌ معلومٌ؛ وهو أجلُّها الذي كُتِبَ في اللُّوحِ وَبَيَّنَّ، ألا ترى إلى قوله: ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا﴾ في موضع كتابها؟ وَأَنْتَ الْأُمَّةُ أَوْلَا ثُمَّ ذَكَرَهَا آخِرًا؛ حملاً على اللفظ والمعنى، وقال: ﴿وَمَا يَسْتَخِرُونَ﴾ بحذف «عنه»؛ لأنه معلوم.

[﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ ٦]

قرأ الأعمش: (يا أيُّها الذي أُلقيَ عليه الذِّكرُ)، وكأنَّ هذا التَّداءُ منهم على وجه الاستهزاء، كما قال فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٧]، فكيف يُفَرِّقون بنزول الذِّكرِ عليه وَيَسْتَبُونَهُ إلى الجنون؟! والتعكيسُ في كلامهم للاستهزاء والتهمُّ مذهبٌ واسعٌ، وقد جاء في كتابِ الله في مواضع، منها: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١]، ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧]، وقد يوجد كثيراً في كلامِ العجم، والمعنى: إنك لتقول قولَ المجانين حين تدَّعي أن الله نزلَ عليك الذِّكرَ.

قال: فالوجهُ عندي هو أن ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾: حالٌ (لقرية) لكونها في حكمِ الموصوفةِ، أي: قرية من القرى، لا وصف، وحمله على الوصفِ سهوٌ لا خطأ، ولا عيبٌ في السهو<sup>(١)</sup>.

وقد أطال المالكي<sup>(٢)</sup> في «شرح التسهيل» في الرَّدِّ قياساً ونقلاً، وجعلَ مُصَحِّحَ وقوع النكرة ذا الحال كونه منفيةً، وقال: والمنفيُّ صالحٌ لأنَّ يُجْعَلُ صاحبَ حالٍ بما هو صالحٌ لأنَّ يُجْعَلُ مبتدأً، ومن أمثلة أبي عليٍّ في «التَّذْكِيرَةِ»<sup>(٣)</sup>: ما مرَّرتُ بأحدٍ إلَّا قائماً إلَّا أخاك، فجعلَ الحالَ من أحدٍ، لا اعتماداً على النفي. وسنذكرُ الجوابَ إن شاء الله في سورة «الكهف».

قوله: (وَأَنْتَ الْأُمَّةُ أَوْلَا) يعني: في قوله: ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ﴾ ثُمَّ ذَكَرَهَا آخِرًا، أي: في قوله: ﴿وَمَا يَسْتَخِرُونَ﴾.

(١) «مفتاح العلوم» للسكاكي، ص ١٠٩.

(٢) يعني ابن مالك النحوي صاحب «الألفية» المشهورة.

(٣) وهو كتاب كبير لخصه تلميذه ابن جني، ذكره القفطي في «إنباه الرواة» (١: ٣٠٩) ولا أعلمه مطبوعاً.



﴿ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [٧]

«لَوْ» رُكِبَتْ مع «لا» و«ما» لمعنيين: معنى امتناع الشيء لوجود غيره، ومعنى التخصيض، وأما «هَلْ» فَلَمْ تُرَكَّبْ إِلَّا مع «لا» وحدها للتخصيض، قال ابن مُقْبِل:

لَوْ مَا الْحَيَاءُ وَلَوْ مَا الدِّينُ عِبْتُكُمْ      بِنَعْضِ مَا فِيكُمْ إِذْ عِبْتُمَا عَوْرِي

والمعنى: هَلَّا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ يَشْهَدُونَ بِصِدْقِكَ وَيَعْضُدُونَكَ عَلَى إِذْذَارِكَ! كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَوْلَا أَنْزَلِ إِلَيْنَا مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ٧]، أو: هَلَّا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ لِلْعِقَابِ عَلَى تَكْذِيبِنَا لَكَ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا كَمَا كَانَتْ تَأْتِي الْأُمَمَ الْمَكْذُوبَةَ بِرُسُلِهَا!

﴿ مَا نُنزِلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ ﴾ [٨]

قُرئ: (تَنْزَلُ) بمعنى: تَنْزَلُ، و: (تُنزَلُ) على البناء للمفعول من نَزَلَ، و: ﴿نُزِلُ الْمَلَكَةَ﴾: بالنون ونُضِبِ الْمَلَكَةَ، ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: إِلَّا تَنْزِيلًا مُلْتَبِسًا بِالْحِكْمَةِ وَالْمَصْلَحَةِ، وَلَا حِكْمَةَ فِي أَنْ تَأْتِيَكُمْ عِيَانًا تُشَاهِدُونَهُمْ وَيَشْهَدُونَ لَكُمْ بِصِدْقِ النَّبِيِّ ﷺ؛

قوله: (لمعنيين) أي: على سبيلِ البَدَلِ، إمَّا الامتناعُ أو التخصيض، فإنَّ قوله: «لولا عليُّ هلكَ عمر» ليس فيه سوى الامتناع، كما أن قوله: ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا﴾<sup>(١)</sup>، ليس فيه سوى التخصيض.

قوله: (لوما الحياء) البيت<sup>(٢)</sup>، عَوْرِي أي: خَلِّي وَنَقْصِي، وَيُرَوى: عُوْدِي أي: أَضْلِي، وَالْبَيْتُ يُسْتَشْهَدُ بِهِ لـ «لوما» التي لا امتناعَ لشيء لوجودِ غيره.

قوله: (قُرئ: «تَنْزَلُ») كلُّهُمَّ إِلَّا عَاصِمًا وَحَمْرَةَ وَالْكَسَائِيَّ، وَ«تُنزَلُ»: أَبُو بَكْرٍ، وَ﴿نُزِلُ﴾: حَفْصٌ وَحَمْرَةُ وَالْكَسَائِيُّ<sup>(٣)</sup>.

(١) قوله: «ليس فيه سوى الامتناع كما أن قوله: ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا﴾ سقط من (ح) و(ف).

(٢) لابن مُقْبِل في «ديوانه»، ص ٣٧.

(٣) ولمعرفة وجه الاختيارِ لدى كلِّ قارئ، انظر: «حجّة القراءات»، ص ٣٨١.

لأنكم حينئذٍ مُصدِّقون عن اضطرار، ومثله قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الحجر: ٨٥]. وقيل: الحقُّ: الوحي أو العذاب. و﴿إِذَا﴾ جوابٌ وجزاء؛ لأنه جوابٌ لهم وجزاءٌ لشرطٍ مقدَّر، تقديره: ولو نزلنا الملائكة ما كانوا مُنظرين وما أُخِّرَ عذابهم.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [٩]

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾: ردٌّ لإنكارهم واستهزائهم في قولهم: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾؛ ولذلك قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾، فأكد عليهم أنه هو المنزَّل على القطع والبنات، .....

قوله: (وقيل: الحقُّ: الوحي أو العذاب) عطفٌ على قوله: «بالحكمة والمصلحة».

قوله: (لأنه جوابٌ لهم، وجزاءٌ لشرطٍ مُقدَّر)، أما كونه جواباً لهم فظاهرٌ، وأما كونه جزءاً لشرطٍ مُقدَّر، فإتهم لما قالوا: هَلَّا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ يَشْهَدُونَ بِصِدْقِكَ؟ أجبوا بما يُنبئ عن قولنا: «إن جاءتكم الملائكة وشهدوا بصدقني فلم تؤمنوا ما أُخِّرَ عذابكم» كما قدَّر الزجاج معنى قوله: «إِذْ أَكْرَمُكَ، جواباً لمن قال: أنا أتيتك إن كان الأمر كما ذكرت فإني أكرمك<sup>(١)</sup>، أو: إن جاءتكم ملائكة العذاب «ما أُخِّرْتُمْ»، فقوله: «ولو نزلنا الملائكة ما كانوا مُنظرين وما أُخِّرَ عذابهم» يُحمَلُ على الوجهين المذكورين، لكون قوله تعالى: ﴿مَا نُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ﴾ الآية، جواباً عن قولهم: ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ﴾ الآية، وقد فسره فيما سبق بالوجهين.

قوله: (على القطع): حالٌ من الضمير في «فأكَّد»، أو: مفعولٌ مُطلقٌ من المنزَّل، أي: إنزالاً على القطع، وإفادَةُ القطع عن تصدُّر الجملة بـ«إن» وتوكيده بـ«نحن» والتعظيم بضمير الجمع.

(١) «معاني القرآن وإعرابه» (٢: ٦٣).

وأنه هو الذي بَعَثَ به جبريل إلى محمد ﷺ وبين يديه ومن خلفه رَصَد، حتى نَزَلَ وبلغ محفوظاً من الشياطين، وهو حافظه في كل وقت من كل زيادة ونقصانٍ وتحريف وتبديل، بخلاف الكتب المتقدمة؛ فإنه لم يتوَلَّ حفظها؛ وإنما استحفظها الربانيون والأحبار فاختلَفُوا فيما بينهم بغيًّا؛ فكان التحريف، ولم يكِلِ القرآن إلى غير حفظه. فإن قلت: فحين كان قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ ردًّا لإنكارهم واستهزائهم، فكيف اتصل به قوله: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾؟ قلت: قد جعل ذلك دليلاً على أنه مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِهِ آية؛ لأنه لو كان من قول البَشَرِ أو غير آية لتطرَّقَ عليه الزيادة والنقصان كما يتطرَّق على

قوله: (بعث به جبريل) أي: بعث بالقرآن جبريل، فالباء بمعنى «مع»، ويجوز أن تكون سببية.

قوله: (قد جعل ذلك دليلاً)، توجيه الجواب: أن الكفرة حين قالوا: مُسْتَهْزِئِينَ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ بمعنى: يا أيها المفترى، إن الله لم يُنَزِّلْ عليك الذِّكْرَ، وهذا الذي تزعمه أنه من عند الله ليس منه، بل هو من الجن، وإنك لمجنون، ردًّا عليهم بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، يعني: أن الله تعالى هو المنزَّل على القطع والبت، فإنه هو الذي بعث جبريل إلى محمد صلوات الله وسلامه عليهما، وبين يديه ومن خلفه رَصَدٌ من الملائكة حتى نُزِّلَ وبلغ محفوظاً من الشياطين والجن، فما كان من الله ومحفوظاً من الجن، كيف يكون من الجن؟

قوله: (مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ آيَةٌ آيَةٌ<sup>(١)</sup>): حالٌ من ضمير «منزَّل»، أي: دلالة وعلامة على كونه مُعْجِزَةً، يعني: قوله: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ كالدليل لإثبات المدعى، فإنه تعالى لما ردَّ بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ قولهم: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ بمعنى: أن المنزَّل ليس من قِبَلِ الجنِّ كما تزعمون<sup>(٢)</sup>، بل من قِبَلِ المليكِ المُعْظَمِ شأنه، القاهر

(١) كذا في الأصول الخطية، وفي «الكشاف»: «مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِهِ آيَةٌ».

(٢) في النسخة (ف) يزعمون. وهي مُتَّجِهَةٌ جَيِّدَةٌ.

كَلِّ كَلَامٍ سِوَاهُ. وَقِيلَ: الضَّمِيرُ فِي ﴿لَهُ﴾ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَلَّهُ يَعْصِيكَ﴾ [المائدة: ٦٧].

[﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ \* وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ١٠ - ١١]

﴿فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ﴾ فِي فِرْقِهِمْ وَطَوَائِفِهِمْ. وَالشَّيْعَةُ: الْفِرْقَةُ إِذَا اتَّفَقُوا عَلَى مَذْهَبٍ وَطَرِيقَةٍ. وَمَعْنَى أَرْسَلْنَاهُ فِيهِمْ: نَبَّأْنَاهُ فِيهِمْ وَجَعَلْنَاهُ رَسُولًا فِيهِمْ، ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ﴾:

سُلْطَانُهُ، عَقَبَهُ بِقَوْلِهِ <sup>(١)</sup> لِيَكُونَ دَلِيلًا عَلَى ذَلِكَ الْمَدْعَى، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: «لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ الْبَشَرِ أَوْ يَكُونُ غَيْرَ آيَةٍ أَيْ: مُعْجِزَةٍ لَتَطَرَّقَ إِلَيْهِ <sup>(٢)</sup> الزِّيَادَةُ وَالتَّقْصَانُ».

وَقَالَ الْإِمَامُ: إِنَّ اللَّهَ حَفِظَهُ بِأَنْ جَعَلَهُ مُعْجِزًا مَبِينًا لِكَلَامِ الْبَشَرِ؛ لِأَنَّهُ يُعْجِزُ الْخَلْقَ عَنِ الزِّيَادَةِ وَالتَّقْصَانِ فِيهِ؛ لِأَنَّهُمْ لَوْ رَامُوا ذَلِكَ لَتَغَيَّرَ نَظْمُهُ، وَظَهَرَ لِلْخَلْقِ أَنَّهُ مِنْ كَلَامِ الْبَشَرِ، وَلَيْسَ مِنْ خَالِقِ الْقُوَى وَالْقَدَرِ <sup>(٣)</sup>.

قَوْلُهُ: (وَالشَّيْعَةُ: الْفِرْقَةُ إِذَا اتَّفَقُوا عَلَى مَذْهَبٍ)، الرَّاعِبُ: الشِّيَاعُ: الْإِنْتِشَارُ وَالتَّقْوِيَةُ، تَقُولُ: شَاعَ الْحَدِيثُ: إِذَا كَثُرَ وَانْتَشَرَ، وَشَاعَ الْقَوْمُ: انْتَشَرُوا وَكثُرُوا، وَشَيَّعَتُ النَّارُ: قَوَّيْتُهَا، وَالشَّيْعَةُ: مَنْ يَتَقَوَّى بِهِمُ الْإِنْسَانُ وَيَتَشَرُّونَ عَنْهُ <sup>(٤)</sup>.

قَوْلُهُ: (أَرْسَلْنَاهُ فِيهِمْ: نَبَّأْنَاهُ فِيهِمْ وَجَعَلْنَاهُ رَسُولًا فِيهِمْ)، يَعْنِي: أَنْ ﴿أَرْسَلْنَا﴾ اسْتَعْمَلَ بِـ «فِي»، وَالْأَصْلُ: أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ لِلْإِعْلَامِ بِمَزِيدِ التَّمَكُّنِ فِيهِمْ، فَدَلَّ قَوْلُهُ <sup>(٥)</sup>: «نَبَّأْنَاهُ فِيهِمْ» عَلَى مَعْنَى: أَعْطَيْنَاهُ الْمُعْجِزَةَ، وَقَوْلُهُ: «وَجَعَلْنَاهُ رَسُولًا فِيهِمْ» عَلَى مَعْنَى: صَيَّرْنَاهُ

(١) فِي النِّسْخَةِ (ح): بِهِ.

(٢) فِي النِّسْخَةِ (ح) وَ(ط): «عَلَيْهِ». وَالمُتَّبِعُ هُوَ الْأَشْبَهُ بِالصَّوَابِ.

(٣) «مِفْتَاحِ الْغَيْبِ» (١٩: ١٦٠).

(٤) «مَفْرَدَاتُ الْقُرْآنِ»، ص ٤٧٠.

(٥) مِنْ قَوْلِهِ: «وَجَعَلْنَاهُ رَسُولًا فِيهِمْ» إِلَى هُنَا سَقَطَ مِنْ (ط).

حكاية حالٍ ماضية؛ لأنَّ (ما) لا تدخلُ على مضارعٍ إلا وهو في معنى الحال، ولا على ماضٍ إلا وهو قريبٌ من الحال.

[﴿كَذَلِكَ نَسَلُّكَهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ \* لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾]

[١٣-١٢]

يقال: سَلَكْتُ الخَيْطَ في الإبرة، وأسَلَكْتُهُ: إذا أدخلتَه فيها ونظمتَه. وقُرئ: (نُسَلِكُهُ)، والضميرُ للذكر، أي: مثل ذلك السَلَكِ ونحوه نَسَلُّكَ الذُّكْرَ في ﴿قُلُوبِ

صاحبِ كتابٍ وشريعة؛ لأنَّ النبيَّ كما تقرَّرَ صاحبُ المعجزة، والرَّسُولُ صاحبُ الكتاب، فالآياتُ تسليةٌ للرَّسُولِ ﷺ من استهزاء المشركين.

قوله: (ونحوه: نَسَلُّكَ الذُّكْرَ) يريدُ أنَّ المشارَ إليه بقوله: «ذلك» في ﴿كَذَلِكَ﴾ خلاصةٌ معنى قوله: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، ووجهُ التشبيه: التَّكْذِيبُ والاستهزاء، يعني: «مثل ذلك السَلَكِ» مكذباً مُستهزأً به نَسَلُّكَهُ في قلبِ مَنْ هو مُجرِمٌ مكذبٌ مُستهزئ، فقوله: «مكذباً به مُستهزأً»: حالٌ مُقدِّرة؛ لأنَّ الذُّكْرَ ما كان مُكذباً حالَ إلقائه في قلوبهم، بل بعده بزمان، واللامُ في ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾ للجنس، بدليلِ قوله: «كَذَلِكَ أَنْزَلَهَا بِاللَّغَامِ».

قال في «الانتصاف»: المرادُ إقامةُ الحُجَّةِ على المكذِّبينَ بأنَّ اللهَ سَلَكَ القرآنَ في قلوبهم وأدخلَهُ في سُويداواتها<sup>(١)</sup>، كما سلَّكَهُ في قلوبِ المؤمنين، فكذبَ به هؤلاء، وصدقَ به هؤلاء، كلُّ على علمٍ وفهم، ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢]، ولتقعَ الحُجَّةُ على الكُفَّارِ بعلمهم بوجهِ الإعجاز، كما فهمها المؤمنون، ولذلك عقبه بقوله: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ الآية، أي: لو أظهرَ لهم أيَّ دليلٍ أظهرَ من إعجازِ أو صعودِ إلى السَّماء، وفي قوله: ﴿فَطَلَّوْا﴾ التي لا تكونُ إلا في النَّهَارِ، إشعارٌ بوضوح ذلك.

وقال القاضي: «الضميرُ في قوله: ﴿كَذَلِكَ نَسَلُّكَهُ﴾ للاستهزاء، وفيه دليلٌ على

(١) في النسخة (ف): «سُويداواتها» على الأفراد.

الْمُجْرِمِينَ ﴿ على معنى: أنه يُلقِيه في قلوبهم مُكذَّباً مُسْتَهزِأً به غيرَ مقبول، كما لو أنزلت بليغ حجة فلم يُجِبْكِ إليها، فقلت: كذلك أنزلها باللثام، تعني: مثل هذا الإنزال أنزلها بهم مردودة غير مفضية. ومحلُّ قوله: ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ النصبُ على الحال، أي: غير مؤمن به، أو هو بيان لقوله: ﴿ كَذَلِكَ نَسَلُّكَ ﴾. ﴿ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴾: طريقتهم التي سنَّها الله في إهلاكهم حين كذبوا برسُلِهِم وبالذِّكرِ المنزَّلِ عليهم، وهو وعيدٌ لأهلِ مَكَّةَ على تكذيبهم.

أنه تعالى يوجد الباطل في قلوبهم، وقيل: للذِّكرِ، فإنَّ الضَّميرَ الآخرَ في قوله: ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ له، وهو: حالٌ من هذا الضَّميرِ، والمعنى: مثل ذلك السِّلِكِ نسلُكُ الذِّكرِ في قلوبِ المجرمين، مُكذَّباً غيرَ مؤمنٍ به، أو بيانٌ للجُملةِ المتضمِّنةِ له، وهذا الاحتجاجُ ضعيفٌ، إذ لا يلزمُ من تعاقبِ الضمائرِ توافقُها في المرجوعِ إليه ولا يتعيَّنُ أن تكونَ الجُملةُ حالاً من الضَّميرِ، لجوازِ أن تكونَ حالاً من ﴿ الْمُجْرِمِينَ ﴾، ولا يُنافي كونُها مفسِّرةً للمعنى الأولِ<sup>(١)</sup>.

قوله: (طريقتهم التي سنَّها الله في إهلاكهم). روى الإمامُ عن الزَّجاجِ أنه قال: «قد خلَّتْ سُنَّةُ الله في الأوَّلِينَ بأن يسلكَ الكُفْرَ والضَّلَالَ في قلوبِهِم»<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام: هذا أليقُّ بظاهر اللفظِ من ذلك<sup>(٣)</sup>.

وقلتُ: بيانه أن التعريفَ في ﴿ الْمُجْرِمِينَ ﴾ للعهد، والمرادُ به المكذَّبونَ من قومِ رسولِ الله ﷺ، لأنهم المذكورونَ بعدَ قوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ \* وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ أي: مثل ذلك السِّلِكِ الذي سلَّكناه في قلوبِ أولئك المستهزئينَ المكذَّبينَ للرُّسلِ الماضية، نسلُّكُه في قلوبِ هؤلاءِ المكذَّبينَ، ثم قرَّرَ ذلكَ وبيَّنه بقوله: ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾، ودَيْلُهُ بقوله: ﴿ وَقَدْ خَلَّتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴾، والمقامُ يقتضي التأكيدَ والتقريبَ، لأنه تعالى لما وصفَ الكتابَ بقوله: ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ﴾ وبالغَ

(١) «أنوار التنزيل» (٣: ٣٦٣-٣٦٤).

(٢) انظر كلامَ الزَّجاجِ في «معاني القرآن وإعرابه» (٣: ١٧٤).

(٣) «مفاتيح الغيب» (١٩: ١٢٧).

[ ﴿ وَلَوْ فَدَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴾ \* لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا

بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾ [١٤-١٥]

قُرئ: ﴿ يَعْرُجُونَ ﴾ بالضم والكسر. و﴿ سُكِّرَتْ ﴾: حُيِّرَتْ، أو: حُبِسَتْ من الإبصار، من السُّكْرِ أو السُّكْرِ. وقُرئ: (سُكِّرَتْ) بالتخفيف، أي: حُبِسَتْ كما يُحْبَسُ

في بيان كماله وإعجازه الدرجة القُصيا، ثم حكى عنهم أنهم طَعَنُوا فيه واستهزأوا بمن نُزِّلَ عليه بقوله: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾، وما عدوه من المعجزة حيث قالوا: ﴿ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلْأِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ وسَلَّاهُ بقوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾، وقوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ﴾، قال: كَذَلِكَ نَسَلُّكَ فِي قُلُوبِ هَؤُلَاءِ الْمُجْرِمِينَ فَلَكَ أَسْوَةٌ بِالرُّسُلِ الْمَاضِيَةِ مَعَ أَهْمِهِمُ الْمَكْذِبَةِ، وَلَسْتَ بِأَوْحِدِيٍّ فِيهِ، وَقَدْ خَلَّتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ، فَيَكُونُ عَلَى هَذَا مَزِيدَ تَسْلِيَةٍ لِلرَّسُولِ ﷺ. وَالْوَعِيدُ بَعِيدٌ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَسْبِقْ لِإِهْلَاكِ الْأُمَّمِ ذِكْرٌ، وَإِنَّمَا أَثَرَ الْمَصْنُفِ ذَلِكَ الْوَجْهَ؛ لِأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى مَذْهَبِهِ.

قوله: ﴿ يَعْرُجُونَ ﴾) بالضم: السبعة، وبالكسر شاذ<sup>(١)</sup>، و﴿ سُكِّرَتْ ﴾ بالتخفيف: ابن

كثير.

قوله: (من السُّكْرِ أو السُّكْرِ) فيه نشر، الجوهري: السُّكْرَانُ: خلاف الصَّاحِي، وقد سَكَّرَ يَسَكِّرُ سَكْرًا، والاسم السُّكْرُ بالضم، والسُّكْرُ بالكسر: العَزْمُ، والسُّكْرُ: مُضَدُّ سَكَّرْتُ التَّهْرَ أَسْكُرُهُ سَكْرًا: إِذَا سَدَّدْتَهُ<sup>(٢)</sup>، قيل: إِنْ جُعِلَ مِنَ السُّكْرِ بِالضَّمِّ فَالتَّثْقِيلُ لِلتَّعْدِيَةِ، وَإِنْ جُعِلَ مِنَ «السُّكْرِ» فَالتَّثْقِيلُ لِلْإِسْنَادِ إِلَى الْجَمَاعَةِ.

وقال ابن جنِّي: كما أن السُّكْرَ يَعْتَرِضُ عَلَى الْمَاءِ وَيَسُدُّ عَلَيْهِ مَذْهَبَهُ، كَذَلِكَ حَالُ السُّكْرَانِ فِي وَقُوفِ فِكْرِهِ، وَالْإِعْتِرَاضِ عَلَيْهِ بِمَا يُنْغِضُهُ<sup>(٣)</sup> وَيُحَيِّرُهُ، فَلَا يَجِدُ مَذْهَبًا، وَيَنْكَفِي مُضْطَرِبًا<sup>(٤)</sup>.

(١) وممن قرأ بها: الأعمش وابن أبي الزناد وغيرهما، وهي لغة هُدَيْل، انظر: «مختصر شواذ القرآن»، ص ٧٠، و«البحر المحيط» (٥: ٤٤٨).

(٢) في (ط): «شددته».

(٣) في (ط): «بما يقتضيه».

(٤) «المحتسب» (٢: ٣).

النهر من الجزري. وقرئ: (سَكَرَتْ) من السُّكْرِ، أي: حارت كما يحَارُ السُّكْران. والمعنى: أن هؤلاء المشركين بَلَغَ من غُلُوِّهم في العناد: أن لو فُتِحَ لهم بابٌ من أبواب السماء، وُسِّرَ لهم معراجٌ يصعدون فيه إليها، ورأوا من العيان ما رأوا، لقالوا: هو شيء نتخايلُهُ لا حقيقة له، ولقالوا: قد سَحَرَنَا مُحَمَّدٌ بذلك. وقيل: الضميرُ للملائكة، أي: لو أَرَيْنَاهُم الملائكةَ يصعدُونَ في السماء عياناً لقالوا ذلك. وذَكَرَ الظُّلُولُ؛ لِيَجْعَلَ عُرُوجَهُم بالنهار؛ ليكونوا مُستَوْضِحِينَ لِمَا يَرَوْنَ. وقال: ﴿إِنَّمَا﴾، لِيَدُلَّ على أنهم يَبْتُونُ القَوْلَ بأنَّ ذلك ليس إلا تَسْكِيراً للأبصار.

الرَّاعِبُ: السُّكْرُ: حالة تَعْرِضُ بَيْنَ المرءِ وَعَقْلِهِ، وأكثر ما يُسْتَعْمَلُ ذلك في الشَّرَابِ، وقد يَعْتَرِي مِنَ الغَضَبِ والعِشْقِ، ولذلك قَالَ الشاعر:

سُكْرَانِ، سُكْرٌ هَوَىٰ وَسُكْرٌ مُدَامَةٌ<sup>(١)</sup>

ومنه سَكَرَاتُ الموت. والسُّكْرُ: حَبْسُ الماء، وذلك باعتبار ما يَعْرِضُ مِنَ السَّدِّ بَيْنَ المرءِ وعقله، والسُّكْرُ: الموضعُ المسدود، وليلةٌ ساكرة، أي: ساكنة، اعتباراً بالسكونِ العارضِ مِنَ السُّكْرِ<sup>(٢)</sup>.

قوله: وقال: ﴿إِنَّمَا﴾ لِيَدُلَّ على أنهم يَبْتُونُ القَوْلَ بأنَّ ذلك ليس إلا تَسْكِيراً للأبصار)، قال الإمام: ﴿إِنَّمَا﴾: لِلْحَضَرِ، والحَصْرُ هاهنا في الأبصارِ لا في التَسْكِيرِ، فكأَنَّهُم قالوا: ما سَكَّرَتْ إِلَّا أَبْصَارُنَا لا عقولُنَا، فنحن وإن تَتَخَايَلُ في أَبْصَارِنَا هذه الأشياءَ، لكنْ نَعْلَمُ بعقولِنَا أنَّ الحَالَ بخلافه، ثُمَّ أَضْرَبُوا عن الحَضَرِ في الأبصارِ، وقالوا: بل جاوزَ ذلك عقولُنَا بِسِحْرِهِ<sup>(٣)</sup>.

(١) للخليج الدمشقي من أبيات ذكرها الثعالبي في «بتيمة الدهر» (١: ٨٩)، وتام البيت:

أتى يُفَيِّقُ فتى به سُكْرَانِ

(٢) «مفردات القرآن»، ص ٤١٦.

(٣) «مفاتيح الغيب» (١٩: ١٦٧).



﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَرَازِبَاتٍ لِّلنَّظِيرِينَ \* وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ \* إِلَّا مَن أَسْرَقَ لَنَسْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ \* وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ \* وَجَعَلْنَا لَكُمُ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهَا بِرَازِقِينَ﴾ [١٦-٢٠]

﴿مِنَ اسْتَرَقَ﴾ في محلِّ النَّصْبِ على الاستثناء. وعن ابن عباس: أنهم كانوا لا يُحْجَبُونَ عن السماوات، فلما وُلِدَ عيسى مُنِعُوا من ثلاثِ سماوات، فلما وُلِدَ مُحَمَّدٌ مُنِعُوا من السماواتِ كُلِّهَا. ﴿شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾: ظاهرٌ للمُبْصِرِينَ. ﴿مَوْزُونٍ﴾: وُزِنَ بميزانِ الْحِكْمَةِ، وَقَدَّرَ بِمِقْدَارِ تَقْتَضِيهِ، لا يَصْلُحُ فِيهِ زِيَادَةٌ وَلا نُقْصَانٌ، أَوْ: لَهُ وَزْنٌ وَقَدْرٌ فِي أَبْوَابِ النِّعْمَةِ وَالْمَنْفَعَةِ، وَقِيلَ: مَا يُوزَنُ مِنْ نَحْوِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالنُّحَاسِ وَالْحَدِيدِ وَغَيْرِهَا. ﴿مَعَايِشَ﴾ بِيَاءٍ صَرِيحَةٍ، بِخِلَافِ: الشَّائِلِ وَالْحَبَائِثِ وَنَحْوِهِمَا؛ فَإِنَّ تَصْرِيحَ الْيَاءِ فِيهَا خَطَأٌ، وَالصَّوَابُ الْهَمْزَةُ، أَوْ إِخْرَاجُ الْيَاءِ بَيْنَ بَيْنَ. وَقَدْ قُرِئَ: (مَعَايِشَ) بِالْهَمْزَةِ عَلَى التَّشْبِيهِ، ﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهَا بِرَازِقِينَ﴾: عَطْفٌ عَلَى ﴿مَعَايِشَ﴾، أَوْ عَلَى مَحَلِّ ﴿لَكُمُ﴾، كَأَنَّهُ

قوله: ﴿﴿مِنَ اسْتَرَقَ﴾﴾: في محلِّ النَّصْبِ على الاستثناء، قال أبو البقاء: هو استثناءٌ منقطع، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَجْرُورًا عَلَى الْبَدَلِ، أَي: إِلَّا مَن اسْتَرَقَ، وَالْمُبْدَلُ ﴿كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾، وَالتَّقْدِيرُ: لا يَدْخُلُهَا شَيْطَانٌ إِلَّا مَن اسْتَرَقَ، لِدَلَالَةِ «حَفِظْنَاهَا» عَلَيْهِ<sup>(١)</sup>، وَقِيلَ: فِيهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّهُ فِي كَلَامٍ مُّوجِبٍ<sup>(٢)</sup>، وَأُجِيبَ: أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾ فِي مَعْنَى النَّفْيِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَشَرِّبُوا مِنهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

قوله: (أَوْ عَلَى مَحَلِّ ﴿لَكُمُ﴾) وَهُوَ النَّصْبُ؛ لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ بِهِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: جَعَلْنَا لَكُمْ مَعَايِشَ وَلَمَن لَّسْتُمْ، قَالَ صَاحِبُ «التَّقْرِيبِ»: وَفِيهِ نَظَرٌ، إِذِ الْعَطْفُ عَلَى مَحَلِّ ﴿لَكُمُ﴾ لا يَقْتَضِي إِعَادَةَ اللَّامِ، بَلْ كَوْنُ ﴿وَمَن لَّسْتُمْ﴾ مَنْصُوبًا، فَلَعَلَّهُ عَلَى تَقْدِيرِ الْجَارِّ تَصْحِيحًا لِلْمَعْنَى، ثُمَّ نَزَعَهُ.

(١) «التيبان في إعراب القرآن» (٢: ٧٧٨).

(٢) وهو حاصل كلام ابن الأنباري في «غريب إعراب القرآن» (٢: ٦٦).

قيل: وجعلنا لكم فيها معاش، وجعلنا لكم من لستم له برازقين، أو: وجعلنا لكم معاش ولن لستم له برازقين.

وأراد بهم العيال والماليك والخدم الذين يحسبون أنهم يرزقونهم، ويخطئون، فإن الله هو الرزاق، يرزقهم وإياهم، ويدخل فيه الأنعام والدواب وكل ما بتلك المثابة، مما الله رازقه، وقد سبق إلى ظنهم أنهم هم الرازقون. ولا يجوز أن يكون مجروراً؛ عطفاً على الضمير المجرور في ﴿لَكُمْ﴾؛ لأنه لا يعطف على الضمير المجرور.

[﴿وَلَنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِمَقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ (٢١)]

ذكر الخزانة تمثيل. والمعنى: وما من شيء يتتفع به العباد إلا ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه والإنعام به، وما نعطيه إلا بمقدار معلوم نعلم أنه مصلحة له؛ فضرب الخزانة مثلاً لاقتداره على كل مقدور.

وقال صاحب «التخмир»: قول النحويين: المفعول هو المجرور مع الجار سهو، ألا ترى كيف أن الباء في: خرجت برّيد، بمنزلة الهمزة، وتثقل الحشو في أخرجت وخرجت، فكما أنهما ليسا جزءاً من المفعول وإنما هما جزء من الفعل كذلك هاهنا، ولأن هذا الفعل المتعدي بحرف الجر، يجعل مبنياً للمفعول، ولو لم يكن الجار جزءاً من الفعل لما جار بناؤه للمفعول؛ لأن الفعل اللازم لا يجعل مبنياً للمفعول<sup>(١)</sup>، ولأن الجار هاهنا قد يعدى به الفعل، فصار معه بمنزلة الفعل المتعدي، وشيء من الفعل المتعدي لا يكون جزءاً من المفعول<sup>(٢)</sup>.

قوله: (ويخطئون) جملة معترضة، أو: حال بحذف المبتدأ.

قوله: (فضرب الخزانة مثلاً لاقتداره على كل مقدور) يعني: أن أصل الكلام: ما من شيء يتتفع به العباد إلا ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه، فشبه اقتداره على كل شيء وإيجاده بالخزانة المودعة فيها الأشياء المهمة المعدة، ليؤذن أن مقدوره كأنه حاصل موجود،

(١) من قوله: «ولو لم يكن الجار» إلى هنا سقط من (ف).

(٢) «التخмир شرح المفصل» لصدر الأفاضل الخوارزمي (٣: ٢٦٩).

[ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ

بِخَيْرِينَ ﴿٢٢﴾ ]

﴿لَوَاقِحَ﴾ فيه قولان؛ أحدهما: أَنَّ الرِّيحَ لَاقِحٌ؛ إذا جاءت بخير، من إنشَاء

فهو أقوى مما لو قيل: نحن قادرون على إيجاده وتكوينه<sup>(١)</sup>، فيكون موقع قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَيْرِينَ﴾ الآية كالتذييل للكلام السابق، إذا فُسِّرَ قوله: ﴿مَوْرُوفِينَ﴾ بأنَّ كُلَّ شَيْءٍ وُزِنَ بِمِيزَانِ الْحِكْمَةِ، وَقُدِّرَ بِمِقْدَارٍ يَقْتَضِيهِ. وكالتكميل إذا فُسِّرَ بِغَيْرِ ذَلِكَ، قال القاضي: وَقَدْ لَكَ الْآيَةُ الْاِسْتِدْلَالُ بِجَعْلِ الْأَرْضِ مَمْدُودَةً بِمِقْدَارٍ وَشَكْلٍ مُعَيَّنِينَ مُخْتَلِفَةً الْأَجْزَاءِ فِي الْوَضْعِ، مَحْدَثَةً فِيهَا أَنْوَاعَ النَّبَاتِ وَالْحَيَوَانَاتِ الْمُخْتَلِفَةَ خَلْقَةً وَطَبِيعَةً، مَعَ جَوَازِ أَنْ لَا يَكُونَ كَذَلِكَ، عَلَى<sup>(٢)</sup> كَمَا لِقُدْرَتِهِ وَتَنَاهِي حِكْمَتِهِ، وَالتَّفَرُّدِ فِي أُلُوهِيَّتِهِ، وَالاِمْتِنَانِ عَلَى الْعِبَادِ بِمَا أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ<sup>(٣)</sup>، ثُمَّ صَرَبَ الْخَزَائِنَ مَثَلًا لِاِقْتِدَارِهِ.

قوله: (أَنَّ الرِّيحَ لَاقِحٌ إذا جاءت بخير)، الجوهري: الْأَصْلُ فِيهِ مُلْقِحَةٌ، وَلَكِنَّهَا لَا تُلْقِحُ إِلَّا وَهِيَ فِي نَفْسِهَا لَاقِحٌ، كَأَنَّ الرِّيحَ لَقِحَتْ بِخَيْرٍ، فَإِذَا أَنْشَأَتِ السَّحَابَ وَفِيهَا خَيْرٌ وَصَلَ ذَلِكَ إِلَيْهِ، وَقَالَ ابْنُ جَنِّي: قَالُوا: أَلْقَحَتِ الرِّيحُ السَّحَابَ وَهِيَ لَاقِحٌ، هَذَا عَلَى حَذْفِ هَمْزَةِ أَفْعَلٍ، وَإِنَّمَا قِيَاسُهُ مُلْقِحٌ، كَأَنَّهُ خَرَجَ بِحَذْفِ الزِّيَادَةِ تَقْدِيرًا، وَإِنْ لَمْ يَخْرُجْ إِلَى اللَّفْظِ اسْتِعْمَالًا، كَمَا قَالُوا: أَبْقَلَ الْمَكَانَ فَهُوَ بِاقِلٌ، وَقَالَ أَيْضًا: هُوَ مِنْ بَابِ الْاِكْتِفَاءِ بِذِكْرِ السَّبَبِ عَنِ الْمَسَبِّ، فَإِنَّمَا إِذَا لَقِحَتْ أَلْقَحَتْ غَيْرَهَا<sup>(٤)</sup>.

وقلت: لَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ مَجَازًا بِاعْتِبَارِ مَا كَانَ، فَيَكُونَ الرِّيحُ أَوْلَى لِاِقْعَةٍ ثُمَّ تَصِيرُ مُلْقِحَةً، فَقِيلَ: لِاِقْعَةٍ وَأُرِيدَ مُلْقِحَةً، كَقَوْلِهِ: ﴿وَأَتُوا إِلَيْنَا أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٣]. قَالَ أَبُو الْبَقَاءِ:

(١) من قوله: «فشبهه اقتداره على كل شيء» إلى هنا سقط من (ط).

(٢) في النسخة (ح): «مع»، والمثبت هو الأثنية بالصواب، وهو مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ: «الاستدلال».

(٣) «أنوار التنزيل» (٣: ٣٦٥).

(٤) «المحتسب» (٢: ٢٤١).

سحابٍ ماطر، كما قيل للتي لا تأتي بخير: ريحٌ عقيم. والثاني: أن اللواقيح بمعنى الملاقح، كما قال:

### وَمُخْتَبِطٌ مِّمَّا تُطِيحُ الطَّوَائِحُ

يريدُ المَطَاوِحَ جمعَ مُطِيحَةٍ. وقُرئ: (وأرسلنا الرِّيحَ)، على تأويل الجِنْسِ.  
﴿فَأَسْقَيْنَ كُمُوهُ﴾: فجعلناه لكم سُقْيَا، .....

لَقِحَتِ الرِّيحُ إِذَا حَمَلَتِ الْمَاءَ، وَالْقَحَتِ الرِّيحُ السَّحَابَ: إِذَا حَمَلَتْهَا الْمَاءَ، كَمَا تَقُولُ: أَلْقَحَ الْفَحْلُ الْأُنْثَى فَلَقِيحَتْ، وَانْتِصَابُهُ عَلَى الْحَالِ الْمَقْدَّرَةِ<sup>(١)</sup>.

قوله: (أن اللواقيح بمعنى الملاقح)، الجوهري: الملاقح: الفحول، الواحد مُلقح، والملاقح أيضاً: الإناث في بطونها أولادها، الواحدة مُلقحة، بفتح القاف، وقال أبو البقاء: أصلها ملاقح، لأنه يقال: ألقح الرِّيحُ السحاب، كما يقال: ألقح الفحل الأنثى، أي: أحبلها، وحذفت الميم لظهور المعنى، ومثله الطوائح، الأصل: المطاوح، لأنه من أطاح الشيء<sup>(٢)</sup>.

الجوهري: طاح يطوحُ ويَطِيحُ: هَلَكَ وَسَقَطَ، وَطَوَّحَهُ: حَيَّرَهُ وَذَهَبَ بِهِ هَاهُنَا وَهَاهُنَا، وَطَوَّحَهُ الطَّوَائِحُ: قَدَفْتَهُ الْقَوَائِفُ.

قوله: (ومختبِطٌ مما تُطِيحُ الطَّوَائِحُ)، أوله:

لِيُبِكَ يَزِيدُ؛ ضَارِعٌ لِحِصُومَةٍ

القائل: الحارثُ النَّهْشَلِيُّ يَرِثِي أَخَاهُ يَزِيدَ.

لِيُبِكَ يَزِيدُ: بُنِيَ مَجْهُولاً، كَأَنَّهُ قِيلَ: مَنْ يَبْكِيهِ؟ فَقَالَ: ضَارِعٌ، أَي: لِيَبْكِيهِ ضَارِعٌ<sup>(٣)</sup>.

(١) «البيان في إعراب القرآن» (٢: ٧٨٠).

(٢) المصدر السابق (٢: ٧٨٠).

(٣) ذكره ابن جني في «المحتسب» (١: ٢٢٩)، وهو من شواهد سيبويه (١: ٣٦٦)، ولتمام الفائدة انظر:

«خزانة الأدب» (١: ٢٩٧).

﴿وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ نفى عنهم ما أثبتته لنفسه في قوله: ﴿وَأِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾، كأنه قال: نحن الخازنون للماء، على معنى: نحن القادرون على خلقه في السماء وإنزاله منها، وما أنتم عليه بقادرين؛ دلالة على عظيم قدرته، وإظهار العجزهم.

[﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ \* وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَجِرِينَ \* وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ بِحُشْرِهِمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ ٢٣-٢٥]

﴿وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ أي: الباقون بعد هلاك الخلق كلهم. وقيل للباقي: وارث؛ استعارة من وارث الميت؛ لأنه يبقى بعد فئاته، ومنه قوله ﷺ في دُعائه: «واجعله الوارث منا».

قوله: (نفى عنهم ما أثبتته لنفسه) في قوله: ﴿وَأِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾، هذا يؤذن أن قوله: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِعَ﴾ عطف على قوله: ﴿وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدْرِ مَعْلُومٍ﴾ عطف جبريل وميكائيل على ملائكتيه<sup>(١)</sup>.

قوله: (واجعله الوارث منا) عن الترمذي، عن ابن عمر، أنه قال: ما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلسه حتى يدعو بهذه الدعوات لأصحابه: «اللَّهُمَّ أَمْتِعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، واجعله الوارث منا...» الحديث مختصر<sup>(٢)</sup>، وله ابتداء وانتهاء.

النهاية: أراد بقاءها وقوتها عند الكبر وانحلال القوى النفسانية، فيكون السمع والبصر وارثي سائر القوى والباقيين بعدها، والهاء في «واجعله» للإمتاع<sup>(٣)</sup>، ولذلك وحده.

(١) يعني قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨].

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٠٢)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٣١٠)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٤٤٨)، وصححه الحاكم في «المستدرک» (١: ٥٢٨)، ووافقه الذهبي. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٣) في الأصول الخطية: «للإمتاع»، والتصويب من «النهاية»، يُريد به «الإمتاع» مصدر الفعل «أمتع» في قوله: «وأمتعنا بأسماعنا...».

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا﴾ مَنِ اسْتَقَدَّمَ وِلَادَةَ وَمَوْتَا، وَمَنْ تَأَخَّرَ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ. أَوْ: مَنْ خَرَجَ مِنْ أَصْلَابِ الرِّجَالِ، وَمَنْ لَمْ يَخْرُجْ بَعْدَ. أَوْ: مَنْ تَقَدَّمَ فِي الْإِسْلَامِ وَسَبَقَ إِلَى الطَّاعَةِ، وَمَنْ تَأَخَّرَ. وَقِيلَ: الْمُسْتَقْدِمِينَ فِي صُفُوفِ الْجَمَاعَةِ وَالْمُسْتَأْخِرِينَ. وَرُوي: أَنَّ امْرَأَةً حَسَنَاءَ كَانَتْ فِي الْمُصَلِّيَاتِ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكَانَ بَعْضُ الْقَوْمِ يَسْتَقْدِمُ؛ لِئَلَّا يَنْظُرَ إِلَيْهَا، وَبَعْضُ يَسْتَأْخِرُ؛ لِيُبَصِّرَهَا؛ فَنَزَلَتْ. ﴿هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾ أَي: هُوَ وَحْدَهُ الْقَادِرُ عَلَى حَشْرِهِمْ، وَالْعَالِمُ بِحَضْرِهِمْ مَعَ إِفْرَاطِ كَثْرَتِهِمْ وَتَبَاعُدِ أَطْرَافِ عَدَدِهِمْ، ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾: بَاهِرُ الْحِكْمَةِ وَاسِعُ الْعِلْمِ، يَفْعَلُ كُلَّ مَا يَفْعَلُ عَلَى مَقْتَضَى الْحِكْمَةِ وَالصَّوَابِ، وَقَدْ أَحَاطَ عِلْمًا بِكُلِّ شَيْءٍ.

قوله: (مَنْ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ): بَيَانٌ عَلَى النَّشْرِ، أَي: لَقَدْ عَلِمْنَا مِنْ اسْتَقْدَمَ مِنْكُمْ وِلَادَةَ وَمَوْتَا وَمَنْ تَأَخَّرَ مِنْكُمْ وِلَادَةَ وَمَوْتَا.

قوله: (وَرُوي أَنَّ امْرَأَةً حَسَنَاءَ) الْحَدِيثَ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَالنَّسَائِيُّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(١)</sup>.

قوله: (أَي: هُوَ وَحْدَهُ الْقَادِرُ<sup>(٢)</sup>) عَلَى حَشْرِهِمْ، وَالْعَالِمُ بِحَضْرِهِمْ، مَعَ إِفْرَاطِ كَثْرَتِهِمْ، فِيهِ إِشْعَارٌ بِأَنَّهُ اخْتَارَ الْوَجْهَ الْأَوَّلَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ﴾ لِأَنَّ الْكَثْرَةَ الَّتِي بَقِيَتْ الْحَضْرَ وَلَا يُحْصِيهَا إِلَّا اللَّهُ، إِنَّمَا تَحْسُنُ إِذَا قُلْنَا: الْمَرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ﴾ الْآيَةَ، مَنْ اسْتَقْدَمَ وِلَادَةَ وَمَوْتَا وَمَنْ تَأَخَّرَ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَيُؤَيِّدُهُ السَّبَاقُ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَأَنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُؤَيِّتُ﴾، وَالسِّيَاقُ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا

(١) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (٢٧٨٣)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٣١٢٢)، وَابْنُ مَاجَةَ (١٠٤٦)، وَالنَّسَائِيُّ (٢: ١١٨)، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حَبَّانَ (٤٠١) وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (٢: ٣٥٣)، وَتَصْحِيحُهُ بَعِيدٌ، فَإِنَّ مَثْنَهُ مُنْكَرٌ، وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ لضعفِ عَمْرُو بْنِ مَالِكِ النَّكْرِيِّ، لَمْ يُوَثِّقْهُ غَيْرُ ابْنِ حَبَّانَ، وَانظُرْ تَمَامَ تَنْقِيهِهِ فِي التَّعْلِيقِ عَلَى «الْمُسْنَدِ».

(٢) سَقَطَ لَفْظُ «الْقَادِرُ» مِنَ النُّسخَةِ (ف).

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ \* وَالْبِجَانِ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ

السَّمُورِ ﴿٢٦-٢٧﴾

الصلصال: الطين اليابس الذي يصلصل، وهو غير مطبوخ، وإذا طُبِخَ فهو فخار. قالوا: إذا توهمت في صوته مدأ فهو صليل، وإن توهمت فيه ترجيعاً فهو صلصلة. وقيل: هو تضعيف (صل)؛ إذا أتنن. والحمأ: الطين الأسود المتغير. والمسنون: المصور، من سننة الوجه، وقيل: المصبوب المفرغ، أي: أفرغ صورة إنسان كما تفرغ الصور من الجواهر المدبوبة في أمثلتها. وقيل: المتين، من سننت الحجر على الحجر؛ إذا حككته، به، فالذي يسيل بينهما سنين، ولا يكون إلا متيناً، ﴿مِنْ حَمَلٍ﴾ صفة لـ ﴿صَلْصَلٍ﴾، أي: خلقه من صلصال كائن من حمأ، وحق ﴿مَسْنُونٍ﴾ - بمعنى: مصور - أن يكون صفة

الإنسان من صلصلٍ ﴿وَدَلَّ عَلَى الْحَضَرِ تَوْسِيطَ ضَمِيرِ الْفَضْلِ بَيْنَ اسْمِ «إِن» وَخَيْرِهَا.

قوله: (إذا توهمت في صوته مدأ فهو صليل - لما في «صليل»<sup>(١)</sup> من حرف مد - وإن توهمت فيه ترجيعاً - أي: ترديداً - فهو صلصلة) لما في الصلصلة من ترديد وتكرير، رعاية لوجه المناسبة بين الاسم والمسمى.

قوله: (المصور من سننة الوجه)، الجوهري: سننة الوجه: صورته، قال ذو الرمة:

تُرِينَاكَ سُنَّةَ وَجْهِ غَيْرِ مُقْرِفَةٍ      مَلْسَاءَ لَيْسَ بِهَا خَالٌ وَلَا نَدْبٌ<sup>(٢)</sup>

والمسنون: المصور.

قوله: (وحق ﴿مَسْنُونٍ﴾ بمعنى: مصور) أي: يكون صفة لـ ﴿صَلْصَلٍ﴾<sup>(٣)</sup>، لأن الحمأ هو الطين، والطين هو الذي يقبل الصورة فيفرغ الحمأ ليصور منها التمثال ثم يبيس، فيصير

(١) قوله: «لما في صليل» سقط من (ط).

(٢) «ديوان ذي الرمة»، ص ٤.

(٣) في النسخة (ف): «لتمثال» وليس بصواب.

لـ ﴿صَلَّصِلِ﴾، كأنه أفرغ الحمأ فصوّر منها تمثال إنسان أجوف، فيس حتى إذا نُقِرَ صَلَّصِل، ثم غيّرَ بعد ذلك إلى جوهرٍ آخر، ﴿وَالْجَانَّ﴾ للجنِّ كآدم للناس. وقيل: هو إبليس. وقرأ الحسنُ وعمرو بن عبّيد: (والجانَّ)، بالهمزة، ﴿مِن نَّارِ السَّمُورِ﴾: من نارِ الحرِّ الشديدِ النافذِ في المسامِّ. قيل: هذه السمومُ جزءٌ من سبعين جزءاً من سمومِ النارِ التي خلَقَ اللهُ منها الجانَّ.

[﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن صَلَّصِلٍ مِّن حَمَلٍ مَّسْنُونٍ \* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ \* فَسَجَدَ الْمَلٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ \* إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ \* قَالَ يَا نٰٓئِسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ \* قَالَ لَمْ أَكُن لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتُهُ مِن صَلَّصِلٍ مِّن حَمَلٍ مَّسْنُونٍ \* قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَٔئِى \* وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ \* قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ \* قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ \*

صَلَّصِلاً، كأنه قيل: من صلصال مصوّر كائن من حمأ، ويُعلّمُ منه أن المسنون إذا كان بمعنى المُتصوّر<sup>(١)</sup>، حقّه أن يكون صفة لحمأ، لأن الحمأ هو المفرغ المصبوب لا الصلصال.

قال أبو البقاء: ﴿مِّن حَمَلٍ﴾ في موضع جرّ صفة لـ ﴿صَلَّصِلِ﴾، أي: صلصال كائن من حمأ، ويجوز أن يكون بدلاً من ﴿صَلَّصِلِ﴾ بإعادة الجار<sup>(٢)</sup>.

قوله: ﴿مِن نَّارِ السَّمُورِ﴾: من نارِ الحرِّ الشديدِ النافذِ في المسامِّ، قال القاضي في قوله تعالى: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُورِ﴾ لا يمتنع خلق الحياة في الأجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها في الجواهر المفردة، فضلاً عن الأجساد المولّفة التي الغالب فيها الجزء الناريُّ، فإنّها أقبل لها من التي الغالب فيها الجزء الأرضي<sup>(٣)</sup>، وقوله: «مِن نارٍ»: باعتبار الغالب، كقوله: ﴿خَلَقَكُمْ مِّن تُرَابٍ﴾ [فاطر: ١١].

(١) في النسخة (ف): «المنصب» وهو تصحيف.

(٢) «التبيان في إعراب القرآن» (٢: ٧٨٠).

(٣) «أنوار التنزيل» (٣: ٣٦٨).



إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ \* قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ \* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ \* قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ \* إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْفَاطِرِينَ \* وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ \* لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٢٨-٤٤﴾

﴿وَأَذْكُرَ وَقْتَ قَوْلِهِ: ﴿سَوَّيْتُهُ﴾﴾: عدلتُ خلقتُه وأكملتها وهيأتها لنفخ الروح فيها. ومعنى ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾: وأحييته، وليس ثمة نفخ ولا منفوخ، وإنما هو تمثيل لتحصيل ما يحيى به فيه. واستثنى إبليس من الملائكة؛ لأنه كان بينهم مأموراً معهم بالسجود، فغلب اسم الملائكة، ثم استثنى بعد التغليب، كقولك: رأيتهم إلا هنداً. و﴿أَيُّ﴾ استئناف على تقدير قول قائل يقول: هلاً سجداً فقيل: أبى ذلك واستكبر عنه. ....

قوله: (ما يحيى به فيه) المستتر في قوله: «يحيى»، والمجرور في «فيه» للبشر، وفي «به» لـ«ما»، أي: معنى نفخ الروح: تحصيل شيء في قالب البشر يحيا بذلك الشيء البشرى. قال القاضي ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ معناه: جزي آثاره في تجاويف أعضائه فحى، وأصل النفخ: إجراء الرياح في تجويف جسم آخر، ولما كان الروح يتعلق أولاً بالبخار اللطيف المنبعث من القلب وتفيض عليه القوة الحيوانية فيسري حاملاً لها في تجاويف الشرايين إلى أعماق البدن، جعل تعلقه بالبدن نفخاً، وإضافة الروح إلى نفسه للتشريف، كقوله: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾ [الشمس: ١٣]، و«بيت الله».

وقال الواحدي: النفخ: إجراء الرياح في الشيء، والروح: جسم رقيق يحيا به البدن، ولما أجرى الله الروح في بدن آدم على صفة إجراء الرياح، كأنه قد نفخ الروح فيه<sup>(١)</sup>.

وقلت: رجع أقوالهم إلى أن قوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ على منوال قوله تعالى: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النمل: ٤٧] في أن لا قول ثم، بل هو تصور إيجاد الشيء وتحصيله من غير امتناع.

(١) «الوسيط» للواحدى (٣: ٤٥).

وقيل: معناه: ولكن إبليسَ أبى. حرفُ الجرِّ مع «أن» محذوفٌ، وتقديرُه: «ما لك في أن لا تكونَ مع السَّاجدين»، بمعنى: أيُّ عَرَضٍ لك في إباتك السجود؟ وأيُّ داعٍ لك إليه؟ اللامُ في ﴿لَأَسْجُدَ﴾ لتأكيد النفي، ومعناه: لا يصحُّ مني ويُنافي حالي، ويستحيلُ أن أسجُدَ لِبَشَرٍ. ﴿رَجِيمٌ﴾: شيطانٌ من الذين يُرجمون بالشَّهب، أو: مَطْرُودٌ من رحمة الله؛ لأنَّ مَنْ يُطْرَدُ يُرجمُ بالحجارة. ومعناه: ملعونٌ؛ لأنَّ اللعنَ هو الطُّردُ من الرحمة والإبعادِ منها. والضميرُ في ﴿مِنهَا﴾ راجعٌ إلى الجنَّة، أو إلى السماء، أو إلى جملة الملائكة. وَضَرَبَ يَوْمَ الدِّينِ حَدًّا لِلْعَنَةِ؛ إمَّا لأنه أبعدُ غايةٍ يضرُّها الناسُ في كلامهم، كقوله: ﴿مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [هود: ١٠٧] في التأييد. وإمَّا أن يُراد: إنك مذمومٌ مدعوٌّ عليك باللعنِ في السماوات والأرضِ إلى يومِ الدِّينِ، من غيرِ أن تُعذَّبَ، فإذا جاء ذلك اليومُ عُذِّبَتْ بما يُنسى اللعنُ معه. و﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الحجر: ٣٥]، و﴿يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الحجر: ٣٦]، و﴿يَوْمِ أَلْقَيْتُ الْمَعْلُومَ﴾ [الحجر: ٣٨] في معنى واحد، ولكن خولفَ بين العبارات؛ سُلوكاً بالكلام طريقةً البلاغة. وقيل: إنما سألَ الإنظارَ إلى اليومِ الذي فيه يُبعثون؛ لثلاثِ يموت؛ لأنه لا يموتُ يومَ البعثِ أحدٌ، فلم يُجبْ إلى ذلك، وأنظَرَ إلى آخرِ أيامِ التكليف.

وقوله: (وقيل: معناه: ولكن إبليسَ أبى)، عطفٌ على قوله: «واستثنى إبليسَ من الملائكة»، وأبى حينئذٍ: خبرٌ «لكن»، وعلى الأولِ جملةٌ مستأنفةٌ كالتعليلِ عن امتناعه عن السُّجود.

قوله: (لأنَّ اللعنَ هو: الطُّردُ) يُريدُ أن «الرَّجِيمَ» كنايةٌ تلويحيَّةٌ عن كونه ملعوناً؛ لأنَّ الرَّجِيمَ هو: المطرودُ؛ لأنَّ مَنْ طُرِدَ يُرجمُ، والمطرودُ هو الملعونُ؛ لأنَّ مَنْ لُعِنَ طُرِدَ. قوله: (في معنى واحد) أي: عبَّرتُ بها عن معنى انتهاءِ المدة.

قوله: (وقيل: إنما سألَ الإنظارَ)، هذا وجهٌ آخرٌ، وفيه بيانٌ اختلافِ العبارات، فإنَّ قوله: «لثلاثِ يموت» يدلُّ على أنَّ ضَرَبَ هذه المدةَ إلى عندِ الحُشْرِ، وقوله: «إلى آخرِ أيامِ التكليف» يدلُّ على أنَّ المدةَ قَبْلَ الحُشْرِ، وقوله أولاً: «إلى يومِ الدِّينِ من غيرِ أن يُعذَّبَ» يدلُّ على أنَّ المدةَ عندَ الحسابِ والجزاء، وهو بعدَ الحُشْرِ.

﴿بِمَا آغَوَيْتَنِي﴾ الباءُ للقسَم. و«ما» مُصَدَّرَةٌ، وجوابُ القسم: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ﴾، المعنى: أَقسِمُ بِإِغْوَاثِكَ أَيَّيَّ لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ. ومعنى إِغْوَاثِهِ أَيَّاهُ: تَسْيِيْبُهُ لِعَيْبِهِ، بِأَنَّهُ أَمَرَهُ بِالسُّجُودِ لِأَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَفْضَى ذَلِكَ إِلَى عَيْبِهِ. وما الأَمْرُ بِالسُّجُودِ إِلَّا حَسَنٌ وَتَعْرِضٌ لِلثَّوَابِ بِالتَّوَاضُعِ وَالخُضُوعِ لِأَمْرِ اللَّهِ، وَلَكِنَّ إبْلِيسَ اخْتَارَ الإِبَاءَ وَالاستِكْبَارَ فَهَلَكَ، وَاللَّهُ تَعَالَى بَرِيءٌ مِنْ عَيْبِهِ وَمِنْ إِرَادَتِهِ وَالرِّضَا بِهِ، وَنَحْوُ قَوْلِهِ: ﴿بِمَا آغَوَيْتَنِي لِأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾ قَوْلُهُ: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢] فِي أَنَّهُ إِقْسَامٌ، إِلَّا أَنَّ أَحَدَهُمَا إِقْسَامٌ بِصِفَتِهِ، وَالثَّانِي بِفِعْلِهِ، وَقَدْ فَرَّقَ الفُقَهَاءُ بَيْنَهُمَا.

وَيَجُوزُ أَنْ لَا يَكُونَ قَسَمًا، وَيُقَدَّرُ قَسَمٌ مَحْذُوفٌ، وَيَكُونُ المَعْنَى: بِسَبَبِ تَسْيِيْبِكَ

قَوْلُهُ: (بَرِيءٌ مِنْ عَيْبِهِ وَمِنْ إِرَادَتِهِ وَالرِّضَا بِهِ). قَوْلُهُ: «مِنْ إِرَادَتِهِ» مَذْهَبُهُ (١)، وَ«الرِّضَا بِهِ» مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ.

قَوْلُهُ: (وَقَدْ فَرَّقَ الفُقَهَاءُ بَيْنَهُمَا) أَي: بَيْنَ الإِقْسَامِ بِصِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَبَيْنَ الإِقْسَامِ بِفِعْلِهِ، فَقَوْلُهُ: ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾ إِقْسَامٌ بِالصِّفَةِ، وَ﴿بِمَا آغَوَيْتَنِي﴾ إِقْسَامٌ بِالفِعْلِ.

وَفِي «شَرْحِ الوَاقِي»: قَالَ العِرَاقِيُّونَ: الحَلْفُ بِصِفَاتِ الذَّاتِ، كَالقُدْرَةِ وَالعِظَمَةِ وَالعِزَّةِ وَالجَلَالِ وَالكِبْرِيَاءِ، يَمِينٌ، وَبِصِفَاتِ الفِعْلِ، كَالرَّحْمَةِ وَالسُّخْطِ وَالعُضْبِ وَالرِّضَا، لَيْسَ بِيَمِينٍ. وَصِفَةُ الذَّاتِ: مَا لَا يَجُوزُ أَنْ يوصَفَ بِضِدِّهِ، وَصِفَةُ الفِعْلِ مَا يَجُوزُ أَنْ يوصَفَ بِضِدِّهِ، فَإِنَّهُ تَعَالَى يَرْضَى بِالإِيمَانِ، وَلَا يَرْضَى بِالكُفْرِ، ثُمَّ قَالَ الشَّارِحُ: وَالمَذْهَبُ عِنْدَنَا أَنَّ صِفَاتِ اللَّهِ لَا هُوَ وَلَا غَيْرُهُ، وَكُلُّهَا قَدِيمَةٌ، فَلَا يَسْتَقِيمُ الفَرْقُ، وَالأَصَحُّ مَا قُلْنَا، لِأَنَّ الأَيَّانَ مَبْنِيَّةٌ عَلَى العُرْفِ، لِأَنَّ الِيمِينَ إِنَّمَا يَنْعَقِدُ لِلحَمَلِ أَوْ المَنْعِ، وَهَذَا إِنَّمَا يَكُونُ بِمَا يَعْتَقَدُ الحَالِفُ تَعْظِيمَهُ، وَكُلُّ مُؤْمِنٍ يَعْتَقِدُ تَعْظِيمَ اللَّهِ وَهُوَ لِجَمِيعِ صِفَاتِهِ مُعْظَمٌ، فَصَارَتْ حَرْمَةٌ ذَاتَهُ وَصِفَاتِهِ حَامِلًا (٢).

(١) يعني: مذهب المعتزلة في أن الله لا يريد الشر ولا يخلقه.

(٢) للحالف على ذلك، والحق أن اليمين تنعقد إذا حلف الحالف بأحد أسماء الله أو صفاته مطلقاً، ولا فرق في ذلك بين أي اسم، أو أي صفة؛ لأن الكل معظم عند الحالف، إذا كان قاصداً الحلف باسمه أو صفته جلّ وعلا.

لإغوائي أقسم لأفعلن بهم نحو ما فعلت بي من التسيب لإغوائهم؛ بأن أزيّن لهم المعاصي وأوسوس إليهم ما يكون سبب هلاكهم، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: في الدنيا التي هي دارُ الغرور، كقوله تعالى: ﴿أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، أو أراد: أي أقدر على الاحتيال لآدم والتزيين له الأكل من الشجرة وهو في السماء، فأنا

وقال حجة الإسلام: اليمينُ عبارةٌ عن: تحقيق ما يحتملُ المخالفة، بذكر اسم الله تعالى أو صفةٍ من صفاته. ثم اليمينُ تنقسمُ إلى: صريح وكناية، بالإضافة إلى أسماء الله تعالى، وهو على أربع مراتب.

الأولى: أن يذكر اسماً لا يُطلقُ إلا على الله تعالى في معرض التعظيم، كقوله: بالله والرحمن والخالق والرازق... فهذا صريحٌ.

والثانية: أن يذكر اسماً مشتركاً يُطلقُ على الله وعلى غيره، كالعليم والحليم والرحيم والجبّار والحق... فهو كناية، إنَّما يصيرُ يميناً بالقصد.

والثالثة: أن يذكر ما يقبلُ التورية<sup>(١)</sup>، وهو على وجهين، أحدهما: أن يكون من قبيل حق الله وحرمة الله وقدرته وعلمه، إذ قد يرادُ بها حقوقه من العبادات وحرّماته ومقدوره ومعلومه، وثانيهما: أن يكون من قبيل جلال الله وعظّمته وكبريائه، ففيه طريقتان، أحدهما: كالحلف بالله، وثانيهما: أنه كالحلف بالقدرة، إذ قد يقال: رأيتُ جلالَ الله، أي: آثارَ صنعته.

والرابعة: ما لا يصيرُ يميناً وإن نوى، وهو ما لا تعظيمَ فيه، نحو: الشيءِ والمُربيِ والموجودِ، وإن أُريدَ به الله.

هذا خلاصةُ كلامه في «الوسيط»<sup>(٢)</sup>.

وفيه أن نحو: «ياغواثك»، ليس بيمين.

(١) في (ط): «التوبة»، وهو خطأ.

(٢) «الوسيط» للغزالي (٧: ٢٠٣).

على التزيين لأولاده في الأرض أقدر. أو أراد: لأجعلن مكان التزيين عندهم الأرض، ولأوقعن تزييني فيها، أي: لأزيننها في أعينهم ولأحدثنهم بأن الزينة في الدنيا وحدها، حتى يستحبوها على الآخرة ويطمئنوا إليها دونها. ونحوه:

### يَجْرَحُ فِي عَرَايِبِهَا نَضْلِي

استثنى المخلصين؛ لأنه عَلِمَ أَنَّ كَيْدَهُ لَا يَعْمَلُ فِيهِمْ وَلَا يَقْبَلُونَ مِنْهُ، أَي: ﴿هَذَا﴾ طريقٌ حَقٌّ ﴿عَلَى﴾ أَنْ أَرَاعِيهِ؛ .....

قوله: (أو أراد: لأجعلن مكان التزيين) يريد أن تعديته ﴿لَأَزَيِّنَنَّ﴾ بـ«في» إما لإرادة الجهة السافلة بالأرض، وهي الدنيا، أو الأرض نفسها، فمقاس تزيين أولاد آدم، وهم في الأرض، على تزيين أبيهم، وهو في السماء، وقطع بحصوله، فحلف بقوله: ﴿لَأَزَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾ و﴿وَأَغْوَيْتَهُمْ﴾ ومن ثم قال المصنف: «فأنا على تزيين أولاده في الأرض أقدر»، وإما لإرادة حقيقتها والتجوز في استعمال (في) بجعل الأرض مكاناً للتزيين، وظرفاً له على التوسع، فلا يخرج منها شيء منه، كقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ [القصص: ١٧٩]، وإليه الإشارة بقوله: «ولأحدثنهم بأن الزينة في الدنيا وحدها» لا في الآخرة.

قوله: (يَجْرَحُ فِي عَرَايِبِهَا نَضْلِي) وصدوره:

وإن تعذرت بالمحل من ذي ضرور عيها إلى الضيف ..... (١)

الضمير في تعذرت: للناقصة، والباء في «بالمحل»: للتشبيه، يقال: اعتذرت به، والمراد بـ«ذي ضرور عيها» اللبن، «يَجْرَحُ»: متعد بنفسه، وقد عدي بـ«في» لإجرائه مجرى اللازم، نحو: فلان يعطي ويمنع، ثم عومل به معاملة اللازم في تعديته بالجار للمبالغة، أي: ما أوقع الجرح في عرايبيها وأوجدته فيها، ونحوه قوله تعالى: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ [الأحقاف: ١٥] أي: اجعل الصلاح مطروفاً لذريتي.

قوله: (أي: ﴿هَذَا﴾ طريقٌ حَقٌّ ﴿عَلَى﴾ أَنْ أَرَاعِيهِ) بناءً على وجوب رعاية الأصلح (٢)،

(١) لذي الرمة في «ديوانه»، ص ٥٧٥.

(٢) انظر: الاحتجاج للمذهب المعتزلة في «شرح الأصول الخمسة» للقاضي عبد الجبار، ص ٣١٦.

قَالَ الْإِمَامُ: إِنَّ الْإِخْلَاصَ طَرِيقٌ عَلَيَّ وَإِلَيَّ، أَي: أَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى كِرَامَتِي وَثَوَابِي، وَمَعْنَاهُ: هَذَا صِرَاطٌ<sup>(١)</sup> مَنْ مَرَّ عَلَيْهِ، فَكَأَنَّهُ مَرَّ عَلَى رِضْوَانِي وَكِرَامَتِي، كَمَا يُقَالُ: طَرِيقُكَ عَلَيَّ. وَقِيلَ: هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ تَقْرِيرُهُ، وَهُوَ مُسْتَقِيمٌ حَقٌّ وَصِدْقٌ<sup>(٢)</sup>. وَرَوَى ابْنُ جُنَيْنٍ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ: هُوَ كَقَوْلِكَ: الدَّلَالَةُ الْيَوْمَ عَلَيَّ<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ صَاحِبُ «الْفَرَائِدِ»: أَي: دِينُ الْإِسْلَامِ حَقٌّ عَلَيَّ بَيَّانُهُ، فَمَنْ اخْتَارَهُ مِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ، وَمَنْ لَمْ يَخْتَرْ فَلَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ.

وَقَالَ الْقَاضِي: وَالْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: ﴿هَذَا﴾ إِلَى مَا تَضَمَّنَتْهُ الْإِسْتِثْنَاءُ، وَهُوَ تَخَلُّصُ الْمُخْلِصِينَ مِنْ إِغْوَانِهِ، أَوْ الْإِخْلَاصُ عَلَى مَعْنَى أَنَّهُ طَرِيقٌ عَلَيَّ يُؤَدِّي إِلَى الْوَصُولِ إِلَيَّ مِنْ غَيْرِ اعْوِجَاجٍ وَضَلَالٍ<sup>(٤)</sup>.

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ أَي: عَلَى إِرَادَتِي وَأَمْرِي<sup>(٥)</sup> أَي: شَأْنِي. وَقُلْتُ: هَذَا الَّذِي يَقْتَضِيهِ النَّظْمُ وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ الْإِشَارَةَ بِقَوْلِهِ: «هَذَا» إِلَى قَوْلِ إِبْلِيسَ: ﴿وَلَا تُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ \* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ \* أَي: هَذَا هُوَ الَّذِي حَكَمْتُ بِهِ وَقَدَّرْتُ عَلَى عِبَادِي، وَهُوَ حَقٌّ وَصِدْقٌ. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣]، وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، عَلَى مَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّهُ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَفِي يَدَيْهِ كِتَابَانِ... الْحَدِيثُ<sup>(٦)</sup>، وَهَذَا قَرَّرَ قَوْلَهُ: بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ آتَيْكَ مِنْ

(١) فِي النِّسْخَةِ (ف): «هَذَا مِنْ طَرِيقٍ». وَهُوَ خَطَأٌ. وَهُوَ عَلَى الْجَادَّةِ فِي «مِفْتَاحِ الْغَيْبِ».

(٢) «مِفْتَاحِ الْغَيْبِ» (١٩: ١٨٩).

(٣) «الْمَحْتَسِبِ» (٢: ٣).

(٤) «أَنْوَارِ التَّنْزِيلِ» (٣: ٣٧١).

(٥) «مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابِهِ» (٣: ١٧٨).

(٦) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (٦٥٦٣)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢١٤١)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «السَّنَنِ الْكُبْرَى»

(١١٤٧٣)، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي «حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (٥: ١٦٨)، وَفِي إِسْنَادِهِ مَقَالٌ لِأَجْلِ أَبِي قَبِيلِ الْمَعَاوَرِيِّ،

مُخْتَلَفٌ فِي تَوْثِيقِهِ.

وهو أن لا يكون لك سلطان على عبادي، إلا من اختار أتباعك منهم؛ لغوايته. وقرئ: (عليّ)، وهو من علو الشرف والفضل. ﴿لَمَوْعِدُهُمْ﴾ الضمير للغاوين. وقيل: أبواب النار: أطباقها وأذراكها، فأعلاها للموحدين، والثاني لليهود، والثالث للنصارى، والرابع للصابئين، والخامس للمجوس، والسادس للمشركين، والسابع للمنافقين. وعن ابن عباس رضي الله عنه: إن جهنم لمن ادعى الربوبية، ولظى لعبد النار، والحطمة لعبد الأصنام، وسقر لليهود، والسعير للنصارى، والجحيم للصابئين، والهاوية للموحدين. وقرئ: ﴿جُزْءٌ﴾، بالتخفيف والثقل. وقرأ الزهري: (جُزٌّ) بالتشديد؛

ألفاوين ﴿على طريقة القول بالموجب، وجعل ما جعله مستثنى منه: مستثنى، ليؤذن بأن المقصود الأولى نجاة المخلصين، كما أن مقصود اللعين أولاً الإغواء، وفيه أن اللعين استقل عباد الله المخلصين عدداً، حيث جعلهم مستثنى، وأن الله سبحانه وتعالى استكثرهم، اعتباراً وعدداً، حيث قلب القضية، ثم فرق ما لكل واحد من الفريقين بقوله: ﴿وإن جهنم لموعدهم أجمعين﴾ وقوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾، ثم أمر حبيبه بالإنباء عن صفتي رحمته وغضبه بقوله: ﴿نِعْمَ عِبَادِي أَفَى أَنَا الْعَفْوَورُ الرَّحِيمُ \* وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾، وفيه أن جانب الرحمة سابق، حيث وصف الثواب بالعظم، كما وصف العذاب بالألم، بل وصف ذاته الأقدس على سبيل التوكيد وتكرير الضمير وتعريف الخبر وإرداف «الغفور» بـ«الرحيم»، وكذا في قوله: ﴿وإن جهنم لموعدهم﴾ وإن لم يقل: وإثم لفي جهنم، كما قال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ﴾ إشارة إلى المعنى، كل هذا يدل على أن المشار إليه ما قررناه، وأن سياق الآيات لبيان جريان المشيئة واستبداد الحكم، لا رعاية المصالح ووجوبها، لأن الكلام في بُدُو<sup>(١)</sup> إنشاء الإنسان.

قوله: (وقرئ) ﴿جُزْءٌ﴾ بالتخفيف والثقل<sup>(٢)</sup>، قال القاضي: قرأ أبو بكر: ﴿جُزٌّ﴾:

بالتثقل<sup>(٣)</sup>.

(١) في النسخة (ف): «بُدُو».

(٢) انظر: «المحتسب» (٢: ٤).

(٣) «أنوار التنزيل» (٣: ٣٧٢).

كأنه حَذَفَ الهمزة وألقى حركتها على الزاي، كقولك: خَبُّ في خَبء، ثم وَقَفَ عليه بالتشديد، كقولهم: الرَّجُلُ، ثم أجرى الوصل مجرى الوقف.

[ ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ \* ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِينَ \* وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلِيٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ \* لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ ]  
[٤٥-٤٨]

المتقي على الإطلاق: مَنْ يَتَّقِي مَا يَجِبُ اتِّقَاؤُهُ مِمَّا تُهَيَّبُ عَنْهُ. وعن ابن عباس رضي الله

قوله: (المتقي على الإطلاق: مَنْ يَتَّقِي مَا يَجِبُ اتِّقَاؤُهُ مِمَّا تُهَيَّبُ عَنْهُ)، قال الإمام: قال جمهور المعتزلة: المتقون هم الذين اتَّقَوْا<sup>(١)</sup> جميع المعاصي، لأنه اسمٌ مدح، فلا يتناول إلا مَنْ يكون كذلك، وقال جمهور الصحابة والتابعين، وهو المنقول عن ابن عباس: المتقون هم الذين اتَّقَوْا الشُّرْكَ بالله سبحانه وتعالى، والكُفْرَ به، وهذا هو الحقُّ الصحيح؛ لأنَّ المتقي هو الذي أتى بالتقوى مرة واحدة، كما أن الضارب هو الذي أتى بالضرب مرة، وكما أنه ليس من شرط صدق الوصف بكونه ضارباً كونه آتياً بجميع أنواع الضرب، فكذا هاهنا، ومن ثمَّ ذهب المحققون إلى أن ظاهر الأمر لا يُفيد التكرار، فظاهر الآية يقتضي حصول الجنات لكلِّ مَنْ اتقى عن شيء واحد<sup>(٢)</sup>، إلا أن الأمة مجتمعة على أن التقوى عن الكفر شرط في حصول هذا الحكم، ولأنَّ الآية وردت عقيب قوله: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ﴾، فوجب أن يُعتبر الإيمان فيه، ولا يزداد قيداً آخر؛ لأنَّ التخصيص خلاف الظاهر، فكلما كان التخصيص أقلَّ كان أوفق<sup>(٣)</sup>.

وقلت: قد سبق أن الناس فرقتان: المخلصون، والغاؤون، وأن جهنم مقسومة سبعة أقسام كما جاء عن المفسرين أن الدرّكة الأولى للموحدين يُعدَّبون بقدر ذنوبهم ثم يُخرجون،

(١) في النسخة (ح): «اتَّقُوا الشُّرْكَ جَمِيعَ الْمَعَاصِي».

(٢) سقط لفظ «واحد» من النسخة (ف) و(ط).

(٣) «مفاتيح الغيب» (١٩: ١٩١-١٩٢).



عنهما: اتَّقُوا الْكُفْرَ وَالْفَوَاحِشَ، ولهم ذُنُوبٌ تَكْفُرُهَا الصَّلَوَاتُ وَغَيْرُهَا. ﴿أَدْخُلُوهَا﴾ على إرادة القول. وقرأ الحسن: (أَدْخِلُوهَا)، ﴿بِسَلَامٍ﴾: سَالِمِينَ، أو مُسَلِّمًا عَلَيْكُمْ: تُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ الْمَلَائِكَةُ. الْغُلُّ: الْحِقْدُ الْكَامِنُ فِي الْقَلْبِ، من انْغَلَّ فِي جَوْفِهِ وَتَغَلَّغَلَ، أَي: إِنْ كَانَ لِأَحَدِهِمْ فِي الدُّنْيَا غِلٌّ عَلَى آخَرَ، نَزَعَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ قُلُوبِهِمْ وَطَيَّبَ نُفُوسَهُمْ. وَعَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا وَعِثْمَانُ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ مِنْهُمْ. وَعَنْ الْحَارِثِ الْأَعُورِ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَهُ إِذْ جَاءَ ابْنُ طَلْحَةَ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: مَرْحَبًا بِكَ يَا ابْنَ أَخِي، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا وَأَبُوكَ مِمَّنْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِمَّنْ غِلٌّ﴾ فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: كَلَّا، اللَّهُ أَعْدَلُ مِنْ أَنْ يَجْمَعَكَ وَطَلْحَةَ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ، فَقَالَ: فَلِمَنْ هَذِهِ الْآيَةُ لَا أُمَّ لَكَ؟! وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: طَهَّرَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ مِنْ أَنْ يَتَحَاسَدُوا عَلَى الدَّرَجَاتِ فِي الْجَنَّةِ، وَنَزَعَ مِنْهَا كُلَّ غِلٍّ، وَأَلْقَى فِيهَا التَّوَادَّ وَالتَّحَابَّ.

فإذا لا بُدَّ مِنْ تَفْسِيرِ الْمُتَّقِينَ فِي هَذَا الْمَقَامِ بِمَنْ (١) يَتَمَيَّزُونَ عَنِ الْغَاوِينَ؛ لِثَلَاثِ خِثَلٍ النَّظْمُ، وَهُوَ تَفْسِيرُ الْمُصَنِّفِ وَإِنْ لَمْ يَقْصِدْ بِهِ ذَلِكَ، لِقَوْلِهِ: «الْمُتَّقِي عَلَى الْإِطْلَاقِ»، وَلِأَنَّ الْمُتَّقِينَ هُمُ الْمُخْلِصُونَ الْمُخْصَصُونَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾، وَأَمَّا إِخْرَاجُ الْعَاصِينَ مِنَ النَّارِ فَيُعَلِّمُ مِنْ نُصُوصٍ أُخْرَى، لَا مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ (٢).

وقوله: (وتغلل)، الجوهري: تغلل الماء في الشجر: إذا تخللها، الراغب: الغلل: الماء الجاري (٣) بين الشجر، وانغل بين الشجر: دخل فيه (٤).

قوله: (اللَّهُ أَعْدَلُ مِنْ أَنْ يَجْمَعَكَ وَطَلْحَةَ فِي مَكَانٍ) يعني: لما جرى بينهما يوم الجمل، وهي قصة مشهورة.

(١) في النسخة (ح): «بها».

(٢) مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَمُورُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ. وَيَعْفُو مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

(٣) من قوله: «في الشجر: إذا تخللها» سقط من (ط).

(٤) في (ح) و(ف): «وانغل بين الشجر ودخل فيها وتخللها»، والمثبت من (ط)، ومن «مفردات القرآن»،

﴿إِخْوَانًا﴾ نصبٌ على الحال. و﴿عَلَى سُرُرٍ مُنْقَلِبِينَ﴾ كذلك. وعن مجاهد: تدور بهم الأسيرة حيثما داروا، فيكونون في جميع أحوالهم متقابلين.

[نَبِيَّةٌ عِبَادِيَّةٌ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ \* وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ \* وَنَبِيَّتُهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ \* إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلِّمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ \* قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ \* قَالَ أَبَشْرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَا تَبَشِّرُونَ \* قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْكَافِرِينَ \* قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الصَّاَلُونَ ﴿٤٩-٥٦﴾]

لَمَّا أتمَّ ذَكَرَ الوَعْدِ والوَعِيدِ أَتبعَهُ ﴿نَبِيَّةٌ عِبَادِيَّةٌ﴾؛ تَقْرِيرًا لِمَا ذَكَرَ، وَتَمَكِينًا لَهُ فِي النُّفُوسِ. وَعَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: غَفُورٌ لِمَنْ تَابَ، وَعَذَابُهُ لِمَنْ لَمْ يَتُبْ. وَعَطْفَ وَنَبِيَّتُهُمْ﴾ عَلَى ﴿نَبِيَّةٌ عِبَادِيَّةٌ﴾؛ لِيَتَّخِذُوا مَا أَحَلَّ مِنَ الْعَذَابِ بِقَوْمِ لُوطٍ عِبْرَةً يَتَّبِعُونَ بِهَا سَخَطَ اللهِ وَانْتِقَامَهُ مِنَ الْمُجْرِمِينَ، وَيَتَحَقَّقُوا عِنْدَهُ أَنَّ عَذَابَهُ هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ.

قَوْلُهُ: ﴿إِخْوَانًا﴾: نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ). قَالَ أَبُو الْبَقَاءِ: هُوَ حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فِي جَنَّتٍ﴾ أَوْ مِنَ الْفَاعِلِ فِي: ﴿ادْخُلُوا﴾ مَقْدَرَةً، أَوْ مِنَ الضَّمِيرِ فِي ﴿ءَامِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ الْقَاضِي: وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا مِنَ الضَّمِيرِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ، وَالْعَامِلُ فِيهَا مَعْنَى الْإِضَافَةِ، وَكَذَا قَوْلُهُ: ﴿عَلَى سُرُرٍ مُنْقَلِبِينَ﴾، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ صِفَتَيْنِ لـ ﴿إِخْوَانًا﴾ أَوْ حَالَيْنِ مِنَ ضَمِيرِهِ؛ لِأَنَّهُ بِمَعْنَى مُتَصَافِينَ، وَأَنْ يَكُونَ ﴿مُنْقَلِبِينَ﴾ حَالًا مِنَ الْمُسْتَرِّ فِي ﴿عَلَى سُرُرٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ: (وَعَطْفَ وَنَبِيَّتُهُمْ﴾ عَلَى ﴿نَبِيَّةٌ عِبَادِيَّةٌ﴾ لِيَتَّخِذُوا مَا أَحَلَّ مِنَ الْعَذَابِ بِقَوْمِ لُوطٍ عِبْرَةً) يَعْنِي: لَمَّا اشْتَمَلَتِ الْآيَاتَانِ عَلَى ذِكْرِ الْعَذَابِ، عَطَفَ هَذِهِ الْقِصَّةَ لِتَضَمُّنِهَا مَعْنَى الْعَذَابِ عَلَيْهَا عَلَى سَبِيلِ الْاسْتِطْرَادِ. وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الْآيَاتِ السَّابِقَةَ لَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَى

(١) «البيان في إعراب القرآن» (٢: ٧٨٣).

(٢) «أنوار التنزيل» (٣: ٣٧٣).

﴿سَلَمًا﴾ أي: نُسَلِّمُ عَلَيْكَ سَلَامًا، أَوْ سَلِمْتِ سَلَامًا، ﴿وَجِلُونَ﴾: خائفون، وكان خوفه لامتناعهم من الأكل. وقيل: لأنهم دخلوا بغير إذن وبغير وقت. وقرأ الحسن: (لا تُوجَلْ) بضمّ التاء، من: أوجله يُوجَلُه؛ إذا أخافه. وقرئ: (لا تاجَلْ). و: (لا تُواجَلْ)، من واجَلَه، بمعنى أوجله. وقرئ: (تَبَشِّرُكَ) بفتح الثَّوْنِ والتخفيف. ﴿إِنَّا نَبَشِّرُكَ﴾: استئنافٌ في معنى التعليل للنهي عن الوجَل؛ أرادوا: إنك بمثابة الآمن المبشَّر؛ فلا تُوجَلْ. يعني: ﴿أَبَشِّرْتُمُوهُ﴾ مع مسِّ الكَبِيرِ، بأن يولد لي! أي: أن الولادة أمرٌ عجيبٌ مُستنكرٌ في العادة مع الكَبِيرِ، ﴿فَيَسِّرُ تَبَشِّرُونَ﴾: هي «ما» الاستفهاميةٌ دَخَلَهَا معنى التعجُّب، كأنه قال: فبأيِّ أعجوبةٍ تبشرونني، أو أراد: إنكم تبشرونني بما هو غيرٌ متصوّرٌ في العادة، فبأيِّ شيءٍ تبشرون! يعني: لا تبشرونني في الحقيقة بشيء؛

الوَعْدِ والوَعِيدِ، وَعُقِبَتْ بقوله: ﴿أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ وقوله: ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ على الجمعِ ليكونَ تقريراً لما ذُكِرَ وتمكيناً له في النفوس كما ذكر، كما فُصِّلَتْ بقصتي إبراهيمَ ولو طِ عليه السَّلَام، ليكونَ حكايةً سَلَامِ الملائكةِ وبشارتِهم بإسحاقَ وذَكَرُ الرَّحْمَةِ تفصيلاً لقوله: ﴿أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، وقصةُ لوطٍ ودمارِ قومه واستئصالِ شأفتِهم تفصيلاً لقوله: ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾.

قوله: (وكان خوفه لامتناعهم من الأكل)، قال في «هود»: قيل: كانت عادتهم أنه إذا مسَّ من يطرقهم طعامهم أمنوه، وإلا خافوه، ويُقدَّرُ في هذا المقام بعدَ قولهم: ﴿سَلَمًا﴾: قال: سلامٌ، ﴿فَمَا لَيْتَ أَنْ جَاءَ بِعَجَلٍ حَنِيدٍ \* فَلَمَّارَهُ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرُهُمْ﴾ [هود: ٧٠-٧٩]، وقال: ﴿إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾<sup>(١)</sup> إلى آخره، وقد سبق في «هود» تحقيقه.

قوله: (وقرئ: «تَبَشِّرُكَ»): حمزة.

قوله: (أو أراد: إنكم تبشرونني)، قيل: على الأول: الاستفهامُ للتفخيم، وعلى هذا: للتحقير. وقلت: الظاهرُ أنه عليه السَّلَامُ لما أدخلَ همزةَ الإنكارِ في قوله: ﴿أَبَشِّرْتُمُوهُ عَلَيَّ

(١) انظر: (٨: ١٢٩).

لأنَّ البشارة بمثل هذا بشارَةٌ بغير شيء. ويجوزُ أن لا يكون صِلَةً لبشَّر، ويكون سؤالاً عن الوجه والطريقة، يعني: بأيِّ طريقة تبشرونني بالولد، والبشارةُ به لا طريقة لها في العادة! وقوله: ﴿بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ يحتملُ أن تكون الباءُ فيه صِلَةً، أي: بشَّرناك باليقين الذي لا كبس فيه، أو: بشَّرناك بطريقة هي حقٌّ؛ وهي قولُ الله ووَعْدُه، وأنه قادرٌ على أن يوجد ولدًا من غير أبوين، فكيف من شيخٍ فانٍ وعجوزٍ عاقر. وقرئ: ﴿تُبَشِّرُونَ﴾، بفتح النون وبكسرِها على حذف نون الجَمْع، والأصل: تبشرونني،

أن مَسْنَى الكِبَرِ ﴿جاءَ باستفهامٍ آخَرَ، إمَّا لبيانِ خَرَقِ العادة، وأنه أمرٌ عجيب، أو لتقريرِ ذلك الإنكار، وأن تلك البشارة ليست ببشارة، وإليه الإشارةُ بقوله: «لأنَّ البشارة»<sup>(١)</sup> بمثلِ هذا بشارَةٌ بغير شيء.».

قوله: (وَقُرِئَ: ﴿تُبَشِّرُونَ﴾ بفتح النون) قرأ نافعٌ: «بم تبشرون» بكسرِ التَّوْنِ مخفَّفَةً، وابنُ كثيرٍ: بكسرِها مشدَّدةً، والباقون: بفتحِها. قال أبو عليٍّ في «الحجَّة»: أراد: فبِمَ تُبَشِّرُوني، فعَدَى الفعلُ إلى المضمَرِ المنصوب؛ لأنَّ المعنى عليه، فأثبَّت ما حذفهُ غيره من الكسرة التي تدلُّ على الياء المحذوفة<sup>(٢)</sup>، وحذفت التَّوْنُ الثانية؛ لأنَّ التكريرَ بها وَقَع، ولم تُحذفِ الأولى التي هي علامةُ الرَّفْعِ<sup>(٣)</sup>، والمصنَّفُ ذهبَ إلى أنَّ المحذوفَ نونُ الجَمْعِ.

وقال الإمامُ: أمَّا الكسرُ والتشديدُ فتقديرُه: (تُبَشِّرُوني)، أدغمتُ نونَ الجَمْعِ في نونِ الإضافة، وأمَّا الكسرُ والتخفيفُ فعلى حذفِ نونِ الجَمْعِ؛ استئقلاً لاجتماعِ المثليين<sup>(٤)</sup>.

وقال أبو حاتم: حذفَ نافعُ الياءَ معَ التَّوْنِ، وإسقاطُ الحرفَينِ لا يجوزُ، وأجيب: بأنَّ المحذوفَ حرفٌ واحد، وهي التَّوْنُ التي هي علامةُ الرَّفْعِ<sup>(٥)</sup>، على أنَّ حذفَ الحرفَينِ شائع.

(١) قوله: «بقوله: لأنَّ البشارة» سقط من (ط).

(٢) في (ح) و(ف): «التي تدل على المفعولية».

(٣) «الحجَّة للقرآء السبعة» لأبي علي الفارسي (٥: ٤٥).

(٤) «مفاتيح الغيب» (١٩: ١٩٧).

(٥) في النسخة (ف): «وهي نون الرفع».

و: (تبشرون) بإدغام نون الجمع في نون العباد. وقرئ: (من القنطين) من قنط يقنط، وقرئ: ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ﴾ بالحركات الثلاث في النون، أراد: ومن يقنط من رحمة ربه إلا المخطئون طريق الصواب، أو: إلا الكافرون، كقوله: ﴿لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، يعني: لم أستنكر ذلك قنوطاً من رحمة، ولكن استبعاداً له في العادة التي أجراها الله.

[﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ \* قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ \* إِلَّا آءَالَ لوطٍ إِنَّا لَمُنْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ \* إِلَّا أَمْرَانَهُ. قَدَرْنَا إِنَّمَا لِحَنِ الْعَبْرِينَ﴾ \* ٥٧-٦٠]

فإن قلت: قوله تعالى: ﴿إِلَّا آءَالَ لوطٍ﴾ استثناء متصل أم منقطع؟ قلت: لا يخلو من أن يكون استثناء من ﴿قَوْمٍ﴾؛ فيكون منقطعاً؛ لأن القوم موصوفون بالإجرام؛ فاختلف لذلك الجنس، وأن يكون استثناء من الضمير في ﴿مُجْرِمِينَ﴾؛ فيكون متصلاً، كأنه قيل: إلى قوم قد أجزموا كلهم إلا آل لوطٍ وخدمهم، كما قال: ﴿فَمَا وَحَدَّنَا

قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُ﴾، وأما فتح النون فعلى غير الإضافة، والنون علامة الرفع، وهي مفتوحة أبداً.

قوله: ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ﴾ بالحركات الثلاث في النون: أبو عمرو والكسائي ويعقوب: بالكسر، والباقون: بالفتح، والضم: شاذ، قال ابن جني: وهي قراءة الأشهب<sup>(١)</sup>.

قوله: (وقرئ: «من القنطين»)، قال ابن جني: قرأها الأعمش ويحيى وطلحة، وهو من: قنط يقنط، بكسر النون، و«القانطين» من: قنط، بفتحها<sup>(٢)</sup>.

قوله: (استثناء من الضمير في ﴿مُجْرِمِينَ﴾، فيكون متصلاً)، قال في «الانتصاف»: جعله منقطعاً على الأول أولى وأمكن؛ لأن الاستثناء: إخراج ما لولاه لدخل في حكم

(١) يعني ابن رميلة. انظر: «المحتسب» (١: ١٨٥)، ولتنام الفائدة انظر: «حجة القراءات» لأبي زرعة، ص ٣٦٧، و«إعراب القراءات السبع وعللها» لابن خالويه (١: ٣٤٦).

(٢) «المحتسب» (٢: ٤).

فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿ [الذاريات: ٣٦]. فإن قلت: فهل يختلف المعنى لاختلاف الاستثناءين؟ قلت: نعم؛ وذلك أن آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم الإرسال، وعلى أنهم أرسلوا إلى القوم المجرمين خاصّة، ولم يُرسلوا إلى آل لوط أصلاً. ومعنى

الأول، و﴿قَوْمٍ﴾ نكرة، فعوّذه إلى الضمير المعرفة متعذّر، ولذلك قلّ أن يُستثنى من النكرة إلا في سياق النفي؛ لأنها تعمّ فيتحقّق الدخول لولا الاستثناء، فلا يحسُن: رأيتُ قوماً إلا زيدا، ويحسُن: ما رأيتُ أحداً إلا زيدا<sup>(١)</sup>.

وقلت: ليس ما نحن بصدده من قبيل: رأيتُ قوماً إلا زيدا، بل من قبيل: رأيتُ قوماً أساءوا إلا زيدا، على أن قوماً في الآية قومٌ معروفون محصورون<sup>(٢)</sup>، وإن كان منكوراً، بدليل قوله تعالى في العنكبوت: ﴿قَالُوا إِنَّا مَهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ \* قَالَ إِنَّكَ فِيهَا لُوطٌ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ ﴿ [العنكبوت: ٣٢]، فلو لم يكن آل لوطٍ داخلين فيما سبق، لم يحسُن منه أن يقال: ﴿إِنَّكَ فِيهَا لُوطٌ﴾، ولو لم يكونوا محصورين لم يقولوا: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا﴾<sup>(٣)</sup>، وهاهنا لما سأل الخليل عليه السلام عن الرسل: ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ أجابوا: ﴿إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ أي: قوم معروفين، تعرّفهم أنت، ونحن لا يخفى علينا ولا عليك شيءٌ من أحوالهم.

قوله: (وعلى أنهم أرسلوا) عطفٌ على محذوفٍ عطفَ تفسير، كأنه قيل: إن آل لوط مخرجون من حكم الإرسال، بناءً على ما علم، وعلى أنهم أرسلوا إلى القوم المجرمين خاصّة<sup>(٤)</sup>، وكذلك تقدير قوله: «وعلى أن الملائكة» أي: فهم داخلون في الإرسال، بناءً على ما عرف، وعلى أن الملائكة أرسلوا إليهم جميعاً.

(١) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٢: ٥٨١).

(٢) في النسخة (ف): «مخصوصين».

(٣) من قوله: ﴿لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ ﴿فلو لم يكن آل لوط﴾ إلى هنا سقط من (ح).

(٤) وعلى هذا يكون الطيبي مرجحاً كون الاستثناء متصلاً، حيث جعل قوله ﴿قَوْمٍ﴾ كأنها معرفة وليست نكرة، وأن الملائكة أرسلوا إليهم جميعاً ليهلكوا هؤلاء وهم قوم لوط، وينجوا آل لوط، على أن الاستثناء منفصل، فإرسال الملائكة لقوم لوط لأجل إهلاكهم. انظر: «مفاتيح الغيب» (١٩: ١٩٩).

إرسالهم إلى القوم المجرمين؛ كإرسال الحجر أو السهم إلى المرمي، في أنه في معنى التعذيب والإهلاك، كأنه قيل: إننا أهلكنا قوماً مجرمين، ولكن آل لوط أنجيناهم. وأمّا في المتصل فهم داخلون في حكم الإرسال، وعلى أن الملائكة أرسلوا إليهم جميعاً؛ ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء، فلا يكون الإرسال مُخلصاً بمعنى الإهلاك والتعذيب كما في الوجه الأول. فإن قلت: فقوله: ﴿إِنَّا لَمَنْجُوهُمْ﴾ بـم يتعلّق على الوجهين؟ قلت: إذا انقطع الاستثناء جرى مجرى خبر «لكن» في الاتصال بال لوط؛ لأنّ المعنى: لكن آل لوط مُنجون، وإذا اتصل كان كلاماً مستأنفاً، كأن إبراهيم عليه السلام قال لهم: فما حال آل لوط؟ فقالوا: إننا لمنجُوهم. فإن قلت: فقوله: ﴿إِلَّا أَمْرَاتَهُ﴾ مـمّ استثنى؛ وهل هو استثناء من استثناء؟ قلت: استثناء من الضمير المجرور في قوله: ﴿لَمَنْجُوهُمْ﴾، وليس من الاستثناء في شيء؛ لأنّ الاستثناء من الاستثناء إنما يكون فيما اتحد الحكم فيه، وأن يقال: أهلكناهم إلا آل لوط، إلا امرأته، كما اتحد الحكم في قول المطلق: أنت طالق ثلاثاً، إلا اثنتين، إلا واحدة، وفي قول المؤرّر: لفلان عليّ عشرة دراهم، إلا ثلاثة، إلا درهماً، وأمّا في الآية فقد اختلف الحكماء؛ لأنّ ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ متعلّق بـ﴿أَرْسَلْنَا﴾، أو بـ﴿مُجْرِمِينَ﴾، و﴿إِلَّا أَمْرَاتَهُ﴾ قد تعلق بـ﴿لَمَنْجُوهُمْ﴾،

قوله: (فقد اختلف الحكماء؛ لأنّ ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ متعلّق بـ﴿أَرْسَلْنَا﴾...، و﴿إِلَّا أَمْرَاتَهُ﴾ قد تعلق بـ﴿لَمَنْجُوهُمْ﴾)، قال صاحب «التقريب»: وقد يُتوهم أنّ الإرسال إذا كان بمعنى الإهلاك، فلا اختلاف إذ التقدير: إلا آل لوط لم يُهلكهم، فهو بمعنى ﴿لَمَنْجُوهُمْ﴾. وجوابه: أنّ الاستثناء من الاستثناء شرطه أيضاً أن لا يتخلل لفظ بين الاستثناءين معدّد يصلح مستثنى منه، وههنا تخلل ﴿إِنَّا لَمَنْجُوهُمْ﴾، فلو قال: إلا آل لوط إلا امرأته، لجاز ذلك. وقلت: لا سيّما أنّ قوله: ﴿إِنَّا لَمَنْجُوهُمْ﴾ على تقدير أن يكون الاستثناء متصلاً - جملة مُقطّعة عما قبلها على تقدير سؤال سائل، فيعُدّ من البليغ أن يجعل ما في حيزه متعلقاً بما قبله.

وقال أبو البقاء: والاستثناء إذا جاء بعد الاستثناء كان الاستثناء الثاني مضافاً إلى المبتدأ،

فَأَنَّى يَكُونُ اسْتِثْنَاءٌ مِنْ اسْتِثْنَاءٍ. وَقُرِئَ: ﴿لَمَنْجُوهُمْ﴾ بالتخفيفِ والثقلِ. فَإِنْ قُلْتَ: لَمْ جَازَ تَعْلِيقُ فِعْلِ التَّقْدِيرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿قَدَرْنَا إِنَّمَا لِمَنْ أَلْفَيْتَ﴾ والتعلُّقُ مِنْ خِصَائِصِ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ؟ قُلْتَ: لَتَضْمُنُ فِعْلَ التَّقْدِيرِ مَعْنَى الْعِلْمِ؛ وَلِذَلِكَ فَسَّرَ الْعُلَمَاءُ تَقْدِيرَ اللَّهِ أَعْمَالَ الْعِبَادِ بِالْعِلْمِ. فَإِنْ قُلْتَ: فَلَمْ أَسْنَدَ الْمَلَائِكَةُ فِعْلَ التَّقْدِيرِ - وَهُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ - إِلَى

كَقَوْلِكَ: لَهُ عِنْدِي عَشْرَةٌ إِلَّا أَرْبَعَةٌ إِلَّا دَرَاهِمًا، فَإِنَّ الدَّرَاهِمَ مَسْتَثْنَى مِنَ الْأَرْبَعَةِ، فَهُوَ مِثْلُ مِثْلِ إِلَى الْعَشْرَةِ، فَكَأَنَّكَ قُلْتَ: أَحَدَ عَشَرَ إِلَّا أَرْبَعَةً، أَوْ: عَشْرَةً إِلَّا ثَلَاثَةً<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ: (وَقُرِئَ) ﴿لَمَنْجُوهُمْ﴾ بالتخفيفِ والثقلِ، بالتخفيفِ: حَمَزَةٌ وَالْكَسَائِيُّ وَأَبُو بَكْرٍ<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ: (وَلِذَلِكَ فَسَّرَ الْعُلَمَاءُ تَقْدِيرَ اللَّهِ أَعْمَالَ الْعِبَادِ بِالْعِلْمِ) أَي: الْمَعْتَزِلَةُ يَقُولُونَ: إِنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ: إِنَّ اللَّهَ قَدَّرَ عَلَى الْعِبَادِ عِلْمًا، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١]: ثَبَّتَ عَلَيْهِمْ قَوْلَ اللَّهِ الَّذِي كَتَبَهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَتِلْكَ كِنَايَةٌ مَعْلُومٌ، لَا كِنَايَةٌ مَقْدَرٌ وَمَرَادٌ، تَعَالَى اللَّهُ عَنِ ذَلِكَ. وَالْأَصْلُ: ﴿قَدَرْنَا مِنْ أَلْفَيْتَ﴾ فَعَلَّقَهُ عَنِ الْعَمَلِ بِاللَّامِ، ثُمَّ جَاءَ بِـ ﴿إِنَّ﴾. قَالَ الْقَاضِي: وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿قَدَرْنَا﴾ مُجْرَى مُجْرَى قُلْنَا؛ لِأَنَّ التَّقْدِيرَ بِمَعْنَى الْقَضَاءِ قَوْلٌ، وَأَصْلُهُ جَعَلَ الشَّيْءَ عَلَى مِقْدَارٍ غَيْرِهِ<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ صَاحِبُ «الانْتِصَافِ»: هَذَا مِنْ دَفَائِنِ الزَّمْخَشَرِيِّ فِي الْاِعْتِزَالِ فِي جَحْدِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، إِذِ الْمَعْتَزِلَةُ يَمْنَعُونَ تَعَلُّقَ الْقُدْرَةِ بِالْمَعَاصِي، فَالتَّقْدِيرُ عِنْدَهُمْ: هُوَ الْعِلْمُ، لَا الْإِرَادَةُ، ثُمَّ اسْتَدَلَّ عَلَى أَنَّ التَّقْدِيرَ بِمَعْنَى الْعِلْمِ، بِتَعْلِيقِ فِعْلِهِ. وَفِي كَلَامِهِ شَاهِدٌ عَلَى رَدِّهِ؛ لِأَنَّ التَّضْمِينَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُبْقِيَ الْمَعْنَى الْأَصْلِيَّ مِثْلَ الْمَعْنَى الطَّارِئِ، فَيُقِيدُهُمَا جَمِيعًا،

(١) «التبيان في إعراب القرآن» (٢: ٧٨٥)، وهو الذي ذهب إليه أبو جعفر النحاس في «إعراب القرآن» (٢: ١٩٩).

(٢) يعني أبا بكر بن عياش الأسدي (ت ١٩٣ هـ) من الرواة عن عاصم، أخذ عنه الكسائي وغيره، وتمن قرأ بالتخفيف كذلك خلف ويعقوب. انظر: «إتحاف فضلاء البشر»، ص ٢٧٥.

(٣) «أنوار التنزيل» (٣: ٣٧٦-٣٧٧).



أنفسهم، ولم يقولوا: قدر الله؟ قلت: لما هم من القرب والاختصاص بالله الذي ليس لأحد غيرهم، كما يقول خاصة الملك: دبّرنا كذا وأمرنا بكذا، والمدبّر والأمر

فالتقدير: كما أفاد العلم الطارئ أفاد الإرادة أيضاً، على أن من الناس من جعل قوله تعالى: ﴿قَدَرْنَا إِنَّمَا لِحَمَنِ الْغَيْرِيْنَ﴾ من كلامه تعالى غير محكي عن الملائكة، وهو الظاهر<sup>(١)</sup>؛ لأن القائل بالأول يحتاج إلى التأويل، كما قال الزمخشري: «إنه من باب قول خواص الملك»، لأننا إذا جعلنا ﴿قَدَرْنَا﴾ بمعنى علمنا أنها من الغابرين فلا غرو في علم الملائكة ذلك بإخبار الله إياهم به، إنما يحتاج إلى التأويل من جعل قدرنا بمعنى قضينا، وجعله من قول الملائكة.

الإنصاف: القول بأن التضمين يقتضي إرادة الفعلين: المضمّن والمضمّن فيه معاً مردوداً، فإنه يجوز أن يؤتى فيه بما يقتضيه أحدهما دون الآخر، فكانه معمول أحدهما خاصة، ألا ترى إلى قوله:

قد قتل الله زياداً عني<sup>(٢)</sup>

ضمّن «قتله» معنى: صرفه، وأتى بـ«عني» التي هي معمول «صرفه»، لا معمول «قتله».

وقلت: هذا خطأ؛ لأن التقدير: قد صرف الله زياداً عني قتلاً، أو «قتل» مستعاراً للصرف على سبيل التبعية، والقرينة الجاز.

الراغب: الغابر: الماكن بعد مضي ما معه، قال تعالى: ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾، يعني: قد طال أعمارهم. وقيل: فيمن بقي ولم يسر مع لوط. وقيل: فيمن بقي في العذاب، ومنه الغبرة: البقية من اللبن في الصرع<sup>(٣)</sup>.

(١) «الانصاف بحاشية الكشاف» (٢: ٥٨٢). ولتمام الفائدة انظر: «حاشية محي الدين زاده على البيضاوي» (٣: ١٥٩).

(٢) البيت للفرزدق، ولم أجدّه في «ديوانه»، وصدّره:

كيف تراني قابلاً مجتني

(٣) «مفردات القرآن»، ص ٦٠١.

هو المَلِكُ لا هم، وإنما يُظهِرون بذلك اختصاصَهم، وأنهم لا يتميِّزون عنه. وقرئ: (قدَرنا)، بالتخفيف.

[ ﴿ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ \* قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ \* قَالُوا بَلْ جِئْتَنَا بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ \* وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ \* فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ الْبَيْلِ وَأَتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْبُثْ مِنْكَ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ \* وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَتُولَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ ﴾ [٦٦-٦١]

﴿ مُنْكَرُونَ ﴾ أي: تُنْكِرُكم نَفْسِي وتنفرُ منكم، فأخافُ أن تَطْرُقوني بشرٍّ، بدليل قوله: ﴿ بَلْ جِئْتَنَا بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ أي: ما جِئْتَنَا بما تُنْكِرنا لأجله، بل جِئْتَنَا بما فيه فَرْحُك وسُرورُك وتشفُّيك من عدوك، وهو العذابُ الذي كنت تتوعَّدُهم بنزوله، فيمْتَرُونَ فيه ويكذِّبونك، ﴿ بِالْحَقِّ ﴾: باليقينِ من عذابهم، ﴿ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ في الإخبارِ بنزوله بهم. وقرئ: (فأسر) بقطعِ الهمزة ووصلها، من أسرى وسرى. وروى صاحب «الإقليد»: (فيسر)، من السير. والقِطْعُ: في آخر الليل. قال:

قوله: (بدليل قوله: ﴿ بَلْ جِئْتَنَا ﴾) يريدُ أن قوله: ﴿ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴾ كنايةٌ عن إنكم قومٌ يُخافُ منكم الشرُّ؛ لأنَّ قوله: ﴿ بَلْ جِئْتَنَا بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ كنايةٌ عن الفرح والتشفي، لأنه أضرَبَ به عن الخوف، وذلك أنَّ مَنْ يُنْكِرُ شيئاً يَنْفِرُ منه، وإنما يَنْفِرُ<sup>(١)</sup> منه إذا توَهَّمَهُ شراً مَخَوْفاً، وكذا قوله: ﴿ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾: كنايةٌ عن العذابِ؛ لأنهم كانوا يُشْكُونَ نزوله، ونزوله عليهم سببٌ لتشفي لوطٍ عن غِيظِهِ؛ لأنه كان يُكابِدُ منهم المشاقَّ، كأنه قال: إنكم قومٌ يُخافُ منكم الشرُّ، فقالوا مجاوبين: بل نحنُ نَمُنُّ بِرُجَى منَّا الخَيْرِ والفرحِ.

قوله: (صاحبُ «الإقليد»)<sup>(٢)</sup> هو تفسيرُ لأبي الفتح الهمداني - بإسكان الميم - منسوب إلى قبيلة اليمن.

(١) قوله: «وإنما يَنْفِرُ» سقط من (ط).

(٢) ذكره حاجي خليفة في «كشف الظنون» (١: ٨١)، ونقل عن صاحب «الكشف» أنَّ العلامة - يعني: الزمخشري - طالعه.

افتحِ البابَ وانظري في النجوم كَمَ عَلَيْنَا مِنْ قِطْعِ لَيْلٍ بِبِيمِ

وقيل: هو بعدما يمضي شيءٌ صالح من الليل. فإن قلت: ما معنى أمره باتِّباع أدبارهم ونهيه عن الالتفات؟ قلت: قد بعث الله الهلاك على قومه، ونجّاه وأهله؛ إجابةً لدعوته عليهم، وخرج مهاجرًا، فلم يكن له بُدٌّ من الاجتهاد في شكر الله وإدامة ذكره وتفريغِ باله لذلك، فأمر بأن يُقدِّمهم؛ لئلا يشتغل بمن خلفه قلبه، وليكون مطلعًا عليهم وعلى أحوالهم، فلا تفرط منهم التفاتة؛ احتشامًا منه ولا غيرها من

قوله: (افتحِ البابَ) البيت<sup>(١)</sup>، كأنه طال عليه الليل، يُخاطبُ صجيعةً بذلك، أو كان يحبُّ طولَ الليل للوصال.

قوله: (شيءٌ صالحٌ من الليل) أي: قطعةٌ طويلةٌ منه، العربُ تقول: مضى من عمري شيء، أي: مدةٌ طويلة.

قوله: (ما معنى أمره باتِّباع أدبارهم ونهيه عن الالتفات؟) يعني: كان يكفي في الهجرة أن يُقال: ﴿فَأَمْرٌ بِأَهْلِكَ﴾ فما معنى التتميم بهذين القيدَين؟

وخلاصةُ الجواب: أن تلك النجاة كانت نعمةً من الله مطلوبةً تستحقُّ الإقامة بمواجب<sup>(٢)</sup> الشكر لها، وذلك الشكر لا يتم إلا بفرغ من البال من كل وجه فأمر باتِّباع أدبارهم لئلا يشتغل عن إدامة الشكر بسبب تعلق قلبه بمن خلفه، ونهوا عن الالتفات، لئلا ترقَّ قلوبهم إذا نظروا إلى ما ينزل على قومهم، فيشتغل قلبه عن إدامة الشكر.

الانتصاف: اشتملت الآية معَ وجازتها على آدابِ المسافرين في دينٍ ودنيا من أميرٍ ومأمور، وتابعٍ ومتبوع<sup>(٣)</sup>.

(١) لم أهتم إلى قائله.

(٢) في (ف): «بواجب»، وكلاهما صحيح.

(٣) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٢: ٥٨٣ - ٥٨٤).

الهفوات في تلك الحال المهولة المخذورة، ولئلا يتخلف منهم أحد لغرض له فيصيبه العذاب، وليكون مسيره مسير الهارب الذي يقدم سيره ويفوت به، وهوا عن الالتفات؛ لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم، وليوطنوا نفوسهم على المهاجرة ويطيّبوها عن مساكنهم، ويمضوا قدماً غير ملتفتين إلى ما وراءهم كالذي يتحسّر على مفارقة وطنه فلا يزال يلوي إليه أحاديه، كما قال:

تَلَفْتُ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُنِي      وَجَعْتُ مِنَ الإِضْغَاءِ لَيْتًا وَأَحْدَعًا

أو جعل النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني والتوقف؛ لأن من يتلفت لا بد له في ذلك من أدنى وقفة. ﴿حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ قيل: هو مضر. وعُدِّي ﴿وَأَمْضُوا﴾ إلى ﴿حَيْثُ﴾ تعديته إلى الظرف المبهم؛ لأن ﴿حَيْثُ﴾ مبهم في الأمكنة،

قوله: (يُقَدِّمُ سِرِّبَهُ)، النهاية: السِّرْبُ - بالكسر - والسِّرْبَةُ: القَطِيعُ من الظِّبَاءِ والقَطَا والحَيْلُ ونحوها، ومن النساء على التشبيه بالظِّبَاءِ.

قوله: (ويفوت به) فاتني بكذا: سبقني به، وذهب به عني. في «الأساس»، والضمير في «به» راجع إلى «السرب».

قوله: (وَيَمْضُوا قُدَمَا) بَضَمَتَيْنِ، يقال: ومضى قدماً: لم يثن، ولم يُعْرَجْ.

قوله: (تَلَفْتُ نَحْوَ الْحَيِّ) البيت<sup>(١)</sup>، قال المرزوقي: يقول: أخذت مسيري لما أبصرت حال نفسي، وتأثير الصبابة فيها، ملتفتاً إلى ما خلفته من الحي، حتى وجدتهني وجع الليت، أي: صفحة العنق، والأخدع، وهو عرق فيها، لطول إصغائي ودوام التفاتي، كل ذلك تحسراً في أثر الفاتت من أحبائي وديارهم، وتذكراً لطيب<sup>(٢)</sup> أوقاتي معهم فيها<sup>(٣)</sup>.

قوله: (وَعُدِّي) ﴿وَأَمْضُوا﴾ إلى ﴿حَيْثُ﴾ تعديته إلى الظرف المبهم (يعني: ﴿حَيْثُ﴾

(١) للصمّة بن عبد الله القشيري من أبيات حسان ذكرها القالي في «الأمالي» (١: ٩١).

(٢) سقط لفظ «لطيب» من النسخة (ح).

(٣) انظر: «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي (١: ٣٧٣).

وكذلك الضمير في ﴿تَوْمَرُونَ﴾. وعُدِّي ﴿وَقَضَيْنَا﴾ بـإلى؛ لأنه ضَمَّن معنى: أوحينا، كأنه قيل: وأوحينا إليه مقضياً مَبْنُوتاً. وفسر ﴿ذَلِكَ الْأَمْرُ﴾ بقوله: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ﴾، وفي إبهامه وتفسيره تفخيمٌ للأمر وتعظيمٌ له. وقرأ الأعمش: (إن)، بالكسر على الاستئناف، كأنَّ قائلاً قال: أخبرنا عن ذلك الأمر، فقال: إنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ. وفي قراءة ابن مسعود: (وقلنا إنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ). ودابِرُهُم: آخرُهُم، يعني: يُستأصلون عن آخرِهِم حتى لا يبقى منهم أحد.

[ ﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ \* قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ \* وَأَنْفُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنِ \* قَالُوا أَوْلَمْ تَنْهَكْ عَنِ الْعَالَمِينَ \* قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتٌ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ \* لَعَنَكَ إِيْتَهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ \* فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ \* فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ \* إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ \* وَإِنَّمَا لِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ \* إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [٦٧ - ٧٧]

﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ﴾: أهلُ سَدُومِ التي ضُربَ بقاضِيها المثلُ في الجور، مُستبشرين بالملائكة. ﴿فَلَا تَفْضَحُونِ﴾ بفضيحة ضيفي؛ لأنَّ من أسيء إلى ضيفه أو جاره فقد أسيء إليه، كما أنَّ من أكرم من يتصل به فقد أكرم، ﴿وَلَا تُخْزَوْنِ﴾: ولا

على تقديرِ النصبِ على الظرفِ لا يحتاجُ إلى (في)؛ لأنه مُبْهَم، والظرفُ المبهَمُ منصوبٌ، والمؤقَّتُ حُكْمُهُ حَكْمُ ما ليسَ بظرفٍ، فيحتاجُ إلى (في)، وكذلك الضميرُ في ﴿تَوْمَرُونَ﴾ مُبْهَم، نُظِرَ إلى تقديره، وهو راجعٌ إلى حيث، ولو كان مؤقتاً لَقِيلَ: تَوْمَرُونَ فِيهِ.

قوله: (يعني يُستأصلون عن آخرِهِم)، الراغب: قَطَعَ دَابِرَةَ الإنسان: إفناء نوعه. قال تعالى: ﴿نَقَطَعُ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الأنعام: ٤٥] (١).

قوله: (أهلُ سَدُومِ) في «تهذيب» الأزهرِّي: سَدُومٌ بالذالِ المعجمة، وفي «الصَّحاح»: بفتح السَّينِ والذالِ غيرُ معجمة: قريةٌ قوم لوطٍ عليه السلام.

(١) «مفردات القرآن»، ص ٦٧٨.

تُدَلُّونَ بِإِذْلَالِ صَنِيفِي، مِنَ الْحَزْيِي؛ وَهُوَ الْهَوَانُ. أَوْ: وَلَا تُشَوِّرُوا بِي، مِنَ الْحَزَايَةِ؛ وَهِيَ الْحَيَاءُ. ﴿عَنِ الْعَلَمِيِّتِ﴾: عَنْ أَنْ تُجِيرَ مِنْهُمْ أَحَدًا، أَوْ تَدْفَعَ عَنْهُمْ، أَوْ تَمْنَعَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَتَعَرَّضُونَ لِكُلِّ أَحَدٍ، وَكَانَ يَقُومُ ﷺ بِالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالْحَجْرِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُتَعَرِّضِ لَهُ، فَأَوْعَدُوهُ وَقَالُوا: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٧]. وَقِيلَ: عَنْ ضِيَاغَةِ النَّاسِ وَإِنْزَالِهِمْ، وَكَانُوا تَهْوَهُ أَنْ يُضَيَّفَ أَحَدًا قَطًّا. ﴿هَتُوَلَاءَ بَنَاتِي﴾: إِشَارَةٌ إِلَى النِّسَاءِ؛ لِأَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ أَوْلَادُ نَبِيِّهَا رِجَالُهُمْ بَنُوهُ وَنِسَاؤُهُمْ بَنَاتُهُ، فَكَأَنَّهُ قَالَ لَهُمْ: هُوَلَاءِ بَنَاتِي فَانْكِحُوهُنَّ، وَخَلُّوا بَيْنِي فَلَا تَتَعَرَّضُوا لَهُمْ، ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَعَلِينَ﴾ شَكٌّ فِي قَبُولِهِمْ لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ قَالَ: إِنْ فَعَلْتُمْ مَا أَقُولُ لَكُمْ، وَمَا أَظُنُّكُمْ تَفْعَلُونَ. وَقِيلَ: إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ قِضَاءَ الشَّهْوَةِ فِيمَا أَحَلَّ اللَّهُ دُونَ مَا حَرَّمَ. ﴿لَعَمْرُكَ﴾ عَلَى إِرَادَةِ الْقَوْلِ، أَي: قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لِلوِطِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَعَمْرُكَ. ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ﴾ أَي: غَوَايَتِهِمْ الَّتِي أَذْهَبَتْ عَقُولَهُمْ وَتَمَيَّزَهُمْ بَيْنَ الْخَطَا الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ وَبَيْنَ الصَّوَابِ الَّذِي تُشِيرُ بِهِ عَلَيْهِمْ، مِنْ تَرْكِ الْبَيِّنِ إِلَى الْبَنَاتِ، ﴿يَعْمَهُونَ﴾: يَتَحَيَّرُونَ، فَكَيْفَ يَقْبَلُونَ قَوْلَكَ وَيُضْغَعُونَ إِلَى نَصِيحَتِكَ! وَقِيلَ: الْخَطَابُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَّهُ أَقْسَمَ

قوله: (أَوْ: وَلَا تُشَوِّرُوا بِي)، الْجَوْهَرِيُّ: شَوَّرْتُ الرَّجُلَ فَتَشَوَّرَ، أَي: حَجَلْتُهُ فَتَحَجَّلَ.

قوله: (وَبَيْنَ الْمُتَعَرِّضِ لَهُ) الضَّمِيرُ فِي «لَهُ» عَائِدٌ إِلَى اللَّامِ، لِأَنَّهَا مُوَصُولَةٌ.

قوله: (إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ قِضَاءَ الشَّهْوَةِ) عَنِ الْمُصَنِّفِ: الْأَوْجَهُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِنَاءً عَلَى طَرِيقَتِهِمْ وَحَالِهِمْ فِي رُكُوبِ مَا لَا يَحِلُّ لَهُمْ، كَأَنَّهُ قِيلَ: إِنْ كُنْتُمْ وَلَا بَدْرًا كَابِينَ مَا لَا يَحِلُّ لَكُمْ، فَعَلَيْكُمْ بِمَحَالِّ الْمُبَاشَرَةِ الَّتِي قَدْ تَعَارَفَهَا النَّاسُ دُونَ الْمُنْكَرِ الَّذِي لَمْ تُسَبِّحُوا إِلَيْهِ.

قوله: (وَقِيلَ: الْخَطَابُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ)، قَالَ صَاحِبُ «الْفَرَائِدِ»: لَمَّا أَمَكَّنَ الْحَمْلُ عَلَى مَا هُوَ الْمَقْهُومُ مِنْ ظَاهِرِ الْكَلَامِ وَجَبَ الْحَمْلُ عَلَيْهِ، إِذِ التَّقْدِيرُ بِغَيْرِ ضَرُورَةٍ لَا يَجُوزُ، وَإِلَّا لَمْ يَبْقَ لِلنَّقْلِ اعْتِبَارٌ أَصْلًا؛ لِأَنَّهُ مَا مِنْ نَقْلِ إِلَّا وَأَمَكَّنَ التَّقْدِيرُ فِيهِ، فَوَجَبَ الْحَمْلُ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى أَقْسَمَ بِحَيَاتِهِ ﷺ.

بحياته، وما أقسم بحياة أحد قط؛ كرامة له. والعمر والعمر واحد، إلا أنهم خصوا القسَمَ بالفتوح؛ لإيثار الأُخف فيه؛ وذلك لأنَّ الحَلِفَ كثيرُ الدُّورِ على ألسنتهم؛ ولذلك حَذَفُوا الحَبْرَ، وتقديره: لَعَمْرُكَ مِمَّا أُقْسِمُ بِهِ، كما حَذَفُوا الفِعْلَ في قولك: بالله. وقرئ: (في سُكْرِهِمْ)، و(في سَكْرَاتِهِمْ). ﴿الصَّيْحَةُ﴾: صيحة جبريل عليه السلام، ﴿مُشْرِقِينَ﴾ داخلين في الشُّروق؛ وهو بُزوغ الشمس. ﴿مَنْ سَجِيلٌ﴾: قيل: من طين، عليه كتابٌ، من السَّجَلِ، ودليله: قوله تعالى: ﴿حِجَابَةٌ مِنْ طِينٍ \* مُسَوَّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [الذاريات: ٣٣-٣٤]، أي: مُعَلِّمَةٌ بكِتَابٍ. ﴿الْمُتَوَسِّمِينَ﴾: للمتفرسين المتأملين. وحقبة المتوسمين النظَّار المتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء. يقال:

وقلت: أراد أن قوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ إذا كان خطاباً للوط يجب أن يُقدَّر: قالت الملائكة: لعمرك. وإذا كان خطاباً لرسولنا ﷺ لا يجب، ويكون جملة مُعْتَرِضَةٌ لِلنَّعْيِ عَلَيْهِمْ، وتمامهم في ارتكاب تلك الفاحشة؛ لأنَّ في عَرْضِ نبيِّ الله لوط أفلاذ كيده على القوم، دليلاً على بلوغ الغاية في الأمر، وأنه بلغ السَّيْلُ الزُّبِّيَ<sup>(١)</sup>، وجاوز الحِزَامُ الطُّبِّيَّ<sup>(٢)</sup>، كأنه قيل: يا محمد، بحياتك أقسم، إنهم لفي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ، مُسْتَمِرُّونَ، فاستحضر تلك الحالة في مشاهدتك، وتعجب لها، يدُّلك عليه صيغة المضارع.

وقال محيي السنة: لعمرُك يا محمد وحياتك، عن ابن عباس أنه قال: ما خلق الله نفساً أكرم عليه من محمد صلوات الله عليه، وما أقسم بحياة أحدٍ إلا بحياته<sup>(٣)</sup>، وكذا عن الإمام<sup>(٤)</sup>.

قوله: (المتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء) كأنه حد المتفرسين، وهو

(١) مثل يُضْرَبُ لما جاوز الحدَّ. والزُّبِّي: جمع زُبْيَةٍ وهي حفرة تُحْفَرُ للأسد إذا أرادوا اصطيداه فإذا بلغها السَّيْلُ كان جارفاً مُجْحَفاً. انظر: «مجمع الأمثال» للميداني (١: ٩١).

(٢) مثل يُضْرَبُ عند بلوغ الشدَّة منهاها. والطُّبِّي لذوي الحافر والسَّباع كالضَّرع وغيرها. انظر: «مجمع الأمثال» (١: ١٦٦).

(٣) «معالم التنزيل» (٤: ٣٨٧).

(٤) في «مفاتيح الغيب» (١٩: ١٥٦).

توسَّمتُ في فلان كذا، أي: عرفتُ وسَمَّه فيه. والضميرُ في ﴿عَلَيْهَا سَافِلَهَا﴾ لِقُرَى قوم لوط. ﴿وَلَاتِنَهَا﴾: وإنَّ هذه القُرَى، يعني آثارها ﴿لِلسَّبِيلِ مُقِيمٍ﴾: ثابت يسلكه الناسُ لم يندرسْ بعد، وهم يُبصرون تلك الآثار، وهو تنبيهٌ لقُرَيْش، كقوله: ﴿وَلَاتَكُزْ لَكُمُورَ عَلَيَّهِمْ مُصْبِحِينَ﴾ [الصافات: ١٣٧].

﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ \* فَأَنقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لِيَآمَامٍ مَّبِينٍ﴾ ٧٨-

[٧٩]

﴿أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾: قومُ شُعَيْب. ﴿وَلَاتِنَهَا﴾: يعني قُرَى قوم لوط والأَيْكَة. وقيل: الضميرُ للأَيْكَة ومَدِين؛ لأنَّ شُعَيْباً عليه السلام كان مبعوثاً إليهما، فلَمَّا ذَكَرَ الأَيْكَة دَلَّ بِذِكْرِهَا على مَدِين؛ فجاءَ بضميرِهما، ﴿لِيَآمَامٍ مَّبِينٍ﴾: لبطريق واضح، والإمام: اسمٌ لِمَا يُؤْتَمُّ به، فسُمِّي به الطريقُ ومَطْمَرُ البِنَاءِ واللوح الذي يُكْتَب فيه؛ لأنها ممَّا يُؤْتَمُّ به.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ الْمُرْسَلِينَ \* وَءَايَاتِنَاهُمْ ءَايَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ \* وَكَانُوا يَنْجِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ يُّوْتًا ءَامِينِينَ \* فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ \* فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ٨٠ - ٨٤

﴿أَصْحَابُ الْحَجَرِ﴾: ثَمُود، .....

قولُ مجاهد<sup>(١)</sup>، قال السَّجَاوَنْدِي: المتوسِّمُ: الذي يعلمُ باطنَ الشيءِ بِسِمَةِ ظاهرِهِ، وروى الترمذِيُّ، عن أبي سعيد، أن رسولَ الله ﷺ قال: «اتقوا فِرَاسَةَ المؤمن، فإنه يُنظَرُ بنورِ الله»، ثم قرأ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

قوله: (ومَطْمَرُ البِنَاءِ)، الجَوْهَرِيُّ: المِطْمَرُ: الرِّيحُ الذي يكونُ معَ البَنَاتِينِ.

(١) حكاه البغوي في «معالم التنزيل» (٤: ٣٨٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٣١٢٧) وقال: هذا حديثٌ غريبٌ لا نعرفه إلا من هذا الوجه.



والْحَجْر: وادِيهم، وهو بين المدينة والشام، ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾: يعني بتكذيبهم صالحاً؛ لأنَّ مَنْ كَذَّبَ واحداً منهم فكأنما كَذَّبهم جميعاً، أو: أراد صالحاً وَمَنْ معه من المؤمنين، كما قيل: الْخُبَيْبُونَ؛ في ابنِ الزُّبَيْرِ وأصحابِهِ. وعن جابر: مَرَرْنَا مع النبي ﷺ على الْحَجْر، فقال لنا: «لا تَدْخُلُوا مساكنَ الذين ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ إِلَّا أَنْ تكونوا باكين؛

قوله: (والْحَجْرُ وادِيهم)، الرَّاغِبُ: سُمِّيَ ما أَحيطَ به الحِجَارَةُ حِجْرًا، وبه سُمِّيَ حِجْرُ الكعبة وديارُ ثمود<sup>(١)</sup>.

قوله: (لأنَّ مَنْ كَذَّبَ واحداً منهم فكأنما كَذَّبهم جميعاً)، يعني: التعريفُ في ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ للاستغراق، فهو هنا كناية؛ لأنَّ الرسولَ: مَنْ أتى بكتابٍ بعدَ إظهارِ المعجزة، فكلُّ مَنْ لم يُصدِّقْ هذا المعنى ورَدَّهُ فقد أعمَّ التكذيبَ والرَدَّ<sup>(٢)</sup>.

قوله: (الْخُبَيْبُونَ في ابنِ الزُّبَيْرِ)، قال ابنُ عبدِ البرِّ: كُنِيَتْهُ أبو بكر، وله كُنْيَةٌ أُخرى: أبو حُبَيْبٍ<sup>(٣)</sup>.

الجَوْهَرِيُّ: الْخُبَيْبَةُ: رِخَاوَةٌ الشيءِ واضطرابُهُ، وَخُبَيْبٌ: اسمُ رَجُلٍ، وَهُوَ: حُبَيْبُ بنِ عبدِ الله بنِ الزُّبَيْرِ، وكان عبدُ الله يُكْنِي بِأبي حُبَيْبٍ، وَالْخُبَيْبَانِ: عبدُ الله بنُ الزُّبَيْرِ وابنه، وقيل: هُوَ وأخوه مُصْعَبٌ، فَمَنْ رَوَى: «الْخُبَيْبُونَ»، على الجَمْعِ، يريدُ ثلاثتهم، قال ابنُ السَّكَيْتِ: يريدُ: أبا حُبَيْبٍ وَمَنْ كان على رأيه<sup>(٤)</sup>.

قوله: (وعن جابر) الحديث، رَوَيْنَاهُ عن البخاريِّ ومسلم عن ابنِ عمرَ، مع تغييرِ يسير<sup>(٥)</sup>.

(١) «مفردات القرآن»، ص ٢٢٠.

(٢) سقط ما بين المعكوفين من النسخة (ف).

(٣) انظر: «الاستيعاب» (٣: ٩٠٥).

(٤) انظر: «إصلاح المنطق» لابن السكيت ص ٢٨٢.

(٥) أخرجه البخاري (٣٣٨٠)، ومسلم (٢٩٨٠) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

والرواية عن جابر ذكرها البغوي في «معالم التنزيل» (٣: ٢٥٤) من غير إسناد.

حذراً أن يُصيبكم مثل ما أصاب هؤلاء»، ثم زَجَرَ النبي ﷺ راحلته فأسرع حتى خَلَفَهَا. ﴿ءَامِنِينَ﴾ لوثاقه البيوتِ واستحكامها من أن تتهدمَ ويتداعى بُنيانها، ومن نَقَب اللُّصُوصِ، ومن الأعداءِ وحوادثِ الدَّهْرِ. أو: آمِنِينَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ يَحْسَبُونَ أَنَّ الْجِبَالَ تَحْمِيهِمْ مِنْهُ. ﴿مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من بناءِ البيوتِ الوثيقة والأموالِ والعُدَدِ.

[﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَنِيَّةٌ فَاَصْفَحْ﴾]

الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿١٨٥﴾

﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: إِلَّا خَلَقْنَا مُلْتَبِسًا بِالْحَقِّ وَالْحِكْمَةِ، لَا بَاطِلًا وَعَبَثًا. أو: بسببِ العَدْلِ والإنصافِ يومَ الجزاءِ على الأعمالِ، ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَنِيَّةٌ﴾: وَإِنَّ اللَّهَ يَنْتَقِمُ لَكَ فِيهَا مِنْ أَعْدَائِكَ، وَيُجَازِيكَ وَيَأْهَمُ عَلَى حَسَنَاتِكَ وَسَيِّئَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَا خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا لِلذَّكَاءِ، ﴿فَاَصْفَحْ﴾: فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَاحْتَمِلْ مَا تَلْقَى مِنْهُمْ إِعْرَاضًا جَمِيلًا بِجِلْمٍ وَإِعْضَاءٍ. وقيل: هو منسوخٌ بآيةِ السَّيْفِ. ويجوزُ أن يُرادَ به المُخَالَفَةُ؛ فلا يَكُونُ منسوخًا.

قولُه: (فإنه ما خلق السماوات والأرض وما بينهما إلا للحق)، أي: للانتقام من الأعداء، وإعطاء الجزاء للوالياء، بيان الحضر هو: أن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَنِيَّةٌ﴾ والحق: هو العدل والإنصاف، وهما إنما يَسْتَبَيَان<sup>(١)</sup> بوجود جزاء المحسن والمسيء، وإن الدنيا ليست بدار جزاء، بل هي دار الابتلاء والتكليف، فلا بُدَّ من يوم الدين ليصل إلى كل ذي حق حقه، كقولهِ تعالى: ﴿إِنَّهُ يُبَدِّلُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ [يونس: ٤٤]، ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿حَمِيمٌ﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ \* مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الاحقاف:

.[٣-١].

(١) في (ح) و(ف): «يَسْتَبَيَان».

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ [٨٦]

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ ﴾ الذي خَلَقَكَ وخلقهم، وهو ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بحالك وحالهم، فلا يخفى عليه ما يجري بينكم، وهو يحكم بينكم. أو: إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَعَلِمَ ما هو الأصلح لكم، وقد عَلِمَ أَنَّ الصَّفْحَ اليَوْمَ أَصْلَحُ إِلَى أَنْ يَكُونَ السِّيفُ أَصْلَحَ. وفي مُصْحَفِ أَبِي وَعْثَانَ: (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَالِقُ)، وهو يَصْلَحُ لِلْقَلِيلِ وَالكَثِيرِ، وَالْخَلَّاقُ: لِلكَثِيرِ لَا غَيْرَ، كَقَوْلِكَ: قَطَّعَ الثِّيَابَ، وَ: قَطَّعَ الثُّوبَ وَالثِّيَابَ.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴾ [٨٧]

قوله: (أو إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَعَلِمَ ما هُوَ الْأَصْلَحُ لَكُمْ): عطفٌ على قوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ ﴾ الذي خَلَقَكَ وخلقهم<sup>(١)</sup>، وَالْوَجْهَانِ مَبْنِيَّانِ<sup>(١)</sup> على تفسير ﴿ فَأَصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ لأنه كالتعليل له، فالوجه الأول مبني على أن الآية من باب المخالفة، وهي غير منسوخة. والثاني: على أنه من باب المداراة والاصطبار، هذا هو الظاهر؛ لأنه تعالى لما أتمَّ الاقتصاص<sup>(٢)</sup> تسلياً لرسول الله ﷺ، وإرشاداً له إلى الاكتسائ بلباس الصبر اقتفاء بهم، أتى بخاتمة جامعة للتسلي، وهي الانتقام في العاقبة من أعدائه، وإيصال الجزاء إليه لحسناته، وللأمر بالمداورة والصبر على المكابرة، وجعلها تخلصاً إلى مشرع آخر، وهو قوله: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي ﴾ الآيات، وفيه حديث الإعراض عن زهرة الحياة الدنيا، وهو من أعظم أنواع الصبر.

قوله: (كقولك: قَطَّعَ الثِّيَابَ)، قيل: فيه نظر؛ لأنَّ باب التفعيل لا يختص بهذا، وشاهدُه الصيغة الموضوعية، كالنَّسَاجِ وَالْقَطَّاعِ، لِأَجْلِ الْحَرْفِ، وَجَوَابُهُ: أَنَّهُ قَدْ عَلِمَ أَنَّ بَابَ التَّفْعِيلِ إِذَا كَانَ مِمَّا تُقَالُ مِنْ أَصْلِ إِلَيْهِ أَفَادَ بِحَسَبِ الْمَقَامِ: إِمَّا الْمُبَالَغَةَ وَإِمَّا التَّكْثِيرَ، كَمَا سَبَقَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ لَيْسَ بِظُلْمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [الأنفال: ٥١]، وَإِذَا كَانَ مَوْضِعاً كَذَلِكَ - نَحْوُ: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ - لَمْ يُفِدْ ذَلِكَ، وَ﴿ الْخَلَّاقُ ﴾ مِنْ قَبِيلِ الْأَوَّلِ.

(١) في النسخة (ف): «سَيَان».

(٢) في النسخة (ف): «القصاص» وهو خطأ، وفي (ط): «اقتصاص الأنبياء».

﴿سَبْعًا﴾: سبع آيات؛ وهي الفاتحة. أو: سبع سُور؛ وهي الطُول، واختلَفَ في السابعة؛ فقيل: الأنفال وبراءة؛ لأنها في حُكْمِ سُورَةٍ واحدة؛ ولذلك لم يفصل بينهما بآية التسمية. وقيل: سُورَةُ يونس. وقيل: هي أَل حَم، أو: سبعُ صحائف؛ وهي الأَسْبَاع. و﴿الْمَثَانِي﴾: من الثننية؛ وهي التكرير؛ لأنَّ الفاتحةَ ممَّا تُكْرَرُ قراءتُها في الصلاة وغيرِها، أو مِن الثَّنَاءِ؛ لاشتغالها على ما هو ثناءٌ على الله، الواحدة: مثناة أو مثنية؛ صفةٌ للآية. وأمَّا السُّورُ أو الأَسْبَاعُ؛ فلِما وَقَعَ فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك، ولِما فيها من الثَّنَاءِ، كأنها تُثني على الله تعالى بأفعاله العظيمة وصفاته الحسنى. و﴿مَنْ﴾ إمَّا للبيان أو للتبويض إذا أردت بالسبع الفاتحة أو الطُول، وللبيان إذا أردت الأَسْبَاع. ويجوزُ أن يكونَ كُتِبَ اللهُ كُلُّها مَثَانِي؛ لأنها تُثني

قولُهُ: (وقيل: هي أَل حَم) عطفٌ على قولِهِ: «وَهِيَ الطَّوْلُ»، أي: السُّورُ الْمُخْتَصَّةُ بِذِكْرِ حَم في أوائلها، فإنَّهِنَّ جَماعَةٌ: سُورٌ اجْتَمَعْنَ اجْتِمَاعَ القَرَابَاتِ، ولأنَّ الأَلَّ إِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ في قَرَابَاتٍ مَن لهُ شَأْنٌ ورفعة، كما يقال: أَلٌ مُحَمَّدٍ وَأَلٌ إِبْرَاهِيمَ، وقال تعالى: ﴿وَمِمَّا تَرَكَ آءَالُ مُوسَى وَآءَالُ هَارُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

قولُهُ: (مثناة - وروِي: «مثناة» عن نُسخةِ المصنِّف - أو مثنية)، أي: المَثَانِي واحدُها: إمَّا مثناة؛ موضع الشيء، أو مثنية؛ اسمُ فاعلٍ، والتأنيثُ لكونِها صفةً آية، فإنَّ الآيةَ إمَّا أن تُثني مكررةً، أو هي مثنية، كأنها تُثني على الله بصفاته الحسنى، على الإسنادِ المجازيِّ، أو الاستعارة المكنية.

قولُهُ: (وَأَمَّا السُّورُ) عطفٌ من حيث المعنى على قولِهِ: «لأنَّ الفاتحةَ» ممَّا تُكْرَرُ، والتقديرُ: أمَّا الفاتحةُ فكذا، «وَأَمَّا السُّورُ» فكذا، كقولِهِ تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ﴾ [آل عمران: 7] بعد قولِهِ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم رِيبٌ﴾، كما سبق في موضعه.

قولُهُ: (وللبيان إذا أردت الأَسْبَاع) فلا يجوزُ على هذا البعْضِيَّةِ كما جازت في الصُّورَتَيْنِ،

(١) زاد في (ط): «أي: موسى وهارون»!

عليه، ولما فيها من المواعظِ المُكرَّرة، ويكونُ القرآنُ بعضُها. فإن قلت: كيف صحَّ عَطْفُ القرآنِ العظيمِ على السَّبْعِ، وهل هو إلا عطفُ الشيءِ على نفسه؟ قلت: إذا عني بالسبعِ الفاتحةُ أو الطَّوَال، فما وراءَهِنَّ ينطلقُ عليه اسمُ القرآن؛ لأنه اسمٌ يقعُ على البعضِ كما يقعُ على الكلِّ، ألا ترى إلى قوله: ﴿بِمَا أَرْحَبْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ [يوسف: ٣] يعني سورةَ يوسف؟ وإذا عَنَيْتِ الأَسْبَاعَ؛ فالمعنى: ولقد آتيناك ما يقالُ له: السَّبْعُ المثنائي والقرآنُ العظيم، أي: الجامعُ لهذَيْنِ النعتَيْنِ؛ وهو الشَّاءُ - أو الشَّئْبَةُ - والعِظَمُ.

[﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ \* وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ ٨٨-٨٩]

أي: لا تَطْمَحْ بِبَصْرِكَ طَمُوحٍ رَاغِبٍ فِيهِ مَتَمِّنٌ لَهُ ﴿إِنَّ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾: أصنافاً من الكفَّار. فإن قلت: كيف وصلَ هذا بما قبْلَه؟ قلت: يقولُ لرسوله ﷺ:

لأنَّ القرآنَ في نفسه أسباع، قال الزجاجُ: دخلت «من» للتبعيض، أي: ولقد آتيناك سبعَ آياتٍ من جملةِ الآيات التي يُسْنَى بها على الله تعالى، وآتيناك القرآنَ العظيم، ويجوزُ أن تكونَ السَّبْعُ هي المثنائي، وأن تكونَ «من» للصفة، كقوله تعالى: ﴿فَأَجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الحج: ٣٠] أي: فاجتنبوا الأوثان<sup>(١)</sup>.

قوله: (ولقد آتيناك ما يُقالُ له: السَّبْعُ المثنائي والقرآنُ العظيم)، وهو كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيكَةَ﴾ [الأنبياء: ٤٨] أي: كتاباً جامعاً بينَ هذَيْنِ الوصفَيْنِ.

قوله: (أصنافاً من الكفَّار) تفسيرٌ لقوله: ﴿أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾. الرَّاغِبُ: الرَّوْجُ يقالُ لكلِّ من القرينيين، من الذَّكْرِ والأنثى، كالحَيواناتِ المتزاوجة، وفي غيرها كالحُفِّ والنَّعْلِ، ولكلِّ ما يُقَرَّنُ بآخرٍ مُثابِلاً له أو مُضاداً، قال تعالى: ﴿أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢].

(١) «معاني القرآن وإعرابه» (٣: ١٨٤).

قد أُوتيت النعمة العظمى التي كلُّ نعمةٍ وإن عظمتُ فهي إليها حقيرةٌ ضئيلةٌ؛ وهي القرآن العظيم؛ فعليك أن تستغنيَ به، ولا تمدنَّ عينيكِ إلى متاع الدنيا. ومنه الحديث: «ليسَ منّا من لم يتغنَّ بالقرآن»، وحديثُ أبي بكر: «من أوتيَ القرآنَ فرأى أنَّ أحدًا أُوتيَ من الدنيا أفضلَ ممّا أُوتيَ؛ فقد صَغَرَ عظيمًا وعَظَمَ صغيرًا». وقيل: وافَتْ من بُصرى

أي: أقرائهم المُتقدِّينَ بهم في أفعالهم، قال تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنَّهُمْ﴾ [الحجر: ٨٨]، أي: أشباهاً وأقراناً<sup>(١)</sup>.

قوله: (ليسَ منّا من لم يتغنَّ بالقرآن)، قلتُ: هذا لا يصلحُ للاستشهاد، لما رَويناهُ عن أبي داود، عن أبي لُبابة: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ليسَ منّا من لم يتغنَّ بالقرآن»<sup>(٢)</sup>، قال: فقلتُ لابنِ أبي مُليكة: يا أبا محمَّد، أرايتَ إذا لم يكنْ حَسَنَ الصَّوتِ؟ قال: يُحَسِّنُهُ ما استطاع. النِّهاية: وَيَشْهَدُ لَهُ الْحَدِيثُ الْآخَرُ: «زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ»<sup>(٣)</sup>، وكُلُّ مَنْ رَفَعَ صَوْتَهُ وَوَالَاهُ فَصَوْتُهُ عِنْدَ الْعَرَبِ غِنَاءٌ.

قال في «الانتصاف»: حَمَلَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْحَدِيثَ عَلَى الْغِنَاءِ وَقَالُوا: يُغْنِي يُبْنِي<sup>(٤)</sup> مِنَ الْغِنَاءِ الْمَمْدُودِ، لَا مِنَ الْغِنَى الْمَقْصُورِ، وَإِنْ فَعَلَهُ اسْتَغْنَى خَاصَّةً، وَقَدْ وَجَدْتُ بِنَاءَ «تَغْنَى» مِنَ الْغِنَى الْمَقْصُورِ، فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ سِتْرٌ فَرَجُلٌ رَبَطَهَا تَغْنِيًا وَتَعْفُفًا»، وَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الْغِنَى الْمَقْصُورِ، وَهُوَ مُصَدَّرٌ «تَغْنَى»، فَدَلَّ عَلَى جَوَازِ اسْتِعْمَالِهِ فِي الْبِنَاءِ جَمِيعًا<sup>(٥)</sup>.

قال الجوهريُّ: الْغِنَاءُ بِالْكَسْرِ: مِنَ السَّعَاءِ، وَالْمَقْصُورُ: الْيَسَارُ، أَي: اسْتَغْنَى وَأَغْنَاهُ اللَّهُ.

(١) «مفردات القرآن»، ص ٣٨٤.

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٦٨)، وهو ثابتٌ في «صحيح البخاري» (٧٥٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أبو داود (١٤٦٥)، وابن ماجه (١٣٤٢)، والدارمي (٢: ٥٦٥)، وصححه الحاكم في «المستدرک» (١: ٥٧١) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٤) سقط لفظ «يُبْنِي» من النسخة (ف).

(٥) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٢: ٥٨٨) والحديث المذكور أخرجه البخاري (٤٩٦٢)، ومسلم

(٩٨٧)، وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وأذرعَات سبعُ قوافلٍ ليهودِ بني قريظة والنَّصير، فيها أنواعُ البرِّ والطَّيب والجوهر وسائر الأمتعة، فقال المسلمون: لو كانت هذه الأموال لنا لتقويننا بها، ولأنفقناها في سبيل الله، فقال لهم الله عزَّ وعلا: لقد أعطيتكم سبعَ آيات هي خيرٌ من هذه القوافلِ السَّبْع. ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لا تمننَ أموالهم ولا تحزنَ عليهم أنهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الإسلامُ ويتعشُّ بهم المؤمنون، وتواضعَ لمن معك من فقراء المؤمنين وضَعفائهم، وطبَّ نفساً عن إيمان الأغنياء والأقوياء، ﴿وَقُلْ﴾ لهم: ﴿إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ أنذركم ببيان وبرهان أن عذاب الله نازلٌ بكم.

[﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ \* الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩٠-٩١﴾]

فإن قلت: بم تعلق قوله: ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا﴾؟ قلت: فيه وجهان:

أحدهما: أن يتعلق بقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ﴾ [الحجر: ٨٧]، أي: أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا على أهل الكتاب، وهم المقتسمون ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ حيث قالوا بعنادهم وعدوانهم: بعضه حقٌّ موافقٌ للتوراة والإنجيل، وبعضه باطلٌ مخالفٌ لهما، فافتسموه إلى حقٍّ وباطلٍ، وعصوه. وقيل: كانوا يستهزئون به فيقول بعضهم: سورة البقرة لي، ويقول الآخر: سورة آل عمران لي. ويجوز أن يُراد بالقرآن: ما يقرؤه من كتبهم، وقد افتسموه بتخريفهم، وبأن اليهود أقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض، والنصارى أقرت ببعض الإنجيل وكذبت ببعض، .....

قوله: (وعصوه) بفتح الضاد، أي: جعلوا القرآن أعضاء، أي: أجزاء<sup>(١)</sup>، قيل: أمر الله أن يكونوا الرسول الله معززين فكانوا عليه عزيين، وأن يجعلوا القرآن عِظَات، فجعلوه عِضِينَ.

قوله: (وقيل: كانوا يستهزئون به) عطفٌ على قوله: «قالوا بعنادهم وعدوانهم»<sup>(٢)</sup>.

(١) قوله: «أعضاء، أي: أجزاء» سقط من (ف).

(٢) في النسخة (ح): و«غباوتهم».

وهذه تسليية لرسول الله ﷺ عن صنيع قومه بالقرآن وتكذيبهم، وقولهم: سحر وشعر وأساطير، بأن غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم.

والثاني: أن يتعلق بقوله: ﴿ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴾ [الحجر: ٨٩]، أي: وأنذر قريشاً مثل ما أنزلنا من العذاب على المقتسمين، يعني اليهود، وهو ما جرى على قريظة والنضير، جعل المتوَّع بمنزلة الواقع، وهو من الإعجاز؛ لأنه إخبار بما سيكون، وقد كان. ويجوز أن يكون ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾ منصوباً بـ ﴿ النَّذِيرُ ﴾، أي: أنذر المعصين الذين يُجزئون القرآن إلى سحر وشعر وأساطير، مثل ما أنزلنا على المقتسمين؛ وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم، ففعدوا في كل مدخل متفرقين؛ لينفروا الناس عن الإيمان برسول الله ﷺ، يقول بعضهم: لا تغتروا بالخارج

قوله: (وهذه تسليية لرسول الله ﷺ)، أجاب عن السؤال بوجهين: أحدهما: أن يتعلق ﴿ كَمَا أَنْزَلْنَا ﴾ بقوله: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا ﴾ والمقتسمون: اليهود والنصارى، وهم إما اقتسموا القرآن أجزاء استهزاء واقتسموا كتبهم تحريفاً فأقروا ببعض، وكذبوا<sup>(١)</sup> ببعض، ومكان التسليية هذا الثاني، وذلك أن قريشاً لما جزأوا القرآن إلى سحر وشعر وأساطير، قيل له ﷺ: لا تحزن، ولا يكن في صدرك حرج، وللقرآن أسوة بالتوراة والإنجيل، وإليه الإشارة بقوله: «وهذه تسليية» بأن غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم بالقرآن بعنادهم وعداوتهم.

قوله: (ويجوز أن يكون ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾ منصوباً بـ ﴿ النَّذِيرُ ﴾) عطف على قوله: «وهم المقتسمون الذين جعلوا القرآن عِضِينَ» لأنه على ذلك التقدير مجرور: صفة للمقتسمين، وعلى الأول النذير مُطلق في المنذر والمنذر به، وعلى هذا المنذر: الذين جعلوا القرآن عِضِينَ، والمنذر به ﴿ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> وإليه الإشارة بقوله: «أنذر المعصين» وهو بفتح العين: جمع مُعَصٍّ: اسم فاعل من: عَصَى الشاة؛ إذا جزأها.

(١) في (ط): «وكفروا».

(٢) من قوله: «وعلى الأول النذير مُطلق» إلى هنا سقط من (ف).



متاً؛ فإنه ساحر، ويقول الآخر: كذاب، والآخر: شاعر، فأهلكهم الله يوم بدر وقبلة بأفات، كالوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، وغيرهم، أو: مثل ما أنزلنا على الرهط الذين تقاسموا على أن يبيتوا صالحاً عليه السلام، والاققسام: بمعنى التقاسم. فإن قلت: إذا علقت قوله: ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا﴾ بقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ﴾ [الحجر: ٨٧]، فما معنى توسط ﴿لَا تَمَدَّنْ﴾ [الحجر: ٨٨] إلى آخره، بينهما؟ قلت: لما كان ذلك تسلياً لرسول الله ﷺ عن تكذيبهم وعداوتهم، اعترض بها هو مدد لمعنى

قوله: (على أن يبيتوا صالحاً)، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾ [النمل: ٤٩]، والقصة المذكورة في تفسير هذه الآية.

قوله: (لما كان ذلك تسلياً لرسول الله ﷺ) أي: لما كان تشبيه إنزال السبع المثاني بإنزال الكتابين على المقتسمين من اليهود والنصارى على ما سبق تسلياً لرسول الله ﷺ، ولم يكن قوله: ﴿لَا تَمَدَّنْ﴾ الآية تسلياً مثلها، فلم يكن اعتراضاً تاماً، قال: «اعترض بها هو مدد لمعنى التسليّة»؛ لأن الجملة المعترضة مؤكدة لمضمون المعترض فيه، وهذا مؤكّد للازمه، وذلك أن التسليّة إنما يصار إليها إذا وجد الحزن والكآبة من الشخص مما لا يلائمه<sup>(١)</sup>، فكما يحصل ذلك من جهة المستهزئين الذين يجعلون القرآن عِضِينَ، كذلك يحصل من جهة الالتفات إلى ما متّع به الكفار من زهرة الحياة الدنيا، وكما يشغله الأول من أن يقبل بمجاميعه على المؤمنين كذلك الثاني، وإليه أشار بقوله: «ومن الأمر بأن يقبل بمجاميعه على المؤمنين». ويمكن أن يدخل ذلك في حيز التشبيه، وأن يقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَتَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ وهيناك عن أن تمد عينيك إلى ما متّعنا به أزواجاً منهم، كذلك أنزلنا على أهل الكتاب الكتاب العظيم المعظمين، وقلنا لهم: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَاقِبَتِكُمْ قَلِيلًا﴾، فلا تكن مثلهم حيث أخذوا إلى الأرض، ومالوا إلى حطام الدنيا وزخرفها، وحرّفوها فآمنوا ببعض وكفروا ببعض. وهذا الوجه أحسن؛ لأن التشبيه تمثيلي، وكلما كان أكثر تفصيلاً كان أدخل في الحسن، وعلى هذا لا يكون تسلياً، بل يكون من باب الإلهاب والتهيج، كقوله تعالى:

(١) في (ط): «مما يلائمه».

التَّسْلِيَةِ مِنَ النَّهْيِ عَنِ الِالْتِفَاتِ إِلَى دُنْيَاهُمْ وَالتَّأْسُفِ عَلَى كُفْرِهِمْ، وَمِنَ الْأَمْرِ بِأَنْ يُقْبَلَ بِمَجَامِعِهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ. ﴿عِضِينَ﴾: أَجْزَاءٌ، جَمْعُ عِضَّةٍ، وَأَصْلُهَا: عِضْوَةٌ؛ فِعْلَةٌ، مِنْ: عَضَى الشَّاةُ؛ إِذَا جَعَلَهَا أَعْضَاءً. قَالَ رُؤْبَةُ:

وَلَيْسَ دِينُ اللَّهِ بِالْمَعْضِيِّ

وقيل: هي فِعْلَةٌ، مِنْ عَضَّهْتُه؛ إِذَا بَهَّتَهُ. وَعَنْ عِكْرَمَةَ: الْعِضَّةُ: السَّحْرُ، بَلْغَةُ قُرَيْشٍ، يَقُولُونَ لِلْسَّاحِرَةِ: عَاضِهَةٌ.

وَلَعَنَّ النَّبِيَّ ﷺ الْعَاضِهَةَ وَالْمُسْتَعْضِهَةَ. نُقِصَاتُهَا عَلَى الْأَوَّلِ وَآوٍ، وَعَلَى الثَّانِي هَاءٌ.

﴿فَوَرَّيْكَ لَنَسْتَأْتَهُنَّ أَجْمَعِينَ \* عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [٩٢-٩٣]

﴿لَنَسْتَأْتَهُنَّ﴾: عِبَارَةٌ عَنِ الْوَعِيدِ. وَقِيلَ: يَسْأَلُهُمْ سُؤَالَ تَقْرِيعٍ. وَعَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ: يَسْأَلُ الْعِبَادَ عَنْ خَلَّتَيْنِ: عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ، وَمَاذَا أَجَابُوا الْمُرْسَلِينَ.

﴿فَأَصْدَعِ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [٩٤]

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمَازِينِ﴾ [يونس: ٩٤] مِنَ الْمُشْرِكِينَ، أَوْ أَنْ يُحَاطَبَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَالْمَرَادُ أُمَّتُهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَوْلُهُ: ﴿عِضِينَ﴾: أَجْزَاءٌ قَالَ الْوَاحِدِيُّ: ﴿عِضِينَ﴾: جَمْعُ عِضَّةٍ، مِثْلُ: عِزَّةٍ وَعِزِينَ، مِنْ: عَضَيْتُ الشَّيْءَ: إِذَا فَرَّقْتَهُ، وَكُلُّ فِرْقَةٍ عِضَّةٌ<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ: (هِيَ فِعْلَةٌ مِنْ عَضَّهْتُه)، قَالَ السَّجَاوَنْدِيُّ: أَوْ هُوَ عَضَّهْتُه، كَأَصْلِ «شَفَّةٍ»: شَفَّهْتُه، أَي: الْكُذِبَ أَوْ الْبَهْتَ أَوْ السَّحْرَ، مُشْتَقٌّ مِنَ الْعَضَاءِ؛ لِأَنَّهُ يُؤْذِي وَيَجْرَحُ كَالشُّوكِ، وَجَمْعُ سَلَامَتِهِ عَوْضٌ نُقِصَانَ الْوَاوِ وَالْهَاءِ، نَحْوُ: عِزِينَ وَثَبِينَ.

قَوْلُهُ: (وَقِيلَ: يَسْأَلُهُمْ سُؤَالَ تَقْرِيعٍ) وَعَلَى الْأَوَّلِ، لَمْ يُرْذَبِ السُّؤَالُ، وَإِنَّمَا هُوَ كِنَايَةٌ عَنِ مَجْرَدِ الْوَعِيدِ، كَمَا تَقُولُ لِمَنْ تُهَدِّدُهُ: إِنَّمَا تُسْأَلُ عَمَّا تَفْعَلُ، أَي: نُجَازِيكَ بِهِ.

(١) «الوسيط» للواحدى (٣: ٥٢).

﴿ فَأَصْدَعُ بِمَا تَوَمَّرُ ﴾: فاجهز به وأظهره. يقال: صدع بالحجة؛ إذا تكلم بها جهاراً، كقولك: صرح بها، من الصديق؛ وهو الفجر، والصدع في الزجاجة: الإبانة. وقيل: ﴿ فَأَصْدَعُ ﴾: فافرق بين الحق والباطل بما توَمَّر، والمعنى: بما توَمَّر به من الشرائع، فحذف الجار، كقوله:

أمرتك الحير فافعل ما أمرت به

ويجوز أن تكون «ما» مصدرية، أي: بأمرك، مصدر من المبني للمفعول.

[﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ \* الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾]

[٩٦-٩٥]

عن عروة بن الزبير في المستهزين: هم خمسة نفر ذؤوب أسنان وشرف: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن عبد يغوث، والأسود بن المطلب، والحارث ابن الطلائفة.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: ماتوا كلهم قبل بذر. قال جبريل عليه السلام

قوله: (والصدع في الزجاجة)، الراغب: الصدع: الشق في الأجسام، كالزجاجة والحديد، يقال: صدعته فأنصدع، وصدعته فتصدع، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَذُودُ بِيَدِهِ يَصَدِّعُونَ﴾ [الزوم: ٤٣]، ومنه استعير: صدع الأمر، قال تعالى: ﴿ فَأَصْدَعُ بِمَا تَوَمَّرُ ﴾، وكذا استعير منه: الصداع، وهو شبه الانشقاق في الرأس من الوجع، قال تعالى: ﴿ لَا يَصَدِّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ ﴾ [الواقعة: ١٩]، ومنه: الصديق؛ للفجر، وصدعت الفلاة<sup>(١)</sup>: قطعها، وتصدع القوم: تفرقوا<sup>(٢)</sup>.

قوله: (مصدر من المبني للمفعول)، أي: بمأموريتك، ومثله: ﴿لَأَنْشُرَ آسَدًا رَهَبَةً﴾ [الحشر: ١٣] أي: مرهوبة. وقوله: ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ﴾ [الروم: ١]، أي: مغلوبيتهم.

(١) في النسخة (ف): «القلادة»، وهو خطأ.

(٢) «مفردات القرآن»، ص ٤٧٨.

للنبي ﷺ: أَمَرْتُ أَنْ أَكْفِيَكُمْ، فأومأ إلى ساق الوليد؛ فَمَرَّ بِنَّالٍ فَتَعَلَّقَ بِثُوبِهِ سَهْمًا، فلم ينعطف؛ تعظماً لأخذه، فأصاب عِرْقاً في عقبه ففقطعه؛ فهات، وأومأ إلى أخصر العاصم بن وائل؛ فدخلت فيها شوكة، فقال: لُدِغْتُ لُدِغْتُ، وانتفخت رجله، حتى صارت كالرَّحَى ومات، وأشار إلى عَيْنِي الْأَسْوَدِ بْنِ الْمُطَّلَبِ؛ فَعَمِي، وأشار إلى أَنْفِ الْحَارِثِ بْنِ قَيْسٍ؛ فامتخط قَيْحاً فهات، وإلى الْأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ يَعُوثَ وهو قاعدٌ في أصل شجرة؛ فَجَعَلَ يَنْطَحُ رَأْسَهُ بِالشَّجَرَةِ وَيَضْرِبُ وَجْهَهُ بِالشُّوكِ حتى مات.

[ ﴿وَلَقَدْ نَعَّمْنَا أَنْكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ \* فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ \*  
وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [٩٧-٩٩]

﴿بِمَا يَقُولُونَ﴾ من أقاويل الطاعنين فيك وفي القرآن، ﴿فَسَبِّحْ﴾: فافزع فيما نابك إلى الله، والفرع إلى الله: هو الذكر الدائم وكثرة السجود؛ يَكْفِكَ وَيَكْشِفُ عَنْكَ الغم، ودُم على عبادة ربك ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ أي: الموت، أي: ما دمت حياً فلا تُخَلَّ بالعبادة.

قوله: ﴿فَسَبِّحْ﴾ فافزع فيما نابك إلى الله، يريد أن قوله: ﴿فَسَبِّحْ﴾ أمرٌ بإزالة ما كان يلحقه من ضيق الصدر، وفي الحقيقة المزيل هو الفرع إلى الله تعالى، فوضع التسبيح موضع اللجأ، واللجأ إلى الخلق بالدخول في كنفه، واللحوق إلى خفارته، وإلى الله بالتضرع إليه بالذكر الدائم والخضوع بين يديه بالسجود المتوالي.

قوله: ﴿يَكْفِكَ وَيَكْشِفُ عَنْكَ الغم﴾: جواب الأمر، وهو ﴿فَسَبِّحْ﴾.

قوله: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ أي: الموت، أي: ما دمت حياً فلا تُخَلَّ بالعبادة، قال محيي السنة: هذا معنى قوله: ﴿وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾<sup>(١)</sup> [مريم: ٣١]. وقال الإمام: سُمِّيَ الموتُ يقيناً، لأنه أمرٌ متيقن<sup>(٢)</sup>.

(١) «معالم التنزيل» (٤: ٣٩٧).

(٢) «مفاتيح الغيب» (١٩: ٢١٦).

وقال الراغب: اليقين من صفة العلم، فوق المعرفة والدراية وأخواتها، يقال: علم يقين، ولا يقال: معرفة يقين، وهو سكون النفس مع ثبات الحكم، يقال: استيقن وأيقن<sup>(١)</sup>.

أما دلالة النظم عليه، فإن في عطف ﴿وَأَعْبُدْ﴾ على ﴿فَسَبِّحْ﴾ وترتيبه بالفاء، على قوله: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ يَضِيقُ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ بعد الأمر بالإعراض عن المشركين إشعاراً بمُتَارَكَةِ القومِ والإقناطِ من إيمانهم، أي: بذلتُ جهدك واستقرغت ما في وسعك من الإنذارِ والتبليغِ، فأعرض عنهم، وفوض أمرهم إلى مقتضى قولنا: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ كما قال في حم: ﴿وَقِيلِهِ يَرْبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ \* فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٩] واشتغل بها هو مختص بك من العبادة حتى تختار جوار الرفيق الأعلى.

وأما ما رواه السلمي<sup>(٢)</sup> عن الواسطي<sup>(٣)</sup>: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ﴾ لا تلاحظ غيره في الأوقات ﴿حَقًّا يَا نَيْكَ الْيَقِينُ﴾ فيتحقق عندك أنك لا تحس بغير الحق، ولا ترى إلا الحق، ولا يجاذبك إلا الحق<sup>(٤)</sup>، فهو إشارة إلى الإرشاد إلى العروج في درجات العبودية والترقي إلى مقام رفع الحول والقوة إلا بالله كما ورد في الحديث القدسي: «ما يتقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته»<sup>(٥)</sup> عليه، ولا يزال يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني أعطيتُه، وإن استعاذني أعدتُه... الحديث، أخرجه البخاري عن أبي هريرة<sup>(٦)</sup>.

(١) «مفردات القرآن»، ص ٨٩٢.

(٢) يعني أبا عبد الرحمن السلمي صاحب: «حقائق التفسير».

(٣) أبو بكر محمد بن موسى (ت ٣٢٠هـ) من قدماء أصحاب الجنييد وأبي الحسين النوري، وكلامه في أصول التصوف كلامٌ بديعٌ وصادر عن ذوقٍ وتمكّن. له ترجمة في «حلية الأولياء» (١٠: ٣٤٩)، و«طبقات الصوفية» لأبي عبد الرحمن السلمي، ص ٣٠٢.

(٤) ذكره السلمي في «حقائق التفسير» (١: ٣٦١).

(٥) في النسخة (ح): «من أداء ما افترضته»، وفي (ط): «من أداء ما افترضت».

(٦) «صحيح البخاري» (٦٥٠٢) وتفرد به من بين أصحاب الكتب الستة، وأخرجه أبو نعيم في «حلية =

وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ قَوْلَهُ: ﴿فَسَيَحِبِّمَدْرَبِكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ لَمَّا كَانَ حُكْمًا مَرْتَبًا عَلَى قَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ صِدْرًا بِمَا يَقُولُونَ﴾ وفيه<sup>(١)</sup> إرشادٌ إلى إزالة ذلك الضيق الذي هُوَ نتيجة القَلْبِ والاضطرابِ لِأَجْلِ النَّظَرِ إِلَى الْغَيْرِ فِي ضَيْقِ عَالَمِ الشَّهَادَةِ بِالْأَخْذِ بِالتَّسْبِيحِ وَالْعِبَادَةِ الْمُؤَدِّيَ إِلَى حَصُولِ ثَلَجِ الْيَقِينِ، وَانْشِرَاحِ الصَّدْرِ بِسَبَبِ النَّظَرِ إِلَى فُسْحَةِ عَالَمِ الْغَيْبِ، وَأَنَّ الْكَائِنَاتِ تَابِعَةٌ لِمَرَادِ اللَّهِ وَمَقْتَضَى مَشِيئَتِهِ وَحِكْمَتِهِ، اسْتِقَامَ إِجْرَاءِ الْيَقِينِ عَلَى حَقِيقَتِهِ، أَي: اْعْبُدْ رَبَّكَ لَكِي يَتَحَقَّقَ لَكَ ذَلِكَ، فَيَزُولَ عَنْكَ ذَلِكَ، وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى يَنْظُرُ قَوْلُهُ: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥]، وَمَا رَوَيْنَا عَنْ أَبِي دَاوُدَ، عَنْ حُدَيْفَةَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ فَرَعَ إِلَى الصَّلَاةِ<sup>(٢)</sup>.

وَرَوَى السُّلَمِيُّ عَنْ بَعْضِهِمْ: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ﴾: انْقِطَاعًا إِلَيْهِ وَاعْتِمَادًا عَلَيْهِ، ﴿حَتَّى يَأْتِيكَ الْيَقِينُ﴾ بِأَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ إِلَى اللَّهِ، وَهُوَ مَتَوَلَّى إِضْلَالٍ مِّنْ ضَلٍّ وَهَدَايَةٍ مِّنْ هُدًى<sup>(٣)</sup>، وَعَنِ الْوَاسِطِيِّ: ﴿حَتَّى يَأْتِيكَ الْيَقِينُ﴾ أَنَّهُ لَا إِلَهَ يَسْوَكَ إِلَيْكَ الْمَكَارَةَ وَيَصْرِفُهَا عَنْكَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا إِلَهَ يَسْوَكَ إِلَيْكَ الْمَحَابَّ<sup>(٤)</sup> وَيَصْرِفُهَا عَنْكَ إِلَّا هُوَ<sup>(٥)</sup>.

وَبِهَذَا انْكَشَفَ أَنَّ عِبَادَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُمْدَةُ الْعُظْمَى، وَالْمَقْصِدُ الْأَقْصَى، وَبِهَاتَيْنِ الدَّرَجَاتِ الْعُلْيَا، وَلَوْ أَنَّ أَحَدًا اسْتَغْنَى عَنْهَا لَكَانَ أَفْضَلَ الْخَلْقِ أَوْلَى وَأَحْرَى، وَكَيْفَ لَا وَمَا شَرَفَ بِهَا شَرَفَ بِهِ فِي أَشْرَفِ مَقَامَاتِهِ إِلَّا بِتَشْرِيفٍ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١]؟

= الأولياء» (٤: ١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣: ٣٤٦)، والبغوي في «شرح السنة» (١٢٤٨). قال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (٢: ٣٣٠): «هو من غرائب الصحيح».

(١) من قوله: «ويمكن أن يقال: إن قوله:» إلى هنا سقط من (ح).

(٢) أخرجه أبو داود (١٣١٨)، وهو في «مسند أحمد» (٢٣٢٩٩)، و«مسند أبي عوانة» (٦٨٤٢)، و«دلائل

النبوة» للبيهقي (٣: ٤٥١)، وفي إسناده ضعفٌ، ولتأمام الفائدة انظر التعليق على «مسند أحمد».

(٣) «حقائق التفسير» (١: ٣٦١).

(٤) قوله: «ويصرفها عنك إلا الله، ولا إله يسوق إليك المحاب» سقط من (ط).

(٥) «حقائق التفسير» (١: ٣٦١).

وعن النبي ﷺ: أنه كان إذا حَزَبَهُ أمرٌ فزَع إلى الصلاة.

عن رسول الله ﷺ: «مَنْ قرأ سورةَ الحِجْرِ كانَ له مِنَ الأجرِ عشرُ حَسَنَاتٍ بعددِ المهاجرين والأنصار، والمستَهزئين بمحمدٍ ﷺ».

ورَوَى السُّلَمِيُّ عن ابنِ عطاء: لم يَرُضَ اللهُ من نبيِّه ﷺ لمحَّةَ عَيْنٍ إلا في عبادتِه<sup>(١)</sup>.  
واللهُ أعلمُ بأسرارِ كلامِه.

\* \* \*

(١) «حقائق التفسير» (١: ٣٦١).

سورة النحل  
مكيّة، غير ثلاث آيات في آخرها  
وهي مئة وثمان وعشرون آية، وتسمى سورة النعم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[﴿أَنزَلَ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ١]

كانوا يستعجلون ما وعدوا به من قيام الساعة أو نزول العذاب بهم يوم بدر؛ استهزاءً وتكذيباً بالوعد، فقبل لهم ﴿أَنزَلَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ الذي هو بمنزلة الآتي الواقع وإن

سُورَةُ النَّحْلِ  
وَتُسَمَّى سُوْرَةَ النَّعْمِ  
مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ مِئَةٌ وَثَمَانٌ وَعِشْرُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: ( ﴿أَنزَلَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ أي: هو بمنزلة الآتي الواقع)، الرَّاغِبُ: الإتيان: مجيءٌ بسهولة، ومنه قيل للسَّيْلِ المارُّ على وَجْهِهِ: أَتَى وَأَتَاوَيْ، وبه شُبِّهَ الغَرِيبُ، فقيل: أَتَاوَيْ، والإتيان: يُقَالُ للمَجِيءِ بالذَّاتِ وبالأَمْرِ وبالتدبير، ويقالُ في الخَيْرِ والشَّرِّ، وفي الأعيان والأعراض، قال تعالى: ﴿إِن أَنْتُمْ عَدَابُ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ٤٠] أي: بالأمر والتدبير، وقال: ﴿أَنزَلَ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]<sup>(١)</sup>.

(١) «مفردات القرآن»، ص ٦٠.



كان مُنتظراً؛ لُقرب وقوعه، ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ رُوي: أنه لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ [القمر: ١] قال الكفارُ فيما بينهم: إنَّ هذا يزعمُ أنَّ القيامةَ قد قُرِبت، فأَمِسُّوا عن بعض ما تَعْمَلُونَ حتى نَنظُرَ ما هو كائن، فلَمَّا تَأَخَّرَتْ قالوا: ما نَرى شيئاً، فنَزَلَتْ: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١] فأشْفَقُوا، وانتَظَرُوا قُرْبَها، فلَمَّا امْتَدَّتْ الأيَّامُ قالوا: يا مُحَمَّد، ما نَرى شيئاً مِمَّا نَحْوُفُنَا به؛ فنَزَلَتْ: ﴿أَنَّى أَمُرُ اللهُ﴾، فَوَثَبَ رسولُ اللهِ ﷺ، ورفع الناسُ رؤوسهم؛ فنَزَلَتْ: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾؛ فاطمأننوا. وُقِرئ: ﴿تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ بالياء والياء. ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ تبرَّأ عزَّ وجلَّ عن أن يكونَ له شريك، وأن تكونَ آلهتهم له شركاء، أو عن إشراكهم. على أن «ما» موصولةٌ أو مُصدَريَّة. فإن قلت: كيف اتَّصَلَ هذا باستعجالهم؟ قلت: .....

وقال أيضاً: والعجالةُ: طلبُ الشيءِ وتحريه قبلَ أوامره، وهي من مقتضى الشهوة، فلذلك صارت مدمومةً في عامة التنزيل<sup>(١)</sup>، حتى قيل: العجالةُ من الشيطان، وقوله تعالى: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه: ٨٤] فذَكَرَ أنَّ عَجَلَتَهُ وإن كانت مدمومةً فالذي دعا إليها أمرٌ محمود، وهو طلبُ رضى الله، وقوله تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧]، قال بعضهم: من همًا، وليس بشيء، بل ذلك تنبيهٌ على أنه لا يتعزى من ذلك، وأن ذلك إحدى القوى التي رُكِبَ عليها، وعلى ذلك قال: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ مَجْمُولًا﴾ [الإسراء: ١١]، والعجالةُ: ما يُعَجَّلُ أكله، كاللَّهْنَةِ<sup>(٢)</sup>. وهي السُّفْلَةُ، وهي ما يتعلَّلُ به الإنسانُ قبلَ إدراكِ الطعام. قوله: ﴿قُرئ: ﴿تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ بالياء والياء، بالتاء الفوقانية: هي المشهورة، وبالياء: شاذة<sup>(٣)</sup>.

قوله: (عن أن يكونَ له شريك)، هذا على أن تكونَ «ما»: موصولةٌ، وقوله: «وأن تكونَ آلهتهم شركاء» عطفٌ على سبيلِ البيان، وقوله: «أو عن إشراكهم» على أن «ما» مُصدَريَّة.

(١) في «مفردات القرآن»: «عامَّة القرآن»، انظر: ص ٥٤٨.

(٢) «مفردات القرآن»، ص ٥٤٨.

(٣) وممن قرأ بها سعيد بن جبير. انظر: «مختصر شواذ القرآن»، ص ٧٢.

لَأَنَّ اسْتِعْجَالَهُمْ اسْتِهْزَاءً وَتَكْذِيبَ، وَذَلِكَ مِنَ الشُّرْكِ. ....

قوله: (لَأَنَّ اسْتِعْجَالَهُمْ اسْتِهْزَاءً وَتَكْذِيبَ، وَذَلِكَ مِنَ الشُّرْكِ)، فـ«مِنَ» إما ابتدائية، فالمعنى: ذلك من أجلِ الشُّركِ وبسببه، أو تبعيضية، أي: وذلك بعضُ الشُّركِ، والمعنى على الوجْهين هو: أن من استهزأ بوعْدِ الله ووعيده، وكذبه فيما أثبت له العجز والقصور والاحتياج إلى الغير، أو أن أحداً يحجزه من إنجاز وعده وإمضاء وعيده، قال الإمام: قَالَ الكُفَّارُ: هَبْ أَنَا سَلَمْنَا لَكَ مَا تَقُولُ مِنْ أَنَّهُ تَعَالَى حَكَمَ بِإِنزَالِ الْعَذَابِ عَلَيْنَا إِلَّا أَنَا نَعْبُدُ هَذِهِ الْأَصْنَامَ فَإِنهَا شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ، فَتَشْفَعُ لَنَا فَتَنْخَلِصُ مِنَ الْعَذَابِ، فَأَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. وكذا لخص القاضي<sup>(١)</sup>.

وقلت: ويُمكن أن يقال: إن الخطاب في قوله: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ عامٌ يَدُلُّ عليه ما رواه لما نزلت ﴿أَفْتَرَيْتَ السَّاعَةَ﴾ [القمر: ١] إلى قوله: فنزلت ﴿أَنَّهُ أَمْرٌ لِلَّهِ﴾، فوثب النبي ﷺ ورفَع الناس رؤوسهم وظنوا أنها قد آتت حقيقة، فنزلت ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ فاطماتوا. ورواه محيي السنَّة بتامه، عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>، كأنه قيل: قَرَّبَ وَآتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ؛ لأن ما هُوَ آتٍ، كما يُقال لِمَنْ يَطْلُبُ الْإِغَاثَةَ، وَقَدْ قَرَّبَ حَصُولَهَا: جَاءَكَ الْغَوْثُ، ثُمَّ التَفَّتْ مِنَ الْخِطَابِ إِلَى الْغَيْبَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ نَعْيًا عَلَى الْمَشْرِكِينَ خَاصَّةً إِلَى غَيْرِهِمْ وَاسْتِعْجَادًا لِسَوْءِ صَنِيعِهِمْ، يَعْنِي: مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ أَوْلَيْكَ الْبُعْدَاءُ مَعَ هَذِهِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي ارْتَكَبُوهَا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ٥٠]، فما أبعدهم من قوم، وما أجهلهم من جيلٍ في إشرَاكهم بالله تعالى مع تعاضد الأدلة السَّمْعِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ فِي قَلْبِهِ<sup>(٣)</sup> وَاسْتِعْجَالِهِمْ فِيمَا يُرِيدُهُمْ!

وإلى السَّمْعِيَّةِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: ﴿يُنزِلُ الْمَلٰٓئِكَةَ﴾ [النحل: ٢] الآية، أي: يُنزِلُ اللَّهُ تَعَالَى مَلَائِكَتَهُ الْمُقْرَبِينَ مُلْتَبِسِينَ بِوَجْهِهِ وَكَلَامِهِ الَّذِي هُوَ بِمَنْزِلَةِ الرُّوحِ لِلْجَسَدِ وَبِمَثَابَةِ الْحَيَاةِ

(١) «مفاتيح الغيب» للفخر الرازي (١٩: ٢١٨)، و«أنوار التنزيل» لليضاوي (٣: ٣٨٤).

(٢) «معالم التنزيل» (٥: ٨)، وأخرجه الواحدي في «أسباب النزول»، ص ٣٢١، والطبري بنحوه في «جامع البيان» (١٤: ٧٥).

(٣) يعني قَلَعَ الشُّركَ واستنصالَهُ من نفوسهم وصدورهم الحرجة به.

وَقُرَى: ﴿يُشْرِكُونَ﴾ بالباء والياء.

للقلوب الميتة، ويختارُ لرسالته والإنذارِ بها الخيرةَ من عباده، والمصطفين من خلقه ليقيموا بالدعوة إلى التوحيد وبالامرِ بالتقوى الذي هو ملاكُ الدين.

وإلى العقلية الإشارة بقوله: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: ٣]، و﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾، وهما من كلا نوعي الدليل: الآفاقي والأنفسي، وضمَّ إلى الأول ما ابتدئ به من قوله: ﴿تَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ تقديرًا، وإلى الثاني قوله: ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّثَبِّبٌ﴾ تقريبًا، أي: خصيمٌ لربه مُنكِرٌ على خالقه، ووصفًا له بالإفراط في الوقاحة والجهل والتماذي في كفران النعمة، ثم شرع في بيان النعم السابغة والآلاء المتابعة إلى آخر السورة، ولذلك سُميت السورة بسورة النعم، وفي كل ذلك إشارة للمؤمنين إلى ترك الاستعجال والتأني في الأمور والاشتغال بالأهم والأخذ في الاستعداد<sup>(١)</sup>، وتأهب الزاد ليوم المعاد، بالتزام<sup>(٢)</sup> التوحيد، والذكر الدائم، والاكتماء بلباس التقوى، وتقدير الدلائل للإرشاد، والتذكير بالآء الله، شاكرين مُستعصمين بحبله، مُستمسكين بالعمرة الوثقى.

فإن قلت: ما موضع قوله: ﴿يُنزِلُ الْمَلَكَةَ﴾؟ قلت: إما حال من واو ﴿يُشْرِكُونَ﴾ مقررّة لجهة الإشكال، وإما استئناف لبيان الاستبعاد، وكذا قوله: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ﴾.

فإن قلت: فلم خولف بين العبارتين مُستقبلاً وماضياً مع اتحاد المعزى؟ قلت: للإيدان بالاستمرار في الأول إنزالاً غيباً وإنزال وإرسالاً بعد إرسال<sup>(٣)</sup>. والتحقيق في الثاني، والله أعلم.

قوله: (وقرى: ﴿يُشْرِكُونَ﴾، بالياء والتاء)، حزمة والكسائي: بالتاء الفوقانية، والباقون: بالياء، في الموضعين<sup>(٤)</sup>.

(١) في النسخة (ح): «بالاستعداد».

(٢) في (ط): «ليوم التناد بالتزام».

(٣) في النسخة (ح): «غيب».

(٤) انظر توجيه القراءتين في «حجة القراءات»، ص ٣٨٤-٣٨٥.

[﴿يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾]

فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾

﴿يُنزِّلُ﴾ قرئ بالتخفيف والتشديد، وقرئ: (تنزل الملائكة) أي: تنزل، ﴿بالروح﴾ من أمره: بما يحيي القلوب الميتة بالجهل من وحيه، أو: بما يقوم في الدين مقام الروح

قال القاضي: الياء التحتانية على تلوين الخطاب، أو على الخطاب للمؤمنين، أو لهم

ولغيرهم<sup>(١)</sup>.

قوله: (﴿يُنزِّلُ﴾ قرئ بالتخفيف والتشديد)، بالتخفيف: ابن كثير وأبو عمرو<sup>(٢)</sup>.

قوله: (بما يحيي القلوب الميتة بالجهل من وحيه)، «من»: بيان «ما»، تلخيصه: يُنزل الملائكة بالوحي، شبه الوحي تارة بالروح لما فيه من حياة الروح الميتة بالجهل، وأخرى بها لما يتزين به الدين كما تتزين الروح بالجسد، ثم أقيم المشبه به مقام المشبه، فصار استعارة تحقيقية مصرحة، والقرينة الصارفة عن إرادة الحقيقة: إبدال «أَنْ أَنْذِرُوا» من «الروح»، قيل: ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ مخرج الاستعارة إلى التشبيه، كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

قلت: بينهما بون بعيد؛ لأن نفس الفجر عين المشبه الذي شبه بالخطين، وليس مطلق الأمر هاهنا مشبهًا بالروح حتى يكون بيانًا له؛ لأنه أمر عام بمعنى الشأن والحال، ولهذا يصح أن يفسر الروح الحيواني به، كقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥] أي: من شأنه، ومما استأثر الله بعلمه، وأن يفسر الروح المراد منه الوحي به، أي: من شأنه ومما أنزله على أنبيائه. نعم، هو مجاز أيضًا؛ لأن الأمر العام إذا أُطلق على فرد من أفرادِه كان مجازًا، ومن ثم قال المصنف في قوله تعالى: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥]: الروح من أمره الذي هو سبب الحياة من أمره،

(١) «أنوار التنزيل» (٣: ٣٨٤).

(٢) وحجتها في التخفيف قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ [النحل: ٤٤]، وحجة الباقي في التثقيل

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ﴾ [الأنعام: ١١١]. انظر: «حجّة القراءات»، ص ٣٨٥.

في الجسد، و﴿أَنْ أَنْذِرُوا﴾ بدلٌ من الرُّوح، أي: يُنزلُهُم بأنْ أَنْذِرُوا، وتقديرُهُ: بأنه أَنْذِرُوا، أي: بأنَّ الشَّانَ: أقولُ لكم: أَنْذِرُوا. أو تكونُ ﴿أَنْ﴾ مُفسَّرة؛ لأنَّ تنزيلَ الملائكة بالوحيِّ فيه معنى القول. ومعنى ﴿أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾: أَعْلِمُوا بأنَّ الأمرَ ذلك، مِن: نَذَرْتُ بكذا؛ إذا عَلِمْتَهُ. والمعنى: يقول لهم: أَعْلِمُوا النَّاسَ قولي: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾.

يريدُ الوحي الذي هو أمرٌ بالحقِّ، وبعث إليه، فاستعارَ له الرُّوح. انتهى كلامُهُ<sup>(١)</sup>.

فيكونُ البيانُ والمبينُ كلاهما مجازينِ مترادفينِ، ولَمَّا كانَ البيانُ والمبينُ كشيءٍ واحد جمعَهما في قوله: ﴿الرُّوحُ مِنْ أَمْرِهِ﴾ الذي هو سببُ الحياة، وأيضًا لو كان تشبيهُها لفهم التشبيه على تقديرِ الوَقْفِ على أمرِهِ، والله أعلم.

قوله: (بأنَّ الشَّانَ أقولُ لكم)، عن بعضهم: إنَّها زادَ في التفسيرِ «أقولُ» لأنَّ الأمرَ لا يقعُ خبرًا للمبتدأ، وهو الشَّان. وقلتُ: يعني أنَّ ضميرَ الشَّانِ مبتدأ، و﴿أَنْذِرُوا﴾: خبرُهُ، وهو إنشَاءٌ، فلا بدَّ من تقديرِ القولِ ليصحَّ حملُ الإنشائيِّ على المبتدأ، وأمَّا تقديرُ «يقولُ» في الوجهِ الثاني، أي: يقولُ لهم اللهُ: أَعْلِمُوا النَّاسَ، فهو معنى ﴿يُنزِلُ الْمَلَائِكَةَ﴾، لأنَّهُ حيثُذ في تقديرِ القولِ، قال القاضي: الآيةُ تدلُّ على أنَّ نزولَ الوحيِّ بواسطةِ الملائكةِ، وأنَّ حاصلَهُ التنبيةُ على التوحيدِ الذي هو كمالُ القُوَّةِ العِلْمِيَّةِ، والأمرُ بالتقوى الذي هو أقصى كمالِ القُوَّةِ العَمَلِيَّةِ<sup>(٢)</sup>، وأنَّ النبوةَ عَطائِيَّةَ، والآياتُ التي بعدها دليلٌ على وُحْدَانِيَّتِهِ، من حيثُ إنها تدلُّ على أنه تعالى هو الموجدُ لأصولِ العالمِ وفُروعِهِ على وَفْقِ الحِكْمَةِ والمصلحةِ، ولو كان له شريكٌ لَقَدَرَ على ذلك، فيلزمُ التماثُ<sup>(٣)</sup>.

قوله: (أَعْلِمُوا بأنَّ الأمرُ ذلك) إنها فسَّرَ الإنذارَ بالإعلامِ ليستقيمَ إيقاعه على قوله: ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾، كقوله: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: (١٣: ٤٨٠-٤٨١).

(٢) قوله «والأمر بالتقوى الذي هو أقصى كمال القُوَّةِ العَمَلِيَّةِ» سقط من (ح) و(ط).

(٣) «أنوار التنزيل» (٣: ٣٨٥).

(٤) هذه الفقرة أثبتُّها من (ط)، وسقطت من (ح) و(ف).

[﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ

مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ ٣-٤]

ثم دَلَّ على وحدانيته وأنه لا إله إلا هو بما ذَكَرَ مما لا يقدرُ عليه غيره من خَلْقِ السماواتِ والأرضِ وخالقِ الإنسانِ وما يصلحُه، وما لا بدُّ له من خَلْقِ البهائمِ لأكله ورُكوبه وجرُّ أثقاله وسائرِ حاجاته، وخالقِ ما لا يعلمون من أصنافِ خلائقه، ومثله مُتعالٍ عن أن يُشركَ به غيره. وُقِرَى: ﴿يُشْرِكُونَ﴾ بالتاء والياء. ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ فيه معنيان: أحدهما: فإذا هو مُنطِيقٌ مُجادِلٌ عن نفسه مُكافِحٌ للخُصومِ مُبينٌ للحُجَّةِ، بعدما كان نُطفةً من منيِّ جَمادَا لا حِسَّ به ولا حَرَكةً؛ .....

قوله: (من خَلَقِ البهائمِ)، بيانُ ما يُصلِحُه، و«خالقٌ» فيه مُفحَمٌ للتأكيد.

قوله<sup>(١)</sup>: (وُقِرَى: ﴿يُشْرِكُونَ﴾) بالياء التحتاني: حمزة والكسائي<sup>(٢)</sup>.

قوله: (﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾: فيه معنيان)، يعني: في ترتبِ ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ على كونه نُطفةً معنيان، أحدهما: الإيدانُ بانتهاجِ حالتِي حِقارَتِهِ وعَظَمَتِهِ، وإفراطِهِ وتفريطِهِ<sup>(٣)</sup>، وثانيهما: الإشعارُ بتعكيسِ أمرِهِ حيث إنه تعالى نَقَلَهُ من أحسُّ أحوالِهِ إلى أشرفِها لِيُشكِّرَ فَكفَرَ، كقولِهِ تعالى: ﴿وَيَعْمَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢] وقلْتُ: هذا المعنى مُؤكِّدٌ لما فسَّرنا به قوله: ﴿أَنْتَ أَمْرٌ اللَّهُ فَلَا تَسْتَعِجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ من قولنا: ما أجهلُهم من جيلٍ في إشرَاقِهِم بالله تعالى مع تعاضُدِ الأدلةِ السَّمعيَّةِ والعقليةِ في فعلِهِ.

(١) هذه الفقرة سقطت من (ط).

(٢) الصوابُ أن حمزة والكسائي قد قرأا بالتاء المُوقانيَّة، وهو الذي جزم به ابن عطية في «المحرر الوجيز»، ص ١٠٨٣، ورجح الطبري القراءة بالتاء.

(٣) ونظيره قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ \* خُلِقَ مِنْ نَلْوٍ دَافِقٍ \* يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ السَّلْبِ وَالْأَرْأَبِ﴾ [الطارق:

دلالة على قدرته. والثاني: فإذا هو خَصِيم لربه، مُنكِر على خالقه، قائل: ﴿مَنْ يُعْجِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨]؛ وصفا للإنسان بالإفراط في الوقاحة والجَهْل، والتَّهادي في كُفران النعمة. وقيل: نزلت في أبي بن خلف الجُمحي حين جاء بالعظم الرَّميم إلى النبي ﷺ، فقال: يا محمد، أترى الله يُجيبني هذا بعدما قدرم؟!]

[﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [٥]

الأنعام: الأزواج الثمانية، وأكثر ما تقع على الإبل، وانتصابها بمُضمر يفسره الظاهر، كقوله: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْتَهُ﴾ [يس: ٣٩]، ويجوز أن يُعطف على ﴿الْإِنْسَانَ﴾ [النحل: ٤]. أي: خلق الإنسان والأنعام، ثم قال: ﴿خَلَقَهَا لَكُمْ﴾ أي: ما خلقها إلا لكم ولمصالحكم يا جنس الإنسان. والدَّفء: اسم ما يُدْفأ به، كما أن المِلء اسم ما يُمَلأ به،

قوله: (دلالة على قدرته)، نَصَبٌ؛ مفعول له مُقدَّر، أي: ذكر الله تعالى خلق الإنسان من نُطفة وجعله خَصِيماً مُبيناً دلالة على قدرته تعالى، وكذا قوله: «وصفاً للإنسان»، والفرق أن القصد الأول في سوق الآية على الأول بيان قدرة الله الكاملة<sup>(١)</sup>، وأنه تعالى خلق من الشيء الحقيق هذا الخلق الخصيم، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ﴾ إلى قوله: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٠-٢٣]، وعلى الثاني: القصد إلى بيان وقاحة الإنسان وتعديه طوره، كقوله تعالى: ﴿أولئير الإنسان أنا خلقته من نُطفة فإذا هو خصيم مُبينٌ \* وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ، قَالَ مَنْ يُعْجِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٨٧-٨٨]، ويؤيد الأول قوله: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وقوله: ﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ﴾، والثاني قوله: ﴿فَلَا تَسْتَعِجَلُوهُ﴾، وكذا قوله: ﴿تَعَلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، والثاني أوفق لتأليف النظم.

قوله: (وأكثر ما تقع على الإبل)، «ما»: مُصدَرية: أي: «الأنعام» أكثر وقوعها على الإبل.

قوله: (ما خلقها إلا لكم ولمصالحكم)، دل على الحضرة لام الاختصاص في ﴿لَكُمْ﴾،

(١) في النسخة (ح): «قدرته».

وهو الدَّفَاءُ مِنْ لِبَاسٍ مَعْمُولٍ مِنْ صُوفٍ أَوْ وَبَرٍ أَوْ شَعْرٍ. وَقُرئ: (دِفٌّ) بِطَرَحِ الهمزة وإلقاء حَرَكَتِهَا عَلَى الفاء. ﴿وَمَنْفِعٌ﴾: هِيَ نَسْلُهَا وَدَرُّهَا وَغَيْرُ ذَلِكَ. فَإِنْ قُلْتَ: تَقْدِيمُ الظَّرْفِ فِي قَوْلِهِ ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ مُؤَذِّنٌ بِالِاخْتِصَاصِ، وَقَدْ يُؤَكَّلُ مِنْ غَيْرِهَا. قُلْتَ: الْأَكْلُ مِنْهَا هُوَ الْأَصْلُ الَّذِي يَعْتَمِدُهُ النَّاسُ فِي مَعَايِشِهِمْ، وَأَمَّا الْأَكْلُ مِنْ غَيْرِهَا مِنَ الدَّجَاجِ وَالْبَطِّ وَصَيْدِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، فَكَغَيْرِ الْمُعْتَدِّ بِهِ، وَكَالْجَارِي مَجْرَى التَّفَكُّهِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ طُعِمْتُمْ مِنْهَا؛ لِأَنَّكُمْ تَحْرُثُونَ بِالْبَقَرِ، فَالْحَبُّ وَالشَّارُ الَّتِي تَأْكُلُونَهَا

مَعَ فَحْوَى الْخِطَابِ<sup>(١)</sup>، وَلِذَلِكَ قَالَ: «يَا جِنْسَ الْإِنْسَانِ»، وَيُمْكِنُ أَنْ لَا يُعْلَقَ ﴿لَكُمْ﴾ بِ﴿خَلَقَهَا﴾، بَلْ يَكُونُ خَبَرٌ ﴿دِفٌّ﴾ لَتَطَابِقَ قَرِينَتِهَا، وَهِيَ ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينٌ تُرِيحُونَ وَحِينٌ تَسْرَحُونَ﴾، فَيَحْصُلُ نَوْعٌ مِنَ الْإِخْتِصَاصِ مِنْ تَقْدِيمِ الْخَبَرِ، وَأَمَّا تَخْصِصُ ذِكْرِ جِنْسِ الْإِنْسَانِ فَلِإِفَادَةِ الْإِلْتِفَاتِ، وَهُوَ الْإِنْتِقَالُ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى الْخِطَابِ<sup>(٢)</sup>، وَفَائِدَةُ الْمَكَافَاحَةِ<sup>(٣)</sup>: تَتِمُّمٌ مَعْنَى الْإِنْكَارِ عَلَى كُفْرَانِ النُّعْمَةِ الَّذِي يُعْطِيهِ قَوْلُهُ: ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾.

قَوْلُهُ: (مِنْ صُوفٍ أَوْ وَبَرٍ أَوْ شَعْرٍ)، أَي: مِنَ الْغَنَمِ أَوْ الْإِبِلِ أَوْ الْمَعَزِ، وَالذَّفُّ: آلَةُ الدَّفِّ.

قَوْلُهُ: (التَّفَكُّهُ)، الْأَسَاسُ: وَمِنْ الْمَجَازِ: تَفَكُّهُ بِكَذَا: تَلَذَّذَ بِهِ، وَفَاكَهَتْ الْقَوْمَ مُفَاكَهَةً: طَائِبَتْهُمْ.

قَوْلُهُ: (وَيَحْتَمِلُ أَنْ طُعِمْتُمْ مِنْهَا)، فَهُوَ مِنْ إِطْلَاقِ السَّبَبِ عَلَى الْمَسَبِّ، وَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: وَمِنْهَا يَنْتَفِعُونَ، فَيَكُونُ الْمَجَازُ فِي «تَأْكُلُونَ»؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ مَعَ أَرْبَابِ الْمَوَاشِيِّ، وَعَلَى الْأَوَّلِ الْمَجَازُ فِي الْأَنْعَامِ مِنْ إِطْلَاقِ مُعْظَمِ الشَّيْءِ عَلَى كُلِّهِ، وَكُلُّ ذَلِكَ تَعَسَّفٌ<sup>(٤)</sup>؛ لِأَنَّ التَّقْدِيمَ لِمُرَاعَاةِ الْفَوَاصِلِ، وَيَكُونُ مِنْ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ؛ لِأَنَّ الْأَكْلَ أَصْلُ الْإِنْتِفَاعِ.

(١) زاد في (ط) هنا: «وهو الانتقال من الغيبة إلى الخطاب، عرف من ذاق».

(٢) من قوله: «وأما تخصيص ذكر جنس الإنسان» إلى هنا، سقط من (ط).

(٣) يعني المواجهة بالخطاب.

(٤) في النسخة (ح) و(ط): «مُتَّعَسَّفٌ».



منها، وتكتسبون بإكراء الإبل، وتبيعون نتاجها وألبانها وجلودها.

[﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْمَحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ ٦]

مَنْ اللهُ بالتجمل بها كما مَنْ بالانتفاع بها؛ لأنه مِنْ أغراض أصحاب المواشي، بل هو من معاظمها؛ لأنَّ الرعيان إذا رَوَّحوها بالعشيِّ وسَرَّحوها بالغداة فزَيَّنت بإراحتهَا وتَسَرَّجها الأُفنية وتجاوَبَ فيها الثُّغَاء والرُّغَاء؛ آنست أهلها وفرَّحت أربابها،

قوله: (مَنْ اللهُ تعالى بالتجمل بها)، الرَّاغِب: الجمال: الحُسْنُ الكثير، وذلك صَرَّبَان، أحدهما: جمالٌ يَخْتَصُّ به الإنسان في نفسه أو بدنه أو فعله، والثاني: ما يَصِلُ به منه إلى غيره، وعلى هذا الوجه ما رُوِيَ: «إِنَّ اللهُ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ»<sup>(١)</sup>، تنبيهاً أنه مِنْهُ تَفِيضُ الخيرات الكثيرة، فَيُحِبُّ مَنْ يَخْتَصُّ بذلك، يقال: جاملتُ فلاناً وأجملتُ في كذا، والجملُ يقال: للبعير إذا بزل<sup>(٢)</sup>، والجمالُ: قطعة من الإبل معها راعيها، وتسمية الجمل بذلك، يجوزُ أن يكون لما قد أشار إليه بقوله: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ ﴾؛ لأنهم كان يَعدُّون ذلك جمالاً لهم<sup>(٣)</sup>.

قوله: (وسرَّحوها بالغداة)، الرَّاغِب: السَّرْحُ: شَجَرٌ له ثمرة، الواحدة سَرْحَةٌ، وسرَّحت الإبل: إذا أُرسلت أن ترعاه السَّرْح<sup>(٤)</sup>، ثُمَّ جُعِلَ لكلِّ إرسالٍ في الرعي، قال تعالى: ﴿ حِينَ تُرْمَحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾، والسارحُ: الراعي، والتسريحُ في الطلاق: مستعارٌ من تسريح الإبل، كالطلاق في كونه مستعاراً من إطلاق الإبل<sup>(٥)</sup>.

قوله: (الثُّغَاء والرُّغَاء)، الجَوْهَرِيُّ: الرُّغَاءُ: صوتُ ذواتِ الحُفَّ، وقد رَغَا البعيرُ يَرُغُو رُغَاءً: إذا صَجَّ، والثُّغَاءُ: صوتُ الشاةِ والمَعَزِ وما شاكلها، وفي قوله: «وتجاوَبَ فيه الثُّغَاءُ والرُّغَاءُ» معنى قولِ أبي العلاء:

(١) هو جزءٌ من حديثٍ صحيحٍ أخرجه مسلم (٩١)، وأبو داود (٤٠٩١)، والترمذي (١٩٩٨)، وابن ماجه (٤١٧٣).

(٢) يعني فطَّر نأبه وانشَقَّ.

(٣) «مفردات القرآن»، ص ٢٠٢.

(٤) عبارة الراغب في «المفردات»: وسرَّحتُ الإبل، أصله: أن تُرعى السَّرْح. انتهى، وهو الأشبه بالصواب.

(٥) «مفردات القرآن»، ص ٤٠٦.

وَأَجَلَّتْهُمْ فِي عُيُونِ النَّازِرِينَ إِلَيْهَا، وَكَسَبَتْهُمْ الْجَاهَ وَالْحُرْمَةَ عِنْدَ النَّاسِ. وَنَحْوُهُ ﴿لِتَرْكُبُوهَا زِينَةً﴾ [النحل: ٨]، ﴿يُؤْزَى سَوَاءً يَكُمُ وَرَيْشًا﴾ [الأعراف: ٢٦]. فَإِنْ قُلْتَ: لَمْ قَدِّمْتَ الْإِرَاحَةَ عَلَى التَّسْرِيحِ؟ قُلْتَ: لِأَنَّ الْجَمَالَ فِي الْإِرَاحَةِ أَظْهَرَ، إِذَا أَقْبَلْتَ مِلاءَ الْبُطُونِ حَافِلَةَ الصُّرُوعِ، ثُمَّ أَوْتِ إِلَى الْحِطَّائِرِ حَاضِرَةً لِأَهْلِهَا. وَقِرَاءُ عِكْرَمَةَ: (حِينًا تُرِيحُونَ وَحِينًا تَسْرَحُونَ) عَلَى أَنَّ ﴿تُرِيحُونَ﴾ وَ﴿تَسْرَحُونَ﴾ وَصِفٌ لِلْحَيْنِ. وَالْمَعْنَى: تُرِيحُونَ فِيهِ وَتَسْرَحُونَ فِيهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمًا لَا يُجْزَى وَالِدٌ﴾ [لقمان: ٣٣].

[وَتَحْمِلُ أَنْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِلَيْفِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾]

قُرئ: ﴿بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾ بِكسْرِ الشَّيْنِ وَفَتْحِهَا. وَقِيلَ: هُمَا لُغَتَانِ فِي مَعْنَى الْمَشَقَّةِ، وَبَيْنَهُمَا فَرْقٌ: وَهِيَ أَنَّ الْمَفْتُوحَ مَصْدَرٌ شَقُّ الْأَمْرِ عَلَيْهِ شَقًّا، وَحَقِيقَتُهُ رَاجِعَةٌ إِلَى الشَّقِّ الَّذِي هُوَ الصَّدْعُ. وَأَمَّا الشَّقُّ؛ فَالْنَّصْفُ، كَأَنَّهُ يَذْهَبُ نِصْفُ قُوَّتِهِ؛ لِمَا يَنَالُهُ مِنَ الْجُهْدِ. فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿لَمْ تَكُونُوا بِلَيْفِيهِ﴾؟ كَأَنَّهُمْ كَانُوا زَمَانًا يَتَحَمَّلُونَ الْمَشَاقَّ فِي بُلُوغِهِ حَتَّى حَمَلَتِ الْإِبِلُ أَنْقَالَهُمْ! قُلْتَ: مَعْنَاهُ: وَتَحْمِلُ أَنْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغَيْبِ

مَعَانٍ مِنْ أَحَبِّنَا مَعَانٍ يُجِيبُ الصَّاهِلَاتِ بِهَا الْقِيَانُ<sup>(١)</sup>

وَهُوَ مِنْ بَابِ التَّكْمِيلِ، وَلِهَذَا قَالَ: «وَكَسَبَتْهُمْ الْجَاهَ وَالْحُرْمَةَ عِنْدَ النَّاسِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿لِتَرْكُبُوهَا زِينَةً﴾» جَمَعَ بَيْنَ الْإِنْتِفَاعِ وَالزَّيْنَةِ، كَمَا جَمَعَ بَيْنَ سِتْرِ الْعَوْرَةِ وَالزَّيْنَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُؤْزَى سَوَاءً يَكُمُ وَرَيْشًا﴾ [الأعراف: ٢٦]، لِأَنَّ الرَّيْشَ: الْجَمَالَ وَالزَّيْنَةَ.

قَوْلُهُ: (مِلاءُ الْبُطُونِ)، الْجَوْهَرِيُّ: وَالْمَلَأُ بِالْفَتْحِ: مَصْدَرٌ قَوْلِكَ: مَلَأْتُ الْإِنَاءَ، فَهُوَ مَمْلُوءٌ، وَالْمِلَأُ بِالْكَسْرِ: اسْمٌ مَا يَأْخُذُهُ الْإِنَاءُ إِذَا امْتَلَأَ، يُقَالُ: أُعْطِيَ مِلاءً وَمِلائِيهَ، وَضَرَعُ حَافِلٌ، أَي: مَمْتَلِئُ لِبَنَاءِ.

(١) «ديوان سقط الزند» لأبي العلاء المعري، ص ٦٤.

في التَّقْدِيرِ لو لم تُخَلِّقِ الإِبِلَ إِلَّا بِجَهْدِ أَنْفُسِكُمْ، لا أنهم لم يكونوا بِالِغِيهِ في الحقيقة. فإن قلت: كيف طابَقَ قولُهُ: ﴿لَمْ تَكُونُوا بِإِغْيِهِ﴾ قوله: ﴿وَتَحْمِلُ أُنْقَالَكُمْ﴾؟ وهَلَّا قِيلَ: لَمْ تَكُونُوا حَامِلِينَ إِلَيْهِ؟ قلت: طَبَاقُهُ مِنْ حَيْثُ إِنَّ مَعْنَاهُ: وَتَحْمِلُ أُنْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ بَعِيدٍ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنْكُمْ لَا تَبْلُغُونَهُ بِأَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِجَهْدٍ وَمَشَقَّةٍ، فَضَلَّ أَنْ تَحْمِلُوا عَلَى ظُهُورِكُمْ أُنْقَالَكُمْ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: لَمْ تَكُونُوا بِالِغْيِهِ بِهَا إِلَّا بِشَقِّ الْأَنْفُسِ. وَقِيلَ: ﴿أُنْقَالَكُمْ﴾: أَجْرَامِكُمْ. وَعَنْ عِكْرَمَةَ: الْبَلَدُ: مَكَّةُ. ﴿لَرَوْفٌ رَجِيمٌ﴾ حَيْثُ رَجَمَكُمْ بِخَلْقِ هَذِهِ الْحَوَامِلِ وَتَيْسِيرِ هَذِهِ الْمَصَالِحِ.

[ ﴿وَالْحَيْلَ وَالْإِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِيَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ٨ ]

قوله: (لم تكونوا بِالِغْيِهِ بها)، أي: بالأنقال، والباء فيه، ظرفٌ لغوٍ للتعدية، وفي بِشَقِّ الْأَنْفُسِ مستقرٌّ، قال أبو البقاء: ﴿بِشَقِّ﴾: في مَوْضِعِ الْحَالِ مِنَ الضَّمِيرِ الْمَرْفُوعِ فِي ﴿بِإِغْيِهِ﴾، أي: مشقوقاً عليكم<sup>(١)</sup>، وأما توجيهُ السؤالِ: كَيْفَ نَاسَبَ قَوْلُهُ: ﴿لَمْ تَكُونُوا بِإِغْيِهِ﴾ قوله: ﴿وَتَحْمِلُ أُنْقَالَكُمْ﴾؛ لَأَنَّ الْمُنَاسِبَ أَنْ يُقَالَ: لَمْ تَكُونُوا حَامِلِينَ، لِأَنَّ الْحَمْلَ شَيْءٌ، وَالْبَلُوغُ شَيْءٌ آخَرَ؟ وَأَجَابَ: أَنَّ الْمُنَاسِبَةَ بِحَسَبِ الْمَعْنَى، وَهُوَ عَلَى وَجْهِ ثَلَاثَةِ أَحْدَها: أَنْ تَجْعَلَ التَّنْكِيرَ فِي ﴿بَلَدٍ﴾ لِلتَّفْخِيمِ وَالتَّكْثِيرِ<sup>(٢)</sup>، أي: بَلَدٍ بَعِيدٍ شَاسِعٍ، لِئِنَّا سَبَّهَ الْبَلُوغُ، وَيَلْزَمُ مِنْهُ الْحَدِيثُ فِي نَفْيِ الْحَمْلِ بِالطَّرِيقِ الْأُولَى<sup>(٣)</sup>، كَمَا قَالَ: فَضَّلَا أَنْ تَحْمِلُوا عَلَى ظُهُورِكُمْ. وَثَانِيها: أَنْ يُقَدَّرَ فِي ﴿بِإِغْيِهِ﴾ مَا يَعُودُ إِلَى الْأُنْقَالِ. وَثَالِثُها: أَنْ يُحْمَلَ الْأُنْقَالُ عَلَى الْأَجْرَامِ.

قال في «الانتصاف»: «وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ اسْتَعْنَى بِذِكْرِ الْبَلُوغِ عَنْ ذِكْرِ حَمْلِها؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مَعْلُومٌ مِنَ الْعَادَةِ؛ لِأَنَّ الْمَسَافِرَ لَا يَسْتَعْنَى عَنْ أُنْقَالِ يَسْتَصْحِبُها، وَالْأَوَّلُ أَوْلَى<sup>(٤)</sup>».

(١) «البيان في إعراب القرآن» (٢: ٧٩٠).

(٢) قوله: «والتكثير» سقط من النسخة (ف).

(٣) في (ط): «ويلزم منه الحديث بالنفي بالطريق الأولى».

(٤) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٢: ٥٩٥).

﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ ﴾ عطفٌ على (الأنعام) [النحل: ٥]، أي: وخلق هؤلاء للركوب والزينة، وقد احتج على حرمة أكل لحومهن.....

قوله: ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ ﴾: عطفٌ على «الأنعام»، الزاغب: الخيال أصله الصورة المجردة كالصورة المتصورة في المنام وفي المرآة، وفي القلب بعد غيبوبة المرئي، ثم يستعمل في صورة كل أمر متصور، وفي كل شخص دقيق يجري مجرى الخيال، والتخييل: تصوير خيال الشيء في النفس، والتخييل: تصور ذلك، وخلق: بمعنى ظننت، يقال اعتباراً بتصور خيال المظنون، ويقال: خيلت السماء: أبدت خيالاً للمطر، وفلانٌ مخيلٌ بكذا أي: خالق، وحقيقته أنه مظهر خيال ذلك، والخيلاء: التكبر على تخيل فضيلة تراءت للإنسان في نفسه، ومنه الخيل لما قيل: إنه لا يركب أحد فرساً إلا وجد في نفسه نخوة<sup>(١)</sup>.

قوله: (وقد احتج على حرمة أكل لحومهن)، قال الإمام: واحتج القائلون بتحريم لحوم الخيل بهذه الآية، قالوا: منفعة الأكل أعظم من منفعة الركوب، ولو كان أكل لحم الخيل جائزاً لكان هذا المعنى أولى بالذکر، وحيث لم يذكر علمنا تحريمه، ولأنه تعالى قال في صفة الأنعام: ﴿ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾، والتقديم يفيد الحصر، ثم قرن بعده الخيل مع البغال والحمير، وذكر أنها مخلوقة للركوب والزينة، ولأن قوله: ﴿ لَتَرْكَبُوهَا ﴾ يقتضي أن يكون تمام المقصود من خلق هذه الأشياء هو الركوب والزينة، ولو حل أكلها لم يكن تمام المقصود من خلقها الركوب والزينة<sup>(٢)</sup>.

وقال: أنجب الواحدي بجواب حسن، قال: لو دلت الآية على تحريم أكل هذه الحيوانات، لكان هذا<sup>(٣)</sup> التحريم معلوماً في مكة؛ لأن السورة مكية، ولو كان كذلك، لكان قول عامّة المفسرين والمحدثين: إن لحوم الحمر الأهلية حُرمت عام خيبر غير صحيح؛ لأن التحريم لما كان حاصلاً قبل يوم خيبر، لم يبق لتخصيصه بذلك اليوم فائدة<sup>(٤)</sup>.

(١) «مفردات القرآن»، ص ٣٠٤.

(٢) «مفاتيح الغيب» (١٩: ٢٢٩).

(٣) سقط لفظ «هذا» من النسخة (ح).

(٤) «مفاتيح الغيب» (١٩: ٢٢٩).

وَيَعُضُّهُ مَارُؤُونًا عَنِ التَّرْمِذِيِّ وَأَبِي دَاوُدَ وَابْنَ مَاجَةَ، عَنِ الْمُقَدَّادِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يَوْشِكُ رَجُلٌ شَبَعَانُ عَلَى أُرِيكْتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ هَذَا الْقُرْآنُ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ خَلَالٍ فَأَحْلَوْهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرَّمُوهُ، أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُمْ الْحِمَارُ الْأَهْلِيُّ وَلَا أَكُلُ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبَاعِ»<sup>(١)</sup>، والحديثُ صَرَحَ أَنَّ الْحِمَارَ مَا حُرِّمَ بِالْكِتَابِ، بَلْ بِالسُّنَّةِ.

وَقَالَ حُجَيْبُ السُّنَّةِ: وَاحْتَجَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ مَنْ حَرَّمَ لَحُومَ الْحَيْلِ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ فَقَالَ: هَذِهِ لِلرَّكُوبِ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الْحَكْمُ وَمَالِكٌ وَأَبُو حَنِيفَةَ، وَذَهَبَ جَمَاعَةٌ إِلَى إِبَاحَتِهَا، وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ وَشَرِيحٍ وَعَطَاءٍ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَبِهِ قَالَ الشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ، وَمَنْ أَبَاحَهَا قَالَ: لَيْسَ الْمُرَادُ مِنَ الْآيَةِ بَيَانُ التَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ، بَلِ الْمُرَادُ مِنْهُ تَعْرِيفُ اللَّهِ عِبَادَةَ نِعَمِهِ، وَتَنْبِيهُهُمْ عَلَى كِبَالِ قُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ، وَاحْتَجَّوْا بِمَا رَوَى جَابِرٌ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى يَوْمَ خَيْبَرَ عَنِ لَحُومِ الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ وَأَذْنِ فِي لَحُومِ الْحَيْلِ<sup>(٢)</sup>، أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَالدَّارِمِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ<sup>(٣)</sup>، وَالتَّحْقِيقُ هَذَا.

وَبَيَانُهُ: أَنَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَمَّا نَهَى الْمُشْرِكِينَ عَنِ اسْتِعْجَالِ نَزُولِ الْعَذَابِ اسْتَهْزَاءً بِقَوْلِهِ: ﴿أَفَنُؤْمِرُ اللَّهَ فَلَا تَسْتَعِجِلُوهُ﴾ كَأَنَّهُ مَا تَلَفَّتْ إِلَى اسْتَهْزَائِهِمْ، وَأَخْرَجَ الْكَلَامَ عَلَى الْأَسْلُوبِ الْحَكِيمِ، أَي: لِمَ تَسْتَعِجِلُونَ بِنَزُولِ مَا يُزِيدُكُمْ وَيَسْتَأْصِلُكُمْ؟ فَهَلَّا تَتَنَفَّعُونَ بِنَزُولِ مَا يُحْيِيكُمْ، وَيُنْجِيكُمْ مِنْهُ، وَهُوَ هَذَا الْقُرْآنُ الَّذِي هُوَ بِمِثَابَةِ الرُّوحِ حَيَاةَ الْقُلُوبِ الْمَيِّتَةِ، وَهَذَا الرَّسُولُ الْكَرِيمُ، وَبِالْمُؤْمِنِينَ رُؤُوفٌ رَحِيمٌ، يَدْعُوكُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ وَالتَّقْوَى، وَيُبَصِّرُكُمْ الدَّلَائِلَ الدَّالَّةَ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ لِئَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَيُنَبِّهُكُمْ عَلَى النِّعَمِ السَّابِغَةِ الَّتِي تَوْجِبُ أَنْ تَشْكُرُوهُ

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٦٠٤)، وَابْنُ مَاجَةَ (١٢)، وَالتَّرْمِذِيُّ (٢٦٦٤) وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

(٢) «مَعَالِمُ التَّنْزِيلِ» (١٠: ٥).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤٢١٩)، وَمُسْلِمٌ (١٩٤١)، وَأَبُو دَاوُدَ (٣٧٨٨)، وَالنَّسَائِيُّ (٢٠٢: ٧)، وَالدَّارِمِيُّ (١٩٩٣)، وَابْنُ مَاجَةَ (٣١٩٨)، وَالتَّرْمِذِيُّ (١٧٩٣) وَغَيْرِهِمْ.

وَتَعْبُدُوهُ مِنْ دَلَائِلِ الْأَفَاقِ وَالْأَنْفُسِ وَمَا خَلَقَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ وَغَيْرِهَا لِاتِّفَاعِكُمْ بِهَا بِالْأَكْلِ وَالرَّكُوبِ وَجَرِّ الْأَثْقَالِ وَالزَّيْنَةِ عَلَى مَا أَلْفِتُمْ وَاتَّخَذْتُمْ شِعَارًا لِأَنْفُسِكُمْ وَافْتَخَرْتُمْ بِهَا؟ يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حَيْثُ تَرِيحُونَ وَحَيْثُ تَسْرَحُونَ﴾.

وأما الجوابُ عن قولهم: «لو كانَ أكلُ لحومِ الخَيْلِ جائزًا لكانَ هذا المعنى أُولَى بالذِّكْرِ»، فقد أشارَ إليه القاضي بأن قال: لا دليلَ فيه، إذ لا يلزَمُ من تعليلِ الفعلِ بها يُقصدُ به غالبًا أن لا يُقصدَ منه غيرُه أصلًا<sup>(١)</sup>، وأما الجوابُ عن الحَصْرِ بتقديمِ معمولِ ﴿يَأْكُلُونَ﴾، فهو النَّظَرُ إلى رعايَةِ الفواصِلِ لا غيرِ، كما سبقَ هذا، ولو فهمَ الصَّحَابَةُ رضوانَ الله عليهم من هذه الآياتِ غيرَ ما هيَ عليه من بيانِ الامتنانِ، لم يكنْ فعلُهُم يومَ خَيْبَرَ رشيدًا، على ما رَوَيْنَا في «صحيحِ البخاريِّ»، عن البراءِ بنِ عازِبٍ وعبدِ الله بنِ أبي أوفى: أنهم كانوا معَ النبيِّ ﷺ، فأصابوا حُمْرًا فَطَبَّخوها، فنَادَى منادِي رسولِ الله ﷺ: أكلتموا القُدورَ<sup>(٢)</sup>.

فإن قلتَ: لمَ لا يجوزُ أن يُستنبطَ التحريمُ على طريقةِ إشارةِ النَّصِّ؟ قلتُ: إشارةُ النَّصِّ من الدلائلِ الدَّقِيقَةِ اللَّطِيفَةِ المُستخرِجَةِ من الأحكامِ، والكلامُ مَسوقٌ للامتنانِ كما سبقَ. نعم، فيه إشارةٌ إلى جُلِّ الغرضِ فيها، ومعظمِ الانتفاعِ منها ما ذَكَرَ من الرُّكُوبِ والزَّيْنَةِ، وأما التحريمُ فلا، ولا بُدَّ من دليلٍ مُنفصلٍ للتحريمِ والتحليلِ، والدليلُ من جَانِبِنَا، ولولا أن وردَ الآيةُ للامتنانِ بحَسَبِ ما أَلْفُوا واعتادوا لم يَذْكَرِ الزَّيْنَةُ أصلًا، وكيف ذلك وقد وردَ النَّهْيُ عنها على ما رَوَيْنَا عن البُخاريِّ ومسلمٍ ومالكٍ وأبي داودَ والنَّسائيِّ، عن أبي هريرةَ في حديثِ طويلٍ: قال رسولُ الله ﷺ: «الخَيْلُ ثلاثةٌ: هي لرجُلٍ أَجْرٌ، ولرجُلٍ سِتْرٌ، وعلى رجُلٍ وَزْرٌ، فأما الذي له أَجْرٌ فرَجُلٌ رَبَطَها في سبيلِ الله»، وساقَ الحديثَ إلى قوله: «ورجُلٌ رَبَطَها تَعَنِّيًا وتعَفَّفًا ثم لم ينسَ حقَّ الله في رِقابِها ولا ظهورِها، فهِيَ لذلك الرَّجُلِ سِتْرٌ، ورجُلٌ رَبَطَها فخرًا ورياءً ونواءً على أهلِ الإسلامِ، فهِيَ على ذلك وَزْرٌ» الحديثِ<sup>(٣)</sup>.

(١) «أنوار التنزيل» (٣: ٣٨٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٢١)، ومسلم (١٩٣٨) وغيرهما.

(٣) سبق تحريجه.

بأن علَّلَ خَلَقَهَا بِالرُّكُوبِ وَالزَّيْنَةِ، ولم يذكِرِ الأَكْلَ بعد ما ذَكَرَهُ في الأَنْعَامِ. فإن قلت: لم انتصبَ ﴿وَزِينَةَ﴾؟ قلت: لأنه مفعولٌ له، وهو معطوفٌ على محلِّ ﴿لِتَرْكُوبِهَا﴾. فإن قلت: فهلَّا وَرَدَ المعطوفُ والمعطوفُ عليه على سَنَنِ واحدٍ! قلت: لأنَّ الرُّكُوبَ فعلُ المخاطِبِينَ، وأما الزَّيْنَةُ ففِعْلُ الزَّائِنِ؛ وهو الخالق. وقُري: (لِتَرْكُوبِهَا زِينَةً) بغير واو، أي: وخالَقَهَا زِينَةً لِتَرْكُوبِهَا. أو: تجعلُ (زِينَةً) حالًا منها، أي: وخالَقَهَا لِتَرْكُوبِهَا وهي زِينَةٌ وَجَمَالٌ. ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يجوزُ أن يريدَ به: ما يَخْلُقُ فينا ولنا بما لا نَعْلَمُ كُنْهَهُ وتفاصيلَهُ، ويَمَنُّ علينا بِذِكْرِهِ كما مَنَّ بالأشياءِ المعلومَةِ مع الدلالةِ على قدرته. ويجوزُ أن يُخْبِرَنَا بأنَّ له من الخلائق ما لا عِلْمَ لنا به؛ ليزيدنا دلالةً على اقتدارِهِ

قوله: (ما ذكره في الأنعام)، أي: في شأن الأنعام، وهو قوله تعالى: ﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

قوله: (وأما الزينة ففعل الزائن، وهو الخالق)، يعني: يكفي في شرط حذف اللام أن يكون مصدرًا وفعلاً لفاعل الفعل المعلل، وفيه دليل على أن المقارنة ليست بشرط، قال صاحب «التخмир»: «المقارنة ليست بشرط، بدليل قوله: ﴿وَزِينَةَ﴾ فـ«زينة» منصوبٌ بمعنى اللام، ولم تكن موجودةً وقت الخلق، فالمعنى: بالمقارنة أن لا يكون متقدماً، ولا بأس بالتأخر، نحو: شربت الدواء إصلاحاً للبدن، والإصلاح<sup>(١)</sup> متأخرٌ غير واقع عند الشرب»<sup>(٢)</sup>. وقال السجاوندي في «شرح المفصل»: «ولا بد من أن يكون المصدر واقعاً بعد الفعل. وقال صاحب «الانتصاف»: «والجواب القوي أن الركوب هو المقصود الأصلي من هذه الأشياء، والتزيين تابع، فاقتصر المقصود باللام الصريحة؛ لأنه أهم الغرضين، وحذفت من الزينة لأنها تبع»<sup>(٣)</sup>، وكذا عن القاضي<sup>(٤)</sup>.

قوله: (وخالقها زينة لتركبوها)، أي: خلق بمعنى: جعل، وزينة: ثاني مفعوليّه.

(١) في النسخة (ف): «والصلاح».

(٢) «التخмир» لصدر الأفاضل الخوارزمي (١: ٤١٩ - ٤٢٠).

(٣) «الانتصاف بحاشية الكشف» (٢: ٥٩٥).

(٤) في «أنوار التنزيل» (٣: ٣٨٧).

بالإخبار بذلك، وإن طوى عنا علمه؛ لحكمة له في طيه. وقد حمل على ما خلق في الجنة والنار، مما لم يبلغه وهم أحد، ولا خطر على قلبه.

[﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَنَّاكُمْ أَمْعِينَ﴾ ٩]

المراد بالسبيل: الجنس؛ ولذلك أضاف إليها القصد، وقال: ﴿وَمِنْهَا جَايِزٌ﴾. والقصد: مصدر بمعنى الفاعل، وهو القاصد. يقال: سبيل قصد وقاصد، أي: مستقيم، كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه. ومعنى قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾: أن هداية الطريق الموصول إلى الحق واجبة عليه، كقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ [الليل: ١٢]. فإن قلت: لم غير أسلوب الكلام في قوله: ﴿وَمِنْهَا جَايِزٌ﴾؟ قلت: ليعلم ما يجوز إضافته إليه من السبلين وما لا يجوز، ولو كان الأمر كما تزعم المجبرة لقليل: وعلى الله قصد السبيل وعليه جائزها، أو: وعليه الجائر. وقرأ عبد الله:

قوله: (ولذلك أضاف)، يعني: دللت الإضافة، وقوله: ﴿وَمِنْهَا جَايِزٌ﴾، على أن المراد بالسبيل الجنس، وهو من إضافة الخاص إلى العام، ونحوه: خاتم الفضة، سحق الثوب، لأن السبيل إما مستقيم وهو المراد من القصد، وإما معوج وهو الجائر. وقال أبو البقاء: وقصد: مصدر بمعنى إقامة السبيل أو تعديل السبيل، وليس مصدر قصدته بمعنى آتيته<sup>(١)</sup>.

قوله: (كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك)، وهو من باب: طريق سائر ونهر جار.

قوله: (ولو كان الأمر كما تزعم المجبرة لقليل... وعليه جائزها)، قال الإمام: أجاب أصحابنا عنه بأن المراد: على الله - بحسب الفضل والكرم - بيان الدين الحق، والمذهب الصحيح، فأما بيان كيفية الإغواء والإضلال فذاك غير واجب<sup>(٢)</sup>.

وقلت: ويجوز أن يكون التقدير: على الله بيان استقامة الطريق بالآيات والبراهين على سبيل التفضل والكرم، وبيان عوجاج الطريق، فمنها مستقيم كطريق الإسلام ليهدوا بها،

(١) «التبيان في إعراب القرآن» (٢: ٧٩٠).

(٢) «مفاتيح الغيب» (١٩: ٢٣٢).



(ومنكم جائر)، يعني: ومنكم جائرٌ جازٍ عن القصد بسوء اختياره، والله بريء منه. ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قَسْرًا وإِلْجَاءً.

ومنها جائرٌ كطريقٍ سائرِ الأممِ الضالَّةِ لِيَتَجَنَّبُوا منها، فاختَصَرَ على تقديرِ اللَّفِّ والنَّشْرِ التقديريِّ، وإضافةً طريقِ الحقِّ دونَ الجائرِ إلى الله تعالى على أسلوبِ قوله تعالى: ﴿أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الْعَصَايِينِ﴾ [الفاتحة: ٧].

وقوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠] وَيَعُضِدُ مَا ذَكَرْنَا مِنْ أَنَّ عَلَى اللَّهِ تَمييزَ الطريقتينِ وبيانَ السبيلينِ تفضُّلاً قولٌ محيي السنَّة: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ يعني: بيانَ طريقِ الهدى مِنَ الضلالة، فالقصدُ مِنَ السبيل: دينُ الإسلام، والجائرُ منها: اليهوديةُ والنصرانيةُ وسائرُ مللِ الكُفْرِ<sup>(١)</sup>.

قال في «الانتصاف»: أين يذهبُ الزمخشريُّ عن تَمَيُّزِها: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾؟ ولو كان بزعمِ القدريةِ لقال: فقد<sup>(٢)</sup> هديناكم أجمعين<sup>(٣)</sup>، ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾، ففسروها بالقسرِ والإلْجاءِ وحرَّفوا الكلامَ عن مواضعه، وأمَّا المخالفةُ بينَ الأسلوبينِ، فلا إقامةَ حُجَّةِ الله على الخلقِ، وأنه يَبَيِّنُ السبيلَ القاصِدَ والجائرَ، وهدي قومًا اختاروا الهدى، وأضلَّ قومًا اختاروا الضلالَ، وقد عَلِمَ أَنَّ للفاعلِ اعتبارينِ، فإضافتهُ إلى الله تعالى باعتبارِ خَلْقِهِ له، وإضافتهُ إلى العبيدِ باعتبارِ اختيارِهِ له<sup>(٤)</sup>.

قوله: (جائرٌ جازٌ عن القصد)<sup>(٥)</sup>، الرَّاعِبُ: الجارُّ: مَنْ يَقْرُبُ مَسْكَنَهُ مِنْكَ. وهو مِنَ الأسماءِ المتضايقة، ولَمَّا اسْتَعْظِمَ حَقُّ الجارِ شَرْعًا وَعَقْلًا عَبَّرَ عَنْ كُلِّ مَنْ يَعْظُمُ حَقَّهُ أَوْ يَسْتَعْظِمُ حَقَّ غَيْرِهِ بِالْجَارِ. قال تعالى: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النساء: ٣٦] ويقال: استعجرتُ فلانًا فأجارني، وقال: ﴿وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨]، وقال: ﴿وَهُوَ مُحِيزٌ وَلَا يُجَاكِرُ﴾

(١) «معالم التنزيل» (٥: ١١).

(٢) سقط لفظ «فقد» من النسخة (ح).

(٣) قوله: «ولو كان بزعم القدرية لقال: فقد هديناكم أجمعين» سقط من (ط).

(٤) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٢: ٥٩٦).

(٥) في النسخة (ح): «الطريق».

[ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ \* يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْكُرُونَ ﴿١٠-١١﴾ ]

﴿لَكُمْ﴾ متعلق بـ ﴿أَنْزَلَ﴾، أو بـ ﴿شَرَابٌ﴾، خبراً له. والشَّرَابُ: ما يُشْرَبُ. ﴿شَجَرٌ﴾ يعني: الشَّجَرُ الَّذِي تَرَعَاهُ الْمَوَاشِي. وفي حديثِ عِكْرَمَةَ: لَا تَأْكُلُوا ثَمَنَ الشَّجَرِ فَإِنَّهُ سُخْتٌ. يعني الكَلَأُ. ﴿تُسِيمُونَ﴾ مِنْ سَامَتِ الْمَاشِيَةَ؛ إِذَا رَعَتِ، فَهِيَ سَائِمَةٌ، وَأَسَامَهَا صَاحِبُهَا، وَهُوَ مِنَ السُّومَةِ؛ وَهِيَ الْعَلَامَةُ؛ لِأَنَّهَا تُؤَثِّرُ بِالرَّعِيِّ

عَلَيْهِ ﴿[المؤمنون: ٨٨]﴾، وباعتبارِ القُربِ، قيل: جَارَ عَنِ الطَّرِيقِ، ثُمَّ جَعَلَ ذَلِكَ أَصْلًا فِي الْعُدُولِ عَنِ كُلِّ حَقٍّ، فَبُنِيَ مِنْهُ الْجَوَزُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهَا جَايِرٌ﴾ أَي: عَادِلٌ عَنِ الْمَحْجَةِ<sup>(١)</sup>. قَوْلُهُ: (وَالشَّرَابُ: مَا يُشْرَبُ)، عَنْ بَعْضِهِمْ: الشَّرْبُ: تَنَاوُلُ كُلِّ مَائِعٍ، مَاءً كَانَ أَوْ غَيْرَهُ، وَالشَّرِبُ: الْمَشَارِبُ وَالشَّرَابُ<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ: (وَفِي حَدِيثِ عِكْرَمَةَ: لَا تَأْكُلُوا ثَمَنَ الشَّجَرِ)، يعني: الكَلَأُ، «النَّهْيُ»: وَفِي الْحَدِيثِ: «لَا يَمْنَعُ فَضْلَ الْمَاءِ لِيَمْنَعَ بِهِ الكَلَأُ»<sup>(٣)</sup> الكَلَأُ: النَّبَاتُ، وَالْعُشْبُ، سِوَاءَ رَطْبِهِ وَبَابِئْسَهُ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّ الْبَثْرَ تَكُونُ فِي الْبَادِيَةِ وَيَكُونُ قَرِيبًا مِنْهُ الكَلَأُ، فَإِذَا وَرَدَ عَلَيْهَا وَارِدٌ، فَغَلَبَ عَلَى مَائِهَا، وَمَنْعَ مَنْ يَأْتِي بَعْدَهُ مِنَ الْاسْتِقَاءِ مِنْهَا، فَهُوَ بِمَنْعِهِ الْمَاءِ، مَانِعٌ مِنَ الكَلَأِ، لِأَنَّهُ مَتَى وَرَدَ عَلَيْهِ رَجُلٌ بِبَابِلِهِ فَأَرَعَاهَا ذَلِكَ الكَلَأُ، ثُمَّ لَمْ يَسْقِهَا، قَتَلَهَا الْعَطْشُ، فَالَّذِي يَمْنَعُ مَاءَ الْبَثْرِ يَمْنَعُ النَّبَاتَ الْقَرِيبَ مِنْهُ، وَقَالَ الزَّجَّاجُ: كُلُّ مَا نَبَتَ مِنَ الْأَرْضِ فَهُوَ شَجَرٌ، قَالَ الرَّاجِزُ:

تَعْلِفُهَا اللَّحْمَ إِذَا عَزَّ الشَّجَرُ      وَالخَيْلُ فِي إِطْعَامِهَا اللَّحْمَ ضَرَزَ<sup>(٤)</sup>

(١) «مفردات القرآن»، ص ٢١١.

(٢) هذا كالمستمد من الراجب في «مفردات القرآن»، ص ٤٤٨-٤٤٩.

(٣) أخرجه البخاري (٢٣٥٣)، ومسلم (١٥٦٦) وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) «معاني القرآن وإعراجه» (٣: ١٩٢)، والزَّجَّاجُ الْمَذْكُورُ لِلنَّبِيرِ بْنِ تَوَلَّبِ الْعُكَلِيِّ.

عَلَامَاتٍ فِي الْأَرْضِ. وَقُرئ: ﴿يُنْبِتُ﴾ بِالْبَاءِ وَالنُّونِ. فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ قِيلَ: ﴿وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾؟ قُلْتَ: لِأَنَّ كُلَّ الثَّمَرَاتِ لَا تَكُونُ إِلَّا فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّمَا أُنبِتَ فِي الْأَرْضِ بَعْضٌ مِنْ كُلِّهَا؛ لِلتَّذْكَرَةِ. ﴿يَنْفَكُّرُونَ﴾: يَنْظُرُونَ فَيَسْتَدُلُّونَ بِهَا عَلَيْهِ وَعَلَى قُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ. وَالآيَةُ: الدَّلَالَةُ الْوَاضِحَةُ. وَعَنْ بَعْضِهِمْ: (يُنْبِتُ) بِالتَّشْدِيدِ. وَقَرَأَ أَبُو بِنِ كَعْبٍ: (يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعُ وَالزَّيْتُونُ وَالنَّخِيلُ وَالْأَعْنَابُ) بِالرَّفْعِ.

[﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِي﴾ إِنَّ

فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾]

قُرئت كلها بالنصب على: وجعل النجوم مسخرات، أو على: أن معنى تسخيرها

قوله: ﴿يُنْبِتُ﴾: بالياء والتون، بالتون: أبو بكر<sup>(١)</sup>.

قوله: (لأن كل الثمرات لا تكون إلا في الجنة)، أي: إنما قيل: ﴿وَمِنْ كُلِّ﴾ بزيادة «من» التبعيضية ليدل على أن كل الثمرات لا تكون إلا في الجنة<sup>(٢)</sup>، وإنما أُنبِتَ في الأرض بعض من كلها.

قوله: (بعض من كلها: للتذكرة)، أي: إذا رأوا ما في الجنة من الثمرات ذكروا ما في الدنيا ليعلموا التفاوت، كما ذكر في أول البقرة في قوله تعالى: ﴿وَأَنوَأ بِهِ. مُتَشَبِهًا﴾ [البقرة: ٢٥].

قوله: (على: وجعل النجوم مسخرات)، أي: يجعل ناصب النجوم مضمرا وهو جعل، ومسخرات: ثاني مفعوليه، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾، ولا يجوز على هذا أن يعطف على المنصوبات بـ ﴿وَسَخَّرَ﴾، وهي ﴿الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾؛ لأن ﴿مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِي﴾ حينئذ: حال من المذكورات<sup>(٣)</sup>، وقيل:

(١) وعمله أبو زرعة بإخبار الله عن نفسه بلفظ الملوك كما قال: ﴿مَنْ قَسَمْنَا﴾ [الزخرف: ٣٢]. انظر:

«حجة القراءات»، ٣٨٦.

(٢) من قوله: «أي: إنما قيل: ﴿وَمِنْ كُلِّ﴾ إلى هنا سقط من (ح)

(٣) لتتام الفائدة انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية، ص ١٠٨٦.

للناس: تَصْيِيرُهَا نَافِعَةً لَهُمْ، حَيْثُ يَسْكُنُونَ بِاللَّيْلِ، وَيَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِهِ بِالنَّهَارِ، وَيَعْلَمُونَ عَدَدَ السَّنِينَ وَالْحِسَابَ بِمَسِيرِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَيَبْتَدُونَ بِالنُّجُومِ. فَكَأَنَّهُ قِيلَ: وَنَفَعَكُمْ بِهَا فِي حَالِ كَوْنِهَا مُسَخَّرَاتٍ لِمَا خُلِقْنَ لَهُ بِأَمْرِهِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: أَنَّهُ سَخَّرَهَا أَنْوَاعًا مِنَ التَّسْخِيرِ، جَمْعُ مُسَخَّرٍ، بِمَعْنَى: تَسْخِيرٍ، مِنْ قَوْلِكَ: سَخَّرَهُ اللَّهُ مُسَخَّرًا، كَقَوْلِكَ: سَرَّحَهُ مُسَرَّحًا، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَسَخَّرَهَا لَكُمْ تَسْخِيرَاتٍ بِأَمْرِهِ. وَقُرئُ بِنَصْبِ (اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) وَحَدَّهْمَا، وَرَفَعَ مَا بَعْدَهُمَا عَلَى الْإِبْتِدَاءِ وَالْخَبَرِ. وَقُرئُ: ﴿وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ﴾ بِالرَّفْعِ، وَمَا قَبْلَهُ بِالنَّصْبِ. وَقَالَ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ فَجَمَعَ الْآيَةَ. وَذَكَرَ الْعَقْلَ؛ لِأَنَّ الْأَنْوَارَ الْعُلُويَّةَ أَظْهَرُ دِلَالَةً عَلَى الْقُدْرَةِ الْبَاهِرَةِ، وَأَيُّنُ شَهَادَةَ لِلْكَبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ.

للفعل، فكان المعنى: سَخَّرَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ فِي حَالِ كَوْنِهَا مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ، فَهُوَ خَلَقَ. نَعَمْ، يَجُوزُ أَنْ يُسْتَعَارَ سَخَّرَ لَكُمْ لِقَوْلِهِ: نَفَعَكُمْ؛ لِأَنَّ الْغَرَضَ مِنْ تَسْخِيرِهَا النَّفْعَ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: وَنَفَعَكُمْ بِهَا فِي حَالِ كَوْنِهَا مُسَخَّرَاتٍ لِمَا خُلِقْنَ لَهُ.

قوله: (أَنَّهُ سَخَّرَهَا أَنْوَاعًا مِنَ التَّسْخِيرِ)، أَي: جَعَلَ «مُسَخَّرَاتٍ»: مَفْعُولًا مُطْلَقًا، عَلَى تَأْوِيلِ مُسَخَّرٍ بِمَعْنَى تَسْخِيرٍ، وَإِنَّمَا جَمَعَ لِإِرَادَةِ الْأَنْوَاعِ.

قوله: (وَقُرئُ: ﴿وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ﴾ بِالرَّفْعِ، وَمَا قَبْلَهُ بِالنَّصْبِ): ابْنُ عَامِرٍ: «وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ» بِالرَّفْعِ فِي الْأَرْبَعَةِ<sup>(١)</sup>، وَحَفْصٌ: بِرَّفْعِ ﴿وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ﴾ فَقَطْ، وَالْبَاقُونَ: بِالنَّصْبِ، وَقَالَ الْقَاضِي: هَذَا عَلَى الْإِبْتِدَاءِ وَالْخَبَرِ، فَيَكُونُ تَعْمِيمًا لِلْحُكْمِ بَعْدَ تَخْصِيصِهِ<sup>(٢)</sup>.

قوله: (لِأَنَّ الْأَنْوَارَ الْعُلُويَّةَ أَظْهَرُ دِلَالَةً)، أَي مِنَ السُّفْلِيَّةِ، يَعْنِي: حِينَ ذَكَرَ الْأَنْوَارَ

(١) وَعِلَّةُ اخْتِيَارِهِ أَنَّهُ لَا يَصْلُحُ أَنْ يَقُولَ: «وَسَخَّرَ النُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ» فَقَطَّعَهَا عَمَّا قَبْلَهَا، وَجَعَلَ «النُّجُومَ» مُبْتَدَأً، وَ«مُسَخَّرَاتٍ» خَبْرًا. انظر: «حجّة القراءات»، ص ٣٨٦.

(٢) «أنوار التنزيل» (٣: ٣٨٩).

﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [١٣]

﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ ﴾ معطوفٌ على ﴿ أَيْلٍ وَالنَّهَارِ ﴾ يعني: ما خلق فيها من حيوانٍ وشجرٍ وتمرٍ وغير ذلك مُخْتَلِفٍ الْهَيْئَاتِ وَالْمَنَاظِرِ.

﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ. وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [١٤]

﴿ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾: هو السَّمَكُ، وَوَصَفَهُ بِالطَّرَاوَةِ؛ لِأَنَّ الْفَسَادَ يُسْرِعُ إِلَيْهِ؛ فَيَسَارِعُ إِلَى أَكْلِهِ؛ خِيفَةً لِلْفَسَادِ عَلَيْهِ. فَإِنْ قُلْتَ: .....

السُّفْلِيَّةَ أَفْرَدَ الْآيَةَ، وَذَكَرَ التَّفَكُّرَ<sup>(١)</sup>، وَحِينَ ذَكَرَ الْعُلُويَّةَ جَمَعَهَا، وَذَكَرَ الْعَقْلَ، وَذَلِكَ أَنَّ الْأَنْزَارَ السُّفْلِيَّةَ<sup>(٢)</sup> مُخْفِيَّةٌ، فَتَحْتَاجُ إِلَى إِعْمَانِ النَّظَرِ، وَدِقَّةِ الْفِكْرِ، وَالْأَنْزَارَ الْعُلُويَّةَ تُدْرِكُ فِي بَدْوِ الْعَقْلِ، وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ مُتَشَعِّبَةٌ، وَفِيهَا أَنْوَاعٌ مِنَ الدَّلَالَاتِ.

قوله: (ووصفه بالطراوة، لأن الفساد يسرع إليه فيسارع<sup>(٣)</sup> إلى أكله)، الراجب: طرياً: غَضًّا، مِنَ الطَّرَاءِ وَالطَّرَاوَةِ، يُقَالُ: طَرَيْتُ كَذَا فَطَرِيٌّ، وَمِنْهُ: الْمَطْرَاءَةُ مِنَ الشَّيْبِ، وَالْإِطْرَاءُ: مَدْحٌ يَجِدُّ ذَكَرَهُ، وَطَرًّا بِالْهَمْزَةِ: طَلَعٌ<sup>(٤)</sup>.

الانتصاف: وفيه إرشادٌ لأن يُتَنَاوَلَ طَرِيًّا، فَقَدْ قَالَ الْأَطْبَاءُ: أَكَلُهُ بَعْدَ ذَهَابِ طَرَاوَتِهِ مِنْ أَضْرِّ مَا يَكُونُ<sup>(٥)</sup>.

(١) يعني قوله تعالى في الآية اللاحقة: ﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [النحل: ١٣].

(٢) من قوله: «أفرد الآية، وذكر التفكر» إلى هنا سقط من (ح).

(٣) قوله: «إليه فيسارع» سقط من (ح).

(٤) «مفردات القرآن»، ص ٥١٩.

(٥) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٢: ٥٩٨).

ما بال الفقهاء قالوا: إذا حلف الرجل لا يأكل لحماً، فأكل سمكاً: لم يحنث، والله تعالى سمّاه لحماً كما ترى؟ قلت: مبني الأيمان على العادة، وعادة الناس إذا ذُكر اللحم على الإطلاق أن لا يفهم منه السمك، وإذا قال الرجل لغلامه: اشتر بهذه الدراهم لحماً، فجاء بالسمك؛ كان حقيقاً بالإنكار. ومثاله: أن الله تعالى سمّى الكافر دابةً في قوله: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنفال: ٥٥]، فلو حلف حالف لا يركب دابةً، فركب كافراً: لم يحنث. ﴿حَلِيَّةٌ﴾: هي اللؤلؤ والمرجان. والمراد بلبسهم: لبس نسائهم؛ لأنهن من مجلتهن، ولأنهن إنما يتزينن بها من أجلهم، فكأنتها زينتهن ولباسهم. المنخر: شق الماء بحيزومها. وعن الفراء: هو صوت جري الفلك بالرياح. وابتغاء الفضل: التجارة.

[﴿وَأَلْفَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًّا أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ \* وَعَلَّمْتُمْ وَبِالتَّجْمِيمِ هُمْ يَسْتَدُونَ﴾ [١٥-١٦]

قوله: (ما بال الفقهاء) قيل: «ما» مبتدأ، و«بال»: خبره، و«قالوا»: حال من «الفقهاء»، لأنه في المعنى: فاعل، لأن قولك: ما باللك؟ معناه: ما تصنع؟ نحو: ما شأنك؟  
قوله: (ولأنهن إنما يتزينن بها من أجلهم، فكأنتها زينتهن ولباسهم)، الانتصاف: لله در مالك حيث جعل للزوج الحجز على زوجته فيما له [بال] (١) من مالها، وهو مقدار الثلث، فحقه فيه بالتجمل (٢)، وفي هذه الآية جعل حظ المرأة من زينتها للزوج، فجعل لباسها لباسه.

قوله: (بحيزومها)، أي: السفينة، والحيزوم: وسط الصدر، وما يُصم عليه الحزام (٣).

(١) زيادة من «الانتصاف».

(٢) الانتصاف بحاشية الكشاف (٢: ٥٩٨).

(٣) ومنه قول طرفة بن العبد في وصف ناقته وتشبيهها بالسفينة:

يشق حباب الماء حيزومها بها كما قسم التراب المفال باليد

انظر: «شرح القصائد العشر» للخطيب التبريزي، ص ٩٨.

﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾: كراهة أن تميد بكم وتضطرب. والمائد: الذي يُدار به إذا ركب البحر. قيل: خلق الله الأرض فجعلت تمور، فقالت الملائكة: ما هي بمقر أحد على ظهرها، فأصبحت وقد أرسيت بالجبال، لم تدر الملائكة مم خلقت. ﴿وَأَنْهَرَا﴾: وجعل فيها أنهارا؛ لأنَّ ﴿أَلْقَى﴾ فيه معنى: جعل، ألا ترى إلى قوله: ﴿أَلْتَرَى جَبَلَ الْأَرْضِ مَهْدًا\* وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبا: ٦-٧]؟ ﴿وَعَلَّمَتِ﴾: هي معالم الطرق وكل ما تستدل به السابله من جبل ومنهل وغير ذلك. والمراد بالنجم: الجنس، كقولك:

قوله: (والمائد الذي يُدار به)، أي: الشخص الذي يدور رأسه، «الأساس»: والذهر بالإنسان دوار أي يدور بأحواله المختلفة، قال القاضي: إن الأرض قبل أن تخلق فيها الجبال كانت كالكرة بسيطة الطبع، وكان من حقها أن تتحرك بالاستدارة كالأفلاك، أو أن تتحرك بأدنى سبب، فلما خلق عليها الجبال تفاوتت جوانبها، وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز، فصارت كالأوتاد التي تمنعها من الحركة<sup>(١)</sup>.

قوله: (لأنَّ ﴿أَلْقَى﴾ فيه معنى: جعل)، يعني: لا يقال: ألقى فيها أنهارا، لكن لما تضمن ﴿أَلْقَى﴾ معنى جعل، صح عطف ﴿أَنْهَرَا﴾ على ﴿رَوَسُوا﴾، قلت: ويجوز أن يكون من باب قوله:

علفتها تينا وماء باردا<sup>(٢)</sup>

أي: وأجرى فيها أنهارا.

قوله: (المراد بالنجم: الجنس)، الراغب: أصل النجم: الكوكب الطالع، وجمعه نجوم، ونجم: طلع، نجما ونجوما، فصار النجم مرة اسما ومرة مصدرا، ومنه شبه به طلوع النبات، والرأي، فقيل: نجم التبت والقرن، ونجم لي رأي نجما ونجوما، ونجم فلان على السلطان: صار عاصيا، ونجمت المال عليه: إذا وزعته، كأنك فرضت أن يدفع عند طلوع كل نجم

(١) «أنوار التنزيل» (٣: ٣٩٠).

(٢) سبق تخريجه.

كثُرَ الدَّرْهُمُ فِي أَيْدِي النَّاسِ. وَعَنِ السُّدِّيِّ: هُوَ: الثُّرَيَّا، وَالْفَرْقَدَانِ؛ وَبَنَاتُ نَعْشٍ، وَالْجُدْيِ. وَقَرَأَ الْحَسَنُ: (وَبِالنُّجْمِ)، بِضَمَّتَيْنِ، وَبِضْمَةٍ وَسُكُونٍ، وَهُوَ جَمْعُ نَجْمٍ، كَرُهْنٌ وَرُهْنٌ، وَالسُّكُونُ تَخْفِيفٌ. وَقِيلَ: حُذِفَ الْوَاوُ مِنَ النُّجُومِ تَخْفِيفًا. فَإِنْ قُلْتَ: قَوْلُهُ: ﴿وَبِالنُّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ مُخْرَجٌ عَنِ سَنَنِ الْخِطَابِ، مَقْدَمٌ فِيهِ «النُّجْمُ»،

نصيبًا، ثُمَّ صَارَ مُتَعَارَفًا فِي تَقْدِيرِ دَفْعِهِ بِأَيِّ شَيْءٍ قَدَّرْتَ ذَلِكَ (١).

قَوْلُهُ: (هُوَ الثُّرَيَّا وَالْفَرْقَدَانِ وَبَنَاتُ نَعْشٍ)، الثُّرَيَّا (٢): هِيَ أَنْجَمٌ سِتَّةٌ مُنْتَظِمَةٌ تُشْبِهُ عُنُقُودَ الْكَرْمِ. وَالْفَرْقَدَانِ: نَجْمَانِ مُتَوَقِّدَانِ مِنْ نَجُومِ الْبَنَاتِ، وَالْجُدْيِ: نَجْمٌ عِنْدَ الْقُطْبِ تُعْرَفُ بِهِ الْقِبْلَةُ. الْمَغْرِبُ: يُقَالُ: لِكَوْكِبِ الْقِبْلَةِ: جَدْيُ الْفَرْقَدِ، بَفَتْحِ الْجِيمِ وَسُكُونِ الدَّالِ، وَمِنْهُ قَوْلُ ابْنِ الْمُبَارَكِ فِي تَحْرِي الْقِبْلَةِ: أَهْلُ الْكُوفَةِ يَجْعَلُونَ الْجُدْيَ خَلْفَ الْقَفَا. وَالنُّجُومُونَ يُسَمُّونَهُ جُدْيًا، عَلَى التَّصْغِيرِ، فَرَقًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبُرُوجِ (٣).

قَوْلُهُ: (وَقَرَأَ الْحَسَنُ)، بِضَمَّتَيْنِ، قَالَ ابْنُ جَنِّي: قَرَأَ الْحَسَنُ: «وَبِالنُّجْمِ»، وَقَرَأَ يَخْمِي: «وَبِالنُّجْمِ» بِضَمِّ النُّونِ وَسُكُونِ الْجِيمِ، النُّجْمُ: جَمْعُ نَجْمٍ، وَمِثْلُهُ مِمَّا كُسِّرَ مِنْ «فَعْلٌ» عَلَى «فُعْلٌ»: سَقْفٌ وَسُقْفٌ، وَرُهْنٌ وَرُهْنٌ، وَإِنْ شِئْتَ [قُلْ]: أَرَادَ النُّجُومَ فَقَصَّرَ الْكَلِمَةَ فَحَذَفَ وَاوَهَا، وَمِثْلُهُ مِنَ الْمَقْصُورِ مِنْ فُعُولٍ: قَوْلُ أَبِي بَكْرٍ فِي أُسْدٍ: إِنَّهُ مَقْصُورٌ مِنْ أُسُودٍ، فَصَارَ أُسْدًا ثُمَّ أُسْكِنَ (٤).

قَوْلُهُ: ﴿وَبِالنُّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ مُخْرَجٌ عَنِ سَنَنِ الْخِطَابِ، يَعْنِي: أَنَّ هَذَا التَّرْكِيبَ مُشْتَمَلٌ عَلَى خَوَاصِّ فَنَّ الْمَعْنَى بِالْمُسْتَدِّ إِلَيْهِ، أَحَدُهَا: إِنَّ الْآيَاتِ السَّابِقَةَ مِنْ لَدُنْ فَاتِحَةِ السُّورَةِ إِلَى هَاهُنَا وَارِدَةٌ عَلَى سَنَنِ الْخِطَابِ، فَمَا بَالُ هَذِهِ أُخْرِجَتْ عَنِ الْخِطَابِ إِلَى الْغَيْبَةِ؟ وَثَانِيهَا: فِيهِ

(١) «مفردات القرآن»، ص ٧٩١.

(٢) قوله: «الثريا» سقط من النسخة (ح).

(٣) «المغرب في ترتيب المعرب» (١: ١٣٥).

(٤) «المحتسب» (٢: ٨)، وانظر: «مختصر شواذ القرآن» لابن خالويه، ص ٧٢.



مُتَحَمِّمٍ فِيهِ ﴿هَمْ﴾، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَبِالنَّجْمِ خُصُوصًا هَؤُلَاءِ خُصُوصًا يَهْتَدُونَ، فَمَنْ الْمَرَادُ بِـ ﴿هَمْ﴾؟ قُلْتُ: كَأَنَّهُ أَرَادَ قَرِيضًا: كَانَ لَهُمْ اهْتِدَاءٌ بِالنُّجُومِ فِي مَسَائِرِهِمْ، وَكَانَ لَهُمْ بِذَلِكَ عِلْمٌ لَمْ يَكُنْ مِثْلَهُ لغيرِهِمْ، فَكَانَ الشُّكْرُ أَوْجِبَ عَلَيْهِمْ، وَالاعْتِبَارُ أَلْزَمَ لَهُمْ؛ فَخُصِّصُوا.

[﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ١٧]

فَإِنْ قُلْتُ: ﴿كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ أُرِيدُ بِهِ الْأَصْنَافَ، فَلَمْ جِيءَ بِـ «مَنْ» الَّذِي هُوَ لِأَوَّلِي الْعِلْمِ؟ قُلْتُ: فِيهِ أَوْجُهٌ: أَحَدُهَا: أَنَّهُمْ سَمَّوْهَا آلهَةً وَعَبَدُوهَا، فَأَجْرُوهَا مَجْرَى أَوَّلِي

تَقْدِيمِ الْمَجْرُورِ، وَهُوَ ﴿وَبِالنَّجْمِ﴾ عَلَى عَامِلِهِ، وَهُوَ ﴿يَهْتَدُونَ﴾، وَثَالِثُهَا: تَوْكِيدُ التَّرْكِيبِ بِقَوْلِهِ: ﴿هَمْ﴾، فَذَلَّ تَلَوْنُ الْخِطَابِ عَلَى امْتِيَازِ هَؤُلَاءِ عَنِ السَّابِقِ ذِكْرِهِمْ، وَذَلَّ تَقْدِيمُ ﴿وَبِالنَّجْمِ﴾ عَلَى اخْتِصَاصِ هَؤُلَاءِ بِالْإِهْتِدَاءِ بِالنُّجُومِ دُونَ غَيْرِهَا مِمَّا يَهْتَدَى بِهِ، وَذَلَّ التَّوَكِيدُ بِإِقْحَامِ ﴿هَمْ﴾ عَلَى اخْتِصَاصِهِمْ بِهَذِهِ الْهَدَايَةِ، دُونَ غَيْرِهِمْ.

وَأَجَابَ عَنِ تَلْوِينِ الْخِطَابِ بِقَوْلِهِ: «كَأَنَّهُ أَرَادَ قَرِيضًا»، وَعَنِ التَّوَكِيدِ بِقَوْلِهِ: «كَانَ لَهُمْ اهْتِدَاءٌ بِالنُّجُومِ فِي مَسَائِرِهِمْ»، وَعَنِ التَّخْصِيصِ بِقَوْلِهِ: «وَكَانَ لَهُمْ بِذَلِكَ عِلْمٌ لَمْ يَكُنْ مِثْلَهُ لغيرِهِمْ».

وَقُلْتُ: وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ قَوْلَهُ: «أَلْقَى فِي الْأَرْضِ سُبُلًا» عَامٌّ فِي أَهْلِ الْقَرْيَةِ وَالْمَدِينِ وَالْبَوَادِي ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إِمَّا أَنْ يَتَعَلَّقَ بِأَوَّلِ الْآيَةِ أَوْ بِقَوْلِهِ: ﴿سُبُلًا﴾، وَيَكُونُ (١) ﴿لَعَلَّ﴾ لِلتَّحْقِيقِ، وَأَمَّا الْإِهْتِدَاءُ بِالنُّجُومِ فَمَخْتَصٌّ بِمَنْ هُوَ حَازِقٌ فِي سُلُوكِ الْبَحْرِ، وَالْمَهَامِيَّةُ: الْبَيْدُ الَّتِي لَا مَنَارَ لَهَا وَلَا سَبِيلَ، وَتَقْدِيمُ ﴿وَبِالنَّجْمِ﴾ لِأَنَّ مَعْنَاهُ: وَبِالنُّجُومِ خُصُوصًا لَا بغيرِهِ يَهْتَدُونَ، أَوْ لِمُرَاعَاةِ الْقَوَاصِلِ، وَإِقْحَامِ ﴿هَمْ﴾ لِتَقْوِي الْحُكْمِ، وَالْعُدُولُ إِلَى الْغَيْبَةِ لِلتَّلَافُتِ، وَالْإِيدَانِ بِأَنَّ هَذَا الْإِهْتِدَاءَ أَغْرَبُ مِنَ الْأَوَّلِ، وَالْمُعْرِضُ عَنْهُ أَدْخَلَ فِي الْكُفْرَانِ، وَالْفَاءُ فِي «فَكَانَ الشُّكْرُ»: لِلْسَّبَبِيَّةِ، وَكَذَا فِي قَوْلِهِ: «فَخُصِّصُوا».

(١) فِي (ح) وَ(ط): «تَكْوِين».

العِلْم. ألا ترى إلى قوله على أثره: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [النحل: ٢٠] والثاني: المُشَاكَلَة بينه وبين مَنْ يَخْلُق. والثالث: أن يكون المعنى: أن مَنْ يَخْلُقُ ليس كَمَنْ لَا يَخْلُقُ من أولي العِلْم، فكيفَ بها لا عِلْمَ عنده! كقوله: ﴿أَلَمْ أَرْجُلُ يَمْشُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٩٥]، يعني: أن الآلهة حاهم مُنْحَطَّةٌ عن حال مَنْ لهم أرجل وأيدٌ وأذانٌ وقلوب؛ لأنَّ هؤلاءِ أحياءٌ وهم أموات، فكيف تصحُّ لهم العبادة؟! لا أنها لو صحَّت لهم هذه الأعضاء لصحَّ أن يُعبدوا. فإن قلت: هو إلزامٌ للذين عبَدوا الأوثانَ وسَمَّوها آهةً تشبيهاً بالله، فقد جعلوا غير الخالقِ مثل الخالقِ،

قوله: (المُشَاكَلَة بينه وبين مَنْ يَخْلُقُ)، يعني: جيءَ بـ «مَنْ» الذي هو مختصٌّ بأولي العِلْمِ للجهاد الذي هو أصنام؛ لأنها مصحوبةٌ مع ذكرِ مَنْ يَخْلُقُ، كقوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

قوله: (لا أنها لو صحَّت لهم هذه الأعضاء لصحَّ أن يُعبدوا)، يريدُ أن الأيتنينِ من بابِ المبالغةِ والإلزامِ بالطريقِ الأولى، لا لتصحيحِ العبوديةِ للأصنامِ بحصولِ ما هو مفقودٌ عنها موجودٌ في الناس.

الانتصاف: الزمخشريُّ يجزمُ على أن العبادَ يَخْلُقُونَ أفعالهم، فالمرادُ ظهورُ التفاوتِ بينهم وبينَ مَنْ يَخْلُقُ وَمَنْ لَا يَخْلُقُ منهم، كالعاجزينَ والزمنى، حتى يثبتَ أن التفاوتَ بينهم وبينَ ما لَا يَخْلُقُ، كالأصنامِ، أولى<sup>(١)</sup>.

قوله: (هُوَ الإلزامُ للذين عبَدوا الأوثانَ)، وجهُ السؤال: أن المشركينَ ما شَبَّهوا الخالقَ بالأصنامِ حتى يُنكَرَ عليهم بقوله: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَا يَخْلُقُ﴾، وإنما شَبَّهوا<sup>(٢)</sup> الأصنامَ بالخالقِ، فكانَ حقُّ الإلزامِ أن يُقالَ<sup>(٣)</sup>: «أفمن لا يَخْلُقُ كمن يَخْلُقُ؟ ووجهُ الجوابِ: أن وجهَ التشبيهِ إذا قوي بينَ الطرفين، أعني المشبَّهَ والمشبَّهَ به، يرجعُ التشبيهُ إلى التشابُه، فيقال:

(١) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٢: ٥٩٩).

(٢) من قوله: «الخالق بالأصنام حتى يُنكَرَ عليهم» إلى هنا سقط من (ح).

(٣) من قوله: «أفمن يَخْلُقُ كمن لا يَخْلُقُ، وإنما شَبَّهوا» إلى هنا، سقط من (ط).

فكان حقَّ الإلزام أن يُقال لهم: أَمَنْ لَا يَخْلُقُ كَمَنْ يَخْلُقُ! قلت: حين جَعَلُوا غَيْرَ اللَّهِ مِثْلَ اللَّهِ فِي تَسْمِيَّتِهِ بِاسْمِهِ وَالْعِبَادَةِ لَهُ وَسَوَّوْا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ؛ فَقَدْ جَعَلُوا اللَّهَ تَعَالَى مِنْ جِنْسِ الْمَخْلُوقَاتِ وَشَبَّهَهَا بِهَا، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿أَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾.

[﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ \* وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوتُ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٨-١٩﴾]

﴿لَا تُحْصُوهَا﴾: لَا تَضْبُطُوا عَدَدَهَا وَلَا تَبْلُغُهُ طَاقَتِكُمْ، فَضَلًّا أَنْ تُطَبِّقُوا الْقِيَامَ بِحَقِّهَا مِنْ أَدَاءِ الشُّكْرِ، أَتَبَعَ ذَلِكَ مَا عَدَّدَ مِنْ نِعْمَةٍ؛ تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّ وِرَاءَهَا مَا لَا يَنْحَصِرُ وَلَا يَنْعَدُ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ حَيْثُ يَتَجَاوَزُ عَنْ تَقْصِيرِكُمْ فِي أَدَاءِ شُكْرِ النِّعْمَةِ،

وَجَهُ الْخَلِيفَةِ كَالْقَمَرِ، وَالْقَمَرُ كَوَجْهُ الْخَلِيفَةِ، وَالْمُشْرِكُونَ لَمَّا تَعَامَلُوا مَعَ الْأَصْنَامِ بِمَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَامَلَ بِهِ الْإِلَهُ الْحَقُّ مِنْ تَسْمِيَّتِهَا بِالْأَلِهَةِ، وَالتَّوَجُّهِ بِالْعِبَادَةِ إِلَيْهَا، فَلَمْ يَنْقُ عِنْدَهُمْ فَرْقٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ، تَعَالَى عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا، حَصَلَ التَّشَابُهَ، فَقِيلَ مَا قِيلَ، أَوْ ذَهَبَ إِلَى التَّعْكِيسِ: لِأَنَّ مِنْ حَقِّ الْمَشْبِيِّ أَنْ يَكُونَ أَحَطَّ مِنَ الْمَشْبِيِّ بِهِ فِيمَا وَقَعَ فِيهِ الشَّبَهَ، فَإِذَا قَلِبَ انْعَكَسَ مَرِيدًا لِلتَّفْرِيعِ وَالتَّجْهِيلِ.

قَوْلُهُ: (أَتَبَعَ ذَلِكَ)، أَي: أَتَبَعَ قَوْلَهُ: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ مَا عَدَّدَ، أَي: جَمِيعَ مَا عَدَّدَ مِنْ أَوَّلِ السُّورَةِ إِلَى هَاهُنَا مِنَ النِّعَمِ، فَقَوْلُهُ: ﴿ذَلِكَ﴾: مَفْعُولٌ أَوَّلٌ، وَقَوْلُهُ: «مَا عَدَّدَ»: مَفْعُولٌ ثَانٍ، يَعْنِي: لَمَّا عَدَّدَ النِّعَمَ الْمُتَكَثِرَةَ، وَأُرِيدَ اسْتِيفَاءَ جَمِيعِ أَقْسَامِهَا وَأَنْوَاعِهَا، وَكَانَتْ مِمَّا لَا تَنْحَصِرُ بِحَسَبِ الْعِبَادَةِ<sup>(١)</sup>، خَتَمَ بِجَامِعٍ يَحْتَوِيهَا كُلَّهَا تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّ وِرَاءَ الْمَذْكُورَةِ مِمَّا لَا يَعْدُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

قَوْلُهُ: (﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ حَيْثُ يَتَجَاوَزُ عَنْ تَقْصِيرِكُمْ)، إِلَى آخِرِهِ، فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ التَّعْلِيلَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لِلتَّذْيِيلِ، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوتُ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ إِشْعَارٌ بِوُجُودِ تَقْصِيرٍ فِي أَدَاءِ شُكْرِ مَا أَوْلَاهُمْ مِنَ النِّعَمِ، وَذَلِكَ مِنْ مَفْهُومِ

(١) فِي (ج) وَ(ف): «بِحَسَبِ الْعَادَةِ»، وَهُوَ وَجْهُ صَحِيحٌ أَيْضًا.

وَلَا يَقْطَعُهَا عَنْكُمْ لِتَفْرِطِ بِكُمْ، وَلَا يُعَاجِلُكُمْ بِالْعُقُوبَةِ عَلَى كُفْرَانِهَا، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، وَهُوَ وَعِيدٌ.

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ \* أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [٢٠-٢١]

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾: وَالْآلِهَةُ الَّذِينَ يَدْعُوهُمْ الْكُفَّارُ ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، وَقُرَى بِالْتَاءِ، وَقُرَى: (يُدْعُونَ)، عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ، نَفَى عَنْهُمْ خِصَائِصَ الْإِلَهِيَّةِ بِنَفْيِ كَوْنِهِمْ خَالِقِينَ وَأَحْيَاءَ لَا يَمُوتُونَ وَعَالِمِينَ بِوَقْتِ الْبَعْثِ، وَأَثْبَتَ لَهُمْ صِفَاتِ الْخَلْقِ؛ بِأَنَّهُمْ خَالِقُونَ وَأَنَّهُمْ أَمْوَاتٌ وَأَنَّهُمْ جَاهِلُونَ بِالْغَيْبِ. وَمَعْنَى: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾: أَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا آلِهَةً عَلَى الْحَقِيقَةِ لَكَانُوا أَحْيَاءَ غَيْرُ أَمْوَاتٍ، أَي: غَيْرُ جَائِزٍ عَلَيْهَا الْمَوْتُ كَالْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَأَمْرُهُمْ عَلَى الْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ. وَالضَّمِيرُ فِي ﴿يُبْعَثُونَ﴾ لِلدَّاعِينَ، أَي: لَا يَشْعُرُونَ مَتَى تُبْعَثُ عِبَادَتُهُمْ. وَفِيهِ تَهَكُّمٌ بِالْمُشْرِكِينَ، وَأَنَّ آلِهَتَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَقْتَ بَعْثِهِمْ، فَكَيْفَ يَكُونُ لَهُمْ وَقْتُ جَزَاءِ مَنْهُمْ عَلَى عِبَادَتِهِمْ. وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ لَا

قَوْلُهُ: ﴿وَأَنَّ نِعْمَةَ رَبِّكَ لَا تُحْصَوْنَ﴾، يَعْنِي: أَنَّ أَنْعَامَ اللَّهِ لَا نِهَائَةَ لَهَا، فَإِذَا لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَقُومَ بِحَقِّهَا، كَمَا هُوَ حَقُّهَا، وَهُوَ يَقْتَضِي سَلْبَ تِلْكَ النِّعْمَةِ، وَإِنْزَالَ النِّعْمَةِ بِدَهَائِهَا، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ يَتَجَاوَزُ عَنِ التَّقْصِيرِ عَاجِلًا، ﴿رَجِيمٌ﴾ لَا يَقْطَعُ النِّعْمَةَ، لَكِنْ لَا بُدَّ أَنْ يُجَازِيَكُمْ أَجَلًا عَلَى أَعْمَالِكُمْ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ ﴿مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾، وَفِيهِ إِشْعَارٌ بِأَنَّ تَكْلِيفَ مَا لَا يُطَاقُ جَائِزٌ، لَكِنْ غَيْرُ وَاقِعٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى تَكْرُمًا وَتَفَضُّلًا.

قَوْلُهُ: (وَمَعْنَى: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ أَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا آلِهَةً)، يَعْنِي: كَانَ يَكْفِي أَنْ يُقَالَ: هُمْ أَمْوَاتٌ، فَقُرِنَ بِقَوْلِهِ: ﴿غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ لِيَكُونَ تَعْرِيفًا بِالْإِلَهِ الْحَقِّ فِي أَنَّهُ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، فَمَنْ كَانَ بِعَكْسِهِ لَا يَكُونُ إِلَهًا.

قَوْلُهُ: (وَفِيهِ دَلَالَةٌ)، أَي: فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ إِدْمَاجٌ، يَعْنِي: أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ الْبَعْثِ، وَأَنَّ الْبَعْثَ مِنْ لَوَازِمِ التَّكْلِيفِ، يَعْنِي: مِنْ شَأْنِ الْمَعْبُودِ أَنْ يُجَازِيَ عَابِدَهُ

بَدَّ مِنَ الْبَعْثِ، وَأَنَّهُ مِنْ لَوَازِمِ التَّكْلِيفِ. وَوَجْهٌ آخَرٌ: وَهُوَ أَنَّ يَكُونُ الْمَعْنَى: أَنَّ النَّاسَ يَخْلُقُونَهُمْ بِالنُّحْتِ وَالتَّصْوِيرِ، وَهَمَّ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى نَحْوِ ذَلِكَ، فَهَمَّ أَعْجَزُ مِنْ عِبَادَتِهِمْ أَمْوَاتٌ جَمَادَاتٌ لَا حَيَاةَ فِيهَا، ﴿غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ يَعْنِي: أَنَّ مِنَ الْأَمْوَاتِ مَا يَعْقُبُ مَوْتَهُ حَيَاةً، كَالنُّطْفِ التي يُنْشِئُهَا اللهُ حَيَوَانًا، وَأَجْسَادِ الْحَيَوَانِ التي تُبْعَثُ بَعْدَ مَوْتِهَا. وَأَمَّا الْحِجَارَةُ فَأَمْوَاتٌ لَا يَعْقِبُ مَوْتَهَا حَيَاةً، وَذَلِكَ أَعْرَقُ فِي مَوْتِهَا، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ أَي: وَمَا يَعْلَمُ هَؤُلَاءِ الْأَلْهُةُ مَتَى تُبْعَثُ الْأَحْيَاءُ تَهَكُّمًا بِحَالِهَا؛ لِأَنَّ شَعُورَ الْجَمَادِ مُحَالٌ، فَكَيْفَ بِشَعُورِ مَا لَا يَعْلَمُهُ حَيٌّ إِلَّا الْحَيُّ الْقَيُّومُ سُبْحَانَهُ؟! وَوَجْهٌ ثَالِثٌ: وَهُوَ أَنَّ يُرَادُ بِالَّذِينَ يَدْعُونَ: الْمَلَائِكَةَ، وَكَانَ نَاسٌ مِنْهُمْ يَعْْبُدُونَهُمْ، وَأَنْهُمْ ﴿أَمْوَاتٌ﴾، أَي: لَا بُدَّ لَهُمْ مِنَ الْمَوْتِ، ﴿غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾: غَيْرُ بَاقِيَةِ حَيَاتِهِمْ. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: وَلَا عِلْمَ لَهُمْ بِوَقْتِ بَعْثِهِمْ. وَقُرئ: (إِيَّانَ) بِكسْرِ الهمزة.

الذي كلفه على عبادته، وهو في الدنيا مفقود كما نشاهد في ظاهر الحال، فلا بُدَّ من دار الجزاء وبعث الخلق للثواب والعقاب، ثم إذا كان كذلك، لا بُدَّ للإله من العلم بالكائن الواجب، فنفى عنهم ذلك العلم لتنتفي إلهيتهم، وعليه قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ \* إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ... ﴿[يونس: ٣-٤].

قوله: (ووجه آخر، وهو: أن يكون المعنى)، عطف على قوله: «نفى عنهم خصائص الإلهية».

قوله: (وأنهم ﴿أَمْوَاتٌ﴾، أي: لا بُدَّ لهم من الموت، ﴿غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾: غيرُ باقية حياتهم)، اعلم أن المؤلف حين أثبت الموت للأصنام، وكانت جماداتٍ أوَّلَ توكيده بقوله تعالى: ﴿غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ بقوله: «أنه غير جائر عليها الحياة»، تنبيها على أنها أقل من الحيوان ودون النامي، لجواز إثبات الحياة لهما حقيقةً ومجازًا، وحين أثبتته للملائكة وجعله مجازًا باعتبار ما يؤول، أكدته بما يناسبه من قوله: «غير باقية حياتهم»، كقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠].

[﴿إِلَهَ الْهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ \* لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُوتُ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [٢٢-٢٣]

﴿إِلَهَ الْهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ يعني: أنه قد ثبت بما تقدم من إبطال أن تكون الإلهية لغيره، وأنها له وحده لا شريك له فيها، فكان من نتيجة ثبات الوجدانية ووضوح دليلها: استمرارهم على شركهم، وأن قلوبهم منكرة للوجدانية، وهم مستكبرون عنها وعن الإقرار بها. ﴿لَا جَرَمَ﴾: حقاً ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ سرهم وعلايتهم فيجازيهم، وهو

قوله: (يعني أنه قد ثبت بما تقدم)، فاعل «ثبت» ضمير يرجع إلى قوله تعالى: ﴿إِلَهَ الْهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾: يريد أن قوله: ﴿إِلَهَ الْهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾<sup>(١)</sup> فذلك لما سبق وإعادة للمدعى مجملًا بعد إقامة الحجة عليها مفضلًا، المعنى: قد ثبت بالدلائل الدالة على أن الإلهية مختصة بالله تعالى، وأنه واحد متفرد بالالوهية، وهو المعبود الحق، وإذا كان كذلك، فمن حقه أن يختص بالعبادة، وأن لا تُنكر إلهيته، وهؤلاء عكسوا واستمروا على شركهم وقلوبهم منكرة للوجدانية، فقوله: «أنه قد ثبت بما تقدم» إلى آخر قوله: «وعن الإقرار بها» تفسير لقوله تعالى: ﴿إِلَهَ الْهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ﴾، الفاء في قوله: «فكان من نتيجة» هي الفاء في قوله: ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وبجاء هذه الفاء، كمجاز اللام في قوله: ﴿فَالنَّقْطَةُءَآلِ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨].

قوله: (وهم مستكبرون عنها وعن الإقرار بها)، الرأغب: الكبر والتكبر والاستكبار والكبرياء متقارب، فالكبر: الحالة التي يتخصص بها الإنسان من إعجاب، وذلك أن يرى نفسه أكبر من غيره، وأعظم التكبر التكبر على الله بالامتناع من قبول الحق والإذعان له بالعبادة. ويقال: التكبر على وجهين، أحدهما: أن تكون الأفعال الحسنة كثيرة في الحقيقة وزائدة على محاسن غيره، وعلى هذا وصف الله بالمتكبر، فهو محمود، يؤيده قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦]. وثانيهما: أن يكون متكلفًا لذلك متشبعًا، وذلك في وصف عامة الناس، في قوله تعالى: ﴿فَلْيَسْ مَنُوعَى

(١) قوله: «يريد: أن قوله ﴿إِلَهَ الْهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ سقط من (ف).

وَعِيد، ﴿إِنَّهُ لَا يَجِبُ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ يجوزُ أن يريدَ المُستَكْبِرِينَ عن التَّوْحِيدِ، يعني: المُشْرِكِينَ. ويجوزُ أن يعَمَّ كلَّ مُستَكْبِرٍ، ويدخُلُ هؤلاءِ تحتَ عُمومه.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ \* لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾  
[٢٥-٢٤]

الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿[النحل: ٢٩]. والاستكبارُ يقالُ على وجهين، أحدهما: أن يتحرى الإنسان ويطلبُ أن يصيرَ كبيرًا، وذلك متى كان على ما يجبُ وفي مكانٍ يجبُ وفي زمانٍ يجبُ (١) فمحمودٌ، والثاني: أن يتشبعَ فيظَهَرَ من نفسه ما ليس له، وهو مذموم، وعليه قوله تعالى: ﴿أَبَى وَأَسْتَكْبَرُ﴾ [البقرة: ٣٤]، وقال: ﴿الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الاعراف: ١٤٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَمَلَأِيهَ يَتَّيَّنُنَا فَأَسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ [يونس: ٧٥]، نَبَهَ بقوله: ﴿فَأَسْتَكْبَرُوا﴾ على إعجابهم بأنفسهم وتَعْظُمِهِم عن الإصغاءِ إليه، ونَبَهَ بقوله: ﴿وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ١١٦] أن الذي حملهم عليه هو ما قَدَمُوا من جُرْمِهِم، وأن ذلك كان دَأْبَهُم.

والكِبْرِيَاءُ: التَّرْفُعُ عن الانقياد، وذلك لا يَسْتَحِقُّهُ غيرُ الله، قال تعالى: ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الجاثية: ٣٧] (٢).

قوله: (ويجوزُ أن يعَمَّ كلَّ مُستَكْبِرٍ)، يعني: أن قوله: ﴿الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ إِمَامٍ مِنْ وَضْعِ المَظْهَرِ موضعَ ضميرِ المُشْرِكِينَ، ويُرادُ بالاستكبارِ: الاستكبارُ عن التوحيدِ فقطً، لقرائنِ المقامِ، والمرادُ منه من عَرَفَ الحقَّ أيًا كان واستكبرَ، وتعرَّفَ النعمةَ (٣) فغَمَطَ وكَفَرَ، فيكونُ من المُستَكْبِرِينَ مطلقًا، على منوال: فلان يُعْطَى ويمنَعُ، ويدخُلُ في هذا العامُّ من سبق له الكلامُ دخولًا أوليًا.

(١) عبارة الراغب في المفردات: «وفي المكان الذي يجب، وفي الوقت الذي يجب».

(٢) «مفردات القرآن»، ص ٦٩٦-٦٩٨ بتصرفٍ ملحوظ يكاد يقتربُ من الإخلال.

(٣) في النسخة (ح): «بالنعمة». وهو خطأ.

﴿مَاذَا﴾ منصوبٌ بـ ﴿أَنْزَلَ﴾، بمعنى: أي شيءٍ ﴿أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾، .....

قوله: ( ﴿مَاذَا﴾: منصوبٌ بـ ﴿أَنْزَلَ﴾، بمعنى: أي شيءٍ ﴿أَنْزَلَ﴾؟)، قال صاحبُ «الفرائد»: الوجهُ أن يكونَ مرفوعًا بالابتداء، بدليلِ قوله: ﴿أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ بالرفع؛ لأنَّ جوابَ المرفوعِ مرفوعٌ، وجوابُ المنصوبِ منصوبٌ، ولم يقرأ أحدٌ: «أَسْطِيرَ الْأَوَّلِينَ» بالنصب.

وقال صاحبُ «التقريب»: في كلامِ المصنّفِ نظرٌ، إذ لا مقتضى للتقديرِ في أحدهما بما فيه صورة فعل، وهو ما ﴿يَدْعُونَ﴾ وفي الآخر: «بالمُنزَل». وأيضًا، لم خالفَ بينَ لفظي الدَعْوَى والإنزَالِ في التقديرينِ مع أنه حملَ الإنزَالَ على السُّخْرِيَّةِ؟ ويُمكنُ أن يجابُ عن الأولِ بأنَّ الرَّفْعَ أدلُّ على ثباتِ الإنزَالِ مِنَ النَّصْبِ؛ لأنهُ جُمْلَةٌ اسمِيَّةٌ، فقال فيه: «المُنزَل ﴿أَسْطِيرُ﴾»، وفي النَّصْبِ: «ما يدعونُ أساطيرُ»، أو أن<sup>(١)</sup> ﴿أَنْزَلَ﴾ في النَّصْبِ باقٍ على فعليته فيقتضي في الجوابِ فعلًا، ولم يمكنَ مطابقتُ الجوابِ السؤالِ مطلقًا؛ لأنَّ أساطير<sup>(٢)</sup> مرفوعٌ، فأتى بها فيه صورةُ فعلٍ على الجملة، وهو «ما يدعون»، و﴿أَنْزَلَ﴾ في الرَّفْعِ مقدَّرٌ بمفرد؛ لأنهُ خبرٌ، أي: أي شيءٍ المُنزَلُ؟ فأتى في الجوابِ بما يُجانسُه، فقال: «المُنزَلُ: أساطيرُ الأولين». تمَّ كلامُه.

وقلتُ: مدارُ المطابقتِ بينَ السؤالِ والجوابِ على مُوافقةِ السائلِ المُجيبِ ومخالفتِهِ، كما ذكرَهُ المصنّفُ بعيدَ هذا في قوله: ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾، إثمًا نصَّبَ هذا ورفعَ الأولَ للفضلِ بينَ جوابِ المُقرِّ وجوابِ الجاحِدِ، فالمُجيبُ بقوله: ﴿أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ هاهنا: المُشْرِكونَ قطعًا، وأما السائلُ فيَحْتَمِلُ أن يكونَ أيضًا منهم، كما قال: «وهو كلامٌ بعضهم لبعض»، وأن يكونَ مِنَ المسلمِينَ أو الوافدينِ كما صرَّحَ بهما، والمُجيبُ في تلكِ الآيةِ ليسَ إلَّا المسلمونَ، فلذلكَ طابَقوا في الجوابِ، فههنا على الأولِ، وهو أن يكونَ كلامٌ بعضهم لبعضِ المطابقتِ اللازمة<sup>(٣)</sup>، فالوجهُ الرَّفْعُ، وأن يجابَ بقوله: «المُنزَلُ: أساطيرُ»، فيردُّ عليه

(١) في (ط): «وأن».

(٢) في النسخة (ح): «السؤال».

(٣) في (ط): «لازمة».



السؤال الذي ذكره، وأجاب: أنه من باب السخرية، وعلى الثاني والثالث: الموافقة بين السائل والمجيب مفقودة، فيجب الاختلاف، وهو ما قدره: «ما تدعون نزوله أساطير الأولين»، فلا يرد عليه السؤال، ولهذا قال القاضي: وإنما سمّوه منزلاً على التهكم أو على الفرض، أي: على تقدير أنه منزل، فهو أساطير الأولين، لا تحقيق فيه<sup>(١)</sup>.

وتمام التحقيق في المسألة ما ذكره ابن الحاجب، قال: وذكر - أي: الزمخشري - في ماذا صنعت؟ وجهين، وقال: جواب أحدهما بالرفع والآخر بالنصب على ما ذكر، وهذا على سبيل الاختيار، وإلا فالوجهان جائزان في الوجهين، لأنه لو صرح بما يُفسر به كل واحد منهما لجاز الوجهان، ثم المناسب في النصب أن يُقدّر الفعل المذكور فيُنصب به، وفي الرفع أن يُقدّر مبتدأ على حسب المعنى، ليُطابق الجواب السؤال، وهذا كله إذا كان المجيب موافقاً للسؤال<sup>(٢)</sup> في أحد جزأيه فيحذفه ويستغني بدلالة كلام السائل عليه، مثل قوله: ما كتبت؟ وهو قد كتبت، فيقول: مصحفاً أو شبهه، فأما إذا لم يكن موافقاً له في الفعل تعدّر تقديره لإخلاله بالمعنى، إذ يفهم منه الإثبات، وهو غير مُريد له، كما إذا قال له، وقد سمع صوتاً ظنّه ضرباً منه، فيقول: من ضربت؟ فيقول له القائل: هو صوت مُنادٍ، فالنصب هاهنا لا يستقيم؛ لأنه قاصد نفيه في المعنى مثبت لغيره، فهو يفسد المعنى، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾، فلو نصب هاهنا لم يستقيم؛ لأنهم ليسوا مُقرّين بإنزال من الله، متعلّقين بـ«أساطير الأولين»، بل مُنكروين الإنزال من الله مطلقاً، وقولهم: ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: في المعنى الإنزال، أي: هذا الذي تقول: إنه إنزال هو أساطير الأولين، فيفسد تقدير الفعل على هذا<sup>(٣)</sup>.

وقلت: ولهذا الأمر لما جعله من كلام بعضهم لبعض وطابق الجواب السؤال، قال: هو على السخرية، ويجوز أن يقال: هو من أسلوب القول بالموجب على التهكم، كأنهم لما

(١) «أنوار التنزيل» (٣: ٣٩٣).

(٢) في (ط): «السائل».

(٣) انظر: «الإيضاح في شرح المفصل» لابن الحاجب (١: ٤٩٥).

أو مرفوعٌ بالابتداء، بمعنى: أي شيء أنزله ربكم، فإذا نصبت؛ فمعنى ﴿أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: ما يدعون نزوله أساطير الأولين، وإذا رفعت؛ فالمعنى: المنزَّل أساطير الأولين، كقوله: ﴿مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ﴾ [البقرة: ٢١٩] فيمن رَفَعَ. فإن قلت: هو كلامٌ مُتناقض؛ لأنه لا يكون مُنزَلُ ربهم أساطير! قلت: هو على السُّخرية، كقوله: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ﴾ [الشعراء: ٢٧]، وهو كلامٌ بعضهم لبعض، أو قولُ المسلمين لهم، وقيل: هو قولُ المُقتسمين: الذين اقتسموا مَدَاخِلَ مَكَّةَ يُنفِرُونَ عن رسولِ الله ﷺ، إذا سألهم وفودُ الحاجِّ عمَّا أنزلَ على رسولِ الله ﷺ، قالوا: أحاديثُ الأولين وأباطيلُهُم. ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ﴾ أي: قالوا ذلك؛ إضلالاً للناس، وصدًا عن رسولِ الله ﷺ، فحَمَلُوا أَوْزَارَ ضَلَالِهِمْ ﴿كَامِلَةً﴾ وبعضُ أوزارٍ مَنْ ضَلَّ بضلالهم، وهو وِزْرُ الإِضْلال؛ لِأَنَّ الْمُضِلَّ وَالضَّالَّ شَرِيكَانِ؛ هَذَا يُضِلُّهُ، وَهَذَا يُطَاوِعُهُ عَلَى إِضْلالِهِ،

سألوا: ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾ أجابوا: المنزَّلُ أساطيرُ الأولين، أي: هو منزَّل، لكن أساطيرُ، كما قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦١].

قوله: (لأنَّ المُضِلَّ والضَّالَّ شَرِيكَانِ)، تعليلٌ لحَمْلِ المُضِلِّ بعضَ أوزارِ الضَّالِّ، الذي هو سببٌ فيه، كأنَّ ما يعمَلُهُ الضَّالُّ مشتركٌ بينه وبينَ المُضِلِّ، وهما متحامِلانِ الوِزْرَ، وإليه يَنْظُرُ قوله تعالى: ﴿وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ [الأنعام: ١٢٨]، فإنَّ اسْتَمْتَعَ النَّاسِ بِالْجِنِّ: دَلَالَتُهُمْ إِيَّاهُمْ عَلَى اسْتِيفَاءِ اللَّذَاتِ وَالتَّمَتُّعِ بِالشَّهَوَاتِ، وَاسْتَمْتَعَ الْجِنُّ بِالْإِنْسِ: اعْتِرَافُهُمْ بِكُونِهِمْ رُؤْسَاءَ مُتَبَوِّعِينَ، وإليه أشارَ بقوله: «هَذَا يُضِلُّهُ وَهَذَا يُطَاوِعُهُ»، وأما قوله: «وَبَعْضُ أَوْزَارٍ مَنْ ضَلَّ بِضَلَالِهِمْ» فَمَبْنِيٌّ عَلَى أَنَّ «مِنْ» فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ﴾: تَبَعِيٌّ، وَأَنَّ الْمُضِلَّ غَيْرُ حَامِلٍ كُلِّ أَوْزَارِ الضَّالِّ، وَهَذَا غَيْرُ مُخَالَفٍ لِمَا رَوَيْنَا عَنْ مُسْلِمٍ وَمَالِكٍ وَأَبِي دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورٍ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ

فِيْتَحَامَلَانِ الْوِزْرَ. ومعنى اللام: التعليل من غير أن يكون غرضاً، كقولك: خرجت من البلد مخافة الشر. ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ حال من المفعول، أي: يُضِلُّونَ مَنْ لَا يَعْلَمُ أَنَّهُمْ ضَلَّالٌ، وإِنَّمَا وَصَفَ بِالضَّلَالِ واحْتِمَالِ الْوِزْرِ مَنْ أَضَلُّوه وَإِنْ لَمْ يَعْلَمْ؛ لَأَنَّهُ كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَبْحَثَ وَيَنْظُرَ بِعَقْلِهِ حَتَّى يَمَيِّزَ الْمُحِقَّ وَالْمُبْطِلَ.

من آثامهم شيئاً<sup>(١)</sup>؛ لأن المراد ببعض أوزار من ضل: الذي تسبب المضل فيه، وكذلك الآثام في الحديث، وذهب أبو البقاء إلى أن «من»: زائدة، على مذهب الأخفش<sup>(٢)</sup>.

قوله: (خَرَجْتُ مِنَ الْبَلَدِ مَخَافَةَ الشَّرِّ)، ويجوز أن يكون اللام للضرورة، قال القاضي: قالوا ذلك إضلالاً للناس، فحملوا أوزار ضلالهم كاملة، فإن إضلالهم نتيجة رُسُوخِهِمْ فِي الضَّلَالِ<sup>(٣)</sup>، فعلى هذا اللام للضرورة، كقوله: ﴿فَالنَّقْطَةُ إِذَا لَمْ تَرَ عَرَفُونَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨]، ويجوز أن يكون لام الأمر الذي هو للغيبة.

قوله: (وَإِنَّمَا وَصَفَ بِالضَّلَالِ واحْتِمَالِ الْوِزْرِ مَنْ أَضَلُّوه)، أي: إِنَّمَا نَسَبَ التَّابِعَ إِلَى الضَّلَالِ فِي قَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ﴾، وَأَضِيفَ الْأَوْزَارُ إِلَيْهِمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمِنَ الْأَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ﴾ أي: مِنْ أَوْزَارِ الضَّالِّينَ، وَالْحَالُ أَنَّهُمْ غَيْرُ عَالِمِينَ بِذَلِكَ لِتَقْصِيرِهِمْ، وَالوَاحِدِيُّ جَعَلَ ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ حَالًا مِنَ الْفَاعِلِ، حَيْثُ قَالَ: إِنَّهُمْ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ جَهْلًا مِنْهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، وَمِثْلُ أَوْزَارٍ مِنْ تَبِعِهِمْ، ثُمَّ ذَمَّ صَنِيْعَهُمْ فَقَالَ: ﴿الْأَسَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وَيُمْكِنُ أَنْ يُجْعَلَ حَالًا مِنْهُمَا، كَمَا قَالَ ابْنُ جَنِّي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٤)، ومالك في «الموطأ» (١: ٢١٨)، وأبو داود (٤٦٠٩)، والترمذي (٢٦٧٤)، وصححه ابن حبان (١١٢)، وفيه تمامٌ تخريجه.

(٢) «التبيان في إعراب القرآن» (٢: ٧٩٣) وأبو البقاء لم يصرح باختبار كونها زائدة وإنما ذكر رأي الأخفش حسب.

(٣) «أنوار التنزيل» (٣: ٣٩٣).

(٤) «الوسيط» للواحد (٣: ٦٠).

[ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ  
السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ \* ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ  
وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِ عَمَّ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْكِرُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ  
الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ \* الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَمَ  
مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ \* فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ  
خَالِدِينَ فِيهَا فَلَيْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ \* ] ٢٦-٢٩

القواعد: أساطينُ البناء التي تَعْمِدُه. وقيل: الأساس. وهذا تمثيل، يعني: أنهم  
سوّوا منصوبات؛ ليمكروا بها الله ورسوله، فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات،

تَحْمَلُهُ، ﴿ [مریم: ٢٧]: ﴿ تَحْمَلُهُ، ﴿: يجوزُ أن يكونَ حالًا من كلِّ واحدٍ منهما، ومنها معاً<sup>(١)</sup>.  
وهذا أنسبُ لاقضاء المقام، ثم قول الواحدي أنسبُ منها؛ لأن التذييل بقوله: ﴿الأساءة  
مَا يَزُرُونَ ﴿ لا يَحْسُنُ إِلا على ذلك التقدير، وكذلك قوله: ﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ  
قَبْلِهِمْ ﴿ وتعقيبه بقوله: ﴿ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿، لأن الكلامَ واردٌ في ذمِّ  
المشركين الذين اقتسموا مداخل مكة يُضِلُّونَ الْوَافِدِينَ وَالْمُسْلِمِينَ<sup>(٢)</sup>، فتجِبُ المبالغة في  
ذمِّهم وتجهيلهم.

قوله: (منصوبات)، قال المصنّف: المنصوبةُ الحيلة، يقال: سَوَى فلانٌ منصوبه، وفي  
الأصلِ صفةٌ للشبكة أو الحباله، فجرت مجرى الأسماء كالدآية والعجوز، وفي الكلام حذف،  
أي: هذا تمثيلٌ حالهم في أتهم سَوُوا منصوباتٍ ليمكروا الله، فجعل الله هلاكهم فيها، كحالِ  
قوم بنوا، إلى آخره، وهو استعارةٌ تمثيلية؛ لأن التشبيه إنما وقع في الحال والأمر المتزعة،  
وعلى هذا كان من الواجب فيه مراعاةُ مفردات المعاني من الجانبين، وعلى ما قرره أخل

(١) «المحتسب» (١: ٢٥٤).

(٢) انظر: «الدرّ الثور» للسيوطي حيث ذكر أن الوليد بن المغيرة كان قد بعث سنة عشر رجلاً يقفون على  
فجاج مكة ومداخلها يقولون للناس: «لا تغتروا بهذا الخارج فينا يدعي النبوة، فإنه مجنون»، وكان  
الوليد ينتظر القادمين على باب المسجد فإذا سأله عن حال النبي ﷺ، قال: صدق أولئك.

كحال قوم بنو بُنياناً وعمدوه بالأساطين، فأتى البنيان من الأساطين؛ بأن ضعضعت، فسقط عليهم السقف وهلكوا. ونحوه: من حفر لأخيه جباً، وقع فيه منكباً. وقيل: هو نمرود بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة آلاف ذراع. وقيل: فرسخان، فأهب الله الريح، فخرّ عليه وعلى قومه فهلكوا. ومعنى إتيان الله: إتيان أمره. ﴿مِنْ أَلْقَوَاعِدِ﴾: من جهة القواعد. ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾: من حيث لا يحسبون ولا يتوقعون. وقرئ: (فأتى الله بينهم). (فخرّ عليهم السقف) بضمّتين. ﴿مُخْرِجِهِمْ﴾: يُذَلِّهِمْ بعذاب الخزي، ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ﴾ [آل عمران: ١٩٢]، يعني: هذا لهم في الدنيا، ثم العذاب في الآخرة. ﴿شُرَكَاءَ ع﴾ على الإضافة

في المشبه به معنى في المشبه؛ لأن من بنى بُنياناً وعمده بالأساطين، لا يعمد فيه المكر كما يسوي المنصوبات. نعم، لو قدر بأن بيني بُنياناً ويسوي فيه شبه المنصوبات بلطائف الحيل، ويتخذ مأذبة ليكيد بها عدوه فينقلب عليه من حيث لا يشعر، ويسلم العدو، ونحو بناء نمرود الصرح، كما ذكر، لصح، ولعله قصد ذلك، ولذلك استشهد بها، وفي ذكر لفظة فوق مع الاستغناء عنه ظاهراً؛ لأن خورور السقف لا يكون إلا من فوق، مزيد لتقرير التهويل.

قوله: (فأتى البنيان)، أي: خرب، «الأساس»: أتى عليهم الدهر: أفناهم.

قوله: (بنى الصرح)، الجوهري: الصرح: القصر، وكل بناء عال.

قوله: ﴿مِنْ أَلْقَوَاعِدِ﴾: من جهة القواعد، يُشير إلى أن ﴿مِنْ﴾: ابتدائية، أي: نشأ تخريب بُنيانهم من القواعد مبالغة في الهدم؛ لأن المتعارف في التخريب الأخذ<sup>(١)</sup> من السقف إلى أن ينتهي إلى القواعد، وكان أمرهم على العكس، وإليه الإشارة بقوله: «بأن ضعضعت فسقط عليهم السقف»، الجوهري: ضعضعه: أي: هدمه حتى الأرض، وضعضعت أركانه: أي: اتضعت.

قوله: (هذا لهم في الدنيا، ثم العذاب في الآخرة)، أي: العذاب الكامل، وهو الخزي

(١) من قوله: «قوله: ﴿مِنْ أَلْقَوَاعِدِ﴾ من جهة القواعد، يشير إلى هنا سقط من (ح).

إلى نفسه: حكاية لإضافتهم؛ لِيُؤَبِّخَهُمْ بها على طريق الاستهزاء بهم. ﴿تَشَقُّوتَ فِيهِمْ﴾: تُعَادُونَ وتُخَاصِمُونَ المؤمنين في شأنهم ومعناهم. وقرئ: (تשאقون)، بكسر النون، بمعنى: تشاقونني؛ لأنَّ مشاقَّةَ المؤمنين كأنها مُشاقَّةُ الله. ﴿قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾: هم الأنبياء والعلماء من أممهم الذين كانوا يدعونهم إلى الإيثار ويعظونهم،

والهوان، للدلالة «ثم» على التفاوت بين العذابين، وفيه أيضاً معنى التراخي في الزمان، كما هو موضوع «ثم»، فيجب أن يُعْتَبَرَ فيها معنى الكناية؛ وهو مطلق البعد، لا المجاز، لئلا يجتمع إرادة الحقيقة والمجاز معاً.

قوله: (حكاية لإضافتهم)، بالرفع: خبر ﴿شُرَكَاءَ ك﴾ على الحكاية، هو الصحيح، والنسخة الشائعة: بالنصب، والمعنى على الأول: هذا القول حكاية لإضافتهم، يعني كانوا يقولون: هؤلاء شركاء الله، فحكى الله الإضافة على ما كانوا يضيفونه. وعلى الثاني: قال الله تعالى: ﴿شُرَكَاءَ ك﴾ على الإضافة حكاية، فهو إما حال أو مفعول له.

قوله: ﴿تَشَقُّوتَ فِيهِمْ﴾: تعادون، الرّازب: الشقاق: المخالفة، وكونك في شق غير شق صاحبك، أو من: شق العصا بينك وبينه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأنفال: ١٣] أي: صار في شق غير شق أوليائه، نحو: ﴿مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ويقال: المأل بينهما شق الشعرة وشق الأبلمة<sup>(١)</sup>، أي: مقسوم كقسمتهما<sup>(٢)</sup>.

قوله: (وقرئ: «تשאقون» بكسر النون)، قرأها نافع<sup>(٣)</sup>، يقولون ذلك، أي: ﴿إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

قوله: (من أممهم)، «من»: ابتدائية، أي: من جهة أممهم، كما في قوله: ﴿مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾،

(١) وهي خوصة النخل إذا أخذت فشققت طولاً فانقسمت بقتمين. ووقع في النسخة (ح): «الأنملة»، وهو تحريف.

(٢) «مفردات القرآن»، ص ٤٥٩-٤٦٠.

(٣) أراد «تשאقوني» أي: تعادونني، فحذف إحدى النونين استقلاً للجمع بينها، وحذف الياء اجتزاءً بالكسرة. انظر: «حجة القراءات»، ص ٣٨٨.

فلا يَلْتَفِتُونَ إِلَيْهِمْ وَيَتَكَبَّرُونَ عَلَيْهِمْ وَيَشَاقِقُونَهُمْ، يَقُولُونَ ذَلِكَ شَهَادَةً بِهِمْ، وَحَكَى اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ؛ لِيَكُونَ لَطْفًا لِمَنْ سَمِعَهُ. وَقِيلَ: هُمُ الْمَلَائِكَةُ. قُرِئَ: ﴿تَنَوَّفَهُمْ﴾ بِالنَّاءِ وَالْيَاءِ. وَقُرِئَ: ﴿الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمْ﴾، بِإِدْغَامِ النَّاءِ فِي النَّاءِ. ﴿فَأَلْقُوا السَّلْمَ﴾: فَسَالَمُوا وَأَخْبَتُوا، وَجَاوَزُوا بِخِلَافٍ مَا كَانُوا عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا مِنَ الشَّقَاقِ وَالْكَيْرِ، وَقَالُوا: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ وَجَحَدُوا مَا وَجَدَ مِنْهُمْ مِنَ الْكُفْرِ وَالْعُدْوَانِ، فَرَدَّ عَلَيْهِمْ أَوْلُو الْعِلْمِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فَهُوَ يُجَازِيكُمْ عَلَيْهِ، وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الشَّهَادَةِ، وَكَذَلِكَ ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾.

أي: قال الأنبياء من جهة أعمهم المكذبة: ﴿إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾<sup>(١)</sup> شَهَادَةً  
٣٣:

قوله: (قُرِئَ: ﴿تَنَوَّفَهُمْ﴾ بِالنَّاءِ وَالْيَاءِ)، قرأ حمزة في الموضعين بالياء التحتاني<sup>(٢)</sup>،  
والباقون: بالناء.

قوله: (وَقُرِئَ ﴿الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمْ﴾ بِإِدْغَامِ النَّاءِ فِي النَّاءِ)، قرأها البرزي.

قوله: (وَأَخْبَتُوا)، الجوهري: الإخبات: الخُشوع، يقال: أَخْبَتَ اللَّهُ، أي: تَوَاضَعَ، وَأَصْلُهُ: الإِلْقَاءُ فِي الْأَجْسَامِ، فَاسْتَعْمَلَ فِي إِظْهَارِهِمُ الْإِنْقِيَادَ، إِشْعَارًا بِغَايَةِ خُضُوعِهِمْ وَاسْتِكَانَتِهِمْ، وَأَتَاهَا كَالشَّيْءِ الْمُلْقَى بَيْنَ يَدَيِ الْغَالِبِ الْقَاهِرِ.

قوله: (وهذا أيضًا من الشهادة، وكذلك ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾)، فالشهادته الأولى  
قولهم: ﴿إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ \* الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ،  
أي: الَّذِينَ يَمُوتُونَ عَلَى الشَّرْكِ، لقوله: ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣]، فلما  
أَلْقُوا السَّلْمَ، أي: ذَلُّوا وَخَضَعُوا قَائِلِينَ: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ رَدَّ عَلَيْهِمْ أَوْلُو الْعِلْمِ:

(١) قوله: «من جهة أعمهم المكذبة: ﴿إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾» سقط من (ف).  
(٢) والحجة فيه أن فعل الجميع إذا تقدم يذكُر ويؤنث، فإن ذكرته أردت به جمع الملائكة، وإذا أنثته أردت  
جماعة الملائكة. وحجة من قرأ بالناء قوله تعالى: ﴿وَلَا قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ﴾ [آل عمران: ٤٢]. انتهى من

[﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ \* جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ \* الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ٣٠ - ٣٢]

﴿خَيْرًا﴾ أنزل خيرًا. فإن قلت: لم نصب هذا ورفع الأول؟ قلت: فصلًا بين جواب المُقِرِّ وجواب الجاحد، يعني: أن هؤلاء لهما سُئِلوا لَمْ يَتَلَعَّمُوا، وأُطْبِقُوا الجواب على السؤال بيِّنًا مَكشُوفًا، .....

بل كنتم تعملون السوء ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ تحقيقًا لذلك الرَّدِّ وتعليلاً له على وَجْهِ اسْتِثْنَاءِ إِيْجَابِ الْعِقَابِ وَشَهَادَةِ الْأَعْدَاءِ<sup>(١)</sup>، وإليه الإشارة بقوله: «فهو يجازيكم عليه»، فلما الرَّمُومُهم بذلك عقبوه بقوله: ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾ تَمِيمًا لِلشَّهَادَةِ.

وقال محيي السُّنَّةِ: قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من قولِ الملائكة<sup>(٢)</sup>، وقال صاحبُ «المُرشد»: إن جعلت ﴿الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةَ﴾ في مَوْضِعِ جَرِّ صِفَةٍ لِلْكَافِرِينَ، لم يكنِ الْوَقْفُ على الْكَافِرِينَ حَسَنًا وَلَا كَافِيًا، وإن جعلته في مَوْضِعِ رَفْعِ خَبَرٍ مُبْتَدَأٍ مَحذُوفٍ، كان الْوَقْفُ على الْكَافِرِينَ تَامًا<sup>(٣)</sup>، وَالْوَقْفُ على ﴿ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ في هَذَا الْوَجْهِ أَصْلَحُ، وعلى ذَلِكَ الْوَجْهِ صَالِحٌ لَيْسَ بِكَافٍ وَلَا حَسَنٌ.

قوله: (لم نصب هذا - أي: ﴿خَيْرًا﴾ - ورفع الأول؟)، أي: ﴿أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ في قوله: ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾.

قوله: (لم يتلعمتموا)، أبو زيد<sup>(٤)</sup>: تَلَعَّمَتِ الرَّجُلُ فِي الْأَمْرِ: إِذَا تَمَكَّثَ فِيهِ.

قوله: (بيِّنًا)، صفةٌ مُصَدَّرٌ مَحذُوفٌ، أي: طِبَاقًا بَيِّنًا.

(١) سقط لفظ «الأعداء» من النسخة (ف) و(ط).

(٢) «معالم التنزيل» (٥: ١٧).

(٣) انظر: «تلخيص المرشد» للقاضي زكريا الأنصاري، ص ٤٣٣.

(٤) الأنصاري، سعيد بن أوس. سبقت ترجمته.



مفعولاً للإنزال، فقالوا: خيراً، أي: أنزل خيراً، وأولئك عدلوا بالجواب عن السؤال، فقالوا: هو أساطير الأولين، وليس من الإنزال في شيء. ورُوي: أن أحياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي ﷺ، فإذا جاء الوافد كفه المقتسمون وأمروه بالانصراف، وقالوا: إن لم تلقه كان خيراً لك، فيقول: أنا شرُّ وافد إن رجعتُ إلى قومي دون أن أستطلع أمر محمدٍ وأراه، فيلقى أصحاب رسول الله ﷺ، فيخبرونه بصدقه، وأنه نبي مبعوث، فهم الذين قالوا خيراً. وقوله: ﴿لَلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ وما بعده بدلٌ من ﴿خَيْرًا﴾ حكاية لقوله: ﴿لَلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾، أي: قالوا هذا القول، فقدم عليه تسميته خيراً ثم حكاها. ويجوز أن يكون كلاماً مبتدأً عده للقائلين، ويجعل قولهم من جملة إحسانهم ويحمدوا عليه. ﴿حَسَنَةٌ﴾: مكافأة في الدنيا بإحسانهم، وهم في الآخرة

قوله: (مفعولاً)، حال مترادف، أو مفعول له، أي: نُصِبَ هذا فضلاً بين الجوابين مفعولاً للإنزال.

قوله: (بدلٌ من ﴿خَيْرًا﴾ حكاية) خبران<sup>(١)</sup> لقوله: «وقوله: ﴿لَلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾».

قوله: (أي: قالوا هذا القول، فقدم عليه تسميته خيراً ثم حكاها)، يريد أن جواب المتقين عن قولهم: ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾ كان أنزل ﴿لَلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ إلى آخره، فقدم تعالى عليه ﴿خَيْرًا﴾ وجعله توطئة لقولهم، ثم حكى قولهم: ﴿لَلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ إلى آخره. قال القاضي: فعلى هذا قوله: ﴿خَيْرًا﴾: مفعول ﴿قَالُوا﴾<sup>(٢)</sup>.

قوله: (ويجوز أن يكون كلاماً مبتدأً)، عطف على قوله: «بدلٌ»، فعلى هذا هو من كلام الله تعالى يمدح القائلين ويعدهم على ما أحسنوا فيه من القول، وجاء به عامًا في جميع ما أحسنوا ليدخل هذا القول فيه أيضًا. و﴿لَلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ مظهرٌ وُضِعَ موضع المضمَر للإشعار بأنهم مستأهلون بأن يُحسن إليهم دنيا وعقبى.

(١) لفظه «خبران» سقطت من (ح) و(ف).

(٢) «أنوار التنزيل» (٣: ٣٩٥).

ما هو خيرٌ منها، كقوله: ﴿فَقَالَتْ لَهُمْ اللَّهُ تُؤَابِّ الدُّنْيَا وَحَسَنَّ تُوَابِ الآخِرَةِ﴾ [آل عمران: ١٤٨]، ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ دارُ الآخرة، فحذف المخصوص بالمدح؛ لتقدم ذكره. و﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ﴾ خبرٌ مبتدأ محذوف، ويجوز أن يكون المخصوص بالمدح. ﴿طَيِّبِينَ﴾: طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصي؛ لأنه في مقابلة ﴿ظَالِمِينَ أَنفُسِهِمْ﴾ [النحل: ٢٨]، ﴿يَقُولُونَ سَلِّمْ عَلَيْنَا﴾ قيل: إذا أشرف العبد المؤمن على الموتِ جاءه ملكٌ فقال: السلام عليك يا وليَّ الله، الله يقرأ عليك السلام، وبشَّره بالجنة.

[﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ \* فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ٣٣ - ٣٤]

﴿تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ قُرئ بالناء والياء، يعني: أن تأتيهم لقبض الأرواح. و﴿أَمْرٌ رَبِّكَ﴾: العذاب المستأصل، أو: القيامة. ....

قوله: (لأنه في مقابلة ﴿ظَالِمِينَ أَنفُسِهِمْ﴾)، يعني: يجب تفسيرُ طَيِّبِينَ بطاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصي للتقابل، أما الكفرُ فإنَّ قوله: ﴿الَّذِينَ تَوَفَّوْنَهُمْ﴾ إما مجرورٌ: صفةٌ للكافرين، أو مرفوعٌ: خبرٌ مبتدأ محذوف، والجملة بيانٌ للكافرين، كما سبق، وأما المعاصي فإنَّ قوله (١): ﴿ظَالِمِينَ أَنفُسِهِمْ﴾ مجابٌ بقولهم: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾، فظهر من هذا أن قوله: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾ عطفٌ على قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾ على التقابل، فينبغي أن يُراعى مضامين القِصتين، ولذلك خُتِمتِ الأولى بقوله: ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾، والثانية: بقوله: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾، ولما كان ذِكْرُ (٢) المؤمنين وارداً على سبيل الاستطراد للتقابل، وفرغ منه، عادَ إلى نوعٍ آخرٍ من حديث الكفار، أعني قوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ والله أعلم.

(١) من قوله: ﴿الَّذِينَ تَوَفَّوْنَهُمْ﴾ إما مجرورٌ: صفةٌ للكافرين إلى هنا، سقط من (ف).

(٢) في (ح) و(ف): «ذات».

﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب ﴿فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ بتدميرهم ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾؛ لأنهم فعلوا ما استوجبوا به التدمير. ﴿سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا﴾ جزاء سيئات أعمالهم. أو: هو كقوله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [٣٥]

هذا من جملة ما عُدَّ

قوله: (أي: مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب)، يعني: المشار إليه بقوله ذلك في ﴿كَذَلِكَ﴾ ما دل عليه الآيات السابقة من الشرك والتكذيب، فعلى هذا لا يحسن ترتب قوله: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا عَمِلُوا﴾ على قوله: ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ حسنة لو كان المشار إليه ما دل عليه قوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾؛ لأنه نوع آخر من قبائحهم كما سبق، وأي: ما لم استمروا على الكفر والاستهزاء، ولم يؤمنوا مع هذه البيانات الشافية والدلالات الواضحة هل ينظرون إلا مجيء الآيات الملجئة حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن ءآمنت من قبل ﴿[الأنعام: ١٥٨]﴾، ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، فيكون قوله: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ معترضا بين السبب والمسبب.

قوله: (أو هو كقوله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ﴾ [الشورى: ٤٠]) يعني: قوله: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا عَمِلُوا﴾ دل على أن ما أصابهم سيئة، وليس به، فيجب أن يقدر مضاف أو مجعل من باب المشاكلة.

قوله: (هذا من جملة ما عُدَّ)، يعني قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ معطوف من حيث المعنى على ما سبق من أول السورة من أصناف كفرهم وعنادهم وشركهم بالله،

وإنكارِ وَخُدَانِيَّتِهِ بعدَ قيامِ الْحُجُجِ وَإِنكَارِ الْبَعْثِ واستعجاله، وتكذيبهم الرسولَ وشقاقهم واستكبارهم.

أما إنكارُ الْبَعْثِ واستعجاله فيُفْهِمُ من قوله: ﴿أَن أَمُرُ اللَّهَ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾.

وأما شركهم: فهو ما يلزم من استعجالهم العذابَ على ما سبق.

وأما إنكارُ وَخُدَانِيَّتِهِ: فهو ما دلَّ عليه ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾.

وأما الْحُجُجُ السابقة، على هذا الإنكارِ، فهي من قوله: ﴿يُنزِلُ الْمَلَكَةَ بِالرُّوحِ﴾ ومن قوله: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ﴾ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ وَالْأَنْعَامَ وَالْحَيْلَ وَالْبِغَالَ، ومن قوله: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾، وقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾، و﴿سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ﴾ [الجنانية: ١٢]، ومن قوله: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ﴾.

وأما تكذيبهم الرسولَ، فمن قوله: ﴿قَالُوا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ﴾.

وأما استكبارهم عن قبولِ الْحَقِّ، فمن قوله: ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾، وفيه إنكارُ الْبَعْثِ.

وخلاصته أن هذه السورة من مُفْتَتِحِهَا إلى هذا المقام، واردة في بيانِ تعدادِ أصنافِ قبائحِ المشركين، وما قد تَخَلَّلَ بينها من ذكرِ أَجْنَبِيٍّ، فللتأكيدِ لإلزامِ الْحُجَّةِ وبيانِ الْعِنَادِ والاستكبارِ، وهذا كلامٌ عالٍ وبيانٌ شافٍ، لكنَّ قوله: «وهذا مذهبُ الْمُجْرِبَةِ بِعَيْنِهِ» جاءَ عَقِيْبَهُ خَارِجًا عن سَنَنِ الْحَقِّ ومَحْضٍ فيه التَعْصُّبُ، فحَرَّمَ ذلكَ النَّظْمَ السَّرِيَّ، وذلكَ أَنَّهُ تعالى لما عَدَّدَ كُفْرَهُمْ وشِرْكَهُمْ وتكذيبَهُمْ إلى غيرِ ذلكَ على ما سبقَ، أتى بقوله: ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، ولما ذَكَرَ ما يَدُلُّ على إِفْحَامِهِمْ، وأنَّ الْحُجَّةَ قد لَزِمَتْهُمْ، ولم يَبْقَ لهم مُتَشَبِّهُتٌ إِلَّا التعليلُ بِالْمَشِيئَةِ<sup>(١)</sup>، وهو قولهم: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾، كما اسْتَفْصَيْنَا الْقَوْلَ فيه في «الأنعام»، أعادَ قوله: ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾<sup>(٢)</sup> ليرتِكَ أن

(١) قوله: «بالمشيئة»: سقط من النسخة (ح).

(٢) من قوله: «ولما ذكر ما يدل على إفحامهم» إلى هنا، سقط من (ط).

من أصناف كفرهم وعنادهم؛ من شركهم بالله، وإنكار وحدانيته بعد قيام الحجج، وإنكار البعث، واستعجاله؛ استهزاء منهم به، وتكذيبهم الرسول، وشقاقهم، واستكبارهم عن قبول الحق، يعني: أنهم أشركوا بالله وحرّموا ما أحلّ الله، من البحيرة والسائبة وغيرهما، ثم نسبوا فعلهم إلى الله، وقالوا: لو شاء لم تفعل، وهذا مذهب المجبرة بعينه. ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: أشركوا وحرّموا حلال الله، فلما نبهوا على قبح فعلهم وركوه على ربهم، ﴿فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ﴾ إلا أن يبلغوا الحق، وأن الله لا يشاء الشرك والمعاصي بالبيان والبرهان، ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه وبراءة الله تعالى من أفعال العباد، وأنهم فاعلوها بقصدهم وإرادتهم واختيارهم، والله تعالى باعثهم على جميلها وموفقهم له، وزاجرهم عن قبيحها وموعدهم عليه.

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَنَسَبُوا فِي الْأَرْضِ فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمَكذِبِينَ ﴾ [٣٦]

ولقد أمد إبطال قدر السوء ومشية الشر بأنه ما من أمة إلا وقد بعث فيهم

أحوال هؤلاء المشركين وأقوالهم لم تتجاوز عن أفعال الأمم الخالية، ولا عن أقوالهم حذو القذة بالقذة، ثم بين أن الرسول سلفًا وخلفًا ما قصر في الإنذار والتبليغ بقوله: ﴿فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ ثم عقب المجمل بالتفصيل بقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ تسلية للرسول ﷺ وتحريضًا للقوم على الاعتبار، وأن ينظروا إلى وخامة عاقبة المكذبين وسوء خاتماتهم، وأن لا تذهب نفسه عليهم حسرات، ومن ثم خاطبه صلوات الله عليه بقوله: ﴿إِنْ تَحَرَّضَ عَلَى هُدْيَتِهِمْ﴾ فأين يدخل في الكلام حديث إني لا أقدر الشر ولا أشاؤه.

قوله: (وركوه)، الجوهري: ورك فلان ذنبه على غيره، أي: قره به.

قوله: (ولقد أمد إبطال قدر السوء)، يعني: أبطل الله تعالى في قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ

رسولاً يأمرهم بالخير الذي هو الإيمان وعبادة الله، وباجتناب الشر الذي هو طاعة الطاغوت، ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ﴾ أي: لطف به؛ لأنه عرفه من أهل اللطف، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ أي: ثبت عليه الخذلان والترك من اللطف؛ لأنه عرفه مصمماً على الكفر لا يأتي منه خير، ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا﴾ ما فعلت بالمكذابين؛ حتى لا يبقى لكم شبهة في أي لا أقدر الشر ولا أشاؤه، حيث أفعَل ما أفعَل بالأشرار.

[﴿إِنْ تَحَرَّضَ عَلَىٰ هُدُنُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ ٣٧]

ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله ﷺ على إيمانهم، وعرفه أنهم من قسم من حقت عليه الضلالة، وأنه ﴿لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾ أي: لا يلفظ بمن يخذل؛ لأنه عبث، والله تعالى متعالٍ عن العبث؛ لأنه من قبيل القبائح التي لا تجوز عليه. ....

أشركوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا ﴿إِلَىٰ آخِرِهِ، نسبة أفعالِ السوءِ إلى قدرِ الله تعالى، ثم أمد ذلك الإبطال بقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾.

الانتصاف: وَجْهٌ استدلاله بها أن الله قَسَمَ العِبَادَةَ قَسَمَيْنِ، والأمر والنهي يرجعان إلى المشيئة، بناءً على زعمهم في إنكارِ كلامِ النَّفْسِ، فعنده أن الله شاء أن تعبدوه وشاء أن يجتنبوا الطاغوت؛ ولم يشأ إشرآكهم، ومبنى استدلاله على إنكارِ كلامِ النَّفْسِ، والعجبُ غفلته عن قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾، كما قال في الأنعام: ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩]، وتقدّم هناك ما فيه كفاية<sup>(١)</sup>.

قوله: (في آتي لا أقدر الشر ولا أشاؤه حيث أفعَل ما أفعَل بالأشرار)، يريد أن النظر في أحوال الأشرار من الهلاك والدمار، يدلُّ على آتي ما قدرتُ الشرَّ فيهم ولا قضيتُهُ عليهم، لآتي لو فعلتُ ذلك، ثم عاقبتهم به، لم أكن عادلاً، لكنهم إنَّما استحقوا ذلك لأنهم هم الذين فعلوا ما استحقوا به الهلاك، وعُلِمَ من قبل أن ما ذكره خارج عن مقتضى المقام.

(١) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٢: ٦٠٤).

وَقُرِّي: (لا يَهْدِي) أي: لا تقدرُ أنت ولا أحدٌ على هدايته وقد خذَلَه اللهُ. وقوله: ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾ دليلٌ على أنَّ المرادَ بالإضلالِ الخِذْلانُ الذي هو نقيضُ

قوله: (وَقُرِّي: «لا يَهْدِي»)، على ما لم يُسمِّ فاعله، الكوفيون<sup>(١)</sup>: ﴿لَا يَهْدِي﴾ بفتح الياء وكسر الدال. والباقون بضم الياء وفتح الدال<sup>(٢)</sup>، قال أبو البقاء: في قراءة الضمِّ وجهان، أحدهما: أَنْ ﴿مَنْ يُضِلُّ﴾ مبتدأ، و﴿لَا يَهْدِي﴾: خبره. والثاني: أَنْ ﴿لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾ بأسره: خبرٌ ﴿إِنَّ﴾، كقولك: إِنَّ زَيْدًا لَا يُضْرَبُ أبوه<sup>(٣)</sup> يعني: أَنَّ التركيبَ سببيٌّ، ومعناه: أَنْ زيدًا بمكانٍ مِنَ الشرفِ والكرامةِ بحيثُ استحقَّ أن يُكرمَ أبوه ولا يهانَ بالضرب، ونظيره في المعنى: حَوْلانٍ فانكح، ثُمَّ ما في التنزيلِ مع ذلك التقديرِ واقعٌ جزاءٌ للشرطِ ولم يكن يصلحُ جزاءً إلا بتأويلِ الإعلامِ والإخبارِ، وقد تقررَ أنَّ مثلَ هذا الأسلوبِ إنما يَرِدُ للتفريعِ، أو التنبيهِ على أمرٍ خطيرٍ خفيٍّ على السامعِ، ولا سيما في جعلِ اسمِ «إِنَّ» الاسمَ الجامعَ للأسماءِ الحسنى، كأنه قيل: ﴿إِنْ تَحْرِصْ﴾ أنت وكلُّ مخلوقٍ على هدايةِ مَنْ أَرَادَ اللهُ إضلالَه، فاعلمْ وتنبهْ أنك قد حاولتَ مزاولَةَ أمرٍ لا يرامُ، ومُحالٍ لا يُستطاعُ، هذا معنى قوله: «لا تقدرُ أنت ولا أحدٌ على هدايته»، ووجدتُ لبعضِ الفضلاءِ على الحاشيةِ: هذه كلمةٌ حقٌّ، وقد أخرجها اللهُ تعالى مِنْ فمِهْ بلا اختيارٍ منه.

قوله: (﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾ دليلٌ على أنَّ المرادَ بالإضلالِ الخِذْلانُ)، كأنه قيل: ﴿إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدْيَتِهِمْ﴾، فاعلمْ أنَّ الله لا يهدي مَنْ يخذله<sup>(٤)</sup>، وما له من ناصرٍ يَنْصُرُهُ.

وقلتُ: ليسَ تأويلٌ ﴿مَنْ يُضِلُّ﴾ بالخِذْلانِ أَوَّلِي مِنْ تأويلِ ﴿مَنْ نَّاصِرِينَ﴾ بالهادينِ، أي: ﴿إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدْيَتِهِمْ﴾، فاعلمْ أنَّ الله لا يهدي مَنْ يُضِلُّه وما له مِنْ هادٍ قطُّ، لا أنت

(١) في النسخة (ح): «الكوفيين»، وهو خطأ.

(٢) انظر: «حجّة القراءات»، ص ٣٨٨ - ٣٨٩ حيث أجاد في تعليل اختيار القراء.

(٣) «البيان في إعراب القرآن» (٢: ٧٩٥).

(٤) في (ط): «من يضلّه».

النُّصْرَةَ. ويجوزُ أن يكونَ ﴿لَا يَهْدِي﴾ بمعنى: لا يَهْتَدِي. يقال: هَدَاهُ اللهُ، فَهَدَى. وفي قراءة أبي: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا هَادِيَ لِمَنْ يُضِلُّ﴾، و﴿لِمَنْ أَضَلَّ﴾، وهي مُعَاضِدَةٌ لِمَنْ قَرَأَ: ﴿لَا يَهْدِي﴾ على البناءِ للمفعول. وفي قراءة عبد الله: ﴿يَهْدِي﴾ بإدغام تاءِ «يَهْتَدِي»، وهي مُعَاضِدَةٌ لِلأُولَى. وَقُرئ: ﴿يُضِلُّ﴾ بالفتح. وَقَرَأَ النَّخَعِيُّ: ﴿إِنْ تَحْرَضَ﴾ بفتحِ الراءِ، وهي لُغِيَّةٌ.

[﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ \* لِئِبْنِ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ﴿٣٨ - ٣٩﴾]

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ﴾ معطوفٌ على ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [النحل: ٣٥]؛ إيداناً

ولا غيرك<sup>(١)</sup>، وهذا أولى؛ لأنَّ أوَّلَ الكلامِ في الهدايةِ لا في النَّصْرَةِ والخِذلانِ، وأما الخِتمُ بعد النَّصْرَةِ فللمبالغةِ في عدمِ توخي الهدايةِ والحِثَّةِ فيه وعدمِ الاهتداءِ.

قوله: ﴿وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿لَا يَهْدِي﴾ بِمَعْنَى: لَا يَهْتَدِي﴾، الجوهريُّ: هَدَى وَاهْتَدَى بِمَعْنَى، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾، قال الفراءُ<sup>(٢)</sup>: يريدُ: «لا يَهْتَدِي»، يعني: «لا يَهْتَدِي مَنْ يُضِلُّهُ».

قوله: ﴿هَدَاهُ اللهُ فَهَدَى﴾، أي: «هدى» مطاوعُ «هداه»، كما أنَّ «اهتدى» مطاوعُه.

قوله: ﴿وَهِيَ مُعَاضِدَةٌ لِمَنْ قَرَأَ: ﴿لَا يَهْدِي﴾﴾، أي: لا هاديٍّ موجودٌ لِمَنْ يُضِلُّهُ، فإذا لم يكنْ هاديِّه موجوداً فلا يُهدى أبداً.

قوله: ﴿وَهِيَ مُعَاضِدَةٌ لِلأُولَى﴾، أي: قراءةٌ من قَرَأَ: «لا يَهْدِي» بمعنى: لا يَهْتَدِي<sup>(٣)</sup>.

(١) ونظيره قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [الفصل: ٥٦]، وكذا قوله

تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ صَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْبَعُهُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢: ٩٩).

(٣) وهي قراءة ابن مسعود وأصحابه، كما حكاه الفراء في «معاني القرآن» (٢: ٩٩).



بأنها كُفرتان عظيمتان موصوفتان، حقيقتان بأن تحكما وتَدَوْنَا: تَوْرِيكٌ ذُنُوبُهُمْ عَلَى مَشِيئَةِ اللَّهِ، وَإِنْكَارُهُمُ الْبَعْثَ مُقْسِمِينَ عَلَيْهِ. وَ﴿بَلَى﴾: إِثْبَاتٌ لِمَا بَعْدَ النَّفْيِ، أَي: بَلَى يَبْعَثُهُمْ. وَوَعَدُ اللَّهِ: مَصْدَرٌ مُؤَكَّدٌ لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ ﴿بَلَى﴾، لِأَنَّ يَبْعَثُ مَوْعِدٌ مِنَ اللَّهِ، وَيَبِينُ أَنَّ الْوَفَاءَ بِهَذَا الْمَوْعِدِ حَقٌّ وَاجِبٌ عَلَيْهِ فِي الْحِكْمَةِ، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أَنَّهُمْ يُبْعَثُونَ، أَوْ أَنَّهُ وَعَدٌ وَاجِبٌ عَلَى اللَّهِ؛ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: لَا يَجِبُ عَلَى اللَّهِ

قَوْلُهُ: (كُفْرَتَانِ)، الْجَوْهَرِيُّ: الْكُفْرُ، بِالْفَتْحِ: التَّغْطِيَةُ، قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ: وَمِنْهُ سُمِّيَ الْكَافِرُ؛ لِأَنَّهُ يَسْتُرُ نِعَمَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ<sup>(١)</sup>، وَفِي التَّخْصِيصِ فَائِدَةٌ، وَهِيَ أَنَّ الْكُفْرَانَ يَحَاوِلُونَ تَغْطِيَةَ مَا هُوَ فِي غَايَةِ الظُّهُورِ وَالْجَلَاءِ، وَالْأَوَّلَى أَنْ يَعْطِفَ الْجُمْلَةَ كَمَا هِيَ عَلَى جُمْلَةِ الشَّرْطِ وَالْجِزَاءِ، كَأَنَّهُ تَعَالَى يُخْبِرُ عَنْ مَبَالِغَةِ جِرْصِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى هِدَايَتِهِمْ، وَعَنْ تَنَاهِي ضَلَالِهِمْ مُفَوَّضًا تَرْتَّبَ إِحْدَى الْجُمْلَتَيْنِ عَلَى الْأُخْرَى إِلَى فَهْمِ السَّمَاعِ.

قَوْلُهُ: (أَوْ أَنَّهُ وَعَدٌ وَاجِبٌ)، أَي: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أَنَّهُ وَعَدٌ وَاجِبٌ عَلَى اللَّهِ، لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: «لَا يَجِبُ عَلَى اللَّهِ شَيْءٌ، لَا ثَوَابٌ عَامِلٌ وَلَا غَيْرُهُ»، وَفِيهِ تَعْرِيفٌ بِأَهْلِ السُّنَّةِ<sup>(٢)</sup>، قَالَ صَاحِبُ «الْفَرَائِدِ»: لَا دِلَالَةَ فِي الْآيَةِ عَلَى مَا قَال، لَكِنَّ الْمَعْنَى: لَا يَعْلَمُونَ كَمَا لَقُدْرَتَهُ، وَبِالْبَيْتِ حِكْمَتَهُ فِي بَعْثِهِ بَعْدَ إِمَاتَتِهِ.

وَقُلْتُ: الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ السِّيَاقُ أَنَّ مَعْنَاهُ: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذَلِكَ الْوَعْدَ الْحَقَّ وَالْقَوْلَ الصَّادِقَ لِقَوْلِهِ: ﴿وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ [يونس: ٤]، فَالْمَقْدَرُ: الْوَعْدُ الْوَاجِبُ بِحَسَبِ أَنَّهُ تَعَالَى لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ، لَا أَنَّ الْعَبْدَ يُوْجِبُ عَلَيْهِ ذَلِكَ بِسَبَبِ عَمَلِهِ. وَأَمَّا الْجِزَاءُ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، فَهُوَ تَائِبٌ لِلْبَعْثِ، أَوْ ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أَنَّهُ تَعَالَى يَبْعَثُهُمْ، أَي: بِمَسْأَلَةِ الْبَعْثِ الَّتِي مَبْنَاهَا عَلَى كَوْنِهِ تَعَالَى عَالِمًا بِكُلِّ الْمَعْلُومَاتِ، قَادِرًا عَلَى كُلِّ الْمَقْدُورَاتِ، كَالْفَلَاسِفَةِ وَأَضْرَابِهِمْ خَذَلَهُمُ اللَّهُ.

(١) «إصلاح المنطق» ص ١٢٧.

(٢) الذين لا يقولون بوجود رعاية الأصلح على الله تعالى، ولا يوجبون على الله تعالى شيئاً.

شيء، لا ثواب عامل ولا غيره من مواجب الحكمة. ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ متعلق بما دلَّ عليه ﴿بَلَى﴾ أي: يبيّنهم ليبيّن لهم. والضمير لمن يموت، وهو عامٌ للمؤمنين والكافرين. والذي اختلفوا فيه: هو الحق. ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ﴾ كذبوا في قولهم: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٣٥]، وفي قولهم: ﴿لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨]. وقيل: يجوز أن يتعلق بقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ [النحل: ٣٦]، أي: بعثناه ليبيّن لهم ما اختلفوا فيه، وأنهم كانوا على الضلالة قبله، مُفترين على الله الكذب.

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [٤٠]

﴿قَوْلُنَا﴾: مُبتدأ، و﴿أَنْ نَقُولَ﴾: خبره. ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ من «كان» التامة التي بمعنى الحدوث والوجود، أي: إذا أردنا وجود شيء فليس إلا أن نقول له: احدث، فهو يحدث عقيب ذلك لا يتوقف، وهذا مثل؛ لأنَّ مُرادًا لا يمتنع عليه، وأنَّ وجوده عند إرادته تعالى غير متوقف، كوجود المأمور به عند أمر الأمر المطاع إذا ورد على المأمور المطيع الممثل، ولا قول ثم. والمعنى: أنَّ إيجاد كلِّ مقدور على الله تعالى بهذه السهولة، .....

ويؤيد أن الكلام في البعث قوله: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ أي: في البعث، ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ﴾ أي: في قولهم: ﴿لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾، وكذا قوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾؛ لأنَّ فيه إثبات القدرة الكاملة والإرادة الشاملة، وإليه الإشارة بقوله: «والمعنى: أنَّ إيجاد كلِّ مقدور على الله بهذه السهولة، فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من شقِّ المقدورات؟».

قوله: (لأنَّ مرادًا)، نكرة، واللام متصل بـ«مثل»، أي: أي مراد يكون؟

وقوله: (وأنَّ وجوده عند إرادته غير متوقف)، عطف تفسيري، على أنَّ مرادًا لا يمتنع

عليه.

فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من شقِّ المقدورات! وقرئ: (فيكون)؛ عطفًا على ﴿نَقُولُ﴾.

[﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۗ وَلَا جَزَاءَ لَآخِرَةٍ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ \* الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤١ - ٤٢﴾]

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾: هم: رسول الله ﷺ وأصحابه، ظلمهم أهل مكة ففرّوا يدينهم إلى الله، منهم من هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة فجمع بين الهجرتين، ومنهم من هاجر إلى المدينة. وقيل: هم الذين كانوا محبوسين معذبين بعد هجرة رسول الله ﷺ،

قوله: (في<sup>(١)</sup> شقِّ المقدورات)، فيه توهين لأمر البعث، «الأساس»: قعد في شقِّ من الدار: في ناحية منها، وخُذ من شقِّ الثياب، من عرضها ولا تختر.

قوله: (وقرئ: «فيكون»)، ابن عامر والكسائي: بالنصب، والباقون: بالرفع، قال الزجاج<sup>(٢)</sup>: فالرفع على: فهو يكون، أي ما أراد الله فهو يكون، والنصب: إما على<sup>(٣)</sup>: ﴿أَنْ نَقُولُ﴾؛ أي: نقول فيكون، أو على أنه جواب ﴿كُنْ﴾. و﴿قَوْلَنَا﴾: رَفَعُ بالابتداء، وخبره ﴿أَنْ نَقُولُ﴾ معناه: ماذا أراد الله فهو كائنٌ على كلِّ حال، ولو أراد خلق الدنيا والسموات والأرض في قدرٍ لمح البصر لقدّر، لكن العباد خوطبوا بما يعقلون، فأعلمهم الله سهولة خلق الأشياء، فعلم أنه متى أراد الشيء كان، وليس أن الشيء قبل أن يخلق موجودًا.

وقال أبو علي<sup>(٤)</sup>: ﴿كُنْ﴾ وإن كان على لفظ الأمر، فليس القصد هنا الأمر وإنما هو والله أعلم: الإخبار عن كون الشيء وحدوثه، وإلى هذا ذهب أبو العباس، وسيجيء تمام بحثه في «يس».

(١) كذا في الأصول الخطية، وفي «الكشاف»: «من».

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» (٣: ١٩٨-١٩٩).

(٣) أي: إما عطفًا على، وهو لفظ الزجاج.

(٤) يعني الفارسي. انظر: «الحجة للقراء السبعة» (٣: ٣٧).

وَكَلَّمَا خَرَجُوا تَبِعُوهُمْ فَرَدُّوهُمْ؛ مِنْهُمْ: بلال، وصُهيب، وخبَّاب، وعمَّار. وعن صهيب: أنه قال لهم: أنا رجلٌ كبير، إن كنتُ معكم لم أنفعكم، وإن كنتُ عليكم لم أضركم، فافتدى منهم بماله وهاجر، فلما رآه أبو بكرٍ رضي الله عنه قال له: ربيعُ البيع يا صُهيب. وقال له عمر: نعم الرجلُ صُهيب، لو لم يخفِ الله لم يعصه. وهو ثناءٌ عظيم؛ يريد: لو لم يخلقِ الله نارا لأطاعه، فكيف وقد خلق! ﴿فِي اللَّهِ﴾: في حقه ولو وجهه. ﴿حَسَنَةً﴾: صفةٌ للمصدر، أي: لنبوئتهم تبوئةً حسنة. وفي قراءة علي رضي الله عنه: (لنثوينهم)، ومعناه: إثواءة حسنة. وقيل: لنزلتهم في الدنيا منزلةً حسنة؛ وهي الغلبة على أهل مكة الذين ظلموهم، وعلى العرب قاطبة، وعلى أهل المشرق والمغرب. وعن عمر رضي الله عنه: أنه كان إذا أعطى رجلاً من المهاجرين عطاءً قال: خذ بارك الله لك فيه، هذا ما وعدك ربك في الدنيا، وما ذخر لك في الآخرة أكثر. وقيل: لنبوئتهم

قوله: (فكيف)، متعلقةٌ بمحذوف، تقديره: لو لم يخلقِ الله نارا لأطاعه، فكيف وقد خلق، أي: لا يطيع الله لخوف النار فتكون طاعته لأغراضٍ وعلل، والعارف من يطيع الله، ومعنى (لو) في الحديث ليس لامتناع الشيء لامتناع غيره، بل لمجرد الفرض والتقدير.

قوله: ﴿فِي اللَّهِ﴾: في حقه، أي: الذين هاجروا مخلصين لوجه الله، لا لأمرٍ آخر دنيوي، كقوله صلوات الله عليه: «فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه»، رواه الشيخان وغيرهما<sup>(١)</sup>.

قوله: (لننزلنهم في الدنيا منزلةً حسنة)، يريد أن التبوئة في المكان بمعنى إعطاء المنزلة، فيجوز أن يستعمل في التمكين في الأرض، نحو: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٠]، ولذلك قال: وهي «الغلبة على أهل مكة» إلى قوله: «وعلى أهل المشرق والمغرب»، ولا يبعد أن يقال: إن هذا هو الوعد المذكور في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الْأَبْرَارَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾ الآية [النور: ٥٥]، والله أعلم.

(١) سبق نخرجه.

مبَاءة حَسَنَةً؛ وهي المدينة، حيثُ آواهم أهلها ونَصَرُوهم ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ الضميرُ للكفار، أي: لو عَلِمُوا أَنَّ اللهَ يَجْمَعُ لهؤلاءِ المُستضعفين في أيديهم الدنيا والآخرة، لَرَغِبُوا في دِينِهِمْ. ويجوزُ أن يرجعَ الضميرُ إلى المهاجرين، أي: لو كانوا يعلمون ذلك لَرَادُوا في اجتهادِهِمْ وَصَبْرِهِمْ ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على: هُمُ الذين صَبَرُوا، أو: أعني الذين صَبَرُوا، وكلاهما مَدْحٌ، أي: صَبَرُوا على العذابِ وعلى مُفارقةِ الوَطَنِ الذي هو حَرَمُ اللهِ المحبوبِ في كُلِّ قلبٍ، فكيف بقلوبِ قومٍ هو مَسْقَطُ رؤوسهم، وعلى المُجاهدةِ وبَذْلِ الأرواحِ في سبيلِ اللهِ.

[﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾  
\* بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ﴾  
[٤٣-٤٤]

قالت قُرَيْشٌ: اللهُ أعظمُ من أن يكونَ رسولهُ بشرًا، فقيل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا يُوْحِي إِلَيْهِمْ﴾ على ألسنةِ الملائكةِ ﴿فَتَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ وهم أهلُ الكتابِ؛ ليُعلموكم أَنَّ اللهَ لم يبعثْ إلى الأممِ السالفةِ إِلَّا بشرًا. فإن قلت: بِمَ تعلقَ قوله ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾؟ قلت: له متعلقات شتى؛ فإمَّا أن يتعلقَ بـ(ما أرسلنا) داخلًا تحت حُكْمِ الاستثناءِ مع ﴿رِجَالًا﴾، أي: وما أرسلنا إِلَّا رِجَالًا بِالْبَيِّنَاتِ، كقولك: ما ضربتُ إِلَّا زيدًا بالسَّوْطِ؛ .....

قوله: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على: هم الذين صَبَرُوا، أي: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ واردةٌ على: هُمُ الذين صَبَرُوا، أو: أعني، كلاهما لإرادةِ المَدْحِ.

قوله: ﴿قَالَتْ قُرَيْشٌ: اللهُ أعظمُ من أن يكونَ رسولهُ بشرًا﴾، هذا التقريرُ يقتضيه قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ من جهةٍ (١) «ما» و«إلا»، لأنهما إنما يتلقى بهما المُخْطِئُ المُصِرُّ على خطابه، المبالغُ في إنكاره.

(١) من قوله: «المَدْح» آخر الفقرة السابقة إلى هنا سقط من (ف).

لأنَّ أَضْلَه: ضربتُ زيدًا بالسَّوْطِ؛ وإما بـ ﴿رِجَالًا﴾ صفةٌ له، أي: رجالًا مُلتبسين بالبيئات. وإما بـ ﴿أَرْسَلْنَا﴾ مُضَمَّرًا، كأنما قيل: بِمَ أَرْسَلُوا؟ فقلت: بالبيئات، فهو على كلامين، والأوَّلُ على كلام واحد. وإما بـ (يوحى)، أي: يُوحى إليهم بالبيئات. وإما بـ ﴿لَا تَعَامُونَ﴾، على أَنَّ الشَّرْطَ في معنى التَّبَكُّيتِ والإلزام، كقول الأجير: إن

قوله: (لأنَّ أَضْلَه: ضربتُ زيدًا بالسَّوْطِ)، يعني: «إلا» من حيث اللفظُ لَعَوٌّ، والاستثناءُ على خلافِ المشهور، عن بعضهم، التقديرُ: لم يوجدَ ضَرْبٌ منه أصلًا، لا بالسَّوْطِ ولا غيره. وقال أبو البقاء: في تعلقِ ﴿بِالْبَيْتَاتِ﴾ بـ ﴿أَرْسَلْنَا﴾ بمعنى: أَرْسَلْنَاهُمْ بِالْبَيْتَاتِ<sup>(١)</sup> ضَعْفٌ<sup>(٢)</sup>؛ لأنَّ ما قبلَ إلا لا يعملُ فيها بعدها إذا تَمَّ الكلامُ على ﴿إِلَّا﴾ وما يليها، إلا أنه قد جاء في قولِ الشاعر:

نَبَّهْتُهُمْ عَذَّبُوا بِالنَّارِ جَارَتَهُمْ  
ولا يُعَذَّبُ إِلَّا اللهُ بِالنَّارِ<sup>(٣)</sup>

وقال صاحبُ «الفتاح»: لك أن تقول: ما ضَرَبَ إِلَّا عَمْرًا زيدٌ، وما ضَرَبَ إِلَّا زيدٌ عَمْرًا، فتقدَّم وتؤخَّر، إلا أن هذا التقديمَ والتأخيرَ لما استلزمَ قَصْرَ الصِّفَةِ قبلَ تمامها على الموصوف، قلَّ دوره في الاستعمال<sup>(٤)</sup>.

قوله: (والأوَّلُ)، قال: في الأوَّلِينَ والأوَّلِ، نظرًا إلى أنه لا إضمارَ فيه.

قوله: (وإما بـ ﴿لَا تَعَامُونَ﴾)، على أَنَّ الشَّرْطَ في معنى التَّبَكُّيتِ والإلزام، لأنَّ ﴿إِنْ﴾<sup>(٥)</sup> استعملتُ في أمرٍ مقطوعٍ معلوم، وذلك أنَّ الكلامَ مع قُرَيْشٍ كما قال: «قالوا: اللهُ أعظمُ من أن يكونَ رسولُهُ بشرًا»، فقيل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا لَا نُؤجِحُ إِلَيْهِمْ فَتَسَلَوْا

(١) قوله: بـ ﴿أَرْسَلْنَا﴾ بمعنى: أَرْسَلْنَاهُمْ بِالْبَيْتَاتِ «سقط من (ف).

(٢) في النسخة (ف): ضعيف. وهو خطأ.

(٣) «التيبان في إعراب القرآن» (٢: ٧٩٦). والبيت المذكور ذكره الفراء في «معاني القرآن» (٢: ١٠١) من

غير عزوٍ لأحد.

(٤) «مفتاح العلوم»، ص ١٣٣.

(٥) سقط لفظ «إن» من النسخة (ح).

كُنْتُ عَمِلْتُ لَكَ فَأَعْطِنِي حَقِّي. وقوله: ﴿فَنَسَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ اعتراضٌ على الوجوه المتقدمة. وأهل الذِّكر: أهل الكتاب. وقيل للكتاب: الذِّكر؛ لأنه موعظةٌ وتنبيةٌ للغافلين. ﴿مَا نَزَلَ إِلَيْهِمْ﴾ يعني: ما نَزَلَ اللهُ إليهم في الذِّكر مما أمروا به وئثروا عنه ووعدوا وأوعدوا، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ﴾: وإرادةٌ أن يُصعُوا إلى تنبيهاته فيتنبهوا ويتأملوا.

[﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْفَى اللهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ \* أَوْ يَأْخُذُهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ \* أَوْ يَأْخُذُهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ٤٥ - ٤٧]

﴿مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ﴾ أي: المكرات السيئات، وهم أهل مكّة، وما مكروا به

أهل الذِّكر إن كنتم لا تعلمون \* بالبينات والزُّبر، وقد علمَ وحقَّق أن قريشا لم يكونوا عالمين بالبينات والزُّبر، فتعليقه بالسؤال يفيد التبيكيت والإلزام، يعني: لا ارتياب في أنكم غير عالمين بها، ولستم أيضًا مما تُسألون عنهم؛ لأنكم تعلمون أنهم لا يجيئونكم إلا بما ذكرنا، من آنا ما أرسلنا من قبله إلا رجالًا يوحي إليهم، فلم يبق لكم طريق سوى التسليم والإذعان، وعليه قوله: «إن كنتُ عملتُ لك<sup>(١)</sup> فأعطني حقي»، وصاحبُ «المفتاح» أخرج هذا المثال في معرض التفي، حيث قال: ومنه ما قد يقولُ العامِلُ عند القاضي بالعمالة إذا امتدَّ التسويفُ وأخذَ يترجمُ عن الحرمان: إن كنتُ لم أعملُ فقولوا: أقطع الطَّمعَ، نزلهم لتوهم أن يحرموه منزلةً من لا يعتدُّ أنه عمِلَ مُجهلاً<sup>(٢)</sup>.

قوله: ﴿فَنَسَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾: اعتراضٌ على الوجوه المتقدمة، يعني: في هذا الوجه، ليس باعتراضٍ وليس بجوابٍ للشرط، لتقدُّمه عليه، لكنه دالٌّ عليه.

قوله: (وهم أهل مكّة وما مكروا به)، أي: الضميرُ في ﴿مَكَرُوا﴾ لأهل مكّة، والمرادُ

(١) سقط لفظ «لك» من النسخة (ف).

(٢) «مفتاح العلوم»، ص ١٠٥.

رسولَ الله ﷺ ﴿فِي تَقْلِيْبِهِمْ﴾: مُتَقَلِّبِينَ فِي مَسَايِرِهِمْ وَمَتَاجِرِهِمْ وَأَسْبَابِ دُنْيَاهُمْ.  
 ﴿عَلَى تَخَوُّفِي﴾: متخوِّفين؛ وهو أن يُهْلِكَ قَوْمًا قَبْلَهُمْ فَيَتَخَوَّفُوا فَيَأْخُذَهُم بِالْعَذَابِ وَهُمْ  
 متخوِّفون متوقِّعون، وهو خلافُ قوله: ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾. وقيل: هو مِنْ  
 قولك: تَخَوَّفْتَهُ وَتَخَوَّنْتَهُ؛ إِذَا تَنَقَّصْتَهُ. قال زهير:

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكًا قَرْدًا      كَمَا تَخَوَّفَ عَوْدَ النَّبْعَةِ السَّفْنُ

أي: يأخذهم على أن يتنقصهم شيئاً بعد شيء في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا.  
 وعن عمر رضي الله عنه: أنه قال على المنبر: ما تقولون فيها؟ فسكتوا، فقام شيخٌ  
 من هذيل، فقال: هذه لُغْنَتُنَا: التَخَوُّفُ: التَّنْقِصُ. قال: فهل تعرفُ العربُ ذلك  
 في أشعارها؟ قال: نعم، قال شاعرنا. وأنشد البيت. فقال عمر: أيها الناس، عليكم

بالمكر: ما مكروا به في دارِ الندوة، الراغب: المَكْرُ: صَرَفٌ<sup>(١)</sup> الغير عما يقصده بجيلة<sup>(٢)</sup>.

قوله: (وهو خلافُ قوله: ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾)، كأنه قيل: أو يأتيهم العذابُ من  
 حيث لا يشعرون ومن حيث يشعرونه.

قوله: (من قولك: تَخَوَّفْتَهُ وَتَخَوَّنْتَهُ)، الراغب: تَخَوَّفْنَاهُمْ: تَنَقَّصْنَاهُمْ تَنَقُّصًا اقْتِضَاهُ الْخَوْفُ  
 مِنْهُ، وَالتَّخَوُّفُ: ظَهُورُ الْخَوْفِ مِنَ الْإِنْسَانِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفِي﴾<sup>(٣)</sup>.

قوله: (تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا)، البيت<sup>(٤)</sup>: تَامِكًا: أي: سَنَامًا مُشْرِفًا. الأساس: صَوْفٌ  
 قَرْدٌ: مُلْتَصِقٌ مُتَلَبِّدٌ. الجوهري: سَحَابٌ قَرْدٌ: يَرَكِبُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَالنَّبْعُ: شَجَرٌ يَتَّخِذُ مِنْهُ  
 الْقَيْسِيُّ، وَالسَّفْنُ، بِالتَّحْرِيكِ: الْمِبْرَدُ، يَصِفُ نَاقَةَ أَثَرِ الرَّحْلِ فِي سَنَامِهَا، وَتَنَقَّصَ، كَمَا يَنَقُّصُ  
 الْمِبْرَدُ مِنَ الْعُودِ.

(١) سقط لفظ «صرف» من (ف).

(٢) «مفردات القرآن»، ص ٧٧٢.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٠٣، ٣٠٥.

(٤) لم أجد في ديوان زهير. والبيت قد اختلف في نسبه، فقيل: هو لذي الرمة كما في «تاج العروس»

(٣٥: ١٩٣)، وقيل لأبي كبير الهذلي، وقيل لغيره.



بِذِيُونَاكُمْ لَا يَضِلُّ. قالوا: وما ذيوناتنا؟ قال: شعُرُ الجاهليَّة؛ فإنَّ فيه تفسيرَ كتابكم. ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَوْفٌ رَحِيمٌ﴾ حيثُ يَحْلُمُ عنكم، ولا يعاجِلُكم مع استحقاقِكم.

[﴿أَوْلَتْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَيَنْفَيْوُا ظِلَلَهُ. عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ ٤٨]

قُرئ: ﴿أَوْلَتْ يَرَوْا﴾ و﴿يَنْفَيْوُا﴾ بالياء والتاء. و﴿مَا﴾ موصولةٌ ب﴿خَلَقَ اللَّهُ﴾، وهو مبهم، بيانه: ﴿مِنْ شَيْءٍ وَيَنْفَيْوُا ظِلَلَهُ﴾. واليمين: بمعنى الأيمان. و﴿سُجَّدًا﴾: حالٌ من الظلال. و﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾: حالٌ من الضمير في ﴿ظِلَلَهُ﴾؛ لأنه في معنى الجمع؛

قوله: (بذيونانكم)، المغرب: الديوان: الجريدة، من دَوَّنَ الكُتُبَ: إذا جمعها، لأنه قَطَعَ مِنَ القراطيس مجموعة. ويروى أن عُمَرَ رضي الله عنه أوَّلَ مَنْ دَوَّنَ الدواوينَ، أي: رَتَّبَ الجرائدَ للولاءِ والقُضاةِ<sup>(١)</sup>.

قوله: (لا يضل)، مجزومٌ؛ لأنه جوابٌ لقوله: عليكم، وهو بمعنى الأمر، وفي «اللباب»: عليكم بذيونانكم لا تضلوا.

قوله: (قُرئ: «أولم يروا» و«ينفيوا»)، «أولم تروا» بالتاءِ الفوقاني: حمزةٌ والكسائي، والباقون: بالياء.

أبو عمرو: «تتفياً» بالتاءِ الفوقاني<sup>(٢)</sup>، والباقون: بالياء.

قوله: (﴿سُجَّدًا﴾: حالٌ من الظلال، و﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾: حالٌ من الضمير في ﴿ظِلَلَهُ﴾، فالمعنى: ظلَّاهُم ساجدة، وهم في أنفسهم متواضعون صاغرون، فيتفقُ الباطنُ مع الظاهر. فإن قلت: لم جعلَ الحالَ الثانيةَ حالاً من الضمير في ﴿ظِلَلَهُ﴾، ولم يُجْعَلْ مِنَ الضمير المرفوع<sup>(٣)</sup> المحذوفِ العائدِ إلى الموصولِ؟

(١) «المغرب في ترتيب المعرب» (١: ٢٩٩).

(٢) وحجته أن كل جمع خالف الأدميين فهو مؤنث، تقول: هذه المساجد، وهذه الظلال، وحجة من قرأ بالياء أن الفعل إذا تقدّم جاز التذكير منه. انظر: «حجة القراءات»، ص ٣٩١.

(٣) في (ط): «المفعول».

وهو ما خَلَقَ اللهُ من كُلِّ شيءٍ له ظِلٌّ، ومُجْمَعٌ بالواو؛ لأنَّ الدُّخورَ من أوصافِ العُقلاءِ، أو لأنَّ في جُملةِ ذلك مَنْ يَعْقِلُ؛ فغُلِبَ. والمعنى: أو لم يروا إلى ما خَلَقَ اللهُ من الأجرامِ التي لها ظِلالٌ متفَيِّئةٌ عن أيَّانها وشمائلها! أي: عن جانبي كُلِّ واحدٍ منها وشقيته؛ استعارةٌ من يَمِينِ الإنسانِ وشِماليه لجانبي الشيءِ، أي: ترجعُ الظلالُ من جانبٍ إلى

قلتُ: لأنَّهُ حالٌ مؤكِّدةٌ، فإذا جَعَلَتِ الظلالُ ساجدةً، يلزمُ منه المبالغةُ في سُجودِ الأجرامِ بالطريقِ الأوَّلِ، وهو معنى الدُّخورِ، فيعُ الحَالُ تأكيدا، كما في قوله: ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥] ولا يُفيدُ الأوَّلُ هذا المعنى، وفيه إدماجٌ لمعنى تسخيرِ الأجرامِ العلويةِ؛ لأنَّ الظلَّ إنَّما يَحْصُلُ من حَرَكَاتِ الكواكبِ والشمسِ، ولَمَّا بَيَّنَّ ذلك، وأرادَ أنْ يبيِّنَ الاختصاصَ وأنها تَسْجُدُ لله لا لغيره، قال: ﴿وَلْيَسْجُدْ﴾، قال القاضي: قوله: ﴿سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ هما حالانِ مِنَ الضَّميرِ في ﴿ظَلَّلَهُ﴾، والمرادُ مِنَ السُّجودِ: الاستسلامُ، سواءً كانَ بالطَّبعِ أو الاختيارِ، يقال: سَجَدَتِ النَّخْلَةُ: إذا مالَتْ لكثرةِ الحِمْلِ، وسَجَدَ البعيرُ: إذا طأطأَ رأسَهُ ليركَبَ، والمعنى: تَرَجَّعُ الظلالُ بارتفاعِ الشمسِ وانحدارِها مُنْقَادَةً لما قُدِّرَ لها من التفتيؤِ، أو واقعةً على الأرضِ مُلتصِقةً بها على هيئةِ الساجِدِ، والأجرامُ في أنفُسِها أيضًا صاغرةٌ مُنْقَادَةٌ لأفعالِ الله فيها<sup>(١)</sup>.

قال أبو البقاء: ﴿سُجَّدًا﴾ حالٌ مِنَ الظلالِ، ﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ حالٌ مِنَ الضَّميرِ في ﴿سُجَّدًا﴾، ويجوزُ أن يكونَ حالًا ثانيةً معطوفة<sup>(٢)</sup>.

قوله: (ومُجْمَعٌ بالواو؛ لأنَّ الدُّخورَ من أوصافِ العُقلاءِ)، وذلك أنَّ مَنْ لا يَعْقِلُ إذا وُصِفَ بصفةِ العُقلاءِ أُجْرِي مُجْرَى العُقلاءِ في الاستعمالِ، وإذا حُكِمَ على العُقلاءِ، وغيرِ العُقلاءِ، تغلَّبَ العُقلاءُ<sup>(٣)</sup> على غيرهم.

قوله: (استعارةٌ)، خبرٌ مبتدأٌ محذوفٌ، أيَّانُ الظلالِ وشمائلُ الظلالِ في قوله تعالى:

(١) «أنوار التنزيل» (٣: ٤٠١).

(٢) «التبيان في إعراب القرآن» (٢: ٧٩٧).

(٣) قوله: «تغلَّبَ العُقلاءُ»: سقط من النسخة (ح).

جانب مُنْقَادَةً لِّلَّهِ، غَيْرَ مُتَمَتِّعَةٍ عَلَيْهِ فِيهَا سَخَّرَهَا لَهُ مِنَ التَّفْيِئِ، وَالْأَجْرَامُ فِي أَنْفُسِهَا دَاخِرَةٌ أَيْضًا، صَاغِرَةٌ مُنْقَادَةٌ لِأَفْعَالِ اللَّهِ فِيهَا، لَا تَمْتَنِعُ.

﴿ وَبِاللَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾  
\* يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿ ٤٩-٥٠ ﴾

﴿ مِنْ دَابَّةٍ ﴾ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بَيَانًا لِمَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا، عَلَى أَنَّ فِي السَّمَاوَاتِ خَلَقَ اللَّهُ يَدْبُونُ فِيهَا كَمَا يَدْبُ الْإِنْسَانِيُّ فِي الْأَرْضِ، وَأَنْ يَكُونَ بَيَانًا لِمَا فِي الْأَرْضِ وَحْدَهُ، وَيُرَادُ بِهَا فِي السَّمَاوَاتِ: الْخَلْقُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ: الرُّوحُ، وَأَنْ يَكُونَ بَيَانًا لِمَا فِي الْأَرْضِ وَحْدَهُ، وَيُرَادُ بِهَا فِي السَّمَاوَاتِ: الْمَلَائِكَةُ، وَكَرَّرَ ذِكْرَهُمْ عَلَى مَعْنَى: وَالْمَلَائِكَةُ خُصُوصًا مِنْ بَيْنِ السَّاجِدِينَ؛ لِأَنَّهُمْ أَطْوَعُ الْخَلْقِ وَأَعْبُدُهُمْ. وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِهَا فِي السَّمَاوَاتِ: مَلَائِكَتُهُنَّ. وَيَقُولُ: ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾: مَلَائِكَةُ الْأَرْضِ مِنَ الْحَفَظَةِ وَغَيْرِهِمْ. فَإِنَّ قَلْتَ: سَجُودَ الْمُكَلَّفِينَ مِمَّا انْتَضَمَ هَذَا الْكَلَامُ خِلَافَ سَجُودِ غَيْرِهِمْ، فَكَيْفَ

﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ ﴾: اسْتِعَارَةٌ مِنْ يَمِينِ الْإِنْسَانِ وَشِمَالِهِ لِجَانِبِي الشَّيْءِ (١).

قَوْلُهُ: (مِنَ التَّفْيِئِ)، بَيَانٌ مَا سَخَّرَهَا لَهُ، تَفْيِئًا: تَفَعَّلَ مِنَ الْفَيْءِ، يُقَالُ: فَاءَ يَفِيءُ فَيْئًا، إِذَا رَجَعَ.

قَوْلُهُ: (الْخَلْقُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ: الرُّوحُ)، فَعَلَى هَذَا الرُّوحُ غَيْرُ الْمَلَائِكَةِ، وَقَالَ فِيهِ: الرُّوحُ جِبْرِيْلُ، أَوْ أَفْرَدَهُ عَنْهُمْ لِشَرَفِهِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ نَزَّلَ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ ﴾ وَقِيلَ: خَلَقَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَا تَرَاهُمْ الْمَلَائِكَةُ إِلَّا تِلْكَ اللَّيْلَةَ.

قَوْلُهُ: (وَالْمَلَائِكَةُ خُصُوصًا مِنْ بَيْنِ السَّاجِدِينَ)، يَرِيدُ أَنْهُ تَعَالَى لَمَّا عَمَّ مَنْ يَتَأْتَى مِنْهُ السَّجُودُ فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَبِاللَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾، ثُمَّ خَصَّ مِنْ بَيْنِهِمْ هَذَا الْجِنْسَ مِنَ الْمُكَلَّفِينَ فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾، دَلَّ عَلَى أَنَّ أَوْلَى وَأَقْدَمُ فِي هَذَا النَّوْعِ مِنَ الْعِبَادَةِ، ثُمَّ تَمَّتْ بِقَوْلِهِ: ﴿ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾.

(١) هذه الفقرة سقطت من (ط).

عَبَّرَ عَنِ النَّوعَيْنِ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ؟ قُلْتُ: الْمُرَادُ بِسُجُودِ الْمَكْلُفِينَ: طَاعَتُهُمْ وَعِبَادَتُهُمْ، وَبِسُجُودِ غَيْرِهِمْ: انْقِيَادُهُ لِإِرَادَةِ اللَّهِ، وَأَنَّهَا غَيْرُ مُتَمَنِّعَةٍ عَلَيْهَا، وَكِلَا السُّجُودَيْنِ يَجْمَعُهُمَا مَعْنَى الْانْقِيَادِ؛ فَلَمْ يَخْتَلِفَا؛ فَلِذَلِكَ جَازَ أَنْ يُعْبَرَ عَنْهُمَا بِلَفْظٍ وَاحِدٍ. فَإِنْ قُلْتُ: فَهَلَّا جِيءَ بِ«مَنْ» دُونَ «مَا»؟ تَغْلِيْبًا لِلْعُقْلَاءِ مِنَ الدَّوَابِّ عَلَى غَيْرِهِمْ؟ قُلْتُ: لِأَنَّهُ لَوْ جِيءَ بِ«مَنْ»؛ لَمْ يَكُنْ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى التَّغْلِيْبِ؛ فَكَانَ مُتَنَاوِلًا لِلْعُقْلَاءِ خَاصَّةً؛

قَوْلُهُ: (وَكَِلَا السُّجُودَيْنِ يَجْمَعُهُمَا مَعْنَى الْانْقِيَادِ فَلَمْ يَخْتَلِفَا)، «الانتصاف»: اسْتَدَلَّ بِالآيَةِ مَنْ أَجَازَ اسْتِعْمَالَ الْمَشْتَرِكِ فِي مَعْنِيَّتِهِ فِي حَقِيقَتِهِ وَمَجَازِهِ شَمُولًا، وَالزَّخْمَشَرِيُّ يُنْكِرُهُ فِي مَوَاضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ، فَحَمَلَهُ عَلَى الْقَدْرِ الْمَشْتَرِكِ وَجَعَلَهُ مُتَوَاطِفًا لَيْسَلَمَ مِنَ الْجَمْعِ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالْمَجَازِ، وَيُبْطِلُهُ أَنَّ الْآيَةَ آيَةٌ سَجْدَةٌ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ السُّجُودِ الْمَذْكُورِ: مَا هُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى الْمَكْلَفِ مِنَ الْفِعْلِ الْمُتَعَارَفِ شَرْعًا، فَيَبْطُلُ الْقَوْلُ بِالْقَدْرِ الْمَشْتَرِكِ<sup>(١)</sup>.

قُلْتُ: وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ قَوْلَهُ: «يَسْجُدُ» وَارِدٌ عَلَى عَمُومِ الْمَجَازِ الَّذِي يَكُونُ كُلُّ مَنْ الْحَقِيقَةِ وَالْمَجَازِ فَرْدًا مِنْ أَفْرَادِهِ، وَالْمَكْلَفُ إِنَّمَا يَسْجُدُ لِمَقْتَضَى مَا يُنَاسِبُهُ.

الرَّاعِبُ: السُّجُودُ أَصْلُهُ: التَّطَامُّنُ وَالتَّذَلُّلُ، وَجُعِلَ ذَلِكَ عِبَارَةً عَنِ التَّذَلُّلِ لِلَّهِ وَعِبَادَتِهِ، وَهُوَ عَامٌّ فِي الْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ، وَذَلِكَ صَرْبَانٌ: اخْتِيَارِيٌّ: وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِلْإِنْسَانِ<sup>(٢)</sup> وَبِهِ يَسْتَحِقُّ الثَّوَابَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَاتَّخِذُوا لِلَّهِ وَأَعْبُدُوا﴾. وَتَسْخِيرِيٌّ، وَهُوَ لِلْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ، وَعَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد: ١٥] الْآيَةَ، وَهُوَ الدَّلَالَةُ الصَّامِتَةُ النَّاطِقَةُ الْمُنْبَهَةُ<sup>(٣)</sup> عَلَى كَوْنِهَا مَخْلُوقَةٌ، وَأَنَّهَا خَلِقُ فَاعِلٌ حَكِيمٌ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ يَنْطَوِي عَلَى النَّوعَيْنِ<sup>(٤)</sup>.

قَوْلُهُ: (لَمْ يَكُنْ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى التَّغْلِيْبِ)، قُلْتُ: مَا أَبَيَّنَّه<sup>(٥)</sup> مِنْ دَلِيلٍ، فَإِنَّهُ لَوْ جِيءَ

(١) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٢: ٦٠٩).

(٢) قَوْلُهُ: «وغيره»، وَذَلِكَ صَرْبَانٌ: اخْتِيَارِيٌّ: وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِلْإِنْسَانِ سَقَطَ مِنْ (ح).

(٣) فِي (ط) «المنبهة».

(٤) «مفردات القرآن»، ص ٣٩٦ بتصرفٍ ملحوظٍ فِي الْعِبَارَةِ.

(٥) فِي (ط): «مَا أَبَيَّنَّ»، وَأَصْلُحَنَاهُ بِحَسَبِ السِّيَاقِ.

فجيء بها هو صالح للعقلاء وغيرهم؛ إرادة العموم. ﴿يَخَافُونَ﴾ يجوز أن يكون حالاً من الضمير في ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾، أي: لا يستكبرون خائفين، وأن يكون بياناً لنفي الاستكبار وتأكيده؛ لأن من خاف الله لم يستكبر عن عبادته. ﴿مَنْ فَوْقَهُمْ﴾ إن علقته بـ ﴿يَخَافُونَ﴾؛ فمعناه: يخافونه أن يرسل عليهم عذاباً من فوقهم، وإن علقته بـ ﴿رَبَّهُمْ﴾ حالاً منه؛ فمعناه: يخافون ربهم عالياً لهم قاهراً، كقوله: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ رَبِّهِمْ﴾.

بـ «من»، ويُنَّ بقوله: ﴿مِنْ دَابَّهِ﴾، والدابة كما صرح في قوله تعالى: ﴿فِيْنَهُمْ مَنْ يَشِيْ عَلَى بَطْنَيْهِ﴾ الآية، بقوله: «ولما كان اسم الدابة موقفاً على المميز وغير المميز» لكنى به دليلاً ظاهراً على التغليب، ولكن إنما اختير «ما» للوصفية المشعرة بالتواضع والاستصغار، لاقتضاء السجود ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ كُلُّ لَّهُ قٰنِئُوْنَ﴾ كأنه جاء بـ «ما» دون «من» تحقيراً لهم وتصغيراً لشأنهم. ومما يعضده أن هذه الآية معطوفة على الآية السابقة عطف الخاص على العام، وقد فصلت السابقة بقوله: ﴿وَهُمْ دٰخِرُوْنَ﴾. وأما تكرير ذكر الملائكة على الوجه الثاني في الكتاب فتعريض بمن عند الملائكة، وأنهم أحرى بأن يخضعوا لله تعالى، ويتضاءلوا لجلاله عز وجل، ومن ثمة: أتبعه بقوله: ﴿لَا نَسْخُدُوْا لِلهِیْنَ اٰتٰیٰتِیْنَ﴾. والله أعلم<sup>(١)</sup>.

قوله: ﴿يَخَافُونَ﴾ يجوز أن يكون حالاً، وأن يكون بياناً لنفي الاستكبار وتأكيده، الانتصاف: الثاني أصح؛ لأن الحال تُعطي انتقالاً وتوهم تقييداً، والواقع عدم استكبارهم مطلقاً غير مقيد بحال<sup>(٢)</sup>.

قوله: (إن علقته بـ ﴿يَخَافُونَ﴾)، أي: جعلته متصلاً به وتبئةً لمعناه، ولم ترد به تعلق المعمول بالعامل، فعلى هذا ﴿مَنْ فَوْقَهُمْ﴾: متعلقٌ بمتعلق ﴿يَخَافُونَ﴾، يدلُّ عليه جعل المصنّف «أن يرسل» بدلاً من الضمير في «يخافونه»، ويُمكن أن يُقدَّر: ويخافون عذاب ربهم كائنًا من فوقهم.

(١) هذه الفقرة سقطت من (ح) و(ف)، وأثبتها من (ط).

(٢) الانتصاف بحاشية الكشاف (٢: ٦١٠).

عِبَادِهِ ﴿[الأنعام: ١٨، ٦١]، ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]، وفيه دليل على أَنَّ الملائكة مَكْلَفُونَ مُدَارُونَ على الأَمْرِ والنَّهْيِ والوَعْدِ والوَعِيدِ كسائرِ المَكْلَفِينَ، وأنهم بَيْنَ الخوفِ والرَّجاءِ.

[﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا نَتَّخِذُ إِلَّا رِجَالًا مِّنَ الَّذِينَ هَدَيْنَا مَكَلِّفِينَ﴾ [٥١]

فإن قلت: إنما جَمَعُوا بين العَدَدِ والمَعْدُودِ فيما وراءَ الواحدِ والاثنين، فقالوا: عندي رِجَالٌ ثلاثة، وأفراسٌ أربعة؛ لأنَّ المَعْدُودَ عَارٍ عن الدلالةِ على العَدَدِ الخاصِّ. وأما رَجُلٌ وَرَجُلَانِ وَفَرَسٌ وَفَرَسَانِ، فمَعْدُودَانِ فِيهِمَا دَلَالَةٌ على العَدَدِ؛ فلا حاجةَ إلى أن يقال: رَجُلٌ واحد، و: رَجُلَانِ اثنان، فما وجهُ قولِهِ تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾؟ قلت: الاسمُ الحاملُ لمعنى الإفرادِ والتثنيةِ دالٌّ على شيئين: على الجِنْسِيَّةِ والعَدَدِ المَخْصُوصِ، فإذا أُريدَتِ الدلالةُ على أَنَّ المعنَى بهِ منهُما، والذي يُساقُ إليه الحديثُ، هو العَدَدُ؛ شُفِعَ بما يؤكِّدُه، فدَلَّ بهِ على القَصْدِ إليه والعنايةِ بهِ. ألا تَرى أنك .....

قولُهُ: (دالٌّ على شيئين، على الجِنْسِيَّةِ والعَدَدِ)، وفيه أَنَّ العَدَدَ عَارٍ عن الدلالةِ على ماهيةِ المَعْدُودِ، فيجوزُ أن يكونَ بيانًا لأحدِ مفهومَيْهِ.

قولُهُ: (والذي يُساقُ إليه الحديثُ هو العَدَدُ)، «هو العَدَدُ»: خبرُ «أَنَّ»، والذي يُساقُ إليه الحديثُ» تفسيرٌ لقولِهِ: «المعنى بهِ»، و«شُفِعَ»: جوابُ «إذا».

قولُهُ: (شُفِعَ بما يؤكِّدُه)، لا يُنافي قولَ صاحبِ «المفتاح»: ففسَّرَ ﴿الَّذِينَ﴾ بـ ﴿آمَنُوا﴾ و﴿إِلَهُ﴾ بـ ﴿وَجِدْ﴾، بيانًا لما هو الأصلُ في الغرضِ<sup>(١)</sup>، فإنَّ التأكيدَ أيضًا بيانٌ مِنْ وَجْهِهِ، ألا تَرى إلى قولِ المصنِّفِ قُبيلَ هذا في قولِهِ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِمَّنْ قَدَّمْتَهُمْ﴾: «هو بيانٌ لقولِهِ: ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ وتأكيدٌ له؛ لأنَّ مَنْ خافَ اللهَ لم يَسْتَكْبِرْ عن عبادتِهِ».

لو قلت: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ﴾، ولم تؤكِّده بـ ﴿وَاحِدٌ﴾، لم يحسن، وخيل أنك تثبت الإلهية لا

قوله: (لو قلت: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ﴾، ولم تؤكِّده بـ ﴿وَاحِدٌ﴾، لم يحسن، وخيل أنك تثبت الإلهية لا الوحدانية)، قال صاحب «التقريب»: فيه نظر، إذ «إله» يطلق على الجنس مجرداً عن العدد<sup>(١)</sup>، فجاء فيه التخييل، وأما ﴿إِلَهَيْنِ﴾ فلا يتخيل فيه غير الثنية، مع أنه المبحث، وفي حاشية «التقريب»: وفي الأصل نظر؛ لأن نحو إله وضع للجنسية، والوحدة لا يجيء التخييل أيضاً إذا جرد عن الواحد، وإن وضع للجنسية المطلقة لم يكن شفعه بالواحد تأكيداً، إذ التأكيد: تقوية ما فهم من الأول، والمقدر عدم دلالة على الوحدة.

وقلت: إن المصنف لما بين دلالة الوضع أولاً، وأن مثل رجل ورجلين معدودان فيها دلالة على العدد، بُني عليه معنى التأكيد، واستدل باستواء مؤدَى اللفظين - أعني: ثلاثة رجال، ورجلين<sup>(٢)</sup> - في المقصود<sup>(٣)</sup> من إرادة المعدود مع العدد، فلو لم يحمل شفعه بالواحد على التأكيد وبيان الغرض، لكان زائداً، فوجب المصير إلى التأكيد، ولأن التأكيد إنما يصار إليه لاحتمال ما عسى أن يتوهم السامع خلاف المقصود، وكل لفظ أخلي عن التأكيد لا يمنع الاحتمال، وقد نص الزجاج: أن ﴿أَتَيْنِ﴾: توكيد لقوله: ﴿إِلَهَيْنِ﴾، كـ «الواحد» في قوله: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقال الإمام: إن ﴿إِلَهَيْنِ﴾: لفظ واحد يدل على أمرين: ثبوت الإله، وثبوت التعدد، فإذا قيل: ﴿لَا نَتَّخِذُ الْإِلَهَيْنِ﴾ لم يعرف منه أن النهي وقع عن إثبات الإله أو عن إثبات التعدد أو عن مجموعهما، فلما شفع بقوله: ﴿أَتَيْنِ﴾ ثبت أن النهي عن إثبات التعدد فقط، وكذا عن صاحب «المفتاح»<sup>(٥)</sup>.

(١) في النسخة (ح): المعدود.

(٢) في النسخة (ف): ورجلان.

(٣) في النسخة (ح) و(ط): «فيا يقصده منها».

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» (٣: ٢٠٤).

(٥) «مفتاح العلوم»، ص ٨٢.

الوحدانية؟ ﴿فَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ﴾ نقل للكلام عن الغيبة إلى التكلم، وجاز؛ لأن الغالب هو المتكلم، وهو من طريقة الالتفات، وهو أبلغ في الترهيب من قوله: وإياه فارهبون، ومن أن يجيء ما قبله على لفظ المتكلم.

وأما بيان النظم فإن قوله: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا نَتَّخِذُ رِئَاسَةً لِّأَيِّ شَيْءٍ﴾ الآية، معطوف على قوله: ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾، على منوال قوله: «مُتَقَلِّدًا سِنْفًا وَرُحْمًا»، أي: أولم ينظروا إلى ما خلق الله من الدلائل المنصوبة الشاهدة على وحدانية الله تعالى، وأنه لا معبود سواه، وأولم يسمعوإلى ما قال وأوحاه الله في الكتب المنزلة، من بيان التوحيد، ونفي الشركاء؟<sup>(١)</sup>

قوله: (وجاز لأن الغائب)، أي: وجاز النقل؛ لأن الغائب في قوله: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ هو بعينه المتكلم في قوله: ﴿فَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ﴾؛ لأن شريطة الالتفات هو الانتقال من إحدى الصيغ الثلاث إلى الأخرى، لمفهوم واحد.

قوله: (وهو أبلغ في الترهيب من قوله: وإياه<sup>(٢)</sup> فارهبون)، لما أنك تجد في الانتقال من الغيبة إلى المواجهة هازاً<sup>(٣)</sup> من نفس المخاطب ما لا تجد إذا استمررت على لفظ الغيبة.

وقوله: (ومن أن يجيء ما قبله على لفظ المتكلم)، أي: هذا الانتقال والاختلاف أبلغ من أن يجيء به على سنن واحد، وهو أن يجيء على لفظ الغيبة كما يقال: إنما هو إله واحد وإياه فارهبون، وأن يجيء ما قبله على لفظ التكلم، كما يقال<sup>(٤)</sup>: «إِنَّمَا أَنَا إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ». قال صاحب «الفرائد»: فائدة الالتفات أن يُعلم أن ذلك الواحد هو المتكلم، لا غيره؛ لأنه لما أفاد قوله: ﴿لَا نَتَّخِذُ رِئَاسَةً لِّأَيِّ شَيْءٍ﴾، وأفاد قوله: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ الأمر باتخاذ الواحد، وجب أن يبين أن ذلك الواحد هو المتكلم، فعبّر عن ذلك بقوله: ﴿فَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ﴾.

(١) «مفاتيح الغيب» (٢٠: ٤٨).

(٢) كذا في الاصول الخطبية، وفي «الكشاف»: «وإياه».

(٣) قوله: «هازاً» سقط من (ف)، وفي (ح): «مازاً».

(٤) من قوله: «إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّاهُ فَأَرْهَبُونَ، وأن يجيء إلى هنا، سقط من (ح).



[ ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ نَتَّقُونَ﴾ ٥٢ ]

﴿الدِّينُ﴾: الطاعة ﴿وَاصِبًا﴾ حالٌ عمِلَ فيه الظَّرْفُ. والواصبُ: الواجبُ الثابت؛ لأنَّ كلَّ نِعْمَةٍ منه، فالطاعةُ واجبةٌ له على كلِّ مُنْعَمٍ عليه. ويجوزُ أن يكونَ من الوَصْبِ، أي: وله الدِّينُ ذا كُلفَةٍ ومشقَّةٍ؛ ولذلك سُمِّيَ تكليفيًا. أو: وله الجزاءُ ثابتًا دائمًا سرًّا مدًا لا يزول، يعني: الثوابَ والعقاب.

وقلتُ: وتحريره أن قوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا لِلْإِهْتِنِ أَنْتَيْنِ﴾<sup>(١)</sup> إلى آخر الآيات، مُفْرَعٌ في قالبٍ واحد؛ لأنَّ أصلَ الكلام: لا تُشْرِكوا بي شيئًا في العبادة؛ لأنَّ المعبودَ واحد، فانظروا بنظرِ الإنصافِ أنه من هو؟ فإذا أدأكم النظرُ إلى أن ذلك المعبودُ أنا، فحُصُونِي بالرهبة، مثله في الانتقالِ والتخصيصِ قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِيبُ﴾ [الفاتحة: ٤] بعد قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، وإجراء الصِّفَاتِ عليه تعالى. ثُمَّ عَطَفَ قوله: ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ على قوله: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ بعدما رَتَّبَ عليه التقوى، ليؤدِّنَ بأنَّ عِظَمَ الإلهية، كما تقتضي الحُوفَ، كذلك المالكية، فعلقَ به قوله: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ نَتَّقُونَ﴾، ثُمَّ وَبَّخَهُم وأنكرَ عليهم بعد الشُّرْكِ كُفْرانَهُمْ نِعَمَ الله تعالى بقوله: ﴿وَمَا يَكُم مِّنْ يَمَعَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾، ثُمَّ استبعده بقوله: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾ قال ابنُ الحاجب: الآيةُ جيءَ بها لإخبارِ قومٍ استقرتْ بهم نِعَمٌ جهلوا مُعْطِيهَا، أو شكوا فيه، أو فعلوا ما يؤدي إلى أن يكونوا شاكين، فاستقراؤها مجهولةٌ أو مشكوكَةٌ سببٌ للإخبارِ بكونها من الله تعالى.

قوله: (أو: وله الجزاءُ [ثابتًا] دائمًا)<sup>(٢)</sup>، عطفٌ على قوله: ﴿الدِّينُ﴾: الطاعة... والواصبُ: الواجبُ الثابت، والدِّينُ إذا فُتِرَ بالطاعة، والواصبُ يجوزُ أن يكونَ بمعنى الواجب، فيكونُ المعنى: الطاعةُ واجبةٌ لله تعالى؛ لأنَّ كلَّ نِعْمَةٍ منه، وأن يكونَ بمعنى الكُلفَةِ والمشقَّةِ، ويكونُ المعنى: وله الطاعةُ التي فيها كُلفَةٌ ومشقَّةٌ، ابتلاءٌ للعبادِ ليمتيزَ المُخْلِصُ من غيره، وإذا فُتِرَ بالجزاءِ كقوله تعالى: ﴿تِلْكَ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٣] فالواجبُ

(١) من قوله: «وأفاد قوله ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ الأمر» إلى هنا، سقط من (ط).

(٢) في النسخة (ح): «وله الجزاءُ بها دلٌ عليه».

﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَإِنَّهٗ يُخَشِرُونَ ﴾ \* ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضَّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهٖمْ يُشْرِكُونَ ﴾ \* لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَانِنْتَهُمْ فَمَتَّعُوهُمُ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾  
[٥٥-٥٣]

﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ ﴾: وأيُّ شيء حلَّ بكم، أو اتَّصل بكم من نعمة، فهو من الله.  
﴿ فَإِنَّهٗ يُخَشِرُونَ ﴾: فما تتضرَّعون إلا إليه. والجُؤار: رفع الصوت بالدُّعاء والاستغاثة.  
قال الأعشى يَصِفُ رَاهِبًا:

يُرَاوِحُ مِنْ صَلَوَاتِ الْمَلِيحِ      لِكِ طَوْرًا سُجُودًا وَطَوْرًا جُؤَارًا

وقرى: (يُجْرُونَ) بَطْرَحِ الهمزة وإلقاء حركتها على الجيم. وقرأ قتادة: (كاشَفَ الضَّرَّ) على: فاعل بمعنى فَعَل، وهو أقوى من كَشَف؛ لأنَّ بناءَ المُغالبة يدلُّ على المبالغة. فإن قلت: فما معنى قوله: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهٖمْ يُشْرِكُونَ﴾؟ .....

بمعنى: الثابت فقط، والمعنى: وله الجزاء دائمًا ثابتًا، والضميرُ في قوله<sup>(١)</sup>: «ولذلك سُمِّيَ»  
﴿الَّذِينَ﴾ المُفسَّر بالطاعة.

الراغب: الوَضْبُ: السُّقْمُ الدَّائِمُ، وقد وَصِبَ فهو وَصِيبٌ، وأوصبته كذا فهو يتوصَّب، نحو: يتوجعُ، قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ [الصفات: ٩]، وقوله: ﴿وَلَهُ الَّذِينَ وَاصِبًا﴾ فتوعَّد لمن اتخذ إلهين، وتنبه أن جزاء من فعل ذلك لازم شديد، ومعنى الواصب: الدائم، أي: حقَّ الإنسان أن يطيعه دائمًا في جميع أحواله<sup>(٢)</sup>.

قوله: ﴿يُرَاوِحُ مِنْ صَلَوَاتِ﴾، البيت<sup>(٣)</sup>، يَصِفُ رَاهِبًا. المُرَاوِحَةُ في العمَلين: أن يعملَ هذا مرَّةً وهذا مرَّةً.

قوله: (فما معنى قوله: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ﴾؟)، أتى في السؤالِ بالفاءِ للإيذانِ بالإنكارِ

(١) زيادة من (ح).

(٢) «مفردات القرآن»، ص ٨٧٢.

(٣) للأعشى في «ديوانه»، ص ١٠٣.

على الكلام السابق، يعني: مقتضى قوله: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نَّمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ الإخبار عن قوم استقرت بهم نعم جهلوا مُعطيها، وقد ذكرت أن قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ ردُّ لَطْعِنِ قُرَيْشٍ فِي رِسَالَتِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وقولهم: «الله أعظم من أن يكون رسوله بشرًا»، وذكرت ثانيًا أن قوله: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ﴾ نازلة فيهم، وهي متصلة بتلك الآية، بمعنى: أفأمن منكرو الرسالة الباذلون جهدهم في المكر بإبطالها أن يخسف بهم وكيت وكيت؟ وقوله: ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ﴾ عطف على قوله: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا﴾، وقوله: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا نَتَّخِذُوا لِلْهَيْنِ آئِنِينَ﴾ عطف على ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا﴾ على منوال قوله: مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُحْمًا، أي: أولم يروا إلى دلائله الدالة على القدرة القاهرة المسخرة لكل شيء، وأولم يسمِعوا بآياته الشافية في إثبات التوحيد، وأن له الملك الواسع، والدين الواصب، ليعرفوا أن لا بُدَّ من رسول ليقرِّر لهم تلك الدلائل، ويبلغ إليهم ذلك القول البليغ، ويُمهد لهم ذلك الدين الواصب، وأن يضع الشريعة المستقيمة ليوضح منهاج الطريقة القويمة، وخصوصًا توبيخ هؤلاء أولًا على ما هم فيه من الإشراك بقوله: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ نَتَّقُونَ﴾، وثانيًا على كفرانهم نعمة الله بقوله: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نَّمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾، وثالثًا على تعكيسهم الأمر بقوله: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ يَجْتَرُونَ \* ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾.

وإذا كان كذلك فكيف يدخل في المعنى ذكر فريق وكان بعضًا من أولئك الموبخين ما أشركوا؟ وأجاب بأنه يجوز أن يكون الخطاب ﴿بِكُمْ﴾ عامًا ويراد بالفريق أولئك المشركون، على أن الناس كلهم فعلوا ما يؤدي إلى أن يستجهلوا أو ينسبوا إلى الكفران، خصوصًا هؤلاء المشركين؛ صموا مع الجهل والكفران ما هو أعظم منها، من أنهم إذا مسهم الضرُّ تضرعوا إلى الله، ثم إذا كشف الله عنهم ذلك الضرُّ ليوحِّدوه بدلوا بالشرك، وأن يكون الخطاب خاصًا في أولئك المشركين، ثم ﴿مِن﴾ إما بيان، والمعنى على التجريد، وإليه الإشارة بقوله: «وهم أنتم»، أو: تبعيض، على أن المراد من لم يصدُر منه ذلك الإشراك الخاص فهو المقتصد المتوسط الذي خفَّض من علوانه في الكفر، فظهر من هذا البيان أن ﴿ثُمَّ﴾ في قوله: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾ للتراخي في المرتبة. والثانية: على حقيقتها.

قلت: يجوز أن يكون الخطاب في قوله: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ عامًا، ويريد بالفريق: فريق الكفرة. وأن يكون الخطاب للمشركين و﴿وَمِنكُمْ﴾ للبيان، لا للتبعيض، كأنه قال: فإذا فريق كافر، وهم أنتم. ويجوز أن يكون فيهم من اعتبر، كقوله: ﴿فَلَمَّا بَخَّسْتُمْ إِلَى آلِ الْأَبْرِ فَمِنْهُمْ مُقْنَصِدٌ﴾ [لقمان: ٣٢]. ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ من نعمة الكشف عنهم، كأنهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة، ﴿فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تخلية ووعيد. وقرئ: ﴿فَيُمْتَعُوا﴾ بالياء مبنياً للمفعول؛ عطفًا على ﴿لِيَكْفُرُوا﴾، ويجوز أن يكون: ليكفروا فيمتعوا، من الأمر الوارد في معنى الخذلان والتخلية، واللام لام الأمر.

وأما قطع قوله: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ فلأنه جملة طلبية واردة<sup>(١)</sup> كالطبع على جملة الكلام، وكالتخلص إلى نوع آخر من قبائح المشركين، ولذلك عدل من الخطاب إلى الغيبة إيدانًا بالإيثار عن إيمانهم، ونعياً عليهم بسوء الخاتمة، وبأن يقال لهم: ذوموا على كفركم فسوف تعلمون وخامة عاقبة أمركم.

ولله ذر فاء فائقة<sup>(٢)</sup>، جلبت هذه المعاني الرائقة، رحم الله واضعها في هذا المقام، والله أعلم.

قوله: (تخلية ووعيد)، نشر لقوله: ﴿فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، يعني: خليناكم وأمهلناكم وامتتعكم بالدنيا ولذاتها، وعن قريب يظهر لكم سوء مغيبته وخامة عاقبته. قال أبو البقاء: الجمهور ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾: على أنه أمر، ويُقرأ بالياء<sup>(٣)</sup>، وهو معطوف على ﴿لِيَكْفُرُوا﴾ ثم رجع إلى الخطاب فقال: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، وقرئ بالياء أيضًا<sup>(٤)</sup>.

قوله: (من الأمر الوارد في معنى الخذلان والتخلية)، وهو كقوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ [الزمر: ٨].

(١) من قوله: ﴿فَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ للتراخي في المرتبة إلى هنا سقط من (ح)

(٢) يعني: الفاء في قول الزمخشري «فما معنى قوله...».

(٣) أي: «فيمتعوا»، وهي قراءة أبي العالية، ورواها مكحول عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ. انظر:

«المحتسب» (٢: ١١)، و«الذر المصون» (٧: ٢٤١).

(٤) «التيبان في إعراب القرآن» (٢: ٧٩٨).

[﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتَشْتَلْنَ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ ٥٦]

﴿لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لأهتهم. ومعنى لا يعلمونها: أنهم يسمونها آلهة، ويعتقدون فيها أنها تضرُّ وتَنْفَع وتشفع عند الله، وليس كذلك. وحققتها أنها جهادٌ لا يضرُّ ولا ينفع، فهم إذا جاهلُون بها. وقيل: الضميرُ في ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ للآلهة، أي: لأشياء غير موصوفة بالعلم، ولا تشعرُ أ جعلوا لها نصيبًا في أنعامهم وزروعهم أم لا؟ وكانوا يجعلون لهم ذلك؛ تقرُّبًا إليهم. ﴿لَتَشْتَلْنَ﴾ وعيد ﴿عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ من الإفك في زعمكم أنها آلهة، وأنها أهلٌ للتقرُّب إليها.

[﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ \* وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدَهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ \* يَتَوَرَّى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ ٥٧-٥٩]

كانت خُرَاعَةٌ وكنانة تقول: الملائكة بناتُ الله. ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهٌ لذاته من نسبة الولد إليه. أو تعجبٌ من قولهم. ﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ يعني البنين. ويجوزُ في ﴿مَا يَشْتَهُونَ﴾ الرفعُ على الابتداء، والنصبُ على أن يكون معطوفًا على ﴿الْبَنَاتِ﴾، أي: وجعلوا لأنفسهم ما يشتهون من الذكور. و﴿ظَلَّ﴾ بمعنى صار، كما يُستعمل بات

قوله: (وقيل: الضميرُ في: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ للآلهة)، يعني: لما نفوا عنها ما يصحُّ أن يُنفى عن ذوي العلم، أجرؤها مجرى أولي العلم، وعلى الأول: الضميرُ للمشركين، ومفعولُ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾: ضميرُ «ما» المُعبَّرُ عن الأصنام، وعلى الثاني: مفعولُ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ غير منوي، ولذلك قال: «لأشياء غير موصوفة بالعلم»، وقوله: «لا تشعرُ، أ جعلوا لها نصيبًا»: صفةٌ أخرى لأشياء، وعلى هذا الرَّاجعُ إلى الموصولِ ضميرُ الفاعلِ في ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾.

قوله: (الرفعُ على الابتداء، والنصبُ على أن يكون معطوفًا على ﴿الْبَنَاتِ﴾، أي: وجعلوا لأنفسهم ما يشتهون من الذكور)، نقل الإمام عن الفراء أنه قال: المختارُ الرفعُ؛ لأنه لو كان

وأضبح وأمسي بمعنى الصبرورة. ويجوز أن يجيء: ظل؛ لأن أكثر الوضع يتفق بالليل، فيظل نهاره مغتمًا مُرَبَّدَ الوجه من الكآبة والحياء من الناس. ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ مملوءٌ

نصبًا لقال: لأنفسهم ما يشتهون<sup>(١)</sup>، لأنك تقول: جعلت لنفسك كذا ولا تقول: جعلت لك كذا<sup>(٢)</sup>، وقال الزجاج: لا يجوز النصب؛ لأن العرب تقول: جعل لنفسه ما يشتهي، [ولا تقول: جعل له ما يشتهي]<sup>(٣)</sup>، وهو يعني نفسه<sup>(٤)</sup>، وقال أبو البقاء: وضعف قوم هذا الوجه، وقالوا: لو كان كذلك لقال: ولأنفسهم، وفيه نظر<sup>(٥)</sup>. وقال القاضي: يجوز النصب عطفًا على البنات، على أن الجعل بمعنى الاختيار، وهو وإن أفضى إلى أن يكون ضمير الفاعل والمفعول لشيء واحد، لكنه لا يبعد تجويزه في المعطوف<sup>(٦)</sup>.

قوله: (ويجوز أن يجيء: ظل)، أي: بمعناه، الجوهري: ظَلَّتُ أَعْمَلْتُ كَذَا، بالكسر ظلولا: إذا عملته بالنهار دون الليل، قال صاحب «الانتصاف»: وكذا الاحتمال في قوله: ﴿فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ [الحجر: ١٤] إما صاروا، وإما أن يُراد نهارًا لقصد المبالغة في الوضوح<sup>(٧)</sup>.

قوله: (فيظل نهاره)، «نهاره»: بالنصب والرفع، بالنصب: ظرف، وبالرفع: على الإسناد المجازي، نحو: نهاره صائمٌ.

قوله: (مُرَبَّدَ الوجه)، الجوهري: تَرَبَّدَ وَجْهُ فُلَانٍ، أي: تغير من الغضب، وتربد أيضًا: تعبَسَ.

قوله: (من الكآبة)، الكآبة: سوء الحال والانكسار من الحزن.

(١) من قوله: «من الذكور نقل الإمام عن الفراء» إلى هنا، سقط من (ح) و(ط).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢: ١٠٥).

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة من «معاني القرآن» للزجاج يقتضيها السياق.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» (٣: ٢٠٦).

(٥) «التيبان في إعراب القرآن» (٢: ٧٩٩)، ومن قوله: «قال الزجاج» إلى هنا سقط من (ط).

(٦) «أنوار التنزيل» (٣: ٤٠٤).

(٧) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٢: ٦١٢).

حَنَقًا عَلَى الْمَرْأَةِ، ﴿يَنْوَرِي مِنَ الْقَوْمِ﴾: يَسْتَخْفِي مِنْهُمْ ﴿مِنْ﴾ أَجْلِ ﴿سَوْءِ﴾ الْمَبْشَرِ بِهِ، وَمِنْ أَجْلِ تَعْيِيرِهِمْ، وَيُحَدِّثُ نَفْسَهُ وَيَنْظُرُ أَيَمْسِكُ مَا بَشَّرَ بِهِ ﴿عَلَى هُونٍ﴾: عَلَى هَوَانٍ وَذُلٍّ ﴿أَتَرِيدُ سُهُ فِي التَّرَابِ﴾: أَمْ يَبْدُءُ؟ وَقُرئ: (أَيَمْسِكُهَا عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُشُّهَا) عَلَى التَّأْنِيثِ. وَقُرئ: (عَلَى هَوَانٍ). ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ حَيْثُ يَجْعَلُونَ الْوَالِدَ الَّذِي هَذَا مَحَلُّهُ عِنْدَهُمْ لِلَّهِ، وَيَجْعَلُونَ لِأَنْفُسِهِمْ مَنْ هُوَ عَلَى عَكْسِ هَذَا الْوَصْفِ.

[ ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ٦٠ ]

﴿مَثَلُ السَّوْءِ﴾: صِفَةُ السَّوْءِ؛ وَهِيَ الْحَاجَةُ إِلَى الْأَوْلَادِ الذُّكُورِ وَكَرَاهَةُ الْإِنَاثِ وَوَأْدُهُنَّ خَشْيَةَ الْإِمْلَاقِ، وَإِقْرَارُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالشُّحِّ الْبَالِغِ، ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾: وَهُوَ الْغِنَى عَنِ الْعَالَمِينَ، وَالتَّزَاهَةُ عَنِ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، وَهُوَ الْجَوَادُ الْكَرِيمُ.

[ ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهِمْ مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فِإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَفْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ﴾ ٦١ ]

﴿بِظُلْمِهِمْ﴾: بِكُفْرِهِمْ وَمَعَاصِيهِمْ ﴿مَا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ أَي: عَلَى الْأَرْضِ ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ قَطٌّ، وَلَا هَلَكْهَا كَلَّهَا بِشُؤْمِ ظُلْمِ الظَّالِمِينَ. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: إِنَّ الظَّالِمَ لَا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ، فَقَالَ: بَلَى وَاللَّهِ، حَتَّى إِنَّ الْحَبَارَى لَتَمُوتُ فِي وُكْرِهَا بِظُلْمِ الظَّالِمِ.

قَوْلُهُ: (وَهُوَ الْغِنَى عَنِ الْعَالَمِينَ)، مُقَابِلٌ لِقَوْلِهِ: «وَهِيَ الْحَاجَةُ إِلَى الْأَوْلَادِ»، وَقَوْلُهُ: «وَالتَّزَاهَةُ عَنِ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ» فِي مُقَابِلِ: «وَوَأْدُهُنَّ خَشْيَةَ الْإِمْلَاقِ»، وَقَوْلُهُ: «وَهُوَ الْجَوَادُ الْكَرِيمُ» فِي مُقَابِلِ: «وَإِقْرَارُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالشُّحِّ الْبَالِغِ»، وَكُلُّ ذَلِكَ نَتِيجَةُ قَوْلِهِ: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدَهُمْ بِالْأُنثَى﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

قَوْلُهُ: (فَقَالَ: بَلَى وَاللَّهِ، حَتَّى إِنَّ الْحَبَارَى لَتَمُوتُ فِي وُكْرِهَا)، التَّهْيَاةُ: وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ:

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: كَادَ الْجُعْلُ يَهْلِكُ فِي جُحْرِهِ بِذَنْبِ ابْنِ آدَمَ. أَوْ: مِنْ دَابَّةٍ ظَلَمَةَ. وعن ابن عباس: ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾: مِنْ مُشْرِكٍ يَدْبُ عَلَيْهَا. وقيل: لَوْ أَهْلَكَ الْآبَاءُ بِكُفْرِهِمْ لَمْ تَكُنِ الْآبَاءُ.

[ ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جُرْمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾ [٦٢]

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ لأنفسهم من البنات ومن شركاء في رياستهم، ومن الاستخفاف برسولهم والتهاون برسالاتهم، ويجعلون له أزدل أمواهم، ولأصنامهم أكرمها، ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمْ﴾ مع ذلك ﴿أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ﴾ عند الله، كقوله: ﴿وَلَكِنَّ رَجَعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنْ لِي عِنْدَهُ لِلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠]. وعن بعضهم: أنه قال لرجل من ذوي اليسار: كيف تكون يوم القيامة .....

«إن الحبارى تموت هزلاً بذنب بني آدم»<sup>(١)</sup>، يعني: أن الله تعالى يجبس القطر بشؤم ذنوبهم، إنما خصها بالذكر لأنها أبعد الطير نجعة، فربما تذبج بالبصرة ويوجد في حوصلتها الحبة الخضراء، وبين البصرة وبين منابتها أيام.

وقلت: «بلى» إيجاب لما بعد النفي، والنفي هاهنا مستفاد من دليل الحضر، كأنه قيل: يضُرُّ نفسه، ولا يتعدى الضرُّ إلى غيره، فأجاب: بلى والله، يتعدى الضرُّ إلى غيره حتى الحبارى، فظهر أن «حتى» غاية تتعدى المقدر.

قوله: (أو من دابة ظالمة)، عطف على قوله: «من دابة قطة»، فعلى الأول التنكير فيها للجنس، وعلى هذا للتوع.

قوله: (ومن الاستخفاف برسولهم)، أي: يرسل المشركين الذين كانوا يرسلونهم.

(١) وأخرجه الطبري في «التفسير» (١٧: ٢٣١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٠٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفي إسناده محمد بن جابر التهامي، متروك الحديث.



إذا قال الله تعالى: هاتوا ما دُفِعَ إلى السَّلاطينِ وأعوانِهِم، فيؤتى بالدوابِّ والثيابِ وأنواعِ الأموالِ الفاخرة، وإذا قال: هاتوا ما دُفِعَ إليّ، فيؤتى بالكسِرِ والحرقِ وما لا يُؤبَهُ له؟! أما تَسْتحي من ذلك الموقف؟ وقرأ هذه الآية. وعن مجاهد: ﴿أَنْتَ لَهُمُ الْمُسْتَقَى﴾: هو قولُ قريش: لنا البُنون، و﴿أَنْتَ لَهُمُ الْمُسْتَقَى﴾: بدَلٌ من ﴿الْكَذِبَ﴾. وقرئ: (الْكُذْبُ) جمع كذُوب؛ صِفَةٌ للألسنة. ﴿مُفْرَطُونَ﴾ قرئ مفتوحَ الراءِ ومكسورَها، مَخْفَفًا ومشدَّدًا، فالمفتوح: بمعنى: مقدَّمون إلى النارِ مُعجَّلون إليها، مِن أفرطتُ فلانًا، وفَرَطْتُهُ في طَلَبِ الماءِ؛ إذا قَدَّمْتَهُ. وقيل: مَنسِيونَ مَتروكون، مِن أفرطتُ فلانًا خَلْفِي؛ إذا خَلَفْتَهُ ونَسِيتَهُ. والمكسورُ المَخْفَفُ: من الإفراطِ في المعاصي. والمشدَّد: من التفریطِ في الطاعاتِ وما يلزمهم.

[ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَرِئَنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ فَهُمْ وَلِيُّهُمْ  
الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ]

﴿فَهُمْ وَلِيُّهُمْ الْيَوْمَ﴾: حكايةُ الحالِ الماضية التي كانَ يزيِّن لهم الشيطانُ أَعْمَاهُمْ فيها. أو: فهو وليُّهم في الدنيا، فجعلَ اليومَ عبارةً عن زَمَانِ الدنيا. ومعنى ﴿وَلِيُّهُمْ﴾: قَرِينُهُم، وبشَسِّ القَرينِ.....

قوله: (إذا قال الله: هاتوا)، أي: قال للحفظة: هاتوا.

قوله: (﴿مُفْرَطُونَ﴾، قرئ مفتوحَ الراءِ)، نافع: «مُفْرَطُونَ» بكسرِ الراءِ<sup>(١)</sup>، والباقون: بفتحِها مُشدَّدًا ومُخَفَّفًا<sup>(٢)</sup>، والمشدَّدُ شاذٌّ<sup>(٣)</sup>، فالمفتوحُ بمعنى: مقدَّمون، يريدُ مَخْفَفًا ومشدَّدًا.

- (١) أي: مُسرفون مكثرون من المعاصي كما تقول: «أفرط فلانٌ في كذا» وإذا تجاوزَ الحدَّ وأسرفَ. ومن قرأ بفتحِ الراءِ مَخْفَفًا فعلى معنى: متروكون في النار، مَنسِيون فيها. انظر: «حُجَّةُ القراءات»، ص ٣٩١.
- (٢) سقط لفظ «مُشدَّدًا» من النسخة (ف) و(ط).
- (٣) وتمن قرأ بالشاذِّ: أبو جعفر المدني والأعرج. انظر: «مختصر شواذِّ القرآن»، ص ٧٣.

أو يجعل ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ﴾ حكاية للحال الآتية؛ وهي حال كونهم معذبين في النار، أي: فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره؛ نفيًا للناصر لهم على أبلغ الوجوه، ويجوز أن يرجع الضمير إلى مشركي قريش؛ أنه زين للكفار قبلهم أعمالهم، فهو

قوله: (أو يجعل ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ﴾)، عطف على قوله: ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ﴾ حكاية الحال الماضية، بناء على أن هذا الكلام إما أن يقال: في الآخرة أو في الدنيا. أما الأول: فعلى وجهين، أحدهما: أن يراد باليوم: يوم الآخرة استحضارًا لما جرى على الكفرة في الدنيا من متوالي أمورهم، الذي هو الشيطان وما زين لهم من سوء أعمالهم، وسؤال لهم<sup>(١)</sup> من المعاصي والكفر، كأن السامع حينئذ يستحضر يوم الدنيا وتلك الحالة فيتعجب منها. وثانيهما: أن يراد باليوم حينئذ: الزمان الممتد في الدنيا، فالتعريف في اليوم: للعهد، والمعنى بالولي: القرين، الذي هو قريبهم في الدنيا، وليس في هذا الوجه ذلك الاستحضار، بل مجرد الإخبار.

وأما الثاني: فعلى أن إخبار الله عن الكائن<sup>(٢)</sup> بمنزلة الواقع الثابت، فيستحضر الآن ما يجري عليهم في القيامة، وهذا على عكس الوجه الأول. والولي حينئذ بمعنى: الناصر، وإثبات النصرة على سبيل التهكم، وإليه أشار بقوله: «نفيًا للناصر لهم على أبلغ الوجوه»، ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [سبأ: ٣١]، والغرض استحضار صورة الظالمين موقوفين عند ربهم متقاولين تلك المقالة.

قوله: (ويجوز أن يرجع الضمير)، يعني في قوله: ﴿وَلِيُّهُمُ﴾، وهو عطف على قوله: ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ﴾ حكاية الحال الماضية؛ لأن الضمير على الأول، لكل من والاه الشيطان، المعنى الشيطان قبل قريش، زين للأمم الماضية من الكفار أعمالهم، فهو الآن ولي هؤلاء الخلف؛ لأنهم متصلون بهم في الدين، كقوله تعالى: ﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بِصُحُفٍ مِنْ بَعْضِ﴾ [التوبة: ٦٧].

(١) سقط لفظ «لهم» من النسخة (ح).

(٢) في النسخة (ح): «للكافرين»، وسقط منها لفظ «عن».

وَلِيُّ هَؤُلَاءِ؛ لأنهم منهم. ويجوز أن يكونَ على حذفِ المُضَافِ، أي: فهو وليُّ أمثالهم اليوم.

[ ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ \* وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [٦٤ - ٦٥]

﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً ﴾ معطوفانِ على محلِّ ﴿ لِتُبَيِّنَ ﴾، إلا أنها انتصبا على أنها مفعول لهما؛ لأنها فعلا الذي أنزلَ الكتاب. ودخل اللامُ على ﴿ لِتُبَيِّنَ ﴾؛ لأنه فعلُ المخاطب لا فعلُ المنزِل. وإنما ينتصبُ مفعولاً له ما كانَ فعلُ فاعلِ الفعلِ المعلل. والذي اختلفوا فيه: البعث؛ لأنه كانَ فيهم من يؤمنُ به، ومنهم عبدُ المطلب، وأشياءٌ من التَّحريمِ والتحليلِ والإنكارِ والإقرارِ. ﴿ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ سماعُ إنصافٍ وتدبُّر؛ لأنَّ من لم يسمعْ بقلبه، فكانه أصمُّ لا يسمع.

وقلت: هذا هو الوجهُ، وعليه التَّنظُّمُ الفائق؛ لأنَّ في تصدُّرِ القَسَمِيَّةِ بقوله: ﴿ تَأَلَّاهُ ﴾ بعدَ إنكارِهِمُ الرِّسَالَةَ، وتعدادِ قبائحِهِم، الإشعارَ بأنَّها كالتَّسْلِيَةِ لرسولِ الله ﷺ، فإنَّ الأُمَّمَ الخاليةَ مع الرُّسُلِ السَّالِفَةِ لم تَزَلْ على هذه الوتيرةِ فَلَكَ أَسْوَةٌ بِتلكِ الأنبياءِ، وقومكُ خَلَفٌ لتلكِ الأُمَّمِ، فلا تَهْتَمَّ لذلكِ، فإنَّ رَبَّكَ يَنْتَقِمُ لَكَ مِنْهُمْ بِالْقَتْلِِ وَالدَّمَارِ فِي الدُّنْيَا، وَبِعَذَابِ النَّارِ فِي الْعُقْبَى، فَاسْتَعِزِّي أَنْتَ عَنْهُمْ بِتَبْلِيغِ مَا أَنْزَلَ عَلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ الْفَيصَلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، الهادي إلى الصِّراطِ المُسْتَقِيمِ، والرَّحْمَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَبِتَقْرِيرِ أَنْوَاعِ الدَّلَائِلِ الْمُنصُوبَةِ عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ، وَبِالتَّبْيِيهِ عَلَى إِقَامَةِ الشُّكْرِ عَلَى نِعَمِ اللَّهِ الْمُتَظَاهِرَةِ، وَهَذَا التَّقْرِيرُ يُؤَاخِي التَّقْرِيرَ فِي فَاتِحَةِ هَذِهِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قوله: (وإنما ينتصبُ مفعولاً له)، قوله: «مفعولاً له» تمييزٌ، والفاعلُ «ما» في «ما كان».

قوله: (وأشياءٌ من التحريمِ)، عطفٌ على قوله: «البعث».

[ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۚ نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِغًا

لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾ ]

ذَكَرَ سَبْيُوهُ الْأَنْعَامَ فِي بَابِ مَا لَا يَنْصَرِفُ فِي الْأَسْمَاءِ الْمُفْرَدَةِ الْوَارِدَةِ عَلَى أَفْعَالٍ، كَقَوْلِهِمْ: ثَوَّبَ أَكْيَاشَ؛ وَلِذَلِكَ رَجَعَ الضَّمِيرُ إِلَيْهِ مُفْرَدًا. وَأَمَّا ﴿فِي بُطُونِهَا﴾ فِي سُورَةِ الْمُؤْمِنِينَ [٢١]؛ فَلِأَنَّ مَعْنَاهُ الْجَمْعُ. وَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: فِي ﴿الْأَنْعَامِ﴾ وَجِهَانُ: أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ تَكْسِيرَ نَعَمٍ، كَأَجْبَالٍ فِي جَبَلٍ، وَأَنْ يَكُونَ اسْمًا مُفْرَدًا مُقْتَضِيًا لِمَعْنَى الْجَمْعِ، كَنَعَمٍ، فَإِذَا ذُكِرَ فَكَمَا يُذَكَّرُ «نَعَمٌ» فِي قَوْلِهِ:

فِي كُلِّ عَامٍ نَعَمٌ تَحْوُونَهُ يُلْقِحُهُ قَوْمٌ وَتَنْتَجُونَهُ

وَإِذَا أَنْتَ؛ ففِيهِ وَجِهَانُ: أَنَّهُ تَكْسِيرُ نَعَمٍ، وَأَنَّهُ فِي مَعْنَى الْجَمْعِ. وَقُرئ: ﴿نُسْقِيكُمْ﴾ بِالْفَتْحِ وَالضَّمِّ، وَهُوَ اسْتِثْنَاءٌ، كَأَنَّهُ قِيلَ: كَيْفَ الْعِبْرَةُ؟ فَقِيلَ نُسْقِيكُمْ. ﴿مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ

قَوْلُهُ: (ثَوَّبَ أَكْيَاشَ)، وَفِي الْحَاشِيَةِ: الْأَكْيَاشُ (١): ضَرَبٌ مِنَ الثِّيَابِ تُغزَلُ مَرَّتَيْنِ.

قَوْلُهُ: (فِي كُلِّ عَامٍ نَعَمٌ) الْبَيْتُ (٢)، وَبَعْدَهُ:

هَيْهَاتَ (٣) هَيْهَاتَ لِمَا يَرِجُونَهُ

أَرْبَابُهُ نَوَكِي، فَلَا يَحْمُونَهُ

وَلَا يُبْلِقُونَ طِعَانًا دُونَهُ

يُرَوى: «أَفِي كُلِّ عَامٍ»، ذَكَرَ الضَّمِيرَ فِي «تَحْوُونَهُ»، الرَّاجِعَ إِلَى «نَعَمٍ»؛ لِأَنَّهُ اسْمٌ مُفْرَدٌ بِمَعْنَى الْجَمْعِ، يُحَاطَبُ لُصُوصًا، يَقُولُ لَهُمْ: تَحْوُونَ كُلَّ عَامٍ نَعْمًا لِقَوْمِ الْقَحْوَةِ، وَأَنْتُمْ تُنْتَجُونَهُ فِي حَيْكِمٍ.

قَوْلُهُ: ﴿نُسْقِيكُمْ﴾ بِالْفَتْحِ وَالضَّمِّ، بِالضَّمِّ: كُلُّهُمْ إِلَّا نَافِعًا وَابْنَ عَامِرٍ وَأَبَا بَكْرٍ،

(١) سَقَطَ لَفْظُ «الْأَكْيَاشِ» مِنَ النُّسخَةِ (ح).

(٢) لَقِيَسَ بِنِ الْحَصِينِ الْحَارِثِيِّ كَمَا فِي «مَشَاهِدِ الْإِنْصَافِ» (٢: ٦١٥).

(٣) فِي النُّسخَةِ (ح): هَيْهَاتَ الْعَقِيقِ هَيْهَاتَ. وَلَا وَجْهَ لَهُ.

وَدَرٍ ﴿١﴾ أَي: يَخْلُقُ اللهُ اللَّبْنَ وَسَيْطًا بَيْنَ الْفَرْثِ وَالِدَمِ يَكْتَنِفَانِهِ، وَيَبْنَهُ وَبَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ مِنْ قَدْرَةِ اللهِ لَا يَبْنِي أَحَدُهُمَا عَلَيْهِ بِلُونٍ وَلَا طَعْمٍ وَلَا رَائِحَةٍ، بَلْ هُوَ خَالِصٌ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ. قِيلَ: إِذَا أَكَلَتِ الْبَهِيمَةُ الْعَلْفَ فَاسْتَقَرَّ فِي كَرِشِهَا طَبَخَتْهُ، فَكَانَ أَسْفَلُهُ فَرْثًا، وَأَوْسَطُهُ

قال الزجاج: سَقَيْتُهُ وَأَسَقَيْتُهُ (١) بمعنى. وقال سيبويه والخليل: سَقَيْتُهُ - كَقَوْلِكَ: نَاوَلْتُهُ - فَشَرِبَ، وَأَسَقَيْتُهُ: جَعَلْتُ لَهُ سُقْيَا، وَكَذَلِكَ قَوْلُ لَبِيدٍ (٢) يَحْتَمِلُ الْمَذْهَبَيْنِ:

سقى قومي بني مجدٍ وأسقى  
نُمَيْرًا والقبائل من هلالٍ

وهذا البيت وضعه النحويون على أن «سقى» و«أسقى» بمعنى، وهو يحتمل التفسير الثاني (٣).

وقيل: لا يُرِيدُ الشاعِرُ بَسْقِي قومه: أن يُرَوِيَ عِطَاشَهُمْ، يَرِيدُ: رَزَقَهُمُ اللهُ سَقْيَا لِبِلَادِهِمْ يُحْصِبُونَ مِنْهَا، وَبَعِيدٌ أَنْ يَسْأَلَ لِقَوْمِهِ مَا يُرَوِي الْعِطَاشَ وَلِغَيْرِهِمْ مَا يُحْصِبُونَ، وَمَعْنَى ﴿سُقَيْكَ﴾ بِالضَّمِّ: جَعَلْنَاهُ فِي كَثْرَتِهِ وَإِدَامَتِهِ كَالسُقْيَا، فَهُوَ كَقَوْلِهِ: أَسَقَيْتُهُ نَهْرًا.

الجوهري: سَقَيْتُهُ لَشَفْتِهِ، وَأَسَقَيْتُهُ لِمَاشِيَتِهِ وَأَرْضِهِ، وَالاسْمُ السَّقْيُ بِالْكَسْرِ، وَالْجَمْعُ الْأَسْقِيَّةُ.

قوله: (قيل: إذا أكلت البهيمَةُ العلفَ فاستقرَّ في كَرِشِهَا) إلى آخره. وقيل: الأطباء يزعمون على خلافه، قال الإمام: المراد من الآية هو أن اللبن إنما يتولد من بعض أجزاء الدم، والدم يتولد من الأجزاء اللطيفة التي في الفَرْثِ، وهي من الأشياء الحاصلة في الكَرِشِ، فاللبن يتولد من الأجزاء التي كانت حاصلةً فيما بين الفَرْثِ أَوْلَا ثُمَّ مِمَّا كَانَتْ حَاصِلَةً فِيمَا بَيْنَ الدَّمِ ثَانِيًا، فَصَفَاهُ اللهُ تَعَالَى عَنْ تِلْكَ الْأَجْزَاءِ الْكَثِيفَةِ الْغَلِيظَةِ، فَإِذَا تَنَاوَلَ الْحَيَوَانَ الْغِذَاءَ وَوَصَلَ إِلَى مَعْدَتِهِ أَوْ إِلَى كَرِشِهِ، فَإِذَا طُبِّخَ وَحَصَلَ الْهَضْمُ الْأَوَّلُ فِيهِ، فَمَا

(١) سقط لفظ «أسقيته» من النسخة (ح).

(٢) في «معاني القرآن»: «الشاعر».

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» (٣: ٢٠٨-٢٠٩) وانظر البيت في «ديوان لبيد»، ص ١٢٨.

لَبَنًا، وأَعْلَاهُ دَمًا. وَالكَبِدُ مَسْلُطَةٌ عَلَى هَذِهِ الْأَصْنَافِ الثَّلَاثَةِ تَقْسِمُهَا، فَتَجْرِي الدَّمُ فِي الْعُرُوقِ، وَاللَّبَنَ فِي الضَّرْعِ، وَتُبْقَى الْفَرْثُ فِي الْكِرْشِ. فَسُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَعْظَمَ قُدْرَتَهُ وَالطَّفَ حِكْمَتَهُ لِمَنْ تَفَكَّرَ وَتَأَمَّلَ! وَسُئِلَ شَقِيقٌ عَنِ الْإِخْلَاصِ، فَقَالَ: تَمْيِيزُ الْعَمَلِ مِنَ الْعُيُوبِ، كَتَمْيِيزِ اللَّبَنِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ. ﴿سَائِعًا﴾: سَهْلَ الْمُرُورِ فِي الْحَلْقِ، وَيُقَالُ: لَمْ يَغْصَّ أَحَدٌ بِاللَّبَنِ قَطًّا. وَقُرِئَ: (سَيِّغًا) بِالتَّشْدِيدِ. وَ: (سَيِّغًا) بِالتَّخْفِيفِ، كَهَيِّنَ وَلَيِّنَ. فَلَمَّا قُلْتُ: أَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ ﴿مِنْ﴾ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ؟ قُلْتُ: الْأُولَى لِلتَّبَعِيضِ؛ لِأَنَّ اللَّبْنَ بَعْضٌ مَا فِي بَطُونِهَا، كَقَوْلِكَ: أَخَذْتُ مِنْ مَالِ زَيْدٍ ثَوْبًا. وَالثَّانِيَةُ لِابْتِدَاءِ الْغَايَةِ؛ لِأَنَّ بَيْنَ الْفَرْثِ وَالدَّمِ مَكَانٌ الْإِسْقَاءِ الَّذِي مِنْهُ يُبْتَدَأُ، فَهُوَ صِلَةٌ لـ ﴿شَقِيقًا﴾، كَقَوْلِكَ: سَقَيْتُهُ

كَانَ صَافِيًا انْجَذَبَ إِلَى الْكَبِدِ، وَمَا كَانَ كَثِيفًا نَزَلَ إِلَى الْأَمْعَاءِ، وَالْحَاصِلُ فِي الْكَبِدِ يَنْهَضُ ثَانِيًا وَيَصِيرُ دَمًا، ثُمَّ الدَّمُ يَدْخُلُ فِي الْأُورْدَةِ، وَهِيَ الْعُرُوقُ النَّابِتَةُ مِنَ الْكَبِدِ، وَهَنَّاكَ يَحْصُلُ الْهَضْمُ الثَّلَاثُ، وَبَيْنَ الْكَبِدِ وَالضَّرْعِ عُرُوقٌ، فَيَصُبُّ الدَّمُ مِنْهَا إِلَى الضَّرْعِ، وَفِيهِ لَحْمٌ غُدَدِيٌّ رِخْوٌ أَيْضًا، فَيَنْقَلِبُ الدَّمُ فِيهِ إِلَى اللَّبَنِ، وَذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ<sup>(١)</sup>.

قَالَ الْقَاضِي بَعْدَ مَا ذَكَرَ نَحْوًا مِنْ هَذَا: «وَمَنْ تَدَبَّرَ صُنْعَ اللَّهِ فِي إِحْدَاثِ الْأَخْلَاطِ وَالْأَلْبَانِ وَإِعْدَادِ مَقَارِهَا<sup>(٢)</sup> وَمَجَارِيهَا وَالْأَسْبَابِ الْمَوْلُودَةِ لَهَا وَالْقُوَى الْمَتَصَرِّفَةَ فِيهَا كُلَّ وَقْتٍ عَلَى مَا يَلِيقُ بِهِ، اضْطُرَّ إِلَى الْإِقْرَارِ بِكَمَالِ حِكْمَتِهِ وَتَنَاهَى رَحْمَتِهِ<sup>(٣)</sup>، وَعَلَى هَذَا الْأَقْرَبُ أَنْ يَكُونَ ﴿مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ﴾ حَالًا مِنْ ﴿لَبَنًا خَالِصًا﴾ وَلَا يَكُونُ ظَرْفًا لَعَوًا.

قَوْلُهُ: (لَأَنَّ بَيْنَ الْفَرْثِ وَالدَّمِ مَكَانُ الْإِسْقَاءِ)، رُويَ: «مَكَانٌ» بِالرَّفْعِ. وَقِيلَ: «بَيْنَ»: اسْمٌ لَا ظَرْفَ وَانْتِصَابُهُ عَلَى الْحِكَايَةِ، وَلَيْسَ (أَنَّ) بِعَامِلٍ هَذَا النَّصْبِ، وَإِنَّمَا هُوَ عَامِلٌ نَصْبٍ آخَرَ مَقْدَرٍ، وَالتَّقْدِيرُ: لِأَنَّ مَحَلَّ الْفَرْثِ وَالدَّمِ مَكَانُ الْإِسْقَاءِ، أَوْ أَنَّ الْمَتَوَسِّطَ وَالْمُتَخَلِّلَ بَيْنَ الْفَرْثِ وَالدَّمِ مَكَانُ الْإِسْقَاءِ، وَفِيهِ نَظَرٌ، لِأَنَّهُ حَيْثُذُ: ظَرْفٌ لَا اسْمَ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ التَّقْدِيرَ: أَنَّ

(١) «مفاتيح الغيب» (٢٠: ٦٥).

(٢) في النسخة (ح): مقاديرها. وما أثبتناه هو الموافق لكلام البيضاوي في «أنوار التنزيل».

(٣) «أنوار التنزيل» (٣: ٤٠٧).

مِنَ الْحَوْضِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا مِنْ قَوْلِهِ: ﴿لَبَنًا﴾ مَقْدَمًا عَلَيْهِ، فَيَتَعَلَّقُ بِمَحذُوفٍ، أَيْ: كَانَتْ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ. أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَوْ تَأَخَّرَ فَقِيلَ: لَبَنًا مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ؛ كَانَ صِفَةً لَهُ؟ وَإِنَّمَا قَدَّمَ؛ لِأَنَّهُ مَوْضِعُ الْعِبْرَةِ، فَهُوَ قَمِينٌ بِالتَّقْدِيمِ. وَقَدْ احْتَجَّ بَعْضُ مَنْ يَرَى أَنَّ الْمَنِيَّ طَاهِرٌ عَلَى مَنْ جَعَلَهُ نَجَسًا؛ لِحَرْبِهِ فِي مَسَلِّكَ الْبَوْلِ بِهَذِهِ الْآيَةِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ بِمُسْتَنَكِرٍ أَنْ يَسَلِّكَ مَسَلِّكَ الْبَوْلِ وَهُوَ طَاهِرٌ، كَمَا خَرَجَ اللَّبَنُ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ طَاهِرًا.

[وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَبِ نَنَخِذُونَ مِنْهُ سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾]

فَإِنْ قُلْتَ: بِمَ تَعَلَّقَ قَوْلُهُ: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَبِ﴾؟ قُلْتُ: بِمَحذُوفٍ، تَقْدِيرُهُ: وَتُسْقِيكُمْ مِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ، أَيْ: مِنْ عَصِيرِهَا، وَحَذَفَ؛ لِدَلَالَةِ ﴿تُسْقِيكُمْ﴾ قَبْلَهُ عَلَيْهِ، وَقَوْلُهُ: ﴿نَنَخِذُونَ مِنْهُ سَكْرًا﴾ بَيَانٌ وَكَشْفٌ عَنْ كُنْهِ الْإِسْقَاءِ. أَوْ تَعَلَّقَ بِـ ﴿نَنَخِذُونَ﴾. وَ﴿مِنْهُ﴾ مِنْ تَكَرُّرِ الظَّرْفِ لِلتَّوَكِيدِ، كَقَوْلِكَ: زَيْدٌ فِي الدَّارِ فِيهَا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿نَنَخِذُونَ﴾ صِفَةً مَوْصُوفٍ مَحذُوفٍ، كَقَوْلِهِ: .....

وَسَطَ الْفَرْثِ وَالدَّمِ مَكَانَ الْإِسْقَاءِ، كَقِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ: «لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ»<sup>(١)</sup> بِالرَّفْعِ<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ: (أَوْ تَعَلَّقَ بِـ ﴿نَنَخِذُونَ﴾)، أَيْ: قَوْلُهُ: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ﴾، وَقُلْتُ: الْبَيَانُ وَالْكَشْفُ أَوْلَى لِمَقَابَلَتِهِ قَوْلُهُ: ﴿تُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ وَهُوَ بَيَانٌ لِقَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾، وَلِذَلِكَ جَعَلَ ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ﴾ مُتَعَلِّقًا بِالمَحذُوفِ لَا بِهَذَا الظَّاهِرِ، لِكُونِهِ غَيْرَ صَالِحٍ لِلْبَيَانِ. قَالَ أَبُو الْبَقَاءِ: وَقِيلَ: التَّقْدِيرُ: وَتَنَخِذُونَ مِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ سَكْرًا، وَأَعَادَ ﴿مِنْ﴾ لَمَّا قَدَّمَ وَأَخَّرَ وَذَكَرَ الضَّمِيرَ؛ لِأَنَّهُ عَادَ عَلَى شَيْءٍ المَحذُوفِ، أَوْ عَلَى مَعْنَى الثَّمَرَاتِ، وَهُوَ الثَّمَرُ، أَوْ عَلَى النَّخْلِ، أَيْ: مِنْ ثَمْرِ النَّخْلِ، أَوْ عَلَى الْجَنَسِ أَوْ عَلَى الْبَعْضِ أَوْ عَلَى الْمَذْكُورِ<sup>(٣)</sup>.

قَوْلُهُ: (زَيْدٌ فِي الدَّارِ فِيهَا)، قَالَ فِي سُورَةِ «الْأَنْبِيَاءِ»: «أُورِدَ سَبِيحِيهِ - فِي بَابِ مَا يُسْنَى فِيهِ

(١) يعني الآية (٩٤) من سورة «الأنعام».

(٢) وانظر الاحتجاج لهذا الاختيار في «الدرر المصون» (٣: ١٢٩).

(٣) «التيبان في إعراب القرآن» (٢: ٨٠١).

## جَادَتْ بِكَفِّي كَانَ مِنْ أَرْمَى الْبَشْرِ

تقديره: ومن ثمرات النخيل والأعناب ثمرٌ تتخذون منه سكرًا ورزقًا حسنًا؛ لأنهم يأكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر. فإن قلت: فلإلام يرجع الضمير في ﴿منه﴾ إذا جعلته ظرفًا مكرّرًا؟ قلت: إلى المضاف المحذوف الذي هو العصير، كما رجع في قوله تعالى: ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤] إلى الأهل المحذوف. والسكر: الحمر، سُميت بالمصدر من سكر سكرًا وسكرًا. نحو رشيدًا ورشدًا. قال:

وجاؤونا بهم سكرًا علينا فاجلى اليوم والسكران صاحي

المستقرُّ توكيدًا: عليك زيد حريصٌ عليك، وغير ذلك<sup>(١)</sup>.

قوله: (بِكْفِي كَانَ مِنْ أَرْمَى الْبَشْرِ)، وقبله:

مَا لَكَ مِنِّي غَيْرُ سَهْمٍ وَحَجْرٍ  
وغير كبداء شديدة الوتر  
جَادَتْ بِكَفِّي كَانَ مِنْ أَرْمَى الْبَشْرِ<sup>(٢)</sup>

كبد القوس: مقبضها، والضمير في «جادت» راجع إلى «كبداء»، أي: صارت جيدة، قوله: «بِكْفِي كَانَ»، أي: بكفي رجلٍ كان من أرمى البشر.

قوله: (فَلِإِلَامٍ يَرْجِعُ الضَّمِيرُ فِي ﴿مِنْهُ﴾؟)، في السؤال إنكارٌ بشهادة الفاء، يعني: إذا جعلت ﴿مِنْ بَمَرَاتٍ﴾ من باب: زيدٌ في الدارِ فيها، كان الضميرُ في «منه» لغير مدخولٍ ﴿مِنْ﴾ والثمرات مؤنثة، وأجاب بأنها في تأويل العصير.

قوله: (إِلَى الْأَهْلِ الْمَحذُوفِ)، أي: في قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرِيْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بِأَسْنَانٍ بَيْتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ أي: ومن عصير ثمرات النخيل.

قوله: (وَجَاؤْنَا بِهِمْ سَكْرًا)، البيت<sup>(٣)</sup>، الضميرُ في «جاؤونا»: للجنس، «سكرًا»: غضبٌ

(١) انظر: (١٠: ٢٨٢)، وانظر كلام سيبويه في «الكتاب» (٢: ١٢٥).

(٢) ذكره الزبيدي في «تاج العروس» (٣٦: ٧٣) رواية عن الفراء.

(٣) سبق وروده في (٨: ٧٦) من غير عزوٍ لأحد، وذكره الزبيدي في «تاج العروس» (١٢: ٦٠) رواية عن

اللحياني وابن السكيت.



وفيه وجهان: أحدهما: أن تكون منسوخة. وممن قال بنسخها: الشَّعْبِيُّ والنَّخَعِيُّ.

والثاني: أن يجمع بين العتاب والمِنَّة. وقيل: السَّكْرُ: النَّيْبُ؛ وهو عَصِيرُ العِنَبِ والزَّيْبِ والتمر إذا طُبِخَ حتى يذهب ثلثاه، ثم يُترك حتى يشتد، وهو حلالٌ عند أبي حنيفةٍ إلى حدِّ السُّكْرِ، ويحتجُّ بهذه الآية، ويقولُه ﷺ: «الخمْرُ حرامٌ لعينها.....»

وسَفَهَ، أرادَ بصَحْوِهِم: عَلِمَهُم بَعَجِزِهِم عن مقاومتنا، «سكْر»: مبتدأ، و«بهم» خبرٌ مقدَّمٌ عليه، و«علينا»: متعلِّقٌ بـ«سكْر»، والجملةُ: حال، فأجلى بمعنى جَلَى، أي: انكشف، قيل: استشهد بالبيتِ على أن السُّكْرَ مصدرٌ في الأصل<sup>(١)</sup>.

قوله: (وفيه وجهان)، أي: في الجُمعِ بين السُّكْرِ والرُّزْقِ الحَسَنِ، مَنْ عَلَيْهِم قَبْلَ النِّسْخِ بتمكينهم على أن يتخذوا منه السُّكْرَ والرُّزْقَ الحَسَنَ كسائر ما عدَدَ عليهم من النِّعَمِ لقوله: «لأنهم كانوا يأكلون بعضها ويتخذون من بعضها السُّكْرَ» ثم نَسَخَ السُّكْرَ.

قوله: (أن يجمع بين العتاب والمِنَّة)، يعني: خلقنا لكم ثمرات النخيل والأعناب، بأن تجعلوها ذريعةً إلى الطاعات، فجعلتم بعضها مائة المعاصي، ولهذا قيد إحدى القريبتين بقوله: ﴿حَسَنًا﴾.

قوله: (وهو حلالٌ عند أبي حنيفةٍ، رضي الله عنه إلى حدِّ السُّكْرِ، ويحتجُّ بهذه الآية)، وعن مُجِيبِ السُّنَّةِ: وأولى الأقاويل قولٌ مَنْ قال: إنها منسوخة<sup>(٢)</sup>؛ لأنها نازلةٌ قبلَ تحريمِ الخمر، وإلى هذا ذهب ابنُ مسعودٍ وابنُ عمرَ وسعيدُ بنُ جبَّيرٍ والحسنُ ومجاهد، وقلتُ: في الآيةِ نَفْسُهَا ذِلَالَةٌ على قُبْحِ تناولها تعريضًا، وذلك من عَطْفِ قوله: ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ عليه، وقد فُسرَ بالحلِّ والرُّبِّ.

قوله: (الخمْرُ حرامٌ لعينها)، فيحرمُ قليلها وكثيرها<sup>(٣)</sup>.

(١) قوله: «قيل: استشهد بالبيت على أن السُّكْرَ مصدرٌ في الأصل» سقط من (ح).

(٢) «معالم التنزيل» (٥: ٢٩).

(٣) أخرجه النسائي في «المجتبى» (٨: ٣٢١)، وفي «السنن الكبرى» (٥١٧٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨: ٢٩٧) من حديث ابن عباس بلفظ: «حُرِّمَتِ الخمرُ بعينها: قليلها وكثيرها، والسكْر من كل شراب»، وفي البابِ عن عليٍّ رضي الله عنه عند العقيليِّ في «الضعفاء الكبير» (١٨٤٩)، وفي إسناده محمد بن الفرات الكوفي، منكر الحديث.

وَالسُّكْرُ مِنْ كُلِّ شَرَابٍ»، وبأخبارٍ جمّة. ولقد صنّف شيخنا أبو عليّ الجبائيّ قدّس الله روحه، غيرَ كتابٍ في تحليل النبيذ، فلما شيخ وأخذت منه السنُّ العالية قيل له: لو شربتَ منه ما تتقوى به، فأبى. فقيل له: فقد صنّفتَ في تحليته، فقال: تناولته الدّعارة فسمّجَ في المروءة. وقيل: السُّكْرُ: الطُّعم، وأنشد:

جَعَلْتَ أَعْرَاضَ الْكِرَامِ سَكْرًا

أي: تنقلتُ بأعراضهم. وقيل: هو من الخمر، وإنه إذا ابتَرَكَ في أعراض الناس، فكأنه تخمَّرَ بها. والرِّزْقُ الحَسَنُ: الحُلُّ والرُّبُّ والتمرُّ والزَّيْبُ وغيرُ ذلك. ويجوزُ أن يُجْعَلَ السُّكْرُ رِزْقًا حَسَنًا، كأنه قيل: تتخذون منه ما هو سَكْرٌ ورِزْقٌ حَسَنٌ.

قوله: (وَالسُّكْرُ مِنْ كُلِّ شَرَابٍ)، أي: السُّكْرُ أيضًا حرامٌ من كلِّ شرابٍ، فلا يَحْرُمُ شُرْبُهُ إِلَّا إِذَا انْتَهَى إِلَى حَدِّ السُّكْرِ فَيَحْرُمُ.

قوله: (تناولته الدّعارة)، الأساس: رَجُلٌ دَاعِرٌ: حَبِيثٌ فَاجِرٌ، وفيه دَعَارَةٌ، فهو على حذِفِ المضاف، أي: طَعِمَهُ أصحابُ الدّعارة، ففَبِحَ في المَرْوَةِ التَّشْبِهُ<sup>(١)</sup> بهم.

قوله: (أي: تنقلتُ)، أي: جعلتُ أعراضهم نُقْلًا<sup>(٢)</sup>. «وقيل: هو» أي: «سَكْرًا» في البيت.

قوله: (إذا ابتَرَكَ)، قيل: ابتَرَكَ فلانٌ في عَرَضِ فلانٍ: إذا اعتمدَ في ذمِّه.

الأساس: وابتَرَكَ الفَرَسُ في عَدْوِهِ: اعتمدَ فيه واجتهدَ.

قوله: (ويجوزُ أن يُجْعَلَ السُّكْرُ رِزْقًا حَسَنًا)، عطفٌ على قوله: «أن يجمعَ بين العِتَابِ والمِئَةِ»، فعلى هذا العطفُ من بابِ البيانِ والتفسيرِ.

(١) في (ج) و(ف): «التشبيه».

(٢) وهو ما يُتَنَقَّلُ به على الشراب.

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ \* ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الشَّرَاةِ فَاسْأَلِيكَ سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [٦٨-٦٩]

الإيحاء إلى النحل: إلهامها والقذف في قلوبها وتعليمها على وجه هو أعلم به، لا سبيل لأحد إلى الوقوف عليه، وإلا فنيقتهما في صنعيتها، ولطفها في تدبير أمرها، وإصابتهما فيما يصلحها، دلائل بيّنة شاهدة على أن الله أودعها علماً بذلك وفظنها، كما أولى أولى العقول عقولهم. وقرأ يحيى بن وثاب: (إلى النحل) بفتحيتين. وهو مذكر كالنحل، وتأنيثه على المعنى. ﴿أَنِ اتَّخِذِي﴾ هي ﴿أَنِ﴾ المفسرة؛ لأن الإيحاء فيه معنى القول. وقرئ: (بيوتاً) بكسر الباء؛ لأجل الياء. و﴿يعرشون﴾ بكسر الراء وضمها: يرفعون من سُقُوف البيوت. وقيل: ما يبنون للنحل في الجبال والشجر والبيوت من الأماكن التي تتعسّل فيها. والضمير في ﴿يعرشون﴾ للناس. فإن قلت: ما معنى

قوله: (وإلا فنيقتهما)، أي: حُسنُ صنعيها، وعن بعضهم: أي: إن لم يقل: بعلمها وإدراكها، لم يصح؛ لأن نيقتها دليل ظاهر على علمها، فأقام سبب الجواب مقام الجواب، أو يقال: (إن) شرطية، ولذلك دخلت الفاء في الجزاء، أي: وإن لم تصدقني على ما ذكرت فنيقتها ولطفها وإصابتهما دلائل بيّنة على أن الله تعالى أودعها علماً، أما نيقتها في صنعيتها فهي ما ترى في بنائها البيوت المسدسة من أضلاع متساوية لا يزيد بعضها على بعض، فإنها لو كانت مربعة بقيت فرج ضائعة عند دخولها فيها، ولو كانت مستديرة بقيت الفرّج بين البيوت ضائعة، وأما فظنتها كما أعطى أولى العلم، فهي ما ذكره الإمام: أن لها مقدماً كالرئيس يكون أعظم جثة منها، نافذ الحكم بينها، وأنها إذا نفرّت عن أوكارها، ذهبّت بأجمعها، ثم إذا أريد عودها ضربوا لها آلات الملاهي والموسيقا، وبواسطة تلك الألحان تردّ إلى أوكارها<sup>(١)</sup>.

(١) «مفاتيح الغيب» (٢٠: ٧٠).

﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿أَنْ أَخْذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾؟ وهلا قيل: في الجبال وفي الشجر؟ قلت: أريد معنى البغضية، وأن لا تبني بيوتها في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولا في كل مكان منها. ﴿مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ إحاطة بالثمرات التي تجرُسها النَّحْلُ وتعتاد أكلها، أي: انبي البيوت، ثم كُلِّي من كل ثمرة تشتهيها، فإذا أكلتها ﴿فَأَسْأَلُكَ سُبُلَ رَبِّكَ﴾ أي: الطَّرُق التي ألهمك وأفهمك في عمَلِ العسل. أو: فأسلكي ما أكلت في سُبُلِ رَبِّكَ، أي: في مسالكه التي يُحِيلُ فيها بقدرته النَّوَرَ المُرَّ عسلاً من أجوافك ومنافذ مأكلك. أو: إذا أكلت الثمار في المواضع البعيدة من

قوله: ﴿مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾: إحاطة بالثمرات، مبتدأ وخبر، أي: هذا اللفظ مُفيدٌ للإحاطة العرفية، كقوله تعالى: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣].

قوله: ﴿تَجْرُسُهَا النَّحْلُ﴾<sup>(١)</sup>، الجوهرية: الجرس: الصوت الحفي، ويقال: سمعت جرس الطير: إذا سمعت صوت مناقيرها على شيء تأكله.

قوله: ﴿مِنْ أَجْوَابِكِ وَمَنَاذِ مَأْكَلِكِ﴾، فيه إشارة إلى الخلاف في أن العسل هل يخرج من بطونها أو من منافذ مآكلها كالأفواه؟ قال القاضي: واحتج بالآية من زعم أن النحل تأكل الأزهار والأوراق العطرة فتستحيل في باطنها عسلاً، ثم تقيء أذخاراً للشتاء، ومن زعم أنها تلتقط بأفواهها أجزاء طليّة حلوة صغيرة متفرقة على الأوراق والأزهار وتضعها في بيوتها أذخاراً، فإذا اجتمع في بيوتها شيء كثير منها كان العسل، فسّر البطون بالأفواه<sup>(٢)</sup> وكذا عن الإمام، وقال: يُسمى كل تجويف داخل البدن بطناً، ألا تراهم يقولون: بطون الدماغ<sup>(٣)</sup>، والذي يدل على أنها تحاول بما تفعل الأذخار، أن صاحبها بعدما يشتار<sup>(٤)</sup> منه يترك لغذائها بقية في بيوتها.

(١) ومنه قول بعض أزواج النبي ﷺ رضوان الله عليهن لرسول الله ﷺ في شأن شربه من عكة عسل عند حفصة: «جرست نحل العرظ»، وهو شجر له صمغ كرهه الراححة. أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٢٤٣١٧)، والبخاري (٥٥٩٩)، ومسلم (١٤٧٤)، وغيرهم من حديث عائشة رضي الله عنها وعن أبيها.

(٢) «أنوار التنزيل» (٣: ٤٠٩).

(٣) «مفاتيح الغيب» (٢٠: ٧٢-٧٣).

(٤) في (ح) و(ف): «يشار».

بيوتك، فاسلُكي إلى بيوتك راجعةً سُبَل رَبِّكَ، لا تتوعَّرَ عليكِ ولا تضلِّينَ فيها، فقد بَلَغني أنها رَبِّنا أَجَدَبَ عليها ما حوَّلها فتسافرُ إلى البلدِ البعيدِ في طَلَبِ النُّجعة. أو أراد بقوله: ﴿ثُمَّ كُلِّي﴾: ثم اقصِدي أَكَلِ الثَّمَرَاتِ فاسلُكي في طلبِها في مَظَانِّها سُبَل رَبِّكَ ﴿ذُلُّلاً﴾ جمعُ ذُلُولٍ، وهي حالٌ من السُّبُل؛ لأنَّ الله ذلَّلها لها ووطَّأها وسهَّلها، كقوله: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾ [الملك: ١٥]، أو من الضَّميرِ في ﴿فَاسلُكي﴾، أي: وأنتِ ذُلُّلٌ مُنقادَةٌ لِمَا أُمِرْتِ به غيرُ مُمتنعة. ﴿شَرَابٌ﴾: يريدُ العَسَل؛ لأنه مما يُشْرَب

قوله: (أو أرادَ بقوله: ﴿ثُمَّ كُلِّي﴾ ثم اقصِدي)، عَطَفَ على قوله: «كُلِّي مِن كُلِّ ثَمرةٍ تَشْتَهينَهَا»، وهو على أسلوبِ قوله: ﴿فَإِذَا قرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ﴾ [النحل: ٩٨]، وعلى الأول: أي: على غيرِ هذا الأسلوب، الفاءُ جوابٌ شَرَطٍ محذوف. وعلى الثاني: سُلُوكُ السَّبِيلِ على الحَقِيقَةِ قَطْعًا، وعلى الأولِ تَحْتِمُلُ المِجَازِ أيضًا، وهو على وجهين، أحدهما: المرادُ: استعمالُ الصَّنعةِ الغَرِيبَةِ في العَمَلِ، ومنهُ سُلُوكُ العارِفِ، ومن ثَمَّ قال: الطَّرِيقُ التي أَلْهَمَكِ، وثانيهما: المرادُ استعمالُ المأكولِ في أجوافِها ومَسالِكِها التي تُحْمِلُ فيها النُّورَ المُرَّ عَسَلًا، ومنه: سَلَكْتُ الخِيطَ في الإبرة. وأما الحَقِيقَةُ فهو قوله: «فاسلُكي إلى بيوتك راجعةً ﴿سُبَل رَبِّكَ﴾»، والفرقُ بينَ هذا الوجهِ وبينَ قوله: ثم اقصِدي، أنَّ السُّلُوكَ على هذا مِن مَراعيها إلى البيوتِ راجعةً، وعلى ذلك: مِن بيوتها إلى مَراعيها قاصِدةً.

الانتصاف: وكَلِ الأَكَلِ إلى شَهوتِها فلم يَحْجُرْ عليها، كما حَجَرَ في البيوت؛ لأنَّ مصلِحَةَ الأَكَلِ حاملةٌ على الإِطلاقِ. وأما البيوت، فلا يَحْصُلُ مصلِحَتُها في كُلِّ موضعٍ، ولذلك دَخَلَتْ (ثم) لتفاوتِ الأمرِ في الحَجَرِ في البيوت، والإِطلاقِ في الأَكَلِ، كما تقول: راعِ الحلالَ فيما تَأْكُلُه، ثم كُلِّ مما شئتَ<sup>(١)</sup>.

وقلتُ: إنَّما عَدَلُ مِن خِطابِها إلى الغِيبَةِ في قوله: ﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِها﴾ للتخلُّصِ إلى امْتِنانِ الناسِ؛ لأنَّ المَقْصودَ مِن خَلْقِ النَحْلِ وإلهامِهِ: انتفاعُهم به.

قوله: (وأنتِ ذُلُّلٌ)، جمعُ الخَبَرِ، والمبتدأُ مفردٌ؛ لأنَّ الخِطابَ في قوله تعالى: ﴿فَاسلُكي﴾

(١) الانتصاف بحاشية الكشاف (٢: ٦١٨).

﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ منه أبيضٌ وأسودٌ وأصفرٌ وأحمر، ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾؛ لأنه من جُملة الأَشْفِيَةِ والأدوية المشهورة النافعة، وَقَلَّ مَعْجُونٌ مِنَ الْمَعْجِينِ لَمْ يَذْكَرِ الْأَطْبَاءُ فِيهِ الْعَسَلُ، وليس الغَرَضُ أنه شِفَاءٌ لِكُلِّ مَرِيضٍ، كما أَنَّ كَلَّ دَوَاءٍ كَذَلِكَ. وتنكيره: إمَّا لتعظيم الشِّفاء الذي فيه، أو لأنَّ فيه بعضَ الشفاء، وكلاهما مُحْتَمَل. وعن النبي ﷺ أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَيْهِ فَقَالَ: إِنَّ أَخِي يَشْتَكِي بَطْنَهُ، فقال: «اذهب واسقيه العَسَلَ»، فذهب ثم رجع، فقال: قد سَقَيْتُهُ فما نفع، فقال: «اذهب واسقيه عَسَلًا، فقد صدق الله .....

سُئِلَ رَبِّكَ ﴿لِجِنْسِ النَّحْلِ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾، وقوله: «وتأنيته على المعنى»، الجوهري: النَّحْلُ والنَّحْلَةُ: الدَّبْرُ، يَقَعُ عَلَى الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، ونظيره قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَتَبَهُ بِبَيْمِينِهِ ﴿[الانشقاق: ٦-٧]، ويجوز أن يكون الخطابُ لِكُلِّ واحدةٍ منها فجمع الخبرَ للمبالغة في الدلة كجمع الوصفِ في قوله تعالى: ﴿شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٩]، وقوله<sup>(١)</sup>: «ومعى جِيعًا»<sup>(٢)</sup> والأوَّل هو الوجه<sup>(٣)</sup>.

قوله: (أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَيْهِ فَقَالَ: إِنَّ أَخِي) الحديث، رواه البخاريُّ ومسلمٌ والترمذيُّ، عن أبي سعيدٍ، مع تغييرٍ فيه<sup>(٤)</sup>، وليس في آخره: «كأنها أنشط من عقال».

النهاية: أنشط، أي: حُلٌّ، يقال: نَشَطَتُ الْعُقْدَةَ: إِذَا عَقَدْتَهَا، وَأَنْشَطُهَا وَأَنْشَطْتُهَا: إِذَا حَلَلْتَهَا، وكثيرًا ما يجيء: كأنها نَشَطَ مِنْ عِقَالٍ، وليس بصحيح لما ذكرنا.

(١) في (ط): «في قوله: ﴿شِهَابًا رَّصَدًا﴾ في وجه»، ولم يذكر: «وقوله».

(٢) تمام رواية البيت:

(٣) في (ح) و(ف): «والأول أوجه».

كأن فتودرحلي حين ضمت حوالب غزرا ومعى جيعا

أنشدّه الزمخشريُّ، انظر: (١٦: ٥٣).

(٤) أخرجه البخاريُّ (٥٦٨٤)، ومسلم (٢٢١٧)، والترمذيُّ (٢٠٨٢)، وانظر تمامَ تحريجه في «مسند

أحمد» (١١١٤٦).

وكذب بطن أخيك»، فسقاه فسقاه الله فبرأ، كأنما أنشط من عقال. وعن عبد الله بن مسعود: العسل شفاء من كل داء، والقرآن شفاء لهما في الصدور، فعليكم بالشفاءين: القرآن والعسل. ومن بدع تأويلات الرافضة: أن المراد بالنحل علي وقومه. وعن بعضهم: أنه قال عند المهدي: إنما النحل بنو هاشم، يخرج من بطونهم العلم، فقال له رجل: جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم. فضحك المهدي وحدث به المنصور، فاتخذوه أضحوكة من أضحاحيهم.

[ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَوَفِّقُكُمْ وَمِنكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمَرِ لَكِنِّي لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ

عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ ]

﴿إِلَى أَرْذَلِ الْعُمَرِ﴾: إلى أخسّه وأحقره، وهو خمس وسبعون سنة، عن علي رضي الله عنه، وتسعون سنة، عن قتادة؛ لأنه لا عمر أسوأ حالاً من عمر الهرم، ﴿لَكِنِّي لَا يَعْلَمُ بَعْدَ

قوله: (وكذب بطن أخيك)، النهاية: الكذب هاهنا مجاز، حيث هو ضد الصدق، والكذب يختص بالأقوال، فجعل بطن أخيه حيث لم يتجع فيه العسل كاذباً؛ لأن الله تعالى قال: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ يريد أنه من المقابلة والمساكلة، فلما قال: صدق الله، حسن أن يقول: كذب بطن أخيك<sup>(١)</sup>.

قوله: (وعن عبد الله بن مسعود: العسل شفاء)، الحديث، رواه ابن ماجه عن عبد الله مرفوعاً<sup>(٢)</sup>، ورواه رزين أيضاً.

قوله: (أنه قال عند المهدي)، هو أبو عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور، ثالث خلفاء بني العباس، كان أبوه أبو جعفر المنصور خليفة، وعمه أبو العباس السفاح خليفة، وأخوه موسى الهادي، وابنه هارون الرشيد وإخوته وأولاده كلهم خلفاء<sup>(٣)</sup>.

(١) من قوله: «النهاية: الكذب هاهنا مجاز» إلى هنا، سقط من (ط).

(٢) «سنن ابن ماجه» (٣٤٥٢)، وصححه الحاكم في «المستدرک» (٤: ٣٠٠)، ووافقه الذهبي.

(٣) انظر: «تاريخ الخلفاء» للسيوطي، ص ٣١٧.

عَلِيمٌ شَيْئًا ﴿: لِيَصِيرَ إِلَى حَالَةٍ شَبِيهَةٍ بِحَالِ الطُّفُولَةِ فِي النَّسْيَانِ، وَأَنْ يَعْلَمَ شَيْئًا ثُمَّ يُسْرِعَ فِي نَسْيَانِهِ فَلَا يَعْلَمُهُ إِنْ سُئِلَ عَنْهُ. وَقِيلَ: لَثَلَا يَعْقِلَ مِنْ بَعْدِ عَقْلِهِ الْأَوَّلِ شَيْئًا. وَقِيلَ: لَثَلَا يَعْلَمَ زِيَادَةَ عِلْمٍ عَلَى عِلْمِهِ.

[﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَأْدِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [٧١]

أي: جَعَلَكُمْ مُتَفَاوِتِينَ فِي الرِّزْقِ، فَرَزَّ قَوْمًا أَفْضَلَ مِمَّا رَزَقَ تَمَالِيكَكُمْ وَهُمْ بَشَرٌ مِثْلَكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ، فَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَرُدُّوا فَضْلَ مَا رُزِقْتُمُوهُ عَلَيْهِمْ، حَتَّى تَتَسَاوَوْا فِي الْمَلْبَسِ وَالْمَطْعَمِ، كَمَا يُحْكِي عَنْ أَبِي دَرَّ: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّمَا هُمْ إِخْوَانُكُمْ

قوله: (لِيَصِيرَ إِلَى حَالَةٍ شَبِيهَةٍ بِحَالِ الطُّفُولَةِ)، يَعْنِي: قَوْلُهُ: ﴿لَيْكُنَّ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمِهِ شَيْئًا﴾ كِنَايَةٌ عَنِ النَّسْيَانِ؛ لِأَنَّ النَّاسِيَّ يَعْلَمُ الشَّيْءَ ثُمَّ يَنْسَاهُ، فَلَا يَعْلَمُهُ بَعْدَ مَا عِلْمُهُ، وَهَذِهِ صِفَةُ الْأَطْفَالِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾، وَالْعِلْمُ<sup>(١)</sup> بِمَعْنَى الْإِدْرَاكِ وَالتَّعَقُّلِ، الْمَعْنَى: لَا يَتَرَقَّى فِي إِدْرَاكِ عَقْلِهِ الْأَوَّلِ؛ لِأَنَّ الشَّابَّ فِي التَّرْقِي، وَالشَّيْخُ فِي التَّوَقُّفِ وَالتَّقْصَانِ، وَعَلَى هَذَا إِذَا أُجْرِيَ الْعِلْمُ عَلَى مَعْنَاهُ، كَمَا فِي الْوَجْهِ الْأَخِيرِ، وَإِنَّمَا خَصَّ الزِّيَادَةَ بِهِ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ يَزْدَادُ بِالتَّرْدَادِ. قَالَ الشَّيْخُ الشَّاطِبِيُّ<sup>(٢)</sup>:

وَحَيْرٌ جَلِيسٌ لَا يُمَلُّ حَدِيثُهُ وَتَرْدَادُهُ يَزْدَادُ فِيهِ تَجْمُلًا<sup>(٣)</sup>

قوله: (كَمَا يُحْكِي عَنْ أَبِي دَرَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، الْحَدِيثُ مِنْ رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ، قَالَ

(١) فِي (ط): «أَوْ الْعِلْمُ».

(٢) الْإِمَامُ الْجَلِيلُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَاسِمُ بْنُ فَيْرُوهُ بْنُ خَلْفِ الرَّعَيْنِيِّ الشَّاطِبِيُّ (ت ٥٩٠هـ)، إِمَامُ الْقِرَاءَةِ، وَصَاحِبُ الْمَنْظُومَةِ الْمَشْهُورَةِ فِي فَنِّ الْقِرَاءَاتِ الْمَوْسُومَةِ بِ«حَرْزِ الْأَمَانِيِّ»، كَانَ مِنْ أَوْعِيَةِ الْعِلْمِ بِاللُّغَةِ وَالتَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ، لَهُ تَرْجُمَةٌ فِي «وَفِيَاتِ الْأَعْيَانِ» (٤: ٧١)، وَ«غَايَةِ النِّهَايَةِ فِي طَبَقَاتِ الْقِرَاءَةِ» (٢: ٢٠).

(٣) مِنْ مَنْظُومَتِهِ «حَرْزِ الْأَمَانِيِّ» وَقَبْلَهُ:

وَإِنْ كَتَابَ اللَّهُ أَوْثَقَ شَافِعٍ وَأَغْنَى غَنَاءٍ وَاهَبًا مُتَفَضِّلًا



فاكسُوهم مِمَّا تَلْبَسُونَ، وَأَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَطْعَمُونَ»، فَمَا رُؤْيِ عَبْدِهِ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا وَرِدَاؤُهُ رِدَاؤُهُ وَإِزَارُهُ إِزَارُهُ مِنْ غَيْرِ تَفَاوُتٍ. ﴿أَفِينِعْمَةَ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ فَجَعَلَ ذَلِكَ مِنْ جُمْلَةِ جُحُودِ النُّعْمَةِ. وَقِيلَ: هُوَ مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ لِلَّذِينَ جَعَلُوا لَهُ شُرَكَاءَ، فَقَالَ لَهُمْ: أَنْتُمْ لَا تُسَوُّونَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عِبِيدِكُمْ فِيمَا أَنْعَمْتُ بِهِ عَلَيْكُمْ، وَلَا تَجْعَلُونَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءَ، وَلَا تَرْضَوْنَ ذَلِكَ لِأَنْفُسِكُمْ، فَكَيْفَ رَضَيْتُمْ أَنْ تَجْعَلُوا عِبِيدِي لِي شُرَكَاءَ؟! وَقِيلَ: الْمَعْنَى: أَنَّ الْمَوَالِيَّ وَالْمَمَالِيكَ أَنَا رَازِقُهُمْ جَمِيعًا، فَهُمْ فِي رِزْقِي سَوَاءٌ، فَلَا تَحْسَبَنَّ الْمَوَالِيَّ أَنَّهُمْ يَرُدُّونَ عَلَى مَمَالِيكِهِمْ مِنْ عِنْدِهِمْ شَيْئًا مِنَ الرِّزْقِ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ رِزْقِي أُجْرِيهِ إِلَيْهِمْ

الْمَعْرُورُ بْنُ سُوَيْدٍ: رَأَيْتُ أَبَا ذَرٍّ وَعَلِيَهُ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلَامِهِ حُلَّةٌ مِثْلُهَا، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَذَكَرَ أَنَّهُ سَابَّ رَجُلًا فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»، قُلْتُ: عَلَى سَاعَتِي هَذِهِ مِنْ كِبَرِ السَّنِّ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، هُمْ إِخْوَانُكُمْ وَخَوْلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ وَلْيَلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ»<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ: (فَجَعَلَ ذَلِكَ)، أَي: عَدَمَ الْمَسَاوَاةِ أَوْ الرَّدِّ بِفَضْلِ مَا رَزَقُوهُمْ عَلَيْهِ، الْمَعْنَى: اللَّهُ الَّذِي فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ، فَشَكَرْتُ ذَلِكَ أَنْ تُوَأَسُوا إِخْوَانَكُمْ فِيهِ، فَمَا بِالْكُمْ لَا تُوَأَسُونَ، أَوْ لَا تَرُدُّونَ رِزْقَكُمْ عَلَيْهِمْ فَتَسْتَوُوا فِي الرِّزْقِ؟ فَتَسَّرَ الْآيَةَ بِوَجْهِهِ، أَحَدُهَا: بَيَّنَّ فِيهِ حُكْمَ حُسْنِ الْمَلِكَةِ كَمَا سَبَقَ. وَثَانِيهَا: أَنْ يَكُونَ تَمَثِيلًا، وَالْمَثَلُ بِهِ مَا تُعَوِّفُ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ أَحْوَالِ السَّادَاتِ مَعَ الْمَمَالِيكَ، فَذَكَرَهُ لِتَوْبِيخِ الْمُشْرِكِينَ. وَثَالِثُهَا: بَيَّنَّ أَنَّ جَمِيعَ النُّعْمِ الَّتِي عَدَّهَا مِنْ أَوَّلِ السُّورَةِ، وَاصِلَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى الْعَبِيدِ، سَوَاءً كَانُوا أَحْرَارًا أَوْ مَمَالِيكَ، لِثَلَا يَمُنَّ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ.

فَإِنْ قُلْتَ: لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَمَثِيلًا لِحُلُوقِ الْكَلَامِ عَنِ الْقَرِينَةِ الدَّاعِيَةِ إِلَى التَّمَثِيلِ؟

قُلْتُ: يُمَكِّنُ أَنْ تُجْعَلَ الْقَرِينَةُ كَوْنِ الْآيَةِ تَخْلُصًا إِلَى نَوْعٍ آخَرَ مِنْ بَيَانِ قَبَائِحِ الْكُفَّارِ وَكُفْرَانِهِمْ نَعَمَ اللَّهُ الْمَتَوَاتِرَةَ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾، وَالتَّنْبِيهُ عَلَى الْقَرِينَةِ قَوْلُهُ: ﴿أَفِينِعْمَةَ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٠) وَمُسْلِمٌ (١٦٦١).

على أيديهم. وقرئ: ﴿بِحَدُوثٍ﴾ بالياء والياء.

[﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْزَلِكُمْ بَيْنَ وَحَفْدَةٍ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَلْيَا لِبَطْنٍ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [٧٢]

﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾: من جنسكم. وقيل: هو خلق حواء من ضلع آدم. والحفدة: جمع حافد؛ وهو الذي يحفد، أي: يسرع في الطاعة والخدمة. ومنه قول القانت: وإليك نسعى ونحفد. وقال:

حَفَدَ الْوَلَانِدُ بَيْنَهُنَّ وَأَسْلَمَتْ      بِأَكْفُهُنَّ أَرِزْمَةَ الْأَجْمَالِ

واختلف فيهم؛ فقيل: هم الأختان على البنات، وقيل: أولاد الأولاد، وقيل: أولاد المرأة من الزوج الأول، وقيل: المعنى: وجعل لكم حفدة، أي: خدما يحفدون

قوله: (وَقُرِئَ: ﴿بِحَدُوثٍ﴾ بالياء والتاء)، القوقانية: أبو بكر، والباقون: بالياء<sup>(١)</sup>.

قوله: (وهو الذي يحفد، أي: يسرع في الطاعة)، الراغب: الحافد: المتحرك المتبرع بالخدمة، أقارب كانوا أو أجناب. قال المفسرون: هم الأسباط ونحوهم، وذلك أن خدمتهم أصدق، وفلان محفود، أي: مخدوم، وسيف محفد، أي: سريع القطع. قال الأضمعي: أصل الحفد: مقاربة<sup>(٢)</sup> الخطو<sup>(٣)</sup>.

قوله: (حَفَدَ الْوَلَانِدُ) البيت<sup>(٤)</sup>، الولائد: الإماء، يقول: إن الإماء يسرعن بينهن، وأرزمة الجمال أسلمت بأكفهن، يريد أنهن متنعمت مخدومات ذوات الإماء والأجمال.

قوله: (وَقِيلَ: المعنى: وجعل لكم حفدة، أي: خدما)، عطف على قوله: «وهو الذي

(١) والحجة فيه أن الله تعالى وبخهم على جحودهم، ويتقوى هذا الاختيار بقوله تعالى بعدها: ﴿وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل: ٧٢]. انظر: «حجة القراءات»، ص ٣٩٢.

(٢) وفي «المفردات»: مداركة.

(٣) «مفردات القرآن»، ص ٢٤٣-٢٤٤.

(٤) ذكره أبو عبيد في غريب الحديث (٣: ٣٧٤)، وعزاه للأخطل، وليس في «ديوانه». وذكره الأزهرى

في «تهذيب اللغة» (٤: ٢٤٧) من غير عزو لأحد.

في مَصَالِحِكُمْ وَيُعِينُونَكُمْ. ويجوزُ أن يُرادَ بِالْحَفْدَةِ: البُنُونُ أَنْفُسُهُمْ؛ كقوله: ﴿سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل: ٦٧]، كأنه قيل: وجعل لكم منهنَّ أولادًا هم بُنُونٌ وهم حافِدُونَ، أي: جامِعُونَ بين الأمرين. ﴿مَنْ الظَّيْبَتِ﴾: يريدُ بعضُها؛ لأنَّ كَلَّ الطَّيِّبَاتِ في الجَنَّةِ، وما طَيِّبَاتُ الدُّنْيَا إِلَّا أَنْمُودَجٌ مِنْهَا. ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ وهو ما يَعْتَقِدُونَ من منفعةِ الأصنامِ وَبَرَكَتِهَا وَشَفَاعَتِهَا، وما هو إِلَّا وَهْمٌ باطلٌ لم يتوصَّلوا إليه بِدليلٍ ولا أَمارةٍ، فليس لهم إيمانٌ إِلَّا به، كأنه شيءٌ معلومٌ مُسْتَيَقِّنٌ. وَنِعْمَةُ اللَّهِ الْمَشَاهِدَةُ الْمُعَايِنَةُ الَّتِي لَا شُبُهَةَ فِيهَا لِذِي عَقْلِ وَتَمييزِ هُمْ كَافِرُونَ بِهَا مُنْكَرُونَ لَهَا كَمَا يُنْكَرُ الْمُحَالُ الَّذِي لَا يَتَصَوَّرُهُ الْعُقُولُ. وقيل: الباطل: ما يسوَّل لهم الشيطانُ مِنْ تحريمِ البَحِيرَةِ والسائِبَةِ

يَحْفِدُ، أي: يُسِرُّ<sup>(١)</sup> في الطاعة»، فعلى الأول: الحفدةُ عامٌّ فيمن يُسِرُّ في الطاعةِ وَالخِدْمَةِ مِنَ القرائبِ، وعلى هذا: في معنى الخدمِ نَفْسِهِ، وعلى الوَجْهِ الأَخِيرِ يَكُونُ العطفُ مِنْ بابِ قولِهِ تعالى: ﴿إِذْ يَكْفُلُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [الأنفال: ٤٩].

قوله: (إِلَّا أَنْمُودَجٌ مِنْهَا)، المُغْرِبُ: التَّمُودَجُ - بِالْفَتْحِ - وَالْأَنْمُودَجُ - بِالضَّمِّ - تَعْرِيبُ نُمُودَه<sup>(٢)</sup>.

قوله: ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ وَهُوَ ما يَعْتَقِدُونَ، إلى آخِرِهِ، فِيهِ إنْكَارٌ وَتَوْبِيخٌ عَلَى ما آمَنُوا وَعَلَى ما كَفَرُوا، وَفِي التَّرْكِيبِ الأَوَّلِ تَقْدِيمٌ، فِيهِدُ التَّخْصِيصُ، وَتَكَرُّرٌ فَيُؤْذِنُ بِالتَّأْكِيدِ وَالتَّحْقِيقِ؛ لِأَنَّ الفاءَ تَسْتَدْعِي فَعَلًا يُعْطَفُ المذْكَورُ عَلَيْهِ، أَي: كَفَرُوا بِالْحَقِّ فَأَمَنُوا بِالْبَاطِلِ، وَإِلَى التَّخْصِيصِ الإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: «فَلَيْسَ لَهُمْ إِيمَانٌ إِلَّا بِهِ»، وَإِلَى التَّحْقِيقِ بِقَوْلِهِ: «كَأَنَّهُ شَيْءٌ مَعْلُومٌ مُسْتَيَقِّنٌ». وَالتَّرْكِيبُ الثَّانِي أَيْضًا كَذَلِكَ: التَّأْكِيدُ مِنْ بِنَاءِ يَكْفُرُونَ عَلَى هُمْ، وَإِلَى التَّخْصِيصِ الإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: «وَنِعْمَةُ اللَّهِ الْمَشَاهِدَةُ الْمُعَايِنَةُ الَّتِي لَا شُبُهَةَ فِيهَا لِذِي عَقْلِ وَتَمييزِ هُمْ كَافِرُونَ بِهَا»؛ لِأَنَّهُمْ إِذَا كَفَرُوا نِعْمَةُ اللَّهِ مَعَ وَجُودِ ما يوجبُ الشُّكْرَ مِنْ جَلالِها وَظُهُورِها، وَأَنَّها كالمَحْسُوسِ المَشَاهِدِ، فَكَأَنَّهُمْ أَنْكَرُوا أَنَّها نِعْمَةٌ، أَوْ أَنَّها مِنْ اللَّهِ، وَإِلَيْهِ الإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ:

(١) من قوله: «متنعاتٌ مخدمات ذوات الإماء والأجمال» إلى هنا سقط من (ح).

(٢) «المغرب في ترتيب المعرب» (٢: ٣٢٨).

وغيرهما. ونعمة الله: ما أحل لهم.

[وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾]

الرِّزْقُ يكون بمعنى المَصْدَر، وبمعنى ما يُرْزَق، فإن أُرِدَتِ المَصْدَرُ نَصَبَتْ به ﴿شَيْئًا﴾، كقوله: ﴿أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ \* يَتِيمًا﴾ [البلد: ١٤]، على: لا يَمْلِكُ أَنْ يَرِزُقَ شَيْئًا. وإن أُرِدَتِ المرزوق؛ كان ﴿شَيْئًا﴾ بَدَلًا منه بمعنى قليلاً. ويجوز أن يكون تَأْكِيدًا لـ ﴿لَا يَمْلِكُ﴾، أي: لا يَمْلِكُ شَيْئًا مِنَ الْمَلِكِ. و﴿مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ صِلَةٌ لِلرِّزْقِ إِنْ كَانَ مَصْدَرًا، بمعنى: لا يَرِزُقُ مِنَ السَّمَاوَاتِ مَطَرًا، وَلَا مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا. أو صِفَةً إِنْ كَانَ اسْمًا لِما يُرْزَق. والضميرُ في ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ لـ ﴿مَا﴾؛ لأنه في معنى الآلهة، بعدما قيل: ﴿لَا يَمْلِكُ﴾ على اللَّفْظِ. ويجوز أن يكون للكُفَّار، يعني:

«مُنْكَرُونَ لها كما يُنْكَرُ المُحَال» وإلى التأكيد الإشارة بقوله: «هم يكفرون بها ومُنْكَرُونَ لها»، وقوله: «نعمة الله»: مبتدأ، وقوله: «هم كافرون بها»: خبره، وفيه ضربٌ من التأكيد.

قوله: (ونعمة الله ما أحل لهم)، قيل: «ما»: مَصْدَرِيَّة، أي: إِحْلَالُ اللَّهِ، أو مَوْصُولَةٌ، أي: أَحَلَّهُ اللَّهُ، والأولى الثاني؛ لأنه مَقَابِلٌ لقوله: «الباطل ما يُسْوَلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ»، وهي مَوْصُولَةٌ؛ لأنَّ «مِنْ» في قوله: «من تحريم البحيرة» بيان لها.

قوله: (تأكيدًا لـ ﴿لَا يَمْلِكُ﴾)، أي: ﴿شَيْئًا﴾ مفعولٌ مُطْلَقٌ، ولذلك بيَّنه بقوله: «من الملك» بكسر الميم، كما تقول: صَرَبْتُ نَوْعًا مِنَ الصَّرْبِ.

قوله: (بعدما قيل: ﴿لَا يَمْلِكُ﴾) على اللفظ إشارة إلى خلافِ ذَكَرْنَاهُ عن ابنِ جَنِّي (١). قال صاحبُ «الانتصاف» فيما سبق: إنَّ العَوْدَ إلى المعنى بعد الحَمْلِ على اللَّفْظِ أَنْكَرَهُ بعضُهُم، لِما يَلْزَمُ مِنَ الإِجْمَالِ بعدَ البَيانِ، وهو خِلافُ البِلاغة. وهو مردودٌ لمجيبه في أفصح الكلام (٢).

(١) في «المحتسب» (١: ١٧٢)، وعبارته: «لو انصرف عن اللفظ إلى المعنى لم يحسن العود بعد إلى اللفظ».

(٢) انظر كلام ابن المثير في «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٢: ٧١) في تفسير قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَمَحْرَمٌ عَلَيْنَا أُنْزِلْنَا﴾ [الأنعام: ١٣٩].

ولا يستطيع هؤلاء - مع أنهم أحياء متصرفون أولو الأباب - من ذلك شيئاً، فكيف بالجماد الذي لا حس به! فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ بعد قوله: ﴿لَا يَمْلِكُ﴾؟ وهل هما إلا شيء واحد؟ قلت: ليس في ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ تقدير راجع، وإنما المعنى: لا يملكون أن يرزقوا، والاستطاعة منفية عنهم أصلاً؛ لأنهم موات، إلا أن يقدر الراجع ويراد بالجمع بين نفي الملك والاستطاعة التوكيد، أو يراد: أنهم لا يملكون الرزق ولا يمكنهم أن يملكوه، ولا يتأتى ذلك منهم ولا يستقيم.

[﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [٧٤]

﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾: تمثيل للإشراك بالله والتشبيه به؛ لأن من يضرب الأمثال مُشَبَّه حالاً بحال وقصة بقصة، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ كُنْه ما تفعلون وعظمه، وهو معاقبتكم عليه بما يُوازيه في العظم؛ لأن العقاب على مقدار الإثم، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ كُنْهه وكنهه عقابه، فذاك هو الذي جرّكم إليه وجرّاكم عليه. فهو تعليل للنهي عن

قوله: (ما معنى قوله: ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾؟)، وجه السؤال أن مفعول ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ محذوف، وهو الضمير الراجع إلى الرزق، بدليل سياق الكلام عليه، فيلزم عطف الشيء على نفسه. وأجاب: «ليس في ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي: لا نُسَلِّمُ اشتماله على الراجع، بل هو مطلق من باب: فلان يُعطي ويمنع، فيكون «فلا يستطيعون» تذيلاً للكلام السابق، ثم قال: «إلا أن يُقدر»، أي: ولئن سلّم اشتماله على الراجع فيكون من باب التأكيد، نحو قوله تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦] أو من باب الترقى، فإن قوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا﴾ دل على نفي ملك الرزق عنهم مطلقاً، وقوله: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ على نفي استطاعة أن يكونوا مالكيين، وإليه الإشارة بقوله: «لا يملكون الرزق ولا يمكنهم أن يملكوه»، ولا يتأتى ذلك فيهم. ويجوز أن يكون تميمًا.

قوله: (وجرّاكم عليه)، الجوهري: الجرأة: الشجاعة، وتقول: جرّأتك على فلان حتى اجترأت عليه.

الشُّرك. ويجوزُ أن يراد: فلا تُضربوا الله الأمثال، إنَّ الله يَعْلَمُ كيف يَضْرِبُ الأمثال، وأنتم لا تعلمون.

[﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٧٥]

قوله: (ويجوزُ أن يراد: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا اللَّهَ﴾)، عطفٌ على قوله: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا اللَّهَ الْأَمْثَالَ﴾: تمثيلٌ، وعلى التمثيلِ لا قولٌ ثَمَّة، ولا مثلٌ، ولا ضربٌ، لأنَّ الفاءَ في: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا﴾ رتَبَ التَّهْيِ على قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ الآية، كأنَّ حالهم في مُزاولةِ عبادةِ الأصنامِ المُستلزمِ لتشبيهِ حالها بحالِ المعبودِ الحقِّ في استحقاقِ العبادة، حالٌ مَنْ يُحاولُ انتزاعَ أمورٍ متعدِّدةٍ غيرِ حقيقيةٍ بينَ المشبَّه والمُشبَّه به ليُلحِقَه به ويُقيمه مقامَ تشبيهه، وإليه الإشارةُ بقوله: «لأنَّ مَنْ يَضْرِبُ الأمثالَ مشبَّهًا حالًا بحال»، وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: تعليلٌ للنَّهي، كأنه قيل: لا تُشركوا بالله شيئًا وأنتم قومٌ جهلة<sup>(١)</sup>، ولذلك صدرَ منكم هذه العفلة. وإليه الإشارةُ بقوله: «فذاك هو الذي جرَّكم إليه». وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾: اعتراضٌ واردةٌ على الوعيدِ والتهديدِ، وهو المرادُ من قوله: «إنَّ الله يَعْلَمُ كُنْه ما تعملون، وهو مُعاقِبكم عليه».

وعلى الثاني: النَّهيُّ واردةٌ على مثلِ ضربِوه، وتشبيهِ انتحلوه، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ يرمته: تعليلٌ، أي: ضربُ الأمثالِ من العلومِ الدَّقيقةِ يستدعي لُطفَ إدراكِ وخبرة لا سببًا في ذاتِ الله عزَّ وجلَّ، فلا يقدرُ على الشروعِ فيه إلا الله والرَّاسخون في العلم. ومن ثمَّ عقبه بقوله: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا﴾، وأشار المصنِّفُ إليه بقوله: «ثمَّ علَّمهم كيف تُضرب». وأما بيانُ اتِّصاله على الوجهِ الأوَّل، فإنه تعالى لما نهاهم عن ضَرْبِ المثلِ الفعليِّ، وهو الإِشْرَاقُ بالله المُستلزمُ له، عقبه بما يكشفُ لذي البصيرةِ عن حالهم في تلكِ الفعلة، وحالٍ مَنْ يُخالِفهم فيها من قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا﴾ الآية.

(١) من قوله: «الحقُّ في استحقاقِ العبادة، حالٌ من يُحاولُ» إلى هنا سقط من (ف).

ثم علّمهم كيف يضرب، فقال: مثلكم في إشراككم بالله الأوثان: مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف، وبين حرّ مالك قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه ويُنفق منه كيف شاء. فإن قلت: لِمَ قال: ﴿مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ و كلُّ عبد مملوك، وغير قادر على التصرف؟ قلت: أمّا ذكُرُ المملوك؛ فليُميِّز من الحرّ؛ لأنَّ اسمَ العبد يقعُ عليهما جميعًا؛ لأنهما من عبادِ الله. وأمّا ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾؛ فليجعل غير مكاتب ولا مأذون له؛ لأنهما يقدران على التصرف. واختلفوا في العبد: هل يصحُّ له ملك؟ والمذهبُ الظاهر: أنه لا يصحُّ له.....

قوله: (واختلفوا في العبد: هل يصحُّ له ملك؟ والمذهبُ الظاهرُ أنه لا يصحُّ له)<sup>(١)</sup>، الانتصاف: مالكٌ رحمه الله يرى أنه يملك، والآيةُ تُعضِّده، أي: مملوكًا ليس بمن ملكه سيِّده فملك، بل هو على أصل الملكة، عاجز، فلو لم يتصور له ملك، لكان قوله: ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ تكررًا، وقوله: «احترازًا من المكاتب» بعيدٌ من فصاحة القرآن، إذ لو لم يملك من العبيد إلا مكاتبٌ لكانت إرادته باللفظِ إيجازًا مع إخلالٍ لا يليق بالبلاغة. وأنكرَ إمام الحرمين<sup>(٢)</sup> حَمَلَ قوله ﷺ: «أبيا امرأةٌ نكحتُ بغيرِ إذنٍ وليِّها»<sup>(٣)</sup> على المكاتب، لبعْدِ القصدِ إليها على سُذُوذِها. وأمّا المأذونُ فينبني على القولِ بأنَّ المرادَ بعدَمِ القدرة<sup>(٤)</sup> عدمُ المكنةِ من التصرفِ أو الملك، وبعْدِ الأوَّلِ عن مُطابِقةِ قوله: ﴿وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مَنَّا رِزْقًا حَسَنًا﴾. ولقائلٍ أن يقولَ: إنَّ قوله: ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ صفةٌ لازمةٌ، كإيضاحِ لفائدةِ ضَرْبِ المثل، أي: إنَّها ضَرْبُ المثلِ به؛ لأنَّ حقيقتهَ اللازمةَ له المعروفةَ به أنه لا يقدرُ على شيء، ومنه: ﴿وَمَنْ

(١) وهو الذي جزم به الملا علي القاري من الحنفية في «فتح باب العناية» (٢: ٦٧).

(٢) في «الانتصاف»: أبو المعالي، وهي كنيةُ إمامِ الحرمين، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، الإمام العلم المشهور.

(٣) أخرجه أبو داود (٢٠٨٣) والترمذي (١١٠٢) وابن ماجه (١٨٧٩) وغيرهم من حديث عائشة رضي الله عنها، وصححه ابن حبان (٤٠٧٤)، وفيه تمامٌ تخريجه.

(٤) في (ط): «بأن المراد بالقدرة»، وهو خطأ.

يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهَهُمْ آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُمْ بِهِ ﴿ [المؤمنون: ١١٧]، وكلُّ مدعوٍّ مع الله لا بُرْهَانَ له به، إنَّما المرادُ به أنه من لوازمِ دُعائه مع الله إلَهاً. ولنا أن نقولَ في دَفْعِهِ: الأصلُ في الصِّفَةِ والحالِ التخصيصُ والتقييدُ، وما وردَ بخلافِ ذلك فهو خلافُ الأصلِ<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام: احتجَّ الفقهاءُ بهذه الآية على أن العبدَ لا يُملِكُ شيئاً، فإن قالوا: ظاهرُ الآية يدلُّ على أن عبداً من العبيد لا يَقْدِرُ على شيءٍ، فلمَ قلْتُمْ: إنَّ كلَّ عبدٍ كذلك؟ فنقولُ: الذي يدلُّ عليه وجهان، الأول: أنه ثبتَ في أصولِ الفقه أن الحُكْمَ المذكورَ عَقِبَ الوَصْفِ المناسبِ يدلُّ على كونِ ذلك الوَصْفِ عِلَّةً لذلك الحُكْمِ، وكونُهُ عبداً ووصفٌ مُشعرٌ بالذُّلِّ والمَقهورِيةِ، وقوله: ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ حُكْمٌ مذكورٌ عَقِبَهُ، فهذا يقتضي أن العِلَّةَ لعدَمِ القدرةِ على الشيءِ، هو كونُهُ عبداً، وبهذا الطريقِ ثبتَ العمومُ. والثاني: أنه تعالى قال بعده: ﴿وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِتَّارًا رِزْقًا حَسَنًا﴾ فمَيَّزَ هذا القِسْمَ الثانيَ على القِسْمِ الأولِ، وهو العبدُ بهذه الصِّفَةِ، وهو أنه يَرزُقُهُ رِزْقًا<sup>(٢)</sup>، فوجبَ ألاَّ يَحْضُرَ هذا الوَصْفُ للعَبْدِ حتَّى يَحْضُرَ الامتيازُ بينَ القِسْمِ الثانيِ وبينَ القِسْمِ الأولِ، ولو مُلِكَ العبدُ لكانَ اللهُ قد آتاهُ رِزْقًا حَسَنًا؛ لأنَّ المِلْكَ الحلالَ رِزْقٌ حَسَنٌ، سواءً كانَ قليلاً أو كثيراً<sup>(٣)</sup>.

وقلتُ: لا شك أن قوله: ﴿وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِتَّارًا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾ مقابلٌ لقوله: ﴿عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾، والمقصودُ من ذكرِهما الحَجْرُ والمَنْعُ والإطلاقُ والتوسعةُ؛ لأنَّ التمثيلَ في الأصنامِ والمِلْكِ العلامِ، فلا بدَّ من تصوُّرِ العَجْزِ التامِ، فإذا أجزئناه على ما قال، لزمَ التصرُّفُ المحذورُ. والحاصلُ أن إتيانَ صِفَتَيْنِ<sup>(٤)</sup> لمزيدِ التصويرِ والكشْفِ عن حالةِ العَجْزِ لا للتمييزِ والتفصيلةِ، ألا ترى كيفَ ترقى في التمثيلِ الثاني، وزادَ البَكمُ والكَلُّ، وعدَمَ الإنجاحِ في المُهَمَّاتِ ليدلَّ على كمالِ ذلك المعنى؟ وكذا في

(١) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٢: ٦٢٢).

(٢) من قوله: «فمَيَّزَ هذا القِسْمَ الثاني» إلى هنا، سقط من (ط).

(٣) «مفاتيح الغيب» (٢٠: ٨٤).

(٤) في (ح) و(ف): «صفتان» وهو خطأ.



فإن قلت: ﴿مَنْ﴾ في قوله: ﴿وَمَنْ رَزَقْتَهُ﴾ ما هي؟ قلت: الظاهر أنها موصوفة،  
 كأنه قيل: وحرًا رزقناه؛ لطابق عبداً. ولا يمتنع أن تكون موصولة. فإن قلت: لِمَ  
 قيل: ﴿يَسْتَوِي﴾ على الجمع؟ قلت: معناها: هل يستوي الأحرار والعبيد؟

[﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا زَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ  
 عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ  
 مُسْتَقِيمٍ﴾ ٧٦]

الأبكم: الذي ولد أخرس، فلا يفهم ولا يفهم. ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾ أي:  
 ثقل وعيال على من يلي أمره ويعوله، ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّهُهُ﴾: حيثما يرسله ويصرفه في  
 مطلب حاجة أو كفاية مهم، لم ينفع ولم يأت بنجح، ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ﴾ هو سليم  
 الحواس نفاع ذو كفايات، مع رُشد وديانة، فهو ﴿يَأْمُرُ﴾ الناس ﴿بِالْعَدْلِ﴾ والخير،

جانِبِ المشبه به، فإنه ترقى من تصرفه كيف شاء إلى كونه أمراً بالعدل، ومن كونه مرزوقاً،  
 إلى كونه مهدياً إلى صراط مستقيم.

قوله: (ولا يمتنع أن تكون موصولة) يريد أن الآية من باب التضاد والطباق، فيحتمل  
 من أن تكون موصوفة، كما يقال: عبداً مملوكاً وحرًا مرزوقاً، وأن تكون موصولة، بأن يقال:  
 والحر الذي رزقناه، لكن المطابع ممن رزق الذوق السليم لا يعرج عنه إليه، وهذا ينظر إلى  
 قول المصنف في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ﴾ [البقرة: ٨]: «و» «مَنْ» في ﴿مَنْ يَقُولُ﴾  
 [موصوفة] إن جعلت اللام للجنس، وإن جعلتها للعهد فموصولة<sup>(١)</sup>.

قوله: ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ﴾ هو سليم الحواس؟، يعني: لا بد من المقابل بين  
 العدل وما سبق، ولا يأمر بالعدل إلا من يكون موصوفاً بصفات الكمال، وتخصيص  
 المذكورات للتقابل.

(١) هذه الفقرة سقطت من (ح) و(ف)، وأثبتها من (ط)، وما بين معكوفين استدرسته من «الكشاف».

﴿وَهُوَ﴾ في نَفْسِهِ ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: على سيرة صالحة ودين قويم. وهذا مثل ثانٍ ضربَه اللهُ لِنَفْسِهِ ولِما يُفِيضُ على عبادِهِ وَيَشْمَلُهُم من آثارِ رَحْمَتِهِ وَالطَّافِهِ وَنِعْمَةِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ، وَلِلْأَصْنَامِ التي هي أُمُوتٌ لا تَضُرُّ ولا تَنْفَعُ. وَقُرئ: (أَيْنَمَا يُوجَّهْ)، بِمَعْنَى: أَيْنَمَا يَتَوَجَّهْ، من قولِهِم: «أَيْنَمَا أُوجَّهَ أَلْتَقَ سَعْدًا». وَقَرَأَ ابنُ مَسْعُودٍ: «أَيْنَمَا يُوجَّهْ»، على البِناءِ لِلْمَفْعُولِ.

[﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾

إِنَّكَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾]

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: يَخْتَصُّ بِهِ عِلْمُ ما غابَ فِيهِما عن العبادِ وَخَفِيَ عَلَيْهِم عِلْمُهُ. أو: أرادَ بَغيبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ: يَوْمَ القِيامَةِ، على أَنَّ عِلْمَهُ غائِبٌ عن أهلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لم يَطَّلِعْ عليه أَحَدٌ مِنْهُم. ﴿إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ أي: هو عِنْدَ اللهِ وَإِنْ تَرَاخَى، كما تقولون أنتم في الشَّيْءِ الذي تَسْتَقْرِئُونَهُ: هو كَلَمْحِ البَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ، إذا بِالْغَتْمِ في اسْتِقْرَائِهِ. وَنَحْوُهُ قولُهُ: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧]، أي: هو

قولُهُ: (أَيْنَمَا أُوجَّهَ أَلْتَقَ سَعْدًا)، يُضْرَبُ لِمَنْ يَتَلَقَى الشَّرَّ آيَةً سَلَكَ<sup>(١)</sup>، وعن بعض: أصلُهُ أَنَّ أَضْبَطَ<sup>(٢)</sup> كانَ سَيِّدَ قَوْمِهِ، فأصابَهُ مِنْهُم جَفْوَةٌ، فَارْتَحَلَ عَنْهُمْ إلى آخِرِينَ، فَرَأَاهُمْ يَصْنَعُونَ بِسَادَاتِهِمْ مِثْلَ صَنِيعِ قَوْمِهِ، فقال: «أَيْنَمَا أُوجَّهَ أَلْتَقَ سَعْدًا»، وسعدٌ كانَ شَرِيرًا.

قولُهُ: (ونحوه قولُهُ: ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ﴾)، أي: نحوه في استعمالِ اللهِ تعالى ما يَسْتَقْرِئُ المَدَّةَ فِيها هُوَ بَعِيدٌ عِنْدَ النَّاسِ، قولُهُ تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧]، أي: أَلْفُ سَنَةٍ عِنْدَكُمْ بَعِيدٌ، وَعِنْدَ اللهِ مِقْدَارُ يَوْمٍ على عُرْفِكُمْ وَعَادَتِكُمْ.

(١) هذه عبارة الزمخشري في «المستقصى في أمثال العرب» (١: ٤٤٩).

(٢) يعني الأضبط بن قريع كما صرح به الميداني في «مجمع الأمثال» (١: ٥٣).

عنده داني وهو عندكم بعيد. وقيل: المعنى: أن إقامة الساعة وإماتة الأحياء وإحياء الأموات من الأولين والآخرين، يكون في أقرب وقت وأوحاه، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فهو يقدر على أن يُقيم الساعة ويبعث الخلق؛ لأنه بعض المقدورات. ثم دلَّ على قدرته بما بعده.

[﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ٧٨]

قُرئ ﴿أُمَّهَاتِكُمْ﴾ بضم الهمزة وكسرِها، والهاءُ مزيدة في أمهات، كما زيدت في أراق، فقيل: أهراق. وشدَّت زيادتها في الواحدة، قال:

قوله: (وأوحاه)، أي: أسرعه، الأساس: استوحيته: استعجلته.

«النهاية»: في الحديث: «إذا أردت أمرًا فتدبّر عاقبته، فإن كان شرًّا فانته، وإن كان خيرًا فتوحه<sup>(١)</sup>» أي: أسرع إليه، والهاءُ للسكت.

قوله: (﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فهو يقدر على أن يُقيم الساعة)، إشارة إلى أنه كالتعليل لإثبات أمر الساعة وسهولة تأتيها. ولما كان البعث والحشر موقوفًا على مسألتي العلم والقدرة، عطف جملة ﴿أَمْرَ السَّاعَةِ﴾ على جملة ﴿غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ عطف جبريل على «الملائكة»، ثم علله بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، فكما عطف ذلك عقب قوله: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وأتى بالواو إيدانًا بأن مقدور الله لا نهاية له، والمذكور بعض منها. وإليه أشار بقوله: «ثم دلَّ على قدرته بما بعده».

قوله: (قُرئ ﴿أُمَّهَاتِكُمْ﴾ بضم الهمزة)، كلهم إلا حمزة والكسائي<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد»، ص ١٤، وضعف إسناده الحافظ العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٣: ١٥٣).

(٢) ولتعليل ذلك انظر: «الكشف عن وجوه القراءات السبع» (١: ٣٧٩-٣٨٠).

## أُمّهتِي خِنْدِفُ وَالْيَاسُ أَبِي

﴿لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ في موضع الحال، ومعناه: غير عالين شيئًا من حق المنعم الذي خلقكم في البطون، وسواكم وصوركم، ثم أخرجكم من الضيق إلى السعة. وقوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ﴾ معناه: وما ركب فيكم هذه الأشياء إلا آلات لإزالة الجهل الذي

قوله: (أمهتي خندف والياس أبي)، لقصي بن كلاب، قبله:

إني لدى الحرب رخي اللبب      معتزّم الصّولة عالي النسب

يقال: فلان في لب رخي، أي: في حال واسعة، «الاعتزام»: لزوم القصد.

قوله: (وما ركب فيكم هذه الأشياء إلا آلات لإزالة الجهل)، الحصر مستفاد من فحوى الكلام وانصبابه في قالب جوامع الكلم، وهو أنه تعالى ما خلق الخلق إلا ليعبد، ويُعرف لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فأخبر تعالى أنه أخرجهم من ظلمات الرّحم إلى فضاء عالم التكليف وهم غير عالين لما خلقوا له، كما قال: غير عالين<sup>(١)</sup> شيئًا من حق المنعم، فخلق لهم السمع ليسمعوا آياته البيّنات، وبصرًا لينظروا إلى الدلائل الدالّة على وجوده، وفؤادًا ليتفكروا في آياته وحكمته، فيجعلوها وسيلة إلى ما خلقوا له من الشكر والعبادة، كما قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ فظهر أنّ هذه آلات ما خلقت إلا لاجتلاب العلم والعمل به، فمن جعلها آلات لغير ذلك فقد أبطل حكمة الله في خلقها، وانخرط في سلك ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

قال القاضي<sup>(٢)</sup>: ﴿لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ جهالًا مستصحيين جهل الجهادية ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ﴾ أداة تعلمون<sup>(٣)</sup> بها فتحسون بمشاعركم جزئيات الأشياء فتدركونها، ثم تتبهون بقلوبكم لمشاركات ومباينات بينها بتكرير الإحساس، حتى تحصل لكم العلوم البديهية وتمكنوا من

(١) قوله: «لما خلقوا له»، كما قال: غير عالين» سقط من (ح).

(٢) «أنوار التنزيل» (٣: ٤١٣).

(٣) في «أنوار التنزيل»: «تعلمون»، وهو الأشبه بالصواب.

وُلدتم عليه، واجتلابِ العِلْمِ والعملِ به؛ من شُكْرِ المُنْعِمِ، وعبادته، والقيامِ بحُقوقه، والترقِّي إلى ما يُسعدُكم. والأفئدةُ في فُؤاد، كالأغربةُ في عُراب، وهو من جُموعِ القِلَّةِ التي جرت مجرى جُموعِ الكثرة، والقِلَّةُ إذا لم يَرِدْ في السَّماعِ غيرُها، كما جاء: شُسُوعٌ في جمعِ شِنَعٍ لا غير؛ فَجَرَتْ ذلكَ المجرى.

﴿الَّذِينَ يَرَوْنَ إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ

لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [٧٩]

قري: ﴿الَّذِينَ يَرَوْنَ﴾ بالياء والياء. ﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾: مُذَلَّلَاتٌ لِلطَّيْرَانِ بِمَا خَلَقَ لَهَا مِنَ الأجنحةِ والأسبابِ المُواتيةِ لذلك. والجَوِّ: الهَوَاءُ المُتباعِدُ مِنَ الأَرْضِ فِي سَمْتِ العُلُوِّ، والسَّكَاكُ أبعدُ منه، واللُّوحُ مثله. ﴿مَا يُمَسِّكُهُنَّ﴾ فِي قَبْضِهِنَّ وَبَسْطِهِنَّ وَوُقُوفِهِنَّ ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ بِقُدْرَتِهِ.

تحصيلِ المعالمِ الكسبيَّةِ بالنظَرِ فيها لكي تَعْرِفُوا مَا أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ طَوْرًا بَعْدَ طَوْرٍ فَتَشْكُرُوهُ<sup>(١)</sup>.

وفي هذا التفسير إشعارٌ بأنَّ قولَه: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ تعليلٌ للجعلِ لا للإخراجِ، فيُقيدُ معنى الحَضْرِ الذي قرره المصنّف، كأنه قيل: خَلَقَكُمْ وَأَنْتُمْ كالجِهادِ، ثُمَّ جَعَلَ لَكُمْ أَدْوَاتٍ لِتَمَيِّزُوا عَنْهُ.

قولُه: (جَرَتْ مجرى جُموعِ الكثرةِ والقِلَّةِ)، أي: هي مُشتركةٌ تُستعملُ تارةً في القِلَّةِ وأخرى في الكثرةِ، واستُعملتْ هُنا في الكثرةِ؛ لأنَّ الخطابَ في ﴿أَخْرَجَكُمْ﴾ عامٌ.

قولُه: ﴿مَا يُمَسِّكُهُنَّ﴾ فِي قَبْضِهِنَّ وَبَسْطِهِنَّ وَوُقُوفِهِنَّ ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾، كقولِه تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَرَوْنَ إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَائِدًا وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾ [الملك: ١٩]، قال القاضي: إنَّ ثِقَلَ جَسَدِهَا يَمْتَضِي سُقُوطَها، ولا عِلاقةَ فَوْقَها، ولا دِعامةَ تَحْتِها تُمَسِّكُها، وخالقُ الجَوِّ بحيثُ يُمكنُ الطيرانُ فيه<sup>(٢)</sup>.

(١) في النسخ الخطية: «فتشكرونه» بإثبات النون، وهو خطأ، وهو على الجادة في «أنوار التنزيل».

(٢) «أنوار التنزيل» (٣: ٤١٣). وفي الأصول الخطية: «فيها»، والتصويب منه.

[﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَةً إِلَى حِينٍ﴾]

[٨٠]

﴿مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ التي تَسْكُنُونَهَا مِنَ الْحَجَرِ وَالْمَدْرِ وَالْأَخْيِيَةِ وَغَيْرِهَا. وَالسَّكَنُ: فَعَلَ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، وَهُوَ مَا يُسْكَنُ إِلَيْهِ وَيُنْقَطَعُ إِلَيْهِ مِنْ بَيْتٍ أَوْ إِلْفٍ. ﴿بُيُوتًا﴾: هِيَ الْقِبَابُ وَالْأَبْنِيَّةُ مِنَ الْأَدْمِ وَالْإِنطَاعِ، ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾: تَرَوْنَهَا خَفِيفَةً الْمَحْمَلِ فِي الضَّرْبِ وَالنَّقْضِ وَالنَّقْلِ ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ أَي: يَوْمَ تَرْحَلُونَ خَفَّ عَلَيْكُمْ حَمْلُهَا وَنَقَلْتُمَا، وَيَوْمَ تَنْزِلُونَ وَتُقِيمُونَ فِي مَكَانٍ لَمْ يَثْقُلْ عَلَيْكُمْ ضَرْبُهَا. أَوْ: هِيَ خَفِيفَةٌ عَلَيْكُمْ فِي أَوْقَاتِ السَّفَرِ وَالْحَضَرِ جَمِيعًا، .....

قوله: ﴿مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ التي تَسْكُنُونَهَا، الرَّاعِبُ: أَصْلُ الْبَيْتِ: مَأْوَى الْإِنْسَانِ بِاللَّيْلِ، ثُمَّ قَدْ يُقَالُ بِغَيْرِ اعْتِبَارِ اللَّيْلِ، وَجَمْعُهُ أَمَايُتٌ وَبُيُوتٌ، وَالْبُيُوتُ بِالسَّكَنِ أَخْصَصَ، وَالْأَمَايُتُ بِالشَّعْرِ، وَشُبِّهَ بِهِ بَيْتُ الشَّعْرِ، وَصَارَ «الْبَيْتُ» مُطْلَقًا مُتَعَارَفًا فِي آلِ النَّبِيِّ ﷺ<sup>(١)</sup>، وَنَبِيِّ ﷺ بِقَوْلِهِ: «سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلُ الْبَيْتِ»<sup>(٢)</sup> أَنْ مَوْلَى الْقَوْمِ يَصِحُّ نَسَبُهُ إِلَيْهِمْ، كَمَا قَالَ: «مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ، وَابْنُهُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ»<sup>(٣)</sup>.

قوله: (خَفِيفَةُ الْمَحْمَلِ) الرَّاعِبُ<sup>(٤)</sup>: الْخَفِيفُ بِإِزَاءِ الثَّقِيلِ، وَيُقَالُ ذَلِكَ بِاعْتِبَارِ الْمُضَايِفَةِ بِالْقَرْنِ، وَقِيَاسِ أَحَدِ الشَّيْئَيْنِ إِلَى الْآخَرِ، تَقُولُ: دَرَاهِمٌ خَفِيفٌ وَدَرَاهِمٌ ثَقِيلٌ، وَبِاعْتِبَارِ مُضَايِفَةِ الزَّمَانِ، نَحْوُ: فَرَسٌ خَفِيفٌ وَفَرَسٌ ثَقِيلٌ، إِذَا عَدَا أَحَدُهُمَا أَكْثَرَ فِي زَمَانٍ وَاحِدٍ، وَقَدْ مَرَّ مَبْسُوطًا فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ<sup>(٥)</sup>.

(١) «مفردات القرآن»، ص ١٥١.

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٦٠٤٠)، والحاكم في «المستدرک» (٣: ٦٩١) من حديث كثير ابن عبد الله المزني، عن أبيه، عن جده.

(٣) أخرجه البخاري (٦٧٦١) من حديث أنس بن مالك بلفظ: «مولى القوم من أنفسهم».

(٤) في «مفردات القرآن» ص ٢٨٨.

(٥) من قوله: «ونبه ﷺ بقوله» إلى هنا، سقط من (ح) و(ف).

على أن اليوم بمعنى الوقت. ﴿وَمَتَعًا﴾: وشيئا يُتَنَفَعُ به ﴿إِلَى حِينٍ﴾: إلى أن تقضوا منه أوطاركم. أو: إلى أن يبلى ويفنى، أو: إلى أن تموتوا. وقرئ: ﴿يَوْمَ ظَعَنِكُمْ﴾ بالسكون.

[﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيَكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيَكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ﴾ [٨١]

﴿مِمَّا خَلَقَ﴾: من الشجر وسائر المستظلات. ﴿أَكْنَانًا﴾: جمع كِن؛ وهو ما يُسْتَكَنُ به من البيوت المنحوتة في الجبال والغيران والكهوف. ﴿سَرَابِيلَ﴾: هي القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن وغيرها، ﴿تَقِيَكُمُ الْحَرَّ﴾ لم يذكر البرد؛ لأن الوقاية من الحر أهم عندهم، وقلما يهتمهم البرد؛ لكونه يسيرا محتملا. وقيل: ما بقي من الحر يقي من البرد، فدل ذلك الحر على البرد، ﴿وسَرَابِيلَ تَقِيَكُمُ﴾

قوله: (على أن اليوم بمعنى الوقت)، أي: الزمان الممتد؛ لأن عادتهم إما الإقامة أو الظعن، كقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مریم: ٦٢]، وإليه الإشارة بقوله: «في أوقات السفر والحضر جميعا». الانتصاف: الوجه الأول أولى، إذ ظهور المنة في حفتها في السفر أتم، أما المقيم فلا عليه من ثقلها<sup>(١)</sup>.

قوله: (وقرئ: ﴿يَوْمَ ظَعَنِكُمْ﴾: بالسكون<sup>(٢)</sup>)، ابن عامر وعاصم وحزرة والكسائي. قوله: (وقيل: ما بقي من الحر يقي من البرد)، الانتصاف: الوجه الأول أولى؛ لأنه قدم المنة بالظلال الواقعة من الضحى بقوله: ﴿مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا﴾، فالأهم إذن وقاية الحر، وليس كل ما يقي الحر يقي البرد كشفوف القمصان، بل لو لبس إنسان لبوس الحر في البرد أو عكس لعد من الثقلاء<sup>(٣)</sup>.

(١) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٢: ٦٢٥).

(٢) يعني سكون العين. وقد قرأ بفتحها أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب.

انظر: «النشر في القراءات العشر» (٣: ١٤٦).

(٣) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٢: ٦٢٥).

بَأْسِكُمْ ﴿ يَرِيدُ الدَّرْعَ وَالْجَوَاشِينَ، وَالسَّرْبَالَ عَامٌّ يَقَعُ عَلَى كُلِّ مَا كَانَ مِنْ حَدِيدٍ وَغَيْرِهِ. ﴿لَعَلَّكُمْ تَسْلِمُونَ﴾ أي: تَنْظُرُونَ فِي نِعْمَةِ الْفَائِضَةِ فَتُؤْمِنُونَ بِهِ وَتَقَادُونَ لَهُ. وَفُرِي: (تَسْلَمُونَ) مِنَ السَّلَامَةِ، أَي: تَشْكُرُونَ فَتَسْلَمُونَ مِنَ الْعَذَابِ. أَوْ: تَسْلَمَ قُلُوبُكُمْ مِنَ الشَّرِكِ. وَقِيلَ: تَسْلَمُونَ مِنَ الْجِرَاحِ بِلُبْسِ الدَّرْعِ.

[ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمُبِينُ \* يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿ ٨٢-٨٣ ]

﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ فَلَمْ يَقْبَلُوا مِنْكَ فَقَدْ تَمَهَّدَ عُدْرَكَ بَعْدَمَا أَدْبَيْتَ مَا وَجَبَ عَلَيْكَ مِنَ التَّبْلِيغِ، فَذَكَرَ سَبَبَ الْعُدْرِ، وَهُوَ الْبَلَاغُ؛ لِيَدُلَّ عَلَى الْمَسَبِّ. ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ﴾ الَّتِي عَدَدْنَاهَا حَيْثُ يَعْتَرِفُونَ بِهَا وَأَنَّهَا مِنَ اللَّهِ ﴿ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا ﴾ بِعِبَادَتِهِمْ غَيْرِ الْمُنْعِمِ بِهَا، وَقَوْلِهِمْ: هِيَ مِنَ اللَّهِ وَلَكِنَّا بِشَفَاعَةِ آلِهَتِنَا. وَقِيلَ: إِنْكَارُهُمْ: قَوْلُهُمْ: وَرِثْنَاهَا مِنْ آبَائِنَا. وَقِيلَ: قَوْلُهُمْ: لَوْلَا فَلَانٌ مَا أَصَبْتُ كَذَا، لِبَعْضِ نِعَمِ اللَّهِ. وَإِنَّمَا لَا يَجُوزُ التَّكْلُمُ بِنَحْوِ هَذَا إِذَا لَمْ يَعْتَقِدْ أَنَّهَا مِنَ اللَّهِ، وَأَنَّهُ أَجْرَاهَا عَلَى يَدِ فَلَانٍ وَجَعَلَهُ سَبَبًا فِي تَبْلِيغِهَا، ﴿ وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ أَي: الْجَاحِدُونَ غَيْرَ الْمُعْتَرِفِينَ. وَقِيلَ: ﴿ نِعْمَتَ اللَّهِ ﴾: نُبُوَّةُ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ

قَوْلُهُ: ﴿ تَسْلِمُونَ ﴾ أَي: تَنْظُرُونَ، أَي: الْإِسْلَامُ هَاهُنَا بِمَعْنَى الْاِسْتِسْلَامِ وَالْاِنْقِيَادِ، وَضِعَ مَوْضِعَ سَبَبِهِ، وَهُوَ يَنْظُرُونَ وَيَتَفَكَّرُونَ، الْمَعْنَى: مُنْحُوا كَذَا وَكَذَا مِنْ النِّعْمِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ لِيَتَفَكَّرُوا وَيَنْظُرُوا وَيَعْرِفُوا الْمُنْعِمَ فَيَنْقَادُوا لَهُ، يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴾؛ لِأَنَّ مَنْ تَوَلَّى أَبِي الْاِنْقِيَادِ، ثُمَّ تَرَقَّى إِلَى بَيَانِ عِنَادِهِمْ وَأَتَمَّ يَعْرِفُونَ الْمُنْعِمَ الْمَوْلَى، ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا.

قَوْلُهُ: ﴿ فَذَكَرَ سَبَبَ الْعُدْرِ... لِيَدُلَّ عَلَى الْمَسَبِّ ﴾، يَعْنِي: كَانَ مِنَ الظَّاهِرِ أَنْ يُقَالَ: فَإِنْ لَمْ يَنْقَادُوا لِلَّهِ تَعَالَى بَعْدَ تَذَكِيرِكَ إِيَّاهُمْ آيَاتِ اللَّهِ <sup>(١)</sup>، فَقَدْ تَمَهَّدَ عُدْرَكَ، لِأَنَّكَ قَدْ أَدْبَيْتَ مَا عَلَيْكَ مِنَ الْوَاجِبِ، فَوَضَعَ مَوْضِعَ الْمَذْكُورِ قَوْلُهُ: ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴾ وَضَعًا لِلْسَبَبِ مَوْضِعَ الْمَسَبِّ، فَفِي الْعُدُولِ الْإِشْعَارُ بِالزَّمَامِ الْحُجَّةِ وَاسْتِهَالِ الْعُقَابِ، وَفِي الظَّاهِرِ تَمَهِيدٌ لِلْعُدْرِ.

(١) زيد في الأصول الخطية هنا: «والآية»!



الصلاة والسلام، كانوا يَعْرِفُونَهَا ثم يُنْكِرُونَهَا عِنَادًا، وأكثرُهم الجاحِدُونَ المُنْكِرُونَ بِقُلُوبِهِمْ. فإن قلت: ما معنى ثُمَّ؟ قلت: الدلالةُ على أن إنكارهم أمرٌ مُسْتَبَعِدٌ بعد حصول المعرفة؛ لأنَّ حَقَّ مَنْ عَرَفَ النِّعْمَةَ أن يَعْتَرِفَ لا أن يُنْكِرَ.

[ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ \* وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٤-٨٥﴾ ]

﴿شَهِيدًا﴾ نبيًّا يَشْهَدُ لهم وعليهم بالإيمان والتَّصَدِيقِ، والكُفْرِ والتكذيب، ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الاعتذار، والمعنى: لا حُجَّةَ لهم، فدلَّ بِتَرْكِ الإِذْنِ على أن لا حُجَّةَ لهم ولا عُذْرَ، وكذا عن الحَسَنِ رحمه الله. ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: ولا هم يُسْتَرْضَوْنَ، أي: لا يُقَالُ لهم: أَرْضُوا رَبَّكُمْ؛ لأنَّ الآخِرَةَ ليست بدارِ عَمَلٍ. فإن قلت: فما معنى ﴿ثُمَّ﴾ هذه؟ قلت: معناها: أنهم يُمَنَّونَ بعد شهادةِ الأنبياءِ عليهم بما هو أظْمُ منها؛ وهو أنهم يُمَنَّعُونَ الكلامَ فلا يُؤْذَنُ لهم في إلقاءِ مَعْذِرَةٍ ولا إِذْلَاءِ بِحُجَّةٍ. وانتصابُ اليومِ بِمَحذُوفٍ، تقديرُه: واذكر يومَ نَبْعَثُ، أو: يومَ نَبْعَثُ وَقَعُوا فيما وَقَعُوا فيه، وكذلك إذا رَأُوا العذابَ بَعَثَهُمْ وَثَقَّلَ عَلَيْهِمْ. ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ كقوله: ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ﴾ الآية [الأنبياء: ٤٠].

قوله: (لا يُقَالُ لهم: أَرْضُوا رَبَّكُمْ)؛ لأنَّ الاستعتابَ: طَلَبُ إِزَالَةِ الْعِتَابِ، وعتابُ الله عبارةٌ عن سَخَطِهِ وَعَدَمِ رِضاهِ، أي: لا يُطَلَّبُ منهم إِزَالَةُ سَخَطِ الله عنهم.

قوله: (أنهم يُمَنَّونَ)، أي: يُبْتَلَوْنَ، الجوهري: مَنَوْتُهُ وَمَنَيْتُهُ، أي: ابْتَلَيْتُهُ.

قوله: (وكذلك إذا رَأُوا العذابَ)، قيل: «إذا رَأُوا العذابَ» أيضًا منصوبٌ بِمَحذُوفٍ، ويقال: إنَّ وَجْهَ الشَّبهِ يَقْتَضِي أيضًا تَأخِيرَ<sup>(١)</sup> المحذوفِ في التقدير، أي: يومَ يُبْعَثُ وَقَعُوا فيما وَقَعُوا، وكذلك إذا رَأُوا العذابَ وَقَعُوا فيما وَقَعُوا أيضًا، وإليه أشارَ بقوله: «بَعَثَهُمْ» وكذا وكذا، وفي تركيبه - أعني: إذا رَأُوا العذابَ بَعَثَهُمْ وَثَقَّلَ عَلَيْهِمْ، فلا يُخَفَّفُ - إيدانٌ

(١) من قوله: «(وكذلك إذا رَأُوا العذابَ)»، قيل: «إلى هنا سقط من (ف)».

﴿ وَإِذْ رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ \* وَالْقَوْلُ إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامُ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [٨٦-٨٧]

إن أرادوا بالشركاء آلهتهم؛ فمعنى ﴿شُرَكَائُنَا﴾: آلهتنا التي دعوناها شركاء. وإن أرادوا الشياطين؛ فلأنهم شركاؤهم في الكفر وقربناؤهم في الغي. و﴿نَدْعُوا﴾: بمعنى: نعبد. فإن قلت: لِمَ قالوا: ﴿إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ وكانوا يعبدونهم على الصِّحَّة؟ قلت: لَمَّا كانوا غير راضين بعبادتهم فكأنَّ عبادتهم لَمْ تكن عِبادَةً.

بأن قوله: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، مُظَهَّرٌ وَضِعَ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ لِلإِسْعَارِ بِأَنَّ الْعَذَابَ إِنَّمَا لَمْ يُخَفَّفْ عَنْهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا، وَأَنَّ الْفَاءَ فِي: ﴿فَلَا يُخَفَّفُ﴾ فَصِيحَةٌ، وَلَيْسَتْ بِجَوَابِ «إِذَا»، وَالْجُزْءُ الْمَقْدَرُ، هُوَ قَوْلُهُ: «بَعَثَهُمْ وَثَقَّلَ عَلَيْهِمْ»، وَالشَّاهِدُ عَلَى الْمَقْدَرِ قَوْلُهُ: ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَبْطِئُونَ رُدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٠]، فَقَوْلُهُ: «بَغْتَةً» مِثْلُ «تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً»، وَقَوْلُهُ: «ثَقَّلَ عَلَيْهِمْ» مِثْلُ «فَتَبْهَتُهُمْ»، وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾ مِثْلُ «فَلَا يَسْتَبْطِئُونَ رُدَّهَا»، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ مِثْلُهُ فِي الْآيَةِ الْمُسْتَشْهِدِ [بها] (١).

قوله: (لَمَّا كَانُوا غَيْرَ رَاضِينَ)، يَعْنِي: الْمَرَادُ بِالشُّرَكَاءِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ﴾، وَهُمْ كُلُّ مَنْ عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْمَسِيحِ وَعَزْرِيرِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ (٢) وَالشَّيَاطِينِ كَمَا سَبَقَ أَنْفَاءً، إِذِ الْمَقَامُ يَقْتَضِي الْعُمُومَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾، وَمَنْ هُوَ مِثْلُ الْمَلَائِكَةِ يَكْذِبُونَهُمْ لَوْجِهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: يَكْذِبُونَهُمْ لِأَنََّّهُمْ كَانُوا مُعْرِضِينَ (٣) غَيْرَ رَاضِينَ بِعِبَادَتِهِمْ. وَثَانِيهَا: التَّكْذِيبُ رَاجِعٌ إِلَى تَسْمِيَّتِهِمْ شُرَكَاءَ، وَقَوْلُهُمْ: ﴿هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا﴾ وَعَلَى الْأَوَّلِ إِلَى فِعْلِهِمْ وَعِبَادَتِهِمْ لَهُمْ، وَإِنَّمَا قُلْنَا: مِثْلُ الْمَلَائِكَةِ لِأَسْتَشْهَادِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿كَانُوا يَعْبُدُونَ الْغَيْبَ﴾.

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) سقط لفظ «الإنس» من النسخة (ف).

(٣) سقط لفظ معرضين من النسخة (ح).

والدليل عليه: قول الملائكة: ﴿كَانُوا يَعْبُدُونَ آلِهِنَ﴾ [سبا: ٤١]، يعنون: أن الجن كانوا راضين بعبادتهم لانحن، فهم المعبودون دوننا. أو كذبوهم في تسميتهم شركاء وآلهة؛ تنزيهاً لله من الشريك. وإن أريد بالشركاء الشياطين؛ جاز أن يكونوا كاذبين في قولهم: ﴿إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾، كما يقول الشيطان: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، ﴿وَالْقَوَا﴾: يعني: الذين ظلموا. وإلقاء السلم: الاستسلام لأمر الله وحكمه بعد الإباء والاستكبار في الدنيا، ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ﴾: وبطل عنهم ﴿مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من أن الله شركاء، وأنهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤوا منهم.

[﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ ٨٨]

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في أنفسهم، وحملوا غيرهم على الكفر: يُضَاعِفُ اللهُ عِقَابَهُمْ كما ضاعفوا كفرهم. وقيل في زيادة عذابهم: حَيَاتٌ أَمْثَالُ الْبُخْتِ وَعِقَارِبُ أَمْثَالُ الْبِغَالِ تَلْسَعُ إِحْدَاهُنَّ اللَّسْعَةَ فَيَجِدُ صَاحِبُهَا حُمَّتَهَا أَرْبَعِينَ خَرِيفًا. وقيل: يخرجون من النار إلى الزمهرير فيبادرون من شدة برده إلى النار. ﴿بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾: بكونهم مُفْسِدِينَ النَّاسَ بِصُدُّهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ.

قوله: (جاز أن يكونوا كاذبين)، أي: الشياطين قالوا للمشركين: إنكم لكاذبون فيما تقولون علينا، فالشياطين كاذبون في هذا التكذيب؛ لأنهم في الدنيا زينوا وسولوا ووسوسوا وما قصروا فيه: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٢]، كما قال: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، وكذب في هذا القول، وهذا لا يصح في حق الملائكة.

قوله: (حمتها)، الجوهرية: حمة العقرب: ستمها وضرها، وأصلها حمو وحمي، والهاء عوض.

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [٨٩]

﴿شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ يعني: نبيهم؛ لأنه كان يبعث أنبياء الأمم فيهم منهم، ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾: على أمتك. ﴿تِبْيَانًا﴾: بيانًا بليغًا، ونظير، «تبيان»: «تلقاء» في كسر أوله، وقد جوز الزجاج فتحه في غير القرآن. فإن قلت: كيف كان القرآن تبيانًا لكل شيء؟ قلت: المعنى: أنه بين كل شيء من أمور الدين، حيث كان نصًا على بعضها وإحالة على السنة، حيث أمر فيه باتِّباع رسول الله ﷺ وطاعته، وقيل: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النجم: ٣]. وحثًا على الإجماع في قوله: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١١٥]، وقد رضي رسول الله ﷺ لأُمَّته أتباع أصحابه والافتداء بأثارهم في قوله ﷺ: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»، وقد اجتهدوا وقاسوا ووطؤوا طرق القياس والاجتهاد، فكانت السنة والإجماع والقياس والاجتهاد، مُستندة إلى تبيان الكتاب، فمن ثمَّ كان تبيانًا لكل شيء.

قوله: (وقيل: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾) [النجم: ٣]، عطف على قوله: «أمر فيه باتِّباع الرسول وطاعته»، يعني: أُحيل البيان على السنة بوجهين حيث أمر فيه، أي: في قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النور: ٥٤]، وحيث قيل في حقه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾.

قوله: (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)<sup>(١)</sup>، مثله في «جامع الأصول». رواه رزين العبدري عن ابن المسيب، وفي رواية «أخبار الشهاب»: «أصحابي مثل النجوم من اقتدى بشيء منها اهتدى»، وذكره الصغاني في قسم الحسان<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه عبد بن حميد في «المسند» (٧٨٣) من حديث ابن عمر، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٣٤٦) من حديث أبي هريرة، والإسنادان ضعيفان، وفي الباب عن ابن عباس وجابر، وقد استقصى الحافظ الزيلعي طرق الحديث في «تخریج أحاديث الكشاف» (٢: ٢٢٩).  
(٢) تحسينه مرفوعًا بعيد. انظر: «المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية» للحافظ ابن حجر (٤١٥٩)؛ و«جامع الأصول» لابن الأثير (٨: ٥٥٦).

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ  
وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [٩٠]

العَدْلُ: هو الواجب؛ .....

قوله: (العَدْلُ هو الواجب)، فيه إيحاء إلى مذهبه، فكُنِيَ عن الواجب بالعَدْل؛ لأن الواجب ملزوم العَدْل<sup>(١)</sup>؛ لأن الله تعالى جعل ما فرض على عباده واقعا تحت طاقته، أي: لا يكلفهم فوق طاقته، لئلا يكون جورًا، ومن ثم سَمَوْا أَنفُسَهُم بِالْعَدْلِيَّةِ. هذا تخصيص من غير دليل<sup>(٢)</sup>، سيما المقام يقتضي العموم، ولهذا قال ابن مسعود: أجمع آية في القرآن هذه الآية<sup>(٣)</sup>.

وقال القاضي: لو لم يكن في القرآن غير هذه الآية لَصَدَقَ عليه أنه بَيَّانٌ لكل شيء وهُدَى ورحمة للعالمين، ولعل إيرادها عقيب قوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ للتبنيه عليه<sup>(٤)</sup>.

وقال الإمام: إنها يحسنُ تفسيرُ اللَّفْظِ بمعنى إذا حصلَ بينهما مناسبة، ولأ كان فاسدًا، وبناءً على مجرد التحكُّم، فإن الله تعالى أمرَ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ، فالعَدْلُ عبارةٌ على المتوسِّطِ بينَ طَرَفِي الإفراطِ والتفريطِ، وذلك أمرٌ واجبٌ في جميع ما يصحُّ فيه هذا المعنى، والواجباتُ إمَّا في الاعتقادِ، وإمَّا في الأعمالِ، أو في الأخلاقِ، فالعَدْلُ في الاعتقادِ: إمَّا في التوحيدِ فيجبُ أن يَعتَقِدَ أن الإلهَ موصوفٌ بصفاتِ الكمالِ، فهذا وسطٌ بين التعطيلِ والتشبيهِ. وإمَّا في الأفعالِ: فيجبُ أن يَعتَقِدَ أن العبدَ يصدُرُ عنه الفعلُ كسبًا بواسطة داعيةٍ وقُدرةٍ يَخْلُقُهَا اللهُ تعالى؛ لأنه وسطٌ بين الجبرِ والقَدَرِ. إمَّا الأعمالُ: فالعَدْلُ فيها أن يأتي بالطاعاتِ على الطريقِ السويِّ. قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] <sup>(٥)</sup>.

(١) وفي النسخة (ح): لأن العَدْلَ ملزومٌ الواجب. وهو الأشبه بالصواب.  
(٢) يوضحه قول ابن المُتَمِرِ في «الانتصاف» (٢: ٦٢٨): «وهذه وليجةٌ من الاعتزال، ومعتقدُ المعتزلة استحالةُ تكليفِ ما لا يُطاقُ لأنه ظلمٌ وجورٌ، وذلك على الله محال، والحقُّ والسنةُ أن كلَّ قضاءِ الله عدلٌ، وأن تكليفَ ما لا يُطاقُ جائزٌ عليه وعدلٌ منه ﴿لَا يُسْتَلُّ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ﴾ انتهى».

(٣) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٥: ٣٩).

(٤) «أنوار التنزيل» (٣: ٤١٧).

(٥) «مفاتيح الغيب» (٢٠: ١٠١-١٠٢).

لأنَّ الله تعالى عدَدَ فيه على عباده، فجعل ما قرَّضه عليهم واقعا تحت طاعتهم. والإحسان: النَّدْب؛ وإنما علَّق أمره بهما جميعا؛ لأنَّ الفرض لا بدَّ من أن يقع فيه تفريطٌ فيجبره النَّدْب؛ ولذلك قال رسولُ الله ﷺ - لمن علَّمه الفرائض فقال: والله لآزدتُ فيها ولا نقصت: «أفلح إن صدق»، فعقد الفلاح بشرط الصدق والسلامة من

رَوينا عن البخاريِّ ومسلم، عن عائشة رضي الله عنها، أن رسولَ الله ﷺ قال: «أيها الناس: خذوا من الأعمال ما تطيقون، فإنَّ الله تعالى ما يملُّ حتى تملُّوا»<sup>(١)</sup>.  
وعن أبي داود، عن سهل<sup>(٢)</sup>، عن رسول الله ﷺ قال: «لا تُشدِّدوا على أنفسكم فيشدِّد عليكم... الحديث»<sup>(٣)</sup>.

وأما الأخلاق: فالعدلُ في الجود: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، وفي الشجاعة: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] ﴿أَذَلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، ثمَّ الزيادةُ على العدلِ قد تكونُ إحسانًا، وقد تكونُ إساءةً، والإحسانُ إما أن يكونَ بحسبِ الكميةِ أو الكيفيةِ. فالكميةُ كالنطوعِ بالنوافل، والكيفيةُ: كالاستغراقِ في شهودِ مقاماتِ العبوديةِ والربوبيةِ، قال ﷺ: «الإحسانُ أن تعبدَ الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»<sup>(٤)</sup>، وهذه الآيةُ استئنافٌ كالبيانِ لكونِ الكتابِ تبيانًا لكلِّ شيءٍ.

قوله: (فقال: والله لا زدتُ فيها ولا نقصتُ)، وفي رواية البخاريِّ ومسلم: «لا أزيدُ على هذا ولا أنقصُ»<sup>(٥)</sup>.

قوله: (فعقد الفلاح)، أي: قيده، من قولهم: عقدت الحبل والبئع.

(١) أخرجه البخاري (١٩٧٠)، ومسلم (٧٨٢)، وصححه ابن جبان (٣٥٣)، وفيه تمامٌ تحريجه.

(٢) من قوله: «أن رسولَ الله ﷺ قال:» إلى هنا سقط من (ف).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٩٠٦) من حديث سهل بن أبي أمامة رضي الله عنه.

(٤) سبق تحريجه.

(٥) أخرجه البخاري (٤٦)، ومسلم (١١) من حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه.

التفريط، وقال ﷺ: «استقيموا ولن تحصوا»، فما ينبغي أن يترك ما يجبر كسر التفريط من التوافل. والفواحش: ما جاوزَ حدودَ الله. والمنكر: ما تنكره العقول. ....

قوله: (استقيموا ولن تحصوا)، الحديث، من رواية مالك وأحمد بن حنبل وابن ماجه، عن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: «استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن»<sup>(١)</sup>.

التهاية: أي: استقيموا في كل شيء حتى لا تملوا، ولن تطيقوا الاستقامة، من قوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ﴾ [المزمل: ٢٠] أي: تطيقوا عدّه وضبطه.

قوله: (فما ينبغي أن يترك ما يجبر كسر التفريط من التوافل)، هذا متصل بقوله: «ولذلك قال»؛ وهو تعليل لقوله: «ولا بد من أن يقع تفريط فيجبره التدب، أي: ولأجل أن لا بد من أن يقع في الواجب التفريط عقد رسول الله ﷺ الفلاح بشرط الصدق، ولم يجزم القول فيه، وأتى بـ«إن» التي للشك، وقال أيضاً: «استقيموا ولن تحصوا» أي: ولن تطيقوا، وجيء بـ«لن» التي للتوكيد، وإذا كان الأمر على هذا فلا بد مما يجبر به هذا التفريط، وليس ذلك إلا التوافل، لما رويناه في «مسند الإمام أحمد بن حنبل»، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ: «أول ما يحاسب به العبد صلاته، فإن كان أتمها كتبت له تامة، فإن لم يكن أتمها قال الله تعالى: انظروا هل تجدون لعبدي من تطوع، فتكلموا بها فريضة؟ ثم الزكاة كذلك، ثم توخذ الأعمال على حسب ذلك»<sup>(٢)</sup>، ورواه أبو داود عن أنس بن حكيم<sup>(٣)</sup>.

قوله: (والمنكر: ما تنكره العقول)، الانتصاف: هذا اعتزال، والمنكر: ما أنكره الشرع<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه الإمام مالك في «الموطأ» (١: ٣٤)، والإمام أحمد في «المسند» (٢٢٣٧٨)، والدارمي (٦٥٥)، وابن ماجه (٢٧٧)، وصححه ابن حبان (١٠٣٧)، وفيه تمام تخريجه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٦٦٦٥) بهذا الإسناد، وأخرجه برقم (٧٨٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهو في «سنن ابن ماجه» (١٤٢٥) و«سنن النسائي» (١: ٢٣٣).

(٣) «سنن أبي داود» (٨٦٤).

(٤) «الانتصاف بحاشية الكشف» (٢: ٦٢٩).

والبغني: طلبُ التَّطَاوُلِ بِالظُّلْمِ، وحينَ أُسْقِطتْ مِنَ الحُطْبِ لَعْنَةُ المَلَاعِينِ عَلَى أميرِ

الرَّاعِبِ: المُنْكَرُ: كُلُّ فِعْلٍ تَحْكُمُ العُقُولُ السَّلِيمَةُ بِقُبْحِهِ أَوْ تَتَوَقَّفُ فِي اسْتِجَابِهِ، فَتَحْكُمُ بِقُبْحِهِ الشَّرِيعَةُ، وَإِلَى ذَلِكَ قَصَدَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّكَاهُوتِ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ١١٢] (١)، وَقَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ يَحْتُّ عَلَى فِعْلِ الحَتِيرِ، وَيَنْهَى (٢) عَنِ الشَّرِّ، وَذَلِكَ بَعْضُهُ بِالشَّرْعِ الَّذِي شَرَعَهُ لَنَا وَبَعْضُهُ بِالْعَقْلِ الَّذِي رَكَّبَهُ فِينَا؛ وَالنَّهْيُ حِينئِذٍ أَعْمٌ مِنْ حَيْثُ اللَّفْظُ وَالْمَعْنَى، فَأَمَّا الْمَعْنَى فَكَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ [النزعات: ٤٠] لِأَنَّهُ لَمْ يَعْزِمْ أَنْ يَقُولَ لِنَفْسِهِ: لَا نَفْعُ لِي، بَلْ أَرَادَ قَمْعَهَا عَنْ شَهْوَتِهَا وَدَفْعَهَا عَمَّا نَزَعَتْ إِلَيْهِ، وَهَمَّتْ بِهِ، وَكَذَا النَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ يَكُونُ تَارَةً بِالْيَدِ وَتَارَةً بِاللِّسَانِ وَتَارَةً بِالْقَلْبِ. وَأَمَّا اللَّفْظُ فَكَمَا تَقُولُ: اجْتَنِبْ كَذَا، وَأَصْلُ النَّهْيِ: الرَّجْرُجُ عَنِ الشَّيْءِ، وَهُوَ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى لَا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ بِالْقَوْلِ أَوْ بِغَيْرِهِ.

قَوْلُهُ: (وَالْبَغْيُ: طَلَبُ التَّطَاوُلِ بِالظُّلْمِ)، الْإِنْتِصَافُ: الْبَغْيُ أَصْلُهُ الطَّلَبُ، وَمِنْهُ ﴿أَبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧]، وَإِطْلَاقُهُ فِي الْعُرْفِ مَخْصُوصٌ بِالظُّلْمِ (٣).

قَوْلُهُ: (وَحينَ أُسْقِطتْ مِنَ الحُطْبِ لَعْنَةُ المَلَاعِينِ)، ذَكَرَ صَاحِبُ «الْكَامِلِ فِي التَّارِيخِ»: كَانَ بَنُو أُمَيَّةٍ يَسُبُّونَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِلَى إِنْ وُلِّيَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْخِلاَفَةَ، فَفَرَّكَ ذَلِكَ وَكَتَبَ إِلَى الْعُمَّالِ فِي الْأَفَاقِ بِتَرْكِهِ، وَكَانَ سَبَبُ مَحَبَّتِهِ عَلِيًّا أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ بِالْمَدِينَةِ أَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ، وَكُنْتُ الزُّمُّ عِبِيدَ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٤)، فَبَلَغَهُ عَنِّي شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، فَأَتَيْتُهُ يَوْمًا وَهُوَ يُصَلِّي، فَأَطَالَ الصَّلَاةَ، فَفَعَدْتُ أَنْتَظِرُ قِرَاعَهُ، فَلَمَّا فَرَّغَ التَّفَتُّ إِلَيَّ، وَقَالَ: مَتَى عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى غَضِبَ عَلَى أَهْلِ بَدْرِ وَبَيْعَةِ الرُّضْوَانِ

(١) «مفردات القرآن»، ص ٨٢٣.

(٢) فِي النِّسْخَةِ (ح): «وَيَدْبُ»، وَهِيَ مَحْتَمَلَةٌ.

(٣) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٢: ٦٢٩).

(٤) فِي النِّسْخَةِ الْخَطِيئَةِ: «عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ» وَهُوَ خَطَأٌ، وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتْنَاهُ. وَعُتْبَةُ الْمَذْكُورُ هُوَ أَخُو

عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودِ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ. انظر: «تهذيب التهذيب» (٦: ٢٧).



المؤمنين عليّ رضي الله عنه؛ أُقيمت هذه الآية مقامها. ولعمري إنها كانت فاحشةً ومُنكرًا وبغيًا، ضاعفَ الله لمن سنّها غَضَبًا ونكالا وخزيًا؛ إجابةً لدعوة نبيّه: «وعادِ مَنْ عاداه».....

بعد أن رضي عنهم؟ قلتُ: لم أسمع بذلك، قال: فما الذي بلغني عنك في علي؟ فقلت: معذرة إلى الله وإليك، وتركتُ ما كنتُ عليه. وكان أبي إذا خطبَ فنالَ من عليّ تلجّجَ في كلامه، فقلت: يا أبتِ، إنك تمضي في حُطيتك فإذا أتيتَ إلى ذكْرِ عليّ عرفتُ منك تقصيرًا. قال: أو قُطِنتَ ذلك؟ قلتُ: نعم. فقال: يا بُنيّ، إن الذين حوّلنا لو يعلمون من عليّ ما نعلم لتفرّقوا عنا إلى أولادِهِ، فلما وُلِّيَ الخلافةَ لم تكنْ عنده من الرّغبة في الدُّنيا ما يَرْتكِبُ هذا الأمرَ العظيمَ لأجلِها، فتركَ ذلك، وكتبَ بتركيه، وقرأَ عَوْضَه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ الآية، فحلَّ هذا الفعلُ عندَ الناسِ محلًّا عظيمًا، وأكثرُوا مدحَه، فمنهُ قولُ كثيرٍ:

|   |   |
|---|---|
| وَلَيْتَ فَلَمْ تَشْتُمْ عَلِيًّا وَلَمْ تُخِفْ | بِرِّيًّا وَلَمْ تَتَّبِعْ مَقَالَةَ مُجْرِمِ |
| تَكَلَّمْتَ بِالْحَقِّ الْمُبِينِ وَإِنَّمَا    | تَسْبِيحُ آيَاتِ الْهُدَى بِالتَّكَلُّمِ      |
| فَصَدَقْتَ مَعْرُوفَ الَّذِي قُلْتَ بِالذِّي    | فَعَلْتَ فَأَضْحَى رَاضِيًا كُلَّ مُسْلِمِ    |
| أَلَا إِنَّمَا يَكْفِي الْفَتَى بَعْدَ زَيْغِهِ | مَنْ الْأَوْدِ الْبَادِي ثِقَافُ الْمُقْوَمِ  |

فقال عمرُ رحمه الله حينَ أنشدَهُ هذا الشعرَ: أفَلخنا إذنُ<sup>(١)</sup>.

قوله: (وعادِ مَنْ عاداه)، ذكّرَ ابنُ عبد البرّ في «الاستيعاب»<sup>(٢)</sup>، قال: روى بُريدةُ وأبو هريرةُ وجابرٌ والبراءُ بنُ عازبٍ وزَيدُ بنُ أرقمَ، كلُّ واحدٍ منهم، عن النبيِّ ﷺ أنه قال يومَ غدِيرِ حُتم: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عاداه»<sup>(٣)</sup>، وبعضُهم

(١) انظر: «الكامل في التاريخ» (٤: ١٥٤). وانظر الشعر في «ديوان كُثير عزة» ص ٢١٥.

(٢) «الاستيعاب» (٣: ١٠٩٩).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٧١٣) والحاكم في «المستدرک» (٣: ١١٦)، والنسائي في «خصائص عليّ» (٩٣)،

وابن حبان (٦٩٣١)، وغيرهم بإسنادٍ حسن.

وكانت سبب إسلام عثمان بن مظعون.

[﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ \* وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَبْنَا نَسَخَدُونَ أَيْمَنَكُمُ دَخَلْنَا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ، وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [٩١-٩٢]

عهد الله: هي البيعة لرسول الله ﷺ على الإسلام، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا

لا يزيد على: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيَّ مَوْلَاهُ». وزواه أحمد بن حنبل عن البراء وحده<sup>(١)</sup>.

قوله: (وكانت سبب إسلام عثمان بن مظعون)، وروى الإمام في «تفسيره» عن ابن عباس: أن عثمان بن مظعون الجُمحي قال: ما أسلمتُ أولاً إلا حياةً من رسول الله ﷺ، ولم يتقرر الإسلام في قلبي، فحضرته ذات يوم، فبينما هو يُحدِّثني إذ رأيتُ بصره شخص إلى السماء، ثم خفضه عن يمينه ثم عاد لمثل ذلك، فسألته، فقال: بينا أنا أُحدِّثك إذ نزل جبريل عن يميني فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ إلى آخره، فقال عثمان: فوقع الإيمان في قلبي، وأتيت أبا طالب فأخبرته، فقال: يا معشر قريش: اتبعوا ابن أخي، إن كان صادقاً أو كاذباً فإنه ما يأمركم إلا بمكارم الأخلاق<sup>(٢)</sup>.

ونحوه رأيتُ بخط مولاي المرحوم بهاء الدين القاشي رحمة الله.

قوله: (عهد الله: هي البيعة لرسول الله ﷺ)، وإنما أسند إلى الله لأن عهد رسول الله ﷺ عهد الله، لقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠] وهو مُستشهد لفظاً ومعنى؛ لأنه في أهل بيعة الرضوان، وإنما خصه ببيعة الرضوان لأن قوله: ﴿أَنْ تَكُونُ

(١) «مسند أحمد» (١٨٤٧٩) بإسناد صحيح لغيره، وأخرجه ابن ماجه (١١٦)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٤٧٣) وغيرهم.

(٢) «مفاتيح الغيب» (٢٠: ١٠٠). وانظر قصة إسلام عثمان بن مظعون رضي الله عنه في «مسند أحمد» (٢٩١٩)، و«الأدب المفرد» للبخاري (٨٩٣)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٨٣٢٢)، وجوّذ إسنادها الحافظ ابن كثير في «التفسير» (٤: ٥٩٧).

يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴿ [الفتح: ١٠]. ﴿وَلَا تَنْفُضُوا﴾ أَيْمَانَ الْبَيْعَةِ ﴿بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ أَي: بعد توثيقها باسم الله. وأكّد ووكد: لغتان فصيحتان، والأصل الواو، والهمزة بدل. ﴿كَفَيْلًا﴾: شاهدًا ورفيقًا؛ لأنَّ الكفيل مُراعٍ لحالِ المكفول به مُهيمن عليه. ﴿وَلَا تَكُونُوا﴾ فِي نَقْضِ الْأَيْمَانِ كَالْمَرَأَةِ الَّتِي أَنْحَتَ عَلَى غَزْلِهَا بَعْدَ أَنْ أَحْكَمْتَهُ وَأَبْرَمْتَهُ فَجَعَلْتَهُ ﴿أَنْكَتًا﴾، جَمْعُ نَكْتٍ؛ وَهُوَ مَا يُنْكَثُ قَتْلُهُ. قيل: هي رِيْطَةُ بِنْتِ سَعْدِ

أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَنٌ مِنْ أُمَّةٍ ﴿ فِي قُرَيْشٍ يَعْنِي: أَوْفُوا بِمَا عَاهَدْتُمْ اللَّهَ، وَلَا تَنْقُضُوهُ مَخَافَةَ الْأَعْدَاءِ مِنْ قُرَيْشٍ، وَتَوَفَّرِ عَدَدِهِمْ وَعُدَدِهِمْ، وَإِنَّمَا جَعَلَكُمْ مُسْتَضْعَفِينَ، وَأَعْدَاءَكُمْ أَقْوِيَاءَ، لِيَتَمَيَّزَ الثَّابِتُ مِنْكُمْ وَالنَّاكِثُ عَلَى عَقَبِيَّتِهِ، وَإِلَيْهِ أَشَارَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا يَلُوكُمُ اللَّهُ يَهُ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ﴾: عَطْفٌ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى عَلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾، الْآيَةُ، عَطْفَ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ اهْتِمَامًا بِوَفَاءِ الْعَهْدِ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهِ، وَلِذَلِكَ عَقَبَهُ بِالْتَمَثِيلَيْنِ، وَجِيءَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ اعْتِرَاضًا بَيْنَ الْمَعْطُوفِ وَالْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ.

قَوْلُهُ: ﴿بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾، أَي: بَعْدَ تَوْثِيقِهَا، الرَّاعِبُ: وَكَدْتُ الْقَوْلَ وَالْعَهْدَ وَأَكْدَيْتُهُ بِمَعْنَى أَحْكَمْتَهُ. وَالسِّيَرُ الَّذِي يُشَدُّ بِهِ الْقَرْبُوسُ يُسَمَّى التَّائِكِدَ، وَلَا يُقَالُ: تَوَكَيْدٌ، قَالَ الْخَلِيلُ: «أَكْدْتُ فِي عَقْدِ الْأَيْمَانِ» أَجُودٌ، وَ«وَكَّدْتُ فِي الْقَوْلِ» أَجُودٌ، تَقُولُ: إِذَا عَقَدْتَ فَاكِّدْ، وَإِذَا حَلَفْتَ فَوَكِّدْ. وَوَكَّدَ وَكَّدَهُ: إِذَا قَصَدَ قَصْدَهُ وَتَخَلَّقَ بِخُلُقِهِ<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ: (أَنْحَتَ عَلَى غَزْلِهَا)، الْأَسَاسُ: أَنْحَى عَلَيْهِ بِالسُّوْطِ: أَقْبَلَ عَلَيْهِ.

قَوْلُهُ: (﴿أَنْكَتًا﴾: جَمْعُ نَكْتٍ)، الْأَسَاسُ: نَكَثَ الْحَبْلَ، وَمِنْ الْمَجَازِ: نَكَثَ الْعَهْدَ وَالْبَيْعَةَ. الرَّاعِبُ: نَكَثَ الْأَكْسِيَّةَ وَالغَزْلَ قَرِيبٌ مِنَ النَّقْضِ، وَاسْتَعْبِرَ لِنَقْضِ الْعَهْدِ، وَالنَّكَثُ كَالنَّقْضِ، وَالنَّكِيثَةُ كَالنَّقِيضَةِ، وَكُلُّ نَخْصَلَةٍ يَنْكَثُ فِيهَا الْقَوْمُ، يُقَالُ لَهَا: نَكِيثَةٌ<sup>(٢)</sup>.

قَالَ أَبُو الْبَقَاءِ: ﴿أَنْكَتًا﴾: جَمْعُ نَكْتٍ، بِمَعْنَى: الْمَنْكُوثُ، أَي: الْمَنْقُوضُ، وَنُصِبَ

(١) «مفردات القرآن»، ص ٨٨٢. والقربوس: هو جنو السرج.

(٢) المصدر السابق، ص ٨٨٢.

ابن تيمم وكانت خرقاء؛ اتخذت مغزلاً قدّر ذراعاً وصنارةً مثل أصبعٍ وفلكةً عظيمةً على قدّرها، فكانت تغزّل هي وجواربها من الغداة إلى الظهر، ثم تأمرهنّ فينقضن ما غزلن. ﴿نَتَخَذُونَ﴾ حال، و﴿دَخَلًا﴾: أحدُ مفعوليّ اتخذ. يعني: ولا تنقضوا أيما نكم متّخذها .....

على الحالِ مِنْ ﴿غَزَلَهَا﴾، ويجوزُ أن يكونَ مفعولاً ثانياً على المعنى؛ لأنَّ معنى ﴿نَقَضَتْ﴾: صيرت<sup>(١)</sup>.

وفي الحاشية: ﴿أَنكَتًا﴾: نصبٌ على المصدر<sup>(٢)</sup>؛ لأنَّ معنى «نَكَتَتْ»: نَقَضَتْ، وعلى ما في الكتاب: هو مفعولٌ به لفعلٍ محذوف، لقوله: «فجعلته أنكاثاً»، وهذا أوّلُ الوجوه، وأدخل في معنى التمثيل؛ لأنَّ التركيبَ مِنْ بابِ: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا﴾ [المائدة: ٦]، ولذلك قد أتحت على غزّلها، وجاء بالفاءِ في «فجعلته» فجمع بين القصد والفعل، والتشبيه التمثيليّ كلّما كان أكثرَ تفصيلاً وأوفرَ تصويراً كان أحسنَ، ولذلك أوتر الجمعُ في: ﴿أَنكَتًا﴾ على الإفرادِ لتنويع النكوث، وأقيم الوصفُ في قوله: ﴿كَأَلَّتِي نَقَضَتْ﴾ منزلةَ الموصوفِ ليُشعرَ بأنَّ الناقضةَ جامعةٌ لمعانٍ، تُوجبُ انحطاطَ شأنها من كونها خرقاءً عاجزةً عجوزاً إلى غير ذلك.

وهذا التمثيلُ بجملته توكيدٌ لقوله: ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾، وهو إما استعارةٌ مكنتيةٌ بأن تكون الاستعارةُ في الأيمان، والنقضُ القرينة، وتوكيدها الترشيح، أو تمثيليةً، والتمثيلان، أعني: «لا تنقضوا»، و﴿وَلَا تَكُونُوا كَأَلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾، وأراد أن على الأمرِ بوفاءِ العهد، أعني: وأوفوا بالعهد، على الطرد والعكس؛ لأنَّ منطوق الأمرِ بيفاءِ العهدِ مؤكّدٌ لمفهومِ النهي عن النقض وبالعكس، فظهر أن الغرضَ من التشبيهِ إبرازُ حالِ ناقضِ العهد، وأنه خارجٌ من جملةِ الرّجالِ الكمّلةِ والعقلاءِ المراجيح، داخلٌ في زمرةِ النساءِ، بل في أدونها حالاً وأنقصها عقلاً.

قوله: (صنارة)، الجوهري: «الصنارة: رأس المغزل».

(١) «البيان في إعراب القرآن»، (٢: ٨٠٥).

(٢) وهو قول ابن الأنباري في «البيان في إعراب القرآن» (٢: ٨٣).

دَخَلَا، ﴿بَيْنَكُمْ﴾ أي: مفسدة ودغلا، ﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ﴾: بسبب أن تكون أمة، يعني: جماعة قريش، ﴿هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾: هي أزيد عدداً وأوفر مالاً من أمة من جماعة المؤمنين، ﴿إِنَّمَا يَلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ﴾ الضمير لقوله: ﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ﴾؛ لأنه في معنى المصدر، أي: إنما يختبركم بكونهم أربى؛ لينظر أتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما عقدتم على أنفسكم ووكدتم من أيان البيعة لرسول الله ﷺ، أم تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم وقلة المؤمنين وفقرهم وضعفهم، ﴿وَلَيَبَيِّنَنَّ لَكُمْ﴾ إنذاراً وتحذيراً من مخالفة ملة الإسلام.

[﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾  
﴿وَلَتُنْتَلْنَ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ٩٣]

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ حنيفة مسلمة على طريق الإلجاء والاضطرار، وهو قادرٌ على ذلك، ﴿وَلَكِنْ﴾ الحكمة اقتضت أن يضلَّ ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾؛ وهو أن يخذل من علم أنه يختار الكفر ويصمُّ عليه، ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾؛ وهو أن يلطّف بمن علم أنه يختار الإيمان. يعني: أنه بنى الأمر على الاختيار وعلى ما يستحقُّ به اللطف والخذلان والثواب والعقاب، ولم يبيِّن على الإجبار الذي لا يستحقُّ به شيء من ذلك، وحققه بقوله: ﴿وَلَتُنْتَلْنَ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ولو كان هو المضطرُّ إلى الضلال والاهتداء؛ لما أثبت لهم عملاً يسألون عنه.

قوله: ﴿دَخَلَا بَيْنَكُمْ﴾ أي: مفسدة ودغلا، الرغب: الدخل كناية عن الفساد والعداوة المستبطنة، كالدغل، وعن الدعوة في النسب، يقال: دَخَلَ دَخَلًا، ويقال: دَخَلَ فلانٌ فهو مدخول، كناية عن بله في عقله، وفساد في أصله، ومنه قيل: شجرةٌ مدخولة<sup>(١)</sup>.

قوله: (ولو كان هو المضطرُّ إلى الضلال والاهتداء لما أثبت لهم عملاً يسألون عنه)، «المضطرُّ»: اسم فاعل. وقلت: إثبات العمل لهم على طريق الكسب، لا يدفعُ السؤال.

(١) مفردات القرآن، ص ٣٠٩.

﴿وَلَا تَنخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَزَلَ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوَاءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [٩٤]

ثم كرر النهي عن اتخاذ الأيمان دخلاً بينهم؛ تأكيداً عليهم، وإظهاراً لعظم ما يركب منه، ﴿فَزَلَ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾: فتزل أقدامكم عن محجة الإسلام بعد ثبوتها عليها، ﴿وَتَذُوقُوا السُّوَاءَ﴾ في الدنيا بصدودكم ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وخروجكم من الدين. أو: بصدكم غيركم؛ لأنهم لو نقضوا أيمان البيعة وارتدوا، لآخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها، ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الآخرة.

﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [٩٥]

كَأَنَّ قَوْمًا مَّنْ أَسْلَمَ بِمَكَّةَ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ لِحَزَرِهِمْ مَّا رَأَوْا مِنْ غَلْبَةِ قُرَيْشٍ وَاسْتِضْعَافِهِمُ الْمُسْلِمِينَ، وَإِيذَانْتَهُمْ لَهُمْ، وَلِئِمَّا كَانُوا يَعِدُّونَهُمْ إِنْ رَجَعُوا مِنَ الْمَوَاعِيدِ أَنْ يَنْقُضُوا مَا بَايَعُوا عَلَيْهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَثَبَّتَهُمُ اللَّهُ، ﴿وَلَا تَشْتَرُوا﴾: وَلَا تَسْتَبَدِّلُوا

قَالَ الْإِمَامُ: أَعْلَمَ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا كَلَّفَ الْقَوْمَ بِالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَتَحْرِيمِ نَقْضِهِ، أَتْبَعَهُ بَيَانٌ أَنَّهُ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَجْمَعَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَعَلَى سَائِرِ أَبْوَابِ الْإِيمَانِ، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى بِحُكْمِ الْإِلَهِيَّةِ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ<sup>(١)</sup>. يريد أن قوله: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ الآية، دخلت معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه، أعني قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غَزْلَهُمَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَبَتْ﴾ تَنخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ ﴿توكيداً لمعنى الابتلاء، وأنه بحكم الإلهية يختبر القليل الضعيف القديم بالقوي الكثير ذي الشوكة كما أشار إليه بقوله: «هِيَ أَزِيدُ عَدَدًا وَأَوْفَرُ مَالًا» إِلَى آخِرِهِ، كَمَا أَنَّهُ بِحُكْمِ الْإِلَهِيَّةِ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، فَقَوْلُهُ: ﴿وَالْيَتِيمَانَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ﴾ مَقَابِلُ لِقَوْلِهِ: ﴿وَلَتَسْلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

قَوْلُهُ: (أَنْ يَنْقُضُوا مَا بَايَعُوا)، مَتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ: «زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ».

(١) «مفاتيح الغيب» (٢٠: ١٠٩).

﴿يَعْبُدُ اللَّهَ﴾ وبيعة رسول الله ﷺ ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: عَرَضًا من الدنيا يَسِيرًا؛ وهو ما كانت قُرَيْشٌ يَعِدُونَهُمْ وَيَمْنُونَهُمْ إِنْ رَجَعُوا، ﴿إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ مِنْ إِظْهَارِ كَمِّ وَتَغْنِيمِكُمْ، وَمِنْ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ﴿حَبِيرٌ لَكُمُ﴾.

[﴿مَاعِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَاعِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾]

﴿مَاعِنْدَكُمْ﴾ مِنْ أَعْرَاضِ الدُّنْيَا ﴿يَنْفَدُ وَمَاعِنْدَ اللَّهِ﴾ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ ﴿بَاقٍ﴾ لَا يَنْفَدُ، وَقُرِئَ: ﴿لَنَجْزِيَنَ﴾ بِالنُّونِ وَالْيَاءِ، ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ عَلَى أذى الْمُشْرِكِينَ وَمَشَاقِّ الْإِسْلَامِ. فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ وُحِّدَتِ الْقَدَمُ وَتُكْرِمُ (١)؟ قُلْتَ: لِاسْتِعْظَامِ أَنْ تَزَلَّ قَدَمٌ وَاحِدَةً عَنِ طَرِيقِ الْحَقِّ بَعْدَ أَنْ ثَبَّتْ عَلَيْهِ، فَكَيْفَ بِأَقْدَامٍ كَثِيرَةٍ؟

[﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾]

فَإِنْ قُلْتَ: ﴿مَنْ﴾ مُتَنَاوِلٌ فِي نَفْسِهِ لِلذَّكْرِ وَالْأُنثَىٰ، فَمَا مَعْنَى تَبْيِينِهِ بِهِمَا؟ قُلْتَ: هُوَ مُبْهَمٌ صَالِحٌ عَلَى الْإِطْلَاقِ لِلنُّوعَيْنِ، إِلَّا أَنَّهُ إِذَا دُكِّرَ كَانَ الظَّاهِرُ تَنَاوُلَهُ لِلذَّكُورِ، فَقِيلَ: ﴿مَنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ﴾ عَلَى التَّبْيِينِ؛ لِيَعْمَ الْمَوْعِدُ النَّوْعَيْنِ جَمِيعًا. ﴿حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ يَعْنِي:

قَوْلُهُ: ﴿لَنَجْزِيَنَ﴾ بِالنُّونِ وَالْيَاءِ، بِالنُّونِ: ابْنُ كَثِيرٍ وَعَاصِمٌ (٢).

قَوْلُهُ: ﴿لِيَعْمَ الْمَوْعِدُ النَّوْعَيْنِ جَمِيعًا﴾، قَالَ صَاحِبُ «الْفَرَائِدِ»: لَوْ لَمْ يَذْكَرِ الْأُنثَىٰ لَكَانَتْ دَاخِلَةً فِي الْحُكْمِ بِطَرِيقِ التَّغْلِيبِ، أَلَا تَرَىٰ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ دَخَلَتْ

(١) الآية ٩٤.

(٢) وَابْنُ عَامِرٍ أَيْضًا، وَحُجَّتُهُمْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ، وَإِجْمَاعُهُمْ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى فِي الْآيَةِ بَعْدَهَا ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ بِالنُّونِ. وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالْيَاءِ، إِخْبَارًا عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَحُجَّتُهُمْ ذِكْرُ اللَّهِ قَبْلَهُ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَمَاعِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ وَلَنَجْزِيَنَ ﴿فَإِذَا عَطِفتِ الْآيَةُ عَلَى مِثْلِهَا كَانَ أَحْسَنَ مِنْ أَنْ تُقَطَّعَ مِمَّا قَبْلَهَا. انْتَهَى بِتَصْرِيفٍ مِنْ «حُجَّةِ الْقِرَاءَاتِ»، ص ٣٩٣-٣٩٤.

في الدنيا، وهو الظاهر؛ لقوله: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾، وَعَدَهُ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، كقوله: ﴿فَكَانَتْ لَهُمُ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَحَسُنَ ثَوَابُ الْآخِرَةِ﴾ [آل عمران: ١٤٨]؛ وذلك أَنَّ الْمُؤْمِنَ مع العملِ الصالحِ مُوسِرًا كَانَ أَوْ مُعْسِرًا يَعِيشُ عَيْشًا طَيِّبًا؛ إِنْ كَانَ مُوسِرًا؛ فَلَا مَقَالَ فِيهِ. وَإِنْ كَانَ مُعْسِرًا؛ فَمَعَهُ مَا يُطَيِّبُ عَيْشَهُ؛ وَهُوَ الْقَنَاعَةُ وَالرِّضَا بِقِسْمَةِ اللهِ. وَأَمَّا الْفَاجِرُ فَآمُرُهُ عَلَى الْعَكْسِ: إِنْ كَانَ مُعْسِرًا؛ فَلَا إِشْكَالَ فِي أَمْرِهِ، وَإِنْ كَانَ مُوسِرًا؛ فَالْحَرُصُ لَا يَدَعُهُ أَنْ يَتَهَنَّأَ بِعَيْشِهِ. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: الْحَيَاءُ الطَّيِّبَةُ: الرِّزْقُ الْحَلَالُ. وَعَنْ الْحَسَنِ: الْقَنَاعَةُ. وَعَنْ قَتَادَةَ: يَعْنِي: فِي الْجَنَّةِ. وَقِيلَ: هِيَ حِلَاوَةُ الطَّاعَةِ وَالتَّوْفِيقُ فِي قَلْبِهِ.

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ \* إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ \* إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ [٩٨-١٠٠]

لَمَّا ذَكَرَ الْعَمَلَ الصَّالِحَ وَوَعَدَ عَلَيْهِ، وَصَلَ بِهِ قَوْلُهُ: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾؛ إِيْذَانًا بِأَنَّ الْاسْتِعَاذَةَ مِنْ جُمْلَةِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي يُجْزِلُ اللهُ عَلَيْهَا الثَّوَابَ.

النِّسَاءُ فِي الْخُطَابِ بِطَرِيقِ التَّغْلِيبِ؟ وَلَمَّا كَانَ الْمَرَادُ مِنْ (مَنْ) الْعُمُومَ وَالِاسْتِعَابَ لِحُصُولِ التَّسْوِيَةِ بَيْنَهُمَا فِي الْحُكْمِ، لَا بِطَرِيقِ التَّغْلِيبِ بَيْنَ قَوْلِهِ: ﴿مَنْ ذَكَرَ أَوْ أَنْتَى﴾.

وَقَالَ الْإِمَامُ: إِنَّهُ تَعَالَى لَمَّا رَغِبَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا التَّزَمُوهُ مِنْ فِعْلِ الْوَاجِبَاتِ وَالْمُنْذُوبَاتِ دُونَ الْمُبَاحَاتِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ ثُمَّ رَغَبَهُمْ فِي الْإِيمَانِ بِكُلِّ مَا كَانَ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ بِقَوْلِهِ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾، أَتْبَعَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿مَنْ ذَكَرَ أَوْ أَنْتَى﴾ تَقْرِيرًا لِلْوَعْدِ وَإِزَالَةً لَوْهَمِ التَّخْصِيسِ كَرَمًا وَفَضْلًا<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ: (لَمَّا ذَكَرَ الْعَمَلَ الصَّالِحَ وَوَعَدَ عَلَيْهِ، وَصَلَ بِهِ قَوْلُهُ: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾؛ إِيْذَانًا بِأَنَّ الْاسْتِعَاذَةَ مِنْ جُمْلَةِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ)، قَالَ الْقَاضِي: وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ

(١) «مفاتيح الغيب» (٢٠: ١١١).



والمعنى: فإذا أردت قراءة القرآن فاستعد، كقوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ [المائدة: ٦]، وكقولك: إذا أكلت فسم الله. فإن قلت: لِمَ عبّر عن إرادة

المُصَلِّيِ يستعيد في كل ركعة؛ لأن الحكم المترتب على شرطٍ يتكرر بتكرره قياساً<sup>(١)</sup>.

قلت: ويمكن أن يقال: إن قوله: ﴿إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ﴾ متصل بالفاء بما سبق من قوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾، وذلك أنه تعالى لما من عليه صلوات الله عليه بإنزال كتاب جامع لصفات الكتاب، وأنه تبيان لكل شيء، ونبه على كونه تبياناً لكل شيء بالكلمة الجامعة، وهي قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ الآية، وعطف عليه: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ وأكد ذلك التأكيد، قال بعد ذلك: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ﴾ أي: إذا شرعت في قراءة هذا الكتاب الشريف الجامع الذي نُبِهت على بعض ما اشتمل عليه، ونازعك فيه الشيطان بهمزته ونفخه ونفثه، فاستعد بالله<sup>(٢)</sup>، والمقصود: إرشاد الأمة، ويظهر بهذا فائدة وضع القرآن موضع المضمرة؛ لأن القرآن: الجمع والضم، ولهذا قلنا: الكتاب الشريف الجامع، وينتظم معه قوله: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ﴾، فإن ذلك من منشأ النزاع الذي يُورده حزب الشيطان، ويقول: لو كان من عند الله لما تطرّق إليه التسخُّ والتبديل، والله أعلم.

قوله: (كقوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ [المائدة: ٦])، قال صاحب «الفرائد»: المُستشهد ليس من قبيل ما نحن فيه؛ لأن هناك تركاً للظاهر بدليل، وهنا بغير دليل. قلت: دليله إجماع الفقهاء<sup>(٣)</sup>، وسنده ما رواه أبو داود وابن ماجه، عن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ بَعْدَ تَكْبِيرِ الصَّلَاةِ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، مِنْ نَفْخِهِ وَنَفْثِهِ وَهَمْزِهِ»<sup>(٤)</sup>.

(١) «أنوار التنزيل» (٣: ٤١٩).

(٢) قوله: «ونازعك فيه الشيطان بهمزته ونفخه ونفثه، فاستعد بالله» سقط من (ف).

(٣) هذا قول فيه نظر، فإن مالكا رحمه الله لا يرى التعمد ولا البسمة في الفرض، فالإجماع غير متحقق.

(٤) أخرجه أبو داود (٧٦٥)، وابن ماجه (٨٠٧)، وصححه الحاكم في «المستدرک» (١: ٢٣٥)، وانظر

تمام تحريجه في «مسند أحمد» (١٦٧٣٩).

الفعل بلفظ الفعل؟ قلت: لأن الفعل يوجد عند القصد والإرادة بغير فاصلٍ وعلى حسبه، فكان منه بسبب قويٍّ وملازمة ظاهرة. وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قرأتُ على رسولِ الله ﷺ، فقلت: أعودُ بالسميعِ العليمِ من الشيطانِ الرجيمِ، فقال لي: «يا ابنَ أمِّ عبد، قل: أعودُ بالله من الشيطانِ الرجيمِ، هكذا أقرأنيهِ جبريلُ عليه السلام عن القلمِ عن اللوحِ المحفوظِ». ﴿لَسْرَلُهُ سُلْطٰنٌ﴾ أي: تسلطُ وولايةٌ على أولياءِ الله، يعني: أنهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريدُ منهم من اتباعِ خطواته. ﴿إِنَّمَا سُلْطٰنُهُ﴾ على مَنْ يتولاهُ ويُطيعه. ﴿بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ الضميرُ يرجعُ إلى ﴿رَبِّهِمْ﴾، ويجوزُ أن يرجعَ إلى ﴿الشَّيْطٰنِ﴾، على معنى: بسببِهِ وُغْروره ووسوسَتِهِ. ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزَكُّ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [١٠١]

تبديلُ الآيةِ مكانَ الآيةِ: هو النَّسخُ، والله تعالى يَنسخُ الشرائعَ بالشرائعِ؛ لأنها مصلح، وما كان مصلحةً أمسِ يجوزُ أن يكونَ مفسدةً اليوم، وخلافه مصلحةً، والله تعالى عالمٌ بالمصالحِ والمفاسدِ، فيثبت ما يشاءُ وينسخُ ما يشاءُ بحكمتِهِ، وهذا معنى قوله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزَكُّ﴾. ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ وجدوا مدخلا للطننِ

قوله: (تبديلُ الآيةِ مكانَ الآيةِ هو النَّسخُ)، يعني: أنه تعالى عبّرَ عن النَّسخِ بهذه العبارة. قال الإمامُ: التبديلُ: رفعُ الشيءِ معَ وضعِ غيره مكانه، وتبديلُ الآيةِ رفعُها بآيةٍ أخرى مكانها، وهو نسخُها بآيةٍ سواها<sup>(١)</sup>. وقلتُ: فيكونُ التبديلُ مُضَمَّنًا معنى الوَضْعِ، أي: وَضَعْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ تَبْدِيلًا. وقال القاضي: وإذا بدلنا آيةً بالنسخِ فجعلنا الآيةَ الناسخةَ مكانَ المنسوخة<sup>(٢)</sup>.

قوله: (وهذا معنى قوله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزَكُّ﴾)، قال الإمامُ: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ

(١) «مفاتيح الغيب» (٢٠: ١١٦).

(٢) «أنوار التنزيل» (٣: ٤١٩-٤٢٠).

فَطَعَنُوا؛ وذلك لجهلهم وبُعدهم عن العِلْمِ بالناسخِ والمنسوخ، وكانوا يقولون: إنَّ محمداً يسخرُ من أصحابه: يأمرهم اليومَ بأمرٍ وينهاهم عنه غداً، فيأتيهم بما هو أهون. ولقد افتروا؛ فقد كان ينسخُ الأشقَّ بالأهون، والأهونَ بالأشقَّ، والأهونَ بالأهون، والأشقَّ بالأشقَّ؛ لأنَّ الغرضَ المصلحة، لا الهوانَ والمشقة. فإن قلت: هل في ذِكْرِ تَبْدِيلِ الآيَةِ بِالآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ إِنَّمَا يُنسخُ بِمِثْلِهِ، وَلَا يَصحُّ بغيره من السُّنَّةِ والإجماع والقياس؟ قلت: فيه أن قُرْآنًا يُنسخُ بِمِثْلِهِ، وليس فيه نفي نسخه بغيره، على أن السُّنَّةَ المكشوفةَ المتواترةَ مثل القرآنِ في إيجابِ العِلْمِ، فنسخه بها كنسخه بِمِثْلِهِ، وأما الإجماع والقياس والسُّنَّةُ غيرُ المقطوعِ بها فلا يصحُّ نسخُ القرآنِ بها.

[ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ]

في ﴿يُنزَّلُ﴾ و﴿نَزَّلَهُ﴾ وما فيهما من التنزيل شيئاً فشيئاً على حسبِ الحوادثِ والمصالح: إشارةٌ إلى أن التبديلَ من بابِ المصالح، كالتنزيل، وأن تزكَّ النسخِ بمنزلةِ

بِمَا يُنزَّلُ ﴿ اعترضَ دَخَلَ بَيْنَ الشَّرْطِ وَجَزَائِهِ، أَي: هُوَ أَعْلَمُ بِمَا يُنزَّلُ <sup>(١)</sup> مِنَ النَّاسِخِ وَالمَنسُوخِ وَالتَّغْلِيظِ وَالتَّخْفِيفِ لِمَصَالِحِ الْعِبَادِ، وَهَذَا تَوْبِيخٌ لِلْكَفَّارِ عَلَى قَوْلِهِمْ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ أَي: إِذَا كَانَ هُوَ أَعْلَمَ بِمَا يُنزَّلُ فَمَا بِالْهَمِّ يَنْسُبُونَ مُحَمَّدًا إِلَى الْاِفْتِرَاءِ لِأَجْلِ التَّبْدِيلِ وَالنَّسْخِ، وَقَوْلُهُ: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ مَعْنَاهُ: لَا يَعْلَمُونَ حَقِيقَةَ الْقُرْآنِ، وَفَائِدَةُ النَّسْخِ وَالتَّبْدِيلِ، كَمَا أَنَّ الطَّيِّبَ الْحَاذِقَ يَأْمُرُ الْمَرِيضَ بِشَرْبَةِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَنْهَاهُ عَنْهَا وَيَأْمُرُ بِضِدِّ تِلْكَ الشَّرْبَةِ <sup>(٢)</sup>.

قوله: (إنَّ السُّنَّةَ المكشوفةَ المتواترةَ مثل القرآن)، وقد سبقَ الكلامُ عليه في سورة البقرة <sup>(٣)</sup>.

(١) قوله: «اعتراضَ دَخَلَ بَيْنَ الشَّرْطِ وَجَزَائِهِ، أَي: هُوَ أَعْلَمُ بِمَا يُنزَّلُ» سقط من (ف).

(٢) «مفاتيح الغيب» (٢٠: ٢٧٠).

(٣) يعني في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِخْهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِمَّا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [البقرة: ١٠٦].

إنزاله دفعةً واحدةً في خروجه عن الحكمة. ﴿رُوحَ الْقُدُسِ﴾: جبريل عليه السلام، أُضِيفَ إِلَى الْقُدُسِ؛ وهو الطُّهْرُ، كما يقال: حَاتِمُ الْجُودِ، وَزَيْدُ الْحَيْرِ، والمراد: الرُّوحُ الْمُقَدَّسُ، وَحَاتِمُ الْجَوَادِ، وَزَيْدُ الْخَيْرِ. وَالْمُقَدَّسُ: الْمُطَهَّرُ مِنَ الْمَآثِمِ. وَقُرئ بِضَمِّ الدَّالِ وَسُكُونِهَا. ﴿بِالْحَقِّ﴾ في موضعِ الحالِ، أَي: نَزَّلَهُ مُلْتَبِسًا بِالْحِكْمَةِ، يَعْنِي: أَنَّ النَّسْخَ مِنْ جُمْلَةِ الْحَقِّ؛ ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: لِيَلْبَسُوا بِالنَّسْخِ، حَتَّى إِذَا قَالُوا فِيهِ: هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا وَالْحِكْمَةُ؛ حَكَمَ لَهُمْ بِثَبَاتِ الْقَدَمِ وَصِحَّةِ الْيَقِينِ وَطَمَآنِينَةِ الْقُلُوبِ، عَلَى أَنَّ اللَّهَ حَكِيمٌ فَلَا يَفْعَلُ إِلَّا مَا هُوَ حَكِيمٌ وَصَوَابٌ، ﴿وَهُدًى وَبُشْرَى﴾ مَفْعُولٌ لَهَا

قوله: (حَكَمَ لَهُمْ بِثَبَاتِ الْقَدَمِ)، جزاء لقوله: «إِذَا قَالُوا فِيهِ، وَحَتَّى: دَاخِلَةٌ عَلَى الْجُمْلَةِ الشَّرْطِيَّةِ»، وَهِيَ غَايَةُ الْمُقَدَّرِ هُوَ تَعْلِيلٌ لِقَوْلِهِ: ﴿نَزَّلَهُ﴾ فِي الْحَقِيقَةِ.

وقوله: (عَلَى أَنَّ اللَّهَ حَكِيمٌ)، متعلقٌ بـ«قَالُوا»، أَي قَالُوا فِيهِ ذَلِكَ، بِنَاءٍ عَلَى مُعْتَقِدِهِمْ أَنَّ اللَّهَ حَكِيمٌ. وَقِيلَ: مُتَعَلِّقٌ بِثَبَاتِ الْقَدَمِ، وَفِيهِ ضَعْفٌ<sup>(١)</sup>. الْمَعْنَى: ﴿نَزَّلَهُ رُوحَ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ﴾ مُلْتَبِسًا بِالْحَقِّ، لِيَلْبَسُوا الْمُؤْمِنِينَ بِالنَّسْخِ فَيَجْتَهِدُوا، وَيَعْلَمُوا أَنَّهُ لِمَصَالِحِ الْعِبَادِ حَتَّى إِذَا قَالُوا فِيهِ: هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا، حَكَمَ لَهُمْ بِثَبَاتِ الْقَدَمِ، وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ مَنْ عَرَفَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ كَلَامَهُ الْمَجِيدَ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ بِوَسِطَةِ الرُّوحِ الْمُقَدَّسَةِ، عَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا نُورًا وَهُدًى، وَإِنْ لَمْ يَقِفْ عَلَى حَقِيقَةِ الْمَرَادِ، حَتَّى إِذَا قَالَ: هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا، وَأَمَّنَ بِهِ وَوَكَّلَ عِلْمَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، سِوَاءَ كَانِ مِنَ الْقِسْمِ الْمُتَشَابِهِ، أَوْ تَبْدِيلِ آيَةٍ مَكَانَ آيَةٍ، فَحَيْثُ ذُكِرَ لَهُ بِثَبَاتِ الْقَدَمِ وَالرَّسُوخِ فِي الْعِلْمِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

وَيَعْضُدُ هَذَا التَّأْوِيلَ مَجِيءُ قَوْلِهِ: ﴿وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ عَقِبَ هَذَا، أَي: هُدًى وَبُشْرَى لِلَّذِينَ يَنْقَادُونَ لِحُكْمِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَسْلِمُونَ لِمَا وَرَدَ مِنْ جَنَابِهِ الْأَقْدَسِ، لَا كَالزَّائِعِينَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ، وَكَالَّذِينَ يَطْعَنُونَ فِي النَّسْخِ،

(١) فِي (ط): «هُوَ ضَعِيفٌ»، وَالْمَعْنَى قَرِيبٌ.

مَعطوفان على محلِّ ﴿لِيُثَبِّتَ﴾، والتقدير: تثبيتًا لهم وإرشادًا وبشارة، وفيه تعريضٌ بحُصول أصدادِ هذه الخِصالِ لغيرهم. وقُرى: ﴿لِيُثَبِّتَ﴾ بالتَّخْفِيفِ.

[﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَبَنَا وَهَذَا لِسَانٌ عَكْرٍ مُّثَبِّتٌ﴾ ١٠٣]

أرادوا بالبشر: غلامًا كان لحويطب بن عبد العزرى قد أسلم وحسن إسلامه اسمه عائش أو يعيش، وكان صاحب كتب. وقيل: هو جبر، غلامٌ روميٌّ كان لعامر بن الحضرمي. وقيل: عبدان: جبر ويسار، كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التوراة

هذا موافق لما ذهب إليه القاضي في «المنهاج»<sup>(١)</sup> في الناسخ والنسوخ: أن حكمه أن يتبع المصالح فيتغير بتغيرها، وإلا فله كيف يشاء.

قوله: (وفيه تعريض) أي: في إثبات التثبيت والهدى والبشارة للمؤمنين تعريضٌ بحصول أصدادها في المشركين والزائغين، وذلك أن قوله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ الآية جوابٌ عن قول المشركين: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾، وهو قريبٌ من بابِ الأسلوبِ الحكيم، فإنهم أرادوا بقولهم: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾: أن هذا ليس من كلام الله تعالى؛ لأن الله تعالى لا يسخر من أحد، يأمرهم اليوم بشيء وينهاهم غدًا عنه، بل هو من تلقاء نفسك، فأجيبوا بأن هذا من الله، فزيد في التصوير بأن قيل: ﴿نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ ثم زيد قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾ ليُثَبِّتَ على الدَّفْعِ عن الطَّعنِ بِالطَّغْيِ الوجوه، أي: تنزيله مُلتَبَسٌ بِالْحَقِّ وَالْحِكْمَةِ وَمِصَالِحِ الْخَلْقِ، ثُمَّ التَّعْيُ على قُبْحِ أفعالهم بأن قيل: ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلى آخره تعريضًا بأن أصدادَ هذه الخِصالِ حاصلةٌ فيهم، وأثم مُتْرَلَزِلُونَ ضَالُونَ مَوْبَخُونَ مَنْذَرُونَ بِالْحَزْمِ وَالنَّكَالِ وَاللَّعْنِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَنْ أَعْدَاءَهُمْ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ، لِيُزِيدَ فِي غَيْظِهِمْ وَحَقِّقِهِمْ، مَا أَحْسَنَ هَذَا الْبَيَانَ لِهَذَا دَرُّهُ.

(١) «منهاج الأصول» للبيضاوي بشرح السبكي (٣: ٣٣٣).

والإنجيل، فكان رسولُ الله ﷺ إذا مرَّ وقفَ عليهما يسمعُ ما يقرآن، فقالوا: يُعلِّمَانه، فقبيل لأحدهما، فقال: بل هو يُعلِّمُنِي. وقيل: هو سلمانُ الفارسيّ. واللِّسان: اللُّغة. ويقال: أَلْحَدَ القبرَ وَلَحَدَه، وهو مُلْحَدٌ وَمَلْحُودٌ؛ إذا أمالَ حفرَه عن الاستقامة، فحَفَرَ في شقِّ منه، ثم استُعيرَ لكلِّ إمالةٍ عن استقامة، فقالوا: أَلْحَدَ فلانٌ في قوله، وأَلْحَدَ في دينه. ومنه المُلْحِدُ؛ لأنه أمالَ مذهبَه عن الأديانِ كُلِّها، لم يُملِه عن دينٍ إلى دين.

قوله: (قبيل لأحدهما)، يعني: قبيل لأحدِ هَذَيْنِ العَبْدَيْنِ: أتعلمُه أنت؟ فقال: بل هو يُعلِّمُنِي. وقيل: هذا المُجيبُ هو سلمانُ الفارسيّ، وهو غيرُ صحيح؛ لأنَّ سلمانَ أتى النبي ﷺ بالمدينة، والآيةُ مَكِّيَّة.

قوله: (ثم استُعيرَ لكلِّ إمالةٍ عن استقامة)، الرَّاغِبُ: الإلْحَادُ ضَرْبانِ: إلْحَادٌ إلى الشُّركِ بالله، وإلْحَادٌ إلى الشُّركِ بالأسباب، فالأوَّلُ يُنافي الإيَّانَ وَيُبطِئُه، والثاني يُوهِنُ عِزَّه ولا يُبطِئُه، وقال: ﴿الَّذِينَ يَلْحُدُونَ فِي أَسْمَائِهِمْ﴾ والإلْحَادُ في أسائِه على وجهَيْنِ، أحدهما: أن يوصَفَ بها لا يصحُّ وصفُه به، والثاني: أن يتأوَّلَ أو صافَهَ بها لا يَلِيْقُ به<sup>(١)</sup>.

قوله: (ومنهُ المُلْحِدُ؛ لأنه أمالَ مذهبَه عن الأديانِ كُلِّها). قال الشَّهرِسْتَانِي<sup>(٢)</sup> في كتاب «المِلَلِ والنَّحْلِ»: «وَفِرْقُ الباطنيَّةِ أوردَهم أصحابُ التصانيفِ في كُتُبِ المقالاتِ إمَّا خارجةً عن الفِرْقِ وإمَّا داخلَةً فيها، وبالجُمْلَةِ هم قومٌ مُحالفون، اثنين وسبعونَ فرقةً، ثمَّ إنَّ الباطنيَّةَ القديمةَ خلطوا كلامَهم ببعضِ كلامِ الفلاسفةِ وصنَّفوا كتبَهم على ذلك المنهاجِ، وسَمَّوا باطنيَّةً لأنَّهم يقولون: لكلِّ ظاهرٍ باطنٌ، ولكلِّ تنزيلٍ تأويلٌ، ولهم ألقابٌ كثيرةٌ، فبالعراقِ: يُسمُّونَ الباطنيَّةَ والقرامطةَ والمزدكيَّةَ، وبخُرَّاسانَ: التعليميةَ والمُلْحِدةَ، وهم يقولون: نحنُ إسماعيليَّةٌ؛ لأنَّا تميَّزنا عن فِرْقِ الشَّيعَةِ بهذا الاسمِ وبهذا الشَّخصِ، وقال: الإسماعيليَّةُ امتازتْ عن الموسويَّةِ والاثنيِّ عشريةِ بإثباتِ الإمامةِ لإسماعيلَ بنِ جعفرٍ، وهو ابنُه الأكبرُ المنصوصُ عليه في بدءِ الأمرِ»<sup>(٣)</sup>.

(١) «مفردات القرآن»، ص ٧٣٧.

(٢) في النسخة (ف): «الشارشاني»، وهو تحريف.

(٣) «المِلَلِ والنَّحْلِ» (١: ١٩٠).

والمعنى: لسان الرجل الذي يُميلون قوْلهم عن الاستقامة إليه لسانٌ ﴿أَعْجَبِي﴾: غيرُ بَيِّن، ﴿وَهَذَا﴾ القرآن ﴿لِسَانٌ عَكْرِيٌّ مُبِيحٌ﴾: ذو بيانٍ وفصاحةٍ ردًّا لقولهم وإبطالًا لطمعهم. وقرئ: (يلحدون) بفتح الياء والحاء. وفي قراءة الحسن: (اللسان الذي يلحدون إليه) بتعريف اللسان. فإن قلت: الجملة التي هي قوله: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَبِي﴾ ما محلُّها؟ قلت: لا محلُّ لها؛ لأنها مُستأنفة جوابٌ لقولهم، ومثله قوله: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ بعد قوله: ﴿وَإِذَا جَاءَ نَهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

قوله: (وقرئ: «يلحدون» بفتح الياء والحاء)، قرأها حمزة<sup>(١)</sup>.

قوله: (مُستأنفة: جوابٌ لقولهم)، فإنه تعالى لما قال: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ ومرجعه أنه مُفترٍ، وأن ما جاء به ليس من عند الله، أتجه لفاعل أن يقول: فماذا أجاب الله عن ذلك؟ فقيل: قال: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَبِي﴾.

قوله: (ومثله قوله: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾) [الأنعام: ١٢٤]، وجه التشبيه: هو أن قولهم: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢٣] كقولهم: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ في إثبات الشيء على خلاف ما ينبغي أن يكون عليه، ومرجعها: أن رسول الله ﷺ مُفترٍ، وأن ما جاء به ليس من عند الله، بل من قبل غيره، ألا ترى كيف عقبه بقوله: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾؟ وخلاصة الردّين: تجهيل القوم، وعدم تمييزهم بين الحقِّ الصَّراح والباطل المخض، وأن كلامهم من الجُزاف الذي يرمى من غير فكرٍ وروية، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ﴾ كأنه قيل: إن النبوة ليست بالمال والحسب، وإنما هي بفضائل نفسانية يختص بها من يشاء من عباده، فيجتبي لرسالته من علم أنه يصلح لها؟ وكيف تُؤتونها وأنتم لستم بمكانها، بل تستحقون أن يفعل بكم كلُّ هوانٍ وخزيٍ ونكالٍ بقولكم: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾؛ لأنَّ المتعلم إنما يستفيد من المعلم ما هو أعلم به، وأقدم منه، وما أتى به صلواتُ الله عليه كلامٌ

(١) وكذا قرأها خلفٌ والكسائي. انظر في تعليل هذا الاختيار «حجّة القراءات»، ص ٣٩٤.

[ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ \* إِنَّمَا يَقْتَرِي  
الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿ ١٠٤ - ١٠٥ ﴾ ]

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ أي: يعلم الله منهم أنهم لا يؤمنون ﴿ لَا  
يَهْدِيهِمُ اللَّهُ ﴾: لا يُلطفُ بهم؛ لأنهم من أهل الخذلان في الدنيا والعذاب في الآخرة،  
لا من أهل اللطف والشواب ﴿ إِنَّمَا يَقْتَرِي الْكَذِبَ ﴾ ردُّ لقولهم: ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ ﴾  
[النحل: ١٠١]، يعني: إنما يَلْبِسُ افتراء الكذب بمن لا يؤمن؛ لأنه لا يترقب عقاباً عليه،  
﴿ وَأُولَئِكَ ﴾ إشارة إلى قريش ﴿ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ أي: هم الذين لا يؤمنون، فهم

عربيٌّ مُبين: أي: بليغٌ فصيحٌ بلَغَ غايته في البلاغة والفصاحة، حيث عجزتم عن الإتيان  
بسورة من مثله، فكيف يؤخذ من عجميِّ الكَنَ جاهل؟

قوله: ﴿ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ ﴾: لا يُلطفُ بهم، وعند أهل السنة على الحقيقة.

قوله: ﴿ وَأُولَئِكَ ﴾ إشارة إلى قريش، اعلم أن المشار إليه بقوله: ﴿ أُولَئِكَ ﴾ إما  
قوله: ﴿ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ لأنه المذكور، أو قريش؛ لأن سياق الكلام فيهم، لأنهم هم  
الذين قالوا: ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ ﴾، وقالوا: ﴿ إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ ﴾.

فعل الأول عامٌّ في قريش وغيرهم، وحينئذ يكون التعريف في ﴿ الْكَاذِبُونَ ﴾  
للجنس، وإليه الإشارة بقوله: ﴿ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ على الحقيقة، الكاملون في الكذب،  
فيدخل في هذا العام قريش دخولاً أولياً، يعني: المُفْتَرِي مُطلقاً من لا يؤمن بالله ولا بآياته،  
وهو الكامل فيه؛ لأن تكذيب آيات الله لا شيء أعظم منه.

وأما الثاني فعلى وجهين: أحدهما: ﴿ الْكَاذِبُونَ ﴾: مُطلقٌ فلا يُقدَّرُ في أي شيء  
كذبوا، وهو أيضاً على وجهين: إما أن يكون قوله: ﴿ إِنَّمَا يَقْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾  
عاماً والكلام واردٌ على الاستدراج، المعنى: اعلموا أن المُفْتَرِي مَنَّا وَمِنْكُمْ: الذي لا يؤمن  
بالله ولا باليوم الآخر ولا بعقابه، فلا يُبالي بالكذب، وقد ظهر أنكم الموصوفون بذلك،  
فيلزم أنكم الكاذبون، ودلَّ على هذا الاستلزام الفاء في قوله: «فهم الكاذبون». وإما أن يُراد



الكاذبون، أو: إلى الذين لا يؤمنون، أي: أولئك هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون في الكذب؛ لأن تكذيب آيات الله أعظم الكذب. أو: أولئك هم الذين عادتهم الكذب لا يُبالون به في كل شيء، لا تحببهم عنه مروءة ولا دين. أو: أولئك هم الكاذبون في قولهم: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ [النحل: ١٠١].

[﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ \* ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ \* أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ \* لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ \* ١٠٦-١٠٩]

﴿مَنْ كَفَرَ﴾ بدلٌ من ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [النحل: ١٠٥]، على

بالذين لا يؤمنون: قُرَيْشٌ، وكان من حق الظاهر: لم يؤمنوا، فعدّل إلى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لإفادة الاستمرار، أي: المُفْتَرِي: من استمر على الكُفْرِ ولم يتوقّف منه تجدّد الإيمان، فيستمرّ على الكذب ويصير دأبه وعادته؛ لأن الرادع من الكذب المروءة، ومن لا إيمان له لا مروءة له، واليه الإشارة بقوله: «أولئك هم الذين عادتهم الكذب» لا يحببهم عنه مروءة ولا دين.

وثانيتها: ﴿الْكَاذِبُونَ﴾ مُقَيَّدٌ بحسب اقتضاء المقام، وهو المراد من قوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ في قولهم: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾.

قوله: ﴿مَنْ كَفَرَ﴾: بدلٌ من: ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، فإن قلت: كيف يصحّ البدل، وأن قوله<sup>(١)</sup>: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ﴾ ردّ لقول قُرَيْشٍ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ وهم ما كفروا بعد الإيمان؟ قلت: كلّما كان الردّ أبلغ كان في الإفحام أدخل.

وإنما عدّل من ظاهر قوله: «بل أنتم مفترّون» إلى قوله: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ

(١) من قوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ في قولهم: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ إلى هنا، سقط من (ح).

أن يجعل ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥] اعتراضاً بين البَدَلِ والمُبَدَلِ منه. والمعنى: إنما يقتري الكذب مَنْ كَفَرَ بالله من بعد إيمانه، واستثنى منهم المَكْرَةَ فَلَمْ يدخل تحت حُكْم الافتراء، ثم قال: ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا﴾ أي: طاب به نفساً واعتقده، ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ﴾. ويجوز أن يكون بَدَلًا من المبتدأ الذي

لَا يُؤْمِنُونَ ﴿ ليكون إشعاراً بأنَّ بينَ الإيمانِ وبينَ الكذبِ مُنَافَاةً، والكذبِ مِنْ شِيمَةٍ مَن عَدِمَ الإيمانَ<sup>(١)</sup>، تعريضاً بهم، وبعثنا على التفكر في أنَّ الكاذبَ منه ومنهم مَنْ هُوَ، ثُمَّ إذا ذهبَ إلى إبدالِ: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إيمَانِهِ﴾ [النحل: ١٠٦] منه على أنَّ المراد: مَنْ كان متمكناً من الإيمان، ثُمَّ أعرَضَ للعنادِ والتمردِ، كقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ [البقرة: ١٦] بَلَغَ الغَايَةَ القُضِيَا في المطلوبِ، وأيضاً جعلَ ذلك سُلْماً وتخلصاً إلى ما فعلوا بأولئك السادةِ مِنَ المثلَّةِ، والصدِّ عن الدينِ، فإنه أَسْنَعُ وَأَقْبَحُ.

قوله: ﴿شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا﴾ أي: طابَ به نَفْسًا، يَبَيِّنُ بهذا مآلَ معناه وإعراجه، أما المعنى، فلأنَّ الشرحَ هُوَ الكشْفُ، تقول: شَرَحْتُ الغامضَ: إذا فَسَّرْتَهُ، فإنَّ الغامضَ مِمَّا يَضِيقُ به الصَّدْرُ ولا تَطْيِبُ به النفسُ. وأما الإعرابُ، فلأنَّ ﴿نَفْسًا﴾: منصوبٌ على التمييزِ، كذا ﴿صَدْرًا﴾، وفي «اللُّبَابِ»، أي: شَرَحَ صَدْرَهُ، فَصَرَفَ الفِعْلَ إلى المضافِ فَانْتَصَبَ على التمييزِ، فكانه قال: شَرَحَهُ صَدْرًا، أي: قَبِلَهُ على اختيارِ.

الرَّاعِبُ: أصلُ الشرحِ: بَسَطَ اللَّحْمَ ونحوه، يقال: شَرَحْتُ اللَّحْمَ وشَرَحْتُهُ، ومنه شَرَحُ الصَّدْرِ، أي: بَسَطَهُ بنورِ إلهيٍّ وسَكِينَةٍ مِنْ جِهَةِ اللَّهِ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١]، وشرحُ المُشْكِلِ مِنَ الكَلَامِ: بَسَطَهُ وإظهارُ معانيه<sup>(٢)</sup>.

قوله: ﴿ويجوزُ أن يكونَ بَدَلًا مِنَ المبتدأِ﴾، عطْفٌ على قوله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾: بَدَلٌ مِنْ ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾.

(١) من قوله: «الذين لا يؤمنون ليكون إشعاراً» إلى هنا، سقط من (ح).

(٢) «مفردات القرآن»، ص ٤٤٩.

هو ﴿أَوْلَيْكَ﴾ على: ومن كفر بالله من بعد إيمانه هم الكاذبون. أو من الحقر الذي هو ﴿الكَذِبُوتُ﴾، على: وأولئك هم من كفر بالله من بعد إيمانه. ويجوز أن ينتصب على الذم. وقد جوزوا أن يكون ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ﴾ شرطاً مُبتدأ، ويُحذف جوابه؛ لأنَّ جواب ﴿مَنْ شَرَحَ﴾ دالٌّ عليه، كأنه قيل: مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ فعليهم غضب، إلا مَنْ أكرهه، ولكن مَنْ شَرَحَ بالكُفْرِ صدرًا فعليهم غضب. روي: أَنْ نَاسًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فُتِنُوا فارتدوا عن الإسلام بعد دُخولهم فيه، وكان فيهم مَنْ أكرهه فأجرى كلمة الكُفْرِ على لسانه وهو مُعتقِد للإيمان، منهم: عَمَّارٌ، وأبواه يَاسِرٌ وَسَمِيَّةٌ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلَالٌ،

قوله: (وقد جوزوا أن يكون ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ﴾ شرطاً مُبتدأ، وهو قول أبي عليّ الجبائي، أي: مَنْ كَفَرَ اسْتَحَقَّ الْعُضْبَ وَالْعِقَابَ إِلَّا مَنْ أكرهه.

قوله: (رُويَ أَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فُتِنُوا) إلى آخره، ذَكَرَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي «الاستيعاب»: عن ابن عمر: كان عَمَّارٌ وَأُمُّهُ سَمِيَّةٌ تَمَنَّ عُدْبٌ فِي اللَّهِ، ثُمَّ أَعْطَاهُمْ عَمَّارٌ مَا أَرَادُوا بِلِسَانِهِ وَاطْمَأَنَّ قَلْبُهُ بِالْإِيمَانِ، فَتَزَلَّتِ الْآيَةُ، وَهَذَا تَمَّاجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ التَّفْسِيرِ<sup>(١)</sup>.

وَرَوَى النَّسَائِيُّ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شَرْحِبِيلٍ، عَنْ رَجُلٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مُلِيَ عَمَّارٌ إِيْمَانًا إِلَى مُشَاشِهِ»<sup>(٢)</sup>. الْمُشَاشُ، بِالضَّمِّ: جَمْعُ مَشَاشَةٍ، وَهِيَ رِوَسُ الْعِظَامِ اللَّيِّنَةِ.

قوله: (منهم عَمَّارٌ)، مُبتدأٌ وَخَبْرٌ، «وَأَبَوَاهُ» مَعَ مَا بَعْدَهُ مَعْطُوفٌ عَلَى «عَمَّارٍ»، وَقَوْلُهُ: «عُدْبُوا»: جَمَلَةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: مَا فَعِلَ بِهِمْ؟ فَقِيلَ: عُدْبُوا، وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ أَلْمُؤْمِنِينَ رِجَالًا صَدَقُوا﴾ [الأحزاب: ٢٣] إِلَّا أَنَّ صَدَقُوا: صِفَةٌ لِرِجَالٍ، هَذَا عَلَى أَنَّ عَمَّارًا تَمَنَّ عُدْبٌ عَلَى مَا رُويَ فِي «الاستيعاب»، فَقَوْلُهُ: «فَأَمَّا سَمِيَّةٌ وَأَمَّا عَمَّارٌ» تَفْصِيلٌ لِقَوْلِهِ: «عُدْبُوا»، وَقِيلَ أَبَوَاهُ: مُبتدأٌ وَخَبْرٌ: «عُدْبُوا»، وَأَنَّ عَمَّارًا مَا عُدْبَ عَلَى مَا عَلَيْهِ ظَاهِرُ كَلَامِ الْمُصَنِّفِ.

(١) «الاستيعاب» (٣: ١١٣٦).

(٢) أخرجه النسائي (٨: ١١١)، وابن ماجه (١٤٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١: ١٣٩)، وصححه ابن جبان (٧٠٧٦)، وفيه تمامٌ تخريجه.

وخبَّاب، وسالم: عُدُّبوا، فأما سميَّة: فقد رُبِطَتْ بين بعيرَيْنِ ووُجِعَ في قِبَلِهَا بِحَرْبَةٍ، وقالوا: إِنَّكَ أَسْلَمْتَ مِنْ أَجْلِ الرَّجَالِ. فَقُتِلْتَ، وقُتِلَ يَاسِر، وهما أوَّلُ قَتِيلَيْنِ فِي الإسلام، وأما عَمَّارٌ فقد أعطاهم ما أرادوا بلسانه مُكْرَهًا. فقيل: يا رسولَ الله، إِنَّ عَمَّارًا كَفَرَ، فقال: «كَلَّا، إِنَّ عَمَّارًا مَلِيٌّ إِيْمَانًا مِنْ قَرْنِهِ إِلَى قَدَمِهِ، واخْتَلَطَ الإِيْمَانُ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ» فَاتَى عَمَّارٌ رَسولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَبْكِي، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَمَسُحُ عَيْنَيْهِ وَقَالَ: «مَا لَكَ؟! إِنْ عَادُوا لَكَ فَعُدُّ لَهُمْ بِمَا قُلْتَ». وَمِنْهُمْ جَبْرُ مولى الحَضْرَمِيِّ، أَكْرَهَهُ سَيِّدُهُ فَكَفَرَ، ثُمَّ أَسْلَمَ مَوْلَاهُ وَأَسْلَمَ، وَحَسُنَ إِسْلَامُهُمَا، وَهَاجِرًا. فَإِنْ قُلْتَ: أَيُّ الأَمْرَيْنِ أَفْضَلُ: أَفْعَلُ عَمَّارٌ أَمْ فَعَلَ أَبُوَيْهِ؟ قُلْتَ: بَلْ فَعَلَ أَبُوَيْهِ؛ لِأَنَّ فِي تَرْكِ التَّقِيَّةِ وَالصَّبْرِ عَلَى القَتْلِ إِعْزَازًا للإِسْلامِ.

وقد رُوي: أَنَّ مُسَيْلِمَةَ أَخَذَ رَجُلَيْنِ فَقال لِأَحَدِهِمَا: ما تَقولُ فِي مُحَمَّدٍ؟ قال: رَسولُ اللهِ. قال: فما تَقولُ فِي؟ قال: أَنْتَ أَيضًا، فَخَلَّاهُ. وَقَالَ لِالأَخرِ: ما تَقولُ فِي مُحَمَّدٍ؟

قوله: (إِعْزَازًا للإِسْلامِ)؛ لِأَنَّ المُخَالَفَ إِذا رَأى أَنَّ المُسْلِمَ يَبْذُلُ مَالَهُ وَرُوحَهُ دُونَ دِينِهِ أيقِنَ أَنَّ مِثْلَ هَذَا الدِّينِ لا يَكُونُ إِلاَّ حَقًّا، يَنْصُرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَتْ طَافِيئَةٌ مِّنْ أَهْلِ آلِ كَثَبٍ مَّامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا بآخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، أَي: يَشْكُونُ فِي دِينِهِمْ، يَقولونَ: ما رَجَعُوا، وَهُم أَهْلُ كِتابٍ<sup>(١)</sup> وَعِلْمٌ إِلاَّ لِأَمْرٍ قَدْ تَبَيَّنَ لَهُمْ. يُؤَيِّدُهُ ما رَوَيْنَا فِي «صَحِيحِ البُخاريِّ» وَ«مُسلِمٍ»، عَنِ أَبِي سَفيانَ: أَنَّ هِرَقْلَ سألَهُ عَنِ رَسولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحابِهِ: «هل يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنِ دِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ سَخَطَةٌ لَهُ؟ قال: قلتُ: لا. قال: ... وَكَذلِكَ الإِيْمَانُ إِذا خالَطَ بِشاشَتِهِ القُلُوبَ...» الحديث<sup>(٢)</sup>.

(١) من قوله: ﴿مَّامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا بآخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إلى هنا، لم يرد في (ح).

(٢) أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

قال: رسول الله. قال: فما تقول في؟ قال: أنا أصمّ. فأعاد عليه ثلاثاً، فأعاد جوابه، فقتله، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «أَمَّا الْأَوَّلُ فَقَدْ أَخَذَ بِرُخْصَةِ اللَّهِ، وَأَمَّا الثَّانِي فَقَدْ صَدَعَ بِالْحَقِّ، فَهَيْئًا لَهُ». ﴿ذَلِكَ﴾: إشارة إلى الوعيد، وأنَّ الغضب والعذاب يلحقانهم بسبب استحبابهم الدنيا على الآخرة، واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾: الكاملون في الغفلة الذين لا أحد أغفل منهم؛ لأنَّ الغفلة عن تدبير العواقب هي غاية الغفلة ومُنْتَهَاهَا.

قوله: (واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم)، جعل سبب وعيد من شرح بالكفر صدراً - وهم الذين ارتدوا بعدما دخلوا في الإسلام - شيئين؛ أحدهما: استحباب الحياة الدنيا على الآخرة، وفيه إشارة إلى فضل ما فعل أبو عمارة على عمارة. وثانيهما: استحقاق خذلان الله بكفرهم، وإنما علل الخذلان بالكفر؛ لأنَّ قوله: ﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ من وضع المظهر موضع المضمّر للعلية.

ثم أذن بأنهم أحقاء بأن يطبع على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم لذلك الوصفين بقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ﴾، وتمم بقوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾، واللام للجنس، ليُفِيدَ ما قال: «أولئك هم الكاملون في الغفلة»، أي: إن تصور حقيقة الغافلين، فهم لا يعدون تلك الحقيقة، ومن ثم قال: «الذين لا أحد أغفل منهم، ثم لما أراد أن يبين البون بين الفريقين والبعد بين المرتبتين، أعني: الثابتين على الإسلام، والناكسين عنه، قيل: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا قُتِلُوا﴾ الآية، وإليه الإشارة بقوله: «دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال أولئك».

وقوبل تلك التوكيدات السابقة بمجرد اللام في قوله: ﴿لِلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ حيث أوقعه خبراً لـ «إن»، على ما قال: «إنه هم لا عليهم، بمعنى أنه: وليهم وناصرهم لا عدوهم وخادهم»، يدل على المقابلة تفسير المؤلف قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ بقوله: «واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم»، ووضع المظهر موضع المضمّر في المتقابلين؛ لأنَّ قوله: ﴿لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا قُتِلُوا﴾ وضع موضع الرجوع إلى قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾، ففي الآيات جمع مع التقسيم والتفريق، فالجمع:

﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا  
وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ \* يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا  
وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَاعَمَلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿ ١١٠-١١١ ﴾

﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ ﴾ دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال أولئك، وهم عمارة وأصحابه. ومعنى: إن ربك لهم: أنه لهم لا عليهم، بمعنى: أنه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم، كما يكون الملك للرجل لا عليه؛ فيكون محميًا منفعًا غير مضرور. ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ﴾ بالعذاب والإكراه على الكفر.

وَقُرَى: (فَتِنُوا) على البناء للفاعل، أي: بعدما عذبوا المؤمنين، .....

قوله: ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ ﴾، والتقسيم: ﴿ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ ﴾، ﴿ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا ﴾، والتفريق: ﴿ وَأَنْتَ اللَّهُ لَا يَهْدِي ﴾، و﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا ﴾، والله أعلم بمرايه من كلامه.

ونحن إنما ساعدنا تفسيره ﴿ لَا يَهْدِي ﴾ بالخذلان، وتعليقه بالكفر، ليقابله قوله: ﴿ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا ﴾ إلى قوله: ﴿ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾؛ لأن الغفران مقابل للخذلان؛ لأننا ثبت للعبد أيضًا قدرة تميز بين الفعل الاختياري والقسري لتقوم حجة الله على عباده، وعلم من مفهوم كلامه أن قوله: ﴿ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا ﴾: خبر «إن»، والمقدر نحو ناصر وولي للذين هاجروا، لقرينة قوله: خذلان الله بكفرهم، لأنه مقابل له، كما سبق.

وقال أبو البقاء: خبر «إن»: ﴿ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾، و«إن» الثانية واسمها: تكرير للتوكيد، ومثله في هذه السورة: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ﴾ [النحل: ١١٩] الآية. وقيل: خبره محذوف؛ لأن خبر الثانية أغنى عن ذلك<sup>(١)</sup>.

قوله: (وَقُرَى: «فَتِنُوا»، على البناء للفاعل)، قرأها ابن عامر<sup>(٢)</sup>.

(١) «التيان في إعراب القرآن» (٢: ٨٠٨).

(٢) جعل الفعل لهم. يقال: فتنت الذهب: إذا امتحنته، فعرفت جيده من رديته، فمعنى القراءة أنهم

هجروا أوطانهم وقد عرفوا ما في ذلك من الشدة. انظر: «حجة القراءات»، ص ٣٩٥.

كالحِضْرَمِيِّ وأشباهه. ﴿مِنْ بَعْدِهَا﴾: من بعد هذه الأفعال؛ وهي: الهجرة والجهاد والصبر. ﴿يَوْمَ تَأْتِي﴾ منصوبٌ بـ ﴿رَجِيئٌ﴾، أو بإضمار: اذكُر. فإن قلت: ما معنى النَّفْسِ المُضَافَةِ إلى النفس؟ قلت: يقال لَعَيْنُ الشَّيْءِ وَذَاتُهُ: نَفْسُهُ، وفي نَقِيضِهِ: غَيْرُهُ، والنَّفْسُ: الجُمْلَةُ كما هي، فالنَّفْسُ الأُولَى: هي الجُمْلَةُ، والثانية: عَيْنُهَا وَذَاتُهَا، فكأنه قيل: يوم يأتي كلُّ إنسانٍ يُجَادِلُ عن ذاته لا يهْمُهُ شَأْنُ غَيْرِهِ، كلُّ يقول: نَفْسِي نَفْسِي.

قوله: (كالحِضْرَمِيِّ وأشباهه)، بيانٌ للفاعل في «عَدَّبُوا»، فإن الحِضْرَمِيَّ كما سبق في «الكشاف» عَذَّبَ عبده جَزْراً وأكْرَهه على الكُفْرِ، ثم أسلم الحِضْرَمِيَّ.

قوله: (﴿مِنْ بَعْدِهَا﴾ من بعد هذه الأفعال، وهي الهجرة والجهاد والصبر)، بناءً على أن الثانية ليست بتكرير، وعلى قول أبي البقاء: التقدير ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ من بعد الفتنة والجهاد والصبر.

قوله: (﴿يَوْمَ تَأْتِي﴾: منصوبٌ بـ ﴿رَجِيئٌ﴾ أو بإضمار: اذكُر)، والأوَّلُ أدخل في تأليفِ النَّظْمِ، ليقابل قوله: ﴿لَا جُزْمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾ [النحل: 109].

قوله: (فكأنه قيل: يوم يأتي كلُّ إنسانٍ يُجَادِلُ عن ذاته)، قال صاحبُ «الفرائد»: المُغَايِرَةُ شَرْطٌ بينَ المضافِ والمضافِ إليه لا ممتناعِ النَّسْبَةِ بدونِ المتسبِّين، ولذلك قالوا: يَمْتَنَعُ إِضَافَةُ الشَّيْءِ إلى نَفْسِهِ، إِلاَّ أَنَّ المُغَايِرَةَ قَبْلَ الإِضَافَةِ كَافِيَةٌ، وَهِيَ مُحَقَّقَةٌ هَاهُنَا؛ لِأَنَّ مِنْ (١) مُطْلَقِ النَّفْسِ لا يَلْزَمُ نَفْسُكَ، وَمِنْ نَفْسِكَ يَلْزَمُ النَّفْسُ، فَلَمَّا أُضِيفَ ما لا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ نَفْسِكَ إلى نَفْسِكَ إلى نَفْسِكَ، وَمِنْ نَفْسِكَ يَلْزَمُ النَّفْسُ، فَلَمَّا أُضِيفَ ما لا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ نَفْسِكَ إلى نَفْسِكَ صَحَّتِ الإِضَافَةُ، وَإِنْ اتَّحَدَتَا بَعْدَ الإِضَافَةِ، فَلِهَذَا جازَ «عَيْنُ الشَّيْءِ»، و«نَفْسُ الشَّيْءِ»، و«كُلُّ الشَّيْءِ»، ونحوها، ولَمَّا لم تكنِ المُغَايِرَةُ قَبْلَ الإِضَافَةِ في الأَسَدِ واللَّيْثِ، والحَبْسِ والمَنْعِ، لم يُجْز: أَسَدُ اللَّيْثِ: وَحَبْسُ المَنْعِ، وإِنَّمَا قُلْنَا: إِنَّ الاتِّحَادَ بَعْدَ الإِضَافَةِ لا

(١) سقط لفظ «من» من النسخة (ح).

ومعنى المجادلة عنها: الاعتذار عنها، كقوله: ﴿هَتُوْلَاءُ أَصْلُوْنَا﴾ [الأعراف: ٣٨]، ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، ونحو ذلك.

[﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ \* وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ ١١٢-١١٣]

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً﴾ أي: جعل القرية التي هذه حالها مثلاً لكل قوم أنعم الله

يُحِلُّ بالإضافة؛ لأنّ الاتحاد يحصل بالاختصاص، والاختصاص يحصل بالإضافة، فيكون الاتحاد أثر الإضافة، فكيف يكون مانعاً للإضافة؟

وقلت: قول المصنّف: «فالتنفس الأولى هي الجملة، والثانية عينها، معناه: أن اعتبار الماهية غير اعتبار الجملة، فإن الجملة يقع فيها اعتبار الماهية مع اعتبار أفرادها.

قوله: (أي: جعل القرية التي هذه حالها مثلاً)، ضمن ﴿ضَرَبَ﴾ معنى (جعل) ليصح المعنى؛ لأن معنى ضرب المثل: اعتياده وصنعه، من ضرب اللين والخاتم، كأنه جعل القرية الموصوفة بما يليها مفعولاً أولاً، و«مثلاً»: مفعولاً ثانياً، وقريب منه ذكر مكّي في قوله تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ [يس: ١٣] قال: أصح ما يعطي القياس والنظر في «مثل» و«أصحاب» أنّها مفعولان لـ «أضرب»، دليله قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ﴾ [يونس: ٣٤]، فلا اختلاف أنّ ﴿مَثَلُ الْحَيَوةِ﴾: ابتداءً و﴿كَمَاءٍ﴾: خبره. وقال في موضع آخر: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ﴾ [الكهف: ٤٥]، فدخل «أضرب» على الابتداء والخبر، فعمل فيها، فقد تعدّى «أضرب» الذي هو لتمثيل الأمثال إلى مفعولين بلا خلاف في هذا، فوجب أن يجري في غير هذا الموضع على ذلك<sup>(١)</sup>.

والفاء في قوله: «فيجوز أن يراد قرية» تفصيلية، والفاء في «فصربها الله مثلاً» متعلّق بقوله: «أن يكون في قرى الأولين قرية».

(١) انظر: «مشكل إعراب القرآن» لمكي بن أبي طالب القيسي (٢: ٦٠٠).



عليهم فأبطرَتهم النعمة، فكفروا وتولّوا، فأنزل الله بهم نِقْمَتَهُ. فيجوزُ أن تَرادَ قريةٌ مقدّرة على هذه الصّفة، وأن تكونَ في قُرى الأولين قريةٌ كانت هذه حالها، فصَرَبها الله مَثَلًا لمكّة؛ إنذارًا من مثلِ عاقبتها. ﴿مُطْمِئِنَّةٌ﴾: لا يُزعجُها خوف؛ لأنّ الطّمأنينة مع الأمن، والانزعاج والقلق مع الخوف. ﴿رَعْدًا﴾: واسعًا. والأنعم: جمع نعمة، على ترك الاعتدادِ بالثناء، كدِرْعٍ وأذْرُع. أو: جمع نُعم، كبؤسٍ وأبؤس. وفي الحديث: نادى منادي النبي ﷺ بالموسمِ بمنى: «إنها أيامُ طُعمٍ ونُعمٍ فلا تَصوموا». فإن قلت: الإذاقةُ واللّباسُ استعارتان، فما وجهُ صحّتهما؟ والإذاقةُ المُستعارةُ موقّعةٌ على اللّباسِ المُستعار، فما وجهُ صحّةِ إيقاعها عليه؟ قلت: أمّا الإذاقةُ فقد جَرَتْ عندهم مجرى

قوله: (إنها أيامُ طُعمٍ ونُعمٍ)<sup>(١)</sup>، وفي روايةٍ لمسلم: أنه صلواتُ الله عليه أمرَ خادِمته أن يُناديَ أيامَ التشريق: إنها أيامُ أكلٍ وشُربٍ<sup>(٢)</sup>.

قوله: (الإذاقةُ واللّباسُ استعارتان)، خلاصةُ السُّؤال: أنه سأل عن بيانِ استعارةِ ﴿فَأَذَقَهَا﴾ واستعارةِ ﴿لِبَاسِ الْجُوعِ﴾، وعن نسبةِ إحداهما إلى الأخرى، فإنه تعالى أوقع إحدى الاستعارتين مفعولًا للأخرى.

قوله: (أمّا الإذاقةُ)، يريدُ أن الإذاقةَ بعدما كانت مستعارةً للإدراكِ والإصابة، صارت حقيقةً في الإصابةِ بسببِ كثرةِ استعمالها وشيوعها فيها، ثمّ انتَهَضَ لبيانِ الجوابِ عن الاستعارةِ الأولى على سبيلِ الاستئناف، بأن قال: شبه ما يُدرِكُ، أي: شبه ما يُدرِكُ الإنسانُ من أثرِ الصّرَرِ بما يُحسُّ من طُعمِ المرِّ والبشعِ، ثمّ أدخلَ المشبّهةَ في جنسِ ما يُدرِكُ من الطُعمِ، ثمّ أطلقَ ما يُدرِكُ بالفعلِ على اسمِ ما يُحسُّ بالقم، هذا تقريرُ أصلِ الاستعارة، وأنها مسبوقةٌ بِمَثَلٍ<sup>(٣)</sup> هذا التشبيهِ، لا بيانِ أنها استعارةٌ تبعيّةٌ؛ لأنّ قوله: «ما يُدرِكُ من أثرِ الصّرَرِ»، بفتحِ

(١) ذكره الزيلعيُّ في «تخريج أحاديث الكشّاف» (٢: ٢٤٨) وقال: غريبٌ جدًّا.

(٢) أخرجه مسلم (١١٤١)، وأبو داود (٢٨١٣)، والنسائي (٥: ٢٥٢)، والترمذي (٧٧٣)، وصححه ابن حبان (٣٦٠٣)، وفيه تمامٌ تخريجه.

(٣) في النسخ الخطية: «مسبوقةٌ بمَثَلٍ»، ولعلّ ما أثبتناه هو الأشبه بالصواب.

الحقيقة؛ لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمسُّ الناسَ منها، فيقولون: ذاقَ فلانُ  
البؤسَ والضرَّ، وأذاقه العذاب؛ شُبِّهَ ما يُدْرَكُ من أثرِ الضرِّ والألم بما يُدْرَكُ من طعمِ

الراء، اسمٌ مفعول، وهو مثلُ الفِعْلِ في امتناع إيقاع الاستعارة فيه لامتناع وقوعه موصوفاً،  
ولو أُريدَ تقريرُ التبعيةِ لقليل: شُبِّهَتْ إصابةُ العذابِ وحُوقُه بهم بإذاقه<sup>(١)</sup> الطعمِ البَشِيعِ المرِّ،  
ثُمَّ سَرَّتِ الاستعارةُ من الإذافةِ<sup>(٢)</sup> إلى «أذاق»، فيكونُ استعارةً مُصرِّحةً تَبَعِيَّةً؛ لأنَّ المُشَبَّهَ  
المتروكَ أمرٌ عقليٌّ، وإنَّما اضطرُّرٌ إلى هذا التأويلِ، لأنَّ الاستعارةَ وَقَعَتْ في لباسِ الجوعِ، وقد  
فَرَعَ عليها ﴿فَأَذَقَهَا﴾، وهو لا يُناسِبُها ترشيحاً ولا تجريدًا فيُجَعَلُ بمعنى الإصابةِ ليكونَ  
تجريدًا.

الرَّاعِبُ: الذَّوْقُ: وجودُ الطَّعمِ بالقَمِّ، وأصلُه فيما يَقْلُ تناوُلُه دونَ ما يَكثُرُ، فإنَّ ما يَكثُرُ  
منهُ يقالُ له: الأكلُ، واختيرَ في التنزيلِ لفظُ الذَّوْقِ في العذابِ لأنَّ ذلكَ وإن كان في التعارُفِ  
للقليلِ فهو مُستصلِحٌ للكثيرِ، فخصَّه بالذكرِ ليعمَّ الأمرينِ، وكثُرَ استعمالُه في العذابِ  
نحو: ﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦]، وقد جاءَ في الرَّحْمَةِ نحو: ﴿وَلَكِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا  
رَحْمَةً﴾ [هود: ٩] ويُعبَّرُ به عن الاختبارِ، فيقال: أذقته كذا فذاق. ويقال: فلانٌ ذاقَ كذا،  
وأنا أكلته، أي: خبرته أكثرَ مما خبر<sup>(٣)</sup>.

وقال: الطَّعمُ: تناوُلُ الغداءِ، ويُسمَّى ما يُتناوَلُ منه طَعْمٌ وطَعامٌ، ورجلٌ طاعِمٌ: حَسَنُ  
الحالِ<sup>(٤)</sup>. وقولُه تعالى: ﴿فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَأْسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾، فاستعمالُ الذَّوْقِ معَ اللباسِ  
من أجلِّ أنه أُريدَ به التجربةُ والاختبارُ، أي: فجعلها بحيث تُمارِسُ الجوعَ والخوفَ. وقيل:  
إنَّ ذلكَ على تقديرِ كلامينِ، كأنه قيل: أذاقها الجوعَ والخوفَ والبسها لباسها.

(١) في النسخة (ف): وتحرفه.

(٢) في (ح) و(ف): «الإضافة».

(٣) «مفردات القرآن»، ص ٣٣٢.

(٤) «المصدر السابق»، ص ٥٢٠.

المُرِّ والبَيْشِ. وَأَمَّا اللَّبَاسُ: فقد شُبِّهَ به؛ لاشتِمَالِهِ على اللباس؛ ما غَشِيَ الإنسانَ والتَّبَسَّ به من بعضِ الحوادث. وَأَمَّا إيقاعُ الإذاعةِ على لباسِ الجُوعِ والخوفِ؛ فلأنه لَمَّا وَقَعَ عبارةٌ عَمَّا يَغشىَ منها ويُلبَسُ، فكأنه قيل: فأذاقَه ما غَشِيَهُم من الجوعِ والخوفِ، ولهم في نحو هذا طريقانِ لا بدَّ من الإحاطةِ بهما، فإنَّ الاستنكارَ لا يقعُ إلا لمن فَقَدَهُما: أحدهما: أن يَنْظُرُوا فيه إلى المستعارِ له، كما نُظِرَ إليه هاهنا، ونحوه قولُ كَثِيرٍ: .....

قوله: (وأما اللباسُ)، هذا هو الجوابُ عن بيانِ الاستعارةِ الثانيةِ، أي: شبه ما يغشى الإنسانَ ويتلبسُ به من أثرِ الجوعِ والخوفِ باللباسِ الحقيقيِّ، والجامعُ: كونُهما مُشتمَلينِ على الإنسانِ وغاشيينِ له، ثم أُطلقَ اسمُ اللباسِ على ما يغشى الإنسانَ من أثرِهما، وجعلَ إضافتهُ إليهما قرينةً مانعةً عن إرادةِ الحقيقةِ، فهي استعارةٌ مصرحةٌ أصليةٌ تحقيقيةةٌ، لكونِ المشبِّهِ المتروكِ عَقْلِيًّا.

قوله: (وأما إيقاعُ)، هو الجوابُ عن نسبةِ إحدى الاستعارَتَيْنِ إلى الأخرى، وتقديرُه أن نسبةَ الاستعارةِ الأولى إلى الثانيةِ بعدما جُعِلت حقيقةً في الإصابةِ والإدراكِ بسببِ كثرةِ الاستعمالِ نسبةً تفريعٍ شيءٍ على أصل، ولَمَّا كانتِ الإذاعةُ<sup>(١)</sup> التي هي بمعنى الإصابةِ صفةً ملائمةً لغشيانِ الجُوعِ والخوفِ المُشبِّهِ باللباسِ جُعِلت تجريدًا لها، وهذا هو المرادُ من قوله: «فلأنه لَمَّا وَقَعَ عبارةٌ عما يغشى - أي: فلأن اللباسَ لما وقع عبارةٌ عما يغشى - منها» فكأنه قيل: فأذاقَهُم، أي: أصابَهُم ما غَشِيَهُم.

قوله: (ولهم في نحو هذا)، أي: العَرَبُ في نحوِ تفريعِ أذاقها على لباسِ الجُوعِ، طريقانِ: طريقُ التجريدِ، وهو أن يُفَرِّعَ على الاستعارةِ بعدَ تمامِها صفةً ملائمةً للمستعارِ له كما نحن بصدده. وطريقُ الترشيحِ، وهي أن يُفَرِّعَ عليها صفةً ملائمةً للمستعارِ منه كما في المثالِ الآتي.

(١) في (ح) و(ف): «الإضافة».

عَمْرُ الرَّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا      غَلِقَتْ لِضِحْكِهِ رِقَابُ الْمَالِ

استعار الرداء للمعروف؛ لأنه يَصُونُ عِرْضَ صاحبه صَوْنَ الرداء لِمَا يُلقَى عليه. ووصفه بالغمر الذي هو وصفُ المعروف والنوال، لا صفة الرداء؛ نظرًا إلى المُستعارِ له. والثاني: أن يَنْظُرُوا فيه إلى المستعار، كقوله:

يُنَازِعُنِي رِدَائِي عَبْدُ عَمْرٍو      رُوَيْدَكَ يَا أَخَا عَمْرٍو بِنِ بَكْرِ  
لِي الشُّطْرُ الَّذِي مَلَكَتْ يَمِينِي      وَدُونَكَ فَاعْتَجِرْ مِنْهُ بِشْطِرٍ

قوله: (عَمْرُ الرَّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ) البيت<sup>(١)</sup>، «غمر الرداء» أي: كثيرُ العطاء، يقال: غَلِقَ الرَّهْنُ: إِذَا اسْتَحَقَّهُ الْمُرْتَهِنُ، وذلك إِذَا لَمْ يُقْتَكْ فِي الْوَقْتِ الْمَشْرُوطِ. قال زهير:

وَفَارَقْتَكْ بِرَهْنٍ لَا فِكَالَ لَهُ      يَوْمَ الْوِدَاعِ فَأَمَسَى الرَّهْنُ قَدْ غَلِقَا<sup>(٢)</sup>

أي: ارتهنت قلبه فذهبت به، يقول: إِذَا ضَحِكَ ضِحْكَةً أَيَقِنَ السَّائِلُ أَنَّهُ بِذَلِكَ التَّبَسُّمِ اسْتَغْلَقَ رِقَابَ مَالِهِ وَيُعْطِي بِلا خِلافٍ.

قوله: (ووصفه بالغمر الذي هو وصف للمعروف<sup>(٣)</sup>)، أي: قرع على المستعار له، لأنَّ العَمْرَ مناسبٌ للمعروفِ لا على المستعار؛ لأنَّ العَمْرَ غيرُ مناسبٍ للرِّدَاءِ. وقلتُ: وفيه عُدُولٌ عن الظاهر؛ لأنَّ العَمْرَ ليسَ صفةً حَقِيقِيَّةً لِلنَّوَالِ والمعروفِ، بل هو وَصْفٌ لِلْبَحْرِ المستعارِ أَوَّلًا للمعروفِ، يقال: غَمْرَةُ الْمَاءِ يَغْمُرُهُ غَمْرًا، أي: علاه، والغَمْرُ: الْمَاءُ الْكَثِيرُ، فهو هاهنا تجريدٌ للاستعارة بعد أن كان ترشيحًا، وهذا المثالُ المستشهدُ به يُشْبِهُ استعمالَهُ استعمالَ الآيةِ في أَنَّ التَّجْرِيدَ لَيْسَ تَجْرِيدًا مُحْضًا.

قوله: (يَنْظُرُوا فيه إلى المستعار)، أي: المستعارِ منه.

قوله: (يُنَازِعُنِي رِدَائِي)، البيتين<sup>(٤)</sup>، الاعتجَارُ: لَفُّ الْعِمَامَةِ مِنْ غَيْرِ إِدَارَةٍ تَحْتَ الْحَنَكِ.

(١) لكثير عزة في «ديوانه»، ص ١٨٣.

(٢) «ديوان زهير»، ص ٧.

(٣) كذا في الأصول الخطية، وفي «الكشاف»: «وصف المعروف»، والأمر فيه قريب.

(٤) لم أهد إلى قائل البيتين فيما بين يدي من مصادر التخريج.

أراد برده سَيْفَهُ، ثم قال: «فاعتجز منه بشَطْر»، فنظّر إلى المُستعارِ في لفظ الاعتِجارِ، ولو نظّر إليه فيما نحن فيه لقليل: فكساهم لباسَ الجوع والخوف، ولقال كثير: ضافي الرداء إذا تبسّم ضاحكًا. ﴿وَهُمْ ظَلِمُوا﴾ في حالِ التّباسهم بالظلم، كقوله: ﴿الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ﴾ [النحل: ٢٨]. نعوذُ بالله من مُفاجأة النّقمةِ والموت على العفلة. وقرئ: (والخوف)؛ عطفًا على اللباس، أو على تقدير حذفِ المُضَافِ وإقامةِ المُضَافِ إليه مقامه، أصله: ولباسَ الخوف. وقرئ: (لباسَ الخوفِ والجوع).

[﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَالْحَمَّ الْخِزِيرَ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۗ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بِلَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ١١٤-١١٥]

لما وعظهم بما ذكر من حال القرية وما أوتيت به من كُفْرِها وسوء صنيعها،

الجوهري: الاعتجارُ: لفُ العِمامةِ على الرَّأس. قال الرَّاجِزُ<sup>(١)</sup>:

جاءت به مُعتَجِرًا بِرُودِهِ

يقول: يُجاذِبني سَيْفِي عبدُ عمرو، يريد أن يأخذَه مِنِّي، فقلت: رُوَيْدَكَ! فلي النّصفُ الأعلى منه الذي هو في يميني، وخذ أنت النصفَ الآخرَ منه، فلفّ على رأسِك. ومثله قول الآخر:

تُقاسِمُهُم أسِيفنا شرَّ قسِمةٍ      ففينا غواشيها وفيهم صُدورُها<sup>(٢)</sup>

قوله: (ضافي الرداء)، أي: سابغُه.

قوله: (وما أوتيت به من كُفْرِها)، أي: أهلكت، الضميرُ في (به) للموصول، يقال: أتى عليهم الدهر، أي: أهلكهم وأفناهم، وأصله من إتيانِ العدو.

(١) هو دكين الرّاجز. انظر: «الصّحاح» للجوهري (٢: ٧٣٧).

(٢) البيت لجعفر بن عُلبة الحارثي. ذكره الحمدوني في «التذكرة» (١: ٢٦٢)، وقبّله:

لا يكشفُ الغتاءَ إلا ابنُ حُرّة      يرى غمراتِ الموتِ ثم يزورها

وَصَلَ بِذَلِكَ بِالْفَاءِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَكُلُوا﴾؛ صَدَّهُمْ عَنْ أفعالِ الجاهليَّةِ ومذاهبِهِمِ الفاسدةِ التي كانوا عليها، بأنَّ أمرَهُمْ بأكلِ ما رَزَقَهُمُ اللهُ مِنَ الحلالِ الطيبِ، وشكْرِ

قوله: (وَصَلَ بِذَلِكَ بِالْفَاءِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَكُلُوا﴾ صَدَّهُمْ عَنْ أفعالِ الجاهليَّةِ ومذاهبِهِمِ الفاسدةِ)، بيانٌ لربطِ الآياتِ مِنْ لَدُنْ مَفْتَحِ السُّورَةِ، ولقد أسلفنا أنَّ هذه السُّورَةَ فِي بيانِ سوءِ أفعالِ قُرَيْشٍ وقبائِحِهِمِ، وفي تذكاريهِمِ ما حوَّلَ اللهُ لَهُمِ مِنْ أنواعِ النِّعَمِ، وفي إنذارِهِمِ بِنِقَمِ اللهِ، وما حَلَّ بِمَنْ سَبَقَ مِنَ الأُمَّمِ الخاليةِ، ولما عدَّدَ عَلَيْهِمِ النِّعَمَ المتكاثرةَ مِنْ ذِكْرِ الأنعامِ وفوائدها وثمراتِ النخيلِ ومنافعِ ما يصلُ إِلَيْهِمِ مِنَ النَّخْلِ، وأنذَرَهُمِ بِأنواعِ مِنَ النَّذْرِ، ثُمَّ نَعَى عَلَيْهِمِ ما كانوا يَفْتَرُونَ على اللهِ مِنَ اتِّخَاذِ البَناتِ، وقال: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ المُنْفِقَ﴾ [النحل: ٦٢]، وأرادَ أَنْ يذكَرَ نوعاً آخَرَ مِنْ أفعالِهِمِ، وهو تحليلُهُمِ بأهوائِهِمِ ما حَرَّمَ اللهُ مِنْ أَكْلِ المَيْتَةِ والدِّمِ ولحمِ الخنزيرِ، وتحريمِهِمِ ما أحلَّهُ اللهُ مِنَ البحائرِ والسَّوائِبِ والوصائلِ والحامِ، وقولِهِمِ: ﴿مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِدُكُونِنا وَمَحَرَّمٌ عَلَنا أَرْوَجِنا﴾ [الأنعام: ١٣٩]، عَقَبَ ذلكَ ضَرْبَ المثلِ بقوله: ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرِيبةً﴾ الآية، لِيكونَ كالتخلُّصِ إلى قَوْلِهِ: ﴿فَكُلُوا﴾، فَرَدَفَ بقوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾، ويَدُلُّ عليه تَكَرُّرُ قَوْلِهِ: ﴿نَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الكَذِبَ﴾.

فظَهَرَ مِنْ هذا التقريرِ أَنَّ المأمورَ بِهِ هو ما عدَّدَ اللهُ مِنْ أوَّلِ السُّورَةِ مِنَ المأكولِ والمشروبِ. أمَّا المأكولُ فمنها قوله: ﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَها لَكُمْ﴾ إلى ﴿وَمِنْها تَأْكُلُونَ﴾ [النحل: ٥] ومنها قوله: ﴿يُنْبِثُ لِكُرْبِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَبَ وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ﴾ [النحل: ١١]، ومنها قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ البَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ [النحل: ١٤]، وأمَّا المشروبُ فمنها قوله: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ماءً لِكُرْمِنتِهِ شَرابًا﴾ [النحل: ١٠]<sup>(١)</sup>، ومنها قوله: ﴿وَإِنَّ لِكُرْفِ الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً تُشْفِيكُمْ بِمِائِها فِي بُطُونِها﴾ [النحل: ٦٦]،

(١) من قوله: «ومنها قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ البَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ إلى هنا لم يرد في (ح).

إِنْعَامِهِ بِذَلِكَ، وَقَالَ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ يعني: تُطِيعُونَ. أَوْ: إِنْ صَحَّ زَعْمُكُمْ أَنَّكُمْ تَعْبُدُونَ اللَّهَ بِعِبَادَةِ الْآلِهَةِ؛ لِأَنَّهَا شُفَعَاؤُكُمْ عِنْدَهُ. ثُمَّ عَدَّدَ عَلَيْهِمْ مُحَرَّمَاتِ اللَّهِ، وَنَهَاهُمْ عَنِ تَحْرِيمِهِمْ وَتَحْلِيلِهِمْ بِأَهْوَائِهِمْ وَجَهَالَاتِهِمْ، دُونَ اتِّبَاعِ مَا شَرَعَ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ أَنْبِيَائِهِ.

[﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ \* مَتَّعَ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٦﴾ - [١١٧]

وإنتصابُ «الكذب» بـ ﴿لَا تَقُولُوا﴾، على: وَلَا تَقُولُوا الكذبَ لِمَا تَصِفُهُ أَلْسِنَتُكُمْ مِنَ الْبَهَائِمِ بِالْحَلِّ وَالْحُرْمَةِ فِي قَوْلِكُمْ: ﴿مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لَكُمْوَرِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَرْوَجِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٩] مِنْ غَيْرِ اسْتِنَادِ ذَلِكَ الْوَصْفِ إِلَى وَحْيٍ مِنَ اللَّهِ أَوْ إِلَى قِيَاسٍ مُسْتَنَدٍ إِلَيْهِ. وَاللَّامُ مِثْلُهَا فِي قَوْلِكَ: وَلَا تَقُولُوا لِمَا أَحَلَّ اللَّهُ: هُوَ حَرَامٌ. وَقَوْلُهُ: ﴿هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿الْكَذِبَ﴾. وَيَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِـ ﴿تَصِفُ﴾ عَلَى إِرَادَةِ الْقَوْلِ، أَي: وَلَا تَقُولُوا الكذبَ لِمَا تَصِفُهُ أَلْسِنَتُكُمْ، فَتَقُولُ: هَذَا

ومنها: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ [النحل: ٦٧]، ومنها: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩]، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَوْلُهُ: (أَوْ إِنْ صَحَّ زَعْمُكُمْ أَنَّكُمْ تَعْبُدُونَ اللَّهَ)، يَعْنِي: جَاءَتِ الشَّرْطِيَّةُ مُؤَكَّدَةً لِلْكَلَامِ، فَإِنَّمَا أَنْ تُحْمَلَ الْعِبَادَةُ عَلَى الطَّاعَةِ لِطَبَاقِ الْأَمْرِ، وَهُوَ: ﴿فَكُلُوا﴾، أَوْ أَنْ تُجْرَى عَلَى حَقِيقَتِهَا، لَكِنْ عَلَى الزَّعْمِ الْكَاذِبِ.

قَوْلُهُ: (وإنتصابُ «الكذب» بـ ﴿لَا تَقُولُوا﴾)، وَهُوَ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا بِهِ، وَأَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا مَطْلَقًا، وَقَدْ مَضَى عَنِ ابْنِ الْحَاجِبِ أَنَّ مِثْلَ هَذَا يَتَنَبَّهُ عَلَى أَنَّ الْقَوْلَ يَتَعَدَّى أَوْ لَا يَتَعَدَّى، ففِيهِ قَوْلَانِ: فَإِنْ تَعَدَّى فَهُوَ مَفْعُولٌ بِهِ، وَإِلَّا فَمَفْعُولٌ مَطْلُوقٌ.

قَوْلُهُ: (وَيَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ - أَي: ﴿هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ - بِـ ﴿تَصِفُ﴾ عَلَى إِرَادَةِ الْقَوْلِ)،

حلالٌ وهذا حرام. ولك أن تنصب ﴿الْكَذِبَ﴾ بـ ﴿تَصِفُ﴾، وتجعل «ما» مصدرية، وتعلق ﴿هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ بـ ﴿لَا تَقُولُوا﴾، على: ولا تقولوا: هذا حلالٌ وهذا حرام؛ لوصف ألسنتكم الكذب، أي: لا تحرموا ولا تحللوا لأجل قول تنطق به ألسنتكم ويجول في أفواهكم، لا لأجل حجة بيّنة، ولكن قول ساذج ودعوى فارغة. فإن قلت: ما معنى وصف ألسنتهم الكذب؟ قلت: هو من فصيح الكلام وبلوغه، جعل قولهم كأنه عين الكذب ومخضه، فإذا نطقت به ألسنتهم فقد حلت الكذب

فالفاء في: «فتقول» في الكتاب كالفاء في قوله: ﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤].

قوله: (ولك أن تنصب ﴿الْكَذِبَ﴾ بـ ﴿تَصِفُ﴾)، عطف على قوله: «وانتصاب الكذب بـ ﴿لَا تَقُولُوا﴾»، و﴿مَا﴾: مصدرية، واللام بمعنى: لأجل، وعلى الأول موصولة، واللام صلة لقوله: ﴿لَا تَقُولُوا﴾.

قوله: (جعل قولهم كأنه عين الكذب ومخضه)، قال الإمام والقاضي: كأن ماهية الكذب وحقيقته مجهولة، وكلامهم يكشف عن حقيقة الكذب ويوضح ماهيته<sup>(١)</sup>، أراد أن قوله: ﴿تَصِفُ﴾ بمعنى: توضح وتبين؛ لأن بعض الصفات بمنزلة الكاشف عن المحدود، والتعريف في الكذب للجنس، فكان ألسنتهم إذا أخذت في النطق وصفت ذلك الجنس وكشفت عن حقيقته، وعليه قول أبي العلاء:

سرى بَرَقُ المعرّة بعدَ وهنِ  
فباتِ بِرَامَةٍ يَصِفُ الكَلالاً<sup>(٢)</sup>

هذا، وأما ما عليه ظاهر كلام المصنف، فهو أن أصل الكلام: لا تقولوا: هذا حلالٌ وهذا حرامٌ، لأجل قولكم الكذب. فالقول وصف بالكذب في قوله: «لأجل قول تنطق به ألسنتكم» ليؤذن بأن ذلك تقوه وتقول من غير تحقيق، كقوله: ﴿ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤]، وإليه الإشارة بقوله: «لا لأجل حجة بيّنة»، ثم زيد في المبالغة بأن قيل: ﴿تَصِفُ أَلْسِنَتِكُمُ الْكَذِبَ﴾ ليعلم أن قولهم - لكثرة اتصافه بالكذب - صار بمنزلة

(١) انظر: «مفاتيح الغيب» (٢٠: ١٣٢)، و«أنوار التنزيل» (٣: ٤٢٤).

(٢) «ديوان سقط الزند» للمعري، ص ٥١.



بحليته وصورته بصورته، كقولهم: وجهها يصف الجمال، وعينها تصف السحر. وقرئ: (الكذب) بالجرّ صفة لـ «ما» المصدرية، كأنه قيل: لوصفها الكذب، بمعنى

الواصف له، فإذا نطقت ألسنتهم بالكذب، فقد حلت الكذب بحليته، ونحوه في المبالغة: نهاره صائمٌ وليله قائم، فوصف اليوم الذي يصوم فيه هذا الشخص بصفته، لكثرة صدور هذا الفعل فيه، ولذلك وجهها<sup>(١)</sup> كان موصوفاً بالجمال الفائق، ثم صار حقيقة الجمال ومنبعه، بحيث هو الذي يصف الجمال، كقول القائل:

أضحت يمينك من جود مصورةً لا بل يمينك منها صورة الجود<sup>(٢)</sup>

فالأسلوب من الإسناد المجازي. أو تقول: إن وجهها يصف الجمال بلسان الحال، على الاستعارة المكنية، بأن تقول: إنها بي من الشكل والعنج والدلال والملاحة، هو الجمال بعينه، وقريب منه:

وبي ظني أنس كمل الله حسنة وقال لأبصار الخلائق عوذ<sup>(٣)</sup>

وعن بعضهم: يعني وجهه يذكّر ويظهر فيه شيئاً فيه الجمال، وهو الملاحظة التي هي سبب الجمال.

قوله: (صفة لـ «ما» المصدرية)، وهي حرف، والحروف لا توصف، والمراد وصف «ما» مع مدخولها، وهو وصف ألسنتكم، وتعلم منه أن «ما» مع ما بعدها معرفة؛ لأنها شبيهة بـ «أن» المصدرية وهي حرف والحروف لا توصف، وهي مع ما بعدها معرفة. قال أبو البقاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا﴾: الجُمهورُ على فتح اللام على أن اسم «كان» ما بعد «إلا»، وهو أقوى من أن يجعل خبراً، والأول أسماً؛ لأن «أن قَالُوا» يشبه

(١) يعني: وجهها يصف الجمال.

(٢) البيت للحسين بن مطير، قاله في مدح المهدي. انظر: «الأغاني» (١٦: ٢٩)، وعزاه ابن حمدون في «التذكرة» (١: ٩٤) لأعرابي يمدح معن بن زائدة، ويَعده:

بنور وجهك تُضحى الأرض مشرقةً ومن بنائك يجري الماء بالعود

(٣) البيت لابن حمدون في «تذكرته» (١: ٥٠) من أبيات ومقطعات قالها في أيام الفرارة والضبا.

الكاذب، كقوله تعالى: ﴿يَدْمِرْ كَذِبٍ﴾ [يوسف: ١٨]. والمراد بالوصف: وصفها البهائم بالحلّ والحُرمة. وقُرئ: (الكُذْب)؛ جمع كَذُوب، بالرّفع، صفةً لللسنة، وبالنصبِ على الشّتم، أو بمعنى: الكلام الكواذب، أو هو جمعُ الكِذاب من قولك: كَذَبَ كِذَا بًا، ذكره ابنُ جنّي. واللامُ في ﴿لِنَفْتَرُوا﴾ من التعليل الذي لا يتضمّنُ معنى الغرض. ﴿مَتَّعَ قَلِيلٌ﴾ خبرٌ مبتدأٌ محذوف، أي: منفعتهم فيما هم عليه من أفعالٍ الجاهليّة منفعةٌ قليلةٌ وعقابها عظيم.

[﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [١١٨]

المُضْمَرُ في أنه لا يوصف وهو أعرف<sup>(١)</sup>، وذهبَ هنا إلى أنّ الكِذِبَ: بدلٌ من «ما»، سواء جعلتها مصدريةً أو بمعنى «الذي»<sup>(٢)</sup>. وكذا عن ابنِ جنّي<sup>(٣)</sup>.

قوله: (﴿يَدْمِرْ كَذِبٍ﴾ [يوسف: ١٨])، قال أي: ذي كِذِب، أو وَصَفَ بالمصدرِ مبالغةً، كأنه نفسُ الكِذِب.

قوله: (أو هو جمعُ الكِذاب)، قال أبو البقاء: ويُقرأ بضمِّ الكافِ والذالِ وفتحِ الباءِ، وهو جمعُ كِذاب، بالتخفيفِ، مثل: كتابٍ وكُتِبَ، وهو مصدرٌ. وهي معنى قراءةٍ من قرأ بفتحِ الكافِ والباءِ وكسرِ الذالِ، وهو منصوبٌ بـ ﴿نَصِيفٌ﴾ و«ما» مصدرية<sup>(٤)</sup>.

قوله: (ذكره ابنُ جنّي)، وعن بعضهم: ابنُ جنّي، بسكونِ الياءِ، وليست بياءِ النسبِ، وهو في الأصلِ كُنِّيَ فَعَرَّبَ وبُني بالسكونِ، وكذا وَجَدْتُ بِحَطِّ مولاي بهاءِ الدّينِ القاشي رحمةُ الله.

قوله: (من التعليل الذي لا يتضمّنُ معنى الغرض)، فيكونُ للعاقبةِ والصّيرورة.

(١) «التيان في إعراب القرآن» (١: ٣٠٠).

(٢) المصدر السابق (٢: ٨٠٩).

(٣) قاله في «المحتسب» (٢: ١٢)، وهو الذي نزع إليه ابن الأنباري في «البيان في إعراب القرآن» (٢: ٨٤).

(٤) «التيان في إعراب القرآن» (٢: ٨٠٩).

﴿مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾: يعني: في سورة الأنعام.

[﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ بِجَهَلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ١١٩]

﴿بِجَهَلَةٍ﴾ في موضع الحال، أي: عَمِلُوا الشُّوْءَ جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه، أو: غير متدبرين للعاقبة؛ لغلبة الشهوة عليهم. ﴿مِنْ بَعْدِهَا﴾: من بعد التوبة.

[﴿إِنَّ إِنْزَاهِيَهُ كَانَتْ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ خَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ \* شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ أُجْتَبِنَهُ وَهَدَانَهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \* وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ١٢٠-١٢٢]

﴿كَانَتْ أُمَّةً﴾ فيه وجهان: أحدهما: أنه كان وحده أُمَّةً من الأمم؛ لكمالِه في جميع صفات الخير، كقوله:

ليس من الله بمُستنكرٍ أن يجمع العالم في واحدٍ

قوله: (يعني: في سورة الأنعام)، أي: قوله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُلْفُرٍ﴾ [الأنعام: ١٤٦] الآية، واتصال هذه بما قبلها كاتصالها به، وسيجيء بيان الربط<sup>(١)</sup> إن شاء الله.

قوله: (ليس من الله بمُستنكرٍ) البيت<sup>(٢)</sup>، يُروى: «الله»<sup>(٣)</sup>، يعني: أن الله تعالى قادرٌ على أن يجمع في واحدٍ ما في الناس من معاني الفضل والكمال.

(١) في (ط): «وسيجيء بيانه».

(٢) لأبي نواس في «ديوانه»، ص ٢٨٨، قاله في وصف الفضل البرمكي مستعطفًا الرشيد في إقالة عشرته.

(٣) لكن بإثبات واو في أوله: «وليس لله»، وهو ما وقع في الأصل الخطي من «الكشاف»، والأول هو ما ورد في متن «الكشاف» من (ط).

وعن مجاهد: كان مؤمناً وحده والناس كلهم كفار. والثاني: أن يكون «أمة» بمعنى: مأموم، أي: يؤمّه الناس؛ ليأخذوا منه الخير، أو بمعنى: مؤتمّ به، كالرُحلة والنُجبة، وما أشبه ذلك مما جاء من فُعلة بمعنى مفعول، فيكون مثل قوله: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤]. وروى الشعبي عن فروة بن نوفل الأشجعي، عن ابن مسعود أنه قال: إنَّ مُعَاذًا كَانَ أُمَّةً قَانَتَا لِلَّهِ، فَقُلْتُ: غَلَطْتَ، إِنَّمَا هُوَ إِبْرَاهِيمَ. فقال: الأمة: الذي يُعَلِّمُ الْخَيْرَ، وَالْقَانَتُ: الْمُطِيعُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَكَانَ مُعَاذٌ كَذَلِكَ. وعن عمر رضي الله عنه - أنه قال حين قيل له: أَلَا تَسْتَخْلِفُ؟ -: لَوْ كَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ حَيًّا لَأَسْتَخْلَفْتُهُ، وَلَوْ كَانَ مُعَاذٌ حَيًّا لَأَسْتَخْلَفْتُهُ، وَلَوْ كَانَ سَالِمٌ حَيًّا لَأَسْتَخْلَفْتُهُ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

قوله: (بمعنى: مأموم)، أي: مقصود، «يؤمّه الناس» أي: يقصدونه ليأخذوا منه الخير. الجوهري: الأمّ، بالفتح: القصد. يقال: أمّه وأمّه وتأمّه؛ إذا قصدّه.

قوله: (أو بمعنى: مؤتمّ به)، الجوهري: أتمت القوم في الصلاة إمامة، وأتمّ به، أي: اقتدى به.

قوله: (كالرُحلة والنُجبة)، الجوهري: الرُحلة بالضمّ: الوجه الذي يُريدُه، يقال: أنتم رُحلتِي، أي: الذين أرتحل إليهم، والانتخاب: الاختيار، والنُجبة مثل النُجبة، يقال: جاءني في نُجْبٍ من أصحابه، أي: خيارهم.

قوله: (وروى الشعبي عن فروة بن نوفل)، الحديث بتمامه روى قريباً منه ابن عبد البر في «الاستيعاب»<sup>(١)</sup>.

قوله: (ولو كان سالم حياً لاستخلفته)، وفي «الكامل» لابن الأثير: أن عمر رضي الله عنه قيل له: لو استخلفت؟ قال: لو كان أبو عبيدة حياً لاستخلفته، وقلتُ لربي إن سألني<sup>(٢)</sup>:

(١) «الاستيعاب» (٣: ١٤٠٧)، وأخرجه الطبري في «التفسير» (١٤: ١٩١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩٩٤٦)، والحاكم في «المستدرک» (٣: ٢٧١). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩: ٣٧٩): رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح، غير حجاج بن إبراهيم، وهو ثقة.  
(٢) في النسخة (ح): «لو».

«أبو عبيدة أمينُ هذه الأُمَّة، ومُعَاذُ أُمَّةٍ قانتُ لله، ليس بينَهُ وبينَ الله يومَ القيامةِ إلا المرسلون، وسالمٌ شديدُ الحُبِّ لله، لو كان لا يَخَافُ اللهَ لم يَعْصِهِ»، وهو ذلك المعنى، أي: كان إمامًا في الدين؛ لأنَّ الأُمَّةَ: مُعَلِّمُو الحَيْرِ. والقانتُ: القائمُ بما أمره الله. والحَينِفُ: المائلُ إلى مِلَّةِ الإسلامِ غيرُ الزائلِ عنه. ونفى عنه الشُّركَ؛ تكذيبًا لكفَّار

سمعتُ نبيكَ يقول: «إنَّهُ أمينُ هذه الأُمَّة»، ولو كانَ سالمٌ مولىَ أبي حُدَيْفَةَ حيًّا لاستخَلَفْتُهُ، وقلتُ لربِّي إنَّ سألني: سَمِعْتُ نبيكَ يقول: «إنَّ سالمًا شديدُ الحُبِّ لله»، ولم يذكُر فيه حديثَ معاذ.

وهذا مؤوَّلٌ لما ذَكَرَ في «الاستيعاب»، عن عُمَرَ أَنَّهُ قال: لو كان سالمٌ حيًّا ما جعلته شورى، وذلك بعد أن طُعِنَ، وهذا عندي أَنَّهُ كانَ يَصُدُّرُ فيها عن رأيهِ، يريدُ أَنَّهُ لم يكن ممن يَسْتَحِقُّ الخِلافةَ؛ لأنَّ الأُمَّةَ مِن قُرَيْشٍ، وسالمٌ كان مولى.

قولُهُ: (أبو عبيدة أمينُ هذه الأُمَّة)، رَوَيْنَا عن البخاريِّ ومسلمٍ والترمذيِّ، عن أنسٍ، أن رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ لكلَّ أُمَّةٍ أمينًا، وأمينُ هذه الأُمَّةِ أبو عبيدة بنُ الجراح»<sup>(١)</sup>.

قولُهُ: (وهو ذلك المعنى)، أي: قولُ عمرَ رضيَ اللهُ عنه: «ومُعَاذُ أُمَّةٍ، قانتُ لله، ليس بينَهُ وبينَ الله يومَ القيامةِ إلا المرسلون»<sup>(٢)</sup>، ذلك المعنى الذي قالَهُ ابنُ مسعودٍ، وهو الأُمَّةُ الذي يُعَلِّمُ الحَيْرَ.

قولُهُ: (والقانتُ: القائمُ بما أمره اللهُ)، الرَّاغِبُ: القُنُوتُ: لزومُ الطاعةِ مع الخُضُوعِ، وقُسِّرَ بكلِّ واحدٍ منهما في قولِهِ: ﴿وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وقولُهُ تعالى: ﴿كُلُّ لَدُنْ قَانِتُونَ﴾ [البقرة: ١١٦] قيل: خاضعون، وقيل: طائعون، وقيل: ساكنون، ولم يَعْني به كلُّ السُّكُوتِ، وإِنما عني به ما قالَ ﷺ: «إنَّ هذه الصَّلَاةَ لا يَصْلُحُ فيها شيءٌ مِن كلامِ الأَدَمِيِّينَ، وإِنما هي

(١) أخرجه البخاريُّ (٧٣٤٤)، ومسلم (٢٤١٩)، والترمذيُّ (٣٧٩٠)، من حديثِ أنسٍ رضيَ اللهُ عنه.

(٢) لم أهدِ إليه بهذا اللفظ، لكن روى الطبرانيُّ في «الكبير» (٢٠: ٢٩) من حديثِ محمد بنِ كعبِ القرظيِّ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «معاذ بنُ جبلٍ إمامُ العلماءِ برِّئَةٌ»، والرِّئَةُ: المنزلةُ. قال الهيثميُّ في «مجمع الزوائد» (٩: ٣٧٩): رواه الطبرانيُّ مرسلًا، وفيه محمد بنُ عبد الله بنُ أزهر الأنصاريُّ ولم أعرفه، وبقيةُ رجاله رجالُ الصحيح.

قُرَيْشٍ فِي زَعْمِهِمْ أَنَّهُمْ عَلَى مِلَّةِ آبَائِهِمْ إِبْرَاهِيمَ. ﴿شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ﴾ رُوي: أَنَّهُ كَانَ لَا يَتَغَدَّى إِلَّا مَعَ صَنِيفٍ، فَلَمْ يَجِدْ ذَاتَ يَوْمٍ ضَيْقًا، فَأَخَّرَ غَدَاءَهُ، فَإِذَا هُوَ بِفَوْجٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فِي صُورَةِ الْبَشَرِ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الطَّعَامِ فَخِيلُوا لَهُ أَنَّ بِهِمْ جُذَامًا، فَقَالَ: الْآنَ وَجَبَتْ مُؤَاكَلَتُكُمْ شُكْرًا لِلَّهِ عَلَى أَنَّهُ عَافَانِي وَابْتَلَاكُمْ. ﴿أَجْتَبَنَّهُ﴾: اخْتَصَّه وَاصْطَفَاهُ

قرآنٌ وتَسْبِيحٌ»<sup>(١)</sup>، وعلى هذا<sup>(٢)</sup> سئل: أَيُّ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ؟ فقال: «طُولُ الْقُنُوتِ»<sup>(٣)</sup>، أَي: الْاِسْتِغَاثُ بِالْعِبَادَةِ وَرَفُضُ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾<sup>(٤)</sup>.

قوله: (الآنَ وَجَبَتْ مُؤَاكَلَتُكُمْ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى)، يَعْنِي: إِنَّمَا يَصِحُّ الشُّكْرُ فِي الْمُواكَلَةِ إِذَا كَانَ فِيهَا التَّكَلُّفُ وَالْمَشَقَّةُ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمُواكَلَةَ مَعَ الْمَجْدُومِ مِمَّا يَتَفَرَّزُ<sup>(٥)</sup> مِنْهُ النَّاسُ وَتَنْفِرُ مِنْهُ النَّفْسُ<sup>(٦)</sup>.

قوله: ﴿أَجْتَبَنَّهُ﴾: اخْتَصَّه، قَالَ الرَّاعِبُ: جَبَّئْتُ الْمَاءَ فِي الْحَوْضِ: جَمَعْتَهُ، وَالْاجْتِبَاءُ: الْجَمْعُ عَلَى سَبِيلِ الْاصْطِفَاءِ، وَاجْتِبَاءُ الْعَبْدِ: تَخْصِيصُهُ إِيَّاهُ بِقِيَصٍ<sup>(٧)</sup> إلهِي، يَتَحَصَّلُ لَهُ مِنْهُ أَنْوَاعٌ مِنَ النَّعْمِ بِلَا سَعْيٍ مِنَ الْعَبْدِ، وَذَلِكَ لِلْأَنْبِيَاءِ وَمَنْ يُقَارِبُهُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣]<sup>(٨)</sup>.

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٥٣٧)، وَأَبُو دَاوُدَ (٩٣٠)، وَالنَّسَائِيُّ (١٧٩: ١)، وَابْنُ أَبِي عَرِينَةَ (٢٣٨: ٣)، مِنْ حَدِيثِ مَعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) مِنْ قَوْلِهِ: «بِهِ كُلُّ الشُّكُوتِ»، وَإِنَّمَا عَنَى بِهِ «إِلَى هُنَا سَقَطَ مِنْ (ح)».

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٧٥٦) وَابْنُ مَاجَةَ (١٤٢١) وَالتِّرْمِذِيُّ (٣٨٧) مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَفَسَّرَهُ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ بِقَوْلِهِ: «الْمَرَادُ بِالْقُنُوتِ هُنَا الْقِيَامُ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ. وَفِيهِ دَلِيلٌ لِلشَّافِعِيِّ وَمَنْ يَقُولُ كَقَوْلِهِ: إِنَّ تَطْوِيلَ الْقِيَامِ أَفْضَلُ مِنْ كَثْرَةِ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ». انْتَهَى بِحَرْوْفِهِ مِنْ «شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (٣: ٢٩١).

(٤) «مَفْرَدَاتُ الْقُرْآنِ»، ص ٦٨٥.

(٥) فِي (ح) وَ(ف): «يَتَضَرَّرُ».

(٦) وَذَلِكَ لِمَا ثَبَتَ مِنْ قَوْلِهِ ﷺ: «فَرَّ مِنَ الْمَجْدُومِ فِرَارَكَ مِنَ الْأَسَدِ»: أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (٩٧٢٢)، وَعَلَّقَهُ الْبُخَارِيُّ (٥٧٠٧)، وَوَصَلَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «السَّنَنِ الْكُبْرَى» (٧: ١٣٥)، مِنْ حَدِيثِ

أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَوَقَعَ فِي النُّسخَةِ (ح): «وَيَنْفِرُ مِنْهُ الطَّبَعُ».

(٧) فِي (ط): «بِفَضْلٍ».

(٨) «مَفْرَدَاتُ الْقُرْآنِ»، ص ١٨٦-١٨٧.

لِلنَّبِوَةِ، ﴿وَهَدَنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: إِلَى مِلَّةِ الْإِسْلَامِ. ﴿حَسَنَةً﴾ عَنْ قَتَادَةَ: هِيَ تَنْوِيهِ اللَّهِ بِذِكْرِهِ، حَتَّى لَيْسَ مِنْ أَهْلِ دِينٍ إِلَّا وَهَمَّ يَتَوَلَّوْنَهُ. وَقِيلَ: الْأَمْوَالُ وَالْأَوْلَادُ، وَقِيلَ: قَوْلُ الْمُصَلِّي مَنَا: كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ. ﴿لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾: لِمَنْ أَهْلُ الْجَنَّةِ.

[ ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ١٢٣ ]

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ فِي ﴿ثُمَّ﴾ هَذِهِ مَا فِيهَا مِنْ تَعْظِيمِ مَنْزِلَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِجْلَالِ مَحَلِّهِ، وَالْإِيذَانِ بِأَنْ أَشْرَفَ مَا أُوتِيَ خَلِيلُ اللَّهِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْكِرَامَةِ، وَأَجَلِّ مَا أُوتِيَ مِنَ النُّعْمَةِ: اتِّبَاعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِلَّتَهُ. مِنْ قِبَلِ أَنَّهَا دَلَّتْ عَلَى تَبَاعُدِ هَذَا النَّعْتِ فِي الْمَرْتَبَةِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ النَّعُوتِ الَّتِي أَتَى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا.

[ ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ١٢٤ ]

قَوْلُهُ: (هِيَ تَنْوِيهِ اللَّهِ بِذِكْرِهِ)، وَهُوَ مِنْ إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ إِلَى الْفَاعِلِ، نَاةٌ يَنْوِيهِ: إِذَا ارْتَفَعَ، وَنَوَيْتُهُ تَنْوِيئًا: إِذَا رَفَعْتَهُ، وَنَوَيْتُ بِاسْمِهِ: إِذَا رَفَعْتَ بِذِكْرِهِ.

قَوْلُهُ: (فِي ﴿ثُمَّ﴾ هَذِهِ مَا فِيهَا)، إِهْبَامِيَّةٌ، نَحْوَهَا فِي قَوْلِهِ: ﴿فَعَشِيهِمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٨]، وَفِيهَا تَكْرِيرٌ لِلظَّرْفِ، نَحْوَ قَوْلِهِمْ: فَيْكَ زَيْدٌ رَاغِبٌ فَيْكَ، أَي: حَصَلَ مِنْ إِيْتِيَانِ (ثُمَّ) الَّتِي تُعْطِي مَعْنَى التَّرَاحِي فِي عِلْوِ الرُّتْبَةِ بِمَجَازٍ، تَعْظِيمُ مَنْزِلَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِيذَانٌ أَنَّ أَشْرَفَ مَا أُوتِيَ خَلِيلُ اللَّهِ اتِّبَاعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِلَّتَهُ، يَعْنِي: لَمَّا أَمَرَ حَبِيبُ اللَّهِ بِاتِّبَاعِ مِلَّةِ خَلِيلِ اللَّهِ حَصَلَتْ لَخَلِيلِ اللَّهِ مَنْزِلَةٌ عَالِيَةٌ لَا يُدَانِيهَا مَا وُصِفَ بِهِ مِنْ ابْتِدَاءِ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾ إِلَى هُنَا.

قَالَ صَاحِبُ «الْإِتِّصَافِ»: كَأَنَّهُ قَالَ: وَهَهُنَا مَا هُوَ أَعْلَى مِنْ ذَلِكَ قَدْرًا وَرُتْبَةً، وَهُوَ أَنَّ سَيِّدَ الْبَشَرِ مَأْمُورٌ بِالْوَحْيِ بِاتِّبَاعِهِ، وَنَصِيبُ النَّبِيِّ ﷺ فِي هَذَا التَّعْظِيمِ أَوْفَرٌ وَأَكْبَرُ (١).

(١) «الْإِتِّصَافُ بِحَاشِيَةِ الْكُشَافِ» (٢: ٦٤٣).

﴿السَّبْتُ﴾ مصدرُ سَبَّتِ اليهود؛ إذا عَظَّمَتِ سَبَّتْهَا. والمعنى: إنما جُعِلَ وَبَالَ السَّبْتِ؛ وهو المَسْخُ ﴿عَلَى الَّذِينَ اِخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ واختلافُهم فيه: أنهم أحلُّوا الصيدَ فيه تارةً وحَرَّموه تارةً، وكان الواجبُ عليهم أن يتَّفَقوا في تحريمه على كلمةٍ واحدة بعدما حَتَمَ اللهُ عليهم الصبرَ عن الصيدِ فيه وتعظيمه. والمعنى في ذِكْر ذلك نحو المعنى في ضَرْبِ القرية التي كَفَرَتْ بأنعمِ الله مثلاً، وغيرِ ما ذَكَر؛ وهو الإنذارُ من سَخَطِ الله

قوله: (وبال السَّبْتِ)، أي: وبال تَرْكِ تعظيمِ السَّبْتِ. قال مُحبي السُّنَّة: قيل: معناه: إنما جُعِلَ السَّبْتُ لعنةً على الذين اِخْتَلَفُوا فِيهِ، أي: خالَفُوا فِيهِ، وقيل: معناه: ما فَرَضَ اللهُ تعظيمَ السَّبْتِ إلَّا على الذين اِخْتَلَفُوا فِيهِ<sup>(١)</sup>.

قوله: (والمعنى في ذِكْر ذلك نحو المعنى في ضَرْبِ القرية التي كَفَرَتْ بأنعمِ الله مثلاً، وغيرِ ما ذُكِر)، عطفٌ على أنعمِ اللهُ، أي: كَفَرَتْ بأنعمِ اللهُ وبغيرِ أنعمِ اللهُ، ويأباه بيانُ غيرِ ما ذُكِر بقوله: «وهو الإنذارُ من سَخَطِ اللهُ» إلى آخره؛ لأنَّ مثلَ هذا الإنذارِ من أجلِ النِّعمِ. ويُمكنُ أن يُقال: إنه عطفٌ على قوله: «في ضَرْبِ القرية» من حيثِ المعنى، يُريدُ: المعنى في ذِكْر هذه الآية نحو المعنى المذكورِ في قوله: ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً﴾ الآية، وهو الاعتبارُ، وإيتاءُ النِّعمَةِ والأمنِ والاطمئنانِ وكُفْرانِها، ثم استئصالُها في الدنيا، ونحو غيرِ ما ذُكِر فيه، وهو أن أهلَ هذه القرية أنذرتهم أنبياءُهم بأن يُعظِّموا أمرَ السَّبْتِ ولا يتعرَّضوا لسَخَطِ اللهُ بهنَّك حُرْمَتِهِ، فخالَفوهم وخلَعوا رِبْقَةَ الطاعة عن أعناقِهِم، فيجبُ أن يُقدَّرَ فيها هذا المعنى لكونِ الآيتينِ واردَتينِ في الفريقيْنِ مِنَ المشركينِ واليهودِ، بعدما نعى عليهما تحريمَ ما أحلَّهُ اللهُ وتحليلَ ما حرَّمه، وبعدهما أنذروا وكفروا بنعمِ اللهُ وادَّعَوْا أنهم متَّبِعُونَ مِلَّةَ إبراهيمَ، فكذَّبوا بقوله: إنَّ إبراهيمَ عليه السلامُ كان حنيفًا وشاكرًا، وهؤلاءِ مُشركونَ يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهُ، واليهودُ يَكْفُرُونَ نِعْمَتَهُ، ولم يكنْ متابِعًا له إلَّا هذا النبيُّ كما قال: ﴿إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ﴾ [آل عمران: ٦٨].

(١) «معالم التنزيل» (٥: ٥١) وزاد: أي: خالَفُوا فِيهِ... فاخْتاروا تعظيمَ غيرِ ما فَرَضَ اللهُ عليهم، وقد افترضَ اللهُ عليهم تعظيمَ يومِ الجُمعة.



على العصاة والمخالفين لأوامره والخالعين ربة طاعته. فإن قلت: ما معنى الحكم بينهم إذا كانوا جميعاً محلّين أو محرّمين؟ قلت: معناه: أنه يُجازيهم جزاء اختلاف فعلهم في كونهم محلّين تارةً ومحرّمين أخرى. ووجه آخر؛ وهو: أن موسى عليه السلام أمرهم

قوله: (فما معنى الحكم بينهم؟)، يعني: إنّما يحسُنُ إطلاقُ الاختلافِ والحكمِ بين الفريقين إذا وقعَ التنازُعُ بينهم، بأن كان بعضهم محلّين، وبعضهم محرّمين. وأمّا إذا كانوا جميعاً محلّين تارةً، ومحرّمين أخرى، فلا يقعُ التنازُعُ والاختلاف، فما معنى قوله تعالى: ﴿لِيَعْلَمَ بَيْنَهُمْ﴾؟ ووجه الجواب أن الاختلافَ كما يقعُ بين المتنازِعِينَ، يقعُ أيضًا بين فعلين وإن لم يقعَ التنازُعُ بينَ القوم.

قوله: (ووجه آخر، وهو أن موسى عليه السلام أمرهم)، إلى آخره، هذا الوجهُ رواه الإمامُ عن ابن عباس، وقال: معنى «اختلفوا على نبيهم» حيثُ أمرهم بالجمعة فاختاروا السبت، لأنَّ اختلافهم في السبت كان اختلافهم على نبيهم في ذلك اليوم<sup>(١)</sup>.

ويُنصَرُ هذا التأويلُ، ما رواه البخاريُّ ومسلمٌ وابنُ ماجه والنسائيُّ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «نحنُ الآخرونُ السابقونَ يومَ القيامة، بيدَ أنتم أوتوا الكتابَ مِن قَبْلِنَا، وأوتيناها مِن بعدهم، ثم هذا يومهمُ الذي فُرِصَ عليهم، يعني: الجمعة، فاختلفوا فيه، فهدانا الله له، فالناسُ لنا فيه تبع، اليهودُ غدًا والنصارى بعد غد»<sup>(٢)</sup>، رواه الإمامُ أحمدُ عنه، وقال: إنّ رسولَ الله ﷺ قال: «ما طلعتِ الشمسُ ولا غربت على يومٍ خيرٍ مِن يومِ الجمعة، هدانا الله له، وأصلُ الناسَ عنه، فالناسُ لنا فيه تبع، اليهودُ يومَ السبت، والنصارى يومَ الأحد، إنّ فيه كساعةٌ لا يُوافقها مؤمنٌ يُصلي يسألُ الله شيئًا إلا أعطاه»<sup>(٣)</sup>.

(١) «مفاتيح الغيب» (٢٠: ١٣٧) وقد سبق نقله عن الإمام البغوي.

(٢) أخرجه البخاري (٨٧٦) ومسلم (٨٥٥) والترمذي (٤٨٨) والنسائي (٣: ٨٥)، وانظر تمام تخريجه في «مسند الإمام أحمد» (٧٣٩٩).

(٣) «مسند الإمام أحمد» (١٠٧٢٣) وأخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٢)، وصححه ابن خزيمة (١٧٢٦)، وانظر تمام تخريجه في «المسند».

أن يجعلوا في الأسبوع يوماً للعبادة، وأن يكون يوم الجمعة، فأبوا عليه وقالوا: نريد اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السماوات والأرض؛ وهو السبت، إلا شُرذمة منهم قد رَضُوا بالجمعة، فهذا اختلافهم في السبت؛ لأنَّ بعضهم اختارَه وبعضهم اختارَ عليه الجمعة، فأذن الله لهم في السَّبْتِ وابتلاهم بتحريم الصَّيْدِ فيه، فأطاع أمر الله الراضون بالجمعة، فكانوا لا يصيدون فيه، وأعقابهم لم يصيروا عن الصَّيْدِ، فمسخهم الله دون أولئك، وهو يَحْكُمُ ﴿بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فيُجَازِي كُلَّ واحد من الفريقين بما يَسْتَوْجِبُهُ. ومعنى ﴿جُعِلَ السَّبْتُ﴾: فَرَضَ عَلَيْهِمْ تَعْظِيمَهُ وترك الاصطياذ فيه. وقرئ: (إنما جعل السبت) على البناء للفاعل، وقرأ عبدُ الله: (إنَّا أنزلنا السَّبْتَ).

[﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَّهُم بِاللَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْتَهِيْنَ﴾ ١٢٥]

﴿إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾: إلى الإسلام ﴿بِالْحُكْمَةِ﴾: بالمقالة المحكَّمة الصَّحيحة؛ وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة ﴿وَالْمَوْعِظَةَ الْحَسَنَةَ﴾ وهي التي لا يخفى عليهم أنك تُنصِّحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها. ويجوز أن يريد القرآن، أي: ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة، ﴿وَحَدِّ لَّهُم بِاللَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: بالطريقة

وقال الإمام: إنه تعالى أمر محمداً صلوات الله عليه بمتابعة إبراهيم عليه السلام، وهذه المتابعة إنما تحصل إذا قلنا: إن إبراهيم عليه السلام قد اختار يوم الجمعة. وعند هذا للسائل أن يسأل: فلم اختار اليهود السبت؟ فأجيب: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ ائْتَلَفُوا فِيهِ﴾ (١).

قوله: (ومعنى ﴿جُعِلَ السَّبْتُ﴾: فَرَضَ عَلَيْهِمْ تَعْظِيمَهُ)، فعل هذا ضمن ﴿جُعِلَ﴾ معنى: فَرَضَ، فأوجب باستعانة ﴿عَلَى﴾، وعلى الوجه الأول قدر مضافاً لتعلق الجار به، وهو قوله: ﴿جُعِلَ وَبِالِ السَّبْتِ عَلَى الَّذِينَ ائْتَلَفُوا فِيهِ﴾.

(١) «مفاتيح الغيب» (٢٠: ٢٨٥).

التي هي أحسنُ طَرِيقِ المُجَادَلَةِ مِنَ الرَّفْقِ وَاللِّينِ، مِنْ غَيْرِ فَظَاظَةٍ وَلَا تَعْنِيفٍ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ بهم، فَمَنْ كَانَ فِيهِ خَيْرٌ كَفَاهُ الْوَعْظُ الْقَلِيلُ وَالنَّصِيحَةُ الْيَسِيرَةُ، وَمَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ عَجَزَتْ عَنْهُ الْحِيلُ، وَكَأَنَّكَ تَضْرِبُ مِنْهُ فِي حَدِيدٍ بَارِدٍ.

قوله: ( ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ بهم)، إلى آخره، وَضَعَ الْمُضَمَّرَ مَوْضِعَ قَوْلِهِ: ﴿مَنْ يَصِلُ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾، ثُمَّ فَصَّلَهُ بِفَعْوَى الْقَرِيبَتَيْنِ، لِيُؤْذَنَ بِأَنَّ الْمَدْعُوَّ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ عَامٌّ، وَكَذَلِكَ الْمُجَادِلُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَحَدِّدْ لَهُمْ﴾، كَأَنَّهُ تَعَالَى يُسَلِّيهَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ عَلَى إِذْهَابِ نَفْسِهِ حَسْرَاتٍ عَلَى عَدَمِ إِيْيَانِ الْقَوْمِ، أَي: مَا عَلَيْكَ إِلَّا الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَالْمُجَادَلَةُ عَلَى طَرِيقِ اللَّيْنِ. وَأَمَّا الْهُدَايَةُ وَالْإِيْيَانُ فَلَا عَلَيْكَ. وَأَشَارَ إِلَى التَّسْلِيَةِ بِالْإِيْيَاسِ فِي قَوْلِهِ: «وَكَأَنَّكَ تَضْرِبُ مِنْهُ فِي حَدِيدٍ بَارِدٍ»، وَإِنَّمَا قَدَّمَ فِي التَّنْزِيلِ ذَكَرَ الضَّالِّينَ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ فِيهِمْ، وَبِهِ تَقَعُ التَّسْلِيَةُ، وَأَخْرَجَهُ الْمُصَنِّفُ بِنَاءً عَلَى قَضِيَّةِ النَّظْمِ ظَاهِرًا، ثُمَّ إِنَّهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ لَمَّا جَدَّ فِي الْإِبْلَاحِ، وَبَالَغَ فِيهِ فِي مُجَادَلَتِهِمْ حِرْصًا مِنْهُ عَلَى إِيْيَانِهِمْ، وَظَنَّ مِنْهُ أَنَّهُ الْمُسَيِّطِرُ عَلَى الْكُلِّ، وَالْقَادِرُ عَلَى إِيجَادِ الْهُدَايَةِ فِيهِمْ، أَمَرَ بِالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمُجَادَلَةِ بِاللِّينِ وَالرَّفْقِ، وَعَلَّلَ الْأَمْرَيْنِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾، وَكَرَّرَ الْعِلْمَ، أَي: مَا عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاحُ بِالْحِكْمَةِ وَالْمُجَادَلَةُ بِاللِّينِ، فَمَنْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَفَاهُ ذَلِكَ الْبَلَاحُ، وَمَنْ عَلِمَ أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِيهِ، لَا تُجْدِيهِ تِلْكَ الْمُبَالِغَةُ.

قوله: (كَأَنَّكَ تَضْرِبُ مِنْهُ فِي حَدِيدٍ بَارِدٍ)، قَالَ الْمِيدَانِيُّ: هَذَا مَثَلٌ يُضْرَبُ لَمَنْ طَمَعَ فِي غَيْرِ مَطْمَعٍ<sup>(١)</sup>. قَالَ الشَّاعِرُ:

فإذا تساعدت النفوس على الهوى فالحلقُ يضربُ في حديدٍ باردٍ<sup>(٢)</sup>

(من) فِي قَوْلِهِ: «مِنْهُ»: تَجْرِيدِيَّةٌ؛ لِأَنَّهُ جَرَّدَ مِنْهُ مَثَلُ الْحَدِيدِ الْبَارِدِ، وَ«فِي حَدِيدٍ» كـ«فِي» فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ [الاحقاف: ١٥].

(١) «مجمع الأمثال» (١: ١٢٥).

(٢) لم أمتد إليه. ونظيره قول الشاعر:

هبهات تضربُ في حديدٍ باردٍ

يا خادع البخلاء عن أموالهم

انظر: «مجمع الأمثال» (٢: ٣٨٦).

[﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ \* وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُفْ فِي ضَلُوبِ مَا يَمْكُرُونَ \*﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٦-١٢٨﴾]

سُمِّيَ الفعلُ الأولُ باسمِ الثاني؛ للمُزاوجة. والمعنى: إنْ صُنِعَ بكم صنيعٌ سوء؛ من قتلٍ أو نحوه، فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه. وقُرئ: (وَإِنْ عَقَّبْتُمْ فَعَقَّبُوا)، أي: وَإِنْ قَتَلْتُمْ بِالْإِتِّصَارِ فَاقْتُلُوا بِمِثْلِ مَا فَعِلَ بكم. رُوي: أَنَّ الْمَشْرِكِينَ مَثَلُوا بِالْمُسْلِمِينَ يَوْمَ أُحُدٍ: بَقَرُوا بُطُونَهُمْ وَقَطَعُوا مَذَاكِيرَهُمْ، مَا تَرَكُوا أَحَدًا غَيْرَ مُمَثَّلٍ بِهِ إِلَّا حَنْظَلَةَ بْنَ الرَّاهِبِ، فَوَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى حِمْزَةٍ وَقَدْ مَثَّلَ بِهِ، وَرُوي: فَرَأَاهُ مَبْقُورَ الْبَطْنِ،

قوله: (سُمِّيَ الفعلُ الأولُ)، أي: ﴿فَعَاقِبُوا﴾ باسمِ الثاني، وهو: ﴿بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾، وهو من بابِ المشاكلة، سَمَّاهُ الْمَزَاوِجَةَ لُغَةً، وَإِنَّمَا الْمَزَاوِجَةُ: بَيْنَ مَعْنِيَيْنِ فِي الشَّرْطِ وَالْجُزْءِ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

إِذَا مَا نَهَى النَّاهِي فَلَجَّ بِأَهْوَى أَصَاحَ إِلَى الْوَاشِي فَلَجَّ بِهِ الْهَجْرُ<sup>(١)</sup>

قوله: (إِنْ صُنِعَ بكم صنيعٌ سوءٌ من قتلٍ أو نحوه، فقابلوه بمثله)، قال القاضي: لَمَّا أَمَرَهُ ﷺ بِالدَّعْوَةِ وَبَيَّنَّ لَهُ طَرُقَهَا، أَشَارَ إِلَيْهِ وَإِلَى مَنْ يُتَابِعُهُ بِتَرْكِ الْمَخَالَفَةِ، وَمُرَاعَاةِ الْعَدْلِ مَعَ مَنْ يُنَاصِبُهُمْ، فَإِنَّ الدَّعْوَةَ لَا تَنْفَكُ عَنْهُ، مِنْ حَيْثُ إِنَّمَا تَتَضَمَّنُ رَفْعَ الْعَادَاتِ وَتَرْكَ الشَّهَوَاتِ، وَالْقَدْحَ فِي دِينِ الْأَسْلَافِ، وَالْحُكْمَ عَلَيْهِمْ بِالْكَفْرِ وَالضَّلَالِ<sup>(٢)</sup>.

قوله: (حَنْظَلَةَ بْنَ الرَّاهِبِ)، وفي «الاستيعاب»: هُوَ حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ، الرَّاهِبِ الْأَنْصَارِيُّ، أَبُوهُ: أَبُو عَامِرٍ، يُعْرَفُ بِالرَّاهِبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، قَدِمَ مَعَ قُرَيْشٍ يَوْمَ أُحُدٍ مُحَارِبًا، فَسَمَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَا عَامِرٍ الْفَاسِقُ، مَاتَ بِالرُّومِ كَافِرًا.

(١) للبحري في «ديوانه» (٢: ٨٤٤).

(٢) «أنوار التنزيل» (٣: ٤٢٧).

فقال: «أما والذي أحلفُ به، لئن أظفَرَنِي اللهُ بهم لأُمَثِلَنَّ بسبعينَ مكانك!»؛ فنزلت، فكفَّرَ عن يمينه وكفَّ عمَّا أرادَه. ولا خلافَ في تحريمِ المثلَّة، وقد وردتِ الأخبارُ بالنهي عنها حتى بالكُلبِ العَقُورِ. إمَّا أن يرجعَ الضميرُ في ﴿لَهُوَ﴾ إلى صَبْرِهِم، وهو مصدرٌ ﴿صَبْرْتُمْ﴾، ويرادُ بالصابرين: المُخاطَبون، أي: ولئن صَبَرْتُمْ لصَبْرُكُمْ خيرٌ لكم، فوَضِعَ «الصابرون» موضعَ الضميرِ؛ ثناءً من الله عليهم بأنهم صابِرُونَ على

وأما ابْنُهُ حَنْظَلَةُ فهو المعروفُ بِغَسِيلِ الملائكة، قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ شهيدًا. قالتِ امرأته: حَنْظَلَةُ أَجْنَبَ وَغَسَلْتُ إِحْدَى شِقَاقِي رَأْسِهِ، فَلَمَّا سَمِعَ الهَيْعَةَ<sup>(١)</sup> خَرَجَ، فَقُتِلَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «رَأَيْتُ الملائكةَ تُغَسِّلُهُ»<sup>(٢)</sup>.

قوله: (فَوَضِعَ «الصابرون» موضعَ الضميرِ ثناءً من الله)، الرَّاغِبُ: الصَّبْرُ: الإمساكُ في ضيقٍ، يقال: صَبَرْتُ الدَّابَّةَ؛ حَبَسْتُهَا بلا علفٍ، وَصَبَرْتُ فلانًا: خَلَفْتُهُ خِلْفَةً لا خروَجَ لَهُ منها، وَالصَّبْرُ: حَبْسُ النَفْسِ على ما يَقتضيه العَقْلُ أو الشَّرْعُ أو كلاهما، فالصَّبْرُ: لفظٌ عامٌ، وربما خولَفَ بينَ أسمائِهِ بحسبِ اختلافِ مَواقِعِهِ، فإن كان حَبَسَ النَفْسَ لِمُصِيبَةٍ، سُمِّيَ صَبْرًا لا غيرًا، وَيُضادُهُ الجَزَعُ، وإن كانَ في مُحارِبَةٍ سُمِّيَ شِجَاعَةً، وَيُضادُهُ الجُبْنُ، وإن كانَ في نائِبَةِ مُضْجِرَةٍ، سُمِّيَ رَحْبَ الصَّدْرِ، وَيُضادُهُ الضَّجْرُ، وإن كانَ في إمساكِ الكلامِ سُمِّيَ كِتْمَانًا، وَيُضادُهُ المَذَلُّ، وقد سَمَى اللهُ تعالى كُلَّ ذلكِ صَبْرًا، وَنَبَّهَ عليه بقوله: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ [البقرة: ١٧٧]<sup>(٣)</sup>، يقالُ: رَجُلٌ مَذَلٌّ، أي: باذِلٌ لِمَا عِنْدَهُ مِن مالٍ أو سِرٍّ<sup>(٤)</sup>.

(١) يعني الصبيحة، والمرادُ به النفيُّ لجهادِ العدوِّ.

(٢) «الاستيعاب» (١: ٣٨٠-٣٨١). والحديثُ المذكورُ ذكره ابن الأثير في «أسد الغابة» (١: ٥٤٢)،

والحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٢: ١٣٧)، من طريق ابن إسحاق في «المغازي».

(٣) «مفردات القرآن»، ص ٤٧٤.

(٤) ومنه قولُ الشاعر:

ولا تَمَذَّلُ بِسِرِّكَ، كُلُّ سِرٍّ إذا ما جاورَ الإثنينِ فاش

انظر: «أساس البلاغة» (مذلل).

الشَّدائد. أو وَصَفَهُم بِالصَّفَةِ التي تحْصُلُ لهم إذا صَبَرُوا عن المعاقبة. وإمَّا أن يرجع إلى جنسِ الصَّبْرِ، وقد دَلَّ عليه ﴿صَبْرْتُمْ﴾، ويُراد بالصَّابِرِينَ جِنْسَهُمْ، كأنه قيل: وَلِلصَّبْرِ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ، ونحوه قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]، ﴿وَأَنْ تَقْفُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى﴾ [البقرة: ٢٣٧]. ثم قال لرسوله ﷺ: ﴿وَأَصْبِرْ﴾ أنت، فعَزَمَ عليه بالصَّبْرِ، ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ أي: بتوفيقه وتثبيتته وربطه على قلبك، ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: على الكافرين، كقوله: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٨]، أو على المؤمنين وما فعل بهم الكافرون، ﴿وَلَا تَأْكُ فِي ضَيْقٍ﴾ وقرئ:

قوله: (أو وَصَفَهُم بِالصَّفَةِ)، عطفٌ على قوله: «ثناءً عليهم من الله»، يعني: وَصَعَ «الصَّابِرِينَ» موضع ضميرِ المخاطَبِينَ مجازًا؛ لأنَّهم عند الخطاب ما كانوا صابرين، فسَمَّاهُمْ اللهُ به، إمَّا لمجرد المدح والثناء؛ لأنَّ الصَّبْرَ من أعظمِ أوصافِ المتقين، وإمَّا لاكتسابهم بلباسِ الصَّبْرِ جُعِلُوا صابرينَ ترغيبًا على الصَّبْرِ، وعلى أن يُرادَ بالصَّابِرِينَ الجنسُ لا يكونُ من وضعِ المظهرِ موضعِ المضمَرِ، فلا يكونُ مجازًا، بل يكونُ من بابِ الكِنَايةِ، فيَدْخُلُ في هذا العامِّ المخاطَبُونَ دخولًا أوَّلِيًّا.

قوله: (كأنه قيل: وَلِلصَّبْرِ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ)، حاصلُ الوجوه: أن معنى التركيبِ أنَّ الصَّبْرَ عنِ المعاقبةِ وتَرْكِ المقابلةِ خَيْرٌ من استيفائها، كقوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَقْفُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى﴾ [البقرة: ٢٣٧]، ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠].

قوله: (فعَزَمَ عليه بالصَّبْرِ)، الأساس: عَزَمْتُ عَلَيْكَ<sup>(١)</sup> لما فعلتَ كذا، بمعنى: أقسَمْتُ، أي: وَكَّدَ عليه أمرَ الصَّبْرِ بأنَّ أمرَهُ وحده بالصَّبْرِ، بعدما حثَّهم عليه بالتركيبِ القسَمِيِّ؛ لأنَّ اللامَ في ﴿وَلَكِنْ صَبْرْتُمْ﴾ موطئةٌ للقَسَمِ، وفيه معنى الأمرِ، ثُمَّ بَيَّنَّ بأداةِ الحَضَرِ أنَّ الصَّبْرَ عليه سَهْلٌ لكونه بتوفيقِ الله وتسديده.

قوله: (وما فعلَ بهم الكافرون)، أي: من المثلة.

(١) قوله: «عَزَمْتُ عَلَيْكَ» سقط من (ف).

(ولا تكن في ضيق) أي: ولا يضيّقنَّ صدرك من مكرهم، والضيّق: تخفيف الضيق، أي: في أمر ضيق. ويجوز أن يكون الضيق والضيّق مصدرين، كالقيل والقول. ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ أي: هو وليّ الذين اجتنبوا المعاصي ووليّ ﴿الَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ في أعمالهم. وعن هريم بن حيّان: أنه قيل له حين احتضر: أوص. فقال: إنما الوصية من المال، ولا مال لي، وأوصيكم بخواتيم سورة النحل.

قوله: (ولا يضيّقنَّ صدرك)، وهو من باب «لا أرينك هاهنا»، أي: ولا تكن بحيث يضيّق صدرك إذا نابك منهم مكروه، أي: لا تباشير القلق والضجر، وذلك مستفاد من هَي كينونته في ضيق، والعدول من: «ولا يضيّق صدرك».

قوله: (والضيّق تخفيف الضيق)، قال أبو البقاء: ﴿ضَيِّقٌ﴾، بفتح الضاد، فيه وجهان: أحدهما: أنه مصدر ضاق، مثل: سار سيرًا، والثاني: هو مخفف من الضيق، أي: في أمر ضيق، مثل سيد وميت<sup>(١)</sup>.

قوله: (أي: هو وليّ الذين اجتنبوا المعاصي، ووليّ ﴿الَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ في أعمالهم)، راعى المطابقة في تفسير الصلّتين، ففسّر الفعلية بالفعلية، والاسمية بالاسمية.

فإن قلت: ما الوجه في تخصيص إحدى الصلّتين في كونها فعلية، والأخرى اسمية؟ قلت: ليؤذن بأن التقوى مُقدّمة الإحسان، فمن حاول ملازمة الإحسان والمواظبة عليه يجب استحداث التقوى قبله؛ لأن التحلية بعد التصفية، ثم تخصيص الإحسان بالذكر، وإيراد الجملة اسمية، وبناء ﴿مُحْسِنُونَ﴾ على ﴿هُمْ﴾ على سبيل تقوي الحكم: مؤذن باستدامة الإحسان واستحكامه، وهو مُستلزم لاستمرار التقوى؛ لأن الإحسان إنما يتم إذا لم يُعد إلى ما كان عليه من الإساءة. وإليه الإشارة بما ورد: «من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»<sup>(٢)</sup>، وقطع مُتعلّق التقوى والإحسان - على طريقة قوله: فلان يُعطي ويمنع - مُشعرًا باتحاد حقيقتيهما، فلا تختص بمُتقٍ دون مُتقٍ، وبمُحسِنٍ دون مُحسِنٍ، فيجب أن

(١) «البيان في إعراب القرآن» (٢: ٨١٠)، وزاد بعده: «ويُقرأ بكسر الضاد، وهي لغة في المصدر».

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣١٧)، وابن ماجه (٣٩٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

عن رسول الله ﷺ: «مَنْ قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما أنعم عليه في دار الدنيا، وإن مات في يوم تلاها أو ليلته، كان له من الأجر كالذي مات وأحسن الوصية».

يتناول جميع ما يجب أن يتقى منه، وما يجب أن يؤتى به من الإحسان، ومن ثمَّ قدر المُصنّف مُتعلّقهما جمعاً محلّي باللام الاستغراقي، ومُضافاً إلى المعرفة.

والمعنى بهذه المعية: معية المحبة كما ورد: «فإذا أحببته كنتُ سمعَهُ...»<sup>(١)</sup> الحديث.

وهذه التقوى بمنزلة التوبة للعارف، والإحسان بمنزلة السِّرِّ والسلوك في الأحوال والمقامات إلى أن ينتهي إلى نحو الوهم والوصول إلى مخدع الإنسان.

وأما بيان النظم فإن الله تعالى لما أمر حبيبه بالصبر على أذى المخالفين، ونهاه عن الحزن على عنادهم وإيائهم الحقَّ، وعما يلحقه من مكرهم وخداعهم، علّله بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الآية، أي: لا تُبَالِ بهم وبمكرهم؛ لأن الله وليُّك ومُحِبُّك وناصرُك، ومُبغِضُهم وخادهم، فعَمَّ الحكم إرشاداً للمحسنين المتقين اقتداءً بسَيِّدِ المرسلين صلوات الله عليه، وفيه تعريضٌ بالمخالفين وبخذلانهم، كما صرّح تعالى في قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكُفْرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ١١]<sup>(٢)</sup>.

تَمَّتِ السُّورَةُ بِحَمْدِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ وَحُسْنِ تَوْفِيقِهِ

وَاللَّهُ أَعْلَمُ.



(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) من بداية الفقرة «قوله: أي: هو وليُّ الذين اجتنبوا» إلى هنا أثبتُّه من (ط)، وسقط من (ح) و(ف).



## سورة بني إسرائيل مكية، وآياتها إحدى عشرة ومئة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ، لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ، لِزَيْرِهِ، مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ١]

﴿سُبْحَانَ﴾: عَلَّمَ للتَّسْبِيحِ كَعُثْمَانَ لِلرَّجُلِ، وانتصابه بفعلٍ مُضْمَرٍ متروكٍ إظهاره، تقديره: أَسْبَحَ اللهُ سُبْحَانَ، ثُمَّ نَزَلَ ﴿سُبْحَانَ﴾ منزلة الفعل، فَسَدَّ مَسَدَهُ،

## سورة بني إسرائيل مكية، وهي مئة وإحدى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: ﴿﴿سُبْحَانَ﴾﴾: عَلَّمَ للتَّسْبِيحِ، كَعُثْمَانَ، الرَّاضِبُ: السَّبْحُ: المرُّ السَّريْعُ في المَاءِ، أو الهواءِ، يقال: سَبَحَ سَبْحًا وَسَبَّحًا، واستُعْبِرَ لمرِّ النُّجُومِ في الفَلَكِ، نحو: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]، ولمَجْرَى الفَرَسِ، نحو: ﴿وَالسَّيِّحَاتِ سَبَّحًا﴾ [النازعات: ٣]، ولسُرْعَةِ الذَّهَابِ في العَمَلِ: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ [المزمل: ٧]. والتَّسْبِيحُ: أصله التَّنْزِيهُ للباري سبحانه<sup>(١)</sup>، وأصله المرُّ السَّريْعُ في عِبَادَةِ اللهِ، وجُعِلَ ذلك في فِعْلِ الحَيْرِ، كما جُعِلَ الإِبْعَادُ في الشَّرِّ فِقِيلٌ: أبعدَهُ اللهُ، ثُمَّ جُعِلَ التَّسْبِيحُ عامًّا في العِبَادَاتِ، قولًا كان أو فِعْلًا أو نِيَّةً،

(١) في (ط): «أصله تنزيه الله».

وَدَلَّ عَلَى التَّنْزِيهِ الْبَلِيغِ مِنْ جَمِيعِ الْقَبَائِحِ الَّتِي يُضَيِّفُهَا إِلَيْهِ أَعْدَاءُ اللَّهِ. وَ«أَسْرَى» وَ«سَرَى»

قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصافات: ١٤٣]، وقال: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ [البقرة: ٣٠]، و«سُبِّحَنَ»: أصله مصدرٌ كغفران<sup>(١)</sup>.

قال أبو البقاء: سُبْحَانَ: اسمٌ واقعٌ موقعَ المصدرِ، وقد اشتقَّ منه: سَبَّحْتُ والتسبيحُ، ولا يكادُ يُستعملُ إلا مضافاً؛ لأنَّ الإضافةَ تبيِّنُ مِنَ الْمُعْظَمِ، فإذا أُفْرِدَ عن الإضافةِ كان اسماً علماً للتسبيحِ لا ينصرفُ للتعريفِ، والألفُ والنونُ في آخره مثلُ عثمان<sup>(٢)</sup>.

وقال ابنُ الحاجبِ: والدليلُ على أنَّ سُبْحَانَ عَلِمٌ للتسبيحِ قولُ الشاعرِ:

فَدَقَلْتُ لَمَّا جَاءَنِي فَخْرُهُ سُبْحَانَ مِنْ عُلْقَمَةَ الْفَاخِرِ<sup>(٣)</sup>

ولولا أَنَّهُ عَلِمٌ لَوَجِبَ صَرْفُهُ؛ لأنَّ الألفَ والنونَ في غيرِ الصِّفَاتِ إِنَّمَا يُمْنَعُ مَعَ الْعِلْمِيَّةِ، وَلَا تُسْتَعْمَلُ عَلِمًا إِلَّا شَادًّا، وأكثرُ استعماله مضافاً، وليسَ بعَلِمٍ؛ لأنَّ الأعلامَ لا تُضافُ. والتسبيحُ مصدرٌ سَبَّحَ، أي: قال: سبحانَ الله، ومدلولُ سُبْحَانَ: تنزيهٌ لا لفظ، لكن وِرْدَ التَّسْبِيحِ بِمَعْنَى التَّنْزِيهِ<sup>(٤)</sup>.

قوله: (وَدَلَّ عَلَى التَّنْزِيهِ الْبَلِيغِ)، وذلك في جَلْبِ هذا المصدرِ في أصلِ التركيبِ للتوكيدِ، وَهُوَ أُسْبِخُ تَسْبِيحًا، ثُمَّ أُسْبِخُ سُبْحَانًا، ثُمَّ فِي حَذْفِ الْعَامِلِ وَإِقَامَتِهِ مَقَامَ الدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْمَطْلُوبَ بِالذَّاتِ الْمَصْدَرُ، وَالْفِعْلُ تَابِعٌ، فَيُقَيَّدُ الْإِخْبَارَ بِسُرْعَةٍ وَجُودِ التَّنْزِيهِ.

وأما قوله: «التَّنْزِيهِ الْبَلِيغِ مِنْ جَمِيعِ الْقَبَائِحِ الَّتِي يُضَيِّفُهَا إِلَيْهِ أَعْدَاءُ اللَّهِ»، مِمَّا يَأْبَاهُ مَقَامُ «الإسراء» إِبَاءَ الْعَيُوفِ الْوَرْدِ<sup>(٥)</sup>، وَهُوَ مُزَيَّفٌ، بَلْ مَعْنَاهُ التَّعْجُّبُ، كَمَا قَالَ فِي «النُّور»:

(١) «مفردات القرآن»، ص ٣٩٢-٣٩٣.

(٢) انظر: «التبيان في إعراب القرآن» (١: ٤٩) في تفسيرِ قوله تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢].

(٣) للأعشى في «ديوانه»، ص ١٤٣.

(٤) انظر: «كافية ابن الحاجب» بشرح الرضوي الإسترابادي (٣: ٢٤٨).

(٥) قوله: «إِبَاءَ الْعَيُوفِ الْوَرْدِ»؛ الْعَيُوفُ مِنَ الْإِبِلِ الَّتِي يَسْمُ الْمَاءَ. وَقِيلَ: الَّذِي يَسْمُهُ وَهُوَ صَافٍ فَيَدَّعَاهُ وَهُوَ عَطْشَانٌ. وَالْوَرْدُ: الْمَاءُ. «اللسان» (عيف) و(ورد).

لُغْتَانِ. و﴿لَيْلًا﴾ نَصَبٌ عَلَى الظَّرْفِ. فَإِنْ قُلْتَ: الْإِسْرَاءُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِاللَّيْلِ، فَمَا مَعْنَى ذِكْرِ اللَّيْلِ؟ قُلْتَ: أَرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿لَيْلًا﴾ بَلْفِظِ التَّنْكِيرِ: تَقْلِيلَ مُدَّةِ الْإِسْرَاءِ، وَأَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ.....

الأصل في ذلك أن يُسَبِّحَ اللهُ عِنْدَ رُؤْيَةِ الْعَجِيبِ مِنْ صَنَائِعِهِ، ثُمَّ كَثُرَ حَتَّى اسْتَعْمِلَ فِي كُلِّ مَتَعَجَّبٍ مِنْهُ<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ: (أَرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿لَيْلًا﴾ بَلْفِظِ التَّنْكِيرِ: تَقْلِيلَ مُدَّةِ الْإِسْرَاءِ، وَأَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ ﷺ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ). قَالَ صَاحِبُ «الْفَرَائِدِ»: قَوْلُهُ: أَرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿لَيْلًا﴾ بَلْفِظِ التَّنْكِيرِ تَقْلِيلَ الْمُدَّةِ مُسَلِّمًا، وَأَمَّا قَوْلُهُ: «فِي بَعْضِ اللَّيْلِ»، فَغَيْرُ مُسَلِّمٍ؛ لِأَنَّ (لَيْلًا) يَحْتَمِلُ الْكُلَّ، فَلَا يَلْزَمُ الْبَعْضُ، فَالْبَعْضِيَّةُ بِحَسَبِ الْعَدَدِ لَا بِحَسَبِ الْجُزْءِ؛ وَلِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَذْكَرْ (لَيْلًا) بَعْدَ الْإِسْرَاءِ لَمْ يُعْلَمَ مَقْدَارُ الْإِسْرَاءِ، لِأَنَّهُ يُمَكِّنُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ لَيْلًا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي﴾ [سبأ: ١٨].

وَمَنْ قَالَ: إِنَّ ذِكْرَهُ لِلتَّكْيِيدِ لَيْسَ بِشَيْءٍ؛ لِأَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ ذِكْرِهِ، وَقِرَاءَةُ عَبْدِ اللَّهِ وَحُدَيْفَةَ<sup>(٢)</sup> لَوْ كَانَتْ بَدُونِ لَامِ التَّعْرِيفِ، أَعْنِي: بَعْضُ لَيْلٍ، لَكَانَتْ شَاهِدَةً لِدَلَالَتِهِ؛ لِأَنَّ بَعْضَ اللَّيْلِ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ بَعْضُ اللَّيْلِي، فَيَكُونُ الَّذِي أُسْرِيَ بِهِ لَيْلًا. وَأَجِيبَ أَنَّ الْأِسْمَ الْحَامِلَ لِمَعْنَى التَّنْكِيرِ مُحْتَمِلٌ لِأَنَّهُ يَكُونُ الْمُرَادُ بِهِ<sup>(٣)</sup> شَخْصًا أَوْ نَوْعًا، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ لِلتَّعْظِيمِ وَالتَّهْوِيلِ، أَوْ التَّكْثِيرِ، أَوْ التَّقْلِيلِ، فَهُوَ إِذَا كَالْفِظِ الْمَشْتَرِكِ، وَإِنَّمَا يَتَبَيَّنُ مَعْنَاهُ بِقِيَامِ قَرِينَةٍ مُبَيِّنَةٍ، فَقَوْلُهُ: ﴿لَيْلًا﴾ يَحْتَمِلُ أَحَدَ هَذِهِ الْمَعَانِي، وَإِنَّمَا يَتَعَيَّنُ بِمُقَيِّدٍ. وَلَا خِلَافَ أَنَّ الْإِسْرَاءَ لَمْ يَكُنْ أَكْثَرَ مِنْ لَيْلَةٍ، فَجِيءَ بِلَيْلٍ وَقُلِّلَ لِيُذَلَّ عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ فِي بَعْضٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيْلِ الْمَعْلُومَةِ، عَلَى أَنَّ تَصْدِيرَ السُّورَةِ بِالْكَلِمَةِ الدَّالَّةِ عَلَى التَّعَجُّبِ الْبَلِيغِ، مُنَادٍ بِحَدُوثِ أَمْرٍ خَارِقٍ لِلْعَادَةِ وَأَيَّةٍ عَظِيمَةٍ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَهِيَ كَمَا قَالَ: «أُسْرِيَ بِهِ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الشَّامِ مَسِيرَةَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً». وَكَذَا دِلَالَةُ قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ وَحُدَيْفَةَ، وَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَنْ

(١) انظر: (١١: ٤١).

(٢) يعني: «سبحان الذي أسرى بعبده من الليل». انظر: «تفسير الطبري» (٩: ٢).

(٣) في (ط): «يكون للافراد».

بَعْضَ اللَّيْلِ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ بِهِ<sup>(١)</sup> بَعْضَ اللَّيَالِي بَعِيدًا جَدًّا، وَلَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ﴾ [الإسراء: ٧٩] لَيْسَ الْمَرَادُ مَا قَالَهُ.

وَقَالَ فِي «الانتصاف»: وَقَدْ جَرَى ذِكْرُ اللَّيْلِ فِي مَوْضِعٍ لَا يَلِيْقُ بِهِ الْجَوَابُ الَّذِي ذَكَرَهُ الزَّمخَشَرِيُّ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿فَأَنْسِرْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾ [هود: ٨١] وَالظَّاهِرُ أَنَّ ذِكْرَ اللَّيْلِ لِتَصْوِيرِ الشَّرِّ بِصُورَتِهِ، أَوْ لِأَنَّ الشَّرَّيَ دَلَّ عَلَى أَمْرَيْنِ: السَّيْرِ وَكَوْنِهِ لَيْلًا، فَأُفْرِدَ أَحَدَهُمَا بِالذِّكْرِ تَقْوِيَةً لَهُ فِي ذَهَنِ الْمَخَاطَبِ، مِثْلَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَنْخَدُوا لِلنَّهْمِينَ اثْنَيْنِ﴾ [النحل: ٥١]، فَإِنَّ الْأِسْمَ الْحَامِلَ لِلتَّشْبِيهِ دَالٌّ عَلَيْهَا وَعَلَى الْجَنَسِيَّةِ، فَأَكَّدَ التَّشْبِيَةَ لِأَنَّهَا مَقْصُودَةٌ بِالْإِبْطَالِ كَمَا مَرَّ<sup>(٢)</sup>.

وَأَجِيبَ: أَنَّ بَيْنَ الْمَقَامَيْنِ بَوْنًا بَعِيدًا؛ لِأَنَّهُ مَا وَقَعَ التَّرَاعُ فِي أَنْ عُرِجَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ كَانَ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا، كَمَا وَقَعَ فِي اتِّخَاذِ الْإِلَهِ وَالْعَدَدِ فِي تِلْكَ الْآيَةِ، وَإِنَّمَا هُوَ بَيَانٌ لِإِبْدَاءِ أَمْرٍ غَرِيبٍ خَارِقٍ لِلْعَادَاتِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾ فَهُوَ لَهُ لَا عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ أَتَى بِاللَّيْلِ هُنَاكَ، وَنُكِّرَ لِيُضْمَنَ الْمَعْنَى الْمَقْصُودَ فِي الْإِيرَادِ مِنَ التَّبْعِيضِ. وَجِيءَ بِقَوْلِهِ: ﴿مِنَ اللَّيْلِ﴾ هُنَا لِيُبَيِّنَ أَنَّ الْبَعْضَ مَا هُوَ، فَهَذَا مَقْصُودٌ مَنْصُوصٌ فِيهِ الْبَعْضِيَّةُ، وَذَلِكَ مُضْمَنٌ. وَالْحَاصِلُ أَنَّ إِعَادَةَ الشَّيْءِ لِإِنَاطَةِ أَمْرٍ زَائِدٍ أَسْلُوبٌ مِنَ الْأَسَالِيبِ.

وَأَقُولُ - وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ -: وَيُمْكِنُ أَنْ يُرَادَ بِالتَّنْكِيرِ التَّعْظِيمُ وَالتَّفْخِيمُ، وَالْمَقَامُ يَقْتَضِيهِ، أَلَا تَرَى كَيْفَ افْتَبِحَتِ السُّورَةُ بِالْكَلِمَةِ الْمُنْبِتَةِ<sup>(٣)</sup> عَنْهُ؟ ثُمَّ وَصَفَ الْمَسْرِيَّ بِهِ بِالْعُبُودِيَّةِ، ثُمَّ أَرَدَفَ تَعْظِيمَ الْمَكَاتِينِ بِالْحَرَامِ وَبِالْبَرَكَةِ لِمَا حَوْلَهُ تَعْظِيمًا لِلزَّمَانِ<sup>(٤)</sup>، ثُمَّ تَعْظِيمَ الْآيَاتِ

(١) فِي (ف): «يُرَادُ بِهِ».

(٢) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٢: ٦٤٦).

(٣) فِي (ح): «المنبئة».

(٤) فِي (ح): «تعظيم الزمان».

بإضافتها إلى صيغة التعظيم وجمعها ليشمل جميع أنواع الآيات، وكل ذلك شاهدٌ صدق على ما نحنُ بصددِهِ، والمعنى: ما أعظم شأن من أسرى به بمن حَقَّق له مقام العبودية، وحَقَّق<sup>(١)</sup> استئصاله للعناية وصَحَّح له النعمة<sup>(٢)</sup> السرمدية.

﴿يَلَا﴾، أي: ليلٌ له شأنٌ جليل، ليلٌ دنا فيه الحبيب من المحبوب، وفاز في مقام الشهود بالملوب، ﴿فَدَلَّنْ﴾ \* فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى \* فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى \* مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴿ [النجم: ٨-١١]، فحينئذ ينطبق عليه التعليل بقوله: ﴿لَئِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، أي: السَّمِيعُ بأحوال ذلك العبد، والبصيرُ لأفعاله، العالمُ بكونها مُهذَّبةٌ خالصةٌ من شوائب الهوى، مقرونةٌ بالصدق والصفاء، مُستأهلةٌ للقربة والزُلفى. ولا بُدَّ أن يرجع الضميرُ إلى العبد<sup>(٣)</sup>، كما نقل أبو البقاء عن بعضهم، قال: إنه السميعُ لكلامنا، والبصيرُ لذاتنا<sup>(٤)</sup>.

وأما توسيطُ ضميرِ الفضلِ فلإشعارٍ باختصاصه بهذه الكرامة وحده. ولهذا عَقَّبَهُ بقوله: ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكُتُبَ﴾؛ لأنه جاء مُستطردًا لحديث الإسراء، وسَمِعَ الكلامَ وَمَنَحَ القُربةَ والزُلفى، والجامعُ أن موسى عليه السلام إنما أُعطي التَّوارةَ عندَ مَسيرِهِ إلى الطُّورِ، وهو بمنزلةٍ معراجِهِ عليه السلام؛ لأنه هنالك شَرَّفَ بالكلام، ومُنَحَ التكليم، وطلَّبَ الرُّؤيةَ. وسيجيءُ في سورة النجم إن شاء الله تعالى الكلامُ في إثباتِ الرُّؤيةِ لسيِّدنا صلواتُ الله عليه، وأقوالُ الصَّحابةِ والعلماءِ فيه مستوفى<sup>(٥)</sup>.

(١) في (ح): «وصحَّح».

(٢) قوله: «وصحَّح له النعمة» سقط من (ط).

(٣) يعني النبي ﷺ كما صرَّح به أبو البقاء.

(٤) «التبيان في إعراب القرآن» (٢: ٨١١).

(٥) وهي مسألة فيها خلافٌ منصوبٌ بين العلماء. والرؤية بالبصير قد نقلها البغوي في «معالم التنزيل» (٧: ٤٠٣) عن أنسٍ والحسن وعكرمة. وجعلها ابن كثير مقيِّدةً بالرؤية بالفؤاد، وقال: ومن روى عنه - يعني ابن عباس - [الرؤية] بالبصير فقد أغرب، فإنه لا يصحُّ في ذلك شيءٌ عن الصحابة رضي الله عنهم. انظر: «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٧: ٤٤٨).

ولعلَّ السَّرَّ في مجيء الضَّميرِ مُجْمَلًا<sup>(١)</sup> مُحْتَمِلًا لِلأَمْرَيْنِ: الإِشارةُ إلى المطلوب، وأنه صلواتُ الله عليه وسلَّم إنَّما رأى ربَّ العِزَّةِ وسمعَ كلامه به.

رَوينا في «صحيح البخاري»، عن أبي هريرة، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «قالَ اللهُ تعالى: مَنْ عادى لي وليًّا فقد آذنته بحَرْبٍ، وما تقربَ إليَّ عَبْدِي بشيءٍ أَحَبَّ إليَّ مِنْ أداءِ ما افترضتُ عليه، ولا يزالُ عَبْدِي يتقربُ إليَّ بالتواضِعِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أَحَببتهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ به، وبصرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ به، ويدهُ التي يَبْطِشُ بها، ورجلهُ التي يمشي بها، وإن سألني أعطيتُه، وإن استعاذني أعدتُه» الحديث<sup>(٢)</sup>.

وفي «حقائق السُّلَميِّ»<sup>(٣)</sup>: قالَ ابنُ عطاء: طَهَّرَ مكانُ القُرْبَةِ وموقفُ الدُّنُوِّ عن أن يكونَ فيه تأثيرٌ لمخلوقٍ بحالٍ، فسارَ بِنَفْسِهِ، وسرى بَرُوحِهِ، وسير<sup>(٤)</sup> بيسره، فلا السَّرُّ عَلِمَ ما فيه الرُّوحُ، ولا الرُّوحُ عَلِمَ ما يُشاهدُ السَّرَّ، ولا النَّفْسُ عندها شيءٌ من خيرِهما، وما هُما فيه، وكلُّ واقفٍ مع حدِّه، مشاهدٌ للحقِّ مُتلقياً عنه بلا واسطة<sup>(٥)</sup>، ولا بقاءً بشريَّةً، بل حقٌّ تحقَّقَ بعبده، فحقَّقَهُ وأقامه حيثُ لا مقام، وأوحى إليه ما أوحى جَلَّ ربُّنا وتعالى<sup>(٦)</sup>.

وقال: قال رجلٌ لجعفرِ بنِ مُحَمَّد<sup>(٧)</sup>: صِفْ لِي المِعراجَ، قال: كيفَ أصِفُ لكَ مقامًا لم يَسْمَعْ فيه جِبْرِيلُ مَعَ عِظَمِ محلِّه؟

وقال النَّصرُ اِباضيُّ: أسْقَطَ العِللَ والاعتراضات بقوله: ﴿أَسْرَى﴾، ولم يُقل: «سرى»، لأنَّ القُدْرَةَ تَحْتَمِلُ كلَّ شيءٍ.

(١) في (ف): «مُنْفَصِلًا».

(٢) سبقَ تحريجه في أواخرِ تفسيرِ «الحِجْر».

(٣) يعني «حقائق التفسير» لأبي عبد الرحمن السُّلَميِّ. سبقَ التعريفُ به.

(٤) في (ح) و(ف): «وَسَبَر».

(٥) في المطبوع من «حقائق التفسير» للسُّلَمي (١: ٣٨١): «مُتَلَقٌّ عنه بلا واسطة» دون قوله: «مشاهد للحقِّ». وجاء ما بعده باختلاف يسير، فانظرو.

(٦) «حقائق التفسير» (١: ٣٨١).

(٧) المعروف بالصادق، المتوفى سنة ١٤٨، رحمه الله تعالى.

من مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة، وذلك أن التنكير فيه قد دل على معنى: البغضية، ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة: (من الليل)، أي: بعض الليل، كقوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدَ بِهِ، نَافِلَةً﴾ [الإسراء: ٧٩]، يعني: الأمر بالقيام في بعض الليل، واختلَفَ في المكان الذي أُسري منه؛ ف قيل: هو المسجد الحرام بعينه، وهو الظاهر. ورُوي عن النبي ﷺ: «بيننا أنا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتاني جبريل عليه السلام بالبراق». وقيل: أُسري به من دار أم هانئ بنت أبي طالب. والمراد بالمسجد الحرام: الحرم؛ لإحاطته بالمسجد والتباسة به. وعن ابن عباس: الحرم كله مسجد. ورُوي: أنه كان نائماً في بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء فأُسري به ورجع من ليلته، وقص القصة على أم هانئ، وقال: «مثل لي النبيون فصليت بهم»، وقام ليخرج إلى المسجد، فتشبت أم هانئ بثوبه، فقال: «مالك؟» قالت: أخشى أن يكذبك قومك إن أخبرتهم، قال: «وإن كذبوني»، فخرج، فجلس إليه أبو جهل فأخبره رسول الله ﷺ

وقال بعضهم: قيل: ﴿لَنُرِيَهُ مِنْ أَيْنَأَ﴾ فغمض عينه عن الآيات شغلاً منه بالحق، ولم يلتفت إلى شيء من الآيات والكرامات، ف قيل له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَّ خُلِقْتَ عَظِيمًا﴾ [القلم: ٤]، حيث لم يشغلك ما لنا عنا. انتهى ما في «الحقائق»<sup>(١)</sup>.

قوله: (فقيل: هو المسجد الحرام بعينه)، وهو الظاهر، لما رَوينا عن البخاري ومسلم والترمذي والنسائي، عن قتادة، عن أنس بن مالك بن صغصعة، أن نبي الله حدثهم عن ليلة أُسري به، قال: بينا أنا في الحطيم، ورباً قال: في الحجر، مضطجع، ومنهم من قال: بين النائم واليقظان، إذ أتاني آت<sup>(٢)</sup>، وفي رواية أخرى للبخاري ومسلم، عن أنس قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «فُرج سقفت بيتي وأنا بمكة»<sup>(٣)</sup>.

قوله: (قال: «وإن كذبوني»)، أي: أنا أخبرهم وإن كذبوني.

(١) «حقائق التفسير» (١: ٣٨١) بتصرف ملحوظ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٩٣)، ومسلم (١٦٨)، والترمذي (٣٣٤٦)، والنسائي (٢١٧).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣).

بحدِيثِ الإسراء، فقال أبو جهل: يا معشر بني كعبِ بنِ لؤيِّ، هلّم، فحدّثهم، فمن بين مُصَفِّقٍ وواضِعٍ يده على رأسه تَعَجُّبًا وإنكارًا، وارتدّد ناسٌ ممن كان قد آمنَ به، وسعى رجالٌ إلى أبي بكرٍ رضي الله عنه فقال: إن كانَ قالَ ذلكَ لقد صدّق، قالوا: أتصدّقه على ذلك؟! قال: إني لأصدّقه على أبعَدَ من ذلك، فسُمِّي الصّدِّيق، وفيهم من سافرَ إلى ما ثَمَّ، فاستنعتوه المسجد، فجُلِّيَ له بيتُ المقدس، فطفِقَ ينظرُ إليه وينعته لهم، فقالوا: أمّا النَّعْتُ فقد أصاب، فقالوا: أخبرنا عن عيرنا، فأخبرهم بعددِ جمالها وأحوالها، وقال: «تقدّم يومَ كذا مع طلوع الشمس، يقدّمها جملٌ أورق»، فخرّجوا

قوله: (هلّم، فحدّثهم)، أي: قال: هلّم فجاؤوا واستمعوا لحديثه فحدّثهم، فالفاءُ فصيحة.

قوله: (تَعَجُّبًا وإنكارًا)، يشيرُ لقوله: «مُصَفِّقٌ وواضِعٌ» من غير ترتيب، وتقديره: فلما سمعوا هذا الكلامَ افترقوا فرقتين من غير ترتيب، فبعضهم مُصَفِّقٌ مُنكِر، وبعضهم واضعٌ يده على رأسه متعجبًا.

قوله: (من سافرَ إلى ما ثَمَّ)، ثَمَّ: عبارةٌ عن المسجدِ الأقصى، وما: كنايةٌ عن المواضع التي حولَ المسجدِ الأقصى.

قوله: (فاستنعتوه المسجد)، رَوينا في «صحيح البخاري» عن جابرٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: لما كذّبني قُرَيْشٌ حينَ أُسِرِي بي إلى بيتِ المقدس، قُمتُ في الحجر، فجلى اللهُ تعالى بيتَ المقدس، فطفِقْتُ أخبرهم عن أبوابه<sup>(١)</sup> وأنا أنظرُ إليه<sup>(٢)</sup>.

قوله: (جملٌ أورق)، قال الأصمعيُّ: الأورقُ من الإبل: الذي في لونه بياضٌ إلى سواد<sup>(٣)</sup>.

(١) وفي (ح) و(ط): «آياته».

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٨٦)، ومسلم (١٧٠).

(٣) وحكاةٌ عنه الجوهريُّ في «الصّحاح» (٤: ١٥٦٥).



يَسْتَدُونَ ذَلِكَ الْيَوْمَ نَحْوَ الثَّنِيَّةِ، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: هَذِهِ وَاللَّهِ الشَّمْسُ قَدْ شَرِقَتْ، فَقَالَ آخَرَ: وَهَذِهِ وَاللَّهِ الْعَيْرُ قَدْ أَقْبَلَتْ يَقْدُمُهَا جَمَلٌ أَوْرُقٌ كَمَا قَالَ مُحَمَّدٌ، ثُمَّ لَمْ يُؤْمِنُوا وَقَالُوا: مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ، وَقَدْ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَكَانَ الْعُرُوجُ بِهِ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَأَخْبَرَ قُرَيْشًا أَيْضًا بِمَا رَأَى فِي السَّمَاءِ مِنَ الْعَجَائِبِ، وَأَنَّهُ لَقِيَ الْأَنْبِيَاءَ وَبَلَغَ الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ وَسِدْرَةَ الْمُنْتَهَى.

وَاخْتَلَفُوا فِي وَقْتِ الْإِسْرَاءِ؛ فَقِيلَ: كَانَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بَسَنَةَ. وَعَنْ أَنَسٍ وَالْحَسَنِ: أَنَّهُ كَانَ قَبْلَ الْبَعَثِ.

وَاخْتَلَفَ فِي أَنَّهُ كَانَ فِي الْبَيْقَظَةِ أَمْ فِي الْمَنَامِ؛ فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَا قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا فُقِدَ جَسَدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَكِنْ عُرِجَ بِرُوحِهِ. وَعَنْ مُعَاوِيَةَ: إِنَّمَا عُرِجَ بِرُوحِهِ. وَعَنِ الْحَسَنِ: كَانَ فِي الْمَنَامِ رُؤْيَا رَأَاهَا، وَأَكْثَرُ الْأَقَاوِيلِ بِخِلَافِ ذَلِكَ، وَالْمَسْجِدُ الْأَقْصَى: بَيْتُ الْمَقْدِسِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ حِينَئِذٍ وَرَاءَهُ مَسْجِدٌ. ﴿بَنَرَكُنَا حَوْلَهُ﴾ يُرِيدُ: بَرَكَاتِ

قَوْلُهُ: (وَكَانَ الْعُرُوجُ بِهِ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ)، رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قَدْ أُتِيْتُ بِالْبُرَاقِ» إِلَى قَوْلِهِ: «فَرَكِبْتُهُ حَتَّى آتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ»<sup>(١)</sup> إِلَى قَوْلِهِ: «ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ» الْحَدِيثُ<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ: (وَأَكْثَرُ الْأَقَاوِيلِ بِخِلَافِ ذَلِكَ)، وَقَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ النَّوَائِي فِي «شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ»<sup>(٣)</sup>: قَدْ لَخَّصَ الْقَاضِي عِيَّاضٌ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْإِسْرَاءِ جُمْلًا حَسَنَةً نَفِيسَةً، فَقَالَ: اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي الْإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقِيلَ: إِنَّمَا كَانَ جَمِيعُ ذَلِكَ فِي الْمَنَامِ<sup>(٤)</sup>. وَالْحَقُّ الَّذِي عَلَيْهِ أَكْثَرُ النَّاسِ وَمُعْظَمُ السَّلَفِ وَعَامَّةُ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ

(١) فِي (ف): بِهِ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٨٨٧)، وَمُسْلِمٌ (١٦٢).

(٣) يَعْنِي النَّوَوِيُّ فِي «شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (١: ٤٩٥).

(٤) قَائِلٌ ذَلِكَ هُوَ الْإِمَامُ الْمَازِرِيُّ صَاحِبُ «الْمُعَلِّمِ بِفَوَائِدِ مُسْلِمٍ»، كَمَا فِي «إِكْمَالِ الْمُعَلِّمِ» لِلْقَاضِي عِيَّاضِ

(١: ٤٩٦).

الدِّينِ وَالذُّنْيَا؛ لَأَنَّهُ مُتَعَبِّدٌ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ وَقْتِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَهِيْطُ الْوَحْيِ، وَهُوَ مَحْفُوفٌ بِالْأَنْهَارِ الْجَارِيَةِ وَالْأَشْجَارِ الْمُثْمِرَةِ. وَقَرَأَ الْحَسَنُ: (لِرِيَّهِ) بِالْيَاءِ، وَلَقَدْ تَصَرَّفَ الْكَلَامُ عَلَى لَفْظِ الْغَائِبِ وَالْمُتَكَلِّمِ؛ فَقِيلَ: ﴿أَسْرِيَّ﴾ ♦ ثُمَّ ﴿بَنَكْنَا﴾ ♦ (لِرِيَّهِ) عَلَى

وَالْمُتَكَلِّمِينَ، أَنَّهُ أُسْرِيَ بِجَسَدِهِ ﷺ، وَالْآثَارُ تَدُلُّ عَلَيْهِ لَمَّا طَالَعَهَا، وَلَا يُعَدَّلُ عَنْ ظَوَاهِرِهَا إِلَّا بِدَلِيلٍ، وَلَا اسْتِحَالَةٍ فِي حَمْلِهَا عَلَيْهِ، فَيَحْتَاجُ إِلَى تَأْوِيلٍ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ مُحْيِي السُّنَّةِ فِي «الْمَعَالِمِ»: وَالْأَكْثَرُونَ عَلَى أَنَّهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ أُسْرِيَ بِجَسَدِهِ فِي الْيَقِظَةِ، وَتَوَاتَرَتِ الْأَخْبَارُ الصَّحِيحَةُ عَلَى ذَلِكَ<sup>(٢)</sup>.

وَقَلْتُ: وَرَوَيْنَا عَنِ الْبُخَارِيِّ وَالتِّرْمِذِيِّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠]، قَالَ: هِيَ رُؤْيَا عَيْنِ أُرِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ<sup>(٣)</sup>.

وَفِي «مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ» عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: شَيْءٌ أُرِيَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْيَقِظَةِ، رَأَاهُ بَعَيْنُهُ حِينَ ذُهِبَ بِهِ إِلَى الْبَيْتِ<sup>(٤)</sup>، وَلِأَنَّهُ قَدْ أَنْكَرْتُهُ قُرَيْشٌ وَارْتَدَّتْ جَمَاعَةٌ مِمَّنْ كَانُوا أَسْلَمُوا حِينَ سَمِعُوهُ، وَإِنَّمَا يُنْكَرُ إِذَا كَانَ فِي الْيَقِظَةِ، فَإِنَّ الرُّؤْيَا لَا يُنْكَرُ مِنْهَا مَا هُوَ أَعْدَدُ مِنْ ذَلِكَ، عَلَى أَنَّ الْحَقَّ أَنَّ الْمِعْرَاجَ مَرَّتَانٍ، مَرَّةً بِالنُّومِ وَأُخْرَى بِالْيَقِظَةِ. قَالَ مُحْيِي السُّنَّةِ: رُؤْيَا أَرَاهُ اللَّهُ تَعَالَى قَبْلَ الْوَحْيِ، بِدَلِيلِ قَوْلِ مَنْ قَالَ: فَاسْتَيْقِظَ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ فِي الْيَقِظَةِ بَعْدَ الْوَحْيِ قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِسَنَةِ تَحْقِيقِ الرُّؤْيَا، كَمَا أَنَّهُ رَأَى فَتَحَ مَكَّةَ فِي الْمَنَامِ سَنَةً سَبْتُ مِنَ الْهَجْرَةِ، ثُمَّ كَانَ تَحْقِيقَهُ سَنَةً ثَمَانٍ<sup>(٥)</sup>.

(١) «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (١: ٤٩٧). ولتتام الفائدة انظر: «الشفا» للقاضي عياض حيث أوفى على الغاية في بحث هذه المسألة وتحرير الخلاف المنصوب فيها على المعهود من منهجه السديد رحمه الله.

(٢) «معالم التنزيل» (٥: ٥٨).

(٣) أخرجه البخاري (٤٧١٦)، والترمذي (٣١٣٤).

(٤) أي: بيت المقدس، كما هو لفظ رواية الإمام أحمد في «المسند» (٣٥٠٠) بإسناد صحيح. وفي (ح) و(ف): «إلى السماء».

(٥) انظر: «معالم التنزيل» للبغوي (٥: ٦٥).

قراءة الحسن، ثم: ﴿مِنْ مَائِنِنَا﴾، ثم ﴿إِنَّهُ هُوَ﴾، وهي طريقة الالتفات التي هي من طرق البلاغة. ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوال محمد ﴿الْبَصِيرُ﴾ بأفعاله، العالم بتهدُّبها وخلوصها، فيكرمه ويقربُه على حسب ذلك.

[﴿وَمَا آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا تَنَخَّذُوا مِنْ دُونِ وَكَيْلًا \* ذُرِّيَّةً مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ ٢-٣]

﴿إِلَّا تَنَخَّذُوا﴾ ﴿قُرِئَ بِالْبَاءِ عَلَى: (لِئَلَّا يَتَّخِذُوا)، وبالطاء على: (أَي: لَا تَتَّخِذُوا) كَقَوْلِكَ: كَتَبْتُ إِلَيْهِ: أَنْ أَفْعَلَ كَذَا، ﴿وَكَيْلًا﴾: رَبًّا تَكْلُونُ إِلَيْهِ أُمُورَكُمْ. ﴿ذُرِّيَّةً مَنْ حَمَلْنَا﴾ نَصَبٌ عَلَى الْاِخْتِصَاصِ. وَقِيلَ: عَلَى النَّدَاءِ فَيَمَنْ قَرَأَ: ﴿إِلَّا تَنَخَّذُوا﴾

قوله: (هي من طرق البلاغة)، وذلك أن قوله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ يدلُّ على مسيره من عالم الشهادة إلى عالم الغيب، فهو بالغيبة أنسب، وقوله: ﴿الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ دَلٌّ عَلَى إِنْزَالِ الْبَرَكَاتِ، وتعظيم شأن المنزل، فهو بالحكاية على التفخيم أخرى، قوله: ﴿لِئَلَّا يَتَّخِذُوا﴾ بالياء: إعادة إلى مقام السرِّ والغيبة من هذا العالم، فالغيبة بها التيقن. وقوله: ﴿مِنْ مَائِنِنَا﴾: عَوْدٌ إِلَى التَّعْظِيمِ عَلَى مَا سَبَقَ، وقوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، أشار به إلى مقام اختصاصه بالمنح والزلْفَى وَغَيْبَةِ شُهُودِهِ فِي عَيْنِ «يَ سَمِعَ وَبِي يُبْصِرَ»، فالعود إلى الغيبة أولى.

قوله: ﴿إِلَّا تَنَخَّذُوا﴾ ﴿قُرِئَ بِالْبَاءِ﴾، أبو عمرو، والباقون: بالتاء الفوقانية<sup>(١)</sup>.

قال أبو البقاء: أما تقدير الياء التحتانية، فهو ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى﴾؛ لئلا يتخذوا، أو: ﴿وَمَا آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ لئلا يتخذوا، وأما تقدير التاء ففيه وجهان، أن «أن» بمعنى: أي، وهي مفسرة لما تضمنته الكتاب من الأمر والنهي، وثانيهما: أن «لا» زائدة، والتقدير: مخافة أن تتخذوا، وقد رجع في هذا من الغيبة إلى الخطاب<sup>(٢)</sup>.

(١) والمعنى فيها متقارب. قال الأزهرى: «فمن قرأ بالتاء فعلى الخطاب، ومن قرأ بالياء فللغيبة، وكله

جائز. انتهى من «معاني القراءات»، ص ٢٥٢.

(٢) «البيان في إعراب القرآن» (٢: ٨١١-٨١٢).

بالتاء على النهي، يعني: قلنا لهم: لا تتخذوا من دُونِي وَكَيْلًا يَا ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾، وقد يُجْعَل ﴿وَكَيْلًا﴾ \*ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا﴾ مفعولي ﴿تَتَّخِذُوا﴾، أي: لا تجعلوهم أربابًا كقولهِ: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا﴾ [آل عمران: ٨٠]، ومن ذُرِّيَّةِ الْمُحْمُولِينَ مَعَ نُوحٍ: عيسى وعزيرٌ عليهم السَّلَام. وقرئ: ﴿ذُرِّيَّةٌ مِّنْ هَمَلْنَا﴾ بِالرَّفْعِ بَدَلًا مِنْ وَاو ﴿تَتَّخِذُوا﴾. وقرأ زيدٌ بنُ ثابت: (ذُرِّيَّةٌ) بِكسْرِ

قوله: (أي: لا تجعلوهم أربابًا)، يريد أن في اختصاص هذا الوصف، وهو كونهم ذُرِّيَّةِ الْمُحْمُولِينَ مَعَ نُوحٍ، وترتيب حُكْمِ النَّهْيِ عن الإِشْرَاقِ على ذلك إشعارًا بأنهم لا يصلحون أن يكونوا أربابًا من دُونِ اللَّهِ؛ لأنهم عاجزونٌ مُخْصَرُونَ في ذاتِ أُلُوحٍ وَدُؤِيرٍ، فكيف يصحُّ أن تتخذوا وكيلاً من دُونِ اللَّهِ!؟

قوله: (وقرئ: ﴿ذُرِّيَّةٌ مِّنْ هَمَلْنَا﴾ بِالرَّفْعِ بَدَلًا مِنْ وَاو ﴿تَتَّخِذُوا﴾)، قال أبو البقاء: هذا على القراءةِ بالياء، لأنهم عُيِّبَ<sup>(١)</sup>. قال صاحبُ «التخمين»: إنما لم يَجْزُ إِبْدَالُ الْمُظْهَرِ مِنَ الْمُضْمَرِ الْمُتَكَلِّمِ وَالْمُخَاطَبِ؛ لأنَّ ضَمِيرَ الْمُتَكَلِّمِ وَالْمُخَاطَبِ لا يكونُ غَيْرَ وَاحِدٍ، بخلافِ ضَمِيرِ الْغَيْبَةِ، وَالْإِبْدَالُ لِلتَّبْيِينِ، فَيَخْتَصُّ بِمَوْضِعٍ فِيهِ احْتِمَالٌ، فَلِذَا جَازَ: مَرَرْتُ بِهِ زَيْدٌ، وَلَمْ يَجْزُ: مَرَّ بِى الْمَسْكِينِ، وَلا عَلَيْكَ الْكَرِيمِ.

فإن قلت: فما تقول في قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا﴾ [الأحزاب: ٢١] فقد أُبْدِلَ فِيهِ الْغَائِبُ مِنَ الْمُخَاطَبِ؟ قلتُ: لأنَّ الْخِطَابَ لَيْسَ لِقَوْمٍ بِأَعْيَانِهِمْ، فَتَنَزَّلُوا مِنْزَلَةَ الْغَائِبِ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى: لَقَدْ كَانَ لِلنَّاسِ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ.

وذكرَ الرُّكْسِي<sup>(٢)</sup>: أَنَّ الْكُوفِيِّينَ وَالْأَخْفَشَ أَجَازُوا إِبْدَالَ الْمُظْهَرِ مِنَ الْمُضْمَرِ الْحَاضِرِ<sup>(٣)</sup>

(١) وجعلها من باب الشاذ. انظر: «التبيان في إعراب القرآن» (٢: ٨١٢)، و«مختصر شواذ القرآن» لابن خالويه، ص ٧٤.

(٢) لم أهد إلى ترجمته. وفي (ط): «الركني».

(٣) في (ف): «المخاطب».

الذال. ورُوِيَ عنه: أنه قد فسَّرَها بَوْلِدِ الوَلَدِ، ذَكَرَهُمُ اللهُ النُّعْمَةَ فِي إِنْجَاءِ آبَائِهِمْ مِنْ  
 الْغَرَقِ. ﴿إِنَّهُ﴾: إِنَّ نُوْحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ قيل: كان إذا أَكَلَ  
 قال: الحمدُ لله الذي أَطْعَمَنِي، ولو شاءَ أَجَاعَنِي، وإذا شَرِبَ قال: الحمدُ لله الذي  
 سَقَانِي، ولو شاءَ لَأَظْمَأَنِي، وإذا اكْتَسَى قال: الحمدُ لله الذي كَسَانِي، ولو شاءَ أَعْرَانِي،  
 وإذا احْتَدَى قال: الحمدُ لله الذي حَذَانِي، ولو شاءَ أَحْفَانِي، وإذا قَضَى حاجَتَهُ قال:  
 الحمدُ لله الذي أَخْرَجَ عَنِّي أَذَاهُ فِي عَافِيَةٍ، ولو شاءَ حَبَسَهُ، ورُوِيَ أَنَّهُ كان إذا أَرَادَ  
 الإِفْطَارَ عَرَضَ طَعَامَهُ عَلَى مَنْ آمَنَ بِهِ، فَإِنْ وَجَدَهُ مُحْتَاجًا أَتَرَهُ بِهِ. فَإِنْ قُلْتَ: قَوْلُهُ:  
 ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ ما وَجَهُ مُلَاءَمَتِهِ لِمَا قَبْلَهُ؟ قُلْتَ: كَأَنَّهُ قِيلَ: لا تَتَّخِذُوا  
 مِنْ دُونِي وَكَيْلًا، وَلا تُشْرِكُوا بِي؛ لِأَنَّ نُوْحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ كان عَبْدًا شَكُورًا، وَأَنْتُمْ ذُرِّيَّةُ

مطلقًا، تَمَسَّكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾  
 [الأنعام: ١٢]، فَإِنَّ ﴿الَّذِينَ﴾ بَدَلٌ مِنْ «كُم»، قال: وَأَنَا سَاعَ لِأَنَّ ﴿الَّذِينَ﴾: بَدَلُ  
 الْبَعْضِ، وَأما غير بَدَلِ الْكُلِّ، فيَجوزُ لِفَقْدانِ الْمانِعِ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْمَقْصُودُ بِالنِّسْبَةِ أَقَلَّ  
 دِلالةً، فَإِنَّ بَدَلُ الْبَعْضِ وَالِاشْتِمَالِ لَيْسَ مَدْلُوهُما مَدْلُولُ الْأَوَّلِ، فيَجوزُ: اشْتَرَيْتَكَ نِصْفَكَ،  
 وَأَعْجَبَنِي عِلْمُكَ، وَمَنْهُ قَوْلُ الشاعِرِ:

ذَرِينِي إِنْ أَمَرَكَ لَنْ يُطاعا وما الْفَيْتِنِي حِلْمِي مُضاعا<sup>(١)</sup>

وَهأُنا مَفهُومُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذُرِّيَّةً مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ أَيْبُنُ دِلالةً مِنْ مَفهُومِ الضَّمِيرِ  
 فِي (تَتَّخِذُوا) الْمُعَبَّرِ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

قوله: (ولا تُشْرِكُوا بِي)، عطفٌ تفسيريٌّ لقوله: «لا يتخذوا من دوني وكيلًا».

قوله: (إن نوحًا كان عبدًا شكورًا)، أي: إنه كان موحدًا؛ لأن الشاكر من يقوم بجملته  
 وشرائره في خدمة المنعم عليه. قال:

(١) لعددي بن زيد العبادي في «ديوانه»، ص ٣٥. ولتتام الفائدة انظر: «خزانة الأدب» (٢: ٣٦٨).

مَنْ آمَنَ بِهِ وَحَمَلَ مَعَهُ، فَاجْعَلُوهُ أُسْوَتَكُمْ كَمَا جَعَلَهُ آبَاؤُكُمْ أُسْوَتَهُمْ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَعْلِيلًا لِاخْتِصَاصِهِمْ وَالشَّانِ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ أَوْلَادُ الْمُحْمُولِينَ مَعَ نُوحٍ، فَهَمَّ مُتَّصِلُونَ بِهِ، فَاسْتَأْهَلُوا لِذَلِكَ الْاِخْتِصَاصِ، وَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ عِنْدَ ذِكْرِهِ عَلَى سَبِيلِ الْاِسْتِطْرَادِ.

[﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لُفْسِدَنَ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَعَنَّا غُلُوًّا كَبِيرًا \* فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَاتَ وَعْدًا مَفْعُولًا \* ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٤-٦﴾

﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ.....

أَفَادَتْكُمْ النِّعْمَاءُ مِنِّي ثَلَاثَةً<sup>(١)</sup>

فإذا توهّم أدنى شرك فيه لم يكن شاكراً حقاً، لا سيّما والشكور من أبنية المبالغة.

قوله: (فاجعلوه أسوتكم)، الراغب: الأسوة والإسوة كالقُدوة والقُدوة: وهي الحالة التي يكون عليها الإنسان في أتباع غيره، إن حسناً أو قُبْحاً، وإن ساراً أو ضاراً؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، فوصفها بالحسنة<sup>(٢)</sup>.

قوله: (ويجوز أن يكون تعليلاً)، مبنّي على أن «ذريّة» منصوب على الاختصاص والمدح، يعني: إنّما خصصناكم بهذا الخطاب لأنكم أولادُ آباءٍ مُكْرَمِينَ، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف: ٨٢]، قال القاضي: فيه إيحاءٌ بأنّ إنجاءه ومن معه كان ببركة شكره، وحثٌّ للذريّة على الاقتداء به<sup>(٣)</sup>.

وقلت: اعتبر اختصاص الحمل بالذكر وأدماج هذا المعنى فيه.

قوله: (على سبيل الاستطراد)، فعلى هذا لا يكون تعليلاً.

(١) البيت غير منسوب في «الفائق» (١: ٣١٤) وغيره، وتمامه: يدي ولساني والضمير المحجّب.

(٢) «مفردات القرآن» ص ٧٦.

(٣) «أنوار التنزيل» (٣: ٤٣٢).

وَحَيًّا مَقْضِيًّا، أَي: مَقْطُوعًا مَبْتُوتًا بِأَنَّهُمْ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ لَا مَحَالَةَ، وَيَعْلُونَ، أَي: يَتَعَزَّمُونَ وَيَبْغُونَ. ﴿فِي الْكِتَابِ﴾: فِي التَّوْرَةِ، وَ﴿لِنُفْسِدَنَّ﴾ جَوَابُ قَسَمِ مَحْذُوفٍ، وَيَجُوزُ أَنْ يَجْرِيَ الْقَضَاءُ الْمَبْتُوتُ بِجَرَى الْقَسَمِ، فَيَكُونُ ﴿لِنُفْسِدَنَّ﴾ جَوَابًا لَهُ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَأَقْسَمْنَا لِنُفْسِدَنَّ، وَقُرِيَ: ﴿لَتُنْفُسِدَنَّ﴾ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ، وَ﴿لَتُنْفُسِدَنَّ﴾ بِفَتْحِ التَّاءِ؛ مِنْ: فَسَدَ، ﴿مَرَّتَيْنِ﴾ أَوْ لَاهُمَا: قَتَلَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَحَبَسَ إِرْمِيَا حِينَ أَنْذَرَهُمْ سَخَطَ اللَّهِ. وَالْآخِرَةُ: قَتَلَ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا وَقَصَدُ قَتَلَ عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ. ﴿عِبَادًا لَنَا﴾ وَقُرِيَ: (عَبِيدًا لَنَا)، وَأَكْثَرُ مَا يُقَالُ: عِبَادُ اللَّهِ وَعَبِيدُ النَّاسِ، سَنَحَارِبُ وَجُنُودُهُ،

قَوْلُهُ: (وَحَيًّا مَقْضِيًّا أَي: مَقْطُوعًا)، الرَّاعِبُ: الْقَضَاءُ: فَضْلُ الْأَمْرِ قَوْلًا كَانَ أَوْ فِعْلًا، وَكُلٌّ مِنْهَا عَلَى وَجْهَيْنِ: إِلَهِيٌّ وَبَشَرِيٌّ، فَمَنْ الْقَوْلِ الْإِلَهِيُّ<sup>(١)</sup>: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾، فَهَذَا قَضَاءٌ بِالْإِعْلَامِ وَالْفَصْلِ فِي الْحُكْمِ، أَي: أَعْلَمْنَاهُمْ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ وَحَيًّا جَزْمًا، وَمَنْ الْفِعْلِ الْإِلَهِيُّ: ﴿فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فَصَلَتْ: ٢١]؛ لِأَنَّهُ إِشَارَةٌ إِلَى إِيجَادِهِ الْإِبْدَاعِيِّ وَالْفِرَاقِ مِنْهُ<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ: (وَقُرِيَ: ﴿لَتُنْفُسِدَنَّ﴾ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ، وَ﴿لَتُنْفُسِدَنَّ﴾ بِفَتْحِ التَّاءِ؛ مِنْ: فَسَدَ)، قَالَ أَبُو الْبَقَاءِ: الْمَعْنَى عَلَى الْأَوَّلِ يُفْسِدُكُمْ غَيْرُكُمْ، وَعَلَى الثَّانِي: تَفْسِدُ أُمُورَكُمْ<sup>(٣)</sup>.

قَوْلُهُ: (وَأَكْثَرُ مَا يُقَالُ: عِبَادُ اللَّهِ)، قَالَ ابْنُ جَنِّي: أَكْثَرُ اللَّغَةِ أَنْ يُسْتَعْمَلَ الْعَبِيدُ لِلنَّاسِ وَالْعِبَادُ لِلَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الْحَجَر: ٤٢]، ﴿يَعْبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ [الزَّمَر: ١٦]، وَهُوَ كَثِيرٌ، وَقَالَ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلْمِرٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فَصَلَتْ: ٤٦]؛<sup>(٤)</sup>.

قَوْلُهُ: (سَنَحَارِبُ) نَصْبٌ عَطْفُ بَيَانٍ لـ «عِبَادًا»، وَيُرْوَى بِالرَّفْعِ، أَي: هُمْ سَنَحَارِبُ وَجُنُودُهُ.

(١) فِي (ف): «الْبَشَرِيَّ»، وَفِي (ط): «الْأَوَّل».

(٢) «مَفْرَدَاتُ الْقُرْآنِ»، ص ٦٧٤.

(٣) «التَّبْيَانُ فِي إِعْرَابِ الْقُرْآنِ» (٢: ٨١٢).

(٤) «الْمَحْتَسِبُ» (٢: ١٤).

وقيل: بُخْتَنَصَّر. وعن ابن عباس: جالوت. قَتَلُوا عُلَمَاءَهُمْ وَأَحْرَقُوا التَّوْرَةَ، وَخَرَّبُوا الْمَسْجِدَ، وَسَبُّوا مِنْهُمْ سَبْعِينَ أَلْفًا. فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ جَازَ أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ الْكُفْرَةَ عَلَى ذَلِكَ وَيُسَلِّطَهُمْ عَلَيْهِ؟ قُلْتَ: مَعْنَاهُ: خَلَيْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا فَعَلُوا وَلَمْ نَمْنَعَهُمْ، عَلَى أَنْ اللَّهُ عَزَّ وَعَلَا أَسَدَّ بَعَثَ الْكُفْرَةَ عَلَيْهِمْ إِلَى نَفْسِهِ، فَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعَصَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩]، وَكَقَوْلِ الدَّاعِي: وَخَالَفَ بَيْنَ كَلِمِهِمْ، وَأَسَدَّدَ الْجَوْسَ - وَهُوَ التَّرْدُّدُ خِلَالَ الدِّيَارِ بِالْفَسَادِ - إِلَيْهِمْ، فَتَخْرِبُ الْمَسْجِدَ وَإِحْرَاقُ التَّوْرَةِ

قَوْلُهُ: (مَعْنَاهُ: خَلَيْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا فَعَلُوا)، يَعْنِي: مَعْنَى تَسْلِيطِ الْكُفْرَةِ عَلَى ذَلِكَ، أَي: قَتَلَ الْعُلَمَاءَ وَإِحْرَاقِ التَّوْرَةِ وَتَخْرِيْبِ الْمَسْجِدِ وَالسَّبِي. الْإِنْتِصَافُ: السُّؤَالُ يَتَوَجَّهُ عَلَى الْقَدْرِيَّةِ، وَأَمَّا السُّنِّيُّ فَيَقُولُ: ﴿لَا يَسْتَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء: ٢٣] (١).

قَوْلُهُ: (عَلَى أَنْ اللَّهُ عَزَّ وَعَلَا أَسَدَّدَ بَعَثَ الْكُفْرَةَ عَلَيْهِمْ)، يَعْنِي أَنْ الْبَعْثَ مَجَازًا، عَلَى أَنْ الْحَقِيقَةَ جَائِزَةٌ أَيْضًا؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَسَدَّدَ بَعَثَ الْكُفْرَةَ عَلَيْهِمْ إِلَى نَفْسِهِ؛ لِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا بِقَتْلِ زَكَرِيَّا وَيَحْيَى، وَقَضَدَ قَتَلَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعَصَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩].

قَوْلُهُ: (وَكَقَوْلِ الدَّاعِي: وَخَالَفَ بَيْنَ كَلِمِهِمْ)، يَعْنِي: مِثْلَ هَذَا الْإِسْنَادِ جَائِزًا بَلْ مَنْدُوبًا إِلَيْهِ، يَقُولُونَ فِي الدُّعَاءِ عَلَى الْكُفْرَةِ: اللَّهُمَّ زَلِّزْ أقدامَهُمْ، وَنَكِّسْ أعلامَهُمْ، وَخَالَفَ بَيْنَ كَلِمَتِهِمْ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى﴾ [التوبة: ٤٠]، وَكَلِمَتُهُمْ: دَعْوَتُهُمْ إِلَى الْكُفْرِ وَاتِّفَاقُهُمْ عَلَيْهِ.

قَوْلُهُ: (وَأَسَدَّدَ الْجَوْسَ)، إِلَى آخِرِهِ، مُرَادُهُ: أَنَّهُ تَعَالَى أَسَدَّدَ إِلَى نَفْسِهِ مَا يَصِحُّ أَنْ يُسَدَّدَ إِلَيْهِ مِنْ بَعَثَ الْكُفْرَةَ عَلَيْهِمْ؛ لِأَجْلِ فِسَادِهِمْ، وَأَسَدَّدَ مَا لَا يَصِحُّ أَنْ يُسَدَّدَ إِلَيْهِ مِنَ الْكُفْرَةِ مِنْ تَخْرِيْبِ الْمَسْجِدِ وَإِحْرَاقِ التَّوْرَةِ. فَيَقَالُ لَهُ: لَوْلَا بَعَثَهُ وَتَمَكِينُهُ إِيَّاهُمْ كَيْفَ قَدَرُوا عَلَى ذَلِكَ؟ فَهُوَ كإِعْطَاءِ سَيْفٍ بِاتِّرٍ ظَالِمًا يَقَطِّعُ الطَّرِيقَ وَيَسْبِي الْحَرِيمَ، فَوْقَ فِيمَا فَرَّ مِنْهُ.

(١) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٢: ٦٤٩).



من جُمْلَةِ الْجَوْسِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِمْ، وَقَرَأَ طَلْحَةُ: (فَحَاسُوا) بِالْحَاءِ، وَقُرِي: (فَحَوَّسُوا)،  
 وَ(خَلَّلَ الدِّيَارِ). فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى: ﴿وَعَدَاؤُهُمَا﴾؟ قُلْتَ: مَعْنَاهُ: وَعَدُّ عِقَابِ  
 أَوْلَاهِمَا. ﴿وَكَانَ وَعَدَاؤُهُمْ مَفْعُولًا﴾ يَعْنِي: وَكَانَ وَعَدُّ الْعِقَابِ وَعَدَا لَا بُدَّ أَنْ يُفْعَلَ.  
 ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمْ الْكَرَّةَ﴾ أَي: الدَّوْلَةَ وَالْغَلْبَةَ عَلَى الَّذِينَ بُعِثُوا عَلَيْكُمْ حِينَ تَبَّئْتُمْ  
 وَرَجَعْتُمْ عَنِ الْفَسَادِ وَالْعُلُوِّ. قِيلَ: هِيَ قَتْلُ بُخْتَنْصَرِّ وَاسْتِنْقَاذُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَسْرَاهُمْ  
 وَأَمْوَالَهُمْ وَرُجُوعُ الْمَلِكِ إِلَيْهِمْ. وَقِيلَ: هِيَ قَتْلُ دَاوُدَ جَالوتَ. ﴿أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ مِمَّا  
 كُنْتُمْ، وَالتَّفِيرُ: مَنْ يَنْفِرُ مَعَ الرَّجُلِ مِنْ قَوْمِهِ. وَقِيلَ: جَمْعُ نَفَرٍ، كَالْعَبِيدِ وَالْمَعِينِ.

قوله: (وقرأ طلحة: «فحاسوا»)، قال ابن جني: قال أبو زيد أو غيره، قلت له: إنما هو فجاسوا بالحاء، قال: جاسوا وحاسوا واحد، وهذا يدل على أن بعض القراء يتخير بلا رواية، ولذلك نظائر<sup>(١)</sup>.

قوله: (وقرئ «فحوَّسوا»)، في «الموضح»: «حوَّسوا» بالحاء غير المعجمة مُشَدَّدُ الْوَاوِ.  
 الرَّاعِبُ: ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾، أَي: تَوَسَّطُوهَا وَتَرَدَّدُوا بَيْنَهَا، وَيُقَارِبُ ذَلِكَ «جَاسُوا»  
 وَ«دَاسُوا»، وَقِيلَ: الْجَوْسُ: طَلَبُ ذَلِكَ الشَّيْءِ بِاسْتِقْصَاءٍ<sup>(٢)</sup>، وَالخِلَالُ: فُرْجَةٌ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ،  
 وَجَمْعُهُ خِلَالٌ، نَحْوُ: خِلَالُ الدِّيَارِ وَالسَّحَابِ وَالرَّمَادِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ  
 خِلَالِهِ﴾ [الزُّمَرُ: ٤٨]، وَعَنْ بَعْضِهِمْ: خِلَلٌ إِمَّا مُفْرَدٌ جَمْعُهُ: خِلَالٌ، كَجَبَلٍ، وَإِمَّا بِمَعْنَى  
 الخِلَالِ، وَالخِلَالُ حَيْثُذُ مَفْرَدٌ.

قوله: (واستنقاذ بني إسرائيل أسراهم)، قال القاضي: وذلك بأن ألقى الله في قلب  
 بهمن بن أسفنديار لما ورث ملك كشتاسف بن هراسف شفقة عليهم، فردَّ أسراهم إلى  
 الشام وملك دانيال عليهم، فاستولوا على من كان فيها من أتباع بُخْتَنْصَرِّ<sup>(٣)</sup>، وَاللَّهُ أَعْلَمُ  
 بِحَقِيقَةِ ذَلِكَ.

(١) «المحتسب» (٢: ١٥) وتمن قرأ بذلك أيضًا أبو السهمال. انظر: «شواذ القرآن» لابن خالويه، ص ٧٥.

(٢) «مفردات القرآن»، ص ٢١٢.

(٣) «أنوار التنزيل» (٣: ٤٣٣).

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْفُوا  
وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ [٧]

أي: الإحسان والإساءة كلاهما مختص بأنفسكم، لا يتعدى النفع والضرر إلى غيركم. وعن علي رضي الله عنه: ما أحسنت إلى أحد ولا أسأت إليه. وتلاها. ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْمَرَّةِ الْآخِرَةِ﴾ بعثناهم ﴿لِيَسْتَوْفُوا وُجُوهَكُمْ﴾ حذف؛ لدلالة ذكره أولاً عليه، ومعنى ﴿لِيَسْتَوْفُوا وُجُوهَكُمْ﴾: ليجعلوها بادية آثار المساءة والكآبة فيها، كقولهم: ﴿سَيَتَّ وَجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الملك: ٢٧]، وقرئ: (ليسوء)، والضمير لله

قوله: (لدلالة ذكره أولاً)، يعني: جواب (إذا) قوله: «بعثناهم»، بدليل قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أَوْلَهُمَا بَعثنا عَلَيْهِمْ﴾، فعلى هذا قوله: ﴿وَلِيَدْخُلُوا﴾ عطف على ﴿لِيَسْتَوْفُوا﴾ لاتفاقهما.

فإن قلت: لا ارتياب أن قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ عطف على قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أَوْلَهُمَا﴾ وهما تفصيل لقوله: ﴿لِنَفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾، وكان من حق الظاهر أن يترك القرينة الثانية عن الفاء إلى الواو، فما وجهه؟ قلت - والله أعلم -: إن مدخول الفاء وإن كان قسيماً لقوله ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أَوْلَهُمَا﴾ لكن تخلل بين المعطوفين، قوله: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾، فجرة إلى نفسه، كأنه قيل: وإن أسأتم فلها، وقد حصل منكم الإساءة والإفساد مرة أخرى، وهما السبب<sup>(١)</sup> في مجيء الوعد في الآخرة: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْفُوا وُجُوهَكُمْ﴾. ألا ترى كيف وصل قوله: ﴿وَلَيْنُ عُدْتُمْ عَدْنَا﴾ بما دُيِّل به هذا الوعد الآخرة، وهو قوله: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ﴾ أي: إن تُبْتَم.

قوله: (وقرئ: «ليسوء»)، أبو بكر وابن عامر وحمزة: بالياء ونصب الهزمة على التوحيد، والكسائي: بالنون ونصب الهزمة على الجمع، والباقون: بالياء وهزمة مضمومة

(١) في (ف): أنسب.

عَزَّ وَجَلَّ، أَوْ لِلوَعْدِ، أَوْ لِلبَعَثِ، وَ(لِنَسْوَةٍ) بِالنُّونِ. وَفِي قِرَاءَةِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لِنَسْوَةٍ)، وَ(لَيْسْوَةٍ). وَقُرِي: (لِنَسْوَةٍ) بِالنُّونِ الْخَفِيفَةِ. وَاللَّامُ فِي ﴿لِيَدْخُلُوا﴾ عَلَى هَذَا - مُتَعَلِّقٌ بِمَحذُوفٍ؛ وَهُوَ: وَبَعَثْنَاَهُمْ لِيَدْخُلُوا. وَ(لِنَسْوَةٍ) جَوَابٌ «إِذَا جَاءَ». ﴿مَاعَلَوْا﴾ مَفْعُولٌ ﴿لِيَتَّبِعُوا﴾، أَي: لِيُهْلِكُوا كُلَّ شَيْءٍ غَلَبُوهُ وَاسْتَوْلَوْا عَلَيْهِ، أَوْ بِمَعْنَى: مُدَّةٌ عَلَوْهُمْ.

[﴿عَسَى رَبُّكَ أَنْ يَرْحَمَكَ وَإِنْ عُدْتُمْ عَدْنَاً وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ ٨]

﴿عَسَى رَبُّكَ أَنْ يَرْحَمَكَ﴾ بَعْدَ الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ إِنْ تَبْتُمْ تَوْبَةً أُخْرَى وَانزَجَرْتُمْ عَنِ الْمَعَاصِي، ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ﴾ مَرَّةً ثَلَاثَةً ﴿عَدْنَا﴾ إِلَى عُقُوبَتِكُمْ، وَقَدْ عَادُوا، فَأَعَادَ اللَّهُ إِلَيْهِمُ النَّقْمَةَ بِتَسْلِيْطِ الْأَكَابِرَةِ وَضَرْبِ الْإِنَاوَةِ عَلَيْهِمْ. وَعَنْ الْحَسَنِ: عَادُوا فَبَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ،

بَيْنَ وَأَوَيْنَ عَلَى الْجَمْعِ<sup>(١)</sup>، قَالَ أَبُو الْبَقَاءِ: التَّقْدِيرُ عَلَى الْجَمْعِ: لَيْسْوَةُ الْعِبَادِ، أَوْ النَّفِيرِ. وَيُقْرَأُ «لَيْسْوَةٌ» بِغَيْرِ وَوَاوٍ، أَي: لَيْسْوَةُ الْبَعْثِ أَوْ الْمَبْعُوثِ أَوْ النَّفِيرِ أَوْ اللَّهُ تَعَالَى<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ: «(لِنَسْوَةٍ)» بِالنُّونِ الْخَفِيفَةِ. قَالَ ابْنُ جَنِّي: قَرَأَ أَبُو بِنُ كَعْبٍ: «لِنَسْوَةٍ» بِالنُّونِ، فَطَرِيقُ الْقَوْلِ فِيهِ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ الْفَاءَ فَحَذَفَهَا، أَي: فَلَيْسْوَةٌ وَجَوْهَكُمْ، عَلَى لَفْظِ الْأَمْرِ، كَمَا تَقُولُ: إِذَا سَأَلْتَنِي فَلَأُعْطِيكَ، كَأَنَّكَ تَأْمُرُ نَفْسَكَ، وَمَعْنَاهُ: فَلَأُعْطِيَنَّكَ، وَاللَّامَانِ بَعْدَهُ لِلْأَمْرِ أَيْضًا، وَهِيَ ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا﴾. وَيُقْوَى ذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ لـ «إِذَا» جَوَابٌ فِيهَا بَعْدُ، فَالتَّقْدِيرُ: فَلِنَسْوَةٍ وَجَوْهَكُمْ، أَي: فَلِنَسْوَةٍ<sup>(٣)</sup>. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ فِي «فَلِنَسْوَةٍ» الْفَاءَ مَقْدَرَةً.

قَوْلُهُ: (وَضَرْبِ الْإِنَاوَةِ عَلَيْهِمْ)، أَي: الْحَرَّاجِ، فَإِنْ قُلْتَ: مَا وَجْهُ اسْتِقَامَةِ هَذَا الْوَجْهِ، وَهُوَ تَسْلِيْطُ الْأَكَابِرَةِ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ مَضَى، مَعَ قَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عَدْنَا﴾ وَهُوَ لِلْإِسْتِقْبَالِ<sup>(٤)</sup>؟

(١) لتمام الفائدة انظر: «إتحاف فضلاء البشر»، ص ٢٨٢.

(٢) «التيبان في إعراب القرآن» (٢: ٨١٣).

(٣) «المحتسب» (٢: ١٥).

(٤) في (ط): «للاستقبال».

فَهُمْ يُعْطَوْنَ الْحِزْيَةَ عَنِ يَدِ وَهُمْ صَاغِرُونَ. وَعَنْ قَتَادَةَ: ثُمَّ كَانَ آخِرُ ذَلِكَ أَنْ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْعَرَبِ، فَهَمَّ مِنْهُمْ فِي عَذَابٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. ﴿حَصِيرًا﴾ مَجَسَّسًا، يُقَالُ لِلسَّجْنِ: مَحَصَّرٌ وَحَصِيرٌ. وَعَنْ الْحَسَنِ: بِسَاطًا كَمَا يُبَسِّطُ الْحَصِيرُ الْمَرْمُولَ.

[﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ \* وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٩-١٠﴾]

﴿لَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾: للحالة التي هي أقوم الحالات وأسدّها، أو: لليلة، أو: للطريقة، وأيّتها قدّرت لم تجد مع الإثبات ذوق البلاغة الذي تجده مع الحذف؛ لهما في إبهام الموصوف بحذفه من فخامة تُفقد مع إيضاحه. وقرئ: (ويبشّر) بالتخفيف. فإن قلت: كيف ذكر المؤمنين الأبرار والكفار ولم يذكر الفسقة؟ قلت: كان الناس حينئذ إما مؤمن تقي، وإما مشرك، وإنما حدث أصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك.

قلت: استقامته من حيث إنّ هذه المذكورات كلّها كانت مثبتة في التوراة مقضية عليهم، لقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾، والكتاب: التوراة، كما نصّ عليه المصنّف.

قوله: (المزمول)، الجوهرية: رملت الحصير، أي: سقفته، بمعنى نسجته، وأزملته: مثله.

قوله: (لما في إبهام الموصوف بحذفه من فخامة تُفقد مع إيضاحه)، فإنك إذا أضربت عن ذكر إحدى هذه المقدرات صفحا بقي اللفظ مجملا يصلح أن يتناول كلا منها وما شاكلها، فإذا قيدها بواحدة منها اختص بها، فكأنك قلت: يهدي لما لا يدخل تحت الوصف والخصر مما ذكر في الكتاب، ومما لم يذكر، كقولك: جاء بعد اللتيا والتي.

قوله: («ويبشّر»، بالتخفيف): حمزة والكسائي.

قوله: (وإنما حدث أصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك)، قيل: هذا من أبي حذيفة

فَإِنْ قُلْتَ: عَلَامَ عُطْفٍ ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾؟ قُلْتَ: عَلَى ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾، عَلَى  
 مَعْنَى: أَنَّهُ بَشَّرَ الْمُؤْمِنِينَ بِبِشَارَتَيْنِ اثْنَتَيْنِ: بِثَوَابِهِمْ، وَبِعِقَابِ أَعْدَائِهِمْ. وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ:  
 وَيُخْبِرُ بِأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ مُعَذَّبُونَ.

وَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ<sup>(١)</sup>. وَقُلْتَ: هَذَا مِنْ جُمْلَةِ الْبِدَعِ الْمُنْهِيِّ عَنْهَا فِي قَوْلِهِ ﷺ: «خَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيِي  
 مُحَمَّدٌ، وَسُرُّ الْأُمُورِ مَحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ، وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ جَابِرٍ<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ: (وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ: وَيُخْبِرُ بِأَنَّ الَّذِينَ)، يَعْنِي: هُوَ عَطْفٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿يَهْدِي﴾ أَي:  
 ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ وَيُخْبِرُ أَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ مُعَذَّبُونَ، هَذَا أَوْجَهُ مِنْ  
 الْأَوَّلِ وَأَحْسَنُ التَّنَاتِمَا، كَأَنَّهُ قِيلَ: بِشِيرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَنَذِيرٌ<sup>(٣)</sup> لِلْكَافِرِينَ. وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ  
 مَعْطُوفًا مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى عَلَى قَوْلِهِ: ﴿وَيُنَبِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، أَي: يُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ وَيُنذِرُ الْكَافِرِينَ.

وَأَمَّا اتِّصَالُ الْآيَةِ بِهَا قَبْلَهَا، فَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ: إِنَّهُ قَالَ: لَمَّا شَرَحَ مَا فَعَلَهُ فِي حَقِّ عِبَادِهِ  
 الْمَخْلِصِينَ، وَهُوَ الْإِسْرَاءُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِيتَاءُ التَّوْرَةِ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَا فَعَلَهُ فِي  
 حَقِّ الْعُصَاةِ وَالْمُتَمَرِّدِينَ، وَهُوَ تَسْلِيْطُ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ عَلَيْهِمْ، كَانَ ذَلِكَ تَنْبِيْهَا عَلَى أَنْ طَاعَةَ اللَّهِ  
 تُوجِبُ كُلَّ خَيْرٍ وَكَرَامَةٍ، وَمَعْصِيَتُهُ تُوجِبُ كُلَّ بَلِيَّةٍ وَغَرَامَةٍ، لَا جَرَمَ قَالَ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ  
 يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ ثُمَّ عَطَفَ عَلَيْهِ: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ﴾ الْآيَةُ، لِجَامِعِ دَلِيلِي  
 السَّمْعِ وَالْعَقْلِ، أَوْ نِعْمَتِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَأَمَّا اتِّصَالُ قَوْلِهِ: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءُهُ  
 بِالْخَيْرِ﴾ فَهُوَ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا وَصَفَ الْقُرْآنَ حَتَّى بَلَغَ بِهِ الدَّرَجَةَ الْقُضْيَا فِي الْهُدَايَةِ أَتَى بِذِكْرِ  
 مَنْ أَفْرَطَ فِي كُفْرَانِ هَذِهِ الْبُغْيَةِ الْأَسْنَى وَالنُّعْمَةِ<sup>(٤)</sup> الْعُظْمَى، قَائِلًا: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذَا  
 هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنْ السَّكَلَةِ﴾ [الأنفال: ٣٢]، فَظَهَرَ أَنَّ الَّذِي ذَهَبَ  
 إِلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ: «هُوَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ» هُوَ الْمَذْهَبُ<sup>(٥)</sup>.

(١) رَأْسُ الْمُعْتَزَلَةِ فِي زَمَانِهِ وَكَانَ فِي مَسَلَاخِ عَمْرُو بْنِ عَبِيدٍ، لَهُ تَرْجُمَةٌ فِي «سِيرِ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ» (٥: ٤٦٤).

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٠٧٢).

(٣) فِي (ف): «وَيُنذِرُ».

(٤) فِي (ف): «السَّنِيَّةُ».

(٥) «مِفْتَاحُ الْغَيْبِ» (٢٠: ١٦٠).

﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ مَجْمُولًا﴾ [١١]

أي: ويدعو الله عند غَضَبِهِ بالشَّرِّ على نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ، كما يدعوه لهم بالخير، كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ﴾ [يونس: ١١]. ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ مَجْمُولًا﴾: يَتَسَرَّعُ إِلَى طَلَبِ كُلِّ مَا يَقَعُ فِي قَلْبِهِ وَيَخْطُرُ بِبَالِهِ، لَا يَتَأَنَّى فِيهِ تَأَنِّي الْمُبْتَصِّرِ. وَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُ دَفَعَ إِلَى سُودَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ أُسِيرًا، فَأَقْبَلَ يَتْنُ بِاللَّيْلِ، فَقَالَتْ لَهُ: مَا لَكَ تَيْتَنُ؟ فَشَكَا أَلَمَ الْقَدِّ، فَازْخَحْتُ مِنْ كِتَافِهِ، فَلَمَّا نَامَتْ أَخْرَجَ يَدَهُ وَهَرَبَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّبِيُّ ﷺ دَعَا بِهِ، فَأَعْلَمَ بِشَأْنِهِ، فَقَالَ ﷺ: «اللَّهُمَّ اقْطَعْ يَدَيْهَا»، فَرَفَعَتْ سُودَةُ يَدَيْهَا تَتَوَقَّعُ الْإِجَابَةَ، وَأَنْ يَقْطَعَ اللَّهُ يَدَيْهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِعَتِّي وَدُعَائِي عَلَى مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ مِنْ أَهْلِي رَحْمَةً؛ لِأَنِّي بَشَرٌ أَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ، فَلْتَرُدِّ سُودَةُ يَدَيْهَا». وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِالْإِنْسَانِ الْكَافِرَ، وَأَنَّهُ يَدْعُو بِالْعَذَابِ اسْتِهْزَاءً وَيَسْتَعْجِلُ بِهِ، كَمَا يَدْعُو بِالْخَيْرِ إِذَا مَسَّتْهُ الشَّدَّةُ. ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ مَجْمُولًا﴾ يعني:

قوله: (كما يدعوه لهم)، أي: يدعو الله لأجلِ نَفْسِهِ وَمَالِهِ وَأَهْلِهِ، فِي الضَّمِيرِ تَغْلِيْبًا. قَالَ: وَجْهُ النَّظْمِ: أَنَّ الْإِنْسَانَ بَعْدَ أَنْزَالِ اللَّهِ هَذَا الْقُرْآنَ وَاسْتِحْصَاةِ هَذِهِ النِّعْمَةِ الْجَسِيمَةِ وَالْمَكْرُمَةِ الْعَظِيمَةِ، قَدْ يَعْدِلُ عَنِ التَّمَسُّكِ بِشَرَائِعِهِ، وَيَقْدُمُ عَلَى مَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ<sup>(١)</sup>.

قوله: (لا يستحقُّ) أي: لا يستحقُّها، يعني اللعنة. «مِنْ أَهْلِي»: بَيَانٌ «مِنْ». و«رَحْمَةً»: مَفْعُولٌ ثَانِيٌّ لِكَيْ يَجْعَلَ.

قوله: (لأنِّي بَشَرٌ أَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ)، رَوَيْنَا عَنِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ، عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ ﷺ: «إِنِّي أَنَا بَشَرٌ أَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَبَيْتُهُ أَوْ لَعَنْتُهُ أَوْ جَلَدْتُهُ فَاجْعَلْهَا لَهُ صَلَاةً وَزَكَاةً وَقُرْبَةً»<sup>(٢)</sup>، وَزَادَ أَحْمَدُ: «تُقَرَّبُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

(١) زاد في (ط) هنا: «قوله: (دعائه)، الأساس: دعوتُ فلانًا وفلان: ناديتُهُ وصحنتُ به»، وليس لها موضع يرتبط بها من «الكشاف»، والله أعلم.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٦١)، ومسلم (٢٦٠١)، وانظر تمام تحريجه في «مسند أحمد» (٧٣١١).

أنَّ العذابَ آتِيه لا محالة، فما هذا الاستعجال؟! وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما: هو النَّضْرُ بنُ الحارث قال: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ﴾ الآية [الأنفال: ٣٢]، فَأَجِيبَ لَهُ، فَضْرَبْتَ عُنُقَهُ صَبْرًا.

[﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَحَوْنًا آيَةً اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَضْلَنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ ١٢]

فيه وجهان: أحدهما: أن يُرادَ أنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَانِ فِي أَنْفُسِهِمَا، فَتَكُونُ الْإِضَافَةُ فِي آيَةِ اللَّيْلِ وَآيَةِ النَّهَارِ لِلتَّبْيِينِ، كإِضَافَةِ الْعَدَدِ إِلَى الْمَعْدُودِ، أَي: فَحَوْنًا الْآيَةَ الَّتِي هِيَ اللَّيْلُ وَجَعَلْنَا الْآيَةَ الَّتِي هِيَ النَّهَارُ مُبْصِرَةً. وَالثَّانِي: أَنْ يُرَادَ: وَجَعَلْنَا تَبْرِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَتَيْنِ، يُرِيدُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ. ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ أَي: جَعَلْنَا اللَّيْلَ مَمْحُورًا الضُّوءِ مَطْمُوسَةً مُظْلِمًا، لَا يُسْتَبَانُ فِيهِ شَيْءٌ كَمَا لَا يُسْتَبَانُ مَا فِي اللَّوْحِ الْمَمْحُورِ، وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مُبْصِرًا، أَي: تَبْصُرُ فِيهِ الْأَشْيَاءَ وَتُسْتَبَانُ، أَوْ: فَحَوْنًا آيَةَ اللَّيْلِ الَّتِي هِيَ الْقَمَرَ، حَيْثُ لَمْ يَخْلُقْ لَهَا شُعَاعًا كَشُعَاعِ الشَّمْسِ، فَتَرَى بِهِ الْأَشْيَاءَ رُؤْيَةً بَيْنَةً؛ وَجَعَلْنَا الشَّمْسَ ذَاتَ شُعَاعٍ يُبْصِرُ فِي ضَوْئِهَا كُلِّ شَيْءٍ؛ ﴿لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾: لِتَتَوَصَّلُوا بِبَيَاضِ النَّهَارِ إِلَى اسْتِبَانَةِ أَعْمَالِكُمْ وَالتَّصَرُّفِ فِي مَعَايِشِكُمْ، ﴿وَلِتَعْلَمُوا﴾ بِاخْتِلَافِ

قوله: (فضربت عنقه صبرًا)، يقال: قُتِلَ فلانٌ صَبْرًا: إِذَا حُبِسَ عَنِ الْقَتْلِ حَتَّى قُتِلَ، وَقَدْ مَضَتْ قِصَّةُ النَّضْرِ.

قوله: (ممحوا الضوء مطموسه)، الرَّاغِبُ: الْمَحْوُ: إِزَالَةُ الْأَثَرِ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلشَّهْلِ مَحْوَةٌ؛ لِأَنَّهَا تَمْحُو السَّحَابَ وَالْأَثَرَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّثُ﴾ [الرعد: ٣٩] (١).

قوله: (فترى به الأشياء)، جوابٌ لقوله: «لم يخلق له شعاعًا»، كقولك: ما تأتينا فتحدثنا.

(١) «مفردات القرآن»، ص ٧٦٢.

الجدِيدَيْن ﴿عَدَدَ السِّنِينَ﴾ جنس (والحساب) وما تحتاجون إليه منه، ولولا ذلك لَمَا عَلِمَ أَحَدٌ حُسْبَانَ الْأَوْقَاتِ، وَلَتَعَطَّلَتِ الْأُمُورُ، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ﴾ مَّا تَفْتَقِرُونَ إِلَيْهِ فِي دِينِكُمْ وَدُنْيَاكُمْ، ﴿فَضَلَّنتَهُ﴾: بَيَّنَّاهُ بَيَانًا غَيْرَ مُلْتَبِسٍ، فَازْحَنَّا عَلَيْكُمْ، وَمَا تَرَكْنَا لَكُمْ حُجَّةً عَلَيْنَا.

[﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلْعَهُ فِي عُرْفِهِ، وَنُخْرِجُهُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ \*  
أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ ١٣-١٤]

﴿طَلْعَهُ﴾: عَمَلُهُ، وَقَدْ حَقَّقْنَا الْقَوْلَ فِيهِ فِي سُورَةِ النَّملِ. وَعَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ: هُوَ مِنْ قَوْلِكَ: طَارَ لَهُ سَهْمٌ؛ إِذَا خَرَجَ، يَعْنِي: أَلْزَمْنَاهُ مَا طَارَ مِنْ عَمَلِهِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ عَمَلَهُ لَزِمَ لَهُ لُزُومَ الْقِلَادَةِ أَوْ الْغُلِّ لَا يُفَكُّ عَنْهُ، وَمِنْهُ مَثَلُ الْعَرَبِ: «تَقَلَّدَهَا طَوَّقٌ

قَوْلُهُ: (وَقَدْ حَقَّقْنَا الْقَوْلَ فِيهِ فِي سُورَةِ النَّملِ) (١)، وَالْمَذْكُورُ فِيهَا هُوَ: كَانَ الرَّجُلُ يَخْرُجُ مَسَافِرًا فَيَمُرُّ بِطَائِرٍ فَيَزِجُّهُ، فَإِنْ مَرَّ سَانِحًا (٢) تَيَمَّنَ، وَإِنْ مَرَّ بَارِحًا (٣) تَشَاءَمَ، فَلَمَّا نَسَبُوا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ إِلَى الطَّائِرِ، اسْتَعِيرَ لِمَا كَانَ سَبَبُهَا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ وَقَسْمَتِهِ، وَمِنْ عَمَلِ الْعَبْدِ الَّذِي هُوَ السَّبَبُ فِي الرَّحْمَةِ وَالنَّقْمَةِ، وَمِنْهُ قَالُوا: طَائِرُ اللَّهِ لَا طَائِرُكَ، أَي: قَدَّرَ اللَّهُ الْغَالِبَ الَّذِي يُنْسَبُ إِلَيْهِ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ، لَا طَائِرُكَ الَّذِي يَتَشَاءَمُ بِهِ وَيُتَيَمَّنُ بِهِ.

قَوْلُهُ: (وَالْمَعْنَى أَنَّ عَمَلَهُ لَزِمَ لَهُ لُزُومَ الْقِلَادَةِ أَوْ الْغُلِّ لَا يُفَكُّ عَنْهُ)، قَالَ الْإِمَامُ: إِنَّمَا خَصَّ الْعَنْقَ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْأَعْضَاءِ؛ لِأَنَّ الَّذِي يَكُونُ عَلَيْهِ إِمَّا أَنْ يَكُونَ خَيْرًا يَزِينُهُ، أَوْ شَرًّا يَشِينُهُ، وَمَا يُزِينُ يَكُونُ كَالطَّوْقِ وَالْحُلِيِّ، وَمَا يَشِينُ يَكُونُ كَالْغُلِّ (٤).

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا مِنْ أَدَلِّ الدَّلَائِلِ عَلَى أَنَّ كُلَّ مَا قَدَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْإِنْسَانِ وَحَكَمَ بِهِ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ وَاجِبُ الْوُقُوعِ مِمْتَنِعُ الْعَدَمِ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿أَلْزَمْنَاهُ﴾ صَرِيحٌ فِي أَنَّ ذَلِكَ الْإِلْزَامَ

(١) يَعْنِي: فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالُوا أَطَّيَّرْنَا بِكَ وَيَمِّنُ مَعَكَ﴾ [النمل: ٤٧].

(٢) وَهُوَ مَا مَرَّ مِنْ جِهَةِ الْيَسَارِ إِلَى الْيَمِينِ.

(٣) وَهُوَ مَا مَرَّ مِنْ جِهَةِ الْيَمِينِ إِلَى الْيَسَارِ.

(٤) «مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ» (٢٠: ١٦٨).



الحمامة»، وقولهم: الموتُ في الرَّقَابِ، وهذا رِبْقَةٌ في رَقَبَتِهِ. عن الحسنِ رحمه الله: يا ابنَ آدم، بسطتُ لكَ صحيفةً إذا بُعثتَ قُلِّدتها في عُنُقِكَ. وقرئ: (في عُنُقِهِ) بسكونِ النُّونِ. وقرئ: ﴿مُخْرِجٌ﴾ بالنُّونِ، و﴿يُخْرِجُ﴾ بالياءِ، والضَّميرُ لله عزَّ وجلَّ، و﴿يُخْرِجُ﴾ على البِنَاءِ للمفعولِ، و﴿يُخْرِجُ﴾ من: خَرَجَ، والضَّميرُ للطائرِ، أي: يُخْرِجُ الطائرُ كتابًا، وانتصابُ ﴿كِتَابًا﴾ على الحالِ. وقرئ: ﴿يَلْقَاهُ﴾ بالتشديدِ مبنياً للمفعولِ. و﴿يَلْقَاهُ

الذي لا ينفكُ عنه صدرَ منه تعالى، وأن كلَّ ما حكَمَ به في الأزل لا بُدَّ أن يظهرَ أثرُه في الأبدِ، ويؤيده ما روَّناه، عن أبي داودَ والترمذيِّ، عن عبادةِ بنِ الصَّامِتِ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «أولُ ما خلقَ اللهُ القلمَ، قال له: اكتبْ، فقال: يا ربِّ، وما أكتبُ؟ قال: اكتبْ مقاديرَ كلِّ شيءٍ حتَّى تقومَ الساعةُ»<sup>(١)</sup>.

قوله<sup>(٢)</sup>: (وقرئ: ﴿مُخْرِجٌ﴾ بالنون) وهي المشهورة، الراغب: خرج: برزَّ من مقرِّه أو حاله، سواء كان مقرُّه داراً أو بلدًا أو ثوبًا، وسواء كان حاله حالة في نفسه أو أسبابه الخارجة، قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ وقال: ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ﴾ [الأعراف: ١٣]، وقال: ﴿وَمَا يُخْرِجُ مِنْ تَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا﴾ [فصلت: ٤٧]، ﴿رُيُودُ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ أَلْسَانِهِ﴾ [المائدة: ٣٧]، والإخراج: أكثر ما يُقال في الأعيان، كقوله تعالى: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٣]، وقال: ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ [النمل: ٥٦]، ويقال في التكوين الذي هو من فعلِ الله، نحو: ﴿أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [النحل: ٧٨]، والتخريج: أكثر ما يُقال في العلوم والصناعات<sup>(٣)</sup>.

قوله: (﴿يَلْقَاهُ﴾، بالتشديد): ابنُ عامرٍ، والباقون: مخفَّفًا والياءُ مفتوحة<sup>(٤)</sup>، قيل: هو من: لَقِيْتُ الكتابَ، فإذا ضعُفت، قلت: لقانيه زيدٌ، فيتعدى إلى مفعولين، فإذا بُني للمفعولِ قامَ

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٢٢٧٠٥)، والترمذي (٢١٥٥) وغيرهما.

(٢) هذه الفقرة إلى آخرها سقطت من (ح) و(ف).

(٣) «مفردات القرآن» ص ٢٧٨.

(٤) انظر: «إنحاف فضلاء البشر»، ص ٢٨٢.

مَشُورًا ﴿: صِفَتَانِ لِلكِتَابِ، أَوْ: ﴿يَلْقَاهُ﴾: صِفَةٌ، وَ﴿مَنْشُورًا﴾: حَالٌ مِّنَ ﴿يَلْقَاهُ﴾. ﴿أَقْرَأُ﴾ عَلَى إِرَادَةِ الْقَوْلِ. وَعَنْ قَتَادَةَ: يَقْرَأُ ذَلِكَ الْيَوْمَ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا قَارِئًا. وَ﴿بِنَفْسِكَ﴾ فَاعِلٌ ﴿كَفَى﴾. وَ﴿حَسِيبًا﴾ تَمْيِيزٌ، وَهُوَ بِمَعْنَى: حَاسِبٌ، كَضْرِبٍ الْقِدَاحِ بِمَعْنَى: ضَارِبِهَا، وَضَرِيمٌ بِمَعْنَى: صَارِمٌ، ذَكَرَهُمَا سَيِّوِيَّةٌ. وَ«عَلَى»: مُتَعَلِّقٌ بِهِ مِّنْ قَوْلِكَ: حَسِبَ عَلَيْهِ كَذَا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى: الْكَافِي، وَوَضَعَ مَوْضِعَ الشَّهِيدِ فَعُدِّيٌّ بِ«عَلَى»؛ لِأَنَّ الشَّاهِدَ يَكْفِي الْمُدَّعِيَ مَا أَهَمَّهُ. فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ ذَكَرَ ﴿حَسِيبًا﴾؟ قُلْتَ: لِأَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ الشَّهِيدِ وَالْقَاضِي وَالْأَمِيرِ؛ لِأَنَّ الْغَالِبَ أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ يَتَوَلَّاهَا الرِّجَالُ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: كَفَى بِنَفْسِكَ رَجُلًا حَسِيبًا، وَيَجُوزُ أَنْ تُتَأَوَّلَ النَّفْسُ بِالشَّخْصِ، كَمَا يُقَالُ: ثَلَاثَةٌ أَنْفُسٌ، وَكَانَ الْحَسَنُ إِذَا قَرَأَهَا قَالَ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَنْصَفَكَ - وَاللَّهُ - مَنْ جَعَلَكَ حَسِيبَ نَفْسِكَ.

أحدهما مقام الفاعل<sup>(١)</sup>، وعليه قوله تعالى: ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا نَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾.

قوله: (كضرب القيداح)، الجوهري: الضرب الذي يضرب بالقيداح وهو الموكل بها، والقيدح، بالكسر: السهم قبل أن يراش ويركب نصله، وقذح الميسر أيضا، والجمع: قيداح. قوله: (بمعنى: الكافي)، أي: الحسيب، بمعنى: الكافي. الأساس: احتسبت بكذا: اكتفيت، واحتسبني: كفايتي، وعلاقة المجاز أن الكافي كما يكفي الشخص مما أهّمه، كذلك الشاهد يكفي المدعي ما أهّمه.

قوله: (فكأنه قيل: كفى بنفسك رجلا حسيبا)، يعني: جرّد من النفس رجلا شاهدا، وهو هي.

قوله: (يا ابن آدم، أنصفك - والله - من جعلك حسيب نفسك)، وفي «شرح السنة»: قال الحسن في قوله تعالى: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾: لكل آدمي في عنقه قِلَادَةٌ يُكْتَبُ فِيهَا نَسْخَةُ عَمَلِهِ، فَإِذَا مَاتَ طُوِيَتْ، وَقُلِّدَهَا، وَإِذَا بُعِثَ نُشِرَتْ، وَقِيلَ لَهُ: ﴿أَقْرَأُ كِتَابَكَ كَفَىٰ﴾

(١) في (ف): «الأخر».

﴿ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ. وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نُزِرُ وَأَرْزُ وَأُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [١٥]

أي: كل نفس حاملة وزراً، فإنما تحمّل وزرها لا وزر نفس أخرى. ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ ﴾: وما صحّ منا صحّة تدعو إليها الحكمة أن نُعَذِّبَ قوماً إلا بعد أن ﴿ نَبْعَثَ ﴾ إليهم ﴿ رَسُولًا ﴾ فنلزمهم الحجّة. فإن قلت: الحجّة لازمة لهم قبل بعثة الرسول؛ لأنّ معهم أدلّة العقل التي بها يُعرفُ الله، وقد أغفلوا النّظر وهم مُتمكّنون منه، واستيجابهم العذاب؛ لإغفالهم النّظر فيما معهم، وكفرهم لذلك، لا لإغفال الشرائع التي لا سبيل إليها إلا بالتوقيف، والعمل بها لا يصحّ إلا بعد الإيمان. قلت: بعثة الرسول من مجلّة التنبيه على النّظر والإيقاظ من رقدّة الغفلة، لئلا يقولوا: كنا غافلين

بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿. يا ابن آدم، أنصفك من جعلك حسيب نفسك (١).

قوله: (الحجّة لازمة لهم قبل بعثه الرّسل (٢)؛ لأنّ معهم أدلّة العقل)، ثمّ قوله: (بعثة الرّسل من مجلّة التنبيه على النّظر). الانتصاف: هذا مذهب باطل اعتزاليّ، ومذهب أهل السنّة أنه لا حكم قبل الشّرع ولا تكاليف إلا به، ولا تجب الحجّة إلا بالبعثة، والآية دالّة عليه، فلا معنى لتحريفها (٣). وقال محيي السنّة: وفي الآية دليل على أنّ ما وجب، ووجب بالسمع لا بالعقل (٤)، وكذا عن الواحدي (٥).

قلت: يؤيّدُه قوله تعالى: ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ ﴾ [النساء: ١٦٥]؛ لأنّ البشارة والنّذارة إنّما يكونان بالجنّة والنار، والعقل لا مجال له في إثباتها.

(١) «شرح السنّة للبيهقي» (١٥: ١٤٥)، وذكره بتامه في «معالم التنزيل» (٥: ٨٢).

(٢) كذا في الأصول الخطية، وفي الأصل الخطي من «الكشاف»: «الرسول»، وكذا في نصّ «الكشاف» من

(ط)، لكن في بعض النسخ المطبوعة: «الرسول» كما هنا.

(٣) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٢: ٦٥٣).

(٤) «معالم التنزيل» (٥: ٨٢).

(٥) «الوسيط» للواحدّي (٣: ١٠١).

فلولا بعثت إلينا رسولاً يُنبئنا على النَّظَرِ في أدلِّهِ العقل.

﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَا تَدْمِيرًا ﴾

[١٦

﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا ﴾: وإذا دنا وقت إهلاك قوم ولم يبق من زمان إهلاكهم إلا قليل، أمرناهم ﴿ فَفَسَقُوا ﴾ أي: أمرناهم بالفسق ففعلوا، والأمر مجاز؛ لأن حقيقة أمرهم بالفسق: أن يقول لهم: افسقوا، وهذا لا يكون؛ فبقي أن يكون مجازاً، ووجه المجاز: أنه صبَّ عليهم النعمة صباً، فجعلوها ذريعة إلى المعاصي واتباع الشهوات، فكأنهم

واعلم أن قوله تعالى: ﴿ مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ تأكيد لمعنى تلك الآية، وأن كل مكلف مرهون بعمله، وعمله كالقلادة في عنقه غير منفك عنه لا يفارقه ولا يتعدى إلى غيره، ثم جاء: ﴿ وَلَا نُزِرْ وَارِزَّةً وَزَرَّ أُخْرَى ﴾ تقريراً لهذا المعنى، ومفهوم ذلك كله أنه تعالى بين للمكلف ما عليه وما له وما يحتاج إليه وما خلق لأجله، إزالة للأعذار، ثم أتى بقوله: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ تذيلاً لها وتقريراً لإزالة الأعذار.

قوله: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا ﴾: وإذا دنا وقت إهلاك قوم، جعل الإرادة التي هي السبب في الإهلاك تابعة لدنو الوقت. قال القاضي: إذا تعلق إرادتنا بإهلاك قوم لإنفاذ قضائنا السابق، أمرنا متعميها بالطاعة على لسان رسول بعثناه إليهم، أو إذا دنا وقته المقدّر، كقولهم: إذا أراد المريض أن يموت ازداد مرضه شدة<sup>(١)</sup>.

قوله: (كأنهم) إشارة إلى أنه من باب التمثيل، شبه إيلاء النعمة عليهم وجعلهم ذلك ذريعة إلى الفسق، بالمأمور الذي ورد عليه أمر الأمر المطاع، فامتثل لأمره من غير توقف، ثم أخرج مخرج الاستعارة لطي ذكر المشبه، والجامع ترتب الثاني على الأول لفظ الأمر<sup>(٢)</sup>.

(١) «أنوار التنزيل» (٣: ٤٣٦).

(٢) هذه الفقرة سقطت من (ف) و(ط).

مأمورون بذلك؛ لتسبب إيلاء النعمة فيه، وإثما خوَّ لهم إياها؛ ليشكروا ويعملوا فيها الخير، ويتمكَّنوا من الإحسان والبرِّ، كما خلَّعهم أصحاباً أقوياء، وأقدَّروهم على الخير والشرِّ، وطلَّب منهم إثارة الطاعة على المعصية، فأثروا الفسوق، فلمَّا فسقوا حقَّ عليهم القول؛ وهو كلمة العذاب، فدمَّرهم. فإن قلت: هلَّا زعمت أن معناه: أمرناهم بالطاعة ففسقوا! قلت: لأنَّ حذف ما لا دليل عليه غير جائز، فكيف بحذف

قوله: (لأنَّ حذف ما لا دليل عليه غير جائز)، يعني: إذا كان لفعل متعلِّق غير مذكور، فإنَّ وجد في اللفظ ما يدلُّ على ذلك المقدَّر، وكان مناسباً له، قيَّد المطلق به، كقولك: أمرته فقام، فإنَّ قوله: «فقام» دليل على أنَّ المأمور به القيام، وعلى هذا: أمرناهم ففسقوا، معناه: أمرناهم بالفسق ففسقوا، كما قدَّرت، وعلى هذا القياس يقال في قولهم: أمرته فعصاني<sup>(١)</sup>، لكنَّه لا يستقيم؛ لأنَّ الأمر والعصيان متقابلان من حيث التضادُّ، وإليه الإشارة بقوله: «ولا تكون ما يناقض الأمر مأموراً به»، فإذاً ليس في اللفظ ما يقيِّد به المطلق، فيترك على إطلاقه ويُجعل تمثيلاً، كما قال. فكأنَّهم مأمورون بذلك.

قال الإمام: ولقائل أن يقول: كما أنَّ قوله: أمرته فعصاني، يدلُّ على أنَّ المأمور به شيء غير المعصية من حيث إنَّ المعصية مُنافية للأمر ومناقضة له، فكذلك: أمرته ففسق، يدلُّ على أنَّ المأمور به شيء غير الفسق؛ لأنَّ الفسق عبارة عن الإتيان بصدِّ<sup>(٢)</sup> المأمور به، فكونه فسقاً يُنافي كونه مأموراً به. وهذا الكلام في غاية الظهور، فلا أدري لم أصرَّ صاحب «الكشاف» على قوله<sup>(٣)</sup>!

وقلت: هذا هو الحقُّ، لقوله تعالى: ﴿كَانَ مِنَ الَّذِينَ فَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾، وتفسير المصنِّف الفاسق بالخارج عن أمر الله، والمعنى: أمرناهم على لسان الرسول ﷺ بالأعمال الصالحة وهم خالفوا الأمر وأقدموا على الفسق، فالآية من باب الطباق المعنوي، قال

(١) في (ف): «فصى».

(٢) في (ف): «بقيد».

(٣) «مفاتيح الغيب» (٢٠: ١٧٤).

ما الدليل قائم على نقيضه! وذلك أن المأمور به إنما حُذِف؛ لأن «فَسَقُوا» يدلُّ عليه، وهو كلامٌ مُستَفِيض، يُقال: أمرته فقام؛ وأمرته فقرأ، لا يُفهمُ منه إلا أن المأمور به قيامٌ أو قراءة، ولو ذهبت تقدُّرُ غيره فقد رُمِت من مُحاطِيبِكَ عِلْمُ الغَيْبِ، ولا يَلَزِمُ على هذا قولهم: أمرته فعصاني، أو فلم يمتثل أمرِي؛ لأن ذلك مُنافٍ للأمرِ مُناقِضٌ له، ولا يكونُ ما يُناقِضُ الأمرَ مأمورًا به، فكان مُحالًا أن يُقصدَ أصلًا حتى يُجعلَ دالًّا على المأمور به، فكان المأمور به في هذا الكلام غير مدلولٍ عليه ولا منويٍّ؛ لأنَّ مَنْ يتكلَّم بهذا الكلام فإنه لا ينوي لأمره مأمورًا به، وكأنه يقول: كان مني أمرٌ فلم تكن منه طاعة، كما أن مَنْ يقول: فلانٌ يُعطي ويمنع، ويأمر وينهى، غير قاصدٍ إلى مفعول. فإن قلت: هلا كان ثبوت العلم بأن الله لا يأمر بالفحشاء وإنما يأمر بالقيسط والخير، دليلًا على أن المراد: أمرناهم بالخير ففسقوا؟ قلت: لا يصحُّ ذلك؛ لأنَّ قوله: ﴿فَفَسَقُوا﴾ يُدْفِعُه، فكانت أظهرت شيئًا وأنت تدعي إضمارَ خلافه، فكان صرفُ الأمرِ إلى المجازِ هو الوجه، ونظيرُ «أمر»: شاء؛ في أن مفعوله استفاض فيه الحذف؛ لدلالة ما بعده عليه، تقول: لو شاء لأحسن إليك، ولو شاء لأساء إليك، تُريد: لو شاء الإحسان، ولو شاء الإساءة، فلو ذهبت تُضمِرُ خلافَ ما أظهرت وقلت: قد دلت حالٌ من أسندت إليه المشيئة أنه من أهل الإحسان، أو من أهل الإساءة، فأتركُ الظاهرَ المنطوقَ به وأضمرُ ما دلت عليه حالٌ صاحبِ المشيئة: لم تكن على سداد، وقد فسَّرَ بعضهم ﴿أمرنا﴾ بـ «كثرتنا»، وجعلَ «أمرته فأمر» من باب: فعلته ففعل، .....

صاحبُ «الانتصاف»: قولُ الزمخشريِّ حسنٌ، إلا قوله: أنعمَ عليهم ليشكروا، والحقُّ أنهم خولوا النعمةَ وأمروا بالشكرِ ففسقوا وكفروا مخالفةً للأمرِ لا للإرادة<sup>(١)</sup>.

قوله: (وقد فسَّرَ بعضهم ﴿أمرنا﴾ بـ «كثرتنا»)، قال ابنُ جني: وكان أبو عليٍّ يستحسنُ قولَ الكسائيِّ في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ [الكهف: ٧١]، أي: كثيرًا، من قوله

(١) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٢: ٦٥٥).

كـ «ثَبْرْتُهُ فَثَبَّرَ»، وفي الحديث: «خَيْرُ الْمَالِ سِكَّةٌ مَأْبُورَةٌ وَمُهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ» أي: كثيرةُ النَّسَاجِ، وَرُوِيَ: أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنِّي أَرَى أَمْرَكَ هَذَا حَقِيرًا، فَقَالَ ﷺ: «إِنَّهُ سِيَأْمُرُ»، أي: سَيَكْثُرُ وَسَيَكْبُرُ. وَقُرِئَ: (أَمَرْنَا) مِنْ: أَمَرَ وَأَمَرَهُ غَيْرُهُ، وَ: (أَمَرْنَا) بِمَعْنَى: أَمَرْنَا، أَوْ مِنْ: أَمَرَ أَمَارَةً، وَأَمَرَهُ اللَّهُ، أَي: جَعَلْنَا لَهُمْ أَمْرًا وَسَلْطَانًا.

تعالى: ﴿أَمَرْنَا مُتَفَرِّقِينَ فِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾، وَمِنْ قَوْلِهِمْ: أَمَرَ الشَّيْءُ، إِذَا كَثُرَ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ: «خَيْرُ الْمَالِ سِكَّةٌ مَأْبُورَةٌ وَمُهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ»<sup>(١)</sup>، السِّكَّةُ: الطَّرِيقَةُ الْمَصْطَفَاةُ مِنَ النَّخْلِ، مَأْبُورَةٌ: مَلْقُوحَةٌ، مَأْمُورَةٌ: مُكْثِرَةُ النَّسْلِ، وَالْأَصْلُ: مَوْمَرَةٌ؛ لِأَنَّهُ مِنْ أَمَرَهَا اللَّهُ، لَكِنْ أَتْبَعَهَا قَوْلَهُ: مَأْبُورَةٌ لِلسَّجْعِ، وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿أَمَرْنَا مُتَفَرِّقِينَ﴾ فَمَنْقُولٌ مِنْ: أَمَرَ الْقَوْمَ، أَي: كَثُرُوا، كَعَلِمَ وَعَلِمْتُهُ، وَسَلِمَ وَسَلِمْتُهُ. وَرُوِيَ عَنِ الْمَصْنُفِ، أَنَّهُ قَالَ: مَا عَوَّلَ مَنْ زَعَمَ أَنَّ «أَمَرْتُهُ» بِمَعْنَى: كَثَرْتُهُ، إِلَّا عَلَى قَوْلِهِ: وَمُهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ، وَمَا هُوَ إِلَّا مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ نَقِيضُ النَّهْيِ، وَهُوَ مَجَازٌ أَيْضًا كَمَا فِي الْآيَةِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لَهَا: كَوْنِي كَثِيرَةَ النَّسَاجِ، فَكَانَتْ، فَهِيَ إِذَنْ مَأْمُورَةٌ عَلَى مَا تَبَيَّنَ<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ: كـ «ثَبْرْتُهُ»، الْجَوْهَرِيُّ: الثُّبُورُ: الْهَلَاكُ.

قَوْلُهُ: («أَمَرْنَا» مِنْ: أَمَرَ)، الْجَوْهَرِيُّ: أَمَرْتُهُ - بِالْمَدِّ - وَأَمَرْتُهُ: لُغَتَانِ بِمَعْنَى: كَثَرْتُهُ.

قَوْلُهُ: («وَأَمَرْنَا» بِمَعْنَى: أَمَرْنَا)، قَالَ أَبُو الْبَقَاءِ: وَيُقْرَأُ بِالتَّشْدِيدِ وَالْقَصْرِ، أَي: جَعَلْنَا لَهُمْ أَمْرًا، وَقِيلَ: هُوَ بِمَعْنَى الْمُدَوَّدَةِ؛ لِأَنَّهُ تَارَةٌ يُعَدَّى بِالْهَمْزَةِ وَأُخْرَى بِالتَّضْعِيفِ، وَاللَّازِمُ مِنْهُ: أَمَرَ الْقَوْمَ، أَي: كَثُرُوا<sup>(٣)</sup>.

(١) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (١٥٨٤٥)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ» (٦٤٧١)، وَابْنُ بَيْهَقٍ فِي «السَّنَنِ الْكَبِيرِ» (١٠: ٦٤)، وَغَيْرُهُمْ مِنْ حَدِيثِ سُؤَيْدِ بْنِ هُبَيْرَةَ بِإِسْنَادٍ مَرْسَلٍ ضَعِيفٍ، فِيهِ مُسْلَمٌ بِنْدِيلٍ لَمْ يُوَثِّقْهُ غَيْرُ ابْنِ جَبَانَ.

(٢) «الْمَحْتَسِبُ» (٢: ١٦-١٧) بِتَصْرُفٍ مَلْحُوظٍ فِي الْعِبَارَةِ.

(٣) «التَّبْيَانُ فِي إِعْرَابِ الْقُرْآنِ» (٢: ٨١٦).

[ ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ ١٧ ]

(كَمْ) مفعول ﴿أهْلَكْنَا﴾، و﴿مِنَ الْقُرُونِ﴾ بيان لـ(كَمْ) وتمييز له، كما يُمَيِّز العَدْدُ بِالْجِنْسِ. يعني: عَادًا وَثَمُودًا وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا، وَنَبَّهَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ عَلَى أَنَّ الذُّنُوبَ هِيَ أَسْبَابُ الْهَلَكَةِ لَا غَيْرَ، وَأَنَّهُ عَالِمٌ بِهَا وَمُعَاقِبٌ عَلَيْهَا.

[ ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلُّهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا \* وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴾ ١٨-١٩ ]

مَنْ كَانَتِ الْعَاجِلَةُ هَمَّهُ وَلَمْ يُرِدْ غَيْرَهَا كَالْكَفَرَةِ وَأَكْثَرِ الْفَسَقَةِ، تَفَضَّلْنَا عَلَيْهِ مِنْ

قَوْلِهِ: (عَلَى أَنَّ الذُّنُوبَ هِيَ أَسْبَابُ الْهَلَكَةِ لَا غَيْرَ)، وَذَلِكَ مِنْ تَرْتُّبِ قَوْلِهِ: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿خَبِيرًا بَصِيرًا﴾، أَي: خَبِيرًا بِذُنُوبِ الْعِبَادِ وَبَصِيرًا بِهَا، لِمَا يَعْلَمُ (١) أَنَّ الذُّنُوبَ نَتَائِجُهَا الْكُفْرُ وَالْكَفْرَانُ وَتَكْذِيبُ آيَاتِ اللَّهِ، وَقَتْلُ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرُ ذَلِكَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا﴾، فَصَحَّ قَوْلُهُ: «إِنَّ الذُّنُوبَ هِيَ أَسْبَابُ الْهَلَكَةِ لَا غَيْرَ»، وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى فِطْرَةِ شَأْنِهَا قَوْلُهُ: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ﴾.

قَوْلُهُ: (مَنْ كَانَتِ الْعَاجِلَةُ هَمَّهُ وَلَمْ يُرِدْ غَيْرَهَا)، يَدُلُّ عَلَى الْقَيْدِ مَعْنَى الْإِرَادَةِ، فَإِنَّ الْإِرَادَةَ هِيَ: عَقْدُ الْقَلْبِ بِالشَّيْءِ وَخُلُوصُ هَمِّ فِيهِ، وَإِنَّمَا قَالَ: كَالْكَفَرَةِ «وَالْفَسَقَةِ»؛ لِأَنَّ الْآيَةَ قَوْلِيَّتٌ بِهَا. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾، فَإِنَّ الْكَافِرَ يُنْكَرُ الْأَجَلَ، وَالْفَاسِقُ وَإِنْ لَمْ يُنْكَرْ لِكُنْهَ (٢) مِنْهُمْ فِي الشَّهَوَاتِ، فَكَأَنَّهُ مُعْرِضٌ عَنِ الْآخِرَةِ، وَفِيهِ إِيهَاءٌ إِلَى مَذْهَبِهِ.

(١) سقط لفظ «يعلم» من (ف).

(٢) في (ح): «فإنه»، وسقطت هذه اللفظة من (ط).



مَنَافِعِهَا بِمَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ. فَقَيَّدَ الْأَمْرَ تَقْيِيدَيْنِ: أَحَدُهُمَا: تَقْيِيدُ الْمُعْجَلِ بِمَشِيئَتِهِ، وَالثَّانِي: تَقْيِيدُ الْمُعْجَلِ لَهُ بِإِرَادَتِهِ، وَهَكَذَا الْحَالُ، تَرَى كَثِيرًا مِنْ هَؤُلَاءِ يَتَمَنُّونَ مَا يَتَمَنُّونَ وَلَا يُعْطَوْنَ إِلَّا بَعْضًا مِنْهُ، وَكَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَمَنُّونَ ذَلِكَ الْبَعْضَ وَقَدْ حُرِّمَ، فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ فَقْرُ الدُّنْيَا وَقَفْرُ الْآخِرَةِ، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ التَّقِيُّ فَقَدْ اخْتَارَ مُرَادَهُ؛ وَهُوَ غِنَى الْآخِرَةِ، فَمَا يُبَالِي: أَوْتَى حَظًّا مِنَ الدُّنْيَا أَوْ لَمْ يُؤْتِ، فَإِنْ أَوْتِيَ فِيهَا وَإِلَّا فُرُبْنَا كَانَ الْفَقْرُ خَيْرًا لَهُ وَأَعْوَنَ عَلَى مُرَادِهِ. وَقَوْلُهُ: ﴿لِمَنْ نُرِيدُ﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿لَهُ﴾، وَهُوَ بَدَلُ الْبَعْضِ مِنَ الْكُلِّ؛ لِأَنَّ الضَّمِيرَ يَرْجِعُ إِلَى ﴿مَنْ﴾ وَهُوَ فِي مَعْنَى الْكَثْرَةِ. وَقُرِي: (يَشَاءُ)، وَقِيلَ: الضَّمِيرُ لِلَّهِ تَعَالَى، فَلَا فَرْقَ إِذْنٍ بَيْنَ الْقِرَاءَتَيْنِ فِي الْمَعْنَى. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِلْعَبْدِ، عَلَى أَنْ لِلْعَبْدِ مَا يَشَاءُ مِنَ الدُّنْيَا، وَأَنْ ذَلِكَ لَوَاحِدٍ مِنَ الدَّهْمَاءِ يُرِيدُ بِهِ اللَّهُ ذَلِكَ،

قَوْلُهُ: (فَإِنْ أَوْتِيَ فِيهَا)، النَّهْيَةُ: وَفِي الْحَدِيثِ: «مَنْ تَوَضَّأَ لِلْجُمُعَةِ<sup>(١)</sup> فِيهَا»، وَالْبَاءُ مُتَعَلِّقَةٌ بِفِعْلِ مَضْمَرٍ، أَي: فِيهِذِهِ الْحَظُّ وَالْفِعْلَةُ يَعْنِي الْوَضُوءَ، يَنَالُ الْفَضْلَ.

قَوْلُهُ: (لِأَنَّ الضَّمِيرَ يَرْجِعُ إِلَى «مَنْ»)، أَي: الضَّمِيرُ وَالْمَجْرُورُ فِي قَوْلِهِ: يَرْجِعُ إِلَى (مَنْ) فِي قَوْلِهِ: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْمَآجِلَةَ﴾، وَهُوَ يَقْتَضِي الْعُمُومَ لِأَنَّ مُرِيدِي الْعَاجِلَةِ لَا حَضَرَ فِيهِمْ. وَأَمَّا الْمُعْجَلُ لَهُ فَمَحْضُورُونَ.

قَوْلُهُ: (فَلَا فَرْقَ إِذْنٍ بَيْنَ الْقِرَاءَتَيْنِ)، أَي: قِرَاءَةُ «يَشَاءُ» بِالْيَاءِ، وَالضَّمِيرُ لِلَّهِ، وَالْقِرَاءَةُ الْمَشْهُورَةُ بِالنُّونِ فِي كَوْنِ الْمَشِيئَةِ لِلَّهِ تَعَالَى، فَدَلَّ النَّوْنُ عَلَى التَّعْظِيمِ، وَالْيَاءُ عَلَى التَّجْرِيدِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: ﴿عَبَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ﴾ مِنْ لَهُ الْمَشِيئَةُ الْمَطْلُوقَةُ وَبِيَدِهِ أَرْمَةٌ كُلُّ الْأُمُورِ يَفْعَلُ بِمَشِيئَتِهِ مَا أَرَادَ، لَا يَمْتَنِعُهُ مَانِعٌ.

قَوْلُهُ: (الدَّهْمَاءُ)، الْجَوْهَرِيُّ: الدَّهْمُ: الْعَدَدُ الْكَثِيرُ، وَدَّهْمَاءُ النَّاسِ: جَمَاعَتُهُمْ.

قَوْلُهُ: (يُرِيدُ بِهِ اللَّهُ)، ذَلِكَ الضَّمِيرُ لِلْعَبْدِ، وَالْمَشَارُؤُ إِلَيْهِ مَا يَشَاءُ مِنَ الدُّنْيَا، وَالْجُمْلَةُ صِفَةٌ لِـ «وَاحِدٍ»<sup>(٢)</sup>.

(١) فِي (ف): يَوْمَ الْجُمُعَةِ.

(٢) هَذِهِ الْفَقْرَةُ سَقَطَتْ مِنْ (ط).

وقيل: هُوَ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ، كالمُنَافِقِ، والمُرَائِي، والمُهَاجِرِ للدُّنْيَا، والمُجَاهِدِ للغَنِيمَةِ والدُّكْرِ، كما قال ﷺ: «فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ». ﴿مَذْحُورًا﴾: مَطْرُودًا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ. ﴿سَعْيَهَا﴾: حَقَّهَا مِنَ السَّعْيِ وَكِفَاءِهَا مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ. اشْتَرَطَ ثَلَاثَ شَرَايِطَ فِي كَوْنِ السَّعْيِ مَشْكُورًا: إِرَادَةَ الآخِرَةِ؛ بِأَنْ يَعْقِدَ بِهَا هَمَّهُ وَيَتَجَافَى عَنِ دَارِ الْغُرُورِ، وَالسَّعْيَ فِيهَا كُلْفًا مِنَ الْفِعْلِ وَالتَّرْكَ، وَالإِيَابَانَ

قوله: (فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ)، الحديثُ مشهور، أَخْرَجَهُ الأئِمَّةُ<sup>(١)</sup>، وَهُوَ مِنْ بَابِ قَوْلِهِمْ: مَنْ أَدْرَكَ الصَّيَّانَ فَقَدْ أَدْرَكَ<sup>(٢)</sup>.

قوله: ﴿مَذْحُورًا﴾: مَطْرُودًا، الرَّاغِبُ: الدَّخْرُ: الطَّرْدُ وَالإِبْعَادُ، يُقَالُ: دَحَرَهُ دُحُورًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَنُلَقِّنْ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَذْحُورًا﴾ [الإسراء: ٣٩]، وَقَالَ: ﴿وَيَقْدِفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾ [الصافات: ٩]<sup>(٣)</sup>، وَلَمْ يَذْكُرِ الدَّخْرَ فِي «الصَّحَاحِ».

قوله: (وَيَتَجَافَى عَنِ دَارِ الْغُرُورِ)، مُقْتَبَسٌ مِمَّا رَوَى الْمُفَسِّرُونَ، أَنَّهُ ﷺ سُنِلَ: مَا عِلَامَةٌ شَرَحَ الصَّدْرُ؟ قَالَ: «التَّجَافَى<sup>(٤)</sup> عَنِ دَارِ الْغُرُورِ، وَالإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ»<sup>(٥)</sup>.

قوله: (وَالسَّعْيَ فِيهَا كُلْفًا مِنَ الْفِعْلِ وَالتَّرْكَ)، اسْتِفَادَهُ مِنْ إِقْرَانِ الإِيَابَانَ بِالسَّعْيِ لِيَكُونَ عَلَى وِزَانِ قَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العصر: ٣] وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾: السَّعْيُ الْمُخْتَصُّ بِهَا، وَمَا يُنْسَبُ إِلَيْهَا، وَعَرَفَ أَنَّ ذَلِكَ السَّعْيَ مَا هُوَ، وَهُوَ قَمْعُ الْهَوَى وَتَرْكُ زِينَةِ الدُّنْيَا وَمُرَاقِبَةُ الْأَحْوَالِ بَيْنَ يَدَيِ الْمَوْلَى، كَمَا قَالَ

(١) سبق تحريجه.

(٢) هذه الفقرة سقطت من (ط) أيضًا.

(٣) «مفردات القرآن»، ص ٣٠٨.

(٤) في (ف): «التحامى»، وهي جيِّدةٌ متَّجهة.

(٥) هو جزءٌ من حديثٍ أَخْرَجَهُ الإمامُ أحمدُ في «المسند» (٣٦٧١)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٤٥٨)، وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ.

الصَّحِيحُ الثَّابِتُ. وَعَنْ بَعْضِ الْمُتَقَدِّمِينَ: مَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ ثَلَاثٌ لَمْ يَنْفَعَهُ عَمَلُهُ: إِبْرَاهِيمُ ثَابِتٌ، وَنِيَّةٌ صَادِقَةٌ، وَعَمَلٌ مُصِيبٌ، وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ، وَشَكَرَ اللَّهَ: الثَّوَابُ عَلَى الطَّاعَةِ.

[﴿كَلَّا تُمِدُّ هَتُوْلَاءَ وَهَتُوْلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْطُورًا﴾ ٢٠]

﴿كَلَّا﴾: كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ، وَالتَّنْوِينُ عِيَاضٌ مِنَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ، ﴿تُمِدُّ﴾ هُمْ: تَزِيدُهُمْ مِنْ عَطَائِنَا، وَنَجْعَلُ الْآنْفَ مِنْهُ مَدَدًا لِلْسَالِفِ لَا نَقْطَعُهُ، فَتَرْزُقُ الْمَطِيْعَ وَالْعَاصِيَّ جَمِيعًا عَلَى وَجْهِ التَّفْضِيلِ، ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ﴾ وَفَضْلُهُ ﴿مَحْطُورًا﴾ أَي:

تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١]، وَفِي الْأَلْفَاظِ النَّبَوِيَّةِ: «وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا»، وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الْحُضْلَةُ وَاسِطَةَ الْقِلَادَةِ، جُعِلَتْ مَقْدَمَتَهَا الْإِرَادَةُ، وَقَاعِدَتَهَا الْاسْتِقَامَةُ عَلَى الْإِيمَانِ، وَبَنَى الْجَوَابَ عَلَيْهَا. وَقِيلَ: ﴿فَأَوْلِيَّتِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾.

الرَّازِبُ: السَّعْيُ: الْمَشْيُ السَّرِيعُ، وَهُوَ دُونَ الْعَدْوِ، وَيُسْتَعْمَلُ لِلجِدِّ فِي الْأَمْرِ، خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهِآ﴾ [البقرة: ١١٤]، ﴿وَأَنْ لِّسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩]، وَأَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ فِي الْأَفْعَالِ الْمَحْمُودَةِ، قَالَ الشَّاعِرُ:

إِنْ أَجَزَ عِلْقَمَةُ بْنُ سَعِيدٍ سَعْيُهُ  
لَا أَجْزَهُ بِيَلَاءِ يَوْمٍ وَاحِدٍ<sup>(١)</sup>

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ﴾ [الصافات: ١٠٢]، أَي: أَدْرَكَ مَا سَعَى فِي طَلْبِهِ، وَخُصَّ الْمُسْعَاةُ<sup>(٢)</sup> بِطَلْبِ الْمَكْرَمَةِ وَالسُّعَايَةِ بِأَخْذِ الصَّدَقَةِ، وَبِكَسْبِ الْمَكَاتِبِ لِعَتَقِ رَقَبَتِهِ، وَبِالنَّمِيمَةِ وَالْمَسَاعَاةِ بِالْفُجُورِ<sup>(٣)</sup>.

قَوْلُهُ: (الْآنْفُ). الْجَوْهَرِيُّ: الْاسْتِثْنَاءُ: الْإِبْتِدَاءُ، وَكَذَلِكَ الْاسْتِثْنَاءُ.

(١) الْبَيْتُ لَفَذِ كَيْ بْنِ عَبْدِ ذَكَرِهِ الْجَاهِظُ فِي «الْحَيَوَانَ» (٣: ٤٦٨)، وَ«الْبَيَانَ وَالتَّبْيِينَ» (٣: ٢٣٣).

(٢) فِي (ح): «السَّعَادَةُ»، وَفِي (ف): «السَّعْيُ».

(٣) «مَفْرَدَاتُ الْقُرْآنِ»، ص ٤١١.

ممنوعاً، لا يمنعه من عاصي لعصيانه.

[﴿ أَنْظَرَ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ ٢١]

﴿ أَنْظَرَ ﴾ بعين الاعتبار ﴿ كَيْفَ ﴾ جعلناهم متفاوتين في التفضُّل، وفي الآخرة التفاوتُ أكبر؛ لأنها ثوابٌ وأعواضٌ وتفضُّلٌ، وكلُّها متفاوتة، ورؤي: أن قوماً من الأشرافِ فمن دونهم اجتمعوا ببابِ عمرَ رضي اللهُ عنه، فخرجَ الإذنُ ليلالِ

قوله: (لأنها ثوابٌ وأعواضٌ وتفضُّلٌ، وكلُّها متفاوتة)، الضميرُ في «أنها» مبهَم، يُفسَّرُه ما بعده، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ [الأنعام: ٢٩]، قال: «هذا ضميرٌ لا يُعلمُ ما يُعنى به إلا ما يتلوه من بيانه»، إلى قوله: «لأن الخبرَ يدلُّ عليها». ويجوزُ أن يكونَ المضافُ محذوفاً، أي: أفعالُ الآخرة، يعني: أفعالُ الله في الآخرة مع العبدِ ثوابٌ وأعواضٌ وتفضُّلٌ.

وفي بعض الحواشي الواردِ على أصولهم: أفعالُ الله تعالى اليومَ لا تخلو من صلاح وإصلاح ولطف، وأفعاله غداً على سبيلِ الجزاءِ إما ثوابٌ أو عِوَضٌ أو تفضُّلٌ، فالصلاحُ ضدُّ الفسادِ، وكلُّ ما عَرِيَ عن الفسادِ سُمِّيَ صلاحاً، وهو: الفعلُ المتوجُّهُ إلى الخيرِ من قوامِ العالمِ، وبقاءِ النوعِ عاجلاً، والمؤدِّي إلى السعادةِ السَّرمديَّةِ آجلاً. والأصلحُ، وهو إذا كان صلاحاً أو خيراً، وكان أحدهما أقربَ إلى الخيرِ المطلقِ فهو الأصلحُ. واللُّطفُ: هو وجهُ التيسيرِ إلى الخيرِ، وهو الفعلُ الذي عَلِمَ الرَّبُّ سبحانه وتعالى أنَّ العبدَ يطيعُ عنده، وليس في مقدورِ الله لطفٌ وفعلٌ لو فعله لأمنَ الكُفَّار. ثمَّ الثوابُ هو: الجزاءُ على أعمالِ الخيرِ، والعِوَضُ هو: البَدَلُ عن الفائتِ، كالسلامةِ التي هي بدَلُ الألمِ، والنَّعمِ التي هي في مقابلةِ البلاءِ والمحنِ والرزايا والفتنِ، والتفضُّلُ هو: إيصالُ منفعةٍ خالصةٍ إلى الغيرِ من غيرِ استحقاقٍ، يستحقُّ، أي: اللهُ، بذلك حمداً وثناءً ومدحاً وتعظيماً، ووَضِفُ بأنه مُحسِنٌ مُجْمَلٌ، وإن لم يفعله لم يستوجب<sup>(١)</sup> بذلك ملاماً وذنماً.

قوله: (ورؤي أن قوماً من الأشرافِ فمن دونهم اجتمعوا ببابِ عمرَ رضي اللهُ عنه)،

(١) في (ف): «لم يستحق».

وَصُهَيْب، فَشَقَّ عَلَى أَبِي سُفْيَانَ، فَقَالَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو: إِنَّمَا أُتِينَا مِنْ قِبَلِنَا، إِنَّهُمْ دُعُوا وَدُعِينَا - يعني: إلى الإسلام - فَأَسْرَعُوا وَأَبْطَأْنَا، وَهَذَا بَابُ عُمَرَ، فَكَيْفَ التَّفَاوُتُ فِي الْآخِرَةِ! وَلِئِنْ حَسَدْتُمُوهُمْ عَلَى بَابِ عُمَرَ لَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ أَكْثَرَ. وَقُرِي: (وَأَكْثَرُ تَفْضِيلًا). وَعَنْ بَعْضِهِمْ: أَيُّهَا الْمُبَاهِي بِالرَّفْعِ مِنْكَ فِي مَجَالِسِ الدُّنْيَا، أَمَا تَرَعَّبُ فِي الْمِبَاهَاةِ بِالرَّفْعِ فِي مَجَالِسِ الْآخِرَةِ وَهِيَ أَكْبَرُ وَأَفْضَلُ!؟

﴿لَا يَجْعَلُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا تَحْذُولًا﴾ [٢٢]

﴿فَتَقَعُدَ﴾ مِنْ قَوْلِهِمْ: شَحَدَ الشَّفْرَةَ حَتَّى قَعَدَتْ، كَأْتَاهَا حَزْبَةٌ، بِمَعْنَى: صَارَتْ،

وَرَوَى ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي «الاستيعاب»، عَنِ الْحَسَنِ: حَضَرَ جَمَاعَةً مِنَ النَّاسِ بِبَابِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَفِيهِمْ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الْقُرَشِيُّ، وَكَانَ أَحَدَ الْأَشْرَافِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَزْبٍ وَأَوْلَثُكَ الشَّيْخُ مِنْ قُرَيْشٍ، فَأَذِنَ لَصُهَيْبٍ وَبِلَالٍ وَأَهْلِ بَدْرٍ، وَكَانَ يُحِبُّهُمْ، وَكَانَ قَدْ أَوْصَى بِهِمْ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطًّا! إِنَّهُ لَيُؤَذِّنُ لِهَوْلَاءِ الْعَبِيدِ وَنَحْنُ جُلُوسٌ لَا يُلْتَمَتُ إِلَيْنَا، فَقَالَ سُهَيْلٌ، وَكَانَ أَعْقَلَهُمْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ، إِنِّي وَاللَّهِ قَدْ أَرَى الَّذِي فِي وَجْهِكُمْ، فَإِنْ كُنْتُمْ غَضَابًا فَاغْضَبُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، دُعِيَ الْقَوْمُ وَدُعِيتُمْ، فَأَسْرَعُوا وَأَبْطَأْتُمْ، أَمَا وَاللَّهِ لَمَا سَبَقْتُكُمْ بِهِ مِنَ الْفَضْلِ أَشَدُّ عَلَيْكُمْ فَوْتًا مِنْ بَابِكُمْ هَذَا الَّذِي تَنَافَسُونَ عَلَيْهِ<sup>(١)</sup>.

وَرَوَى أَيْضًا: أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ وَسُهَيْلًا هَذَا دَخَلَا عَلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَجَلَسَا<sup>(٢)</sup> وَهُوَ بَيْنَهُمَا، فَجَعَلَ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوْلُونَ يَأْتُونَ فَيَقُولُ: هَاهُنَا يَا سُهَيْلُ، هَاهُنَا يَا حَارِثُ، فَيُنْحِيهِمَا عَنْهُ، وَجَعَلَ الْأَنْصَارُ يَأْتُونَ فَيُنْحِيهِمَا حَتَّى صَارَا فِي آخِرِ النَّاسِ، فَلَمَّا خَرَجَا قَالَ الْحَارِثُ لِسُهَيْلٍ: أَلَمْ تَرَمَا صَنَعْنَا؟ فَقَالَ سُهَيْلٌ<sup>(٣)</sup>: إِنَّ الرَّجُلَ لَا لَوْمَ عَلَيْهِ، يَنْبَغِي أَنْ تَرْجِعَ بِاللَّوْمِ عَلَى أَنْفُسِنَا، دُعِيَ الْقَوْمُ فَأَسْرَعُوا وَدُعِينَا فَأَبْطَأْنَا<sup>(٤)</sup>، تَمَامُهُ ذِكْرٌ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ.

(١) «الاستيعاب» (٢: ٦٧١).

(٢) فِي (ف): «مَجْلَسًا».

(٣) سَقَطَ لَفْظُ «سُهَيْلٍ» مِنْ (ف).

(٤) «الاستيعاب»، (٢: ٦٧٢).

يعني: فتصيرُ جامعًا على نفسِكَ الذمِّ وما يتَّبَعُه من الهلاكِ من إلهك، والخذلانِ والعجزِ عن النَّصْرَةِ ممن جعلته شريكًا له.

[«وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا \* وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٣-٢٤﴾]

«وَقَضَى رَبُّكَ ﴿٢٣﴾ وَأَمَرَ أَمْرًا مَقْطُوعًا بِهِ ﴿٢٤﴾ «أَلَّا تَعْبُدُوا ﴿٢٣﴾» مفسرة، و«لا تعبدوا» نهى، أو: بأن لا تعبدوا. «وبالوالدين إحسانًا ﴿٢٤﴾»: وأحسنوا بالوالدين إحسانًا، أو: بأن تحسنوا بالوالدين إحسانًا. وقرئ: (وأوصى)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: (ووصى)، وعن بعض ولد معاوية بن جندب: (وقضاء ربك)، ولا يجوز أن يتعلق الباء في (بالوالدين) بالإحسان؛ لأن المصدر لا يتقدم عليه صلته. «إمَّا ﴿٢٣﴾» هي «إن»

قوله: (جامعًا على نفسِكَ الذمِّ وما يتَّبَعُه من الهلاكِ من إلهك)، يعني: أن المشرك قد ذمَّه الله، ومن ذمَّه الله يهلكه، وما يتَّبَعُه تفسيرُ الذمِّ. الخذلان: عطفٌ على الذمِّ وإنما دلَّ على الجمع إيقاع ﴿مَذْمُومًا مَخْدُومًا﴾ خبرًا بعد خبر لقوله: ﴿فَنَقَعَدُ﴾. قال القاضي: ومفهومه أن الموحد يكون ممدوحًا منصورًا<sup>(١)</sup>.

قوله: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ ﴿٢٣﴾﴾، وأمر أمرًا مقطوعًا به، صمَّنَ «قضى» معنى الأمر؛ ليكون جامعًا للمعنيين: الأمر والقضاء الذي هو القطع، ولذلك كان «أن» في قوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا﴾ مفسرة، وكأنَّ النهي في معنى الأمر، أي: اعبدوا، لئلا يناسب عطف «وأحسنوا» عليه، وسبق في «الأنعام» عند قوله: ﴿أَلَّا تَشْكُرُوا بِمِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَلْقٍ إِلَّا تَعْبُدُوا﴾ «أَلَّا تَعْبُدُوا أَوْلَادَكُمْ» [الأنعام: ١٥١] الآية، ما يقرب من هذا العطف.

قوله: (أو: بأن تحسنوا بالوالدين إحسانًا)، هذا على أن تكون «أن» موصولة لا مفسرة، ففيه لفٌّ ونشْر.

(١) «أنوار التنزيل» (٣: ٤٣٨).

الشَّرْطِيَّةُ زِيدَتْ عَلَيْهَا «مَا» تَأْكِدًا لَهَا؛ وَلِذَلِكَ دَخَلَتْ التَّوْنُ الْمُؤَكِّدَةُ فِي الْفِعْلِ، وَلَوْ أُفْرِدَتْ «إِنْ» لَمْ يَصِحَّ دُخُولُهَا، لَا تَقُولُ: إِنْ تُكْرِمَنَّ زَيْدًا يُكْرِمُكَ، وَلَكِنْ: إِمَّا تُكْرِمَنَّه. ﴿أَحَدُهُمَا﴾ فاعِلٌ ﴿يَبْلُغَنَّ﴾، وَهُوَ فَيَمِّنُ قَرَأَ (يَبْلُغَانَّ) بَدَلٌ مِنَ الْفِ الضَّمِيرِ الرَّاجِعِ إِلَى الْوَالِدَيْنِ. ﴿وَكِلَاهُمَا﴾ عَطْفٌ عَلَى ﴿أَحَدُهُمَا﴾ فَاعِلًا وَبَدَلًا. فَإِنْ قُلْتَ: لَوْ قِيلَ: إِمَّا يَبْلُغَانَّ كِلَاهُمَا؛ كَانَ ﴿وَكِلَاهُمَا﴾ تَوْكِيدًا لَا بَدَلًا، فَمَا لَكَ زَعَمْتَ أَنَّهُ بَدَلٌ؟ قُلْتَ: لِأَنَّهُ مَعْطُوفٌ عَلَى مَا لَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ تَوْكِيدًا لِلثَّانِيْنِ، فَانْتَهَتْ فِي حُكْمِهِ؛ فَوَجِبَ أَنْ يَكُونَ مِثْلَهُ. فَإِنْ قُلْتَ: مَا ضَرَّكَ لَوْ جَعَلْتَهُ تَوْكِيدًا مَعَ كَوْنِ الْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ بَدَلًا، وَعَطْفَتِ التَّوَكِيدَ عَلَى الْبَدَلِ؟ قُلْتَ: لَوْ أُرِيدَ تَوْكِيدُ الثَّنِيَّةِ لَقِيلَ: كِلَاهُمَا، فَحَسْبُ،

قَوْلُهُ: (وَهُوَ فَيَمِّنُ قَرَأَ: «يَبْلُغَانَّ»)، بِالتَّشْدِيدِ<sup>(١)</sup>، حَمَزَةٌ وَالْكَسَائِيُّ: «إِمَّا يَبْلُغَانَّ» بِكسْرِ التَّوْنِ وَالْأَلْفِ قَبْلَهَا، وَالْباقُونَ بفتحها من غير ألف<sup>(٢)</sup>. قَالَ أَبُو الْبَقَاءِ: أَلْفُ «يَبْلُغَانَّ» بِالتَّشْدِيدِ: فاعِلٌ، ﴿وَكِلَاهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾: بَدَلٌ مِنْهُ، وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ: هُوَ تَوْكِيدٌ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿أَحَدُهُمَا﴾ مَرْفُوعًا لِفِعْلِ مَحْذُوفٍ، أَي: إِنْ بَلَغَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا، وَفَائِدَتُهُ التَّوَكِيدُ أَيْضًا. وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْأَلْفُ حَرْفًا لِلثَّنِيَّةِ، وَالْفَاعِلُ ﴿أَحَدُهُمَا﴾<sup>(٣)</sup>.

قَوْلُهُ: (لَوْ قِيلَ: إِمَّا يَبْلُغَانَّ كِلَاهُمَا، كَانَ ﴿وَكِلَاهُمَا﴾ تَوْكِيدًا لَا بَدَلًا)؛ لِأَنَّهُ مِثْلُ قَوْلِكَ: جَاءَنِي الزَّيْدَانِ كِلَاهُمَا، فَإِنَّ كِلَاهُمَا: تَوْكِيدٌ بِاتِّفَاقٍ؛ لِأَنَّهُ يُدُلُّ عَلَى مَا دَلَّ عَلَيْهِ الزَّيْدَانِ، فَكَذَا يُفْهَمُ مِنْ كِلَاهُمَا مَا يُفْهَمُ مِنْ ضَمِيرِ الْأَبْوَيْنِ. قَالَ صَاحِبُ «التَّقْرِيْبِ»: وَفِيهِ نَظَرٌ، إِذْ جَازَ كَوْنُهُ تَأْكِدًا.

وقوله: (لَوْ أُرِيدَ تَوْكِيدُ الثَّنِيَّةِ لَقِيلَ: كِلَاهُمَا، فَحَسْبُ)، مَمْنُوعٌ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا يَلْزَمُ لَوْ أُرِيدَ التَّأْكِدُ فَحَسْبُ مِنْ غَيْرِ تَقَدُّمِ ذِكْرِ أَحَدِهِمَا، فَكَأَنَّهُ قَالَ: إِمَّا يَبْلُغَانَّ أَحَدُهُمَا، أَوْ يَبْلُغَانَّ كِلَاهُمَا، وَالْأَوَّلُ: بَدَلٌ، وَالثَّانِي: تَأْكِيدٌ.

(١) سقط لفظ «بالتشديد» من (ح) و(ط).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر»، ص ٢٨٢.

(٣) «البيان في إعراب القرآن» (٢: ٨١٧).

فلما قيل: ﴿أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾، عَلِمَ أَنَّ التَّوَكِيدَ غَيْرُ مُرَادٍ؛ فَكَانَ بَدَلًا مِثْلَ الْأَوَّلِ.  
﴿أَفِي﴾: صَوْتٌ يَدُلُّ عَلَى تَضَجُّرٍ. وَقُرِي: ﴿أَفِي﴾ بِالْحَرَكَاتِ الثَّلَاثِ مُنَوَّنًا وَغَيْرَ

وقلت: كلامُ المصنّفِ مبنيٌّ على أن ﴿كِلَاهُمَا﴾ عَطْفٌ على «أَحَدُهُمَا»، لا على التقديرين، فإنه يعودُ إلى عطفِ الجُمْلَةِ على الجُمْلَةِ، والمقصودُ أحدُ الأمرين لإفادَةِ الشُّمولِ والإحاطَةِ في أَحَدِهِمَا دونَ الْآخَرِ. وأيضًا، لو كان أريدَ الشُّمولَ لم يقل: أَحَدُهُمَا، لكونه مُنافيًا للشُّمولِ والإحاطَةِ، فإنه لدَفْعِ التَّجَوُّزِ في إرادةِ الْوَحْدَةِ.

وقال صاحب «الفرائد»: لما كان ﴿أَحَدُهُمَا﴾ لم يصلح أن يكون توكيدًا للتثنية وهو ضميرٌ «يبلغان»، وجب أن يكون بدلًا، والبدلُ في حكم تكرير العامل، فلزم أن يكون التقدير: يبلغ أحدهما، ولما كان ﴿كِلَاهُمَا﴾ عطفًا على ﴿أَحَدُهُمَا﴾، انقطع عن الضمير، فلم يمكن أن يكون مؤكِّدًا له؛ لأنه فاعلٌ فعلٍ آخر، والمؤكِّدُ لا فعلٌ له إلا الفعلُ المذكور.

قوله: (وقرئ ﴿أَفِي﴾ بالحرركات الثلاث)، نافعٌ وحفصٌ: بالتنوين وكسر الفاء، وابنُ كثيرٍ وابنُ عامرٍ: بفتح الفاء من غير تنوين، والباقون بكسرها من غير تنوين.

وقال ابنُ جنِّي: قرأ أبو السَّمَالِ «أَفٌ» مضمومةً غيرَ مُنَوَّنة، وقرأ ابنُ عَبَّاسٍ: «أَفٌ» خفيفة، وقال هارونُ النَّحْوِيُّ: ويُقرأ «أَفٌ» بالتنوين، ولو قرئت «أَفًا» لجاز، ولكن ليس في الكتاب أَلِفٌ.

وقال ابنُ جنِّي: فيها ثمانِي لغات: أَفٌ، وَأَفٌ، وَأَفًا، وَأَفٌ، وَأَفِي مَمَالٌ، وَأَفٌ خفيفةٌ ساكنة. وأما قوله: «والتشديد كُثْمٌ» فمعناه أنه على وَزْنِهِ<sup>(١)</sup>.

وقال أبو البقاء: من كسرَ بناه على الأصل؛ لأنه: اسمُ فعلٍ، ومعناه التَّضَجُّرُ والكَرَاهَةُ، أي: لا تقلُّ لهما: كُفًّا، أو: انثُرْكا. وقيل: هي: اسمٌ للجُمْلَةِ الْخَبَرِيَّةِ، أي: كَرِهْتُ، أو صَحِرْتُ من مداراتِكها. ومن فتحَ طلبَ التَّخْفِيفِ مثلَ رُبِّ، ومن ضمَّ أَتْبَعَ، ومن نَوَّنَ أرادَ التَّنْكِيرَ، ومن لم يُنَوِّنْ أرادَ التَّعْرِيفَ، ومن خَفَّفَ الْفَاءَ حذفَ أحدَ المثلين تخفيفًا<sup>(٢)</sup>.

(١) «المحتسب» (٢: ١٨).

(٢) «التبيان في إعراب القرآن» (٢: ٨١٧-٨١٨).



منون: الكسر على أصل البناء، والفتح تخفيف للضمة، والتشديد كـ «ثم»، والضم إتياع كـ «مئذ». فإن قلت: ما معنى: «عندك»؟ قلت: هو أن يكبراً ويعجزاً، وكانا كلياً على ولدهما لا كإفل لها غيره، فهما عنده في بيته وكنفه، وذلك أشق عليه وأشدُّ احتياجاً وصبراً، وربما تولى منهما ما كانا يتوليان منه في حال الطفولة، فهو مأمورٌ بأن يستعمل معها وطأة الخلق ولين الجانب والاحتمال، حتى لا يقول لها إذا أضجره ما يستعذرُ منها أو يستقل من مؤنهما: أف، فضلاً عما يزيد عليه، ولقد بالغ سبحانه في التوصية بهما؛ حيث افتتحها بأن شفع ﴿وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ الإحسان إليهما بتوحيده، ونظّمهما في سلك القضاء بهما معاً، ثم صيغ الأمر في مراعاتهما حتى لم يُرخص في أدنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الصّجر ومقتضياته، ومع أحوال لا يكاد يدخل صبر الإنسان معها في الاستطاعة. ﴿وَلَا نُنْهَرُهُمَا﴾: ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يُعجبك. والنهي والنهر والنهم: أخوات، ﴿وَقُلْ لَهُمَا﴾ بدل التأنيف والنهر ﴿قَوْلًا كَرِيمًا﴾: جميلاً، كما يقتضيه حسن الأدب والنزول على المروءة. وقيل: هو أن يقول: يا أبتاه، يا أمّاه، كما قال إبراهيم عليه السلام لأبيه: ﴿يَتَأْتِيَ﴾ [مريم: ٤٢]، مع كفره، ولا يدعوهما بأسمائهما؛ فإنه من الجفاء وسوء الأدب وعادة .....

وقال ابن جني: وكان القياس إذا خفت أن تُسكن آخرها؛ لأنه لم يلتق فيها ساكنان فتحرّك، لكنهم بقوا الحركة مع التخفيف أمانةً ودلالةً على أنها قد كانت مثقلةً مفتوحة<sup>(١)</sup>.

الراغب: أصل الأَف: كلُّ مستقدرٍ من وسخٍ وقلامٍ ظفرٍ ونحوهما، ويقال ذلك لكلُّ مُستخفٍّ به استقداراً له، نحو: ﴿أَفِي لَكَرٍّ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الأنبياء: ٦٧]، وقد أفتت لكذا، إذا قلت ذلك استقداراً له، ومنه قيل للصّجر من استقدار شيء: أفت فلان<sup>(٢)</sup>.

قوله: (هو أن يكبراً ويعجزاً)، يعني: معنى ﴿عندك﴾ هاهنا: كناية عن العجز وعن كونها كلياً على ولدهما.

(١) «المحتسب» (٢: ١٨).

(٢) «مفردات القرآن»، ص ٧٩.

الدُّعَار. قالوا: ولا بأس به في غير وجهه، كما قالت عائشة رضي الله عنها: نَحَلْنِي أَبُو بَكْرٍ كَذَا. وُقِرِي: ﴿جَنَاحُ الذَّلِّ﴾ و (الذَّل) بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ. فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿جَنَاحُ الذَّلِّ﴾؟ قُلْتَ: فِيهِ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: وَاحْفِضْ لَهَا جَنَاحَكَ، كَمَا قَالَ: ﴿وَاحْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، فَأُضَافَهُ إِلَى الذَّلِّ أَوْ الذَّلِّ، كَمَا أُضِيفَ حَاتَمٌ إِلَى الْجُودِ، عَلَى مَعْنَى: وَاحْفِضْ لَهَا جَنَاحَكَ الذَّلِيلَ أَوْ الذَّلُولَ. وَالثَّانِي: أَنْ تَجْعَلَ لِدُّهُ أَوْ لِدُّهُ لَهَا جَنَاحًا خَفِيفًا، كَمَا جَعَلَ لِبَيْدٍ لِلشَّمَالِ يَدًا، وَلِلقُرَّةِ زِمَامًا؛ .....

قَوْلُهُ: (الدُّعَارُ)، الْجَوْهَرِيُّ: الدَّعَارَةُ: الفِسْقُ وَالخُبْتُ، يُقَالُ: هُوَ خَبِيثٌ دَاعِرٌ بَيْنُ الدَّعَارَةِ.

قَوْلُهُ: (نَحَلْنِي أَبُو بَكْرٍ كَذَا)، تَمَامُهُ: مَا ذُكِرَ فِي النِّسَائِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنِّي كُنْتُ نَحَلْتُكَ جَدَادًا<sup>(١)</sup> عَشْرِينَ وَسَقًا بِالْعَالِيَةِ<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ: (وُقِرِي: ﴿جَنَاحُ الذَّلِّ﴾ و «الذَّل» بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ)، بِالضَّمِّ: السَّبْعَةُ، وَالْكَسْرُ: قَرَأَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، قَالَ ابْنُ جَنِّي: الذَّلُّ بِالْكَسْرِ فِي الدَّابَّةِ: ضِدُّ الصَّعُوبَةِ، وَبِالضَّمِّ لِلْإِنْسَانِ، وَهُوَ ضِدُّ الْعِزِّ، كَأْتَمُّ إِنَّمَا فَرَّقُوا لِأَنَّ مَا يَلْحَقُ الْإِنْسَانَ أَكْثَرُ قَدْرًا مِمَّا يَلْحَقُ الدَّابَّةَ، فَاخْتَارُوا الضَّمَّ لِقُوَّتِهَا لِلْإِنْسَانِ، وَالْكَسْرَ لضعفها للدَّابَّةِ، وَلَا تَسْتَكْرِزُ مِثْلَ هَذَا وَلَا تَنْبُ عَنْهُ، فَإِنَّهُ مَنْ عَرَفَ أُنْسَ، وَمَنْ جَهَلَ اسْتَوْحَشَ<sup>(٣)</sup>، وَفِي قَوْلِ الْمَصْنُفِ: جَنَاحُ الذَّلِيلِ أَوْ الذَّلُولِ، لِمَحَّةٍ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى.

قَوْلُهُ: (جَعَلَ لِبَيْدٍ لِلشَّمَالِ يَدًا، وَلِلقُرَّةِ زِمَامًا؛ مِبَالِغَةً)، يَعْنِي: فِي قَوْلِهِ:

(١) فِي (ج): «جَادًا»، وَكِلَاهُمَا بِمَعْنَى قَطْعِ ثَمَرِ النَّخْلِ.  
 (٢) هُوَ فِي «مَوْطَأَ مَالِكٍ» (٢: ٧٥٢)، وَ«السَّنَنِ الْكَبْرِيِّ» لِلْبَيْهَقِيِّ (٦: ١٦٩)، وَلِتَمَامِ الْفَائِدَةِ انظُر: «تَخْرِيجَ أَحَادِيثِ الْكَشَافِ» لِلْحَافِظِ الزَّيْلَعِيِّ (٢: ٢٦٣).  
 (٣) «الْمَحْتَسِبِ» (٢: ١٨).

مُبَالَغَةً فِي التَّدْلِيلِ وَالتَّوَاضُّعِ لَهَا. ﴿مِنَ الرَّحْمَةِ﴾: مِنْ قَرُطِ رَحْمَتِكَ لَهَا وَعَطْفِكَ

وَعَدَاةِ رِيحٍ قَدْ كَشَفَتْ وَقُرَّةٍ إِذْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامُهَا<sup>(١)</sup>

شَبَّهَ الشَّمَالَ بِالْإِنْسَانِ، ثُمَّ خَيَّلَ أَنَّهَا إِنْسَانٌ بَعِيْنُهُ، ثُمَّ أَضْيَفَ إِلَيْهِ عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِعَارَةِ التَّخْيِيلِيَّةِ مَا يُلَازِمَ الْإِنْسَانَ عِنْدَ التَّصَرُّفِ، وَهُوَ الْيَدُ قَائِلًا: بِيَدِ الشَّمَالِ، وَحُكْمُ الرَّمَامِ مَعَ الْقُرَّةِ حُكْمُ الْيَدِ مَعَ الشَّمَالِ عِنْدَ التَّصَرُّفِ<sup>(٢)</sup>، كَذَا هَاهُنَا: شَبَّهَ الذَّلَّ بِالطَّائِرِ، ثُمَّ أَثَبَّتَ لَهُ مَا يُلَازِمُ الطَّائِرَ عِنْدَ انْحِطَاطِهِ وَانْخِفَاضِهِ مِنَ الْجَنَاحِ. وَعَلَى الْأَوَّلِ خَفَضَ الْجَنَاحَ كَنَايَةً عَنِ التَّوَاضُّعِ، وَكَانَ فِي الْأَصْلِ اسْتِعَارَةً تَمثِيلِيَّةً، شَبَّهَ مَا يُتَصَوَّرُ مِنَ الْإِنْسَانِ فِي حَالِ التَّوَاضُّعِ مِنَ الْانْخِفَاضِ، بِمَا يُشَاهَدُ مِنَ الطَّائِرِ عِنْدَ انْحِطَاطِهِ<sup>(٣)</sup> مِنَ الْجَوِّ، ثُمَّ كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ فِيهِ حَتَّى صَارَ عِبَارَةً عَنِ مَجْرَدِ التَّوَاضُّعِ، ثُمَّ أَضْيَفَ إِلَى الذَّلَّ تَمثِيلاً لِإِرَادَةِ التَّوَاضُّعِ.

الرَّازِبُ: الْجَنَاحُ: جَنَاحُ الطَّائِرِ، يُقَالُ: جَنَحَ الطَّائِرُ: إِذَا كَسِرَ جَنَاحَهُ، وَسُمِّيَ جَانِبَا الشَّيْءِ جَنَاحَيْهِ، كَجَنَاحِي الْعَسْكَرِ وَالسَّفِينَةِ وَالوَادِي. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَضْمَمْتُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾ أَي: جَانِبِكَ، وَقَوْلُهُ: ﴿إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ عِبَارَةٌ عَنِ الْيَدِ لِكَوْنِ الْجَنَاحِ كَالْيَدِ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَخْفَضَ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ﴾ اسْتِعَارَةٌ، وَذَلِكَ أَنَّ الذَّلَّ ضَرَبَانِ: ضَرَبٌ يَضَعُ الْإِنْسَانَ، وَضَرَبٌ يَرْفَعُهُ، وَقَصَدَ فِي هَذَا الْمَكَانِ إِلَى مَا يَرْفَعُهُ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: اسْتَعْمِلَ الذَّلَّ الَّذِي يَرْفَعُكَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَجْلِ اكْتِسَابِكَ الرَّحْمَةِ أَوْ مِنْ أَجْلِ رَحْمَتِكَ لَهَا. وَجَنَحَ اللَّيْلُ: إِذَا أَظْلَمَ بِظِلَامِهِ، وَاجْتَنَحَ: قِطْعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمَةٌ، وَجَنَحَتِ السَّفِينَةُ: إِذَا مَالَتْ إِلَى أَحَدِ جَانِبَيْهَا، وَسُمِّيَ الْإِثْمُ الْمَانِلُ بِالْإِنْسَانِ عَنِ الْحَقِّ جُنَاحًا، ثُمَّ سُمِّيَ كُلُّ إِثْمٍ جُنَاحًا، وَجَوَانِحُ الصَّدْرِ: الْأَضْلَاحُ الْمُتَّصِلَةُ رُؤُوسِهَا فِي وَسَطِ الزُّورِ، الْوَاحِدَةُ جَانِحَةٌ، لِمَا فِيهَا مِنَ الْمِيلِ<sup>(٤)</sup>.

قَوْلُهُ: (مُبَالَغَةً فِي التَّدْلِيلِ وَالتَّوَاضُّعِ لَهَا)، أَي: لِلوَالِدَيْنِ.

قَوْلُهُ: ﴿مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ مِنْ قَرُطِ رَحْمَتِكَ لَهَا، جَعَلَ (مِنْ) فِي ﴿مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ ابْتِدَائِيَّةً

(١) ديوان لبيد بن ربيعة، ص ١٠٤.

(٢) قوله: «عند التصرف» سقط من (ح) و(ط).

(٣) في (ف): الانحطاط.

(٤) «مفردات القرآن»، ص ٢٠٧.

عليهما؛ لِكَبْرِهِمَا وافتقارِهما اليومَ إلى مَنْ كان أفقرَ خلقِ الله إليهما بالأمس، ولا تكتفِ برحمتك عليهما التي لا بقاءَ لها، وادعُ الله بأن يرحمهما رحمته الباقية، واجعل ذلك جزاءَ لرحمتها عليك في صغرك وتربيتيها لك. فإن قلت: الاسترحامُ لها إنما يصحُّ إذا كانا

لا بيانية، إذ لو بينَ الجناحَ بها لرجعت الاستعارةُ إلى التشبيهِ التجريديِّ، كقوله تعالى: ﴿حَتَّى يَبَيِّنَ لَكَ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، قال أبو البقاء: من أجلِ رفقكَ بهما، ف«من» متعلِّقةٌ بـ«اخْفِضْ»، ويجوزُ أن تكونَ حالاً من جناح<sup>(١)</sup>، وقال صاحبُ «الفرائد»: التواضعُ والتذلُّ ربما يكونان لأمرٍ آخر لا للرحمةِ والعطفِ، فقوله: ﴿مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ معناه: من أجلِ الرحمةِ، يعني ينبغي أن لا يكونَ ذلك التذلُّ للخوفِ أو لأمرٍ آخر.

قوله: (وادعُ الله بأن يرحمهما رحمته الباقية، واجعل ذلك جزاءَ لرحمتها عليك في صغرك وتربيتيها لك)، هذا المعنى يُعطيه معنى كافِ التشبيهِ. قال أبو البقاء: ﴿كَمَا﴾: نعتُ مصدرٍ محذوف، أي: رحمةٌ مثل رحمتي<sup>(٢)</sup>، وقال القاضي: ارحمها رحمةً مثل رحمتها عليّ وتربيتيها وإرشادها لي في صغري وفاءً بوعدك للراحمين<sup>(٣)</sup>. وقلت: «ما» في ﴿كَمَا﴾: مصدريةٌ، والوقتُ فيه مقدَّر، أي: ارحمها في وقتٍ أحوج ما يكونان إلى الرحمةِ من جميعِ الاوقات، كوقتِ رحمتها عليّ وأنا في حالةِ الصغَرِ كلحمٍ على وضمٍ وليسَ ذلك إلا في القيامةِ، والرحمةُ هي الجنةُ. ولهذا قال: رحمة الباقية. هذا هو التحقيق.

ونقلَ صاحبُ «اللباب» عن بعضهم: أن الكافَ في ﴿كَارِئَانِي﴾: لتأكيدِ الوجودِ. وذكرَ الشارحُ في توجيهه أنه ليسَ الكافُ فيه للقرانِ في الوقوعِ، كما في قولك: كما حَصَرَ زيدٌ قامَ عمرو، لأنَّ التربيةَ من الوالدينِ واقعةٌ والرحمةُ هُما مطلوبُ الوقوعِ؛ لأنها مذكورةٌ بصيغةِ الأمرِ في ﴿رَبِّ آرْحَمَهُمَا﴾، فالكافُ ليسَ للمقارنةِ<sup>(٤)</sup> في الوقوعِ، بل لتأكيدِ وجودِ الرحمةِ،

(١) «التبيان في إعراب القرآن» (٢: ٨١٨).

(٢) المصدر السابق (٢: ٨١٨).

(٣) «أنوار التنزيل» (٣: ٤٤١).

(٤) في (ح): «للمقاربة».

مُسْلِمِينَ. قُلْتُ: وَإِذَا كَانَا كَافِرِينَ فَلَهُ أَنْ يَسْتَرْحِمَ لَهَا بِشَرْطِ الْإِيمَانِ، وَأَنْ يَدْعُوَ اللَّهُ لَهَا بِالْهُدَايَةِ وَالْإِرْشَادِ. وَمِنْ النَّاسِ مَنْ قَالَ: كَانَ الدُّعَاءُ لِلْكَفَّارِ جَائِزًا ثُمَّ نُسِخَ. وَسُئِلَ ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنِ الصَّدَقَةِ عَنِ الْمَيْتِ، فَقَالَ: كُلُّ ذَلِكَ وَاصِلٌ إِلَيْهِ، وَلَا شَيْءَ أَنْفَعُ لَهُ مِنَ الْاسْتِغْفَارِ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ أَفْضَلَ مِنْهُ لِأَمْرِكُمْ بِهِ فِي الْأَبْوَيْنِ، وَلَقَدْ كَرَّرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ الْوَصِيَّةَ بِالْوَالِدَيْنِ. وَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «رِضَا اللَّهِ فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ، وَسَخَطُهُ فِي سَخَطِهَا».....

أي: أَوْجَدَ رَحْمَتَهُمَا إِجْبَادًا مُؤَكَّدًا مُحَقَّقًا كَمَا أَوْجَدَ الْوَالِدَانِ التَّرْبِيَةَ إِجْبَادًا مُحَقَّقًا<sup>(١)</sup> فِي الزَّمَانِ الْمَاضِي.

قَوْلُهُ<sup>(٢)</sup>: (فَقَالَ: كُلُّ ذَلِكَ وَاصِلٌ إِلَيْهِ)، يَعْنِي: لَا يَسْأَلُ عَنِ الصَّدَقَةِ وَحْدَهَا، فَإِنَّ كَلَامًا مِمَّا تَعْرُوفَ مِنَ الْمِيرَاثِ وَاصِلٌ إِلَيْهِ.

قَوْلُهُ: (وَلَا شَيْءَ أَنْفَعُ [لَهُ] مِنَ الْاسْتِغْفَارِ)، يُؤَيِّدُهُ مَا رَوَيْنَا عَنْ أَبِي دَاوُدَ وَابْنِ مَاجَةَ، عَنْ أُسَيْدِ السَّاعِدِيِّ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ بَقِيَ مِنْ بَرٍّ وَالِدِيَّ شَيْءٌ أَبْرَهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، الصَّلَاةُ عَلَيْهَا وَالْاسْتِغْفَارُ لَهَا، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهَا مِنْ بَعْدِهَا، وَصِلَةُ الرَّجْمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا لِبَيْهَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهَا»<sup>(٣)</sup>.

قَوْلُهُ: (لِأَمْرِكُمْ بِهِ فِي الْأَبْوَيْنِ): أَي: الْمَأْمُورُ بِهِ الْاسْتِغْفَارُ. وَفِي الْآيَةِ الْمَأْمُورُ بِهِ الْاسْتِرْحَامُ لِقَوْلِهِ: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا﴾؛ لِأَنَّ الْاسْتِرْحَامَ بِمَعْنَى الْاسْتِغْفَارِ.

قَوْلُهُ: (رِضَا اللَّهِ فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ) عَنْ ابْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الْوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ»، أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ<sup>(٤)</sup>.

(١) قَوْلُهُ: «إِجْبَادًا مُحَقَّقًا» سَقَطَ مِنْ (ف).

(٢) هَذِهِ الْفَقْرَةُ سَقَطَتْ مِنْ (ط).

(٣) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٥١٤٢)، وَابْنُ مَاجَةَ (٣٦٦٤).

(٤) «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» (١٨٩٩)، وَأَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (٤: ١٥٥)، وَالبَغْوِيُّ فِي «شَرْحِ السَّنَةِ»

(٣٤٢٤)، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ (٤٢٩)، وَفِيهِ تَمَامٌ تَحْرِيحِهِ.

وَرُوي: «يَفْعَلُ البَارُّ ما يَشَاءُ أَنْ يَفْعَلَ فَلَنْ يَدْخُلَ النَّارَ، وَيَفْعَلُ العَاقُ ما يَشَاءُ أَنْ يَفْعَلَ فَلَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ».

وَرَوَى سَعِيدُ بْنُ المَسَيْبِ: إنَّ البَارَّ لا يَمُوتُ مَيِّتَةَ سَوْءٍ، وَقَالَ رَجُلٌ لِرَسولِ اللَّهِ ﷺ: إنَّ أبويَّ بَلَّغَا من الكِبَرِ أَنِّي أَلِيٌّ مِنْهُمَا ما وَلِيَا مِنِّي في الصَّغَرِ، فَهَلْ قَضَيْتُهُمَا؟ قال: «لا، فَإِنَّهُمَا كانا يَفْعَلانِ ذلكَ وهما يُجَبَّانِ بقاءَكَ، وَأَنْتَ تَفْعَلُ ذلكَ وَأَنْتَ تُرِيدُ مَوْتَهُمَا»، وَشَكَا رَجُلٌ إلى رَسولِ اللَّهِ أباهُ، وَأَنَّهُ ياأخُذُ مالَهُ، فَدَعَا بِهِ، فَإِذا شَيْخٌ يَتَوَكَّأُ على عَصَا، فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: إنَّهُ كانَ ضَعِيفًا وَأنا قَوِيٌّ، وَفَقِيرًا وَأنا غَنِيٌّ، فَكُنْتُ لا أَمْنَعُهُ شَيْئًا مِن مالِي، وَالْيَوْمَ أنا ضَعِيفٌ وَهُوَ قَوِيٌّ، وَأنا فَقِيرٌ وَهُوَ غَنِيٌّ، وَيَبْخُلُ عَلَيَّ بِمالِهِ، فَبَكَى رَسولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ: «ما مِن حَجَرٍ وَلا مَدْرٍ يَسْمَعُ هَذا إِلاَّ بَكَى»، ثُمَّ قالَ لِلوَلَدِ: «أَنْتَ وَمالُكَ لأبيكَ، أَنْتَ وَمالُكَ لأبيكَ»، وَشَكَا إِلَيْهِ آخَرُ سَوْءِ خُلُقٍ أُمَّهُ، فَقَالَ: «لَمْ تَكُن سَيِّئَةَ الخُلُقِ حِينَ حَمَلْتِكَ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ» قال: «إِنَّها سَيِّئَةُ الخُلُقِ». قال: «لَمْ تَكُن كَذلكَ حِينَ أَرْضَعْتِكَ حَوْلِينَ» قال: «إِنَّها سَيِّئَةُ الخُلُقِ، قال: «لَمْ تَكُن كَذلكَ حِينَ أَشْهَرْتَ لَكَ ليلَها وَأَظْمَأْتَ نهارَها» قال: لَقَدْ جازَيْتُها، قال: «ما فَعَلْتَ؟» قال: حَجَجْتُ بِها على

قوله: (وروي: يفعل البار، إن روي بضم اللام يكون خبرًا في معنى الطلب، كقولهِ تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، وإن روي بكسرها، يكون من قبيل: مُحَمَّدٌ تَفَدَّ نَفْسَكَ كُلَّ نَفْسٍ، أَي: لَتَفَدِّ.

قوله: (أنت ومالك لأبيك)، روى أبو داود، عن ابن عمر وبن العاص، أن رسول الله ﷺ أتاه رجلٌ فقال: يا رسول الله، إن لي مالاً وولداً، وإن والدي يحتاج مالي، قال: «أنت ومالك لأبيك»<sup>(١)</sup>. النهاية: يحتاج مالي، أي: يستأصله، ويأتي عليه أخذاً وإنفاقاً، والاجتياح من الجائحة، وهي الآفة التي تهلك الثمار والأموال وتستأصلها.

(١) أخرجه أبو داود (٢٢٩١)، وابن ماجه (٢٢٩٢)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٤: ١٥٨)، وصححه ابن حبان (٤١٠)، وفيه تمامٌ تخريجه.

عائقي. قال: «ما جزيتها ولو طلقة». وعن ابن عمر: أنه رأى رجلاً في الطواف يحمل أمه ويقول:

إني لها مطية لا تدعُر  
إذا الركب نقرت لا تنفر  
ما حملت وأرضعتني أكثر  
الله ربي ذو الجلال الأكبر

ثم قال: تظنني جزيتها يا ابن عمر؟ قال: لا ولو زفرة واحدة. وعنه عليه الصلاة والسلام: «إياكم وعقوق الوالدين، فإن الجنة توجد ريحها من مسيرة ألف عام، ولا يجدر ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار إزاره خيلاء، إن الكبرياء لله رب العالمين».

وقال الفقهاء: لا يذهب بأبيه إلى البيعة، وإذا بعث إليه منها ليحمله؛ فعل، ولا يناوله الحمر، ويأخذ الإناء منه إذا شربها، وعن أبي يوسف: إذا أمره أن يؤقد تحت قدره وفيها لحم الخنزير؛ أوقد. وعن حذيفة: أنه استأذن النبي ﷺ في قتل أبيه وهو في صف المشركين، فقال: «دعه يله غيرك». وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال: أن لا تقوم إلى خدمتهما عن كسل. وسئل بعضهم فقال: أن لا ترفع صوتك عليهما، ولا تنظر شراً إليهما، ولا يريا منك مخالفة في ظاهر ولا باطن، وأن ترحم عليهما ما عاشا، وتدعو لهما إذا ماتا، وتقوم بخدمة أودائهما من بعدهما، فعن النبي ﷺ:

قوله: (ولو طلقة). النهاية: وفي حديث ابن عمر، أن رجلاً حج بأمه فحملها على عاتقه فسأله: هل قضى حقها؟ قال: «لا، ولا طلقة واحدة». الطلقة: وجع الولادة. والطلقة: المرة الواحدة.

قوله: (لا تدعُر) الدعُر: الفرع.

قوله: (ولو زفرة واحدة). الأساس: على ظهره زفر من الأظفار: حمل ثقيل، يزفر منه وقد زفره يزفره: حمله.

«إِنَّ مِنْ أٰبِرِّ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ وَدُّ أَبِيهِ».

﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنَّ تَكُونُوا صٰلِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾

[٢٥]

﴿بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾: بما في ضمائركم من قصد البرِّ إلى الوالدين واعتقاد ما يجب

لهما من التوقير.

﴿إِنْ تَكُونُوا صٰلِحِينَ﴾: قاصدين الصلّاح والبرِّ، ثم فرطت منكم في حال

الغضب، وعند حرج الصدر وما لا يخلو منه البشر، أو لحمية الإسلام هنة تؤذي إلى

أذاهما، ثم أبتُم إلى الله واستغفرتُم منها؛ فإن الله غفورٌ .....

قوله: (إِنَّ مِنْ أٰبِرِّ الْبِرِّ) الحديث من رواية مسلم والترمذي وأبي داود، عن ابن عمر،

وقال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أٰبِرِّ الْبِرِّ صِلَةَ الرَّجُلِ أَهْلَهُ وَدُّ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ تَوَلَّى»<sup>(١)</sup>.

قوله: (من قصد البرِّ)، بيان لـ «ما في ضمائركم»، وإنما خصه ببرِّ الوالدين، وهو عامٌّ، لما

سبق من التوصية بهما، وفصل قوله: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ﴾ عما قبله للاستئناف على سبيل التعليل،

أي: أحسنوا إليهما؛ لأنَّ ربكم أعلم بما في نفوسكم من قصد البرِّ فلا تقصروا فيه، وابدلوا

جهدكم وطاقتكم، فإنه يُجازيكم على إحسانكم، ثم اتجه لهم أن يقولوا: نحن بشرٌ ربنا يفرط

متا فرطات وتسبقت هنات من غير اختيار متا في بعض الأوقات، فكيف يكون حالنا؟ فقيل:

﴿إِنْ تَكُونُوا صٰلِحِينَ﴾، أي: قاصدين الصلّاح، فإن الله غفور بكم.

ولما كان قوله: ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ جزاء لقوله: ﴿إِنْ تَكُونُوا صٰلِحِينَ﴾ ولم

يستقيم بظاهره أن يكون مسببا عنه؛ لأنَّ الغفران يستدعي الذنب، لا جرم قدر ما يقتضيه

المقام من قوله: «ثُمَّ فَرَطْتَ مِنْكُمْ» إلى قوله: «ثُمَّ أٰبْتُم إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَاسْتَغْفَرْتُم مِّنْهَا».

قوله: (هنة). الجوهري: في فلان هنات، أي: خصلات شرّ، ولا يقال ذلك في الخير.

(١) أخرجه مسلم (٢٥٥٢)، وأبو داود (٥١٤٣)، والترمذي (١٩٠٣).



﴿لِلْأَوَّابِينَ﴾: للتوايين، وعن سعيد بن جبير: هي في البادية تكون من الرجل إلى أبيه لا يريد بذلك إلا الخير، وعن سعيد بن المسيب: الأواب: الرجل كلما أذنب بادر بالتوبة، ويجوز أن يكون هذا عامًا لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها، ويندرج تحته الجاني على أبويه التائب من جنايته؛ لوروده على أثره.

[ وَمَاتَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يُبْدِرُ تَبْدِيرًا \* إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٦-٢٧﴾ ]

﴿ وَمَاتَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ﴾ وصى بغير الوالدين من الأقارب بعد التوصية بهما، وأن

قوله: ﴿لِلْأَوَّابِينَ﴾: للتوايين، الراغب: الأوب: ضرب من الرجوع، ولا يقال إلا في الحيوان الذي له إرادة، والرجوع عام، والأواب كالتواب، وهو الراجع إلى الله تعالى من المعاصي، وفعل الطاعات، ومنه قيل للتوبة: أوبة<sup>(١)</sup>.

قوله: (في البادية). الجوهري: هي الحدة.

الراغب: يُعبّر عن الخطأ الذي يقع عن حدة: بادرة، يقال: كانت من فلان بواذر في هذا الأمر<sup>(٢)</sup>.

قوله: (كلما أذنب): صفة للرجل لإرادة الجنسية<sup>(٣)</sup> منه.

قوله: (ويجوز أن يكون هذا عامًا): عطف على قوله: «فرطت منه» هنة تؤدي إلى أذاهما، وفُسرت بقوله: «هي البادية تكون من الرجل إلى أبيه».

قوله: (وصى بغير الوالدين). الأساس: وصيتك بفلان أن تبره، ووصى الشيء بالشيء: وصله<sup>(٤)</sup>.

(١) «مفردات القرآن»، ص ٩٧.

(٢) المصدر السابق، ص ١١٠.

(٣) في (ف): «الحقيقة».

(٤) كذا في الأصول الخطية، وفي «أساس البلاغة»: «وصله به»، وهو الأشبه بالصواب.

يُؤْتُوا حَقَّهُمْ؛ وَحَقَّهُمْ إِذَا كَانُوا مُحَارِمٍ، كَالأَبْوَيْنِ وَالْوَالِدِ، .....

قوله: (وَحَقَّهُمْ إِذَا كَانُوا مُحَارِمٍ كَالأَبْوَيْنِ) بعدَ قوله: «وَصَى بِغَيْرِ الوَالِدَيْنِ»<sup>(١)</sup> من الأَقْرَابِ، يوهَمُ التَّنَاقُضَ، وكذالكِ قوله: «وإن كَانُوا مَيَاسِيرَ فَحَقَّهُمْ صِلْتُهُمْ بِالمُودَّةِ»، مُخَالَفٌ لقوله: «وهذا دليلٌ على أن المرادَ بها يُؤْتِي ذَوِي القُرْبَى مِنَ الحَقِّ هُوَ تَعَهُدُهُم بِالمَالِ»، ويُمكنُ أن يُقالَ: إن ذَا القُرْبَى مُطْلَقٌ شائعٌ [فيمَن يوجَدُ فيه معنى القرباية من الوالدين والولَدِ وغيرِهِم، فُقِيْدَ بِغَيْرِ الوَالِدَيْنِ لعطفِ هذه التوصية على التوصية بالوالدين، وهو المرادُ بقوله: «وَصَى بِغَيْرِ الوالدين بعد التوصية بهما».

وأما قوله: «وَأَن يُؤْتُوا حَقَّهُمْ»، فَعَطَفَ على مجموعِ قوله بِغَيْرِ الوالدين من الأَقْرَابِ بعدَ التوصية بهما.

وأما قوله: «وَحَقَّهُمْ»، فالضمير فيه راجعٌ إلى الأبوين وذوي القُرْبَى؛ وكذالكِ حقه مُطْلَقٌ شائعٌ<sup>(٢)</sup> فيما يجبُ فيه مراعاةُ حقِّ الأَقْرِبَاءِ مِنَ النِّفْقَةِ، وَالزَّكَاةِ وَالْمُودَّةِ وَحُسْنِ المَعَاشِرَةِ، فَيُقِيْدُ أَيْضًا بِالزَّكَاةِ، لعطفِ ﴿وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ على ذِي القُرْبَى، وهو الذي عَنَى بقوله: «آتِ هؤُلاءِ حَقَّهُم مِنَ الزَّكَاةِ، وهذا دليلٌ» إلى آخِرِهِ.

قال الإمامُ: «آتِ ذَا القُرْبَى» مُجْمَلٌ، وليسَ فيه أن ذلك الحَقَّ ما هُوَ؟ وعندَ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنه: لا يجبُ الإنفاقُ إلا على الوالِدِ والولَدِ بِقَدْرِ الحاجةِ، وَأَتَّفَقُوا على أن من لم يكن من المحارِمِ كأبناءِ العمِّ، لا حقُّ لهم إلا المودَّةُ وَحُسْنُ المَعَاشِرَةِ. وأما المسكينُ وابنُ السَّبِيلِ فقد تقدَّم حُكْمُهُما في سُورَةِ التَّوْبَةِ<sup>(٣)</sup>.

وقلتُ: ويُمكنُ أن يُترَكَ ﴿ذَا القُرْبَى﴾ و﴿حَقَّهُمْ﴾ على إطلاقِهما، ويُجْمَلُ ﴿وَمَاتِ﴾ على عُمومِ المجازِ، لتكوُنَ الآيةُ من الجوامعِ، فيَدْخُلُ فيه الإنفاقُ على الوالِدَيْنِ وبِرُّهما فيها دخولًا أوَّلِيًّا، واللهُ أَعْلَمُ.

(١) في (ف): «الأبوين».

(٢) ما بين المعقوفين سقط من (ف).

(٣) «مفاتيح الغيب» (٢٠: ١٩٣).

وَقُرَاءَ عَاجِزِينَ عَنِ الْكَسْبِ، وَكَانَ الرَّجُلُ مُوسِرًا: أَنْ يُنْفِقَ عَلَيْهِمْ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ، وَالشَّافِعِيُّ لَا يَرَى النَّفَقَةَ إِلَّا عَلَى الْوَالِدِ وَالْوَالِدِينَ فَحَسَبَ؛ وَإِنْ كَانُوا مَيَاسِيرَ أَوْ لَمْ يَكُونُوا مَحَارِمَ، كَأَبْنَاءِ الْعَمِّ: فَحَقُّهُمْ صَلَّتُهُمْ بِالْمُودَةِ وَالزِّيَارَةِ وَحُسْنِ الْمُعَاشَرَةِ وَالْمُؤَالَفَةِ عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْمُعَاضِدَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

﴿وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾: يَعْنِي: وَأَتِ هَؤُلَاءِ حَقَّهُمْ مِنَ الزَّكَاةِ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِمَا يُؤْتَى ذَوِي الْقَرَابَةِ مِنَ الْحَقِّ: هُوَ تَعَهُدُهُمْ بِالْمَالِ، وَقِيلَ: أَرَادَ بِذِي الْقُرْبَى: أَقْرَبَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

التَّبْذِيرُ: تَفْرِيقُ الْمَالِ فِيهَا لَا يَنْبَغِي، وَإِنْفَاقُهُ عَلَى وَجْهِ الْإِسْرَافِ، وَكَانَتِ الْجَاهِلِيَّةُ

قَوْلُهُ: (وَقُرَاءَ عَاجِزِينَ) عَطْفٌ عَلَى «مَحَارِمَ»، وَ«أَنْ يُنْفِقَ عَلَيْهِمْ»: خَيْرٌ «حَقَّهُمْ». قَوْلُهُ: (وَإِنْ كَانُوا مَيَاسِيرَ أَوْ لَمْ يَكُونُوا مَحَارِمَ... فَحَقُّهُمْ): الْجُمْلَةُ مَعْطُوفَةٌ عَلَى قَوْلِهِ: «وَحَقُّهُمْ إِذَا كَانُوا مَحَارِمَ»، إِلَى آخِرِهِ.

قَوْلُهُ: (أَرَادَ بِذِي الْقُرْبَى: أَقْرَبَاءَ الرَّسُولِ (١) ﷺ)، قَالَ الْإِمَامُ: ﴿وَمَاتِ﴾ خِطَابٌ مَعَ مَنْ؟ فِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ خِطَابٌ لِلرَّسُولِ ﷺ، فَأَمَرَ أَنْ يُؤْتَى أَقَارِبَهُ الْحَقُوقَ الَّتِي وَجَبَتْ لَهُمْ فِي الْفَيْءِ وَالْغَنِيمَةِ، وَأَوْجَبَ عَلَيْهِ أَيْضًا إِخْرَاجَ حَقِّ الْمَسْكِينِ وَأَبْنَاءِ السَّبِيلِ مِنْ هَذَيْنِ الْمَالَيْنِ. وَثَانِيَهُمَا: أَنَّهُ خِطَابٌ لِلْكُلِّ لِذِلَالَةِ عَطْفِهِ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا﴾ (٢).

قَوْلُهُ: (التَّبْذِيرُ: تَفْرِيقُ الْمَالِ فِيهَا لَا يَنْبَغِي). الرَّاعِبُ: وَأَصْلُهُ إِقَاءُ الْبَذْرِ وَطَرْحُهُ، فَاسْتُعِيرَ لِكُلِّ مَضِيعٍ لِمَالِهِ، فَتَبْذِيرُ الْبَذْرِ تَضْيِيعٌ فِي الظَّاهِرِ لِمَنْ لَمْ يَعْرِفْ مَالَ مَا يُلْقِيهِ (٣)، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُبْذِرْ بَذِيرًا﴾ (٤).

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ الْخَطِيئَةِ، وَفِي «الْكَشَافِ»: «أَقْرَبَاءَ رَسُولِ اللَّهِ»، وَلَعَلَّهُ اخْتِصَارٌ مِنَ الْمُؤَلَّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) «مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ»، (٢٠: ١٩٣).

(٣) فِي (ف): «يُلْقَاهُ».

(٤) «مَفْرَدَاتُ الْقُرْآنِ»، ص ١١٤.

تَنَحَّرُ إِلَيْهَا وَتَيَاسَّرُ عَلَيْهَا وَتُبَدَّرُ أَمْوَالَهَا فِي الْفَخْرِ وَالسُّمْعَةِ، وَتَذَكُرُ ذَلِكَ فِي أَشْعَارِهَا، فَأَمَرَ اللَّهُ بِالنَّفَقَةِ فِي وُجُوهِهَا مِمَّا يُقَرَّبُ مِنْهُ وَيُزْلَفُ. وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ: هُوَ إِنْفَاقُ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ. وَعَنْ مُجَاهِدٍ: لَوْ أَنْفَقَ مُدًّا فِي بَاطِلٍ: كَانَ تَبْدِيرًا. وَقَدْ أَنْفَقَ بَعْضُهُمْ نَفَقَةً فِي خَيْرٍ فَأَكْثَرَ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: لَا خَيْرَ فِي السَّرْفِ، فَقَالَ: لَا سَرْفَ فِي الْخَيْرِ. وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسَعْدٍ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ، فَقَالَ: «مَا هَذَا السَّرْفُ يَا سَعْدُ!» قَالَ: أَوْ فِي الْوَضوءِ سَرْفٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهْرٍ جَارًا.» ﴿إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾: أَمْثَالُهُمْ فِي الشَّرَارَةِ، وَهِيَ غَايَةُ الْمَذْمَةِ؛ لِأَنَّهُ لَا شَرَّ مِنَ الشَّيْطَانِ. أَوْ: هُمْ إِخْوَانُهُمْ وَأَصْدِقَاؤُهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ يُطِيعُونَهُمْ فِيمَا يَأْمُرُونَهُمْ بِهِ مِنَ الْإِسْرَافِ، أَوْ: هُمْ

قَوْلُهُ: (مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسَعْدٍ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ) الْحَدِيثُ مَخْرُجٌ فِي «مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ»، عَنْ ابْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١).

قَوْلُهُ: (أَمْثَالُهُمْ فِي الشَّرَارَةِ)، يَرِيدُ أَنْ ﴿إِخْوَانَ﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ إِمَّا مَحْمُولٌ عَلَى مَعْنَى التَّشْبِيهِ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «كَأَخِي السَّرَارِ» (٢)، أَيْ: كَمِثْلِهِ، وَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: «أَمْثَالُهُمْ»، وَلَمَّا كَانَ هَذَا التَّشْبِيهُ مِنْ بَابِ إِحْقَاقِ النَّاقِصِ بِالْكَامِلِ قَالَ: «لِأَنَّهُ شَرٌّ مِنَ الشَّيَاطِينِ»، وَإِمَّا مَجَازٌ، كَمَا فِي «الْأَسَاسِ»: بَيْنَ السَّهَاحَةِ وَالشَّجَاعَةِ تَأَخُّ، وَلَقَبْتُهُ بِأَخِي الشَّرِّ، أَيْ: بِالْخَيْرِ، فَهُوَ إِمَّا بِمَعْنَى الصَّدِيقِ، وَذَلِكَ فِي الدُّنْيَا؛ لِأَنَّهُمْ يُطِيعُونَهُمْ فِيمَا يَأْمُرُونَهُمْ. أَوْ بِمَعْنَى الْقَرِينِ، وَذَلِكَ فِي النَّارِ، وَهَذَا وَارِدٌ عَلَى الْوَعِيدِ وَالتَّهْدِيدِ، وَالْوَجْهَانِ عَلَى الدَّمِّ وَالتَّقْيِيحِ.

قَوْلُهُ: (لِأَنَّهُ لَا شَرَّ مِنَ الشَّيْطَانِ)، عَنْ بَعْضِهِمْ: الْأَوَّلَى: لَا شَرًّا؛ لِأَنَّ «مِنْ» صِلَةٌ «شَرًّا»، فَيَكُونُ مُشَابِهًا لِلْمُضَافِ، نَحْوًا: لَا خَيْرًا مِنْ زَيْدٍ عِنْدَنَا.

(١) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (٧٠٥٩)، وَابْنُ مَاجَهَ (٤٢٥)، بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ لضعف حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَابْنِ لُهَيْعَةَ.

(٢) هُوَ جُزْءٌ مِنْ حَدِيثٍ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٧٣٠٢)، وَانظُرْ تَمَامَ تَخْرِيجِهِ فِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» (١٦١٣٣).

قُرْنَاؤُهُمْ فِي النَّارِ عَلَى سَبِيلِ الْوَعِيدِ. ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ ﴿فَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُطَاعَ؛ فَإِنَّهُ لَا يَدْعُو إِلَّا إِلَىٰ مِثْلِ فِعْلِهِ، وَقَرَأَ الْحَسَنُ: (إِخْوَانُ الشَّيْطَانِ).

[﴿وَأَمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾ ٢٨]

وإنَّ أَعْرَضَتْ عَنْ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ حَيَاءً مِنَ الرَّدِّ ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾ ﴿فَلَا تَتْرُكُهُمْ غَيْرَ مُجَابِينَ إِذَا سَأَلُوكَ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا سُئِلَ شَيْئًا وَلَيْسَ عِنْدَهُ أَعْرَضَ عَنِ السَّائِلِ وَسَكَتَ حَيَاءً. قَوْلُهُ: ﴿ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ﴾ ﴿إِمَّا: أَنْ يَتَعَلَّقَ بِجَوَابِ الشَّرْطِ مُقَدِّمًا عَلَيْهِ، أَيْ: فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا سَهْلًا لِيُنَازِلَهُمْ وَعِدًّا جَمِيلًا؛ رَحْمَةً لَهُمْ وَتَطْيِينًا لِقُلُوبِهِمْ؛ ﴿ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ﴾، أَيْ: ابْتَغِ رَحْمَةَ اللَّهِ الَّتِي تَرْجُوهَا بِرَحْمَتِكَ عَلَيْهِمْ - وَإِمَّا: أَنْ يَتَعَلَّقَ بِالشَّرْطِ، أَيْ: وَإِنْ أَعْرَضَتْ عَنْهُمْ لِفَقْدِ رِزْقٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُو أَنْ يُفْتَحَ لَكَ، فَسَمِيَ الرِّزْقُ رَحْمَةً؛ فَرَدَّهُمْ رَدًّا جَمِيلًا، فَوَضَعَ الْابْتِغَاءَ مَوْضِعَ الْفَقْدِ؛ لِأَنَّ فَاقِدَ الرِّزْقِ مُبْتَغٍ لَهُ، فَكَانَ الْفَقْدُ سَبَبَ الْابْتِغَاءِ، وَالْابْتِغَاءُ مُسَبَّبًا عَنْهُ، فَوَضَعَ الْمُسَبَّبَ مَوْضِعَ السَّبَبِ. وَبِجُوزِ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى ﴿وَأَمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ﴾: ﴿وَإِنْ لَمْ تَنْفَعُهُمْ

قَوْلُهُ: (فَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُطَاعَ)، يَعْنِي قَوْلُهُ: «وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا» تَدْبِيرًا لِلْكَلَامِ، وَلِلذَلِكَ أَجْرَاهُ مُجْرَى التَّعْلِيلِ.

قَوْلُهُ: (أَيْ: ابْتَغِ رَحْمَةَ اللَّهِ)، فَسَّرَ الْمَفْعُولَ لَهُ بِالْأَمْرِ لِيُؤْذِنَ بِأَنَّهُ دَاخِلٌ فِي حَيْزِ الْجَزَاءِ، عَطْفٌ عَلَى «قُلْ» مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى، فَيَكُونُ مَأْمُورًا بِإِنْشَاءِ الْقَوْلِ اللَّيِّنِ وَإِنْشَاءِ طَلَبِ الرَّحْمَةِ.

قَوْلُهُ: (وَبِجُوزِ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى ﴿وَأَمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ﴾: ﴿وَإِنْ لَمْ تَنْفَعُهُمْ﴾: عَطْفٌ عَلَى: «وَإِنْ أَعْرَضَتْ عَنْ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ حَيَاءً مِنَ الرَّدِّ»، وَقَوْلُهُ: «كِنَايَةٌ بِالْإِعْرَاضِ عَنْ ذَلِكَ» خَيْرٌ: «أَنْ يَكُونَ»، وَالْإِعْرَاضُ عَنِ الْأَوَّلِ مُجْرَى عَلَى صِرَاحَتِهِ لِقَوْلِهِ: «أَعْرَضَ عَنِ السَّائِلِ (١) وَسَكَتَ حَيَاءً»، ثُمَّ قَوْلُهُ: ﴿ابْتِغَاءَ﴾ عَلَى الْأَوَّلِ: إِمَّا أَنْ يَتَعَلَّقَ بِقَوْلِهِ: ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾، وَالْإِضَافَةُ إِلَى الْمَفْعُولِ لِقَوْلِهِ: «ابْتَغِ رَحْمَةَ اللَّهِ»، وَإِمَّا أَنْ يَتَعَلَّقَ بِالْإِعْرَاضِ،

(١) فِي (ف): «السَّائِلِينَ».

ولم ترفع خصاصتهم لعدم الاستطاعة، ولا يريد الإعراض بالوجه كناية بالإعراض عن ذلك؛ لأن من أبي أن يعطي: أعرض بوجهه. يقال: يسر الأمر وعسر، مثل: سعد الرجل ونحس، فهو مفعول. وقيل: معناه: فقل لهم: رزقنا الله وإياكم من فضله، على أنه دعاء لهم يسر عليهم فقرهم، كان معناه: قولا ذا ميسور، وهو اليسر، أي: دعاء فيه يسر.

[﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾]

[٢٩]

هذا تمثيل لمنع الشحيح وإعطاء المسرف، وأمر بالاعتصام الذي هو بين الإسراف والتقتير. ﴿فَنَقَعْدُ مَلُومًا﴾: فتصير ملوما عند الله؛ لأن المسرف غير مرضي عنده وعند

وعلى أن يكون كناية يختص تعلقه بالشرط، ويكون الابتغاء موضوعا موضع عدم الاستطاعة وضعا للمسبب موضع السبب.

قوله: (خصاصتهم)، الأساس: أصابته خصاصة: خلة، واختص الرجل: احتل، أي: افتقر، وسدذت خصاصة فلان: جبرت فقره.

قوله: (ولا يريد الإعراض) بالنصب، عطف على «أن يكون».

قوله: (فهو مفعول)، أي: ميسورا، والمعنى: قل لهم قولا لينا، وعدهم وعدا جميلا. ويجوز أن يراد بالقول الميسور الدعاء لهم باليسر، أي: يذكر فيه معنى اليسر وما أشبهه مثل: أغناكم الله ورزقنا الله وإياكم، فعلى هذا يكون مصدرا، وإليه الإشارة بقوله: قولا ذا ميسور، وهو اليسر.

قوله: (تمثيل لمنع الشحيح وإعطاء المسرف) مثل حال من يمنح لشحه بحال من يده مغلولة إلى عنقه، فلا يقدر على شيء من التصرف، وحال من يسرف بحال من بسط كفه كل البسط فلا يثبت شيء في كفه، ثم استعمل الفاظ الممثل به في الممثل.

الناس، يقول المحتاج: أعطى فلاناً وحرمني، ويقول المستغني: ما يحسن تدبير أمر المعيشة، وعند نفسك: إذا احتجت فقدمت على ما فعلت، ﴿تَحْسُورًا﴾: مُنْقَطَعًا بك لا شيء عندك، من: حَسَرَهُ السَّفَرُ؛ إذا بَلَغَ منه، وحَسَرَهُ بالمسألة. وعن جابر: بينا رسول الله ﷺ جالسٌ أتاه صبيٌّ فقال: إن أمي تستكسيك درعاً، فقال: «من ساعة إلى ساعة يظهر، فعُدْ إلينا»، فذهب إلى أمه فقالت له: قل له: إن أمي تستكسيك الدرعَ

قوله: (وعند نفسك إذا احتجت): معطوفٌ على قوله: «عند الله»<sup>(١)</sup>، أي: هو مَلُومٌ عند الله لأنه غير راضٍ عنه، ومَلُومٌ عند الناس، الفقيرُ يَلُومُهُ ويقول: أعطى فلاناً وحرمني، والغنيُّ يقول: ما تحسن تدبير المعيشة، ومَلُومٌ عند نفسه: إذا احتاج ندم على ما فعل، والحاصل أن ﴿مَلُومًا﴾ قُطِعَ عن مُتَعَلِّقِهِ لِيُعَلِّمَ التَّقْدِيرُ.

الرَّاعِبُ: اللُّومُ: عَدْلُ الْإِنْسَانِ بِنَسْبَتِهِ إِلَى مَا فِيهِ لَوْمٌ، قال تعالى: ﴿فَأَيُّكُمْ غَيْرُ مَلُومٍ﴾ [المؤمنون: ٦]، ذَكَرَ اللُّومَ تَنْبِيْهَا عَلَى أَنَّهُ إِذَا لَمْ يُلَامُوا لَمْ يَفْعَلْ بِهِمْ مَا فَوْقَ اللُّومِ، وَرَجُلٌ لُومَةٌ: يَلُومُ النَّاسَ، وَلُومَةٌ: يَلُومُهُ النَّاسُ<sup>(٢)</sup>، وَاللَّائِمَةُ: الْأَمْرُ يُلَامُ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ<sup>(٣)</sup>.

قوله: (مُنْقَطَعًا بك)، انْقَطَعَ بِالْمَسَافِرِ، عَلَى بِنَاءِ الْمَفْعُولِ: إِذَا أُعْطِبَتْ دَابَّتُهُ أَوْ نَفَذَ زَادُهُ، فَانْقَطَعَ بِهِ السَّفَرُ دُونَ طَيْبَتِهِ<sup>(٤)</sup>، فَهُوَ مُنْقَطِعٌ بِهِ، مِثْلُهُ فِي «الْأَسَاسِ».

قوله: (إِذَا بَلَغَ مِنْهُ)، يُقَالُ: بَلَغَ مِنْهُ الْمَرَضُ، أَي: أَثَّرَ فِيهِ تَأْثِيرًا بَلِيغًا.

قوله: (وَحَسَرَهُ)، الْجَوْهَرِيُّ: حَسَرَ الْبَعِيرُ يَحْسُرُ حَسْرًا: أَغْيَاهُ، وَحَسَرْتُهُ أَنَا حِسْرًا، يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى.

قوله: (مِنْ سَاعَةٍ إِلَى سَاعَةٍ)، قِيلَ: مِنْ: مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ، أَي: أُخِّرَ سُؤْالُكَ مِنْ سَاعَةٍ لَيْسَ لَنَا فِيهَا دِرْعٌ إِلَى سَاعَةٍ يَظْهَرُ لَنَا دِرْعٌ. وَدِرْعُ الْمَرْأَةِ: قَمِيصُهَا، وَيُمْكِنُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِقَوْلِهِ: يَظْهَرُ.

(١) فِي (ط): «عِنْدَ النَّاسِ».

(٢) قَوْلُهُ: «يَلُومُ النَّاسَ» سَقَطَ مِنْ (ح)، وَكَذَا قَوْلُهُ: «يَلُومُهُ النَّاسُ».

(٣) «مَفْرَدَاتُ الْقُرْآنِ»، ص ٧٥١.

(٤) وَهِيَ الْمَسَافَةُ يَقْطَعُهَا الْمَسَافِرُ. وَوَقَعَ فِي (ف): «وَطَيْتِهِ»، وَفِي (ط): «طِيهِ».

الذي عليك، فدخَلَ دارَهُ ونَزَعَ قَمِيصَهُ وأعطاهُ وَقَعَدَ عُرْيَانًا، وأذَنَ بِلَالٌ وانتظرُوا فلم يَخْرُجْ لِلصَّلَاةِ. وقيل: أعطى الأقرعُ بنَ حابسٍ مئةً من الإبلِ وعُيَيْنَةَ بنَ حِصْنٍ، فجاءَ

قلت: يُمكنُ أن يقال: إنه لما طلبَ الدَّرْعَ قال ﷺ: مطلوبُك لا يحضُرنا الآن، لكن نترقبُه ونرجو حُصُولَه وظهورَه من ساعةٍ إلى ساعة، وينطبقُ على هذا معنى قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا نَعْرَضَنَّ عَنْهُمْ آتِنَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾، وبهذا اقتدى الفضلُ (١) حينَ أجابَ عن سؤالِ سائل: أكرهُ أن أقولَ: نعم، فأكونُ ضامِنًا، أو لا، فأكونُ مُؤَيِّسًا، ولكن ننظرُ فيسهلُ اللهُ.

قوله: (وقيل: أعطى الأقرعُ بنَ حابسٍ)، الحديثُ من روايةِ مسلم، عن رافعِ بنِ خديجٍ، قال: أعطى رسولُ اللهِ ﷺ أبا سُفيانَ بنَ حربٍ يومَ حُنينٍ وصَفْوَانَ بنَ أميةَ وعُيَيْنَةَ بنَ حِصْنٍ والأقرعُ بنَ حابسٍ وعلقمةَ بنَ عُلَاثةَ كُلِّ إنسانٍ منهم مئةً من الإبلِ، وأعطى عَبَّاسَ بنَ مُرداسٍ دونَ ذلك، فقال عَبَّاسُ الأبياتَ الثلاثةَ المذكورة. وفيه: «فما كانَ بَدْرٌ ولا حابسٌ»، و«مَنْ تُخْفِضِ اليَوْمَ»: بَدَلُ «تَضَعُ»، قال: فَأَتَمَّ له رسولُ اللهِ ﷺ مئةً (٢).

وروايةُ ابنِ عبدِ البرِّ: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «أذهبوا فاقطعوا عني لسانَه»، فأعطوه حتى رَضِيَ (٣).

النَّهَايةُ: العَيْبُـدُ. بَصَمَ العَيْنِ وَفَتَحَ الباءِ الموحَّدةُ -: اسمُ فرَسِ العَبَّاسِ بنِ مُرداسِ السُّلَمِيِّ. ومعنى: «اقطعوا عني لسانَه»: أعطوه حتى يسكُتَ، فكُنِّي بالقطعِ عنِ السُّكُوتِ، ومنه أتاهُ رَجُلٌ فقال: إني شاعرٌ، فقال: يا بلالُ، اقطعْ لسانَه، فأعطاهُ أربعينَ درهماً (٤). قالَ الخطابيُّ: يُشبهُ أن يكونَ هذا ممن له حَقٌّ في بيتِ المالِ، كابنِ السَّبِيلِ وغيره، فتعرَّضَ له بالشعرِ فأعطاهُ لحقه أو لحاجتِه، لا لشعرِه.

(١) يعني الفضل بن يحيى البرمكي، كبير الوزراء في عصر هارون الرشيد، كان عاقلاً حكيماً.

(٢) أخرجهُ مسلم (١٠٦٠)، وبنحوه البخاري (٣١٥٠).

(٣) «الاستيعاب» (٢: ٨١٨).

(٤) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (١٠: ٢٤١).



عباسُ بنُ مُرداس، وأنشأ يقول:

أَجْعَلُ تَهْبِي وَتَهْبَبَ الْعَيْبُ      مِدَّيْنَ عُسَيْنَةَ وَالْأَقْرَعِ  
وَمَا كَانَ حِضْنٌ وَلَا حَابِسٌ      يَفُوقَانِ جَدِّي فِي جَمْعِ  
وَمَا كُنْتُ دُونَ أَمْرٍ مِنْهَا      وَمَنْ تَضَعِ الْيَوْمَ لَا يُرْفَعِ

فقال: «يا أبا بكر، اقطع لسانه عني، أعطه مئة من الإبل»؛ فنزلت.

[ ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ [٣٠]

ثُمَّ سَلَّى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَمَّا كَانَ يَرْهَقُهُ مِنَ الْإِضَاقَةِ، بَأَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ لِهَوَانٍ مِنْكَ

قوله: (يرهقه من الإضافة)، أي: يغشاه، النهاية: أرهقني فلان إذا حتى رهقته، أي: حملني إذا حتى حملته له، جعل قوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ تعليلاً له لقوله: ﴿ وَإِنَّمَا تَعْرَضَنَّ عَنْهُمْ بُتْغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوعًا ﴾، يعني: إن أعرضت عن العفاة لفقد رزقي من ربك ترجو أن يفتح لك ﴿ فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا ﴾ ولا تهتم بذلك، فإن ذلك ليس هوان منكم عليه، ولكن بيد الله مقاليد الرزق، وهو يقبض ويبسط كيف يشاء، وحكمته تابعة<sup>(١)</sup> لمشيئته، لا بالعكس كما قال، ففوض الأمر إليه، فيكون قوله: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ معترضة تأكيداً للمعنى ما يقتضيه حكمة الله من القبض والبسط، وأمرًا بالتأسي بسنة الله، كما هو في الوجه الثالث، وهو أن يراد بالتهبي عن البسط والقبض الأمر بالاعتقاد، على الوجهين الآخرين، تعليلاً للأمر بالاعتقاد، وعلى الوجه الثاني التعليل مخالف لما ينبغي أن يفعله العبد، يعني: البسط المفرط والقبض المفرط مختص بالله<sup>(٢)</sup> فاقصد أنت واترك ما هو مختص بالله تعالى من البسط المفرط والقبض المفرط<sup>(٣)</sup>، وعلى الثالث موافق له، يعني أنكم إذا تحققتم فيما بسط الله تعالى وقبض، وأمعنتم النظر فيه وجدتموه مقتصدًا، فاقصدوا واستنوا بسنته.

(١) في (ف): «بالغة».

(٢) من قوله: «وعلى الوجه الثاني التعليل» إلى هنا سقط من (ف).

(٣) قوله: «من البسط المفرط والقبض المفرط» سقط من (ح) و(ط).

عليه، ولا لبخلٍ به عليك، ولكن لأنَّ مَشِيئَتَهُ في بَسْطِ الأرزاقِ وَقَدْرِها تابعَةٌ للحِكْمَةِ والمصلحة. ويجوزُ أن يريدَ أنَّ البَسْطَ والقَبْضَ إِنِّما هما من أمرِ الله الذي الخزائنُ في يَدِهِ، فأما العبيدُ فعَلَيْهِم أن يَقْتَصِدُوا، وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ عَزَّ وَعَلَا بَسَطَ لِعِبَادِهِ أو قَبَضَ، فإنه يُراعي أوسَطَ الحالين، لا يَبْلُغُ بالمَبْسُوطِ له غايةَ مُرادِهِ، ولا بالمَقْبُوضِ عليه أقصى مَكْرُوهِهِ، فاستنوا بِسُنَّتِهِ.

[ ﴿ وَلَا تَقْنَلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةً إِمْلَاقٍ تَحْتَنُ نَزْرُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ كَانِ خِطَاءًا كَبِيرًا ﴾ ]

[٣١]

قَتْلُهُم أَوْلَادَهُم: هو وَأُدْهُم بناتهم، كانوا يَتَدَوَّنَنَّ خَشِيَةَ الفاقة؛ وهي الإملاق، فَهَاهُمْ اللهُ وَضَمِنَ لَهُم أَرْزَاقَهُم، وَقُرِئَ: (خِشِيَةً) بِكَسْرِ الخاءِ، وَقُرِئَ: ﴿ خِطَاءًا ﴾؛ وَهُوَ الإِثْمُ، يُقَالُ: نَخِطِيءُ خِطَاءً، كـ «أَنْتُمْ إِثْمًا»، وَ(خِطَاءً)؛ وَهُوَ: ضِدُّ الصَّوَابِ، اسْمٌ مِنْ: أَخْطَأَ. وَقِيلَ: هو وَالخِطْءُ كَالْحَذَرِ وَالْحِذْرِ، وَ(خِطَاءً) بِالْكَسْرِ وَالْمَدِّ، وَ(خِطَاءً) بِالْفَتْحِ وَالْمَدِّ، وَ(خِطَاءً) بِالْفَتْحِ وَالسُّكُونِ. وَعَنِ الحَسَنِ: (خِطَاءً) بِالْفَتْحِ وَحَذَفِ الهَمْزَةَ كَالْحَبِّ، وَعَنْ أَبِي رَجَاءٍ: بِكَسْرِ الخاءِ غَيْرِ مَهْمُوزٍ.

قَوْلُهُ: وَ(وَخِطَاءً) بِالْكَسْرِ وَالْمَدِّ، قَالَ أَبُو عَلِيٍّ: قَرَأَهَا ابْنُ كَثِيرٍ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَصْدَرًا «خِطَاءً»، وَإِنْ لَمْ يُسْمَعْ. قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: هُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ:

تَخَاطَبَتِ النَّبِيلُ أَحْشَاءُهُ<sup>(١)</sup>

يَدُلُّ عَلَى خِطَاءٍ؛ لِأَنَّ تَفَاعَلَ مُطَاوَعُ فَاعَلٌ، وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ: «خِطَاءً» بِفَتْحِ الخاءِ وَالطَّاءِ مِنْ غَيْرِ مَدٍّ<sup>(٢)</sup>، وَقَرَأَ الباقُونَ: ﴿ خِطَاءًا ﴾ بِكَسْرِ الخاءِ وَسُكُونِ الطَّاءِ وَقَصْرِها.

قَوْلُهُ: (أَنْ تَغْضِبَ عَلَى غَيْرِكَ امْرَأَتَهُ). الأَسَاسُ: غَضِبَ عَلَى عَقْلِهِ، وَاعْتَصَبَتْ فَلانَةٌ نَفْسُها: جُمِعَتْ مَقْهُورَةً.

(١) البيهقي لأوفي ابن مطير المازني كما في «الحجة» لأبي علي الفارسي (٥: ٩٦).

(٢) قوله: «وقرأ ابن عامر: «خِطَاءً» بفتح الخاء والطاء من غير مد» سقط من (ح).

﴿ وَلَا تَقْرُبُوا الرِّزْقَ إِتْنَةً، كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [٣٢]

﴿ فَحِشَةً ﴾: قبيحة زائدة على حدِّ القبح، ﴿ وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾: وبشَّ طريقاً طريقه، وهو أن تغصبَ على غيرك امرأته أو أخته أو بنته من غير سبب، والسببُ ممكن؛ وهو الصَّهْرُ الذي شرَّعه الله.

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَهُ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴾ [٣٣].

﴿ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾: إلا بإحدى ثلاث: إلا بأن تكفر، أو تقتل مؤمناً عمداً، أو تزني بعد إحصان. ﴿ مَظْلُومًا ﴾: غير راجبٍ واحدةٍ منهن. ﴿ لَوْلِيَهُ ﴾: الذي بينه وبينه قرابةٌ تُوجبُ المطالبةَ بدمه، فإن لم يكن له وليٌّ فالسلطانُ وليُّه. ﴿ سُلْطَانًا ﴾: تسلطاً على القاتلِ في الاقتصاصِ منه، أو: حُجَّةٌ يثبُّ بها عليه. ﴿ فَلَا يَسْرِفُ ﴾ الضميرُ للوليِّ، أي: فلا يقتل غيرَ القاتلِ، ولا اثنينِ والقاتلِ واحد، كعادةِ الجاهليَّة؛ كان إذا قُتل منهم واحدٌ قتلوا به جماعة، حتى قال مُهلِهْلُ حين قتل بُجَيْرِ بنِ الحارثِ بنِ عباد: .....

قوله: (إلا بإحدى ثلاث)، يريد الحديث الذي رواه عبد الله بن مسعود: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث<sup>(١)</sup>: النفسُ بالنفس، والثيبُ الزاني، والمفارقُ لدينه التاركُ للجماعة»، أخرجه الشيخان والترمذي وأبو داود والنسائي<sup>(٢)</sup>.

قوله: (حتى قال مُهلِهْلُ حين قتل بُجَيْرِ بنِ الحارث) قصته سبقت في «البقرة» عند قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ ﴾ [البقرة: ١٧٩] مستقضى.

(١) من قوله: «يريد الحديث الذي رواه عبد الله بن مسعود» إلى هنا سقط من (ح).

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦)، وأبو داود (٤٣٥٢)، والترمذي (١٤٠٢)، والنسائي

بُوْ بِشِئْعٍ نَعَلِ كَلْبِيبٍ، وَقَالَ:

كُلُّ قَتِيلٍ فِي كَلْبِيبِ غُرَّةٍ حَتَّى يَنَالَ الْقَتْلَ آلَ مُرَّةٍ

وكانوا يقتلون غير القتيل إذا لم يكن بواء. وقيل: الإسراف: المثلة، وقرأ أبو مسلم صاحب الدولة: (فلا يُسرف) بالرفع على أنه خبر في معنى الأمر، وفيه مبالغة ليست في الأمر. وعن مجاهد: أن الضمير للقاتل الأول. ....

قوله: (بُوْ بِشِئْعٍ)<sup>(١)</sup>. الأساس: بَاءُ فُلَانٌ بِفُلَانٍ: صَارَ كُفُوًا لَهُ، وَأَبَاتُ فُلَانًا بِفُلَانٍ: قَتَلْتَهُ بِهِ، يَعْنِي: قُمْ مَقَامَ شِئْعِهِ، فَإِنَّكَ لَسْتَ كُفُوًا لَهُ.

قوله: (كُلُّ قَتِيلٍ فِي كَلْبِيبِ غُرَّةٍ)، الغرّة: مَنْ يُفْدَى بِهِ فِي قَتْلِ الْجَنَيْنِ، عَبْدًا كَانَ أَوْ أُمَّةً، الْمَعْنَى: كُلُّ قَتِيلٍ يُقْتَلُ فِدَاءً لِكَلْبِيبٍ كَلَا فِدَاءً؛ لِأَنَّهُ لَا يُسَاوِيهِ.

قوله: («فلا يُسرف» بالرفع)، قَالَ ابْنُ جَنِّي: رُفِعَ هَذَا عَلَى لَفْظِ الْخَبَرِ، بِمَعْنَى الْأَمْرِ، كَقَوْلِهِمْ: يَرْحَمُ اللَّهُ زَيْدًا، وَيَجُورُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ دُونَ الْأَمْرِ، أَي: يَنْبَغِي أَنْ لَا يُسْرَفَ، وَعَلَيْهِ قَوْلُهُ:

عَلَى الْحَكْمِ الْمَأْتِيٍّ يَوْمًا إِذَا قَضَى قَضِيَّتَهُ أَلَّا يَجُورَ وَيَقْصِدُ

فَرَفَعَهُ عَلَى الْاسْتِثْنَاءِ، وَمَعْنَاهُ: أَنْ يَقْصِدَ<sup>(٢)</sup>.

قوله: (وعن مجاهد أن الضمير للقاتل الأول)، عطف على قوله: «الضمير للولي»، المعنى: لَا يُسْرِفُ الْقَاتِلُ فِي الْقَتْلِ بِأَنْ يَقْتُلَ مَنْ لَا يَحِقُّ قَتْلَهُ فَيُقْتَلَ، فَيَكُونُ قَدْ أُسْرِفَ فِي الْقَتْلِ، حَيْثُ كَانَ سَبَبًا لِهَلَاكِ نَفْسِهِ وَهَلَاكِ غَيْرِهِ، وَفِي الْإِرْتِدَاعِ سَلَامَةٌ نَفْسِهِ وَسَلَامَةٌ نَفْسِ الْغَيْرِ، فَبِهِ لَمَحَةٌ مِنْ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾، وَعَلَى هَذَا الضَّمِيرِ فِي

(١) وهو السير الذي يصلح به التعل.

(٢) «المحتسب» (٢: ٢٠) والبيت المذكور لأبي اللحاح التغلبي، من شعراء الجاهلية.

انظر: «الكتاب» لسيبويه (١: ٤٣١).

وَقُرِي: (فَلَا تُسْرِفْ) عَلَى خِطَابِ الْوَلِيِّ أَوْ قَاتِلِ الْمَظْلُومِ، وَفِي قِرَاءَةِ أَبِي: (فَلَا تُسْرِفُوا) رَدَّهُ عَلَى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا﴾. ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ الضميرُ إِمَّا لِلْوَلِيِّ، يَعْنِي: حَسْبُهُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ نَصَرَهُ بِأَنْ أَوْجِبَ لَهُ الْقِصَاصَ فَلَا يَسْتَرِدُّ عَلَى ذَلِكَ، وَبِأَنَّ اللَّهَ قَدْ نَصَرَهُ بِمَعُونَةِ السُّلْطَانِ وَبِإِظْهَارِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى اسْتِيفَاءِ الْحَقِّ، فَلَا يَبِغِ مَا وَرَاءَ حَقِّهِ، وَإِمَّا لِلْمَظْلُومِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ نَاصِرُهُ حَيْثُ أَوْجِبَ الْقِصَاصَ بِقَتْلِهِ، وَيَنْصُرُهُ فِي الْآخِرَةِ بِالثَّوَابِ، وَإِمَّا لِلَّذِي يَقْتُلُهُ الْوَلِيُّ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيُسْرِفُ فِي قَتْلِهِ، فَإِنَّهُ مَنْصُورٌ بِإِجَابِ الْقِصَاصِ عَلَى الْمُسْرِفِ.

[﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ. وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ

كَانَ مَسْئُولًا﴾ [٣٤]

﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: بِالْحَقِّصَلَةِ أَوْ الطَّرِيقَةِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ؛ وَهِيَ حَفْظُهُ عَلَيْهِ وَتَسْمِيرُهُ ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ أَي: مَطْلُوبًا يُطَلَّبُ مِنَ الْعَاهِدِ أَنْ لَا يُضَيِّعَهُ وَيَفِي بِهِ،

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ لِلْمَقْتُولِ، أَي: لَا يُسْرِفُ الْقَاتِلُ الْمُبْتَدِئُ<sup>(١)</sup>؛ لِأَنَّ مَنْ قَتَلَ مَظْلُومًا كَانَ مَنْصُورًا بِأَنْ يَقْتَصَّ لَهُ وَلِيُّهُ أَوْ السُّلْطَانُ.

قَوْلُهُ: (وَقُرِي: «فَلَا تُسْرِفْ» عَلَى خِطَابِ الْوَلِيِّ): حَمَزَةٌ وَالْكَسَاثِيُّ، وَالْبَاقُونَ: بِالْيَاءِ<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾، أَي: مَطْلُوبًا، يُطَلَّبُ مِنَ الْعَاهِدِ أَنْ لَا يُضَيِّعَهُ وَيَفِي بِهِ، الْإِنْتِصَافُ: هَذَا التَّأْوِيلُ أَرْجَحُ، وَيُحَدِّثُ الْجَارُّ وَالْمَجْرُورُ الَّذِي هُوَ (عَنْهُ) تَخْفِيفًا كَمَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ: ﴿كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾، وَيُعْضَدُ سُؤَالَ الْعَهْدِ عَلَى وَجْهِ التَّمْثِيلِ وَقَوْفُ الرَّجْمِ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَسَوَالِهَا عَمَّنْ وَصَلَهَا أَوْ قَطَعَهَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ<sup>(٣)</sup>.

وَقَلْتُ: الثَّانِي أَبْلَغُ عِنْدَ أَرْبَابِ الْبَلَاغَةِ وَفُرْسَانِ الطَّرَادِ، وَكَانَ تَرَكُّ (عَنْهُ) هُنَا دُونَ الْآيَةِ

(١) فِي (ف): «الْمُبْتَدِئُ».

(٢) وَالْفَاءُ جَزُومَةٌ فِي الْقِرَاءَتَيْنِ. انظُرْ: «مَعَانِي الْقِرَاءَاتِ» لِلْأَزْهَرِيِّ، ص ٢٥٦.

(٣) «الْإِنْتِصَافُ بِحَاشِيَةِ الْكُشَافِ» (٢: ٦٦٥).

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَخْيِيلًا، كَأَنَّهُ يُقَالُ لِلْعَهْدِ: لَمْ نُكَيْتْ؟ وَهَلَا وَفِي بكَ! تَبْكَيْتَا لِلنَّكَثِ، كَمَا يُقَالُ لِلْمَوْوَدَةِ: ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُنَيْتَ﴾ [التكوير: ٩]، وَيَجُوزُ: أَنْ يُرَادَ أَنَّ صَاحِبَ الْعَهْدِ كَانَ مَسْؤُولًا.

[﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلَّمْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ السَّمْتِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ ٣٥]

وَقُرِي: ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ، وَهُوَ: الْقَرَسْطُونُ. وَقِيلَ: كُلُّ مِيزَانٍ صَغُرَ أَوْ كَبُرَ مِنْ مَوَازِينِ الدَّرَاهِمِ وَغَيْرِهَا. ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾: وَأَحْسَنُ عَاقِبَةٌ، وَهُوَ تَفْعِيلٌ، مِنْ: آلٍ؛ إِذَا رَجَعَ، وَهُوَ: مَا يَزُولُ إِلَيْهِ.

المُتَشَهِّدُ بِهِ دَلِيلًا عَلَيْهِ، وَالْحَدِيثُ الْمَذْكُورُ، وَسُؤَالُ الْمَوْوَدَةِ مُعَاضِدَيْنِ لَهُ.

قَوْلُهُ: (وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَخْيِيلًا) أَي: الْمَسْؤُولُ، فَحِينَئِذٍ يَكُونُ «الْعَهْدُ» اسْتِعَارَةً مَكْنِيَّةً، وَ﴿مَسْئُولًا﴾ اسْتِعَارَةً تَخْيِيلِيَّةً، تُشَبِّهُ الْعَهْدَ الْمَنْكُوثُ بِإِنْسَانٍ ظَلِمَ عَلَيْهِ تَشْبِيهًا بَلِيغًا، وَتُوهِمُ أَنَّهُ هُوَ، ثُمَّ أُطْلِقَ اسْمُ الْمَشْبَهَةِ عَلَى الْمَشْبَهِ بِهِ، ثُمَّ حُوِّلَ لِلْمُشْبَهِ مَا يُلَازِمُ الْمُشْبَهَ بِهِ مِنَ السُّؤَالِ عَنْهُ تَعْرِيفًا، فَقِيلَ لَهُ: لَمْ نُكَيْتْ.

قَوْلُهُ: (وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ) عَلَى تَقْدِيرِ السُّؤَالِ عَلَى التَّبْكَيْتِ، بِأَنْ يُقَالَ: لَمْ نُكَيْتْ الْعَهْدَ؟ فَعَلَى هَذَا يَكُونُ الْإِسْنَادُ مُجَازِيًّا، وَعَلَى الْأَوَّلِ لَيْسَ فِي الْكَلَامِ تَوْبِيخٌ، وَعَلَى الثَّانِي: تَوْبِيخٌ عَلَى سَبِيلِ التَّعْرِيفِ بِهِ. وَعَلَى الثَّلَاثِ: تَوْبِيخٌ عَلَى التَّصْرِيحِ.

قَوْلُهُ: (قُرِي): ﴿بِالْقِسْطِ﴾: حَفْصٌ وَحَمْزَةٌ وَالْكَسَائِيُّ: ﴿بِالْقِسْطِ﴾ هُنَا وَفِي «الشُّعْرَاءِ»: بِكسْرِ الْقَافِ، وَالْبَاقُونَ بِضَمِّهَا<sup>(١)</sup>.

الرَّاعِبُ: الْقِسْطُ يُعْبَرُ بِهِ عَنِ الْعَدَالَةِ، كَمَا يُعْبَرُ بِالْمِيزَانِ عَنْهَا<sup>(٢)</sup>، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطِ السَّمْتِ﴾ [الإسراء: ٣٥]<sup>(٣)</sup>.

(١) قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: وَهِيَ لُغَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ. انظُرْ: «مَعَانِي الْقُرْآنِ»، ص ٢٥٧.

(٢) فِي (ف): «بِهَا».

(٣) «مَفْرَدَاتُ الْقُرْآنِ»، ص ٦٧٠.

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ

مَسْئُولًا﴾ [٣٦]

﴿وَلَا تَقْفُ﴾ ولا تتبّع. وقُرئ: (ولا تَقْفُ)، يُقال: قَفَا أثره وقافه، ومنه: القافة، يعني: ولا تكن في اتِّباعِكَ ما لا عِلْمَ لَكَ به من قَوْلٍ أو فعلٍ، كَمَنْ يَتَّبِعُ مَسْلَكًا لا يدري أنه يُوصِلُهُ إلى مَقْصِدِهِ فهو ضالٌّ، والمراد: النَّهْيُ عن أن يَقُولَ الرَّجُلُ ما لا يعلم، وأن يَعْمَلَ بما لا يعلم، ويَدْخُلُ فيه النَّهْيُ عن التَّقْلِيدِ دُخُولًا ظاهريًّا؛ لأنه اتِّبَاعٌ لِمَا لا يُعْلَمُ صحَّتُهُ من فسادِهِ. وعن ابنِ الحنفيَّة: شهادةُ الزُّورِ، وعن الحسن: لا تَقْفُ أحاكِ المسلمَ إذا مرَّ بك، فتقول: هذا يفعلُ كذا، ورأيتُهُ يفعلُ، وسَمِعْتُهُ، ولم تَرَ ولم تَسْمَعْ. وقيل: القَفْوُ شَبِيهُ بِالْعَضِيهَةِ، ومنه الحديث: «مَنْ قَفَا مُؤْمِنًا بما ليس فيه حَبْسَهُ اللهُ في ردغةِ الحَبَالِ حَتَّى يَأْتِيَ بِالْمَخْرَجِ» وأنشد: .....

قوله: (القافة). النِّهَايَةُ: القائفُ: الذي يَتَّبِعُ الأَثَارَ وَيَعْرِفُ شَبَهَ الرَّجُلِ بأخيه وأبيه، والجمْعُ: القافةُ.

قوله: (شَبِيهُ بِالْعَضِيهَةِ). الجوهري: هي البهيتة، وهي الإفكُ والبُهتان.

قوله: (رَدْغَةُ الحَبَالِ)، الحديثُ من روايةِ أبي داودَ، عن يحيى بن راشد: «مَنْ قال في مؤمنٍ ما ليس فيه أسكنةُ اللهُ رَدْغَةَ الحَبَالِ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قال»<sup>(١)</sup>.

النِّهَايَةُ: ومنه حديثُ حسانَ بنِ عطية: «مَنْ قَفَا مُؤْمِنًا بما ليس فيه وَقَفَهُ اللهُ في رَدْغَةِ الحَبَالِ»<sup>(٢)</sup>.

جاءَ في تفسيرِها: أُنْثَى عَصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ<sup>(٣)</sup>، والرَّدْغَةُ بسُكُونِ الدَّالِ وَقَتْحِهَا: طِينٌ

(١) أخرجه أبو داود (٣٥٩٩)، والحاكم في «المستدرک» (٢٧: ٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦: ٨٢)، وانظر تمامَ تخریجِهِ في «مسند أحمد» (٥٣٨٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٥٥٤٤)، وابن ماجه (٢٣٢٠) وغيرهما بإسنادٍ حسن.

(٣) في (ف): «الفساد».

وَمِثْلُ الدُّمَى سُمُّ الْعَرَانِينَ سَاكِنٌ  
بَيْنَ الْحَيَاءِ لَا يُشْعِنُ التَّقَافِيَا  
أي: التَّقَاذُفُ، وَقَالَ الْكُمَيْتُ:

وَلَا أَرْمِي الْبَرِيَّ بِغَيْرِ ذَنْبٍ  
وَلَا أَقْفُو الْحَوَاصِنَ إِنْ قُفِينَا

وقد استدل به مبطل الاجتهاد، ولم يصح؛ لأن ذلك نوعٌ من العلم، فقد أقام  
الشرعُ غالبَ الظنِّ مقامَ العلم، وأمر بالعمل به، ﴿أَوْلَيْتِكَ﴾: إشارةٌ إلى السَّمْعِ  
والبَصْرِ والفؤاد، كقوله:

وَالْعَيْشَ بَعْدَ أَوْلَيْتِكَ الْإِيَّامِ

وَوَحْلٌ كَثِيرٌ، وَفِي الْحَدِيثِ: «إِنَّ الْحَبَالَ: عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ»، وَهُوَ فِي الْأَصْلِ: الْفَسَادُ، وَقَوْلُهُ:  
«حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ» أَي: يَخْرُجُ مِنْ عَهْدَةِ قَوْلِهِ، يَرِيدُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ: أَنَّهُ يَحْمِلُ عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِ  
الْمُغْتَابِ فَيُعَذِّبُ فِي النَّارِ عَلَى مِقْدَارِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْهَا.

قَوْلُهُ: (وَمِثْلُ الدُّمَى)، الْبَيْتُ (١). الدُّمَى: جَمْعُ دُمِيَّةٍ، وَهِيَ: الصُّنْمُ وَالصُّوْرُ الْمَنْقُوشَةُ،  
وَالشَّمَمُ: ارْتِفَاعُ الْأَنْفِ، وَسُمُّ الْعَرَانِينَ: كِنَايَةٌ عَنِ التَّكْبُرِ، لَا يُشْعِنُ، أَي: لَا يُظْهِرُنِ، التَّقَافِيَا،  
أَي: التَّقَاذُفَ. الْأَسَاسُ: يُقَالُ: وَمَا لَكَ تَقْفُو صَاحِبَكَ؟ أَي: تَقْدِفُهُ، وَإِيَّاكَ وَالْقَفُوَ، وَمَا هَجَا  
فَلَانٌ وَلَا قَفَا. يَصِفُ جَمَاعَةً مِنَ النِّسَاءِ بِالْجَمَالِ وَالتَّكْبُرِ وَالْحَيَاءِ، وَصَوْنِ لِسَانِهِنَّ عَنِ الْقَدْفِ،  
مِثْلَهُ قَوْلُ حَسَّانَ فِي أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

حَصَانُ رِزَانُ مَا تُزَنُّ بِرِيْبَةٍ  
وَتُصْبِحُ غَرْنِي مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ (٢)

قَوْلُهُ: (وَلَا أَرْمِي) الْبَيْتُ، الْحَوَاصِنُ: النِّسَاءُ الْعَقَائِفُ، قُفِينَا: أَصْلُهُ قُفِينُ.

قَوْلُهُ: (وَالْعَيْشَ بَعْدَ أَوْلَيْتِكَ الْإِيَّامِ) (٣)، أَوْلُهُ:

دُمُّ الْمَنَازِلِ بَعْدَ مَنَزَلَةِ اللَّوَى

(١) للنايعة الجعدي.

(٢) «ديوان حسان» (١: ٢٩٢).

(٣) البيت لجرير في «ديوانه»، ص ٦١٣.



و﴿عَنَّهُ﴾ في مَوْضِعِ الرَّفْعِ بِالْفَاعِلِيَّةِ، أَي: كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا كَانَ مَسْؤُولًا عَنْهُ، فَمَسْؤُولٌ: مُسْنَدٌ إِلَى الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ، كَالْمَغْضُوبِ فِي قَوْلِهِ: ﴿غَيْرَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]، يُقَالُ

ذَمٌّ: أَمْرٌ أَيْ: الْعَيْشَةُ الطَّيِّبَةُ: مَا مَضَى بِمَنْزِلَةِ اللَّوَى، وَمَا سِوَى ذَلِكَ مَذْمُومٌ فِي جَنْبِهِ.

وَالغَرَضُ مِنَ الْإِسْتِشْهَادِ أَنَّ لَفْظَةَ: أَوْلَاءٍ لَيْسَتْ مَخْصُوصَةً بِالْعُقَلَاءِ، بَلْ تَقَعُ عَلَى جَمَاعَةِ<sup>(١)</sup> الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْحَيَوَانَ وَالْجَمَادِ وَالْأَعْرَاضِ، قَالَ الْكَوَاشِي: «أَوْلَاكَ»: غَالِبٌ لَمَنْ يَعْقِلُ، وَقَالَ الْقَاضِي: الْأَصْلُ<sup>(٢)</sup>: كُلُّ هَذِهِ الْأَعْضَاءِ، فَأَجْرَاهَا مُجْرَى الْعُقَلَاءِ، لَمَّا كَانَتْ مَسْؤُولَةً عَنْ أَحْوَالِهَا شَاهِدَةً عَلَى صَاحِبِهَا، أَوْ إِنْ «أَوْلَاءٍ» وَإِنْ غَلَبَ فِي الْعُقَلَاءِ لَكِنَّهُ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ اسْمٌ جَمْعٌ لـ«ذَا» وَهُوَ يُعْمَقُ الْقَبِيلِينَ، جَاءَ لِغَيْرِهِمْ<sup>(٣)</sup>.

قَوْلُهُ: (فَمَسْؤُولٌ: مُسْنَدٌ إِلَى الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ)، قَالَ أَبُو الْبَقَاءِ: مَا ذَكَرَهُ الزَّمخَشَرِيُّ غَلَطٌ؛ لِأَنَّ الْجَارَّ وَالْمَجْرُورَ يُقَامُ مَقَامَ الْفَاعِلِ إِذَا تَقَدَّمَ الْفِعْلُ، أَوْ مَا يَقُومُ مَقَامَهُ، فَأَمَّا إِذَا تَأَخَّرَ فَلَا يَصِحُّ ذَلِكَ فِيهِ؛ لِأَنَّ الْاسْمَ إِذَا تَقَدَّمَ عَلَى الْفِعْلِ صَارَ مُبْتَدَأً، وَحَرْفُ الْجَرِّ إِذَا كَانَ لِأَزْمًا مُبْتَدَأً لَا يَكُونُ مُبْتَدَأً، وَنَظِيرُهُ قَوْلُكَ: بَزِيدٌ انْطَلَقَ، وَيَدُلُّكَ عَلَى ذَلِكَ أَنَّكَ لَوْ ثَبِّتَ لَمْ تَقُلْ: بِالزَّيْدَيْنِ انْطَلَقَا، وَلَكِنْ تَصْحِيحُ الْمَسْأَلَةِ أَنْ يُجْعَلَ الضَّمِيرُ فِي «مَسْؤُولٍ» لِلْمَصْدَرِ، فَيَكُونُ (عَنَّهُ) فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ كَمَا يُقَدَّرُ فِي قَوْلِكَ: بَزِيدٌ انْطَلَقَ<sup>(٤)</sup>.

وَقَالَ صَاحِبُ «التَّقْرِيبِ»: وَإِنَّمَا جَازَ تَقْدِيمُهُ مَعَ أَنَّهُ فَاعِلٌ لَمَحَا لِأَصَالَةِ ظَرْفِيَّتِهِ لَا لِعَرُوضِ فَاعِلِيَّتِهِ، وَلِأَنَّ الْفَاعِلَ لَا يَتَقَدَّمُ لِاتِّبَاعِهِ بِالْمُبْتَدَأِ وَلَا التَّبَاسُّ هَاهُنَا؛ وَلِأَنَّهُ لَيْسَ بِفَاعِلٍ حَقِيقَةً، وَجَازَ أَنْ يَكُونَ فَاعِلُهُ ضَمِيرٌ كُلِّ لِحْدَفِ الْمِضَافِ، أَي: كَانَ مَسْؤُولًا صَاحِبِهَا عَنْهُ. وَجَازَ أَنْ تَكُونَ مَرْفُوعَةً الْمَصْدَرِ، وَهُوَ السُّؤَالُ. سَأَلَ ابْنَ جِنِّي أَبَا عَلِيٍّ عَنْ قَوْلِهِمْ: فَيْكَ يُرْغَبُ، فَقَالَ: فَيْكَ لَا يَرْتَفَعُ بِهَا بَعْدَهُ، فَأَيْنَ الْمَرْفُوعُ؟ فَقَالَ: الْمَصْدَرُ، أَي: فَيْكَ يَرْغَبُ

(١) فِي (ف): «جُمْلَةٌ».

(٢) فِي (ف): «أَي».

(٣) «أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ» (٣: ٤٤٥).

(٤) «التَّبْيَانُ فِي إِعْرَابِ الْقُرْآنِ» (٢: ٨٢١).

للإنسان: لِمَ سَمِعْتَ مَا لَمْ يَحَلِّ لَكَ سَمَاعُهُ؟ وَلِمَ نَظَرْتَ إِلَى مَا لَمْ يَحَلِّ لَكَ النَّظْرُ إِلَيْهِ؟ وَلِمَ عَزَمْتَ عَلَى مَا لَمْ يَحَلِّ لَكَ الْعَزْمُ عَلَيْهِ؟ وَقِرِي: (وَالْفَوَادِ) بَفَتْحِ الْفَاءِ وَالْوَاوِ، قُلِبَتِ الْهَمْزَةُ وَأَوَا بَعْدَ الضَّمِّ فِي الْفَوَادِ، ثُمَّ اسْتَصْحَبَ الْقَلْبُ مَعَ الْفَتْحِ.

[﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ \* كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٧-٣٨﴾]

﴿مَرَحًا﴾: حال، أي: ذا مَرَحٍ. ....

الرَّاعِبُ، وَفِيكَ: ظَرَفٌ لَا فَاعِلٌ<sup>(١)</sup>.

وفي «شرح ابن المعطي»<sup>(٢)</sup> في الألفية: «إن كان مفعول المجهول جازًا ومجورًا فلا يتقدّم على الفعل؛ لأنه لو تقدّم اشتغل الفعل بضميره، ولا يُمكنُ جعله مبتدأ لأجل حرف الجرّ. ومنهم من أجازَ محتجًا بهذه الآية؛ لأنّ ما لم يُسمَّ فاعله مفعولٌ في المعنى.

قوله: (وَقِرِي: «وَالْفَوَادِ»)، قَالَ ابْنُ جِنِّي: قَرَأَهَا الْجَرَّاحُ<sup>(٣)</sup>: «وَالْبَصَرَ وَالْفَوَادِ»، وَأَنْكَرَ أَبُو حَاتِمٍ فَتَحَ الْفَاءَ وَلَمْ يَذْكُرْهُ وَلَا ابْنُ مُجَاهِدٍ الْهَمْزَ وَلَا تَرَكَهُ، وَقَدْ يَجُوزُ تَرْكُ الْهَمْزِ مَعَ فَتْحِ الْفَاءِ، كَأَنَّهُ كَانَ: ﴿الْفَوَادُ﴾ بِضَمِّهَا وَالْهَمْزِ ثُمَّ حُفِّفَتْ، فَخَلُصَتْ فِي اللَّفْظِ وَأَوَا، وَفُتِحَتْ الْفَاءُ عَلَى مَا فِي ذَلِكَ فَبَيِّتْ وَأَوَا<sup>(٤)</sup>.

(١) انظره بنحوه في «المحتسب» (٢: ٢٤٣) من غيرِ ذِكْرِ أَبِي عَلِيٍّ.

(٢) يعني الإمام النحويّ زين الدين أبا الحسين يحيى بن عبد المعطي المغربي الحنفي الشهير بابن مُعْطٍ (ت ٦٢٨هـ) صاحب «الألفية» في النحو، له ترجمة في «وفيات الأعيان» (٦: ١٩٧)، و«سير النبلاء» (٢٢: ٣٢٤).

(٣) ابن عبد الله الحَكَمِي، (ت ١١٢هـ)، كان قائدًا شجاعًا وقارئًا وزاهدًا ثخين الورع. أخذ عن ابن سيرين، له ترجمة في «طبقات خليفة»، ص ١٥٦، و«سير النبلاء» (٥: ١٨٩)، وانظر القراءة أيضًا في «مختصر شواذ القراءات» لابن خالويه، ص ٧٦.

(٤) «المحتسب» (٢: ٢١).

وَقُرِي: (مَرِحًا)، وَفَضَّلَ الْأَخْفَشُ الْمَصْدَرَ عَلَى اسْمِ الْفَاعِلِ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّكْيِيدِ. ﴿لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾: لَنْ تَجْعَلَ فِيهَا خَرْقًا بَدْوِيكَ لَهَا وَشِدَّةَ وَطْأَتِكَ، وَقُرِي: (لَنْ تَخْرِقَ)

قَوْلُهُ: (وَقُرِي: «مَرِحًا») وَهِيَ شَاذَةٌ<sup>(١)</sup>.

الرَّاعِبُ: الْمَرِحُ: شِدَّةُ الْفَرَحِ وَالتَّوَشُّعُ فِيهِ، وَمَرَحَى: كَلِمَةٌ تَعْجَبُ<sup>(٢)</sup>.

قَالَ أَبُو الْبَقَاءِ: «مَرِحًا» بِكسْرِ الرَّاءِ: حَالٌ، وَبِفَتْحِهَا: مَصْدَرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ أَوْ مَفْعُولٌ لَهُ<sup>(٣)</sup>.

وَفِي كَلَامِ الْمَصْنُوفِ تَسَامُحٌ؛ لِأَنَّهُ قَالَ: وَفَضَّلَ الْأَخْفَشُ الْمَصْدَرَ عَلَى اسْمِ الْفَاعِلِ بَعْدَمَا أَوَّلَ الْمَصْدَرَ بِقَوْلِهِ: ذَا مَرَحٍ، وَبَعَدَ الْقِرَاءَةَ الدَّالَّةَ عَلَى أَنَّهُ اسْمٌ فَاعِلٌ، وَإِنَّمَا يَكُونُ الْمَصْدَرُ مُفِيدًا لِلْمَبَالِغَةِ إِذَا تَرِكَ عَلَى حَالِهِ، نَحْوَ: رَجُلٌ عَدَلُ.

قَوْلُهُ: (لَنْ تَجْعَلَ فِيهَا خَرْقًا بَدْوِيكَ)، الرَّاعِبُ: الْخَرْقُ: قَطْعُ الشَّيْءِ عَلَى سَبِيلِ الْفَسَادِ مِنْ غَيْرِ تَفَكُّرٍ وَتَدَبُّرٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَخْرَقْنَا النَّعْرِقَ أَهْلَهَا﴾ [الكهف: ٧١]، وَهُوَ ضِدُّ الْخَلْقِ، لِأَنَّهُ فَعْلٌ الشَّيْءِ بِتَقْدِيرِ وَرْفَقٍ، وَالْخَرْقُ بِغَيْرِ تَقْدِيرٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَخَرَقُوا لَنَا بَيْنِينَ وَبَنَيْنَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٠] أَي: حَكَمُوا بِذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْخَرْقِ، وَباعتبارِ الْقَطْعِ قِيلَ: خَرَقَ الثَّوْبَ وَتَخَرَّقَهُ، وَباعتبارِ تَرِكَ التَّقْدِيرِ، قِيلَ: رَجُلٌ أَخْرَقَ وَخَرِقَ وَامْرَأَةٌ خَرَقَاءُ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «مَا دَخَلَ الْخَرْقُ فِي أَمْرِ إِلَّا شَانَهُ»<sup>(٤)</sup>، وَمَنْ الْخَرْقُ اسْتَعْيِرَتِ الْمِخْرَقَةَ، وَهُوَ إِظْهَارُ الْخَرْقِ تَوْصُلًا إِلَى حِيلَةٍ، وَالْمِخْرَاقُ: شَيْءٌ يُلْعَبُ بِهِ، كَأَنَّهُ يَجْرُقُ لِإِظْهَارِ الشَّيْءِ بِخِلَافِهِ<sup>(٥)</sup>.

(١) ذَكَرَهَا ابْنُ خَالَوَيْهِ فِي «مَخْتَصَرِ شَوَازِ الْقُرْآنِ»، ص ٧٦.

(٢) «مَفْرَدَاتُ الْقُرْآنِ»، ص ٧٦٤.

(٣) «التَّبْيَانُ فِي إِعْرَابِ الْقُرْآنِ» (٢: ٨٢٢).

(٤) ذَكَرَهُ الْعَجَلُونِيُّ فِي «كَشْفِ الْخِطَاءِ» (١: ٢٦٧)، وَالْمَحْفُوظُ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ: «يَا عَائِشَةُ، لَمْ يَدْخُلِ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَمْ يُنَزَّغْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ». أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (١٣٥٣١)، وَالبخاري في الأدب المفرد (٥٨٠)، وَأَبُو دَاوُدَ (٢٤٧٨)، وَغَيْرُهُمْ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حَبَّانَ (٥٥٠)، وَانظُرْ تَمَامَ تَخْرِيجِهِ فِي «الْمُسْنَدِ».

(٥) «مَفْرَدَاتُ الْقُرْآنِ»، ص ٢٨٠.

بِضْمِ الرَّاءِ. ﴿وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ بتطاولك، وهو تهكُّم بالمختال. قُرئ: (سَيِّئَةٌ) و﴿سَيِّئُهُ﴾ على إضافة «سَيِّئ» إلى ضَمِيرِ ﴿كُلُّ﴾، و(سَيِّئًا) في بعض المصاحف، و:(سَيِّئَات)، وفي قراءة أبي بكر الصِّدِّيقِ رضي الله عنه: (كان شأنه).

فإن قلت: كيف قيل: ﴿سَيِّئُهُ﴾ مع قوله ﴿مَكْرُوهًا﴾؟

قلت: السيئة في حُكْمِ الأَسْمَاءِ بِمَنْزِلَةِ الذَّنْبِ وَالإِثْمِ زَالَ عَنْهُ حُكْمُ الصِّفَاتِ، فَلَا عَتِبَارَ بِتَأْنِيهِهِ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ مَنْ قَرَأَ: (سَيِّئَةٌ) وَمَنْ قَرَأَ: (سَيِّئًا)، أَلَا تَرَكَ تَقُولُ: الزَّنْيَ سَيِّئَةٌ، كَمَا تَقُولُ: السَّرِقَةُ سَيِّئَةٌ، فَلَا تُفَرِّقُ بَيْنَ إِسْنَادِهَا إِلَى مُدَكِّرٍ وَمَوْثِقٍ؟ فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا ذَكَرَ مِنَ الْخِصَالِ بَعْضُهَا سَيِّئٌ وَبَعْضُهَا حَسَنٌ؛ وَلِذَلِكَ قَرَأَ مَنْ قَرَأَ ﴿سَيِّئُهُ﴾ بِالْإِضَافَةِ، فَمَا وَجَهُ مَنْ قَرَأَ (سَيِّئَةٌ)؟ قُلْتَ: .....

قوله: (وهو تهكُّم بالمختال). الانتصاف: لقد حرس الله عوامَّ زماننا من هذه المشية المنهية عنها، ووقع فيها قراؤنا وفقهاؤنا، إذا حفظ أحدهم مسألتين، وجلس بين يديه طالبان، أو نال طرفاً من رئاسة مشى خيلاء، وودَّ لو حكَّ ييافوخه السماء<sup>(١)</sup>، يمررون بهذه الآية وهم عنها معرضون، وماذا يُفيد أن يقرأ القرآن، أو يقرأ عليه، وقلبه عن تدبيره بمراجل<sup>(٢)</sup>.

قوله: (وقرئ: «سَيِّئَةٌ» و﴿سَيِّئُهُ﴾): الكوفيون وابنُ عامرٍ: ﴿كَانَ سَيِّئُهُ﴾، بِضْمِ الهمزةِ والهاءِ على التذكير<sup>(٣)</sup>، والباقون: بفتحها مع التنوينِ على التأنيث. قال أبو البقاء: «سَيِّئَةٌ» يُقْرَأُ بِالتَّأْنِيثِ وَالنَّصْبِ، أَي: كُلُّ مَا ذُكِرَ مِنَ الْمُنَاهِي وَذُكِرَ: ﴿مَكْرُوهًا﴾ عَلَى لَفْظِ «كُلُّ»، أَوْ لِأَنَّ التَّأْنِيثَ غَيْرُ حَقِيقِيٍّ. وَيُقْرَأُ بِالرَّفْعِ، أَي: سَيِّئٌ مَا ذُكِرَ<sup>(٤)</sup>.

(١) وهو ملتمى عظم مقدّم الرأس ومؤخره.

(٢) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٢: ٦٦٧).

(٣) وحجَّتْهُمُ فِي ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَكْرُوهًا﴾ بِالتَّذْكِيرِ، وَلَوْ كَانَ «سَيِّئُهُ» غَيْرَ مُضَافٍ لِلزَّمِّ أَنْ يَكُونَ مَكْرُوهَةً بِالتَّأْنِيثِ لِأَنَّهُ وَصِفٌ لِلسَّيِّئَةِ. انْتَهَى مِنْ «حِجَّةِ الْقِرَاءَاتِ»، ص ٤٠٣.

(٤) «التبيان في إعراب القرآن» (٢: ٨٢٢).

كُلُّ ذَلِكَ إِحَاطَةٌ بِمَا نُبِيَّ عَنْهُ خَاصَّةً لَا بِجَمِيعِ الْخِصَالِ الْمَعْدُودَةِ.

[ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا

مَدْحُورًا ﴿٣٩﴾]

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما تقدّم من قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [الإسراء: ٢٢]، إلى هذه الغاية، وسماه حكمة؛ لأنه كلامٌ مُحْكَمٌ لا مَدْخَلٌ فِيهِ لِلْفَسَادِ بِوَجْهِهِ. وعن ابن عباس رضي الله عنه: هذه الثماني عشرة آية كانت في ألواح موسى عليه السلام، أوها: لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً﴾ [الأعراف: ١٤٥]، وهي عشر آياتٍ في التوراة، ولقد جعل الله فاتحتها

قوله: (كُلُّ ذَلِكَ إِحَاطَةٌ بِمَا نُبِيَّ عَنْهُ خَاصَّةً، لَا بِجَمِيعِ الْخِصَالِ الْمَعْدُودَةِ)، قال صاحبُ «الفرائد»: يُمكنُ أَنْ يُقالَ: الإحاطَةُ بِالْجَمِيعِ، إِلَّا أَنْ الْمَرادَ فِيهَا يَكُونُ حَسَنًا ما يَقابِلُهُ كَنَقْضِ الْعَهْدِ، وَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ عَلَيَّكُمْ﴾ ثُمَّ قال: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا﴾ [الأنعام: ١٥١]. قال المصنف في تفسيرها: «لما وردت هذه الأوامر مع النواهي وتقدمهن جميعاً فعل التحريم واشتركن في الدخول تحت حكمه، علم أن التحريم راجع إلى أضرارها. وهي الإساءة إلى الوالدين وبخس الكيل والميزان» إلى آخره.

قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما تقدّم، وقال القاضي: ﴿كُلُّ ذَلِكَ﴾: إشارة إلى الخصال الخمسة<sup>(١)</sup> والعشرين المذكورة في قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾<sup>(٢)</sup>.

قوله: (كلامٌ مُحْكَمٌ لا مَدْخَلٌ فِيهِ لِلْفَسَادِ بِوَجْهِهِ)، أي: هي مما<sup>(٣)</sup> لا تُنسخ ولا تُحْمَلُ على وَجْهِهِ مِنْ وَجْهِهِ التَّأويلِ التي يَدْخُلُ فِيها الفِسادُ كالمُتَشابِهِ.

قوله: (وهي عشر آياتٍ في التوراة) بعد قوله: «هذه الثماني عشرة آية»، فيه إشكالٌ،

(١) كذا في الأصول الخطية، وفي «أنوار التنزيل»: «الخمس»، وهو الجادة.

(٢) «أنوار التنزيل» (٣: ٤٤٧).

(٣) سقط لفظ «مما» من (ج).

وخَاتَمَتَهَا النَّهْيَ عَنِ الشَّرِكِ؛ لِأَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ رَأْسُ كُلِّ حِكْمَةٍ وَمَلَائِكُهَا، وَمَنْ عَدِمَهُ لَمْ تَنْفَعُهُ حِكْمَتُهُ وَعُلُومُهُ وَإِنْ بَدَّ فِيهَا الْحُكَمَاءُ، وَحَكَ بِيَا فَوْخِهِ السَّمَاءُ، وَمَا أَغْنَتْ عَنِ الْفَلَاسِفَةِ أَسْفَارُ الْحِكْمِ، وَهُمْ عَنِ دِينِ اللَّهِ أَضَلُّ مِنَ النَّعَمِ.

[﴿ أَفَأَصْفَكَ رَبُّكُمْ بِالْبَيْنِ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثَاءً إِنَّكُمْ لَقَوْمٌ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾ ٤٠]

ولعل المراد بالآيات في التنزيل: الكلام المميز بالفواصل، وبالآيات العشر في التوراة: المعاني المستقلة، وبالخصال الخمسة والعشرين<sup>(١)</sup>: كل خصلة مأمور بها، ومنهية عنها، وروينا عن الترمذي، والنسائي، عن صفوان، أن يهوديين أتيا رسول الله ﷺ فسألا عن تسع آيات بينات، فقال رسول الله ﷺ: «لا تُشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله... الحديث»<sup>(٢)</sup>.

قوله: (ما أغنت عن الفلاسفة - خذهم الله - أسفار الحكيم)، قيل: وجد بخط المصنف رضي الله عنه: كان في زمن نبي حكيم صنف في الحكمة ثلاث مئة وستين تصنيفا، فأوحى الله إلى نبي زمانه: قد ملأت الدنيا بقاءقا<sup>(٣)</sup>، وإن الله لم يقبل من بقاءك شيئا. كذا ذكره حجة الإسلام رحمه الله في كتابه «الإحياء»<sup>(٤)</sup>، والبقاء، بالباء الموحدة: كثرة الكلام.

قال الشهرستاني<sup>(٥)</sup> في «الملل والنحل»: الفلسفة اليونانية: محبة الحكمة، والفيلسوف: هو فيلاسوفا، وفيللا: هو المحب، وسوفا: هو الحكمة<sup>(٦)</sup>. أما قوله: «أضل من النعم» فمقتبس من قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

(١) في (ف): «والعشرون». وهو خطأ.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٧٣٣) والنسائي (٧: ١١١)، وصححه الحاكم في «المستدرک» (١: ٩) ووافقه الذهبي.

(٣) في (ف) «نباقا» بالنون. والصواب ما أثبتناه.

(٤) لم أهد إليه في «الإحياء». وذكره الزبيدي في «تاج العروس» (٢٥: ٩٠) (بقت).

(٥) في (ح): «الشارستاني».

(٦) «الملل والنحل» (٢: ٣٦٣).

﴿ أَفَأَصْفَكَمُ ﴾: خطابٌ للذين قالوا: الملائكةُ بناتُ الله، والهمزةُ للإنكار، يعني: أفخصصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بأفضل الأولاد، وهم البنون، لم يجعل فيهم نصيباً لنفسه، واتخذ أذوتهم، وهي البنات؟! وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم؛ فإن العبيد لا يؤثرون بأجود الأشياء وأصفاها من الشؤب، ويكون أردأها وأدونها للسادات. ﴿ إِنَّكُمْ لَنَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾ بإضافتكم إليه الأولاد وهي خاصة بالأجسام، ثم بأنكم تفضلون عليه أنفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون، ثم بأن تجعلوا الملائكة - وهم أعلى خلق الله وأشرفهم - أذون خلق الله، وهم الإناث.

[﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ ٤١ ]

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ ﴾: يجوز أن يريد بـ ﴿ هَذَا الْقُرْآنِ ﴾ إبطال إضافتهم إلى الله البنات؛ لأنه مما صرّفه وكرّر ذكره، والمعنى: ولقد صرّفنا القول في هذا المعنى. وأوقعنا التصريف فيه وجعلناه مكاناً للتكرير، ويجوز أن يشير بـ ﴿ هَذَا الْقُرْآنِ ﴾ إلى التنزيل، ويريد: ولقد صرّفناه، يعني هذا المعنى في مواضع من التنزيل، فترك الضمير؛ لأنه معلوم، وقري: (صرّفنا) بالتخفيف، وكذلك ﴿ لِيَذَكَّرُوا ﴾ قريّ مُشدّداً ومُخفّفاً،

قوله: (ويجوز أن يريد بـ ﴿ هَذَا الْقُرْآنِ ﴾ إبطال إضافتهم إلى الله البنات)، وهو من باب إطلاق الحال على المحل؛ لأنه تعالى لما كرّر هذا الإبطال في هذا القرآن الكريم، سمي الإبطال باسم القرآن لهذه الملابسة، أو أوقعنا التصريف فيه وجعلناه مكاناً للتكرير، يريد أنه من باب: يجرّح في عراقبيها نصلي<sup>(١)</sup>. والأول أبلغ لأنه جعل المعنى ظرفاً والقرآن مظروفاً، نحو قوله تعالى: ﴿ وَلكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ ﴾.

قوله: ﴿ لِيَذَكَّرُوا ﴾، قريّ مخفّفاً ومشدّداً: حمزة والكسائي: مخفّفاً بإسكان الدالِ وضم الكاف، والباقون: بفتحها مشدّداً، فالعنى على التشديد: التدبّر، كقوله تعالى: ﴿ كَتَبُ

(١) سبق تخريجه من «ديوان ذي الرمة».

أي: كَرَزْنَاهُ؛ لِيَتَّعِظُوا وَيَعْتَبِرُوا وَيُطْمَئِنُّوا إِلَى مَا يُحْتَجُّ بِهِ عَلَيْهِمْ، ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾  
 عن الحقِّ وَقِلَّةِ طُمَأْنِينَةٍ إِلَيْهِ. وعن سُفْيَانَ: كَانَ إِذَا قَرَأَهَا قَالَ: زَادَنِي لَكَ خُضُوعًا مَا  
 زَادَ أَعْدَاءَكَ نُفُورًا.

﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابَنَعُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا \* سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا  
 يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [٤٢-٤٣]

قُرئ: (كما تقولون) بالناء والياء، و﴿إِذَا﴾ دالَّةٌ على أن ما بعدها - وهو ﴿لَابَنَعُوا﴾ -  
 جوابٌ عن مقالة المشركين، وجزاء لـ ﴿لَوْ﴾، ومعنى ﴿لَابَنَعُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾:

أَزَلَّنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِنَا وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿ [ص: ٢٩]، وعلى التخفيف: معنى  
 قوله تعالى: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٦٣]، وفي هذا بعثٌ على النظرِ  
 فيه والتدبُّر.

قوله: (ليتعظوا ويعتبروا ويطمئنوا إلى ما يحتجُّ به عليهم)، إنما فُسِّرَ: ﴿لِيَتَذَكَّرُوا﴾  
 بذلك ليُطَابِقَ قوله: ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾، فإنَّ النُفُورَ يقابلُ الاطمئنانَ، ووضع ما يحتجُّ  
 به عليهم موضعَ الرجوعِ إلى المشارِ إليه بقوله: هذا المعنى كأنه قيل: كَرَزْنَاهُ لِيُطْمَئِنُّوا إِلَيْهِ  
 كما قال: وَقِلَّةِ طُمَأْنِينَةٍ إِلَيْهِ، وفيه تعكيسٌ، أي: كَرَزْنَا عَلَيْهِمْ هَذَا الْمَعْنَى لِيُطْمَئِنُّوا فَعَكَّسُوا  
 وزادوا نُفُورًا.

قوله: (وقُرئ) ﴿كَمَا يَقُولُونَ﴾ بالياء والناء: ابنُ كثيرٍ وحَفْصٌ: بالياء التَّحْتَانِيَّةِ، والباقون:  
 بالناء<sup>(١)</sup>.

قوله: (و﴿إِذَا﴾ دالَّةٌ على أن ما بعدها... جوابٌ... وجزاء)، مضى بيانه في سورة  
 يوسُفَ عليه السلام. قَالَ صَاحِبُ «الْفَرَائِدِ»: إِنَّ فِي ذِكْرِ ﴿إِذَا﴾ هَاهُنَا - مَعَ الْاسْتِغْنَاءِ عَنْهَا  
 لِقِيَامِ مَا بَعْدَهَا جَوَابًا وَجَزَاءً لِمَا قَبْلَهَا - فَائِدَةٌ، وَهِيَ أَنَّ ﴿إِذَا﴾ مُشْعِرَةٌ أَنَّ الْجَزَاءَ لَا يَكُونُ إِلَّا  
 الْمَذْكُورَ، فَإِنَّ قَوْلَكَ لِمَ صَاحِبِكَ: إِنَّكَ مَا أَعْطَيْتَنِي، فَيُجِيبُكَ: لَوْ آتَيْتَنِي إِذَا أَعْطَيْتَكَ، فَهَمَّ مِنْهُ

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد، ص ٣٨١.



لَطَلَبُوا إِلَى مَنْ لَهُ الْمُلْكُ وَالرُّبُوبِيَّةُ سَبِيلًا بِالْمَغَالِبَةِ كَمَا يَفْعَلُ الْمُلُوكُ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ، كَقَوْلِهِ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهُةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وقيل: لَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٧]، ﴿عُلُوقًا﴾ فِي مَعْنَى تَعَالِيًا، وَالْمُرَادُ الْبَرَاءَةُ عَنْ ذَلِكَ وَالتَّرَاهَةُ، وَمَعْنَى وَصَفِ الْعُلُوقِ بِالْكِبَرِ: الْمُبَالِغَةُ فِي مَعْنَى الْبَرَاءَةِ، وَالْبُعْدُ مِمَّا وَصَفُوهُ بِهِ.

[﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ٤٤]

وَالْمُرَادُ أَنَّهَا تُسَبِّحُ لَهُ بِلِسَانِ الْحَالِ، حَيْثُ تَدُلُّ عَلَى الصَّانِعِ وَعَلَى قُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ، فَكَأَنَّهَا تَنْطِقُ بِذَلِكَ، وَكَأَنَّهَا تَنْزُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِمَّا لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ مِنَ الشُّرَكَاءِ وَغَيْرِهَا. فَإِنْ قُلْتُمْ: فَمَا تَصْنَعُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ وَهَذَا التَّسْبِيحُ مَفْقُودٌ مَعْلُومٌ؟ قُلْتُمْ: الْخِطَابُ لِلْمُشْرِكِينَ، وَهُمْ وَإِنْ كَانُوا إِذَا سُئِلُوا عَنْ خَالِقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَالُوا: اللَّهُ؛ إِلَّا أَنَّهُمْ لَمَّا جَعَلُوا مَعَهُ آلَهُةً مَعَ إِقْرَارِهِمْ، فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَنْظُرُوا وَلَمْ يَقْرَأُوا؛

أَنَّ الْإِعْطَاءَ مَخْصُوصٌ بِإِثْبَانِهِ غَيْرُ مَرْجُوءٍ بِدُونِهِ، فَلَوْ لَمْ يُذَكَّرْ لَمْ يُفْهَمِ الْاِخْتِصَاصُ.

قَوْلُهُ: (إِلَى مَنْ لَهُ الْمُلْكُ وَالرُّبُوبِيَّةُ)، وَضَعَ الْمُلْكَ وَالرُّبُوبِيَّةَ مَوْضِعَ الْعَرْشِ عَلَى الْكِنَايَةِ، كَمَا سَبَّجِيءٌ فِي سُورَةِ «طه» فِي قَوْلِهِ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

قَوْلُهُ: (كَقَوْلِهِ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهُةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾) [الأنبياء: ٢٢]، وَحَاصِلُهُ يَرْجِعُ إِلَى دَلِيلِ التَّمَانُعِ، كَمَا سَبَّجِيءٌ فِي سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ.

قَوْلُهُ: (لَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ)، أَي: مَعْنَى ﴿لَا تَبْتَغُوا﴾: لَتَقَرَّبُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ، قَالَ صَاحِبُ «الْفَرَائِدِ»: مَنْ تَقَرَّبَ إِلَى الْغَيْرِ وَطَلَّبَ الْوَسِيلَةَ لَمْ يَصْلُحْ لِأَنْ يُطَلَّقَ عَلَيْهِ لَفْظُ الْإِلَهِ، وَمَعْنَى كَوْنِهِمْ آلَهُةً مُنَافِيًا لِذَلِكَ الْمَعْنَى، عَلَى هَذَا، لَوْ كَانَ مَعَهُ آلَهُةٌ لَمْ يَكُونُوا آلَهُةً، بَلْ عِبَادٌ مُتَحَاجُونَ إِلَيْهِ، فَيَلْزَمُ عَدَمُ الشَّيْءِ عَلَى تَقْدِيرِ وَجُودِهِ، وَيُمْكِنُ أَنْ يُجَابَ: لَمَّا كَانَ عَدَمُ الشَّيْءِ عَلَى تَقْدِيرِ وَجُودِهِ مُحَالًا، وَهُوَ لِأَزْمٍ لِلتَّقْدِيرِ، وَهُوَ كَوْنُ الْآلَهُةِ مَعَهُ، فَكَانَ مُحَالًا.

لأن نتيجة النظر الصحيح والإقرار الثابت خلاف ما كانوا عليه؛ فإذا لم يفقهوا التسييح

قوله: (فإذا لم يفقهوا)، أي: جعلوا في أن نظرهم لم يُشير التوحيد، كأثم نظرُوا ولم يفقهوا، وتحريره أن المشركين لما نظرُوا إلى ملكوت السماوات والأرض وعلموا أن الله خالقه، ومع هذا الإقرار جعلوا معه آلهة، فكأثم بالحقيقة ما فقهوا، وهو على هذا تجريد لاستعارة التسييح للدلالة. ويُمكن أن يُجرى على الترشيح لها على أن معنى: ﴿لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ لا يفقهون نُطقهم به، كقوله تعالى: ﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ [الكهف: ٩٣]، كأنه قيل: الكائنات تنطق بلسانها تنزيه ذات الباري عز شأنه وجل سلطانة عن الشريك، والمُشركون صُم لا يسمعون ذلك. والأصل: ودلت الموجودات على توحيد صانعها، وهم لا يعقلون ذلك.

قال صاحب «الانتصاف»: إن كان الخطاب للمُشركين، فما تصنع بقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا؟﴾ وإنما يُحاطب بالحلم والمغفرة المؤمن، والظاهر أن الخطاب للمؤمنين، وأما عدم فقهننا لتسييح الجمادات، فكناية عن عدم العمل بمقتضى تسييحها، ولو تفتن الإنسان إلى أن النملة والبعوضة وكل ذرة في الكون تُنزه الله تعالى وتشهدُ لجلاله وكبريائه وقهره، لسغلة عن قوته، فضلًا عن فضول الكلام والغيبية. والظاهر أن الآية وردت على الغالب من أحوال الغافلين، وإن كانوا مؤمنين، فالحمد لله الذي كان حليماً غفوراً<sup>(١)</sup>.

وقلت: أخطأ في جعل الخطاب<sup>(٢)</sup> للمؤمنين؛ لأن معنى التزاهة والبراءة في قوله: ﴿سُبْحٰنَهُ﴾، ومعنى العلو والكبرياء في قوله تعالى: ﴿عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ راجع إلى ما وصفوه من اتخاذ الملائكة بنات في قوله: ﴿وَأَتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْتًا﴾ ومن اتخاذ الآلهة شركاء في قوله: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾، وأن مجيء قوله: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ لتأكيد التنزيه وتذليله، فكيف يُقال: الخطاب للمؤمنين؟ وأما معنى قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ فعلى التعجب، فكأنه قيل: ما أحلمه وأشدُّ غفرانه! حيث يعلم من هؤلاء المعاندة

(١) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٢: ٦٦٩).

(٢) في (ف): «الحاجات».

ولم يَسْتَوْضِحُوا الدَّلَالَهَ عَلَى الخَالِقِ. فَإِنْ قُلْتَ: مَنْ فِيهِنَّ يُسَبِّحُونَ عَلَى الحَقِيقَةِ، وَهُمْ المَلَائِكَةُ وَالثَّقَلَانِ، وَقَدْ عَطِفُوا عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، فَمَا وَجْهُهُ؟ قُلْتَ: التَّسْبِيحُ المَجَازِيُّ حَاصِلٌ فِي الجَمِيعِ؛ فَوَجِبَ الحَمْلُ عَلَيْهِ، وَإِلَّا كَانَتِ الكَلِمَةُ الوَاحِدَةُ فِي حَالِهِ

ذَلِكَ، وَلَا يُعَاجِلُهُم بِالعُقُوبَةِ، وَإِلَيْهِ أَشَارَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ حِينَ لَا يُعَاجِلُكُمْ بِالعُقُوبَةِ عَلَى سِوَى نَظَرِكُمْ وَجَهْلِكُمْ بِالتَّسْبِيحِ وَشَرِكِكُمْ. وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦]،

قَالَ المصنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «نَبَّهَ عَلَى أَنَّهُم اسْتَوْجَبُوا بِمُكَابَرَتِهِمْ هَذِهِ، أَنْ يُصَبَّ عَلَيْهِمُ العَذَابُ صَبًّا، وَلَكِنْ صَرَفَ ذَلِكَ عَنْهُمْ: «أَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» يُمَهِّلُ وَلَا يُعَاجِلُ».

قَوْلُهُ: (التَّسْبِيحُ المَجَازِيُّ حَاصِلٌ فِي الجَمِيعِ، فَوَجِبَ الحَمْلُ عَلَيْهِ). الاتِّصَافُ: تَقَدَّمَ مِنْهُ مَنْعُ هَذَا عِنْدَ سَجْدَةِ النُّحْلِ، لَكِنْ ذَكَرَ هُنَا أَنَّهُ يَشْمَلُهَا الانْتِقَادُ بِطَرِيقِ التَّوَاطُؤِ، وَهُنَا جَعَلَهُ مَجَازًا، وَمِنَ الجَائِزِ أَنَّهُ أَرَادَ ثَمَّةَ التَّوَاطُؤِ مَعَ المَجَازِ<sup>(١)</sup>، وَكَمَا يَتَّفَقُ التَّوَاطُؤُ مَعَ الحَقِيقَةِ، فَقَدْ يَتَّفَقُ مَعَ المَجَازِ.

الرَّاعِبُ: هَذِهِ الآيَةُ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد: ١٥]، ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ [النحل: ٤٩] يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ تَسْبِيحًا عَلَى الحَقِيقَةِ، وَسُجُودًا لَهُ عَلَى وَجْهِ لَا يُفْقَهُ، بِدِلَالَةِ قَوْلِهِ: ﴿وَلَكِنْ لَأَنْفَقَهُونَ﴾، وَدِلَالَةِ قَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ بَعْدَ ذِكْرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ تَقْدِيرُهُ: يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَيَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي الأَرْضِ؛ لِأَنَّ هَذَا مِمَّا نَفَقَهُهُ، وَلِأَنَّهُ مُحَالٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ تَقْدِيرَهُ، ثُمَّ يَعْطِفُ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ وَالأَشْيَاءُ كُلُّهَا تُسَبِّحُ لَهُ، وَيَسْجُدُ بَعْضُهَا بِالتَّسْخِيرِ، وَبَعْضُهَا بِالاخْتِيَارِ، وَلَا خِلَافَ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالدَّوَابَّ مُسَبِّحَاتٌ بِالتَّسْخِيرِ مِنْ حَيْثُ إِنَّ أَحْوَالَهَا تَدُلُّ عَلَى حِكْمَةِ اللهِ تَعَالَى، وَإِنَّمَا الخِلَافُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ: هَلْ تُسَبِّحُ بِالاخْتِيَارِ؟ وَالآيَةُ تَقْتَضِي ذَلِكَ بِمَا ذَكَرْتُ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

(١) «الاتِّصَافُ بِحَاشِيَةِ الكَشَافِ» (٢: ٦٧٠).

واحدة محمولة على الحقيقة والمجاز. ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ حين لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم وجهلكم بالتسبيح وشرركم.

[﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا \* وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ، وَلَوَّا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا \* نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا \* أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾

[٤٥-٤٨]

﴿حِجَابًا مَسْتُورًا﴾: ذا ستر، كقولهم: سئل مُفَعَّم: ذو إفاعم، وقيل: هو حِجَابٌ لا يرى فهو مسطور، ويجوز أن يراد أنه حِجَابٌ من دونه حِجَابٌ أو حُجْبٌ، فهو مسطورٌ بغيره، أو: حِجَابٌ يُسْتَرُّ أن يُبْصِرَ، فكيف يُبْصِرُ المُحْتَجِبُ به؟! وهذه حكاية لما كانوا يقولونه: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فصلت: ٥]، كأنه قال: وإذا قرأت القرآن جعلنا على زعمهم. ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾: كراهة أن يفقهوه، أو لأن قوله: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ فيه معنى المنع من الفقه، فكأنه قيل: ومنعناهم أن يفقهوه. يقال: وَحَدَّ يَحْدُو وَحَدًّا وَحِدَةً، نحو

قوله: (سئل مُفَعَّمٌ)، بفتح العين، يعني جعل اسم المفعول بمعنى الفاعل، فإن الحِجَابَ هو الساتر، والمستور ما وراءه، نحو: سئل مُفَعَّمٌ، فإن السَّيْلَ مُفَعَّمٌ والوادي مُفَعَّمٌ، فعكس مبالغة في ذلك، فهو من الإسناد المجازي.

قوله: (فيه معنى المنع من الفقه)، يعني: ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾، إنا مفعولٌ له على تقدير مضاف، أو مفعولٌ به على تأويل الجملة، بمعنى المنع، كقوله تعالى: ﴿فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾، [البقرة: ٢٤٩]، فإنه في معنى: لم يطيعوه.

قال القاضي: ولما كان القرآن مُعْجَزًا من حيث اللفظ والمعنى أثبت لمنكره ما يمنع عن فهم المعنى بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾، وعن إدراك اللفظ بقوله: ﴿وَإِذَا

وَعَدَّ يَعُدُّ وَعَدَا وَعِدَّةٌ، و﴿وَحَدَّهُ﴾ من باب: رَجَعَ عَوْدَهُ عَلَى بَدَنِهِ، وَاَفْعَلُهُ جَهْدَكَ وطاقتك، في أنه مصدرٌ سادٌّ مسدّدٌ الحال، أصله: يَحِدُّ وَحَدَهُ، بِمَعْنَى: وَاحِدًا وَحَدَهُ، وَالتَّنْفُورُ: مَصْدَرٌ بِمَعْنَى التَّوَلِّيَةِ، أَوْ: جَمْعٌ نَافِرٌ، كَقَاعِيدٍ وَقُعُودٍ، أَي: يُجِبُونَ أَنْ تُذَكَّرَ مَعَهُ آهَتُهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ مُشْرِكُونَ، فَإِذَا سَمِعُوا بِالتَّوْحِيدِ نَفَرُوا. ﴿يَمَّا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾ مِنْ الْهَزَاءِ بِكَ وَبِالْقُرْآنِ، وَمِنَ اللَّغْوِ: كَانَ يَقُومُ عَنْ يَمِينِهِ إِذَا قَرَأَ رَجُلَانِ مِنَ عَبْدِ الدَّارِ، وَرَجُلَانِ مِنْهُمْ عَنْ يَسَارِهِ، فَيُصَفِّقُونَ وَيَصْفِرُونَ وَيَخْلِطُونَ عَلَيْهِ بِالشُّعَارِ، و﴿بِهِ﴾ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، كَمَا تَقُولُ: يَسْتَمِعُونَ بِالْهَزَاءِ، أَي: هَارِثِينَ، و﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ﴾ نَصَبٌ بِ﴿أَعْلَى﴾،

قَرَأَتِ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴿١﴾.

قوله: و﴿وَحَدَّهُ﴾ من بابِ رَجَعَ عَوْدَهُ عَلَى بَدَنِهِ، أَي: أَنَّهُ مَصْدَرٌ سَادٌّ مَسَدَّدٌ الْحَالِ، كَأَنَّهُ (٢) قَالَ: عَائِدًا عَلَى بَدَنِهِ، فَإِنَّ الْأَصْلَ رَجَعَ عَائِدًا عَلَى بَدَنِهِ، ثُمَّ أُقِيمَ يَعُودُ مَقَامَ عَائِدًا، ثُمَّ عَوْدَهُ مَقَامَ يَعُودُ (٣).

قوله: وَاَفْعَلُهُ جَهْدَكَ الْجُهْدُ بِالضَّمِّ: الطَّاقَةُ، وَبِالْفَتْحِ: مِنْ قَوْلِهِمْ: اجْهَدْ جَهْدَكَ فِي هَذَا الْأَمْرِ، أَي: ابْلُغْ غَايَتَكَ، فَهُوَ أَيْضًا مَصْدَرٌ أُقِيمَ مَقَامَ الْحَالِ.

قوله: (أصله: يَحِدُّ وَحَدَهُ) يَعْنِي: أَصْلُ الْآيَةِ: ﴿ذَكَرْتَ رَبَّكَ﴾ يَحِدُّ وَحَدَهُ، بِمَعْنَى: وَاحِدًا وَحَدَهُ، ثُمَّ حَذَفَ «يَحِدُّ» وَأُقِيمَ الْمَصْدَرُ مَقَامَهُ.

قوله: (والتَّنْفُورُ مَصْدَرٌ)، قَالَ أَبُو الْبَقَاءِ: ﴿نَفَرُوا﴾، جَمْعٌ نَافِرٌ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَصْدَرًا كَالْقُعُودِ، فَإِنَّ شَتَّ جَعَلْتَهُ حَالًا، وَإِنْ شَتَّ جَعَلْتَهُ مَصْدَرًا لِـ ﴿وَلَوْ﴾؛ لِأَنَّهُ بِمَعْنَى: ﴿نَفَرُوا﴾ (٤).

قوله: و﴿بِهِ﴾: فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، أَي: يَسْتَمِعُونَ مُلْتَبِسِينَ بِالْهَزَاءِ، قَالَ أَبُو الْبَقَاءِ:

(١) «أنوار التنزيل» (٣: ٤٥٠).

(٢) فِي (ف): لِأَنَّهُ.

(٣) هَذِهِ الْفَقْرَةُ سَقَطَتْ مِنْ (ط).

(٤) «التبيان في إعراب القرآن» (٢: ٨٢٣).

أي: أعلم وقت استماعهم بما به يستمعون، ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾: وبما يتناجون به، إذ هم ذؤون نجوى، ﴿إِذْ يَقُولُ﴾ بدل من ﴿إِذْ هُمْ﴾. ﴿مَسْحُورًا﴾: سُحِرَ فَجُنَّ، وقيل: هو

قيل: الباء بمعنى اللام، وقيل: هي على بابها، أي: يستمعون بقلوبهم أم بظواهر أسماعهم. وقال القاضي: ﴿بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾<sup>(١)</sup>، أي: بسببه ولأجله من الهزء بك وبالقرآن<sup>(٢)</sup>، وهو مأخوذ من قول المصنف أولاً: ﴿بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾ من الهزء بك وبالقرآن<sup>(٣)</sup>، ولا بُدَّ من تقرير الهزء؛ لأنَّ قوله: ﴿تَحْنُ أَعْلَمُ﴾ وعيدٌ وتهديدٌ على ما كانوا عليه عند سماعهم بالقرآن من الهزء بالنبي ﷺ وبالقرآن على ما قال: «كان يقوم عن يمينه إذا قرأ... إلى آخره».

قوله: ﴿إِذْ يَقُولُ﴾: بدل من ﴿إِذْ هُمْ﴾، وقال أبو البقاء: هو بدل من ﴿إِذْ﴾ الأولى. اعلم أنَّ ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ﴾ ظرفٌ لقوله: ﴿أَعْلَمُ﴾، و﴿بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾: متعلقٌ به، و﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾: عطفٌ على الظرف، على أن يُقدَّرَ له ما يلائمه مما قرن بالمعطوف عليه ليستقيم المعنى، فالتقدير: نحن أعلم بما به يستمعون وبما به يتناجون وقت استماعهم ووقت تناجهم، وإنما قدم المصنف الظرف على المفعول به في قوله: بـ ﴿أَعْلَمُ﴾ بوقت استماعهم بما به يستمعون ليؤذن بأن ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ﴾ متعلقٌ بـ ﴿أَعْلَمُ﴾ لا بـ ﴿يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾؛ لأنَّ تعلق ﴿إِذْ﴾ به يؤهم فساد المعنى من حيث المفهوم، ثم المناسب أن يكون قوله: ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ﴾: بدلاً من المعطوف، لا المعطوف عليه؛ لأنَّ قولهم: ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ كان خطاباً منهم مع أصحابهم على الحديث. وأما الاستماع عن النبي ﷺ كان على سبيل الهزء فينتها تناف.

قال القاضي: ﴿إِذْ يَقُولُ﴾: بدل من ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾ على وضع ﴿الظَّالِمُونَ﴾ موضع الضمير للدلالة على أن تناجهم كان ظليماً<sup>(٤)</sup>، وليبيان أن تناجهم هو قوله: ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾.

(١) من قوله: «بالهزء»، قال أبو البقاء: قيل: الباء» إلى هنا سقط من (ف).

(٢) «أنوار التنزيل» (٣: ٤٥٠).

(٣) سقط ما بين المعكوفين من (ح).

(٤) «أنوار التنزيل» (٣: ٤٥٠).

من السَّحْرِ؛ وهو الرِّثَّة، أي: هو بَشَرٌ مثلكم. ﴿ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾: مثلوكم بالشاعرِ

قوله: (من السَّحْرِ، وهو الرِّثَّة). المعنى: هو بَشَرٌ مثلكم، في كونه ذا رِثَّة، قال القاضي: المعنى: إن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا يَتَنَفَّسُ، وَيَأْكُلُ وَيَشْرَبُ<sup>(١)</sup>، كقوله تعالى: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾ [الفرقان: ٧] أي: ليس بملك، والمناسب أن يُرَادَ به الوجهُ الأوَّل، أي: سُحِرَ فَجَزَّ لَيْلَاتِمُ قَوْلُهُ: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ كما قال: مثلوكم بالشاعرِ والساحِرِ والمجنون.

الرَّاعِبُ: السَّحْرُ: طَرَفُ الحَلَقُومِ والرِّثَّة، وقيل: انْتَفَخَ سَحْرُهُ، وَبَعِيرٌ سَحِيرٌ: عَظِيمُ السَّحْرِ، وَالسُّحَارَةُ: مَا يُتَنَزَّعُ مِنَ السَّحْرِ عِنْدَ الدَّبْحِ، فَيُرْمَى بِهِ، وَجُعِلَ بِنَاؤُهُ بِنَاءَ النُّفَايَةِ وَالسَّقَاطَةِ<sup>(٢)</sup>. وقيل: منه اشتقَّ السَّحْرُ، وَهُوَ إِصَابَةُ السَّحْرِ، وَالسَّحْرُ يُقَالُ عَلَى مَعَانٍ:

الأوَّلُ: خِدَاعٌ، وَتَحْيِيلَاتٌ لَا حَقِيقَةَ لَهَا نَحْوُ مَا يَفْعَلُهُ المُشْعِبَةُ مِنْ صَرْفِ الأَبْصَارِ عَمَّا يَفْعَلُهُ بِخَفَةِ يَدٍ، وَمَا يَفْعَلُهُ التَّمَامُ، بِقَوْلِ مَرْخَرِفٍ عَائِقٍ لِلْأَسْمَاعِ، وَعَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَكَّرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ [الأعراف: ١١٦]، وَقَالَ: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَبَعَى﴾ [طه: ٦٦]، وَهَذَا النِّظَرُ سَمَّوْا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ سَاحِرًا، فَقَالُوا: ﴿يَتَأْتِيهِ السَّاحِرُ أَدْعَى لِنَارِكَ﴾ [الزخرف: ٤٩].

والثَّانِي: اسْتِجْلَابُ مُعَاوَنَةِ الشَّيْطَانِ بِضَرْبٍ مِنَ التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَلْ أُتَيْتُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيَاطِينُ \* نَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٢١-١٢٢]، وَعَلَيْهِ ذَلَّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

والثَّالِثُ: مَا يَذْهَبُ إِلَيْهِ الأَغْتَامُ<sup>(٣)</sup>، وَهُوَ اسْمٌ لِفِعْلِ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ مِنْ قُوَّتِهِ يُغَيِّرُ الصُّوَرَ وَالطَّبَائِعَ، فَيَجْعَلُ الْإِنْسَانَ حَمَارًا، وَلَا حَقِيقَةَ لِذَلِكَ عِنْدَ الْمُحْصِلِينَ، وَقَدْ تُصَوَّرَ مِنَ السَّحْرِ حُسْنُهُ، فَقِيلَ: إِنْ مِنَ الْبَيَانِ لِسَحْرًا، وَتَارَةً دَقَّةٌ فَعَلِهِ حَتَّى قَالَتِ الأَطْبَاءُ: الطَّبِيعَةُ سَاحِرَةٌ،

(١) «أنوار التنزيل» (٣: ٤٥٠).

(٢) في (ف): «والشفاعة»، والصواب ما أثبتناه، وهو على الجادة في «مفردات القرآن».

(٣) وهم العاجزون عن الإفصاح لما اعتور ألسنتهم من العُجْمَةِ وسوء المنطق.

والساحِرِ وَالْمَجْنُونِ، ﴿فَضَلُّوا﴾ في جميع ذلك ضلالٌ مَنْ يَطْلُبُ في التَّيِّهِ طَرِيقًا يَسْلُكُهُ فلا يَقْدِرُ عليه، فهو مُتَحَيِّرٌ في أمرِه لا يَدْرِي ما يَصْنَعُ.

[﴿وَقَالُوا أَيُّذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفْنَا أَيُّنَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا \* قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا \* أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْتُمُونَ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْفِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ ٤٩-٥١]

لَمَّا قَالُوا: ﴿أَيُّذَا كُنَّا عِظْمًا﴾ قيل لهم: ﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ فردَّ قوله: ﴿كُونُوا﴾، على قَوْلِهِمْ: ﴿كُنَّا﴾، كأنه قيل: كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ولا تَكُونُوا عِظْمًا، فإنه يَقْدِرُ

وَسَمَّوُا الْغِذَاءَ سِحْرًا مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ يَدِقُّ وَيَلْطَفُ تَأْثِيرُهُ، قال تعالى: ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٥] أي: مَضْرُوفُونَ عَنْ مَعْرِفَتِنَا بِالسَّحْرِ، وَعَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمَسْحُورِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٣]، قيل: مَن جُعِلَ لَهُ سِحْرٌ، تَنبِيهَا أَنَّهُ مَحْتَاجٌ إِلَى الْغِذَاءِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾ [الفرقان: ٧]، وَنَبَّهَ عَلَى أَنَّهُ بَشَرٌ كَمَا قَالَ: ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ [الشعراء: ١٥٤]، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: مَن جُعِلَ لَهُ سِحْرٌ يَتَوَصَّلُ بِلُطْفِهِ وَبِدَقَّتِهِ إِلَى مَا يَأْتِي بِهِ وَيَدَّعِيهِ، وَعَلَى الْوَجْهِينِ حُمِلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رِجَالًا مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: ٤٧]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا﴾، وَعَلَى الثَّانِي دَلَّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [سبأ: ٤٣]<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ: ﴿﴿فَضَلُّوا﴾ في جميع ذلك ضلالٌ مَنْ يَطْلُبُ، إشارةٌ إِلَى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ تَمَثِيلٌ، مِثْلُ حَالِ هَؤُلَاءِ فِي تَحْيِيرِهِمْ وَضَلَالِهِمْ فِيهَا بِمِجَادِلُونِهِ فِي أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ بِحَالٍ مِنْ ضَلِّ فِي التَّيِّهِ وَيَطْلُبُ طَرِيقًا يَسْلُكُهُ فَلا يَقْدِرُ عَلَيْهِ وَالْجَامِعُ التَّحْيِيرَ وَعَدَمَ الدَّرَايَةَ فِيهَا يَصْنَعُ.

قَوْلُهُ: ﴿فَرَدَّ قَوْلَهُ: ﴿كُونُوا﴾ عَلَى قَوْلِهِمْ: ﴿كُنَّا﴾، أَي: أَطْبَقَهُ جَوَابًا عَلَى طَرِيقَةِ الْمَشَاكَلَةِ، الْمَعْنَى: أَوْرَدَ هَذَا الْقَوْلَ عَلَى قَوْلِهِمْ: وَقَدَفَ بِالْحَقِّ عَلَى بَاطِلِهِمْ، فَإِنَّهُمْ لَمَّا اسْتَبَعَدُوا أَنْ يُبْعَثُوا خَلْقًا جَدِيدًا بَعْدَ كَوْنِهِمْ عِظْمًا قِيلَ لَهُمْ: ﴿كُونُوا﴾ الْآنَ أُبْعَدُ شَيْءٌ مِنَ الْحَيَاةِ، فَإِنَّكُمْ



على إحيائكم، والمعنى: أنكم تستبعدون أن يُجدد الله خلقكم، ويرده إلى حال الحياة وإلى رطوبة الحيّ وعضاضته بعدما كُنتم عظاماً يابسة، مع أن العظام بعض أجزاء الحيّ، بل هي عمود خلقه الذي يُبنى عليه سائرُه، فليس يبدع أن يردها الله بقدرته إلى حالتها الأولى، ولكن لو كُنتم أبعَدَ شيءٍ من الحياة ورطوبة الحيّ ومن جنس ما رُكّب منه البشّر، وهو أن تكونوا حجارةً يابسةً أو حديدًا مع أن طباعها الجساوة والصلابة كان قادرًا على أن يرُدكم إلى حال الحياة. ﴿أَوْ خَلَقْنَا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ يعني: أو خلقنا مما يكبرُ عندكم عن قبول الحياة ويعظمُ في زعمكم على الخالق إحياءه، فإنه يُحييه، وقيل: ما يكبرُ في صدورهم: الموت، وقيل: السماوات والأرض. ﴿فَسَيَنْعُضُونَ﴾: فسيحركونها نحوك تعجبًا واستهزاءً.

[ ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ٥٢ ]

والدعاء والاستجابة كِلَاهُمَا مجاز، والمعنى: يومَ يبعثكم فتنبعثون مطاوعين مُنقادين لا تمتنعون، وقوله: ﴿بِحَمْدِهِ﴾: حالٌ منهم، أي: حامدين، وهي مُبالغةٌ في

سُبْعَثُونَ، والأمرُ للتسخير، وإِنَّمَا فَسَّرَهُ بقوله: ﴿لَوْ كُنْتُمْ﴾ ليعلم أن المراد بالعبارة الفرض والتقدير، إذ لو أُريدَ به حقيقةُ التسخير لصاروا حجارةً من غير ريبٍ وانقلبوا حديدًا من غير مُكث، فيقول المصنّف: كان قادرًا على أن يرُدكم إلى حال الحياة، لا يُطابق ظاهرًا قوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا﴾؛ لأنّ الكلامَ أولًا في حصولِ البعثِ لا القادرِ على البعث، ولذلك سألوا ثانيًا عن الباعثِ بقولهم: ﴿مَنْ يُعِيدُنَا﴾ فأجيبوا بقوله: ﴿الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، فإنه من الأجوبة الدامغة، فلذلك أنغضوا رؤوسهم قائلين ثالثًا: ﴿مَنْ هُوَ؟﴾ وقيل: ما يكبرُ في صدورهم الموت، وهو مروّيٌّ عن ابن عباس رضي الله عنهما<sup>(١)</sup>، ومعناه: لو كُنتم نفسَ الموتِ لأحيائكم، على المبالغة، كما يقال: لو كُنتم عينَ الحياة لأماتكم الله، وإلا فالموتُ عرضٌ لا ينقلبُ الجِسْمُ إليه، ولا هو ينقلبُ إلى ضده الذي هو الحياة.

قوله: (والمعنى: يومَ يبعثكم فتنبعثون مطاوعين مُنقادين)، إشارةٌ إلى أن قوله:

(١) وذكره الطبري في «التفسير» (٩: ٩٨) عن ابن عمر أيضًا.

انقيادهم للبعث، كقولك لمن تأمره بركوب ما يشق عليه فيتأبى ويتمنع: ستركبه وأنت حامدٌ شاكر، تعني: أنك تحمل عليه وتفسر قسراً حتى إنك تلين لئن المسمع الراغب فيه الحامد عليه. وعن سعيد بن جبير: ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون: سبحانك اللهم وبحمدك. ﴿وَتَطُّونَ﴾: وترون الهول، فعنده تستقصرون مدة ليثكم في الدنيا، ومحسبونها يوماً أو بعض يوم. وعن قتادة: تحاقرت الدنيا في أنفسهم حين عاينوا الآخرة.

[ ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا \* رَبِّكُمْ أَغْلَبُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يُرْسِلْكُمْ أَزْوَاجًا يَمَشُونَ بَيْنَكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ ٥٣-٥٤ ]

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي﴾: وقل للمؤمنين ﴿يَقُولُوا﴾ للمشركين الكلمة ﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ والين ولا يخاشنهم، كقوله: ﴿وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وفسر

﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ﴾ تمثيل، على منوال قوله تعالى: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ في أن لا دعاء ثم. قال القاضي: استعار لهما الدعاء والاستجابة للتبنيه على سرعتها وتيسر أمرهما، وأن المقصود منها الإحضار للمحاسبة والجزاء<sup>(١)</sup>.

قوله: (تلين لئن المسمع) أي: المنقاد، يقال: أسمعته قروته، أي: دلت نفسه وتابعت. «الأساس»: أسمعته قروته: إذا تبعته نفسه وأطاعته.

قوله: (لين المسمع) فيه تمثيل مع راحة من التهكم.

قوله: ﴿يَقُولُوا﴾ للمشركين الكلمة ﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ والين، والذي يدل على أن المراد منه المشركون أنه تعالى لما أمر نبيه ﷺ في أن لا يخاشن المشركين في الرد عليهم ويخادهم بالتي هي أحسن في الأجوبة الثلاثة في أمر البعث، أمره بأن يعلم المؤمنين سلوك هذه

(١) «أنوار التنزيل» (٣: ٤٥١).

﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ بقوله: ﴿رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ بِشَاءِ تَرْحَمَكُمُ أَوْ إِن يَشَاءُ يُعَذِّبْكُمْ﴾ يعني: يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها، ولا يقولوا لهم: إنكم من أهل النار، وإنكم مُعَذَّبُونَ وما أشبه ذلك مما يَغِيظُهُمْ وَيُهَيِّجُهُمْ عَلَى الشَّرِّ، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ اعْتِرَاضٌ، يَعْنِي: يُلْقِي بَيْنَهُمُ الْفَسَادَ وَيُغْرِي بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ؛ لَتَقَعَ بَيْنَهُمُ الْمَشَارَةُ وَالْمُشَاقَّةُ. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ أي: رَبًّا مَوْكُولًا إِلَيْكَ أَمْرُهُمْ تَقْسِرُهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَتُجْبِرُهُمْ عَلَيْهِ، وَإِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، فَدَارِهِمْ وَمُرَّ أَصْحَابِكَ بِالْمُدَارَاةِ وَالْإِحْتِمَالِ وَتَرِكَ الْمُحَاقَّةَ.....

الطريقة، وَأَنْ يَسْتَنُوا بِسُنَّتِهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمَّا أَنْكَرُوا الْبَعْثَ أَنْكَرُوا بَلِيغًا بِقَوْلِهِمْ: ﴿أَوَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفْنَا أَوْ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ أَمْرُهُ بِأَنْ يُجِيبَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾، أَي: لَا بُدَّ مِنَ الْبَعْثِ لِلْجَزَاءِ الْمَوْعُودِ، وَلَا مَجَالَ لِلِاسْتِعْجَادِ، إِذْ لَوْ صِرْتُمْ أَعْدَاءَ شَيْءٍ مِنَ الْحَيَاةِ فَإِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ لَهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [يونس: ٤] إِلَى آخِرِهِ، وَعِنْدَ ذَلِكَ لَا بُدَّ أَنْ يَقُولُوا: هَبْ أَنَّهُ كَذَلِكَ، فَمَنِ الَّذِي يَقْدِرُ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ؟ فَأَمْرٌ بِأَنْ يُجِيبَهُمْ بِقَوْلِهِ: هُوَ الَّذِي شَاهَدْتُمْ مِنْهُ أَعْظَمَ مِنْ هَذَا، وَهُوَ إِخْرَاجُكُمْ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ. ثُمَّ إِتَمَّ إِذَا قَالُوا مُسْتَهْزِئِينَ: سَلَّمْنَا ذَلِكَ، فَمَتَى إِرْسَاؤُهَا؟ فَقُلْ لَهُمْ: ﴿عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ وَلَعَلَّ مَجِيبَتَهَا قَدْ قُرِبَ، لَكِنَّ أَمَارَتَهَا: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ﴾ لَهُ<sup>(١)</sup>. وَأَمَّا حُسْنُ هَذِهِ الْأَجُوبَةِ وَسُلُوكُ طَرِيقَةِ اللَّيْنِ فِيهَا فَإِنَّهُمْ مَا أَوْرَدُوا<sup>(٢)</sup> تِلْكَ الْأَسْئَلَةَ لِلِاسْتِرْشَادِ، بَلْ لِلْعِنَادِ وَالِاسْتَهْزَاءِ الْبَلِيغِ وَالْإِنْحِرَافِ عَنِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ، لَكِنَّ أُخْرِجَتْ الْأَجُوبَةُ عَلَى مَنَوَالِ الْجَدِّ وَالطَّرِيقِ السَّوِيِّ، وَعَدِمَ الْمَبَالَاةُ بِالِاسْتَهْزَاءِ أَوْ الْإِنْكَارِ.

قوله: (المُشَارَةُ)، المَفَاعَلَةُ، مِنَ الشَّرِّ. الجَوْهَرِيُّ: الْمَشَارَةُ: الْمَخَاصِمَةُ.

قوله: (وَتَرِكَ الْمُحَاقَّةَ)، الجَوْهَرِيُّ: حَاقَّةٌ: إِذَا خَاصَمَهُ وَادَّعَى كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا الْحَقَّ، فَإِذَا غَلَبَهُ قَبِلَ: حَقَّهُ.

(١) فِي (ف): «بِحَمْدِهِ». وَهُوَ صَوَابٌ.

(٢) فِي (ف): «أَرَادُوا».

والمُكَاشَفَةُ، وذلك قَبْلَ نُزُولِ آيَةِ السَّيْفِ، وقيل: نَزَلَتْ فِي عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: شَتَمَهُ

قوله: (والمُكَاشَفَةُ) هِيَ مِنَ كَاشَفَةُ الْعَدَاوَةِ، أَي: بَادَاهُ<sup>(١)</sup> بِهَا.

قوله: ﴿وَكَيْلًا﴾ أَي: رِيًّا مَوْكُولًا إِلَيْكَ أَمْرُهُمْ، إِلَى قَوْلِهِ: «فَدَارِهِمْ وَمُرَّ أَصْحَابِكَ بِالْمُدَارَةِ» إِشَارَةٌ إِلَى نَظْمِ الْآيَاتِ، وَفِي سُلُوكِهِ صَعُوبَةٌ، قَدْ رَمَزَ إِلَيْهِ رَمَزًا خَفِيًّا لَا يَكَادُ يُدْرَكُ فِي بَدْءِ الْفِكْرَةِ. فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَسْأَلُ بِرَحْمَتِكُمْ أُولَئِكَ يَشَأُ يَعِدُ بِنِعْمِكُمْ﴾ مَقُولٌ لِقَوْلِهِ: ﴿يَقُولُوا أَلَيْسَ هِيَ أَحْسَنُ﴾ تَوَطُّئًا وَتَمْهِيدًا لَهُ. وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ الْآيَةُ، اعْتِرَاضٌ بَيْنَ الْمَفْسَّرِ وَالْمَفْسَّرِ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا﴾ كَالْتَذِيلِ لِمَجْمُوعِ مُجَادَلَتِهِ مَعَ الْمَشْرِكِينَ، وَأَمْرِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا مِنْ لَدُنْ قَوْلِهِ: ﴿وَقَالُوا أَوَإِذَا كُنَّا عِظْمًا﴾ إِلَى هَاهُنَا. وَقَوْلُهُ: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾ [الإسراء: ٥٥] كَمَا قَالَ، رَدًّا عَلَى الْمَشْرِكِينَ فِي إِنْكَارِهِمْ وَاسْتِعْبَادِهِمْ أَمْرَ النَّبُوَّةِ بَعْدَ الرَّدِّ عَلَى اسْتِعْبَادِهِمْ أَمْرَ الْبَعْثِ بِقَوْلِهِمْ: ﴿وَقَالُوا أَوَإِذَا كُنَّا عِظْمًا﴾، وَذَلِكَ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا اسْتَجْهَلَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ وَأَرَادَ قَوْلَهُمْ: إِنَّكَ شَاعِرٌ وَسَاحِرٌ وَمَجْنُونٌ، وَحَكِيَ عَنْهُمْ مُجَادَلَاتِهِمْ، أَتَى بِنَوْعٍ آخَرَ مِنَ الْكَلَامِ الدَّالِّ عَلَى رَدِّهِمْ اسْتِعْبَادَهُمْ نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّهُ كَيْفَ يَكُونُ يَتِيمٌ أَبِي طَالِبٍ نَبِيًّا، وَأَنْ يَكُونَ الْعُرَاةُ وَالْجِيَاعُ أَصْحَابَهُ، فَقِيلَ لَهُ: إِنْ كَانُوا لَا يَعْلَمُونَ كَيْفِيَّةَ نُبُوَّتِكَ، وَتَقَدَّمَ أَصْحَابِكَ فِي الدِّينِ، فَاعْلَمْ أَنَّ رَبَّكَ عَالِمٌ بِأَحْوَالِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَبِمَقَادِيرِهِمْ وَبِمَا يَسْتَأْهَلُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِنَ الْفَضْلِ، وَلِذَلِكَ تَفَاوَتَتْ مَرَاتِبُ الْأَنْبِيَاءِ، فَبَعْضُهُمْ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ، أَلَا تَرَى كَيْفَ اصْطَفَيْنَاكَ مِنْ بَيْنِهِمْ وَجَعَلْنَاكَ خَاتِمًا لَهُمْ، وَجَعَلْنَا أَمَّتَكَ خَيْرَ الْأُمَمِ، وَهَذِهِ الْمُنْقَبَةُ ثَابِتَةٌ لَكَ فِي الْكُتُبِ السَّالِفَةِ، مِنْهَا الزُّبُورُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

قوله: (وقيل: نزلت في عمر رضي الله عنه<sup>(٢)</sup>): عطف على قوله: «وقل للمؤمنين:

(١) في (ف): «ناداه» بالنون.

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي، ص ٣٣٣.

رَجُلٌ فَأَمَرَهُ اللَّهُ بِالْعَفْوِ. وَقِيلَ: أفرطَ إيذاءُ المُشْرِكِينَ لِلْمُسْلِمِينَ فَشكَّوْا إِلَى رَسولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَتَرَلَّتْ. وَقِيلَ: الكَلِمَةُ التي هي أَحْسَنُ: أن يَقولوا: يَهْدِيكُمُ اللهُ، يَرَحْمَكُمُ اللهُ. وَقَرَأَ طَلْحَةَ: (يَنْزِعُ) بِالكَسْرِ، وَهِيَ لُغْتَانُ، نَحْوُ: يَعْرُشُونَ وَيَعْرِشُونَ.

﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ [٥٥].

هو رَدُّ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ فِي إنكارِهِم واستِبعادِهِم أن يَكُونَ يَتِيمٌ أَبِي طالِبِ نَبِيًّا، وَأَن تَكُونَ العُرَاةُ الجَوْعُ أَصْحابَهُ، كضَهَبِ وِبالِ وَحَبَابِ وَغَيْرِهِم، دُونَ أن يَكُونَ ذلك فِي بَعْضِ أَكابرِهِم وَصنادِيدِهِم، يعني: وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَبأحوالِهِم وَمقاديرِهِم وَبما يَسْتَأْهِلُ كلِّ واحدٍ مِنْهُم. وَقولُهُ: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ إِشارةٌ إِلَى تَفْضيلِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ، وَقولُهُ: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ دَلالةٌ عَلَى وَجهِ تَفْضيلِهِ؛ وَهُوَ أَنَّهُ خاتَمُ الأنبياءِ، وَأَنَّ أُمَّتَهُ خَيْرُ الأُمَمِ؛ لِأَنَّ ذلكَ مَكْتُوبٌ فِي زَبُورِ

يقولوا للمشركين»، فعلى هذا ﴿ وَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ﴾ لا<sup>(١)</sup> يكون تفسيراً ﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>(٢)</sup>، ويكون معناه نحو ما قال: «يهديكُم اللهُ، يَرَحْمَكُمُ اللهُ».

قوله: (وقيل: الكلمة التي هي أحسن: أن يقولوا: يهديكُم اللهُ)، فعلى هذا قوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ يكون تعليلاً للأمر بقوله: ﴿قُلْ﴾، أي: قُلْ لهم أن يجاملوا في القول ولا يجاشنوا ولا يباليغوا في الجِدالِ؛ لِثَلَا ثُنْفَرِ المُشْرِكِينَ بِنزْعِهِ وَيُلْبِسُهُم جِلْدَ النَّمْرِ وَلَا يورِثُ المؤمنِ الحَيَلَةَ؛ لِأَنَّ المِجادَلَةَ الباطلةَ مِمَّا تُفْسِدُ ذاتَ البَيِّنِ، فيكونُ قولُهُ: ﴿ وَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ﴾ خِطاباً لِلْمُؤْمِنِينَ لِيَتْرَكُوا المِراءَةَ، وَيؤيِّدُهُ قولُهُ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ يعني: إذا لم تكن أنتَ وَكِيلًا عَلَى المُشْرِكِينَ فالْمُؤْمِنُونَ أُخْرَى بِهِ.

قوله: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ دَلالةٌ عَلَى وَجهِ تَفْضيلِهِ إِلَى قولِهِ: (وَإِنَّ أُمَّتَهُ خَيْرُ الأُمَمِ)،

(١) سقط لفظ (لا) من (ف).

(٢) في (ح): «أقوم».

داود؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]؛ وَهُمْ مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ. فَإِنْ قُلْتَ: هَلَا عَرَفَ الزَّبُورَ كَمَا عَرَفَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]! قُلْتَ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الزَّبُورُ وَزَبُورَ، كَالْعَبَّاسِ وَعَبَّاسٍ، وَالْفَضْلِ وَفَضْلٍ، وَأَنْ يُرِيدَ: وَأَتَيْنَا دَاوُدَ بَعْضَ الزُّبُرِ؛ وَهِيَ

وَوَجْهُ الدَّلَالَةِ أَنَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَطْفٌ ﴿وَمَا آتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿فَضَّلْنَا﴾ عَلَى طَرِيقِ الوجودِ والحصولِ وَعَوَّلِ التعليلِ إِلَى ذَهَنِ البليغِ، كَأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: نَحْنُ أَجْمَلْنَا بَيَانَ تَفْضِيلِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، وَنَحْنُ فَضَّلْنَاهُ بِأَنَّ بَيِّنًا ذَلِكَ فِيمَا أُعْطِينَا عَبْدَنَا دَاوُدَ مِنَ الزَّبُورِ، وَفِيهِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ، وَإِلَى التعليلِ الإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: لِأَنَّ ذَلِكَ مَكْتُوبٌ فِي زَبُورِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَنَحْوُهُ فِي التَّعْوِيلِ إِلَى الذَّهْنِ: مَا رُوِيَ أَنَّ الْمَنصُورَ وَعَدَّ الْهَنْدِيَّ بِجَائِزَةٍ وَنَسِي، وَحَجًّا مَعًا، وَمَرًّا فِي الْمَدِينَةِ بَيِّنَتِ عَاتِكَةَ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَذَا بَيْتُ عَاتِكَةَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ الْأَحْوَصُ:

يَا بَيِّنَتِ عَاتِكَةَ الَّذِي أتعزَّلُ<sup>(١)</sup>

فَأَنكَرَ عَلَيْهِ ذَلِكَ، فَلَمَّا رَجَعَ أَمَرَ الْقَصِيدَةَ الَّتِي فِيهَا هَذَا الْمِصْرَاعُ عَلَى قَلْبِهِ، إِذَا فِيهَا<sup>(٢)</sup>:

وَأَرَاكَ تَفَعَّلَ مَا تَقُولُ وَبَعْضُهُمْ مَذِقَ اللِّسَانِ يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ

فَذَكَرَ الْمَوَاعِيدَ وَأَنْجَزَ لَهُ وَاعْتَدَرَ إِلَيْهِ، وَيُسَمَّى هَذَا الْأَسْلُوبُ بِالتَّمْلِيحِ<sup>(٣)</sup>.

قَوْلُهُ: (كَالْعَبَّاسِ<sup>(٤)</sup> وَعَبَّاسٍ)، قَالَ أَبُو الْبَقَاءِ: إِنَّهُ عَلَّمَ، يُقَالُ: زَبُورٌ وَزَبُورٌ، كَمَا يُقَالُ: عَبَّاسٌ وَالْعَبَّاسُ، أَوْ هُوَ نَكْرَةٌ، أَي: كِتَابًا مِنْ جُمْلَةِ الْكُتُبِ<sup>(٥)</sup>، وَقَالَ الْقَاضِي: الزَّبُورُ فِي

(١) للأحوص في «ديوانه»، ص ١٦٦، وتمام البيت:

حَدَرَ الْعِدَى وَبَكَ الْفَوَاذُ مُوَكَّلٌ

(٢) في (ح): «في القصيدة المذكورة».

(٣) في (ح) و(ط): «بالتلميح»، والصواب ما أثبتناه، وهو الموافق لما ذكره الطيبي في كتابه «التيبان» ص ٢١٠، وذكر القصة بتأديها.

(٤) في (ح): «العباس»، وهو خطأ.

(٥) «التيبان في إعراب القرآن» (٢: ٨٢٥).

الكتِّب، وأن يريد ما ذكر فيه رسول الله ﷺ من الزبور، فسَمِيَ ذلك زبوراً؛ لأنه بعضُ الزبور، كما سَمِيَ بعضُ القرآن قرآناً.

[ ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا \* أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿ ٥٦ - ٥٧ ﴾ ]

﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ ﴾: هم الملائكة. وقيل: عيسى بن مريم، وعزير. وقيل: نفر من الجن، عبدهم ناس من العرب ثم أسلم الجن ولم يشعروا، أي: ادعوهم فهم لا يستطيعون أن يكشفوا عنكم الضر من مرض أو فقر أو عذاب، ولا أن يحولوه من واحد إلى آخر أو يبدلوه، و ﴿ أُولَئِكَ ﴾ مبتدأ، و ﴿ الَّذِينَ يَدْعُونَ ﴾ صفتهم، و ﴿ يَبْتَغُونَ ﴾ خبره، يعني: أن آهتهم أولئك يبتغون الوسيلة - وهي القربة - إلى الله عز وجل. و ﴿ أَيُّهُمْ ﴾ بدل من واو ﴿ يَبْتَغُونَ ﴾، و ﴿ أَيُّ ﴾ موصولة، أي: يبتغي من هو أقرب منهم وأزلف الوسيلة إلى الله، فكيف بغير الأقرب! أو ضَمَّنَ «يَبْتَغُونَ الوسيلة» معنى: يحرصون، .....

الأصل فعول للمفعول، كالحلوب، أو المصدر كالقبول، ويُؤيدُه قراءة حمزة بالضَّمِّ، فهو كالعباس والفضل<sup>(١)</sup>.

قوله: (أو ضَمَّنَ «يَبْتَغُونَ الوسيلة» معنى: يحرصون)، معنى الجملة كما هي بمعنى: يحرصون. قال صاحب «التقريب»: أي: موصولة، وهو بدل من واو يبتغون، أي: آهتهم أولئك يبتغي من هو أقرب منهم الوسيلة إلى الله، فكيف بغير الأقرب، أو ﴿ أَيُّهُمْ ﴾ استفهام، و ضَمَّنَ يَبْتَغُونَ الوسيلة معنى يحرصون، أي: يحرصون أيهم يكون أقرب إلى الله بالطاعة وزيادة الخير، فعلى الأول: يطلب من هو أقرب الوسيلة، وعلى الثاني: يطلب آهتهم أي:

(١) «أنوار التنزيل» (٣: ٤٥٢).

أن يكونوا أَقْرَبَ<sup>(١)</sup> إلى الله<sup>(٢)</sup> بها هو وسيلة. وقال أبو البقاء: ﴿أَيُّهُمْ﴾: مبتدأ، و﴿أَقْرَبُ﴾: خبره، وهو استفهام، والجُمْلَةُ في موضع نَصْبٍ بـ﴿يَدْعُونَ﴾، ويجوز أن يكون ﴿أَيُّهُمْ﴾ بمعنى الذي، وهو بدلٌ من الضمير في ﴿يَدْعُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

واعلم أن لهم في مثل هذا مذهبتين: أحدهما: أن ﴿أَيُّهُمْ﴾ استفهام، وهو مذهب الخليل. وثانيهما: هي موصولة، وصدرُ الصلّة محذوف، وإليه ذهب سيبويه، وسيجيء تمامُ تقريره في قوله: ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا﴾ فالوجهُ الأولُ في «الكشاف» محمولٌ على مذهبِ سيبويه، ولذلك صرحَ بذكرِ صدرِ الصلّة، وقال: «يتغي من هو أقربُ منه». والثاني على مذهبِ الخليل، حيث قال: «يُحْرِصُونَ أَيُّهُمْ»، ولا بدُّ من تقديرٍ متعلّقٍ بـ«يُحْرِصُونَ»، كقوله تعالى: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]، «إن تحرص على هدّهم» [النحل: ٣٧]، ومن تأويلِ الإنشائيّ لتصحیح استقامته بأن يقال: يحرصون على ما يقال فيهم: أَيُّهُمْ<sup>(٤)</sup> أقربُ إلى الله: بسببه من الطاعة ازديادِ الخير، ففي الآية تقديمٌ وتأخير؛ لأنَّ قوله: ﴿إِلَى رَبِّهِمْ﴾ حينئذٍ متعلّقٌ بـ﴿أَقْرَبُ﴾، كما قدّر في قوله: «يُحْرِصُونَ أَيُّهُمْ أقربُ إلى الله».

وأما قولُ أبي البقاء: والجُمْلَةُ نَصْبٌ بـ«يَدْعُونَ» فتقديره: أن ألهتهم أولئك يدعون إلى الله، الذين يقال فيهم: أَيُّهُمْ أقربُ إلى الله؛ لأتئم الذين ينتفعون بالدعوة، كقوله: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ [الأنعام: ٥١]، وقوله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنِ يَخْشَاهَا﴾ [عبس: ٤٥]، وقوله: ﴿هُدًى لِّلشَّاقِقِينَ﴾ [البقرة: ٢]. ويجوزُ أن يُقدَّرَ: أولئك يدعون إلى الهدى، وإلى ما يقال فيه: أَيُّهُمْ أقربُ إلى الله بسببه من العبادة والطاعة يبتغون إلى ربهم الوسيلة بتلك الدعوة، فقدم «يبتغون» اهتماماً، والله أعلم.

(١) من قوله: «منهم الوسيلة إلى الله، فكيف بغير الأقرب» إلى هنا سقط من (ط).

(٢) من قوله: «بالطاعة، وزيادة الخير» إلى هنا سقط من (ح).

(٣) «التيبان في إعراب القرآن» (٢: ٨٢٥) وزاد: وفيها كلامٌ طويلٌ يُذكرُ في «مريم».

(٤) قوله: «بأن يقال: يحرصون على ما يقال فيهم أَيُّهُمْ» سقط من (ح).



فكانه قيل: يَحْرُصُونَ أَيْهِمْ يكون أقرب إلى الله، وذلك بالطاعة وازدياد الخير والصلاح، ويرجون، ويخافون، كما غيرهم من عباد الله، فكيف يزعمون أنهم آلهة؟! ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ﴾ حَقِيقًا بِأَن يَحْدَرَهُ كُلُّ أَحَدٍ مِنْ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ وَنَبِيِّ مُرْسَلٍ، فَضَلًّا عَنْ غَيْرِهِمْ.

[﴿وَلَيْنَ مِنْ قَرِيْبَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوْهَا قَبْلَ يَوْمِ أَلْفِكَمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوْهَا عَذَابًا شَدِيْدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوْرًا﴾ ٥٨]

﴿نَحْنُ مُهْلِكُوْهَا﴾: بالموت والاستئصال. ﴿أَوْ مُعَذِّبُوْهَا﴾: بالقتل وأنواع العذاب. وقيل: الهلاك للصالحه، والعذاب للطالحه. وعن مقاتل: وجدت في كتب الضحاك بن مزاحم في تفسيرها: أما مكة فيخربها الحبشة، وتهلك المدينة بالجوع، والبصرة بالغرق، والكوفة بالترك، والجبال بالصواعق والرّواجف، وأما خراسان فعذابها ضروب. ثم ذكرها بلدًا بلدًا. ﴿فِي الْكِتَابِ﴾: في اللّوح المحفوظ.

[﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَإِنَّا نَمُودُ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ ٥٩]

استعبر المنع لترك إرسال الآيات من أجل صارف الحكمة. و﴿أَنْ﴾ الأولى:

قوله: (كما غيرهم)، أي: كغيرهم، «ما»: كافة، أي: كما هو غيرهم.

قوله: (بأن يحذره كل أحد من ملك مقرب)، هذا العموم يُعطيه معنى التعليل، والعموم الذي في إطلاق قوله: ﴿مَحْدُوْرًا﴾.

قوله: (والجبال بالصواعق)، وفي الحاشية: الجبال: من الرّي إلى بغداد.

قوله: (استعبر المنع لترك إرسال الآيات)، لأن أصل المعنى: وما تركنا إرسال الآيات التي اقترحتها قريش، إلا لأجل علمنا السابق والتقدير الماضي، وهو تأخير أمر من بعثت إليهم إلى يوم القيامة، ولما كان الصارف وهو العلم والتقدير قويًا، استعبر المنع للترك، وذلك أن المنع حقيقة هو صرف الغير عن فعل يفعل، وذلك في حق الفاعل المختار محال، فوجب الحمل على المجاز.

منصوبة، والثانية: مرفوعة، تقديره: وما منعنا إرسال الآيات إلا تكذيب الأولين، والمراد: الآيات التي اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهباً، ومن إحياء الموتى وغير ذلك، وعادة الله في الأمم أن من اقترح منهم آية فأجيب إليها ثم لم يؤمن أن يعاجل بعذاب الاستئصال. فالمعنى: وما صرفنا عن إرسال ما يقترحوه من الآيات إلا أن كذب بها الذين هم أمثالهم من المطبوع على قلوبهم، كعاد وثمود، وأنها لو أرسلت لكذبوا بها تكذيب أولئك وقالوا: هذا سحر مبين، كما يقولون في غيرها، واستوجبوا العذاب المستأصل، وقد عزمنا أن نؤخر أمر من بعثت إليهم إلى يوم القيامة. ثم ذكر من تلك الآيات - التي اقترحتها الأولون ثم كذبوا بها لما أرسلت فأهلكوا - واحدة؛ وهي ناقة صالح؛ لأن آثار هلاكهم في بلاد العزب قريبة من حدودهم يبصرها صادزهم وواردهم ﴿مُبْصِرَةٌ﴾ بيّنة. وقرئ: ﴿مَبْصِرَةٌ﴾ بفتح الميم. ﴿فَطَلَمُوا بِهَا﴾: فكفروا بها. ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ﴾ إن أراد بها الآيات المقترحة؛ فالمعنى: لا نرسلها ﴿إِلَّا تَخَوِّفًا﴾ من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له، فإن لم يخافوا: وقع

قوله: (أن من اقترح)، «أن» مع اسمها وخبرها: خبر «وعادة الله»، وخبر «أن»: «أن يعاجل».

قوله: (وأنها لو أرسلت): عطف على قوله: «إن كذب بها الأولون الذين هم أمثالهم»، على منوال: أعجبني زيد وكرمه.

قوله: (وقرئ: «مبصرة» بفتح الميم). قال أبو البقاء: أي: تبصرة<sup>(١)</sup>.

قوله: (لا نرسلها ﴿إِلَّا تَخَوِّفًا﴾ من نزول<sup>(٢)</sup> العذاب العاجل). الراغب: الآيات هاهنا قيل: إشارة إلى الجراد والقمل ونحوهما من الآيات التي أرسلت إلى الأمم المتقدمة،

(١) «التبيان في إعراب القرآن» (٢: ٨٢٦).

(٢) في (ح): «النزول» بحذف «من».

عليهم؛ وإن أرادَ غيرها؛ فالمعنى: وما تُرسلُ ما تُرسلُ من الآياتِ - كآياتِ القرآنِ وغيرِها - إلا تخويفاً وإنذاراً بعذابِ الآخرة.

[﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرِّهَةَ يَا آلِيَّ أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾ ٦٠]

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ﴾: واذكُرْ إذ أوحينا إليك أن ربك أحاطَ بِقُرَيْشٍ، يعني: بشركنا بوقعة بدر، وبالنصرة عليهم؛ وذلك قوله: ﴿ سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيَوْلُونَ الدُّبُرَ ﴾ [القمر: ٤٥]، ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢]، وغير ذلك، فجعله كأن قد كان ووجد، فقال: ﴿ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ﴾ على عادته في إخباره. وحين تزاخف الفريقان يوم بدرٍ ورسولُ الله ﷺ في العريشِ مع أبي

فنبه أن ذلك إنما يفعل بمن يفعله تخويفاً، وذلك أحسن<sup>(١)</sup> المنازل للمأمورين، فإن الإنسان يتحرى فعل الخير لأحد ثلاثة أشياء: إما أن يتحرأه لرغبة أو لرهبة، وهو أدنى منزلة، وإما أن يتحرأه لمحمدة، وإما أن يتحرأه للفضيلة، وهو أن يكون ذلك الشيء في نفسه فاضلاً، وذلك أشرف المنازل، فلما كانت هذه الأمة خير أمة رُفِعَهم عن هذه المنزلة، ونبه أنه لا يعتمهم بالعذاب، وإن كانت الجهلة منهم كانوا يقولون: ﴿ فَاَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأنفال: ٣٢]، وقيل: الآيات إشارة إلى الأدلة، ونبه<sup>(٢)</sup> أنه يقتصر معهم على الأدلة ويصانون عن العذاب الذي يستعجلونه<sup>(٣)</sup>.

قوله: (ورسولُ الله ﷺ في العريشِ)، الجوهري: العريش: ما يُستظلُّ به. رَوينا في «صحيح البخاري»، عن ابن عباس، أن رسولَ الله ﷺ قال وهو في قبّة يوم بدر: «اللهم أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تشأ لا تُعبِدَ اليوم»، فأخذ أبو بكرٍ رضي الله عنه بيده، فقال: حسبك<sup>(٤)</sup>.

(١) في (ح): «أحسن» بالحاء والنون، وهو تحريفٌ شنيع، وفي (ط): «أخص».

(٢) من قوله: «أنه لا يعتمهم بالعذاب»، وإن كانت الجهلة إلى هنا سقط من (ح).

(٣) «مفردات القرآن»، ص ١٠٢.

(٤) أخرجه البخاري (٣٩٥٣).

بكرٍ رضي الله عنه كان يدعو ويقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عَهْدَكَ وَعَدَّكَ»، ثُمَّ خَرَجَ  
وعليه الدَّرْعُ يَحْرُضُ النَّاسَ ويقول: ﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيَوْلُونَ الذُّبُرَ﴾، ولعلَّ الله تعالى  
أراه مَصَارِعَهُمْ فِي مَنَامِهِ، فَقَدْ كَانَ يَقُولُ حِينَ وَرَدَ مَاءَ بَدْرٍ: «وَاللَّهِ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى  
مَصَارِعِ الْقَوْمِ»، وَهُوَ يُؤَمِّئُ إِلَى الْأَرْضِ وَيَقُولُ: «هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ، هَذَا مَصْرَعُ  
فُلَانٍ»، فَتَسَامَعَتْ قُرَيْشٌ بِمَا أُوحِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَمْرِ يَوْمِ بَدْرٍ وَمَا أُرِيَ فِي  
مَنَامِهِ مِنْ مَصَارِعِهِمْ، فَكَانُوا يَضْحَكُونَ وَيَسْتَسْخِرُونَ وَيَسْتَعْجِلُونَ بِهِ اسْتِهْزَاءً،  
وَحِينَ سَمِعُوا بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقْوِمِ \* طَعَامٌ الْأَثِيرِ﴾ [الدخان: ٤٣-٤٤]،

قوله: (وَهُوَ يُؤَمِّئُ إِلَى الْأَرْضِ، وَيَقُولُ: هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ). رَوَى مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ، عَنْ  
أَنْسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ»، وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْأَرْضِ هَاهُنَا وَهَاهُنَا.  
قَالَ: فَمَا مَاطَ أَحَدُهُمْ عَنْ مَوْضِعِ يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ<sup>(١)</sup>. مَاطَ، أَي: بَعْدَ وَذَهَبَ.

قوله: (فَتَسَامَعَتْ)، هُوَ مُتَّصِلٌ بِقَوْلِهِ: «وَلَعَلَّ اللَّهَ» وَمَا عُطِفَ عَلَيْهِ مِنْ قَوْلِهِ: «وَحِينَ  
تَزَاحَفَ الْفَرِيقَانِ» بِدَلِيلِ قَوْلِهِ مِنْ أَمْرِ بَدْرٍ، وَمَا أُرِيَ فِي مَنَامِهِ، وَالْمَعْطُوفُ وَالْمَعْطُوفُ  
عَلَيْهِ تَفْسِيرَانِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾، وَلِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرِّيَاءَ الَّتِي  
أَرَيْتَكَ﴾، وَ«جَعَلُوهَا سُخْرِيَّةً»: عَامِلٌ «حِينَ سَمِعُوا»، وَهُوَ تَأْوِيلٌ لِقَوْلِهِ: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ  
فِي الْقُرْآنِ﴾.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: «حِينَ تَزَاحَفَ»، فَظَرْفٌ لِقَوْلِهِ: «يَدْعُو وَيَقُولُ»، كَمَا أَنَّ قَوْلَهُ: «حِينَ وَرَدَ  
مَاءَ بَدْرٍ»: ظَرْفٌ «يَقُولُ»، أَي: كَانَ يَدْعُو وَيَقُولُ حِينَ تَزَاحَفَ الْفَرِيقَانِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ،  
وَقَدْ كَانَ حِينَ وَرَدَ مَاءَ بَدْرٍ: وَاللَّهُ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ، وَإِنَّمَا جَمَعَ الْمَعْنِيَيْنِ فِي قِرَانٍ وَاحِدٍ وَأَفْرَزَ الثَّلَاثَ  
لِلْإِتِّحَادِ قَصْدَهُمَا وَاخْتِلَافِ الثَّلَاثِ، فَقَوْلُهُ: «وَحِينَ سَمِعُوا» عَطَفَ عَلَى جُمْلَةِ قَوْلِهِ: «حِينَ  
تَزَاحَفَ الْفَرِيقَانِ» مَعَ مَا عُطِفَ عَلَيْهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: «وَلَعَلَّ اللَّهَ»، ثُمَّ إِنَّهُ لَخَصَّ الْمَعْنَى الثَّلَاثَ  
فِي قَوْلِهِ: «وَالْمَعْنَى أَنَّ الْآيَاتِ إِنَّمَا تُرْسَلُ بِهَا تَخْوِيفًا لِلْعِبَادِ» إِلَى آخِرِهِ.

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٧٧٩)، وَأَبُو دَاوُدَ (٢٦٨٣)، وَالنَّسَائِيُّ (٤: ١٠٩)، وَغَيْرُهُمْ.

جَعَلُوهَا سُخْرِيَةً، وقالوا: إِنَّ مُحَمَّدًا يَزْعُمُ أَنَّ الْجَحِيمَ تَحْرِقُ الْحِجَارَةَ، ثُمَّ يَقُولُ: يَنْبُتُ فِيهَا الشَّجَرُ! وما قَدَرَ اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ مَنْ قَالَ ذَلِكَ، وما أَنْكَرُوا أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ الشَّجَرَةَ مِنْ جِنْسٍ لَا تَأْكُلُهُ النَّارُ! فهذا وَبَرُّ السَّمْنَدَرِ - وهو دُوَيْبَةُ بِيَلَادِ التُّرْكِ - تُتَّخَذُ مِنْهُ مَنَادِيلٌ، إِذَا أْتَسَخَتْ طُرِحَتْ فِي النَّارِ فَذَهَبَ الْوَسْخُ وَبَقِيَ الْمِنْدِيلُ سَالِمًا لَا تَعْمَلُ فِيهِ النَّارُ، وَتَرَى النَّعَامَةَ تَبْتَلِعُ الْجَمْرَ وَقَطَعَ الْحَدِيدَ الْحُمْرَ كَالْجَمْرِ بِإِحْمَاءِ النَّارِ فَلَا تَضُرُّهَا، ثُمَّ أَقْرَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ خَلَقَ فِي كُلِّ شَجَرَةٍ نَارًا فَلَا تَحْرِقُهَا، فَمَا أَنْكَرُوا أَنْ يَخْلُقَ فِي النَّارِ شَجَرَةً لَا تَحْرِقُهَا! والمعنى: أَنَّ الْآيَاتِ إِنَّمَا يُرْسَلُ بِهَا تَخْوِيفًا لِلْعِبَادِ، وَهَؤُلَاءِ قَدْ خُوفُوا بَعْدَآبِ الدُّنْيَا، وَهُوَ الْقَتْلُ يَوْمَ بَدْرٍ، فَمَا كَانَ مَا أَرَيْنَاكَ مِنْهُ فِي مَنَامِكَ بَعْدَ الْوَحْيِ

قوله: (وما قَدَرَ اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ مَنْ قَالَ ذَلِكَ)، «مَنْ»: فاعلٌ «قَدَرُوا». الانتصاف: العُمْدَةُ فِي ذَلِكَ أَنَّ النَّارَ لَا تَوْتَرُ إِحْرَاقًا، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَجْرَى الْعَادَةَ أَنْ يَخْلُقَ الْإِحْرَاقَ عَقِيبَ مُلَاقَاتِهَا بَعْضَ الْأَجْسَامِ<sup>(١)</sup>.

قوله: (وما أَنْكَرُوا)، قيل: «ما» يجوزُ أَنْ يَكُونَ مَنْصُوبًا عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ، أَي: أَيَّ إِنْكَارٍ أَنْكَرُوا<sup>(٢)</sup>؟ و«ما» اسْتِفْهَامِيَّةٌ إِنْكَارِيَّةٌ. وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ شَرْطِيَّةً، وَالْجِزَاءُ قَوْلُهُ: «فَهَذَا وَبَرُّ السَّمْنَدَلِ»<sup>(٣)</sup>، عَلَى طَرِيقِ الْإِخْبَارِ وَالْإِنْكَارِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَكُم مِّنْ نَّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، وَالْمَعْنَى مُتَّصِلٌ بِقَوْلِهِ: «ثُمَّ أَقْرَبُ مِنْ ذَلِكَ» أَي: أَقْرَبُ مِمَّا ذَكَرْنَا، أَنَّهُ خَلَقَ فِي كُلِّ شَجَرَةٍ نَارًا فَلَا تَحْرِقُهَا، وَهُمْ يَشَاهِدُونَهَا، فَأَيَّ إِنْكَارٍ أَنْكَرُوا هَذَا؟

قوله: (فِي كُلِّ شَجَرَةٍ نَارًا)، وَفِي الْمَثَلِ: فِي كُلِّ شَجَرٍ نَارٌ، وَاسْتَمْتَجَدَ الْمَرْخُ وَالْعَفَّارُ<sup>(٤)</sup>، شَبَّهَهُمَا بِمَنْ يُكَثِّرُ الْعَطَاءَ طَلَبًا لِلْمَجْدِ؛ لِأَنَّهَا يُسْرِعَانِ الْوَزْيَ، خِلَافَ سَائِرِ الْأَشْجَارِ.

(١) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٢: ٦٧٥).

(٢) سقط لفظ «أنكروا» من (ح).

(٣) طائر ببلاد الهند، ببيضٌ ويُفَرِّخُ فِي النَّارِ، وَلَا تَوْتَرُ فِيهِ النَّارُ، وَيُعْمَلُ مِنْ ريشه مناديل تُحْمَلُ إِلَى بِلَادِ

الشام. انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (١: ٤٠٤).

(٤) ذكره الميداني في «مجمع الأمثال» (٢: ٧٤).

إِلَيْكَ إِلَّا فِتْنَةً لَهُمْ حَيْثُ اتَّخَذُوهُ سُخْرِيًّا، وَخُوفُوا بِعَذَابِ الْآخِرَةِ وَشَجَرَةِ الزَّقُّومِ فَمَا أَثَرُ فِيهِمْ. ثُمَّ قَالَ فِيهِمْ: ﴿وَنُحِيقُهُمْ﴾ أَي: نُخَوِّفُهُمْ بِمَخَافِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ التَّخْوِيفُ ﴿إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾، فَكَيْفَ يَخَافُ قَوْمٌ هَذِهِ حَالَهُمْ بِإِرْسَالِ مَا يَقْتَرِحُونَ مِنَ الْآيَاتِ! وَقِيلَ: الرَّؤْيَا: هِيَ الْإِسْرَاءُ، وَبِهِ تَعَلَّقَ مَنْ يَقُولُ: كَانَ الْإِسْرَاءُ

قَوْلُهُ: (وَخُوفُوا بِعَذَابِ الْآخِرَةِ): عَطْفٌ عَلَى قَوْلِهِ: «وَقَدْ خُوفُوا بِعَذَابِ الدُّنْيَا». وَالْفَاءُ فِي: «فَمَا أَثَرُ فِيهِمْ» هِيَ الْفَاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾، وَالتَّخْوِيفُ بِعَذَابِ الدُّنْيَا حَصَلَ مِنْ شَيْئَيْنِ: مِنَ الْوَحْيِ بِإِحَاطَةِ النَّاسِ، وَمِنَ الرَّؤْيَا الَّتِي أَرَاهَا فِي مَصَارِعِ الْقَوْمِ، وَالتَّخْوِيفُ بِعَذَابِ الْآخِرَةِ حَصَلَ مِنْ إِنْزَالِ شَجَرَةِ الزَّقُّومِ فِي الْقُرْآنِ، وَلِذَلِكَ جَعَلَ الْمُصَنِّفُ عَطْفَ قَوْلِهِ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا﴾ عَلَى ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ بِمَنْزِلَةِ شَيْءٍ وَاحِدٍ، وَأَتَى بِالْفَاءِ، حَيْثُ قَالَ: «فَمَا كَانَ مَا أُرَيْنَاكَ مِنْهُ فِي مَنْامِكَ بَعْدَ الْوَحْيِ إِلَيْكَ ﴿إِلَّا فِتْنَةً﴾».

قَوْلُهُ: (فَكَيْفَ يُجَابُ قَوْمٌ بِالْجِيمِ وَالْبَاءِ، وَفِي أَكْثَرِ النُّسخِ<sup>(١)</sup>): «يَخَافُ»، بِالْخَاءِ وَالْفَاءِ، وَفِيهِ إِيْبَاءٌ إِلَى اتِّصَالِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَنُحِيقُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾، يَعْنِي: مَا تَرَكْنَا إِرْسَالَ تِلْكَ الْآيَاتِ الَّتِي اقْتَرَحَتْهَا قُرَيْشٌ مِنْ قَلْبِ الصَّفَا ذَهَبًا وَإِحْيَاءِ الْمَوْتَى وَغَيْرِهَا إِلَّا لِنَزُولِ عَذَابِ الْاسْتِثْصَالِ، وَقَدْ عَزَمْنَا تَأْخِيرَ أَمْرِهِمْ. ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ أَي: وَمَا نُرْسِلُ<sup>(٢)</sup> بِآيَاتِ الْقُرْآنِ إِلَّا تَخْوِيفًا وَإِنْذَارًا مِمَّا نَزَلَ بِالْأَوْلَيْنِ كَعَادٍ وَثَمُودَ وَفِرْعَوْنَ مِنَ الْاسْتِثْصَالِ بِسَبَبِ اقْتِرَاحِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ لِيَنْزَجِرُوا وَيَعْتَبِرُوا وَتَخْوِيفًا مِمَّا حَلَّ بِهِؤْلَاءِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَمَا يُحُلُّ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَكْلِ الشَّجَرَةِ الْمَلْعُونَةِ لِيَتَّعِظُوا، فَمَا يَزِيدُهُمْ كُلُّ ذَلِكَ إِلَّا طُغْيَانًا، فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا فَكَيْفَ يُجَابُوا إِلَى مَا اقْتَرَحُوا بِإِرْسَالِ الْآيَاتِ، فَوْضَعَ مَوْضِعَ ضَمِيرٍ يُجَابُوا قَوْمٌ هَذِهِ حَالَهُمْ، إِيدَانًا بِأَتَمِّ قَوْمٍ مُعَانِدَةً مُكَابِرَةً، أَوْ يُقَالُ: كَيْفَ يُجَابُونَ بِإِرْسَالِ مَا يَقْتَرِحُونَ مِنَ الْآيَاتِ، وَإِنَّمَا كَالطَّلِيعَةِ الْمَقْدَمَةِ لِعَذَابِ الْآجِلِ، وَقَدْ خُوفُوا هَذِهِ التَّخْوِيفَاتِ فَمَا اتَّعَظُوا؟ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) وهي النسخة التي بين أيدينا من «الكشاف».

(٢) قَوْلُهُ: «﴿بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ أَي: وَمَا نُرْسِلُ» سَقَطَ مِنْ (ف).

في المنام، ومَن قال: كانَ في اليَقْظَةِ، فَسَّرَ الرُّؤْيَا بالرُّؤْيَةِ. وقيل: إِنَّمَا سَمَّاهَا رُؤْيَا على قولِ المُكذِّبِينَ؛ حيثُ قالوا له: لعلَّهَا رُؤْيَا رَأَيْتَهَا، وَخَيَالٌ خُيِّلَ إِلَيْكَ؛ استبعادًا منهم، كما سَمَّى أَشْيَاءَ بِأَسْمَائِهَا عِنْدَ الكُفْرَةِ، نحوَ قولِه: ﴿فَرَأَى إِلَى آيَاتِ الْهَيْمَمِ﴾ [الصافات: ٩١]، ﴿أَيْنَ شُرَكَاءِ عِ﴾ [النحل: ٢٧]، ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]. وقيل: هِيَ رُؤْيَاهُ أَنَّهُ سَيَدْخُلُ مَكَّةَ. وقيل: رَأَى فِي الْمَنَامِ أَنَّ وَلَدَ الْحَكَمِ يَتَدَاوَلُونَ مِنْبَرَهُ كَمَا يَتَدَاوَلُ الصَّبِيانُ الكُرَّةَ. فَإِنْ قُلْتَ: أَيْنَ لُعِنْتَ شَجَرَةَ الرَّقُومِ فِي الْقُرْآنِ؟ قُلْتَ:

قولُه: (ومَن قال: كانَ في اليَقْظَةِ، فَسَّرَ الرُّؤْيَا بالرُّؤْيَةِ)، يعني: على الأصل، قال المصنِّفُ في سُورَةِ يوسُفَ: والرُّؤْيَا بمعنى الرُّؤْيَةِ، إِلَّا أَنهَا مَخْتَصَّةٌ بِمَا كَانَ فِيهَا فِي الْمَنَامِ<sup>(١)</sup> دونَ اليَقْظَةِ. وَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا بَحْرِيَّ التَّائِيثِ، كما قيل: القُرْبَةُ والقُرْبِيُّ<sup>(٢)</sup>، ومثله استعمالُ الوَعْدِ والوَعِيدِ. وَزَوَّيْنَا عَنِ الْبُخَارِيِّ وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَالتِّرْمِذِيِّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرْتَبْتُمْ إِلَّا قِسْفَةً لِلنَّاسِ﴾ قال: «هِيَ رُؤْيَا عَيْنِ أَرِيهَا النَّبِيُّ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ»<sup>(٣)</sup>.

قولُه: (وقيل: إِنَّمَا سَمَّاهَا رُؤْيَا على قولِ المُكذِّبِينَ)، يعني: على زَعْمِهِم وَالتَّهَكُّمِ بِهِم، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هَاهُنَا مِنْ بَابِ الْمَشَاكَلَةِ.

قولُه: (كما سَمَّى أَشْيَاءَ بِأَسْمَائِهَا عِنْدَ الكُفْرَةِ)، سَمَّى أَصْنَافَهُم بِالْأَلْهَةِ وَالشُّرَكَاءِ فِي الْآيَاتِينَ، وَأَنْفُسَهُم بِالْعَزِيزِ الْكَرِيمِ فِي الْآخِرَةِ على زَعْمِهِم، وكما هُوَ عِنْدَهُم.

قولُه: ﴿فَرَأَى﴾، الجَوْهَرِيُّ: رَأَى إِلَى كَذَا، أَي: مَالَ إِلَيْهِ سِرًّا، ﴿فَرَأَى عَلَيْهِمْ صَرَيبًا يَأْتِينَ﴾ [الصافات: ٩٣]، أَي: أَقْبَلَ. قال الفَرَّاءُ: مَالَ عَلَيْهِمْ<sup>(٤)</sup>.

قولُه: (رَأَى فِي الْمَنَامِ أَنَّ وَلَدَ الْحَكَمِ يَتَدَاوَلُونَ مِنْبَرَهُ). الْحَكَمُ هُوَ ابْنُ الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ

(١) قولُه: «فِيهَا فِي الْمَنَامِ» سَقَطَ مِنْ (ج).

(٢) انظر: (٨: ٢٥٣).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٨٨٨)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٣١٣٤)، وَانظُرْ تَمَامَ تَحْرِيجِهِ فِي «مَسْنَدِ أَحْمَدَ» (١٩١٦).

(٤) «مَعَانِي الْقُرْآنِ» لِلْفَرَّاءِ (٢: ٣٨٨).

لُعِنَتْ حَيْثُ لُعِنَ طَاعِمُوهَا مِنَ الْكُفْرَةِ وَالظُّلْمَةِ؛ لِأَنَّ الشَّجْرَةَ لَا ذَنْبَ لَهَا حَتَّى تُلْعَنَ عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَإِنَّمَا وُصِفَتْ بِلُعْنِ أَصْحَابِهَا عَلَى الْمَجَازِ. وَقِيلَ: وَصَفَهَا اللَّهُ بِاللُّعْنِ؛ لِأَنَّ اللَّعْنَ: الْإِبْعَادُ مِنَ الرَّحْمَةِ، وَهِيَ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ فِي أَبْعَدِ مَكَانٍ مِنَ الرَّحْمَةِ. وَقِيلَ: تَقُولُ الْعَرَبُ لِكُلِّ طَعَامٍ مَكْرُوهٍ ضَارًّا: مَلْعُونٌ، وَسَأَلْتُ بَعْضَهُمْ، فَقَالَ: نَعَمْ، الطَّعَامُ الْمَلْعُونُ: الْقَشْبُ الْمَمْحُوقُ. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: هِيَ الْكَشُوثُ الَّذِي يَتَلَوَّى بِالشَّجَرِ يُجْعَلُ

عَبْدُ شَمْسٍ بِنِ عَبْدِ مَنَاةٍ، وَوَلَدَهُ الَّذِينَ مَلَكَوا بَعْدَ مَعَاوِيَةَ: يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ، أَوْهُمْ: مِرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ، ثُمَّ عَبْدُ الْمَلِكِ ابْنُهُ، ثُمَّ ابْنُهُ الْوَلِيدُ، ثُمَّ أَخُوهُ سُليْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ، ثُمَّ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، ثُمَّ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، ثُمَّ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، ثُمَّ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ، ثُمَّ يَزِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، ثُمَّ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَأَخْرَجَهُم مِرْوَانَ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحِمَارِيُّ (١).

قَوْلُهُ: (لُعِنَتْ حَيْثُ لُعِنَ طَاعِمُوهَا مِنَ الْكُفْرَةِ)، أَي: أَيُّ مَوْضِعٍ مِنَ الْقُرْآنِ وَجِدْتَ فِيهِ لَعْنَةَ الْكَافِرِينَ، فِيهِ مَلْعُونَةٌ هُنَاكَ؛ لِأَنَّ الْمَرَادَ بِالشَّجْرَةِ الْمَلْعُونَةِ أَنَّ طَاعِمَهَا مَلْعُونٌ؛ لِأَنَّ الشَّجْرَةَ لَا ذَنْبَ لَهَا.

قَوْلُهُ: (وَسَأَلْتُ بَعْضَهُمْ) عَنْ صِحَّةِ نَقْلِ الْمَعْنَى، فَقُلْتُ: هَلْ تُسَمِّي الْعَرَبُ (٢) كُلَّ طَعَامٍ مَكْرُوهٍ مَلْعُونًا؟ قَالَ: نَعَمْ. وَزَادَ فِي الْجَوَابِ أَنَّ الطَّعَامَ الْمَلْعُونُ هُوَ الْمَذْمُومُ الَّذِي لَا خَيْرَ فِيهِ. قَوْلُهُ: (الْقَشْبُ الْمَمْحُوقُ)، الْفَائِقُ: الْقَشْبُ: الْقَدْرُ، وَالْقَشْبُ: الَّذِي خَالَطَهُ قَدْرٌ، قِيلَ: الْقَشْبُ أَيْضًا: السُّمُّ، وَالْجَمْعُ أَقْشَابٌ، وَقَشَبَهُ أَيْضًا: إِذَا ذَكَرَهُ بِسُوءٍ (٣).

قَوْلُهُ: (الْمَمْحُوقُ): مَحَقَهُ يَمْحَقُهُ مَحَقًا، أَي: أَبْطَلَهُ وَمَحَاهُ، وَالْكَشُوثُ: نَبْتٌ يَتَعَلَّقُ بِأَغْصَانِ الشَّجَرِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَضْرِبَ بِعَرِيقٍ فِي الْأَرْضِ.

(١) فِي (ط): «مِرْوَانَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَكَمِ»، وَلَا يَسْتَقِيمُ؛ لِأَنَّهُ مِرْوَانَ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مِرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، وَالْحِمَارِيُّ لِقَبِّ كَانَ يُعْرَفُ بِهِ لَصَبْرِهِ وَجَلْدِهِ.

(٢) مِنْ قَوْلِهِ: «لِأَنَّ الْمَرَادَ بِالشَّجْرَةِ الْمَلْعُونَةِ أَنَّ طَاعِمَهَا» إِلَى هُنَا سَقَطَ مِنْ (ح).

(٣) «الْفَائِقُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ» (٣: ١٩٨).



في الشَّراب، وقيل: هي الشيطان. وقيل: أبو جهل. وقُرئ: (والشجرة الملعونة) بالرفع، على أنها مُبتدأٌ محذوفُ الخبر، كأنه قيل: والشجرة الملعونة في القرآن كذلك.

[﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ مَا أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا \* قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأُحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا \* قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا \* وَأَسْتَفْزِرُّ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَطِيبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْهُمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا \* إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ ٦١-٦٥]

﴿طِينًا﴾: حالٌ إِمَّا من المَوْصُولِ والعَامِلِ فيه «أسجد»، على: أسجدُ له وهو طين. أي: أصله طين، أو مِنَ الرَّاجِعِ إليه من الصَّلَةِ، على: أسجدُ لِمَنْ كَانَ فِي وَقْتِ خَلْقِهِ طِينًا. ﴿أَرَأَيْتَ﴾: الكافُ لِلخِطَابِ، و﴿هَذَا﴾ مَفْعُولٌ به. والمعنى: أخبرني عن هذا ﴿الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ أي: فَضَّلْتَهُ، .....

قوله: (وقيل: هي الشيطان)، أي: الشجرة الملعونة. الانتصاف: يُبَعِّدُه قوله: ﴿طَلَعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيْطَانِ﴾ [الصافات: ٦٥]، وقوله: ﴿فَأَنَّهُمْ لَأَكُونَنَّ مِنْهَا﴾ [الصافات: ٦٦] (١). قلت: هو القائل لم يذهب إلى أن هذه الشجرة المذكورة هنا على هذا التأويل هي شجرة الزقوم بل ذهب إلى المجاز وسمى الشيطان بالشجرة وأن الله تعالى لعنه في كتابه المجيد في غير موضع. قوله: (أو من الراجع)، والفرقُ أنه إذا كان حالاً من المفعول يكون قيداً لـ «أسجد» (٢)، وإذا كان حالاً من الراجع، كان قيداً لـ «خَلَقْتَ» فيختلف التقديران، والأوَّلُ أبلغ؛ لأنه من بابِ المَجَازِ باعتبار ما كان، أي: أسجدُ للطين، والطينُ لا يُسجدُ له. والمعنى على الثاني: أسجدُ لِمَنْ كَانَ فِي وَقْتِ خَلْقِهِ طِينًا، أي: أصله طين.

(١) الانتصاف بحاشية الكشاف (٢: ٦٧٦).

(٢) في (ف): «لا يتخذوا».

لِمَ كَرَّمْتَهُ عَلَيَّ وَأَنَا خَيْرٌ مِنْهُ؟ فَاخْتَصَرَ الْكَلَامَ بِحَذْفِ ذَلِكَ، ثُمَّ ابْتَدَأَ فَقَالَ: ﴿لَيْنَ أَخْرَتَيْنِ﴾ وَاللَّامُ مُوْطِئَةٌ لِلْقَسَمِ الْمَحذُوفِ، ﴿لَأَحْتَنِيكَ ذُرِّيَّتَهُ﴾: لِأَسْتَأْصِلَنَّهُمْ بِالْإِغْوَاءِ، مِنْ: احْتَنَكَ الْجِرَادُ الْأَرْضَ؛ إِذَا جَرَدَ مَا عَلَيْهَا أَكْلًا، وَهُوَ مِنَ الْحَنَكِ. وَمِنْهُ

قَوْلُهُ: (لَمْ كَرَّمْتَهُ عَلَيَّ وَأَنَا خَيْرٌ مِنْهُ؟ فَاخْتَصَرَ الْكَلَامَ بِحَذْفِ ذَلِكَ)، أَي: السُّؤَالُ عَنْ الْعِلَّةِ، وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّعِينَ لَمَّا أَنْكَرَ أَنْ يَسْجُدَ لَهُ تَحْقِيرًا لِشَأْنِهِ، وَجَعَلَهُ طِينًا مَشَاهِدًا تَرَفَّى مِنْهُ إِلَى ابْلَغِ، أَي: أَخْبَرَنِي عَنْ حَالِ هَذَا الْمَشَاهِدِ الْمَحْسُوسِ الْمَكُونِ مِنَ الطِّينِ وَالصَّلْصَالِ كَالْفَخَّارِ، الْمَجْبُولِ بِالشَّهَوَاتِ، أَي: كَيْفَ يَرْتَفِعُ عَلَيَّ وَأَنَا أَقَهْرُهُ بِالْوَسَاوِسِ، وَأَجْعَلُهُ مَطْوَعًا لِي، سَيِّئًا ذُرِّيَّتَهُ، فَاسْتَأْصَلَهُمْ إِغْوَاءً؟ وَمِنْ ثَمَّ أَتَى بِالْجُمْلَةِ الْمُؤَكِّدَةِ بِلَامِ الْقَسَمِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَيْنَ أَخْرَتَيْنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، ﴿لَأَحْتَنِيكَ ذُرِّيَّتَهُ﴾، وَلَفْظَةُ «هَذَا» مِثْلُهَا فِي قَوْلِهِ:

تَقُولُ وَوَقَّتْ نَحْرَهَا بِيَمِينِهَا أَبْعَلِي هَذَا بِالرَّحَى الْمُتَقَاعِسُ (١)

وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُ الْإِمَامِ: ﴿هَذَا﴾: مَبْتَدَأُ مَحذُوفٌ عَنْهُ حَرْفُ الِاسْتِفْهَامِ، وَ«الَّذِي» مَعَ صِلَتِهِ: الْخَبْرُ، أَي: أَخْبَرَنِي: أَهَذَا الَّذِي كَرَّمْتَهُ عَلَيَّ؟ وَذَلِكَ عَلَى وَجْهِ الِاسْتِصْغَارِ، وَإِنَّمَا حَذَفَ الِاسْتِفْهَامَ (٢)؛ لِأَنَّ حَصُولَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَرَأَيْتَكَ﴾ أَغْنَى عَنْ تَكَرُّرِهِ (٣).

قَوْلُهُ: (وَهُوَ مِنَ الْحَنَكِ). الرَّاعِبُ: الْحَنَكُ: حَنَكُ الْإِنْسَانِ وَالذَّابَّةِ، وَقِيلَ لِمنْقَارِ الْغُرَابِ: حَنَكٌ، لِكُونِهِ كَالْحَنَكِ مِنَ الْإِنْسَانِ، وَقِيلَ: أَسْوَدٌ مِثْلُ حَنَكِ الْغُرَابِ، وَحَلَكُ الْغُرَابِ، فَحَنَكُهُ: مَنْقَارُهُ، وَحَلَكُهُ: سَوَادُ رِيْشِهِ. وَقَوْلُهُ: ﴿لَأَحْتَنِيكَ ذُرِّيَّتَهُ﴾ إِلَّا قَلِيلًا ﴿يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ: حَنَكُ الدَّابَّةِ: أَصَبْتُ حَنَكَهَا بِاللُّجَامِ وَالرَّسَنِ، فَيَكُونُ قَقُولِكَ: لِأَجْمَنَ فَلَانًا وَلَأُرْسِنَنَّهُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ قَوْلِهِمْ: احْتَنَكَ الْجِرَادُ الْأَرْضَ، أَي: اسْتَوَلَى بِحَنَكِهِ عَلَيْهَا،

(١) البيت للهدلول بن كعب الغنوي، ذكره في «التذكرة السعدية» (١: ٨) وبعده:

فقلت لها لا تعجلني وتبيني بلائسي إذا التفت علي الفوارس

في أبيات فاخرة جواد كأنه يخاطب بها زوجته.

(٢) قوله: «وإنما حذف الاستفهام» سقط من (ط)، ومن قوله: «و«الذي» مع صلته»، إلى هنا سقط

من (ف).

(٣) «مفاتيح الغيب» (٢١: ٣).

ما ذَكَرَ سَيَّوِيهِ مِنْ قَوْلِهِمْ: أَخْنَكَ الشَّاتَيْنِ، أَي: أَكَلَهُمَا. فَإِنْ قُلْتَ: مِنْ أَيْنَ عَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ يَتَسَهَّلُ لَهُ وَهُوَ مِنَ الْغَيْبِ؟ قُلْتَ: إِمَّا أَنْ سَمِعَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - وَقَدْ أَخْبَرَهُمُ اللَّهُ بِهِ، أَوْ خَرَّجَهُ مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠]، أَوْ نَظَرَ إِلَيْهِ فَتَوَسَّمَ فِي مَحَايِلِهِ أَنَّهُ خَلَقَ شَهْوَانِي. وَقِيلَ: قَالَ ذَلِكَ لَمَّا عَمِلْتَ وَسَوَسْتُهُ فِي آدَمَ. وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ قَبْلَ أَكْلِ آدَمَ مِنَ الشَّجَرَةِ. ﴿أَذْهَبَ﴾: لَيْسَ مِنَ الذَّهَابِ الَّذِي هُوَ نَقِيضُ الْمَجِيءِ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ: امضِ لِشَأْنِكَ الَّذِي اخْتَرْتَهُ؛ خِذْلَانًا وَتَخْلِيَةً، وَعَقْبَهُ بِذِكْرِ مَا جَرَّهُ سَوْءَ اخْتِيَارِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُ ذُو كُرٍّ﴾، كَمَا قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْسَامِرِيِّ: ﴿فَأَذْهَبَ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ [طه: ٩٧]. فَإِنْ قُلْتَ: أَمَا كَانَ مِنْ حَقِّ الضَّمِيرِ فِي الْجَزَاءِ أَنْ يَكُونَ عَلَى لَفْظِ الْعَيْبَةِ

فَأَكَلَهَا وَاسْتَأْصَلَهَا، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: اسْتَوْلَى عَلَيْهِمْ اسْتِيْلَاءً عَلَى ذَلِكَ، وَفَلَانٌ حَنَّكَ الدَّهْرُ، كَقَوْلِكَ: نَجَّدَهُ وَقَرَعَ سِنَّهُ وَافْتَرَّهُ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الِاسْتِعَارَاتِ فِي التَّجْرِبَةِ<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ: (وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ)، أَي: ﴿لَيْنَ أَخْرَتَيْنِ﴾، يَعْنِي: أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿لَيْنَ أَخْرَتَيْنِ﴾، إِلَى آخِرِهِ، دَاخِلٌ<sup>(٢)</sup> فِي حَيْزِ الْقَوْلِ، فَيَكُونُ صَدُورُ هَذَا الْقَوْلِ بَعْدَ الْإِبَاءِ عَنِ السُّجُودِ، وَمَكَانُ الْوَسْوَسةِ الْجَنَّةِ، وَهُوَ مُخْتَلَفٌ عَنِ هَذَا بَزْمَانٍ، أَي: هَذَا<sup>(٣)</sup> الْقَوْلُ مُرَدُّوْذٌ.

قَوْلُهُ: (كَمَا قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْسَامِرِيِّ)، يَعْنِي: كَمَا رَتَّبَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿فَأَذْهَبَ﴾ قَوْلَهُ: ﴿فَأِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ [طه: ٩٧] لِلإِيذَانِ بِأَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْأَمْرِ الْخِذْلَانَ، لِتَعَقُّبِهِ بِالْعِقَابِ، كَذَلِكَ هَاهُنَا، فَقَوْلُهُ: «وَعَقْبَهُ» عَطْفٌ عَلَى مَحذُوفٍ، وَهُوَ مَعْلَلٌ لِقَوْلِهِ: «خِذْلَانًا وَتَخْلِيَةً»، وَقَوْلُهُ: ﴿فَمَنْ تَبِعَكَ﴾ ظَرْفٌ لِقَوْلِهِ: «تَذَكَّرْ لَهُ»، أَي: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِإِبْلِيسَ: امضِ لِشَأْنِكَ خِذْلَانًا وَتَخْلِيَةً، وَعَقْبَهُ بِذِكْرِ مَا جَرَّهُ سَوْءَ اخْتِيَارِهِ، حَتَّى يُقَالَ فِي حَقِّهِ: ﴿فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُ ذُو كُرٍّ﴾.

(١) «مفردات القرآن»، ص ٢٦٠-٢٦١.

(٢) فِي (ط): «جملة داخله».

(٣) قَوْلُهُ: «بَزْمَانٍ، أَي: هَذَا» سَقَطَ مِنْ (ح).

لِيَرْجِعَ إِلَى «مَنْ تَبِعَكَ»؟ قلت: بلى، ولكنَّ التَّقْدِيرَ: فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُهُمْ وَجَزَاؤُكَ، ثُمَّ غُلِبَ الْمُخَاطَبُ عَلَى الْغَائِبِ فَقِيلَ: ﴿جَزَاؤُكُمْ﴾. ويجوزُ أن يكونَ لِلتَّابِعِينَ عَلَى طَرِيقِ الْإِلْتِفَاتِ، وَانْتَصَبَ ﴿جَزَاءَ مَوْفُورًا﴾ بِهَا فِي ﴿فَاتَ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ﴾ مِنْ مَعْنَى: «تُجَارُونَ». أَوْ بِإِضْمَارِ «تُجَارُونَ»، أَوْ عَلَى الْحَالِ؛ لِأَنَّ الْجَزَاءَ مَوْصُوفٌ بِالْمَوْفُورِ، وَالْمَوْفُورُ: الْمَوْفِرُ. يُقَالُ: فِرَ لِصَاحِبِكَ عِرْضَهُ فِرَةً. اسْتَفْرَهَ: اسْتَخَفَّهُ. وَالْفِرُّ: الْخَفِيفُ. ﴿وَأَجَلِبْ﴾:

قوله: (لأنَّ الجزاءَ موصوفٌ بالموفور)، هذا تصحيحٌ وقوعُ الجزاءِ حالًا، وهو كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢]، وقيل: التقديرُ: ذَوِي جَزَاءٍ مَوْفُورٍ، فَيَكُونُ حَالًا مِنَ الضَّمِيرِ فِي «تُجَارُونَ»، وَهُوَ مَعْنَى جَزَاؤُكُمْ، وَإِلَّا فَالْعَامِلُ مَفْقُودٌ، وَالْأَظْهَرُ أَنَّهُ حَالٌ مُؤَكَّدَةٌ، كَقَوْلِكَ: زَيْدٌ حَاتِمٌ جُودًا. قَالَ أَبُو الْبَقَاءِ: هُوَ حَالٌ مَوْطِئَةٌ. وَقِيلَ: هُوَ تَمْيِيزٌ<sup>(١)</sup>.

قوله: (فِرَ لِصَاحِبِكَ عِرْضَهُ)، مثله في قول زهير:

وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ      يَفِرُهُ، وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمُ<sup>(٢)</sup>

قَالَ الرَّوْزَنِيُّ: وَفِرْتُ الشَّيْءَ وَفِرَةً وَوَفِرًا: أَكْثَرْتُهُ، وَوَفِرْتُهُ وَوَفِرًا، تَقُولُ: وَمَنْ يَجْعَلُ مَعْرُوفَهُ ذَابًا عَنْ عِرْضِهِ وَفِرَ مَكَارِمَهُ<sup>(٣)</sup>.

الرَّاعِبُ: الْوَفِرُ: الْمَالُ<sup>(٤)</sup> التَّامُّ. يُقَالُ: وَفِرْتُ كَذَا: تَمَّمْتُهُ، أَفِرُهُ وَفِرًا وَوَفُورًا وَفِرَةً، وَوَفِرْتُهُ: عَلَى التَّكْثِيرِ، وَالْوَفِرَةُ: الشَّعْرُ الْوَافِرُ، وَمَزَادَةٌ وَفِرَاءٌ، وَسِقَاءٌ أَوْفِرُ: لَمْ يَنْقُصْ مِنْ أَدِيمِهَا شَيْءٌ، وَرَأَيْتُ فَلَانًا ذَا وَفَارَةٍ وَفِرَةٍ، أَي: تَامَ الْمَرْوَةُ وَالْعَقْلُ<sup>(٥)</sup>.

قوله: (والفِرُّ: الخفيف). الرَّاعِبُ: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَسْتَفْرِزُ مَنْ أَسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾

(١) «التبيان في إعراب القرآن» (٢: ٨٢٧).

(٢) «ديوان زهير»، ص ٦.

(٣) «شرح المعلقات السبع» ص ١٥٠.

(٤) سقط لفظ «المال» من (ح).

(٥) «مفردات القرآن»، ص ٨٧٧.

من الجَلْبَةِ؛ وهي الصَّيَاح. والحَيْلُ: الحَيَالَةُ، ومنه قوله ﷺ: «يا حَيْلَ اللَّهِ اِرْكَبِي». والرَّجُلُ: اسمٌ جمعٌ للراجل، ونظيره: الرَّكْبُ والصَّحْبُ، وقُرئ: ﴿وَرَجِلِكَ﴾، على

[الإسراء: ٦٤] أي: أزعج، وفزني فلان: أزعجني، والفز: وكلد البقرة، سُميَ به لما تُصوَرُ فيه من الخِفَّةِ، كما سُميَ عَجَلًا لما فيه من العَجَلَةِ<sup>(١)</sup>.

قوله: (من الجَلْبَةِ، وهي الصَّيَاح). الراغب: أجبنتُ عليه: صحتُ عليه بقهر<sup>(٢)</sup>.

قوله: (يا حَيْلَ اللَّهِ اِرْكَبِي)<sup>(٣)</sup>، النهاية: أي: يا أصحابَ حَيْلِ اللَّهِ.

قوله: (وقُرئ: ﴿وَرَجِلِكَ﴾). قرأ حفص: بكسر الجيم، والباقون: بإسكانها<sup>(٤)</sup> قال ابنُ جنِّي: رَويناها عن فُطْرُب، عن أبي عبد الرحمن، وقال: الرَّجُلُ: والرَّجَالُ، وعليه قراءةُ عِكْرِمَةَ وقَتَادَةَ: «رِجَالِكَ»، ويقال: رَجُلٌ: جمعُ راجِلٍ، [كتاجرٍ وتجرٍ، وهذا عند سيبويه اسمٌ للجمع غير مَكْسَرٍ بمنزلة الباقر<sup>(٥)</sup>].

الراغب: الرَّجُلُ يختصُّ بالذكور من الناس، ويقالُ رجُلَةٌ للمرأة إذا كانت متشبهَةً بالرَّجُلِ في بعضِ أحوالها، وفلانٌ أُرْجِلُ الرَّجُلَيْنِ، واشتقُّ من الرَّجُلِ رَجُلٌ<sup>(٦)</sup> وراجلٌ للماشي بالرَّجُلِ بَيْنَ الرَّجُلَةِ، فجمعُ الرَّاجِلِ رَجَالَةٌ ورَجُلٌ نحوَ رَكْبٍ، ورجالٌ نحو: رِكابٍ لجمع الرَّاكِبِ، ويقالُ: رَجُلٌ راجِلٌ، أي: قويٌّ على المشي، وجمعه رِجالٌ، نحو قولهِ: ﴿فِرْجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ [البقرة: ٢٣٩]، وكذا رَجِيلٌ ورَجْلَةٌ. والأرْجُلُ: الأبيضُ الرَّجُلِ من الفَرَسِ، والغَظِيمُ الرَّجُلِ، واستعيرَ الرَّجُلُ للقطعةِ من الجرادِ ولزمانِ الإنسانِ، يقال: كان

(١) «مفردات القرآن»، ص ٦٣٥.

(٢) المصدر السابق، ص ١٩٨.

(٣) هو جزءٌ من حديثِ عِزَاهِ الزَّيْلَعِيِّ «لِلنَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ» للحازمي، وابن سيّد الناس في «عيون الأثر»، وعليه ترجم أبو داود في «السنن» في كتاب الجهاد (٥٤) فقال: باب في النداء عند التفرير: «يا حَيْلَ اللَّهِ اِرْكَبِي». انظر: «تفريج أحاديث الكشاف» (٢: ٢٧٥).

(٤) قوله: «قرأ حفص بكسر الجيم، والباقون بإسكانها» سقط من (ح) و(ف).

(٥) «المحتسب» (٢: ٢١).

(٦) سقط ما بين المعكوفين من (ح).

أَنْ فَعِلًا بِمَعْنَى: فاعل، نحو: تَعِبَ وَتَاعِب. وَمَعْنَاهُ: وَجَمَعَكَ الرَّجُلَ، وَتَضَمَّ حَيْمُهُ  
أَيْضًا؛ فَيَكُونُ مِثْلَ: حَدِيثٍ وَحَدُوثٍ، وَنَدَسَ وَنُدُسَ، وَأَخَوَاتٍ لَهَا، يُقَالُ: رَجُلٌ رَجِلٌ.  
وَقُرِي: (وَرَجَالِكَ) وَ(رُجَالِكَ)، فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى اسْتَفْزَاذِ إِبْلِيسَ بِصَوْتِهِ وَإِجْلَابِهِ  
بِخَيْلِهِ وَرَجَلِهِ؟ قُلْتَ: هُوَ كَلَامٌ وَرَدَّ مَوْرِدَ التَّمْثِيلِ، مُثَلَّتْ حَالُهُ فِي تَسَلُّطِهِ عَلَى مَنْ  
يُغْوِيهِ بِمِغْوَارٍ أَوْقَعَ عَلَى قَوْمٍ فَصَوَّتَ بِهِمْ صَوْتًا يَسْتَفْزِئُهُمْ مِنْ أَمَاكِنِهِمْ وَيُقَلِّقُهُمْ عَنْ

ذَلِكَ عَلَى رَجُلٍ فَلَانَ، كَقَوْلِكَ: عَلَى رَأْسِ فَلَانَ، وَتَرَجَّلَ الرَّجُلُ: نَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ، وَتَرَجَّلَ  
النَّهَارُ: انْحَطَّتِ الشَّمْسُ عَنِ الْحِيطَانِ، كَأَنَّهَا تَرَجَّلَتْ، وَرَجَلُ شَعْرَةٍ، كَأَنَّهُ أَنْزَلَهُ إِلَى حَيْثُ  
الرَّجُلُ، وَالْمِرْجَلُ: الْقِدْرُ الْمَنْصُوبُ، وَأَزْجَلْتُ الْفَصِيلَ: أَرْسَلْتُهُ (١) مَعَ أُمَّه، كَأَنَّهَا جَعَلَتْ لَهُ  
بِذَلِكَ رَجَلًا (٢).

قَوْلُهُ: (حَدِيثٌ) أَي: حَسَنُ الْحَدِيثِ، وَالنَّدَسُ: الْفَطْنُ.

قَوْلُهُ: (وَرَدَّ مَوْرِدَ التَّمْثِيلِ)، وَهُوَ عَلَى وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: التَّمْثِيلُ الْمَخْضُ بِأَنْ مُثَلَّتْ حَالُ  
الشَّيْطَانِ فِي تَسَلُّطِهِ وَإِغْوَائِهِ مِنْ غَيْرِ تَصَوُّرِ اسْتَفْزَاذِ وَصَوْتِ وَخَيْلٍ وَرَجَلٍ بِحَالَةِ مِغْوَارٍ  
مَقْدَرَةٍ فِيهَا هَذِهِ الْمَذْكُورَاتُ، فَاسْتَعْمِلَ فِي تِلْكَ الْحَالِ مَا يُسْتَعْمَلُ فِي هَذِهِ، نَحْوَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى:  
﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَكَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧].

وِثَانِيَهُمَا: التَّمْثِيلُ غَيْرُ الْمَخْضِ، وَذَلِكَ بِأَنْ يُتَصَوَّرَ لَهُ اسْتَفْزَاذٌ وَصَوْتٌ وَرَجَلٌ وَخَيْلٌ (٣)  
مِجَازِيًّا، كَمَا قَالَ (٤): «بَدَعَائِهِ إِلَى الشَّرِّ»، وَرَجَلُهُ: كُلُّ رَاكِبٍ وَمَاشٍ مِنْ أَهْلِ الْعَبَثِ.

قَوْلُهُ: (بِمِغْوَارٍ). الْجَوْهَرِيُّ: رَجُلٌ مِغْوَارٌ وَمِغَاوِرٌ، أَي: مُقَاتِلٌ، وَقَوْمٌ مِغَاوِيرٌ، وَخَيْلٌ  
مُغِيرَةٌ.

(١) فِي (ف): «أَدْخَلْتُهُ».

(٢) «مَفْرَدَاتُ الْقُرْآنِ»، ص ٣٤٤-٣٤٥.

(٣) مِنْ قَوْلِهِ: «بِحَالَةِ مِغْوَارٍ مَقْدَرَةٍ فِيهَا» سَقَطَ مِنْ (ط).

(٤) يَعْنِي الزَّخْشَرِيَّ.

مَرَاكِزِهِمْ، وَأَجْلَبَ عَلَيْهِمْ بَجُنْدِهِ مِنْ خَيَالِهِ وَرَجَالِهِ حَتَّى اسْتَأْصَلَهُمْ. وَقِيلَ: بِصَوْتِهِ: بَدُعَاتِهِ إِلَى الشَّرِّ. وَخَيْلَهُ وَرَجُلَهُ: كُلُّ رَاكِبٍ وَمَاشٍ مِنْ أَهْلِ الْعَيْثِ. وَقِيلَ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِإِبْلِيسَ خَيْلٌ وَرِجَالٌ، وَأَمَّا الْمَشَارِكَةُ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ: فَكُلُّ مَعْصِيَةٍ يَحْمِلُهَا عَلَيْهَا فِي بَابِهَا، كَالرِّبَا، وَالْمَكَاسِبِ الْمُحَرَّمَةِ، وَالْبَحِيرَةُ وَالسَّائِبَةُ، وَالْإِنْفَاقُ فِي الْفُسُوقِ، وَالْإِسْرَافِ، وَمَنْعِ الزَّكَاةِ، وَالتَّوَصُّلِ إِلَى الْأَوْلَادِ بِالسَّبَبِ الْحَرَامِ، وَدَعْوَى وَلَدٍ بغيرِ سَبَبٍ، وَالتَّسْمِيَةِ بِعَبْدِ الْعَزَى وَعَبْدِ الْحَارِثِ، وَالتَّهْوِيدِ وَالتَّنْصِيرِ، وَالْحَمَلِ عَلَى الْحَرْفِ الذَّمِيمَةِ وَالْأَعْمَالِ الْمَحْظُورَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ. ﴿وَعَدَهُمْ﴾ الْمَوَاعِيدَ الْكَاذِبَةَ؛ مِنْ شَفَاعَةِ الْآلِهَةِ، وَالكَرَامَةِ عَلَى اللَّهِ بِالْأَنْسَابِ الشَّرِيفَةِ، وَتَسْوِيفِ التَّوْبَةِ وَمَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ بِدُونِهَا، وَالْإِتْكَالِ عَلَى الرَّحْمَةِ، وَشَفَاعَةِ الرَّسُولِ فِي الْكِبَائِرِ، وَالخُرُوجِ مِنَ النَّارِ بَعْدَ أَنْ يَصِيرُوا حُمَمًا، وَيُثَارِ الْعَاجِلِ عَلَى الْآجِلِ. ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾: يُرِيدُ الصَّالِحِينَ ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ﴾ أَي: لَا تَقْدِرُ أَنْ تُغْوِيَهُمْ، ﴿وَكُفِّنَ بِرَبِّكَ وَكَيْلًا﴾ لَهُمْ يَتَوَكَّلُونَ بِهِ فِي الْإِسْتِعَاذَةِ مِنْكَ، وَنَحْوَهُ قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُتَخَلِّصِينَ﴾ [الحجر: ٤٠، ص: ٨٣] فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ جَازَ أَنْ يَأْمُرَ اللَّهُ إِبْلِيسَ بِأَنْ يَتَسَلَّطَ عَلَى عِبَادِهِ مُغْوِيًا مُضِلًّا، دَاعِيًا إِلَى

قَوْلُهُ: (وَتَسْوِيفِ التَّوْبَةِ وَمَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ بِدُونِهَا وَالْإِتْكَالِ عَلَى الرَّحْمَةِ وَشَفَاعَةِ الرَّسُولِ ﷺ فِي الْكِبَائِرِ)، الْإِتْنِصَافُ: «وَعَدَ اللَّهُ الْمَغْفِرَةَ وَعَلَّقَهَا بِالْمَشِيئَةِ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ، وَجَعَلَهَا الزَّمْحَشْرِيَّ مِنْ وَعْدِ الشَّيْطَانِ، وَكَذَلِكَ جَعَلَ وَعْدَ الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ بِالشَّفَاعَةِ مِنْ مَوَاعِيدِ الشَّيْطَانِ، وَأَقْلُ عَقُوبَتِهِ فِي ذَلِكَ جِرْمَانُهَا»<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ: (وَنَحْوَهُ قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ﴾)، أَي: نَحْوُ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ وَكُفِّنَ بِرَبِّكَ وَكَيْلًا﴾ [الإسراء: ٦٥].

قَوْلُهُ: (﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُتَخَلِّصِينَ﴾)؛ لِأَنَّ مَنْ كَفَّاهُ مَالِكُ اللَّعِينِ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا، لَا يَكُونُ إِلَّا عَبْدًا مُكْرَمًا مُخْلِصًا.

(١) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٢: ٦٧٨).

الشر، صادقاً عن الخير؟ قلت: هو من الأوامر الواردة على سبيل الخذلان والتخليه، كما قال للعصاة: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠].

[﴿زَيْجِي﴾ الَّذِي يُزِيحُ لَكُمْ الْفَلَكَ فِي الْبَحْرِ لِيَتَبَنَّوْا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَتْ بِكُمْ رَحِيمًا \* وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا نَجَّكُمُ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ ٦٦-٦٧]

﴿زَيْجِي﴾: يُجْرِي وَيُسِير. وَالضُّرُّ: خَوْفُ الْعَرَقِ. ﴿ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا﴾: ذَهَبَ عَنْ أَوْهَامِكُمْ وَخَوَاطِرِكُمْ كُلِّ مَنْ تَدْعُونَهُ فِي حَوَادِثِكُمْ إِلَّا إِلَٰهًا وَحْدَهُ، فَإِنَّكُمْ لَا تَذْكُرُونَ سِوَاهُ، وَلَا تَدْعُونَهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَلَا تَعْقِدُونَ بِرَحْمَتِهِ رَجَاءَكُمْ، وَلَا تُحْطِرُونَ بِبَالِكُمْ أَنْ غَيْرَهُ يَقْدِرُ عَلَى إِغَاثَتِكُمْ، أَوْ لَمْ يَهْتَدِ لِإِنْقَادِكُمْ أَحَدٌ غَيْرُهُ مِنْ سَائِرِ الْمَدْعُوعِينَ. وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ: ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ مِنَ الْآلِهَةِ عَنْ إِغَاثَتِكُمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي تَرْجُوهُ وَحْدَهُ، عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ الْمُنْقَطِعِ.

[﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخَسِّفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا \* أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ ٦٨-٦٩]

﴿أَفَأَمِنْتُمْ﴾: الْهَمَزَةُ لِلْإِنْكَارِ، وَالْفَاءُ لِلعَطْفِ عَلَى مَحذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: أَنْتَجَوْتُمْ فَأَمِنْتُمْ، فَحَمَلَكُمْ ذَلِكَ عَلَى الْإِعْرَاضِ؟! فَإِنْ قُلْتَ: بِمِ انتَصَبَ ﴿جَانِبَ الْبَرِّ﴾؟ قُلْتَ: بـ ﴿يُخَسِّفُ﴾ مَفْعُولًا بِهِ، كَالْأَرْضِ فِي قَوْلِهِ: ﴿حَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ [القصص: ٨١]، و﴿بِكُمْ﴾:

قَوْلُهُ: (على الاستثناء المنقطع)، أي: على الوجه الأخير، ويُفهم أنه على الأول والثاني متصل، أما على الأول فـ ﴿ضَلَّ﴾ مَضْمَنٌ لِمَعْنَى «ذَهَبَ»، وَفَاعِلُهُ الذَّكْرُ، أَي: ذَهَبَ عَنْ أَوْهَامِكُمْ ذِكْرُ كُلِّ مَنْ تَدْعُونَهُ إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ، يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: «لَا يَذْكُرُونَ سِوَاهُ»، وَعَلَى الثَّانِي: «ضَلَّ» جُرَى عَلَى حَقِيقَتِهِ، وَلِلذَلِكَ قَالَ: أَوْ لَمْ يَهْتَدِ لِإِنْقَادِكُمْ؟



حال، والمعنى: أن يخسف جانب البرّ، أي: يقلبه وأتم عليه. فإن قلت: فما معنى ذكر الجانب؟ قلت: معناه: أن الجوانب والجِهات كلها في قدرته سواء، وله في كل جانب بَرًا كان أو بحرًا سبب مُرصدٌ من أسبابِ الهلكة، ليس جانب البرّ وحده مُحْتَصًا بذلك، بل إن كان الغرقُ في جانب البحر، ففي جانب البرّ ما هو مثله، وهو الحسف؛ لأنه تغييبٌ تحت التراب كما أن الغرقُ تغييبٌ تحت الماء، فالبرّ والبحرُ عنده سِيانٌ يقدرُ في البرّ على نحو ما يقدرُ عليه في البحر، فعلى العاقل أن يستوي خوفه من الله في جميع الجوانبِ وحيث كان، ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾؛ وهي: الرِّيحُ التي تَحْصِبُ، أي: ترمي بالحصباء، يعني: أو إن لم يُصِبْكم بالهلاكِ من تحتكم بالحسف، أصابكم به من فوقكم بريحٍ يُرْسِلُها عليكم فيها الحصباءُ يرجمكم بها، فيكون أشدَّ عليكم من الغرقِ في البحر. ﴿وَكَيْلًا﴾: مَنْ يَتَوَكَّلْ بِصَرْفِ ذَلِكَ عَنْكُمْ. ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ﴾ أن يُقَوِّيَ دواعيكم ويوفّر حوائجكم إلى أن ترجعوا فتركبوا البحرَ الذي نجاكم منه

قوله: (فما معنى ذكر الجانب؟)، دلّت الفاءُ في السؤالِ على السببية، يعني: ذكرت أن ﴿جَانِبَ الْبَرِّ﴾: مفعولٌ به، كـ ﴿الْأَرْضَ﴾ في قوله: ﴿حَسَفْنَا بِهِ، وَيَدَارِهُ الْأَرْضَ﴾ [القصص: ٨١]، فما معنى زيادة الجانبِ في هذه الآية؟ وأجاب عنه: أن الزيادة دلّت على أن الكلامَ في هذا المقامِ في الجانب، وأن جانبي البرّ والبحرِ سِيانٌ تحت قهره وسلطانِه سبحانه وتعالى، وذلك أنهم قطّعوا أن الهلاكَ مختصٌّ بجانب البحر، وأن جانب البرّ مكانُ الأمنِ ومَنزِلُ الرفاهيةِ ومَهْبِطُ البَطْرِ والأشْر، دلّ على ذلك فعلهم: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّوهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

قوله: (أن يُقَوِّيَ دواعيكم ويوفّر حوائجكم)، إعلَامٌ بأن «أم» في قوله: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ﴾ مُنْقَطِعَةٌ، والهمزةُ فيها للإنكارِ والتوبيخ، ويؤيِّدهُ تقديرُه «نَجَوْتُمْ» بعدَ الهمزة، وعطفُ ﴿أَمِنْتُمْ﴾ عليه في القرينةِ الأولى، يعني: هبوا آتكم تخلصتم من الغرقِ في البحر، فكيف تتخلصون من الحسفِ في البرّ؟ ثمّ أضرَبَ عنه، أي: دعوا الحسفَ، بل كيف تأمنون أن الله يقوِّي دواعيكم فتورث البخلُ الخالِعَ والحِرصُ الهالِع، فتعودون إلى ما نجوتم منه فيُغْرِقْكم به. وفي تدليل كلِّ من الآيتينِ معنى التَّرَقِّي؛ دُيِّلَتِ الأولى بقوله: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ

فأعرضتم، فَيَنْتَقِمُ منكم بأن يُرْسِلَ ﴿قَاصِفًا﴾؛ وهي الرِّيحُ التي لها قَصِيفٌ؛ وهو الصَّوْتُ الشديد، كأنها تَقْصِفُ، أي: تتكسَّر. وقيل: التي لا تمرُّ بشيءٍ إلا قَصَفَتْهُ ﴿فَيَغْرِقُكُمْ﴾، وقرئ بالتاء، أي: الرِّيح، وبالنون، وكذلك: ﴿يَخْصِفُ﴾، و﴿تُرْسِلَ﴾، و﴿يُعِيدُكُمْ﴾، قرئت بالياء والنون. التَّبِيعُ: المُطَالِبُ، من قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَتْبَاعُ يَأْمَعُورٍ﴾ [البقرة: ١٧٨]، أي: مُطَالِبَةٌ. قال الشَّامِحُ:

### كما لاذَّ الغريمُ من التَّبِيعِ

وَكَيْلًا﴾، أي: مَنْ يَتَوَكَّلُ بِصَرْفِ ذَلِكَ عنكم؟ والثانية بقوله: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا الْكُرْعَيْنَا بِهِ. يَتَّبِعَا﴾ أي: مُطَالِبًا يُطَالِبُنَا بِمَا فَعَلْنَا دَرَكًا لِلثَّارِ؛ لِأَنَّ طَلَبَ الثَّارِ بَعْدَ الْهَلَاكِ وَالتَّوَكُّلِ قَبْلَهُ.

قوله: (فَأَعْرَضْتُمْ فَيَنْتَقِمُ منكم، بأن يُرْسِلَ) الفاءُ في «فَأَعْرَضْتُمْ» عاطفةٌ عَقَبَتْ «نَجَاكُمْ» بـ «أَعْرَضْتُمْ»؛ وفي «فَيَنْتَقِمُ» مؤذنةٌ بآنِ الفاءِ في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَيُرْسِلُ﴾ فصِيحَةٌ مُقْتَضِيَةٌ لِتَقْرِيرِ «فَيَنْتَقِمُ»؛ لِأَنَّ مَجْرَدَ إِعَادَتِهِمْ فِي الْبَحْرِ لَيْسَ مُوجِبًا لِإِرْسَالِ مَا يُغْرِقُهُمْ، بَلْ سَبَبُ ذَلِكَ إِرَادَةُ الْإِنْتِقَامِ مِنَ الْإِعْرَاضِ السَّابِقِ بِوَسْطَةِ الرِّيحِ الْقَاصِفِ.

قوله: ﴿فَيَغْرِقُكُمْ﴾، وقرئ بالتاء: ابنُ كثيرٍ وأبو عمرو: بالنون<sup>(١)</sup>، والباقون: بالياءِ التَّحْتَانِيَّةِ، وبالتاء: شاذَّةٌ، وعلى هذا ﴿يُعِيدُكُمْ﴾.

قوله: (كما لاذَّ الغريمُ من التَّبِيعِ)<sup>(٢)</sup>، لاذَّ: أي التَّجَا. الأساس: ما وَجَدْتُ لِي عَلَى فُلَانٍ تَبِيعًا، أي: مُتَابِعًا نَاصِرًا لِي عَلَيْهِ.

(١) وَحُجَّتْهُمَا قَوْلُهُ تَعَالَى بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا الْكُرْعَيْنَا بِهِ. يَتَّبِعَا﴾ كَأَنَّهُ لَمَّا أَتَى الْكَلَامَ عَقِيْبَهُ بِلَفْظِ الْجَمْعِ جَعَلَ مَا قَبْلَهُ عَلَى لَفْظِهِ لِأَيَّامِ نِظَامِ الْكَلَامِ عَلَى لَفْظٍ وَاحِدٍ. وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالْيَاءِ إِجْبَارًا عَنِ اللَّهِ، وَحُجَّتْهُمُ أَنَّ الْكَلَامَ ابْتَدَأَ بِهِ بِالْحَبْرِ عَنِ اللَّهِ بِلَفْظِ التَّوْحِيدِ، فَقَالَ: ﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُرْجِي لَكُمْ أَلْفُلَكُمْ﴾ [الإسراء: ٦٦] وَقَالَ: ﴿ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهَهُ﴾ [الإسراء: ٦٧] فَجَعَلُوا مَا أَتَى عَقِيْبَهُ مِنَ الْكَلَامِ جَارِيًا عَلَى مَعْنَاهُ؛ لِأَنَّ الْقِصَّةَ وَاحِدَةً، وَالْكَلَامَ يَتَّبِعُ بَعْضُهُ بَعْضًا. انْتَهَى مِنَ «حُجَّةِ الْقِرَاءَاتِ»، ص ٤٠٦-٤٠٧.

(٢) الْبَيْتُ لِلشَّامِحِ الذَّبِيانِي فِي «دِيَوَانِهِ»، ص ٢٢٧، وَصَدْرُهُ:

تَلَوْدُ ثَعَالِبِ الشَّرْقَيْنِ مِنْهَا

يُقال: فُلَانٌ عَلَى فُلَانٍ تَبِيعٌ بِحَقِّهِ، أَي: مَسِيطِرٌ عَلَيْهِ مُطَالِبٌ لَهُ بِحَقِّهِ، وَالْمَعْنَى: إِنَّا نَفْعَلُ مَا نَفْعَلُ بِهِمْ، ثُمَّ لَا نَحْدُ أَحَدًا يُطَالِبُنَا بِمَا فَعَلْنَا؛ ائْتِصَارًا مِنَّا وَدَرَكًا لِلثَّارِ مِنْ جِهَتِنَا، وَهَذَا نَحْوُ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ [الشمس: ١٥]. ﴿بِمَا كَفَرْتُمْ﴾: بِكُفْرَانِكُمْ النُّعْمَةَ، يَرِيدُ: إِعْرَاضَهُمْ حِينَ نَجَاهُمْ.

[﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الْآلِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ ٧٠]

قِيلَ فِي تَكْرِمَةِ ابْنِ آدَمَ: كَرَّمَهُ اللَّهُ بِالْعَقْلِ، وَالنُّطْقِ، وَالتَّمْيِيزِ، وَالْحَطِّطِ، وَالصُّورَةِ الْحَسَنَةِ، وَالْقَامَةِ الْمُعْتَدِلَةِ، وَتَدْبِيرِ أَمْرِ الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ. وَقِيلَ: بِتَسْلِيطِهِمْ عَلَى مَا فِي الْأَرْضِ وَتَسْخِيرِهِ لَهُمْ. وَقِيلَ: كُلُّ شَيْءٍ يَأْكُلُ فِيهِ إِلَّا ابْنَ آدَمَ. وَعَنِ الرَّشِيدِ: أَنَّهُ أَحْضَرَ طَعَامًا فَدَعَا بِالْمَلَاعِقِ وَعِنْدَهُ أَبُو يُوسُفَ، فَقَالَ لَهُ: جَاءَ فِي تَفْسِيرِ جَدِّكَ ابْنِ عَبَّاسٍ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾: جَعَلْنَا لَهُمْ أَصَابِعَ يَأْكُلُونَ بِهَا، فَأَحْضَرَتِ الْمَلَاعِقُ فَرَدَّهَا وَأَكَلَ بِأَصَابِعِهِ. ﴿عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا﴾: هُوَ مَا سِوَى الْمَلَائِكَةِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَحَسَبُ بَنِي آدَمَ تَفْضِيلًا أَنْ تُرْفَعَ عَلَيْهِمِ الْمَلَائِكَةُ وَهُمْ هُمْ، وَمَنْزِلَتُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ

قَوْلُهُ: (وَهَذَا نَحْوُ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ [الشمس: ١٥])، أَي: لَا يَخَافُ اللَّهُ عَاقِبَتَهَا وَتَبِعَتَهَا، كَمَا يَخَافُ كُلُّ مَعَاقِبٍ مِنَ الْمُلُوكِ فَيُبْقِي بَعْضَ الْإِبْقَاءِ.

قَوْلُهُ: (وَحَسَبُ بَنِي آدَمَ تَفْضِيلًا)، يَعْنِي: دَلَّ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ عَلَى كَرَامَتِهِمْ، وَيَكْفِيهِمْ مِنْ هَذِهِ الْكِرَامَةِ أَنْ يَكُونُوا دُونَ الْمَلَائِكَةِ فِيهَا وَنَازِلِينَ عَنْ مَنْزِلَةِ الَّذِينَ هُمْ الْمَشْهُورُونَ الْكَامِلُونَ وَبُقُرْبٍ مِنَ اللَّهِ مَعْرُوفُونَ، أَوْ يَكُونُوا مَفْضَلِينَ عَلَى غَيْرِهِمْ، كَمَا تَقُولُ: يَكْفِيكَ مِنَ الشَّرَفِ أَنْ تَكُونَ ثَانِي الْأَمِيرِ فِي الْمَنْزِلَةِ.

قَوْلُهُ: (وَهُمْ هُمْ)، وَقَوْلُهُ: «وَمَنْزِلَتُهُمْ مَنْزِلَتُهُمْ»، مِثْلُ قَوْلِ أَبِي النَّجْمِ:

مَنْزِلَتُهُمْ. وَالْعَجْبُ مِنَ الْمَجْبِرَةِ كَيْفَ عَكَّسُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ وَكَابَرُوا، حَتَّى جَسَّرْتَهُمْ عَادَةً الْمَكَابِرَةَ عَلَى الْعَظِيمَةِ الَّتِي هِيَ تَفْضِيلُ الْإِنْسَانِ عَلَى الْمَلِكِ، وَذَلِكَ بَعْدَمَا سَمِعُوا تَفْخِيمَ اللَّهِ أَمْرَهُمْ وَتَكْثِيرَهُ مَعَ التَّعْظِيمِ ذِكْرَهُمْ، وَعَلِمُوا أَيْنَ أَسْكَنَهُمْ، وَأَتَى قَرَبَهُمْ، وَكَيْفَ نَزَّهَهُمْ مِنْ أَنْبِيَائِهِ مَنْزِلَةَ أَنْبِيَائِهِ مِنْ أُمَّهَاتِهِمْ، ثُمَّ جَرَّهُمْ فَرَطُ التَّعَصُّبِ عَلَيْهِمْ إِلَى أَنْ

أنا أبو النجم وشعري شعري<sup>(١)</sup>

أي: أنا ذلك المشهورُ الموصوفُ بالكمال، وشعري هو الموصوفُ المشهورُ بالبلاغة.

قوله: (وتكثيره مع التعظيم ذكرهم)، أي: تكثير الله ذكرهم مع التعظيم في كتابه، «مع التعظيم» حال من الفاعل والمفعول.

قال صاحب «التقريب»: ولقد تشنع هاهنا حتى أفحش، فالقول بتفضيل الملك أحد قوَي أهل السنة، ومذهب ابن عباس واختيار الزجاج<sup>(٢)</sup>، وأيضاً غاية التمسك بالمفهوم، وهو أن تخصيص الكثير يدل على أن القليل يصاد<sup>(٣)</sup> ذلك، واختلف في كونه حجة على أبي حنيفة رضي الله عنه يقول بالمفهوم<sup>(٤)</sup>، ثم المفهوم إنما يدل على أنه ليس مُفضَّلاً على القليل<sup>(٥)</sup>، ولا يلزم منه مذهبه، وهو تفضيل القليل، فقد يستويان، ثم ليُحتمل أن يُراد بـ ﴿كثير ممن خلقنا﴾: الملائكة، إذ هم كثير من العقلاء المخلوقين، فيكون بنو آدم أفضل منهم. وعلى الجملة فذلك التشنيع شنيع<sup>(٦)</sup>.

(١) سبق تحريجه.

(٢) انظر بحث هذه المسألة في «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١: ٢٩٢) ففيه بحثٌ نافعٌ محرَّر.

(٣) في (ط): «بصدد»، ولعل الصواب ما أثبتنا.

(٤) كذا في (ط)، وفي العبارة خلل، ولعله سقطت منها كلمة أو جملة، مثل: «كيفية يقول بالمفهوم» أو نحو ذلك، والله أعلم.

(٥) من قوله: «يصاد ذلك»، واختلف في كونه حجة إلى هنا، سقط من (ف)، وكذا من (ط) كما سيأتي التنبيه إليه.

(٦) من قوله: «قال صاحب التقريب» إلى هنا سقط من (ح) و(ف).

لَفَقُوا أَقْوَالًا وَأَخْبَارًا؛ مِنْهَا: قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: رَبَّنَا إِنَّكَ أَعْطَيْتَ بَنِي آدَمَ الدُّنْيَا يَأْكُلُونَ مِنْهَا وَيَتَمَتَّعُونَ وَلَمْ تُعْطِنَا ذَلِكَ، فَأَعْطِنَاهُ فِي الْآخِرَةِ، فَقَالَ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، لَا أَجْعَلُ ذُرِّيَّةً مَن خَلَقْتُ بِيَدَيَّ كَمَنْ قُلْتُ لَهُ: كُنْ، فَكَانَ. وَرَوَوْا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّهُ قَالَ: لَمْؤْمِنٌ أَكْرَمٌ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ عِنْدَهُ. وَمَنْ ارْتَكَبَهُمْ: أَنَّهُمْ فَسَّرُوا «كثيْرًا» بِمَعْنَى: «جَمِيعٍ» فِي هَذِهِ الْآيَةِ، .....

قوله: (رَبَّنَا إِنَّكَ أَعْطَيْتَ بَنِي آدَمَ الدُّنْيَا يَأْكُلُونَ مِنْهَا وَيَتَمَتَّعُونَ) الحديث، نحوه رواه محيي السنّة في «المصابيح»<sup>(١)</sup>، وفي «المعالم»<sup>(٢)</sup>: وَرَوَى شَيْخِي فِي «الْمَعْتَمَدِ»، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعْبِ الْإِيمَانِ»<sup>(٣)</sup>، عَنْ جَابِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَذُرِّيَّتَهُ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبِّ، خَلَقْتَهُمْ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَنْكِحُونَ وَيَرْكَبُونَ، فَاجْعَلْ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلِنَا الْآخِرَةَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: لَا أَجْعَلُ مَن خَلَقْتَهُ بِيَدَيَّ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي كَمَنْ قُلْتُ لَهُ: كُنْ، فَكَانَ»<sup>(٤)</sup>. وَأَمَّا الْحَدِيثُ الْآخِرُ فَقَدْ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْ بَعْضِ مَلَائِكَتِهِ»<sup>(٥)</sup>.

قوله: (فَسَّرُوا «كثيْرًا» بِمَعْنَى: جَمِيعٍ) قَالَ مُحْيِي السُّنَّةِ: وَظَاهِرُ الْآيَةِ أَنَّهُ فَضَّلَهُمْ عَلَى

(١) «مصابيح السنّة» للبخاري (٤: ٣١).

(٢) «معالم التنزيل» (٥: ١٠٩).

(٣) «شعب الإيمان» (١٤٧) وقال: في ثبوته نظر، ومن قال في الملائكة: هم قبيلان أشبه أن يقول في هذا: أراد القبيل الذين كان منهم إبليس دون الملا الأعلى، وهم الأشراف والعظماء، والله تعالى أعلم.

(٤) وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٤٧٨)، وفي «المعجم الأوسط» (٦١٧٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١: ٩٧) وقال: رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط»، وفيه إبراهيم بن عبد الله بن خالد المصيصي وهو كذاب متروك، وفي سنن «الأوسط» طلحة بن زيد، وهو كذاب أيضًا.

(٥) أخرجه ابن ماجه (٣٩٤٧)، وضعفه البوصيري في «زوائد ابن ماجه» (٣: ٢٢٧) وأعله بأبي المهزم، يزيد بن سفيان، ضعيف الحديث.

وأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٥٠) موقوفًا على أبي هريرة رضي الله عنه وقال: كذا رواه أبو المهزم عن أبي هريرة موقوفًا، وأبو المهزم متروك. ولتمام الفائدة انظر: «تخریج أحاديث الكشاف» للمحافظ الزيلعي (٢: ٢٧٨).

## وَحُدِّلُوا حَتَّىٰ سُلِبُوا الدُّوقَ .....

كثير ممن خلقه، لا على الكُلِّ، وقال قومٌ: فُضِّلوا على جميع الخلق وعلى الملائكة كلهم، وقد يوضعُ الأكثرُ موضعَ الكُلِّ، كما قال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَيْتُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ كَذِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢١-٢٢٣] (١)، وفسر المصنّف في قوله: ﴿ وَمَا يَبِغُ أَكْثَرُهُمْ لِأَظْنًا ﴾ [يونس: ٣٦] الأكثر: بالجميع (٢).

قوله: (سُلبوا الدُّوقَ)، أرادَ بالدُّوقِ: ما تجده نفسُ الفطنِ الذكي من التفاوتِ بين اللَّفظين، ووضع جميع موضع كثير، فإن هذا التركيب من باب تعليق الحكم بإحدى صفتي الذات (٣) للدلالة على نفى الحكم عما عداه، ومعناه: أنه حصل في المخلوقات ما لا يكون الإنسان أفضل منه، وهم الملائكة، وهذا تقديرُ الإمام (٤)، وإلا فأبي فائدة في العُدولِ من لفظِ الكُلِّ والجميع إليه؟

ونحوه ما روي عن أبي عبيدة (٥) - وهو من علماء العربية - أنه قال في مثل قولهم: الميِّت اليهودي لا يبصر، أنه يتبادر منه إلى الفهم أن الميِّت المسلم يبصر، ولذلك يتعجب ويضحك منه كلُّ أحد، وإلا لم يكن لذلك الضحك والتعجب (٦) وجه.

ولعلَّ إحالته إلى الدُّوقِ تعريضٌ بأصحابه الذين منعوا القولَ بالمفهوم، فنقول: الظاهر أن المفضل عليه كثيرٌ، و﴿ مِمَّنْ خَلَقْنَا ﴾: بيان له، وفي الحقيقة بالعكس على ما سبق في قوله تعالى: ﴿ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ﴾ [يونس: ٢٧]، قال: عاملٌ ﴿ مُظْلِمًا ﴾

(١) «معالم التنزيل» (٥: ١٠٨) ثم قال: «والأولى أن يُقال: عوامُّ المؤمنين أفضل من عوامِّ الملائكة، وخواصُّ المؤمنين أفضل من خواصِّ الملائكة. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ [البينة: ٤٧].

(٢) انظر: (٧: ٤٨٥).

(٣) في (ح): «الصفتين للذات».

(٤) في «مفاتيح الغيب» (٢١: ١٢).

(٥) معمر بن المثنى، سبقت ترجمته.

(٦) سقط لفظ: «والتعجب» من (ح).

﴿أَغْشَيْتَ﴾ مِنْ قِبَلِ أَنْ ﴿مِنْ أَيْلٍ﴾: صفة لقوله: ﴿قَطَعًا﴾، فكان إفضاؤه إلى الموصوف كإفضائه إلى الصفة<sup>(١)</sup>.

وحقَّقه شيخنا المغفور [له] أمينُ الدِّينِ الشَّرْفَشاہيُّ بأن قال: إن نسبة ﴿أَغْشَيْتَ﴾ إلى ﴿قَطَعًا﴾ إنما هي باعتبار ذاتها المبهمة المفسرة بالليل، لا باعتبار مفهوم القطع في نفسها، وإنما ذكرت لبيان مقدار ما أغشيت به، وهو الليل، كما إذا قيل: اشتريت أرطالاً من الزيت، فإن المشتري الزيت، والأرطال مبينة لمقدار ما اشتري، وهاهنا المفضل عليه ممن ﴿خَلَقْنَا﴾ و﴿كَبِيرٍ﴾ مبيِّنٌ لمقدار كميتيه، وعليه قولك: رأيت أسداً منك، على التجريد، فإن المرثي المخاطب، والأسد: لبيان كيفية حال المرثي من الجرأة والشجاعة، ولا شك أن ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا﴾ متناول لمن يعقل من المخلوقات، وهو منحصر في الملائكة والثقلين، وخرج منه بنو آدم؛ لأن الشيء لا يفضل على نفسه، فيبقى الملائكة والجن.

فظهر أن فائدة استجلاب الوصف ليس إلا لبيان كمية المفضل عليه الذي يقتضيه مقام المدح للمفضل، فلا يُحمَلُ على المفهوم، نحو: «في سائمة الغنم زكاة»<sup>(٢)</sup>، إذ لا فائدة فيه للوصف سوى التخصيص.

وأما كون المقام مقام مدح فإن الآية أخرجت مخرج القسيمة، وكرّر فيها ما يُنبئ عن غاية المدح من ذكر الكرامة والتفضيل وتسخير الأشياء على سبيل الترقى، كأنه قيل: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ بكرامة أبيهم، ثم سخرنا لهم الأشياء ﴿وَوَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ﴾، ثم فضلناهم تفضيلاً أي تفضيل، ولهذا عقب بها قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾، وهو لبيان كرامة أبيهم، بجعل سجود الملائكة المقربين بعد ذكرهم فيه ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠]، ومن ثم طرد اللعين حيث قاس الفضل بالعقل وامتنع عن السجود

(١) انظر: «الكشاف» (٧: ٤٧٣).

(٢) هذا مستفاد من حديث مرفوع ثابت في «صحيح البخاري» (١٤٥٤)، و«سنن أبي داود» (١٥٦٧) وغيرهما من حديث أنس رضي الله عنه.

الذي يدُلُّ على فضله وكرامته، وما توسَّطت بينهما من الآيات كالاستطراد والاعتراض يدُلُّ عليه الاتفاق بين قوله: ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ تَحْتِ الطُّيُوتِ﴾، وقوله: ﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُزِيحُ لَكُمْ الْفَلَكَ فِي الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ [الإسراء: ٦٦] كما بيَّن هذه الكرامة والكرامة بالسجود. ويعضده الحديث المروي عن جابر كما مر.

هذا على أن يكون ﴿وَمِنْ﴾ بياناً، وإذا جعل تبعيضاً كان ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا﴾: بدلاً، أي: فضلناهم على بعض المخلوقين، وذكر البعض في هذا المقام يدُلُّ على تعظيم المفضل عليه، كما سبق في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، وأي مدح لبني آدم وإثبات للفضل والكرامة بالجملة القسمية، إذ جعلوا مفضلين على الشياطين والجن؟ على أن صفة الكثرة، إذا جعلت مخصصة لإخراج البعض، كانت بالملائكة أولى من الجن والشياطين؛ لأنهم هم الموصوفون بالكثرة، وإليه ينظر قول صاحب «التقريب».

ثم يحتمل أن يراد بـ ﴿كثير ممن خلقنا﴾: الملائكة، إذ هم كثير من العقلاء المخلوقين. رويناه عن الترمذي، عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطيت السماء وحُق لها أن تنط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته لله ساجدا»<sup>(١)</sup>، الحديث.

وذكر شيخنا شيخ الإسلام في كتاب «الرشف»<sup>(٢)</sup>، أنه ورد أن البيت المعمور يطوف به كل يوم سبعون<sup>(٣)</sup> ألفاً لا يعودون إليه إلى يوم القيامة<sup>(٤)</sup>. وورد أن كل قطرة تنزل من

(١) أخرجه الترمذي (٢٣١٢)، وابن ماجه (٤١٩٠)، والبرز في «المسند» (٣٥٢٤)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١١٣٥)، وغيرهم، وهو حديث حسن لغيره، وانظر تمام تحريجه وتنقيده في «مسند الإمام أحمد» (٢١٥١٦).

(٢) يعني كتاب «كشف الفضائح اليونانية ورشف النصائح الإيبانية» للشهاب الشهرزدي، سبق التعريف به.

(٣) في (ح): سبعين، وهو خطأ.

(٤) انظر: «كشف الفضائح اليونانية»، ص ١٧٩. والحديث المذكور هو جزء من حديث المعراج الطويل، أخرجه البخاري (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٢) (٢٥٩) من حديث أنس رضي الله عنه.



فلم يُحْسُوا بِبِشَاعَةِ قَوْلِهِمْ: وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى جَمِيعِ مَنْ خَلَقْنَا، عَلَى أَنْ مَعْنَى قَوْلِهِمْ: «عَلَى جَمِيعِ مَنْ خَلَقْنَا» أَشْجَى لِحُلُوقِهِمْ وَأَقْدَى لِعِيُونِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَشْعُرُونَ، فَاَنْظُرْ إِلَى تَمَحُّلِهِمْ وَتَشْبِثِهِمْ بِالتَّأْوِيلَاتِ البَعِيدَةِ فِي عَدَاوَةِ المَلَأِ الأَعْلَى، كَأَنَّ جِبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ غَاظَهُمْ حِينَ أَهْلَكَ مَدَائِنَ قَوْمِ لُوطٍ، فَتِلْكَ السَّخِيمَةُ لَا تَنْحَلُّ عَنْ قُلُوبِهِمْ.

السَّحَابِ إِلَى الأَرْضِ يَصْحَبُهَا ثَلَاثَةُ أَمْلاكٍ<sup>(١)</sup>، فَظَهَرَ أَنَّ لَيْسَ المرادُ مِنْ قَوْلِنَا: «فُضِّلُوا عَلَى الجَمِيعِ»، أَنَّهُ وَضِعَ «الكَثِيرِ» مَوْضِعَ «الجَمِيعِ» فِي التَّلَاوَةِ لِيَلْزَمَ البِشَاعَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا، بَلِ الجَمِيعُ لَازِمُ المَعْنَى.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: (أَشْجَى لِحُلُوقِهِمْ)<sup>(٢)</sup> فَلَعَلَّ مرادَهُ أَنَّهُمْ إِنَّمَا قَرَّوْا مِنْ دِلَالَةِ المَفْهُومِ وَفَسَّرُوا «الكَثِيرَ» بِ«الجَمِيعِ» لِثَلَا يَلْزَمَ فَضْلُ المَلَائِكَةِ عَلَيْهِمْ، لَكِنْ لَزِمَهُمْ مِنْ هَذَا مَا هُوَ أَفْطَعُ مِنْهُ، وَهُوَ فَضْلُ الحَدَّادِينَ وَالحَيَّاكِينَ، بَلِ الكَافِرِينَ، عَلَى النُّفُوسِ الطَّاهِرَةِ الزَّكِيَّةِ.

وَأُجِيبَ عَنْهُ: أَنَّهُ كَمَا لَا يَلْزَمُ مِنْ قَوْلِنَا: «الرِّجَالُ أَفْضَلُ مِنَ النِّسَاءِ» فَضْلُ كُلِّ فَرْدٍ عَلَى كُلِّ فَرْدٍ، كَذَلِكَ لَا يَلْزَمُ ذَلِكَ. وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: «المُؤْمِنُ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْ بَعْضِ المَلَائِكَةِ»<sup>(٣)</sup>، إِشَارَةٌ إِلَى تَفْضِيلِ الآيَةِ، وَحَدِيثِ جَابِرٍ، وَهُوَ مَا قِيلَ: خَوَاصُّ الإِنْسَانِ مِثْلُ الأنْبِيَاءِ أَفْضَلُ مِنْ خَوَاصِّهِمْ<sup>(٤)</sup>، وَبَعْضُ عَوَامِّ الإِنْسَانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ<sup>(٥)</sup> أَفْضَلُ مِنْ عَوَامِّهِمْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَوْلُهُ: (السَّخِيمَةُ)، أَي: الضَّغِينَةُ وَالمُوجِدَةُ فِي النُّفُسِ. قَالَه الجَوْهَرِيُّ.

(١) وَزَادَ السَّهْرُورِيُّ فَقَالَ: «مَلِكٌ يَصُونُهَا أَنْ تَمْتَرَجَ بِغَيْرِهَا، وَمَلِكٌ يُوَدِّيهَا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي قُدِّرَ لَهَا، وَمَلِكٌ يَجْعَلُهَا غِذَاءَ النَّبَاتِ الَّتِي قُدِّرَ لَهَا» انْتَهَى مِنْ «كَشْفِ الفَضَائِحِ اليُونَانِيَّةِ»، ص ١٧٩.

(٢) وَالشَّجَا: هُوَ كُلُّ مَا اعْتَرَضَ الحَلْقَ مِنْ عَظْمٍ وَغَيْرِهِ.

(٣) سَبَقَ تَحْرِيجُهُ.

(٤) يَعْنِي المَلَائِكَةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

(٥) قَوْلُهُ: «مِنَ المُؤْمِنِينَ» سَقَطَ مِنْ (ح).

[يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ فَمَنْ أُوْقِيَ كِتَابَهُ، بِيَمِينِهِ، فَأُوْلَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾]

قُرِي: ﴿نَدْعُوا﴾، بالياء والنون، و: (يُدْعَى كُلُّ أُنَاسٍ) على البناء للمفعول، وقرأ الحسن: (يُدْعَوُ كُلُّ أُنَاسٍ) على قلب الألفِ واوًا في لغةٍ من يقول: أفعو، والظرفُ نصبٌ بإضمار: اذكر. ويجوزُ أن يُقال: إنها علامةُ الجمع، كما في ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الأنبياء: ٣]، والرَّفْعُ مُقدَّرٌ كما في ﴿يُدْعَى﴾ [الصف: ٧]، ولم يُؤتِ بالنون؛ قلةٌ مُبالاةٍ بها؛ لأنها غيرُ ضمير، ليست إلا علامة. ﴿بِإِمْئِهِمْ﴾: بمن اتَّمُوا به من نبيٍّ، أو مُقدِّمٍ في الدين، أو كتاب، أو دين، فيقال: يا أتباعَ فلان، يا أهلَ دينِ كذا وكتابِ كذا. وقيل: بكتابِ أعمالهم، فيقال: يا أصحابَ كتابِ الخير، ويا أصحابَ كتابِ الشرِّ. وفي قراءة الحسن: (بكتابتهم). ومن بدع التفسير: أن «الإمام» جمع «أم»، وأن الناس يُدعون يومَ القيامةِ بأسمائهم، وأن الحكمةَ في الدعاءِ بالأسماءِ دونَ الآباءِ رعايةً حقَّ عيسى

قوله: (قُرِي: ﴿نَدْعُوا﴾، بالياء والنون) بالنون: السبعة، وبالياء: شاذ<sup>(١)</sup>.

قوله: (وقرأ الحسن: ﴿يُدْعَوُ﴾)، أي: بضم الياء وفتح العين، قال ابن جني: هذا على لغةٍ من أبدل الألفِ في الوصلِ واوًا، نحو: «أفعو» و«حبلو»، ذكر ذلك سيبويه، وأكثر هذا القلبُ إنما هو في الوقف؛ لأنَّ الوقفَ من مواضع التغيير، وهو أيضًا في الوصل محكيٌّ على حاله في الوقف. ومنهم من يُبدلها ياء<sup>(٢)</sup>.

قوله: (ولم يُؤتِ بالنون؛ قلةٌ مُبالاةٍ بها، لأنها غيرُ ضمير). قال صاحبُ «التقريب»: وفيه نظرٌ، لأنها علامةُ الرَّفْعِ، ولا موجبٌ لحذفها.

قوله: (ومن بدع التفسير: أن «الإمام» جمع «أم»)، روى محيي السنَّة، عن محمد بن كعبٍ ﴿بِإِمْئِهِمْ﴾: الإمام: جمع أم، كحُفٍّ وحِفافٍ، وفيه ثلاثة أوجه من الحكمة، أحدها:

(١) وممن قرأ بالشاذ: قتادة والحسن والسجستاني. انظر: «مختصر شواذ القراءات» لابن خالويه، ص ٧٧.

(٢) «المحتسب» (٢: ٢٢).

عليه السَّلام، وإظهارُ شَرَفِ الحَسَنِ والحُسَيْنِ، وأن لا يفتَضَحَ أولادُ الزَّنى. وليتَ شعري أيُّها أبدع؟ أصحَّةُ لفظه أم بهاءُ حِكْمَتِهِ؟ ﴿فَمَنْ أَوْقَى﴾ من هؤلاء المدعُويين ﴿كَتَبَهُ، بِبَيْتِهِ، فَأَوْلَتْكَ يقرءونَ كَتَبَهُمْ﴾ قيل: أولئك؛ لأنَّ «مَنْ أَوْقَى» في معنى الجمع. فإن قلت: لمَ حُصِّ أصحابُ اليَمِينِ بقراءةِ كتابهم؟ كأنَّ أصحابَ الشَّمالِ لا يقرءونَ كتابهم! قلت: بلى، ولكن إذا اطلَّعوا على ما في كتابهم، أخذهم ما يأخذُ المطالِبُ بالنِّداءِ على جِنَايَاتِهِ، والاعترافِ بِمَساوِيهِ، أمامَ التَّنكِيلِ به والانتقامِ منه، مِنَ الحَيَاءِ والخَجَلِ والانخِزالِ، وحُبْسَةِ اللِّسانِ، والتَّسْتَعِجِ، والعَجْزِ عن إقامةِ حُرُوفِ الكلامِ، والذَّهابِ عن تَسْوِيَةِ القولِ؛ فكانَ قِرَاءَتُهُمْ كَلًّا قِرَاءَةً، وأما أصحابُ

لأَجْلِ عيسى عليه السَّلامِ، والثاني: لَشَرَفِ الحَسَنِ والحُسَيْنِ، والثالثُ: لتلايُفْتَضَحَ أولادُ الزَّنى<sup>(١)</sup>.

الانتصاف: وأما يدع لفظه<sup>(٢)</sup>، فإنَّ جمعَ الأُمَّ المعروفُ: أمهاتٌ، وأما رعايةُ عيسى بِذِكْرِ أمهاتِ الخلائقِ لِذِكْرِ أمِّه، فيُوهِمُ أنَّ خَلَقَ عيسى من غيرِ أبٍ غَضَّ مِنْ مَنصِبِهِ، وهو عكسُ الحقيقةِ، بل ذلك ذِكرٌ له وشرفٌ<sup>(٣)</sup>.

قوله: (ما يأخذُ المطالِبُ)، وهو بفتح اللام، وفاعلُ «يأخذُ» ضميرٌ يرجعُ إلى «ما»، و«من» في «مَنْ الحياءُ» بيانُ «ما» الثانيةِ، والباءُ في «بالنِّداءِ» سببٌ متعلِّقٌ بـ«يأخذُ»، و«أمامَ التَّنكِيلِ» ظَرْفٌ «يأخذُ»، المعنى: يأخذهم الخَجَلُ والانخِزالُ وحُبْسَةُ اللِّسانِ<sup>(٤)</sup> أخذًا مثلَ أخذِ مَنْ طولِبَ بجِنَايَاتِهِ ومساوئِهِ وأوقفَ بينَ يَدَيَّ جَبَّارٍ مِنَ الجبابرةِ، فيأخذُه الحياءُ والخَجَلُ والحُبْسَةُ بسببِ النِّداءِ على جِنَايَاتِهِ، وبسببِ اعترافِهِ بمساوئِهِ، والحالُ أنه مشاهدٌ لتَهْيِئَةِ أسبابِ نكالِهِ وهلاكِهِ.

(١) «معالم التنزيل» (٥: ١١٠).

(٢) عبارة ابن المُنِيرِ في «الانتصاف»: «ولقد استبدعَ بدعًا لفظًا ومعنى».

(٣) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٢: ٦٨٢).

(٤) في النسخة (ح) و(ط): «والحُبْسَةُ دون قوله: اللسان».

الْيَمِينِ فَأَمْرُهُمْ عَلَى عَكْسِ ذَلِكَ، لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ أَحْسَنَ قِرَاءَةٍ وَأَبْيَنَهَا، وَلَا يَقْنَعُونَ بِقِرَاءَتِهِمْ وَحَدَهُمْ حَتَّى يَقُولَ الْقَارِئُ لِأَهْلِ الْمَحْشَرِ: ﴿هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا وَكُنْتُمْ﴾ [الحاقة: ١٩]. ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾: وَلَا يُنْقِصُونَ مِنْ ثَوَابِهِمْ أَدْنَى شَيْءٍ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٦٠]، ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢].

﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [٧٢]

مَعْنَاهُ: وَمَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا أَعْمَى، فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى كَذَلِكَ، ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ مِنَ الْأَعْمَى. وَالْأَعْمَى مُسْتَعَارٌ مِمَّنْ لَا يُدْرِكُ الْمُبْصِرَاتِ؛ لِفَسَادِ حَاسَّتِهِ، لِمَنْ لَا يَهْتَدِي إِلَى طَرِيقِ النَّجَاةِ، أَمَا فِي الدُّنْيَا فَلِفَقْدِ النَّظَرِ، وَأَمَا فِي الْآخِرَةِ؛ فَلِأَنَّهُ لَا يَنْفَعُهُ الْإِهْتِدَاءُ إِلَيْهِ، وَقَدْ جَوَّزُوا أَنْ يَكُونَ الثَّانِي بِمَعْنَى: التَّفْضِيلِ، وَمِنْ ثَمَّ قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو الْأَوَّلَ مُمَالًا، وَالثَّانِي مُفْخَمًا؛ لِأَنَّ أَفْعَلَ التَّفْضِيلِ تَامُّهُ بِ«مَنْ»، فَكَانَتْ أَلْفُهُ فِي حُكْمِ

قَوْلِهِ: (وَلَا يُنْقِصُونَ مِنْ ثَوَابِهِمْ أَدْنَى شَيْءٍ)، الرَّازِبُ: الْفَتِيلُ: الْمَفْتُولُ، وَسُمِّيَ مَا يَكُونُ فِي شِقِّ النَّوَاةِ فُتَيْلًا لِكَوْنِهِ عَلَى هَيْئَتِهِ، وَقِيلَ هُوَ مَا تَفْتِلُهُ بَيْنَ أَصَابِعِكَ مِنْ خَيْطٍ أَوْ وَسَخٍ<sup>(١)</sup>، وَيُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الشَّيْءِ الْحَقِيرِ<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ: (وَمِنْ ثَمَّ قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو الْأَوَّلَ مُمَالًا، وَالثَّانِي مُفْخَمًا)، قَالَ الزَّجَّاجُ: ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ وَهَذَا مِنْ عَمَى الْقَلْبِ، أَي: هُوَ فِي الْآخِرَةِ أَشَدُّ عَمَى<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ فِي «الْحُجَّةِ»<sup>(٤)</sup>: وَأَمَا قِرَاءَةُ أَبِي عَمْرٍو: ﴿أَعْمَى﴾ الْأَوَّلَ مُمَالًا وَالثَّانِي مُفْخَمًا، فَإِنَّهُ يُجَوِّزُ أَنْ لَا يَجْعَلَ الثَّانِي عِبَارَةً عَنِ الْعُيُوبِ<sup>(٥)</sup> فِي الْجَارِحَةِ، وَلَكِنَّهُ جَعَلَهُ مِنْ

(١) مِنْ قَوْلِهِ: «لِكَوْنِهِ عَلَى هَيْئَتِهِ» إِلَى هُنَا سَقَطَ مِنْ (ف).

(٢) «مَفْرَدَاتُ الْقُرْآنِ»، ص ٦٢٣.

(٣) «مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ» (٣: ٢٥٣).

(٤) «الْحُجَّةُ لِلْقُرَّاءِ السَّبْعَةِ» (٣: ٦٦).

(٥) فِي «الْحُجَّةِ»: «الْعَوَارِ» وَهُوَ جَيِّدٌ مُتَّجِهٌ.

الواقعة في وسط الكلام، كقولك: أعمالكم، وأما الأول فلم يتعلق به شيء؛ فكانت ألفه واقعة في الطرفِ مُعرّضة للإمالة.

[ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا

باب: أبله<sup>(١)</sup> من فلان، فجاز أن يكون فيه: أفعَل من كذا، وإن لم يُجز أن يُقال ذلك في المصابِ ببصره، فإذا جعله كذلك لم يقع الألفُ في آخر الكلمة؛ لأن آخرها هو من كذا، وإنما تحسن الإمالة في الأواخر، وقد حُذِفَ من أفعَل الذي هو للتفضيل، الجارُ والمجرور، وهما مرادان في المعنى مع الحذف، كقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧]، أي: أخفى من السرِّ، كذلك قوله: ﴿أَعْمَى﴾، أي: أعمى منه في الدنيا، ومعنى العمى في الآخرة: أنه لا يهتدي إلى طريق الثواب، ويؤكد لك ظاهر ما عطف عليه من قوله: ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾، فكما أن هذا لا يكون إلا على أفعَل، كذلك المعطوفُ عليه، ومعنى ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ في الآخرة أن ضلاله في الدنيا قد كان يُمكن الخروج منه، وضلاله في الآخرة لا سبيل له إلى الخروج منه.

قال صاحبُ «الانتصاف»: هذه الآية قسيمة، لقوله: ﴿فَمَنْ أَوْقَى كِتَابَهُ يَمِينَهُ﴾ [الإسراء: ٧١]، فهو يتبصره ويقرؤه، ومن كان في الدنيا أعمى غير متبصر ولا ناظر في معاده فهو في الآخرة غير متبصر في كتابه، بل أعمى عنه أو أشدَّ عمى على اختلاف التأويلين<sup>(٢)</sup>، فعلى هذا لا<sup>(٣)</sup> يكون قول المصنّف: «لم خص أصحاب اليمين بقراءة كتبهم متوجّهاً؟».

وقال القاضي: وتعليق القراءة بإيتاء الكتاب باليمين يدلُّ على أن من أوقى كتابه بشماله إذا اطلع على ما فيه غشبيهم من الخجل والحيرة ما يجبس ألسنتهم عن القراءة، ولذلك لم يذكرهم مع أن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ أيضًا مُشعرٌ بذلك، فإن الأعمى لا يقرأ الكتاب<sup>(٤)</sup>.

(١) في «الحجة»: «أبلد» بالذال المهملة.

(٢) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٢: ٦٨٣).

(٣) سقط لفظ «لا» من (ف).

(٤) «أنوار التنزيل» (٣: ٤٥٩).

لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا \* وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا \* إِذَا  
لَأَذْفَنَّاكَ فِي ضَعْفِ الْحَيَوةِ وَضَعْفِ أَلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٣-٧٥﴾

رُوي: أن ثقيفا قالت للنبي ﷺ: لا ندخلُ في أمرِك حتى تُعطينا خِصَالاً نفتخرُ بها على العرب: لا نُعشرُ؛ ولا نُحشرُ، ولا نُجبي في صلاتنا، وكُلُّ ربنا فهو لنا، وكُلُّ ربنا علينا فهو موضوعٌ عنا، وأن تُمْتعنا باللاتِ سنة، ولا نكسرُها بأيدينا عند رأسِ الحول، وأن تمنعَ من قِصدِ وادينا «وَجَّ» فعُصِدَ شجره، فإذا سألتك العرب: لِمَ فعلت ذلك؟ فقل: إن الله أمرني به. وجاؤوا بكتابهم، فكتب: بسمِ الله الرَّحمنِ الرَّحيمِ: هذا كتابٌ من مُحَمَّدٍ رسولِ الله لثقيف: لا يُعشرون ولا يُحشرون، فقالوا: ولا يُجبون، فسكت

قوله: (لا نُعشرُ، ولا نُحشرُ، ولا نُجبي)، النهاية: في الحديث: «أنَّ وفدَ ثقيفِ اشترطوا أن لا يُحشروا ولا يُعشروا ولا يُجبوا»<sup>(١)</sup>، أي: لا يُؤخذُ عُشرُ أموالهم. وقيل: أرادوا به الصَّدقة الواجبة، وإنما فسح لهم في تركها لأنها لم تكن واجبة يومئذٍ عليهم، وإنما تجب بتمام الحول، وسئل جابرٌ عن اشتراطِ ثقيفٍ أن لا صدقةَ عليهم، ولا جهاداً، فقال: عَلِمَ أنهم سيتصدقون ويجاهدون إذا أسلموا وقال: يجوزُ أن يُسمَى آخذُ ما يجبُ على المسلمين من رُبْعِ العُشرِ: عاشرًا، لإضافة ما يأخذُه إلى العُشرِ ونصفِ العُشرِ، كيفَ وهو يأخذُ العُشرَ جميعه، وهو زكاةٌ ما سقتهُ الساء؟

وقوله: «ولا يُحشروا»، أي: لا يُندبوا إلى المغازي ولا تُضربُ عليهم البُعوث.

قوله: (ولا نُجبي)، النهاية: أصلُ التَّجبية: أن يقومَ الإنسانُ قيامَ الرَّاعِ، وقيل: هو أن يَضَعُ يَدَيْه على رُكبتَيْه وهو قائم، وقيل: هو السَّجودُ، والمرادُ: لا يُصلُّون، ولفظُ الحديثِ يدلُّ على الرُّكوع، لقوله في جوابهم: «لا خيرَ في دينٍ ليسَ فيه ركوعٌ»، فسَمِيَ الصَّلَاةُ ركوعًا، لأنه بعضُها.

(١) هو جزءٌ من حديثٍ طويلٍ أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١٧٩١٣)، وأبو داود (٣٠٢٦)، وابن خزيمة (١٣٢٨)، وغيرهم بإسنادٍ رجاله ثقات، وانظر تمامَ تحريجه في «المسند».

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالُوا لِلْكَاتِبِ: اكْتُبْ: وَلَا يُجِيبُونَ، وَالْكَاتِبُ يُنْظَرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، فَقَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَسَلَّ سَيْفَهُ وَقَالَ: أَسْعَرْتُمْ قَلْبَ نَبِيِّنَا يَا مَعْشَرَ ثَقِيفٍ أَسْعَرَ اللَّهُ قُلُوبَكُمْ نَارًا، فَقَالُوا: لَسْنَا نُكَلِّمُ إِيَّاكَ، إِنَّمَا نُكَلِّمُ مُحَمَّدًا، فَنَزَلَتْ. وَرُويَ أَنَّ قُرَيْشًا قَالُوا لَهُ: اجْعَلْ آيَةً رَحْمَةً آيَةَ عَذَابٍ، وَآيَةً عَذَابٍ آيَةَ رَحْمَةٍ، حَتَّى نُؤْمِنَ بِكَ، فَنَزَلَتْ. ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾: «إِنْ» مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَاللَّامُ هِيَ الْفَارِقَةُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ النَّافِيَةِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ الشَّأْنَ: قَارِبُوا أَنْ يَفْتِنُوكَ، أَي: يَحْدَعُوكَ فَاتِنِينَ ﴿عَنِ الَّذِينَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ مِنْ أَوْامِرِنَا وَتَوَاهِينَا وَوَعْدِنَا وَوَعِيدِنَا؛ ﴿لِنَفْتَرِيَ عَلَيْنَا﴾: لِنَتَقَوْلَ عَلَيْنَا مَا لَمْ نَقُلْ، يَعْنِي: مَا أَدَارُوهُ عَلَيْهِ مِنْ تَبْدِيلِ الْوَعْدِ وَعَيْدًا وَالْوَعِيدِ وَعَدًّا، وَمَا اقْتَرَحْتَهُ ثَقِيفٌ مِنْ أَنْ يُضَيَّفَ إِلَى اللَّهِ مَا لَمْ يُنْزَلْهُ عَلَيْهِ، ﴿وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ﴾ أَي: وَلَوْ اتَّبَعْتَ مُرَادَهُمْ لَا تَأْخُذُوكَ ﴿حَلِيلًا﴾، وَلَكُنْتَ لَهُمْ وَلِيًّا وَخَرَجْتَ مِنْ وَلَايَتِي، ﴿وَلَوْ لَا أَنْ تُبَنِّنَاكَ﴾: وَلَوْ لَا تَثْبِيتُنَا لَكَ وَعِصْمَتُنَا ﴿لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾: لِقَارِبْتَ أَنْ تَمِيلَ إِلَى خَدَعِهِمْ وَمَكْرِهِمْ، وَهَذَا تَهْيِيجٌ مِنَ اللَّهِ لَهُ وَفَضْلٌ تَثْبِيتٌ، وَفِي ذَلِكَ لُطْفٌ لِلْمُؤْمِنِينَ.

قوله: (لسنا نكلّم إياك)، بالياء تحتها نقطتان، ويروى: «أباك»، بالياء الموحدة، أي: لسنا نكلّم أباك حتى تعصّب له، ولعلّ وجه فصل الضمير المنصوب للإبهام والتبيين تأكيدًا، ولذلك قالوا: إنّما نكلّم محمدًا.

قوله: (أي: يحدّعونك فاتنين)، إشارة إلى أنّ قوله: ﴿لَيَفْتِنُونَكَ﴾، مضمّن معنى الخداع ومعدّى تعديته.

قوله: (ما أداروه عليه)، أي: على الافتراء والتقول، والضمير في «عليه»: له «ما»، والمنصوب لرسول الله ﷺ. و«ما» عبارة عن الافتراء والتقول، أي: أداروا رسول الله ﷺ على الافتراء.

الأساس: ومن المجاز: أدزّته على هذا الأمر: حاولت منه أن يفعله، وأدزّته عنه: حاولت منه أن يتركه.

﴿إِذَا﴾ لو قَارَبْتَ تَرَكْنُ إِلَيْهِمْ أَدْنَى رَكْنَةٍ ﴿لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ﴾  
 أي: لأذقناك عذاب الآخرة وعذاب القبر مُضاعفين. فإن قلت: كيف حقيقة هذا  
 الكلام؟ قلت: أصله: لأذقناك عذاب الحياة وعذاب المات؛ لأن العذاب عذابان:  
 عذاب في المات؛ وهو عذاب القبر، وعذاب في الحياة الآخرة؛ وهو عذاب النار،  
 والضَّعْفُ يوصفُ به، نَحْوَ قوله تعالى: ﴿فَنَأْتِيهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ﴾ [الأعراف: ٣٨]،  
 بمعنى: مُضاعفًا، فكان أصل الكلام: لأذقناك عذابًا ضِعْفًا في الحياة، وعذابًا ضِعْفًا  
 في المات، ثم حُذِفَ الموصوفُ وأقيمتِ الصِّفَةُ مقامه؛ وهو الضَّعْفُ، ثم أُضِيفَتْ  
 الصِّفَةُ إضافة الموصوفِ فقيل: ﴿ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾، كما لو قيل:  
 لأذقناك أليم الحياة وأليم المات، ويجوزُ أن يُرادَ بضعفِ الحياة: عذاب الحياة الدنيا،  
 وبضعفِ المات: ما يعقُبُ الموتَ من عذاب القبر وعذاب النار، والمعنى: لضاعفنا

قوله: ﴿إِذَا﴾، لو قَارَبْتَ تَرَكْنُ إِلَيْهِمْ أَدْنَى رَكْنَةٍ ﴿لَأَذَقْنَاكَ﴾، وهو صريحٌ في  
 أنه ﷺ ما همَّ بإجابتهم مع قوة الداعي إليها، ودليلٌ على أن العصمة بتوفيق الله وحفظه.

قوله: (ويجوزُ أن يُرادَ بضعفِ الحياة: عذاب الحياة الدنيا)، الفرقُ بينَ هذا الوجه  
 والوجه الأول بعد إجراء الضَّعْفِ على المُضاعفة أن عذاب المات في الأول عذاب القبر،  
 وعذاب الحياة في الآخرة، وهنا المرادُ بعذاب المات عذاب القبر، وبعذاب الحياة: عذاب  
 الحياة الدنيا<sup>(١)</sup>، قال القاضي: أي: عذبناك ضِعْفًا ما نُعذَّبُ به في الدارينِ بِمِثْلِ هذا الفعلِ  
 غيرك؛ لأنَّ خطأ الخطيرِ أخطر. وقيل: الضَّعْفُ من أسماء العذاب<sup>(٢)</sup>.

الراغب: الضَّعْفُ من الألفاظِ المتضايقة التي يقتضي وجود أحدهما وجود الآخر<sup>(٣)</sup>،  
 كالنصفِ والزَّوجِ، وهو تَرَكُّبُ زوجين<sup>(٤)</sup> متساويين، ويختصُّ بالعدد، فإذا قيل: أضعفتُ

(١) من قوله: «الفرق بين هذا الوجه والوجه الأول» إلى هنا سقط من (ط).

(٢) «أنوار التنزيل» (٣: ٤٦٠).

(٣) قوله: «التي يقتضي وجود أحدهما وجود الآخر» سقط من (ح) و(ط).

(٤) في «المفردات»: «قَدْرَيْن».



لَكَ الْعَذَابَ الْمَعْجَلِ لِلْعُصَاةِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَمَا نُوخِرُهُ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ. وَفِي ذِكْرِ الْكَيْدِودَةِ وَتَقْلِيلِهَا، مَعَ إِتْبَاعِهَا الْوَعِيدَ الشَّدِيدَ بِالْعَذَابِ الْمُضَاعَفِ فِي الدَّارَيْنِ: دَلِيلٌ بَيِّنٌ عَلَى أَنَّ الْقَبِيحَ يَعْظَمُ قُبْحُهُ بِمِقْدَارِ عَظَمِ شَأْنِ فَاعِلِهِ وَارْتِفَاعِ مَنْزَلَتِهِ، وَمَنْ نَمَّ اسْتَعْظَمَ مَشَائِخُ الْعَدْلِ وَالتَّوْحِيدِ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - نِسْبَةَ الْمُجْبِرَةِ الْقَبَائِحِ إِلَى اللَّهِ، تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَدْنَى مُدَاهَنَةِ لِلْعَوَاةِ مُضَادَّةٌ لِلَّهِ وَخُرُوجٌ

الشَّيْءِ وَضَعْفَتُهُ وَضَاعَفْتُهُ: ضَمَنْتَ إِلَيْهِ مِثْلَهُ فَصَاعِدًا، قَالَ بَعْضُهُمْ: ضَاعَفْتُ أْبْلَغُ مِنْ ضَعَّفْتُ، وَهَذَا قَرَأَ أَكْثَرُهُمْ: ﴿يُضَاعَفُ﴾ [الأحزاب: ٣٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَلِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، فَالْمُضَاعَفَةُ عَلَى قِصَّةِ هَذَا الْقَوْلِ تَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ عَشْرٌ أَمْثَالَهَا. وَقِيلَ: ضَعْفَتُهُ - بِالتَّخْفِيفِ - ضِعْفًا، فَهُوَ مُضَعَفٌ، فَالضَّعْفُ مُصَدَّرٌ، وَالضَّعْفُ: اسْمٌ كَالثَّنِيِّ وَالثَّنِي، فَضِعْفُ الشَّيْءِ هُوَ الَّذِي يُثَنِّيهِ، وَمَتَى أُضِيفَ إِلَى عَدَدٍ اقْتَضَى ذَلِكَ الْعَدَدَ وَمِثْلَهُ، نَحْوُ أَنْ يُقَالَ: ضِعْفُ الْعَشْرَةِ، فَذَلِكَ عَشْرُونَ بِلَا خِلَافٍ، وَإِذَا قِيلَ: أَعْطَاهُ ضِعْفِي وَاحِدًا، فَإِنَّ ذَلِكَ اقْتَضَى الْوَاحِدَ وَمِثْلِيهِ، وَذَلِكَ ثَلَاثَةٌ؛ لِأَنَّ مَعْنَاهُ: الْوَاحِدُ وَاللَّذَانِ يُرَاوِجَانِهِ، هَذَا إِذَا كَانَ الضَّعْفُ مُضَافًا، فَأَمَّا إِذَا لَمْ يَكُنْ مُضَافًا، فَقُلْتَ: الضَّعْفَيْنِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَجْرِي مَجْرَى الزَّوْجَيْنِ فِي أَنْ كَلًّا مِنْهُمَا يُرَاوِجُ الْآخَرَ فَبِقْتَضِي ذَلِكَ اثْنَيْنِ؛ لِأَنَّ كَلًّا مِنْهُمَا يُضَاعَفُ الْآخَرَ، فَلَا يُخْرَجَانِ عَنِ الْاِثْنَيْنِ، بِخِلَافِ مَا إِذَا أُضِيفَ الضَّعْفَانِ إِلَى وَاحِدٍ فَيُثَلَّثُهُمَا، نَحْوُ: ضِعْفِي الْوَاحِدِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ جَزَاءُ الضَّعْفِ﴾ [سبا: ٣٧] (١).

قَوْلُهُ: (وَفِي ذِكْرِ الْكَيْدِودَةِ وَتَقْلِيلِهَا)، إِلَى قَوْلِهِ: (دَلِيلٌ بَيِّنٌ عَلَى أَنَّ الْقَبِيحَ يَعْظَمُ (٢) قُبْحُهُ بِمِقْدَارِ عَظَمِ شَأْنِ فَاعِلِهِ، وَمَنْ نَمَّ اسْتَعْظَمَ مَشَائِخُ الْعَدْلِ (٣) نِسْبَةَ الْمُجْبِرَةِ الْقَبَائِحِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى)، الْاِنتِصَافُ: أَمَّا تَقْلِيلُ الْكَيْدِودَةِ فَيُحْمَلُ عَلَى كَوْنِ اللَّهِ تَعَالَى يَعْلَمُ مَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُونُ، فَعَلِمَ تَعَالَى أَنَّ الرُّكُونَ الَّذِي كَادَ يَحْضُلُ لَوْ كَانَ قَلِيلًا فَهُوَ عَظِيمٌ، وَهُوَ خَبْرٌ

(١) «مفردات القرآن»، ص ٥٠٨-٥٠٩.

(٢) سقط لفظ «يعظم» من (ف).

(٣) يعني مشايخ المعتزلة كما سيُصْرِّحُ بِهِ صَاحِبُ «الانتصاف».

عن ولايته، وسبب موجب لغضبه ونكاله، فعلى المؤمن إذا تلا هذه الآية أن يجثو عندها ويتدبرها، فهي جديرة بالتدبر، وبأن يستشعر الناظر فيها الخشية وازدياد التصلب في دين الله. وعن النبي ﷺ: أتها لما نزلت كان يقول: «اللهم لا تكلمي إلى نفسي طرفة عين».

﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْقَكَ إِلَّا قَلِيلًا \* سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا نَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾

[٧٧-٧٦]

﴿وَإِنْ كَادُوا﴾: وإن كاد أهل مكة ﴿لَيَسْتَفْرِزُونَكَ﴾: ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾: من أرض مكة ﴿وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ﴾: لا يبقون بعد إخراجك ﴿إِلَّا﴾ زمانا ﴿قَلِيلًا﴾؛ فإن الله مهلكهم، وكان كما قال؛ فقد أهلكوا بيدٍ بعد

عن الواقع في علمه، فلا يليق حمله على المبالغة، فإنها لا تليق في الأخبار، فإنه لو كان الواقع كيدودة ركون كثير، كان تقليله خُلُفاً في الخبر، والذنب يعظم بحسب فاعله. وأما تعظيم مشايخ المعتزلة نسبة القبائح إلى الله تعالى فقد استعظموا عظيماً، ولكن جهلوا في اعتقادهم القبح وصفا ذاتياً للقيح، وكل ما استبحوه من العبد استبحوه من الله تعالى، والقيح عندنا: ما نهى الله عنه، والله عز وجل أن يفعله، لا يسأل عما يفعل، فالملك يستبح من عبده أن يجلس على كرسي الملك، ولا يقبض ذلك منه، ولقد كان لمشايخه شغل بها لزمهم من الإشرار عن هذا، لكن زين لهم سوء اعتقادهم فراؤه حسناً<sup>(١)</sup>.

في أول كلامه نظر، وفي قول المصنف - أعني: «وفي ذكر الكيدودة وتقليلها» - إشكال؛ لأن ﴿سُنَّةً قَلِيلًا﴾ مصدر ﴿تَرَكَنْ﴾ ظاهر، فيلزم التقليل فيه لا في الكيدودة، ويمكن أن يقال: إن «كاد» لما كانت لمقاربة الخبر في الوجود فجعلت القلة التي في الخبر فيها مجازاً. قوله: ﴿إِلَّا﴾ زمانا ﴿قَلِيلًا﴾، اعلم أن إخراج الكفار رسول الله ﷺ يحتمل وجوهاً

(١) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٢: ٦٨٤).

إخراجه بقليل، وقيل: معناه: ولو أخرج جوك لاستؤصلوا عن بكرة أبيهم، ولم يُخرج جوه، بل هاجر بأمر ربه، وقيل: من أرض العرب، وقيل: من أرض المدينة؛ وذلك: أن رسول الله ﷺ لما هاجر حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم، فاجتمعوا إليه وقالوا: يا أبا القاسم، إن الأنبياء إنما بعثوا بالشام، وهي بلاد مقدسة وكانت مهاجر إبراهيم، فلو خرجت إلى الشام لآمنّا بك وأتبعناك، وقد علمنا أنه لا يمنعك من الخروج إلا خوف الروم، فإن كنت رسول الله؛ فالله مانعك منهم. فعسكر رسول الله ﷺ على أميال من المدينة، وقيل: بذي الحليفة؛ حتى يجتمع إليه أصحابه

من التأويل بحسب تفسير الأرض، فإذا فسرت بأرض مكة فالتأويل على وجهين: أحدهما: أن ﴿قَلِيلًا﴾: صفة موصوف محذوف، فقد حصل الإخراج وعدم لئبهم وهلاكهم بعده حقيقة، وهو المراد من قوله: «فقد أهلكوا ببدر بعد إخراجه بقليل»، وأن ﴿قَلِيلًا﴾ يعني العدم، كقوله تعالى: ﴿قَلِيلًا مَا نُوثِقُونَ﴾ [الحاقة: ٤١] وإليه الإشارة بقوله: «لاستؤصلوا عن بكرة أبيهم»، لكن لم يحصل الإخراج على الحقيقة، ولذلك لم يحصل هذا الاستئصال، وإذا فسرت بأرض العرض فلم يحصل هذا<sup>(١)</sup> الإخراج لا حقيقة ولا مجازًا، فلم يحصل الاستئصال أيضًا، وإذا فسرت بأرض المدينة يعود معنى القليل على التقديرين.

قوله: (لاستؤصلوا عن بكرة أبيهم)، قال الميبداني: أصل المثل: «جاءوا على بكرة أبيهم»، قال أبو عبيد: أي: جاءوا جميعًا لم يتخلف منهم أحد، وليس هناك بكرة في الحقيقة، والبكرة تأنث البكر، وهو الفتى من الإبل، وقيل: البكرة هاهنا: التي يستقى عليها، أي: جاءوا بعضهم على<sup>(٢)</sup> أثر بعض كدوران البكرة على نسق واحد لم ينقطع. والبكرة إذا كانت لأبيهم اجتمعوا عليها مستقين لا يمنعهم عنها أحد، فسبب اجتماع القوم في المجيء باجتماع أولئك على بكرة أبيهم<sup>(٣)</sup>.

(١) من قوله: «الإخراج على الحقيقة، ولذلك لم يحصل» إلى هنا سقط من (ح) و(ف).

(٢) في (ح): «في».

(٣) «مجمع الأمثال» (١: ١٧٦).

وَيَرَاهُ النَّاسُ عَازِمًا عَلَى الْخُرُوجِ إِلَى الشَّامِ؛ لِحَرِيصِهِ عَلَى دُخُولِ النَّاسِ فِي دِينِ اللَّهِ، فَتَنَزَّلَتْ؛ فَرَجَعَ. وَقُرِئَ: ﴿لَا يَلْبَثُونَكَ﴾، وَفِي قِرَاءَةِ أَبِي: ﴿لَا يَلْبَثُوا﴾ عَلَى إِعْمَالِ «إِذَا». فَإِنْ قُلْتَ: مَا وَجْهُ الْقِرَاءَتَيْنِ؟ قُلْتَ: أَمَّا الشَّائِعَةُ: فَقَدْ عَطِفَ فِيهَا الْفِعْلُ عَلَى الْفِعْلِ، وَهُوَ مَرْفُوعٌ؛ لَوْ قَوَّعَهُ خَبَرٌ «كَادَ»، وَالْفِعْلُ فِي خَبَرِ «كَادَ» وَقَعَ مَوْقِعَ الْاسْمِ. وَأَمَّا قِرَاءَةُ أَبِي فَفِيهَا الْجُمْلَةُ بِرَأْسِهَا - الَّتِي هِيَ «إِذَا لَا يَلْبَثُوا» - عَطِفَ عَلَى جُمْلَةٍ قَوْلِهِ: ﴿وَلِنْ كَادُوا لَيْسَتَفِرُّونَكَ﴾. وَقُرِئَ: ﴿خِلَافَكَ﴾، قَالَ: .....

قَوْلُهُ: (أَمَّا الشَّائِعَةُ)، يَعْنِي: الْقِرَاءَةَ الْمَشْهُورَةَ، وَهِيَ ﴿لَا يَلْبَثُونَكَ﴾ بِإِثْبَاتِ (١) التَّوْنِ: مَرْفُوعٌ، عَطِفَ عَلَى ﴿لَيْسَتَفِرُّونَكَ﴾: خَبَرِ كَادَ، وَهُوَ مَرْفُوعٌ، نَحْوُ: كَادَ زَيْدٌ يَخْرُجُ، وَفِي «الْمُفَصَّلِ»: خَبَرُهَا مَشْرُوطٌ فِيهِ أَنْ يَكُونَ فِعْلًا مُضَارِعًا مَتَأَوَّلًا بِاسْمِ الْفَاعِلِ (٢). قَالَ ابْنُ الْحَاجِبِ: إِنَّمَا شَرَطَ أَنْ يَكُونَ فِعْلًا مُضَارِعًا، لِتَنْبِيهِ عَلَى أَنَّهُ الْمَقْصُودُ بِالْقُرْبِ (٣)، فَعَلِيَ هَذَا: ﴿إِذَا﴾ وَاقِعَةٌ فِي أَثْنَاءِ الْكَلَامِ، لَا جَوَابَ لَهَا، لِأَنَّ ﴿إِذَا﴾ لَا تَعْمَلُ إِذَا كَانَ مُعْتَمِدًا مَا بَعْدَهَا عَلَى مَا قَبْلَهَا، قَالَ أَبُو الْبَقَاءِ: وَإِثْبَاتُ التَّوْنِ الْغَاءُ ﴿إِذَا﴾؛ لِأَنَّ الْوَاوَ الْعَاطِفَةَ تُصَيِّرُ الْجُمْلَةَ مُخْتَلِطَةً بِمَا قَبْلَهَا، فَتَكُونُ ﴿إِذَا﴾ حَشْوًا (٤).

قَوْلُهُ: (الْجُمْلَةُ بِرَأْسِهَا) إِلَى قَوْلِهِ: (عَطِفَ عَلَى جُمْلَةٍ قَوْلِهِ: ﴿وَلِنْ كَادُوا لَيْسَتَفِرُّونَكَ﴾)، قَالَ نَوْرُ الدِّينِ الْحَكِيمِ: فِيهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّهُ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ لَا يَتَحَقَّقُ مَعْنَى قَوْلِ سَيَّبِيهِ: إِذَا: جَوَابٌ وَجْزَاءٌ (٥). قُلْتُ: وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يُفْهَمَ كَوْنُهُ جَوَابًا وَجْزَاءً مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى، نَحْوُ: وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ إِذَا لَا يَلْبَثُوا.

قَوْلُهُ: (وَقُرِئَ: ﴿خِلَافَكَ﴾)، قَالَ الْقَاضِي: قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَحَمَزَةُ وَالْكَسَائِيُّ وَيَعْقُوبُ

(١) فِي (ح): «بِاجْتِمَاعِ».

(٢) «الْمُفَصَّلِ» بِشَرْحِ ابْنِ يَعِيشَ (٧: ١١٩).

(٣) «الْإِيضَاحُ فِي شَرْحِ الْمُفَصَّلِ» (٢: ٩١).

(٤) «التَّبْيَانُ فِي إِعْرَابِ الْقُرْآنِ» (٢: ٨٢٩).

(٥) انْظُرْ كَلَامَ سَيَّبِيهِ فِي «الْكِتَابِ» (٤: ٢٣٤).

عَفَتِ الدِّيَارُ خِلَافَهُمْ فَكَأَنَّمَا بَسَطَ الشَّوَاطِبُ بَيْنَهُنَّ حَصِيرًا

أي: بعدهم. ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا﴾: يعني: أن كل قوم أخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم، فسنة الله أن يهلكهم، ونُصِبَتِ نَصَبَ المَصْدَرِ المؤكَّد، أي: سنَّ الله ذلك سنة.

[﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ \* وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ، نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾]

[٧٩-٧٨]

ذَلَكِ الشَّمْسِ: غَرَبَتْ. وقيل: زالت. وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أتاني جبريل عليه السلام لذلوك الشمس حين زالت الشمس، فصلّى بي الظهر»، واشتقاقه من الدلك؛

وَحَفْضُ (١): ﴿خِلَافَكَ﴾، وهو لغة (٢).

قوله: (عَفَتِ الدِّيَارُ خِلَافَهُمْ)، البيت (٣)، «عَفَت»: اندرست، «خِلَافَهُمْ»: بعدهم، «الشَّوَاطِبُ»: النساء اللواتي يشتققن الجريد ليُعملَ منه الحُضْرُ، والشُّطْبُ: سَعْفُ النَّخْلِ الأخضر. يَصِفُ دروس ديارِ الأحبابِ بعدهم، وأتيا غيرُ مسكونة (٤)، كأنها بسطَ فيها سَعْفُ النَّخْلِ.

قوله: (ذَلَكِ الشَّمْسِ: غَرَبَتْ)، الرَّاعِبُ: ذُلُوكُ الشَّمْسِ: مِيلُهَا إِلَى الغُرُوبِ، وهو من قولهم: ذَلَكْتُ الشَّمْسَ: دَفَعْتُهَا بِالرَّاحِ، ومنه: ذَلَكْتُ الشَّيْءَ فِي الرَّاحَةِ، وَذَلَكْتُ الرَّجُلَ: إِذَا مَاطَلْتَهُ، وَالدُّلُوكُ: مَا ذَلَكْتَهُ مِنْ طَيِّبٍ، وَالدَّلِيلُ: طَعَامٌ يُتَّخَذُ مِنْ زُبْدٍ وَتَمْرٍ (٥).

(١) في (ف): «وحمة»، وهو خطأ.

(٢) «أنوار التنزيل» (٣: ٤٦١).

(٣) للحارث بن خالد المخزومي من أبيات ذكرها الأصبهاني في «الأغاني» (١٧: ٥٣-٥٤).

(٤) في (ح): «منكوسة»، وهو خطأ.

(٥) «مفردات القرآن»، ص ٣١٧.

لأنَّ الإنسانَ يَدُلُّكَ عَيْنَهُ عِنْدَ النَّظَرِ إِلَيْهَا، فَإِنْ كَانَ الدُّلُوكَ الزَّوَالِ؛ فَالآيَةُ جَامِعَةٌ لِلصَّلَوَاتِ الحَمْسِ، وَإِنْ كَانَ الغُرُوبُ؛ فَقَدْ خَرَجَتْ مِنْهَا الظُّهُرُ وَالعَصْرُ. وَالغَسَقُ: الظُّلْمَةُ، وَهُوَ وَقْتُ صَلَاةِ العِشَاءِ. ﴿وَقُرْءَانَ الفَجْرِ﴾: صَلَاةُ الفَجْرِ، سُمِّيَتْ قُرْآنًا، وَهُوَ القِرَاءَةُ؛ لِأَنَّهَا رُكْنٌ، كَمَا سُمِّيَتْ رُكُوعًا وَسُجُودًا وَقُنُوتًا. وَهِيَ حُجَّةٌ عَلَى ابْنِ عُليَّةَ وَالأَصَمِّ فِي رَعْمِهِمَا أَنَّ القِرَاءَةَ لَيْسَتْ بِرُكْنٍ. ﴿مَشْهُودًا﴾: يَشْهَدُهُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ

قوله: (وهي حُجَّةٌ عَلَى ابْنِ عُليَّةَ<sup>(١)</sup> وَالأَصَمِّ<sup>(٢)</sup>... أَنَّ القِرَاءَةَ لَيْسَتْ بِرُكْنٍ) فِي صَلَاةِ الفَجْرِ، قَالَ القَاضِي: وَاسْتَدِلَّ<sup>(٣)</sup> بِهِ عَلَى وَجُوبِ القِرَاءَةِ فِيهَا، وَلَا دَلِيلَ فِيهِ لِجَوَازِ أَنْ يَكُونَ التَّجَوُّزُ؛ لِكَوْنِهَا مَنْدُوبَةٌ فِيهَا، نَعَمْ، لَوْ فَسَّرْنَا بِالقِرَاءَةِ فِي صَلَاةِ الفَجْرِ، ذَلَّ الأَمْرُ بِإِقَامَتِهَا عَلَى الوَجُوبِ فِيهَا نَصًّا، وَفِي غَيْرِهَا قِيَاسًا<sup>(٤)</sup>.

وَالجَوَابُ عَنِ الأَوَّلِ: أَنَّهُ لَوْ لَمْ تَكُنْ رُكْنًا لَمْ يَجُزْ إِطْلَاقُهُ عَلَيْهَا، كَالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ وَالقِيَامِ؛ لِأَنَّهُ مِنْ بَابِ إِطْلَاقِ مُعْظَمِ الشَّيْءِ عَلَى كُلِّهِ. وَالْمَنْدُوبُ لَيْسَ كَذَلِكَ.

وَقَالَ أَبُو البَقَاءِ: ﴿وَقُرْءَانَ الفَجْرِ﴾ فِيهِ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا: هُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿الصَّلَاةِ﴾، أَي: وَأَقِمِ الصَّلَاةَ<sup>(٥)</sup> صَلَاةَ الفَجْرِ، وَعَلَيْهِ قَوْلُهُ: سُمِّيَتْ صَلَاةُ الفَجْرِ قُرْآنًا، لِأَنَّهَا رُكْنٌ وَثَانِيهَا: هُوَ عَلَى الإِغْرَاءِ، أَي: عَلَيْكَ قِرْءَانَ الفَجْرِ، أَوْ: الزَّمَّ<sup>(٦)</sup>.

وَعَلَيْهِ قَوْلُهُ: «وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿وَقُرْءَانَ الفَجْرِ﴾ حُتًّا عَلَى طُولِ القِرَاءَةِ فِي صَلَاةِ الفَجْرِ»، كَأَنَّهُ قِيلَ: الزَّمَّ قِرَاءَةَ القُرْآنِ فِي صَلَاةِ الفَجْرِ، أَي: القُرْآنِ الْمُنْسُوبِ إِلَى الفَجْرِ.

(١) أَبُو بَشْرٍ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبرَاهِيمِ الأَسَدِيِّ البَصْرِيِّ الشَّهِيرِ بِابْنِ عُليَّةَ (ت ١٩٣ هـ) إِمَامٌ حَافِظٌ، لَهُ تَرْجُمَةٌ فِي «سِيرِ النُّبَلَاءِ» (٩: ١٠٧).

(٢) شَيْخُ المَعْتَزَلَةِ أَبُو بَكْرٍ الأَصَمُّ (ت ٢٠١ هـ) كَانَ دِينًا وَقُورًا صَبُورًا عَلَى الفَقْرِ، لَهُ كِتَابٌ «خَلَقَ القُرْآنَ» وَ«الحُجَّةُ وَالرَّسَلُ» وَغَيْرُ ذَلِكَ، لَهُ تَرْجُمَةٌ فِي «سِيرِ النُّبَلَاءِ» (٩: ٤٠٢).

(٣) فِي (ط): «لَا دَلِيلَ فِيهِ!»

(٤) «أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ» (٣: ٤٦٢).

(٥) سَقَطَ لَفْظُ «الصَّلَاةِ» مِنْ (ح).

(٦) «التَّبْيَانُ فِي إِعْرَابِ القُرْآنِ» (٢: ٨٣٠).

والنهار، يَنْزِلُ هَوْلَاءَ، وَيَصْعَدُ هَوْلَاءَ؛ فَهُوَ فِي آخِرِ دِيْوَانِ اللَّيْلِ وَأَوَّلِ دِيْوَانِ النَّهَارِ. أَوْ: يَشْهَدُهُ الْكَثِيرُ مِنَ الْمُصَلِّينَ فِي الْعَادَةِ. أَوْ: مِنْ حَقِّهِ أَنْ يَكُونَ مَشْهُودًا بِالْجَمَاعَةِ الْكَثِيرَةِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ﴾ حَتَّى عَلَى طُولِ الْقِرَاءَةِ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ؛ لَكَوْنِهَا مَكْثُورًا عَلَيْهَا، لَيْسَمَعَ النَّاسُ الْقُرْآنَ فَيَكْثُرُ الثَّوَابُ؛ وَلِذَلِكَ كَانَتْ الْفَجْرُ أَطْوَلَ الصَّلَوَاتِ قِرَاءَةً. ﴿وَمِنْ آيَاتِ﴾: وَعَلَيْكَ بَعْضُ اللَّيْلِ ﴿فَتَهَجَّدَ بِهِ﴾ وَالتَّهَجُّدُ: تَرَكُ الْمُهْجُودِ لِلصَّلَاةِ، وَنَحْوُهُ: التَّائِبُ وَالتَّحَرُّجُ. وَيُقَالُ أَيْضًا فِي النَّوْمِ: تَهَجَّدَ، ﴿نَافِلَةٌ لَكَ﴾: عِبَادَةٌ زَائِدَةٌ لَكَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْحَمْسِ، وَضَعُ ﴿نَافِلَةٌ﴾ مَوْضِعَ «تَهَجَّدًا»؛ لِأَنَّ

قَوْلُهُ: (فَهُوَ فِي آخِرِ دِيْوَانِ اللَّيْلِ وَأَوَّلِ دِيْوَانِ النَّهَارِ). رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي «مُسْنَدِهِ»، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ فَتَصْعَدُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ، وَتَنْتَبِثُ مَلَائِكَةُ النَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ، فَيَصْعَدُ مَلَائِكَةُ النَّهَارِ وَتَنْتَبِثُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ»<sup>(١)</sup> فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: أَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَتَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ»<sup>(٢)</sup>.

وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «وَيَجْتَمِعُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ»<sup>(٣)</sup> فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ، ثُمَّ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنْ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَتْ مَشْهُودًا﴾<sup>(٤)</sup>.

قَوْلُهُ: (مَكْثُورًا عَلَيْهَا)، أَي: مَغْلُوبًا عَلَيْهَا بِالْكَثْرَةِ. الْجَوْهَرِيُّ: عَنْ ابْنِ السَّكَيْتِ: فَلَانَ مَكْثُورًا عَلَيْهِ: إِذَا نَفِدَ مَا عِنْدَهُ وَكَثُرَتْ عَلَيْهِ الْحَقُوقُ.

قَوْلُهُ: (وَنَحْوُهُ التَّائِبُ وَالتَّحَرُّجُ) أَي: تَرَكُ الْإِثْمَ وَالحَرَجَ.

قَوْلُهُ: (وَضَعُ ﴿نَافِلَةٌ﴾ مَوْضِعَ «تَهَجَّدًا»)، أَي: ﴿نَافِلَةٌ﴾: مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ، مِنْ حَيْثُ

(١) مِنْ قَوْلِهِ: «وَتَنْتَبِثُ مَلَائِكَةُ النَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي» إِلَى هُنَا سَقَطَ مِنْ (ف).

(٢) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (٩١٥١)، وَصَحَّحَهُ ابْنُ خَزِيمَةَ (٣٢٢)، وَابْنُ حَبَّانَ (٢٠٦١)، وَفِيهِ تَمَامُ تَحْرِيجِهِ.

(٣) سَقَطَ لَفْظُ «مَلَائِكَةُ» مِنْ (ف).

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤٧١٧) وَمُسْلِمٌ (٦٣٢).

التَهَجُّدَ عِبَادَةً زَائِدَةً، فَكَانَ التَهَجُّدُ وَالنَّافِلَةُ يَجْمَعُهُمَا مَعْنَى وَاحِدٍ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ التَهَجُّدَ زَيْدٌ لَكَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَةِ فَرِيضَةٌ عَلَيْكَ خَاصَّةٌ دُونَ غَيْرِكَ؛ لِأَنَّهُ تَطَوُّعٌ لَهُمْ. ﴿مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ نَصَبٌ عَلَى الظَّرْفِ، أَي: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقِيمَكَ مَقَامًا مَحْمُودًا. أَوْ ضَمَّنَ ﴿يَبْعَثَكَ﴾ مَعْنَى: يُقِيمَكَ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا بِمَعْنَى أَنْ يَبْعَثَكَ إِذَا مَقَامَ مَحْمُودٍ. وَمَعْنَى الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ: الْمَقَامُ الَّذِي يَحْمَدُهُ الْقَائِمُ فِيهِ، وَكُلُّ مَنْ رَأَاهُ وَعَرَفَهُ، وَهُوَ مُطْلَقٌ فِي كُلِّ مَا يَجْلِبُ الْحَمْدَ مِنْ أَنْوَاعِ الْكِرَامَاتِ. وَقِيلَ: الْمُرَادُ: الشَّفَاعَةُ، وَهِيَ نَوْعٌ وَاحِدٌ مِمَّا يَتَنَاوَلُهُ. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: مَقَامٌ يَحْمَدُكَ فِيهِ الْأَوْلُونَ وَالْآخِرُونَ، وَتَشْرَفُ فِيهِ عَلَى جَمِيعِ الْخَلَائِقِ: تَسْأَلُ فَتُعْطَى، وَتَشْفَعُ فَتُشْفَعُ، لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا تَحْتَ لَوَائِكَ. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «هُوَ الْمَقَامُ الَّذِي أَسْفَعُ فِيهِ لِأُمَّتِي»، وَعَنْ حُدَيْفَةَ: يُجْمَعُ النَّاسُ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَلَا تَتَكَلَّمُ نَفْسٌ، فَأَوَّلُ مَدْعُو مُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَقُولُ: «لَيْتَكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، وَالْمَهْدِيُّ مِنْ هَدَيْتِ، وَعَبْدُكَ بَيْنَ يَدَيْكَ، وَبِكَ وَإِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنَاجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، تَبَارَكَتْ وَتَعَالَيْتِ، سُبْحَانَكَ رَبِّ الْبَيْتِ»، قَالَ: فَهَذَا قَوْلُهُ: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾.

المعنى، وفائدة العُدُولِ ما ذَكَرَهُ: أَنَّ التَهَجُّدَ زَيْدٌ لَكَ عَلَى الصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةِ فَرِيضَةٌ عَلَيْكَ خَاصَّةٌ.

قَوْلُهُ: ﴿فَيُقِيمَكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾، قَالَ أَبُو الْبَقَاءِ: هُوَ عَلَى هَذَا نَصَبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ (١).

قَوْلُهُ: (لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا تَحْتَ لَوَائِكَ) (٢) لَوَائِكَ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ التِّرْمِذِيِّ: «وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ، أَدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ، إِلَّا تَحْتَ لَوَائِي» (٣)، وَأَمَّا الْحَدِيثُ بِطَوَّلِهِ فَمَشْهُورٌ مِنْ رَوَايَةِ أَهْلِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ (٤).

(١) «التبيان في إعراب القرآن» (٢: ٨٣٠).

(٢) فِي (ح): «يُحِبُّ».

(٣) «سنن الترمذي» (٣٦١٥).

(٤) انظر: «صحيح البخاري» (٧٥١٠).



[ ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِيْ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطٰنًا

تَصِيْرًا ﴿ ٨٠ ]

قُرِي: ﴿ مُدْخَلَ ﴾ و﴿ مُخْرَجَ ﴾ بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ: بِمَعْنَى الْمَصْدَرِ. وَمَعْنَى الْفَتْحِ: أَدْخِلْنِيْ فَأَدْخُلْ مُدْخَلَ صِدْقٍ، أَي: أَدْخِلْنِي الْقَبْرَ مُدْخَلَ صِدْقٍ إِدْخَالًا مَرْضِيًّا عَلَى طَهَارَةٍ وَطِيْبٍ مِنَ السِّيِّئَاتِ، وَأَخْرِجْنِي مِنْهُ عِنْدَ الْبَعْثِ إِخْرَاجًا مَرْضِيًّا، مُلْقَى بِالْكَرَامَةِ، أَمِنًا مِنَ السُّخْطِ، يَدُلُّ عَلَيْهِ ذِكْرُهُ عَلَى أَثَرِ ذِكْرِ الْبَعْثِ. وَقِيلَ: نَزَلَتْ حِينَ أُمِرَ بِالْهَجْرَةِ، يُرِيدُ إِدْخَالَ الْمَدِيْنَةِ وَالْإِخْرَاجَ مِنْ مَكَّةَ. وَقِيلَ: إِدْخَالُهُ مَكَّةَ ظَاهِرًا عَلَيْهَا بِالْفَتْحِ، وَإِخْرَاجُهُ مِنْهَا أَمِنًا مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ. وَقِيلَ: إِدْخَالُهُ الْغَارَ وَإِخْرَاجُهُ مِنْهُ سَالِمًا.

قَوْلُهُ: ﴿ مُدْخَلَ ﴾ و﴿ مُخْرَجَ ﴾، بِالضَّمِّ، الْقِرَاءَةُ الشَّائِعَةُ، وَالْفَتْحُ: شَاذٌ. قَالَ الزَّجَّاجُ: فَمَنْ قرَأ بِضَمِّ الْمِيمِ فَهُوَ مَصْدَرٌ «أَدْخَلْتُهُ مَدْخَلًا»، وَمَنْ فَتَحَ فَهُوَ عَلَى: أَدْخَلْتُهُ فَدَخَلَ مَدْخَلًا صِدْقٍ<sup>(١)</sup>، وَإِنَّمَا تَرَكَ الْمَصْنُفُ تَقْدِيرَ الضَّمِّ لِأَنَّهُ ظَاهِرٌ لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَقْدِيرِ فِعْلِ مُطَابِقٍ لِلْمَصْدَرِ، كَمَا فِي الْفَتْحِ.

قَوْلُهُ: (إِذْخَالًا مَرْضِيًّا عَلَى طَهَارَةٍ)، مَعْنَى الْإِضَافَةِ فِي ﴿ مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾ و﴿ مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ نَحْوَ الْإِضَافَةِ فِي «رَجُلٌ صِدْقٌ» و«رَجُلٌ سَوَاءٌ»، وَالصَّدْقُ إِنَّمَا هُوَ مِنْ أَوْصَافِ ذَوِي الْعِلْمِ، فَإِذَا وُصِفَ غَيْرُهُ كَانَ دَالًّا عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الشَّيْءَ مَرْضِيٌّ مَحْمُودٌ فِي بَابِهِ. قَالَ الْمَصْنُفُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ كَرَّ أَنْبِئْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٧]: « وَصَفَ الزَّوْجَ مِنَ النَّبَاتِ بِالكَرَمِ، وَالكَرْمُ صِفَةٌ لِكُلِّ مَا يُرْضَى وَيُحْمَدُ فِي بَابِهِ »<sup>(٢)</sup>.

وَلَمَّا عَقَّبَ هَذِهِ الْآيَةَ قَوْلُهُ: ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ وَجَبَ اخْتِصَاصُ الْوَصْفِ بِهَا يَنَاسِبُ الْمَقَامَ، وَكَأَنَّ مَا ذَكَرَهُ، وَإِلَيْهِ أَشَارَ بِقَوْلِهِ: «يَدُلُّ عَلَيْهِ ذِكْرُهُ عَلَى أَثَرِ ذِكْرِ الْبَعْثِ»، وَعَلَى هَذَا تَجْرِي جَمِيعُ الْوُجُوهِ الْمَذْكُورَةِ مِنْ تَقْدِيرِ وَصْفِ الْإِذْخَالِ وَالْإِخْرَاجِ فِي كُلِّ مَقَامٍ بِحَسَبِ مَا يَنَاسِبُهُ.

(١) «معاني القرآن وإعرابه» (٣: ٢٥٧).

(٢) انظر: (١١: ٣٢٠).

وقيل إدخاله فيما حمّله من عظيم الأمر؛ وهو النبوة وإخراجه منه مؤدباً لما كلفه من غير تفریط. وقيل: الطاعة. وقيل: هو عامٌّ في كلِّ ما يدخل فيه ويلايسه من أمرٍ ومكان. ﴿سُلْطَنًا﴾: حُجَّةٌ تَنْصُرُنِي عَلَى مَنْ خَالَفَنِي. أو: مُلْكًا وَعِزًّا قَوِيًّا نَاصِرًا لِلإِسْلَامِ عَلَى الكُفْرِ مُظْهِرًا لَهُ عَلَيْهِ، فَأُجِيبَتْ دَعْوَتُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، ﴿إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]، ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: ٣٣]، ﴿لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النور: ٥٥]، ووَعَدَهُ لِيَنْزِعَنَّ مُلْكَ فَارِسَ وَالرُّومَ، فَيَجْعَلَهُ لَهُ. وعنه ﷺ: أَنَّهُ اسْتَعْمَلَ عَتَابَ بَنِ أَسِيدٍ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ، وَقَالَ: «انطَلِقْ فَقَدْ اسْتَعْمَلْتُكَ عَلَى أَهْلِ اللَّهِ»، فَكَانَ شَدِيدًا عَلَى الْمُرِيبِ، لِيُنَّا عَلَى الْمُؤْمِنِ، وَقَالَ: لَا وَاللَّهِ لَا أَعْلَمُ مُتَخَلِّفًا يَتَخَلَّفُ عَنِ الصَّلَاةِ فِي جَمَاعَةٍ إِلَّا ضَرَبْتُ عُنُقَهُ؛ فَإِنَّهُ لَا يَتَخَلَّفُ عَنِ الصَّلَاةِ إِلَّا مُنَافِقٌ. فَقَالَ أَهْلُ مَكَّةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ اللَّهِ عَتَابَ بَنِ أَسِيدٍ أَعْرَابِيًّا جَافِيًّا، فَقَالَ ﷺ: «إِنِّي رَأَيْتُ فِيهَا يَرَى النَّائِمُ كَأَنَّ عَتَابَ بَنِ أَسِيدٍ أَتَى بَابَ الْجَنَّةِ، فَأَخَذَ بِحَلْقَةِ الْبَابِ فَقَلَقَهَا قَلَقًا شَدِيدًا حَتَّى فُتِحَ لَهُ فَدَخَلَهَا، فَأَعَزَّ اللَّهُ بِهِ الإِسْلَامَ لِنُصْرَتِهِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى مَنْ يُرِيدُ ظُلْمَهُمْ، فَذَلِكَ السُّلْطَانُ النَّصِيرُ.

[﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ ٨١]

كَانَ حَوْلَ الْبَيْتِ ثَلَاثُ مِثَّةٍ وَسِتُّونَ صَنَمًا، صَنَمٌ كُلُّ قَوْمٍ بِحِيَالِهِمْ. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كَانَتْ لِقَبَائِلِ الْعَرَبِ يَحْجُونَ إِلَيْهَا وَيَنْحَرُونَ لَهَا، فَشَكَا الْبَيْتُ

قَوْلُهُ: (وقيل: هو عامٌّ في كلِّ ما يدخل فيه ويلايسه من أمرٍ ومكان)، هذا أقربُ لسباقِ الكلامِ وسياقه. أمَّا السِّبَاقُ، فكَمَا قَالَ: «يَدُلُّ عَلَيْهِ ذِكْرُهُ عَلَى أَثَرِ ذِكْرِ الْبَعْثِ»، وَأَمَّا السِّبَاقُ فَعَطْفٌ، ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي﴾ عَلَى ﴿أَقْرِ الصَّلَاةَ﴾، وَعَطْفٌ ﴿وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَنًا نَصِيرًا﴾ عَلَى ﴿أَدْخِلْنِي﴾، وَكُلُّ ذَلِكَ يَقْتَضِي غَيْرَ وَاحِدَةٍ مِنَ الْحَالَاتِ وَالْأَمْكِنَةِ.

قَوْلُهُ: (فَأُجِيبَتْ دَعْوَتُهُ)، الْفَاءُ فَصِيحَةٌ، يَعْنِي: أَمْرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِسْلَامِ، فَامْتَثَلَ أَمْرَهُ وَدَعَا، فَأُجِيبَتْ دَعْوَتُهُ.

إلى الله عزَّ وجلَّ فقال: أَيُّ رَبِّ، حَتَّى مَتَى تُعْبَدُ هَذِهِ الْأَصْنَامُ حَوْلِي دُونَكَ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى الْبَيْتِ: إِنِّي سَأُحْدِثُ لَكَ تَوْبَةً جَدِيدَةً، فَأَمْلَأُكَ خُدُودًا سُجَّدًا، يَدْفُونَ إِلَيْكَ دَفِيفَ النَّسُورِ، وَيَحْنُونَ إِلَيْكَ حَيْنَ الطَّيْرِ إِلَى بَيْضِهَا، لَمْ عَجِيجٌ حَوْلَكَ بِالتَّلْبِيَةِ. وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ يَوْمَ الْفَتْحِ قَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: خُذْ مَخْصَرَ تَكَ ثُمَّ أَلْقِهَا، فَجَعَلَ يَأْتِي صَنْمًا صَنْمًا وَهُوَ يَنْكُتُ بِالمِخْصَرَةِ فِي عَيْنِهِ وَيَقُولُ: «جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الباطل»، فَيَنْكَبُ الصَّنَمُ لَوَجْهِهِ حَتَّى أَلْقَاهَا جَمِيعًا، وَبَقِيَ صَنْمٌ خُزَاعَةٌ فَوْقَ الكَعْبَةِ وَكَانَ مِنْ قَوَارِيرِ صُفْرِ فَقَالَ: «يَا عَلِيُّ، ارْمِ بِهِ»، فَحَمَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى صَعِدَ فَرَمَى بِهِ فَكَسَرَهُ، فَجَعَلَ أَهْلُ مَكَّةَ يَتَعَجَّبُونَ وَيَقُولُونَ: مَا رَأَيْنَا رَجُلًا أُسْحَرَ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ. وَشِكَايَةُ الْبَيْتِ وَالْوَحْيِ إِلَيْهِ: تَمَثِيلٌ وَتَحْيِيلٌ.

﴿وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾: ذَهَبَ وَهَلَكَ، مِنْ قَوْلِهِمْ: زَهَقَتْ نَفْسُهُ؛ إِذَا خَرَجَتْ. وَالْحَقُّ:

الإسلام. والباطل: الشُّرك. ﴿كَانَ زَهُوقًا﴾: .....

قوله: (يَدْفُونَ)، الجوهري: الدَّفِيفُ: الدَّبِيبُ، وَهُوَ السَّيْرُ اللَّيِّنُ.

قوله: (مِخْصَرَ تَكَ)، الجوهري: المِخْصَرَةُ: كَالسُّوْطِ، وَكُلُّ مَا اخْتَصَرَ الْإِنْسَانُ بِيَدِهِ فَأَمْسَكَهُ مِنْ عَصَا وَنَحْوِهَا.

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَالبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ يَوْمَ الْفَتْحِ وَحَوْلَ الْبَيْتِ ثَلَاثُ مِئَةٍ وَسِتُّونَ صَنْمًا، فَجَعَلَ يَطْعُمُهَا بَعُودًا فِي يَدِهِ وَيَقُولُ: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (١).

وَفِي «مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ»، عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ عَلَى الكَعْبَةِ أَصْنَامٌ، فَذَهَبَتْ لِأَحْمَلِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ أُسْتَطِعْ، فَحَمَلْتَنِي فَجَعَلْتَنِي أَقْطَعُهَا، وَلَوْ شِئْتُ لَنَلْتُ السَّيِّءَ (٢).

(١) أخرجه البخاري (٤٧٢٠)، ومسلم (١٧٨١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١٣٠٢)، والبيزار (٧٦٩)، وأبو يعلى في «المسند» (٢٩٢)، والحاكم في

«المستدرک» (٣٦٦: ٢)، وإسناده ضعيف، وانظر تمام تحريجه في «المسند».

كَانَ مُضْمَحِلاً غَيْرَ ثَابِتٍ فِي كُلِّ وَقْتٍ.

﴿ وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾

[٨٢]

﴿ وَنُنزِّلُ ﴾ قُرئ بالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ ﴿ مِنَ الْقُرْآنِ ﴾: «من» للتَّبْيِينِ، كَقَوْلِهِ: ﴿ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾ [الحج: ٣٠]، أَوْ لِلتَّبْعِيضِ، أَي: كُلُّ شَيْءٍ نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ فَهُوَ شِفَاءٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ، يَزِيدَادُونَ بِهِ إِيَابَانَا، وَيَسْتَصْلِحُونَ بِهِ دِينَهُمْ، فَمَوْقِعُهُ مِنْهُمْ مَوْقِعُ الشِّفَاءِ مِنَ الْمَرَضِيِّ. وَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ لَمْ يَسْتَشْفِ بِالْقُرْآنِ فَلَا شِفَاءَ لَهُ»، وَلَا يَزِيدَادُ بِهِ الْكَافِرُونَ

قَوْلُهُ: (كَانَ مُضْمَحِلاً)، الرَّاعِبُ: زَهَقَتْ نَفْسُهُ مِنَ الْأَسْفِ عَلَى الشَّيْءِ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَتَزَهَّقْ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [التوبة: ٥٥] (١).

قَوْلُهُ: ﴿ وَنُنزِّلُ ﴾ قَرَأَ بِالتَّخْفِيفِ: أَبُو عَمْرٍو (٢).

قَوْلُهُ: «(مِنْ)»: لِلتَّبْيِينِ، كَقَوْلِهِ: ﴿ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾ [الحج: ٣٠]، يَعْنِي: «مِنَ الْقُرْآنِ» بَيَانٌ لِمَفْعُولِ «نُنزِّلُ»، وَهُوَ «مَا هُوَ شِفَاءٌ» وَحَالٌ مِنْهُ، كَمَا أَنَّ ﴿ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿ فَاجْتَكِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾: حَالٌ مِنَ الرِّجْسِ وَبَيَانُهُ، وَعَلَى أَنْ يَكُونَ تَبْعِيضًا يَكُونُ ﴿ مِنَ الْقُرْآنِ ﴾: مَفْعُولًا بِهِ، وَ﴿ مَا هُوَ شِفَاءٌ ﴾: بَدَلًا مِنْهُ، وَلِذَلِكَ قَالَ: «كُلُّ شَيْءٍ نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ فَهُوَ شِفَاءٌ» أَي: كُلُّ حِصَّةٍ وَنَصِيبٍ وَيَعْضُ (٣).

فَالْتَفْسِيرُ الْأَوَّلُ نَازِلٌ مِنْزَلَةَ الْجِنْسِ مِنْ حَيْثُ هُوَ هُوَ، وَالثَّانِي مِنْزَلَةَ الْأَسْتِعْرَاقِ، فَ«الْكَلِّ» فِي كَلَامِ الْمَصْنُفِ أَفْرَادِي.

قَوْلُهُ: (فَمَوْقِعُهُ مِنْهُمْ مَوْقِعُ الشِّفَاءِ مِنَ الْمَرَضِيِّ)، الرَّاعِبُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ لَنَا

(١) «مفردات القرآن»، ص ٣٨٤.

(٢) انظر: «إنحاف فضلاء البشر»، ص ٢٨٦.

(٣) في (ف): «كارهون»، وهو خطأ.

طَيِّبِينَ<sup>(١)</sup>: بدنياً ودينياً<sup>(٢)</sup>، وكلٌّ منهما إما إعادة للصحة أو حفظ لها، والطَّبُّ البدنيُّ الذي تُعادُ به الصحة: العقاقيرُ والأدوية، والذي يُحفظُ بها الصحة: الغذاء والأطعمة. وأما الطَّبُّ الدِّينيُّ، فالذي تَعوَدُ به الصحةُ صَقْلُ العِقلِ واستعماله في تدبُّر<sup>(٣)</sup> الدَّلالاتِ وتعرُّفِ المُعْجِزاتِ ومعرفةِ النُّبُوتِ، والقرآنُ مشحونٌ به، والذي تَعوَدُ<sup>(٤)</sup> به الصحةُ تدبُّرُ الكتابِ المُنَزَّلِ، وتتَّبَعُ سُنَنُ النَّبِيِّ المرسلِ، والعملُ بمقتضاها، وعلى ذلك قوله: ﴿ وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾.

وقلتُ: لَحَّحَ في قوله: «تعودُ به الصحةُ» إلى قوله صلواتُ الله عليه: «كلُّ مولودٍ يولدُ على الفِطْرَةِ فأبواه يهودانه...» الحديث<sup>(٥)</sup>.

ورَوَيْنَا عن الدارمي<sup>(٦)</sup>، عن قتادة: «ما جالسَ القرآنَ أحدًا، فقامَ إلا بزيادةٍ أو نُقصانٍ» ثم قرأ: ﴿ وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ ﴾<sup>(٧)</sup> الآية.

وعن الدارميِّ أيضًا: قال أبو موسى: «إنَّ هذا القرآنَ كائنٌ لكم أجرًا، وكائنٌ لكم ذِكْرًا<sup>(٨)</sup>، وكائنٌ عليكم وِزْرًا<sup>(٩)</sup>، اتَّبِعُوا القرآنَ ولا يَتَّبِعْكُمْ القرآنَ، فإنه من يتَّبِعِ القرآنَ يَهَيِّطُ

(١) سقط لفظ «طَيِّبِينَ» من (ح).

(٢) في (ح) و(ف): «دينياً ودنياً»، والمثبت من (ط)، وهو الموافق لما في «تفسير الراغب» (١: ٧٧).

(٣) في (ف): «تدبير».

(٤) كذا في (ط)، وفي (ح) و(ف): «تحفظ»، وهو لفظ الراغب في «المفردات» لكن سياقي في كلام المؤلف بعد أسطر بلفظ: «تعود».

(٥) أخرجه الإمام مالك في «الموطأ» (١: ٢٤١)، والبخاري (١٣٨٥)، وأبو داود (٤٧١٦)، وانظر تمام تخريجه في «صحيح ابن حبان» (١٢٩).

(٦) في (ح) و(ف): «الترمذي»، وهو خطأ.

(٧) «سنن الدارمي» (٣٣٤٤)، وذكره البغوي في «شرح السنة» (٤: ٤٣٧).

(٨) قوله: «وكائنٌ لكن ذِكْرًا» سقط من (ف).

(٩) قوله: «وكائنٌ عليكم وزراً» سقط من (ح).

﴿لَا خَسَارًا﴾ أي: نقصانًا؛ لتكذيبهم به وكفرهم، كقوله تعالى: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٥].

[﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَتُوسَّسُ﴾ قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴿٨٣ - ٨٤﴾]

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ بالصحة والسعة ﴿أَعْرَضَ﴾ عن ذكر الله، كأنه مُسْتَعْنٍ عنه مُسْتَبِدُّ بِنَفْسِهِ ﴿وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾ تأكيدٌ للإعراض؛ لأن الإعراض عن الشيء: أن

به في رياض الجنة، ومن اتبعه القرآن يزخ في قفاه فيعذفه في جهنم<sup>(١)</sup>. يقال: زخه، أي: دفعه في وهده<sup>(٢)</sup>.

ولما فرغ من بيان علمه شرع في بيان<sup>(٣)</sup> معجزاته صلوات الله عليه، وأنه مما لم يؤت أحد من الأنبياء، قال: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ﴾ الآية، وجعل ما يتصل به من قوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾ الآية، تخلصًا إلى ذكر حديث قوم به بقوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾ الآية<sup>(٤)</sup>، ولهذا أخره عن سائر أنواع الإفضال والإكرام، والله أعلم.

ولما احتوى القرآن علمًا<sup>(٥)</sup> ومعجزة قال ﷺ: «ما من نبي من الأنبياء إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله عز وجل إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة»، أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة<sup>(٦)</sup>.

(١) «سنن الدارمي» (٣٣٢٨).

(٢) وهي الأرض المنخفضة.

(٣) قوله: «علمه شرع في بيان» سقط من (ف).

(٤) قوله: «بقوله» ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾ الآية سقط من (ف).

(٥) في (ح): ذكرا.

(٦) البخاري (٤٩٨١)، ومسلم (٢١٧).

يُؤَلِّهِ عُرْضَ وَجْهِهِ، وَالنَّأْيُ بِالْجَانِبِ: أَنْ يَلْوِي عَنْهُ عِطْفَهُ وَيُوَلِّهِ ظَهْرَهُ، أَوْ أَرَادَ  
الاستكبار؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ عَادَةِ الْمُسْتَكْبِرِينَ، ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ مِنْ فَقْرٍ أَوْ مَرَضٍ أَوْ  
نَازِلَةٍ مِنَ النَّوَازِلِ ﴿كَانَ يَتُوسَّأُ﴾: شَدِيدَ الْيَأْسِ مِنْ رُوحِ اللَّهِ، ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رُوحِ  
اللَّهِ إِلَّا الْكُفْرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]. وَقُرِي: (وَنَاءٌ بِجَانِبِهِ) بِتَقْدِيمِ اللَّامِ عَلَى الْعَيْنِ،  
كَقَوْلِهِمْ: «رَاءٌ» فِي «رَأَى»، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ «نَاءٍ» بِمَعْنَى: «نَهَضَ». ﴿قُلْ﴾ كُلُّ أَحَدٍ  
﴿يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ أَي: عَلَى مَذْهَبِهِ وَطَرِيقَتِهِ الَّتِي تُشَاكِلُ حَالَهُ فِي الْهُدَى وَالضَّلَالَةِ،

قوله: (أو أراد الاستكبار)، يريد: قوله: ﴿وَنَاءٌ بِجَانِبِهِ﴾ إِمَّا أَنْ يَكُونَ كِنَايَةً عَنِ الْإِعْرَاضِ؛  
لِأَنَّ مِنْ يَلْوِي عَنْ الشَّيْءِ عِطْفَهُ وَيُوَلِّهِ ظَهْرَهُ فَقَدْ حَاوَلَ الْإِعْرَاضَ عَنْهُ، فَيَكُونُ تَأْكِيدًا لِمَعْنَى  
﴿أَعْرَضَ﴾ وَدَخَلَتْ الْوَاوُ بَيْنَ الْمُؤَكِّدِ وَالْمُؤَكَّدِ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ كِنَايَةً عَنِ الْإِسْتِكْبَارِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ  
مِنْ عَادَةِ الْمُتَكَبِّرِينَ، فَيَكُونُ تَكْمِيلًا لِكُونِ مَفْهُومِهِ غَيْرَ<sup>(١)</sup> مَفْهُومِ الْإِعْرَاضِ، فَقَدْ جَمَعُوا بَيْنَ  
الهِئَتَيْنِ.

قوله: (وقرئ: «وناء بجانبه»)، قرأها ابنُ دُكَّوَانِ.

الرَّاغِبُ: نَاءٌ بِجَانِبِهِ يَنْوُ وَيَنْوَأُ، أَي: يَنْهَضُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا إِنْ مَفَاتِحَهُ لَسَنُوًّا بِالْعُصْبَةِ﴾  
[القصص: ٧٦]، وَيُقَالُ: نَاءٌ بِجَانِبِهِ يَنْأَى نَأْيًا، مِثْلُ: نَعَى: أَعْرَضَ. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: تَبَاعَدَ،  
وَقُرِي: «وَفَاءٌ بِجَانِبِهِ»، أَي: تَبَاعَدَ، وَمِنْهُ: النَّوْيُ؛ لِحَقِيرَةِ حَوْلِ الْخِيبَاءِ تَبَاعُدِ الْمَاءِ عَنْهُ. وَقِيلَ:  
نَأَى بِجَانِبِهِ مِثْلُ نَعَى، أَي: نَهَضَ بِهِ، عِبَارَةٌ عَنِ التَّكَبُّرِ كَقَوْلِكَ شَمَخَ بِأَنْفِهِ وَأَزْوَرَ بِجَانِبِهِ،  
وَأَنْتَأَى: افْتَعَلَ، مِنْهُ، وَالْمُنْتَأَى: الْمَوْضِعُ الْبَعِيدُ<sup>(٢)</sup>.

قوله: (وطريقته التي تُشَاكِلُ حَالَهُ فِي الْهُدَى وَالضَّلَالَةِ)، إِشَارَةٌ إِلَى اتِّصَالِ هَذِهِ الْآيَةِ  
بِقَوْلِهِ: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ أَنْ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾.

الرَّاغِبُ: عَلَى شَاكِلَتِهِ، أَي: سَجِيَّتِهِ الَّتِي قَيَّدَتْهُ، مِنْ شَكَلْتُ الدَّابَّةَ، وَذَلِكَ أَنَّ سُلْطَانَ

(١) لفظة «غير» سقطت من (ط).

(٢) «مفردات القرآن»، ص ٨٣١.

مِنْ قَوْلِهِمْ: «طَرِيقٌ ذُو شَوَاكِلٍ»؛ وَهِيَ الطَّرِيقُ الَّتِي تَتَشَعَّبُ مِنْهُ، وَالذَّلِيلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿فَرَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ أَي: أَسَدُّ مَذْهَبًا وَطَرِيقَةً.

[ ﴿وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ]

[٨٥]

الأكثر على أنه الرُّوحُ الذي في الحيوان. سألوه عن حقيقته فأخبر أنه من أمر الله، أي: مما استأثر بعلمه. وعن ابن بريدة: لقد مضى النبي ﷺ وما يعلم الروح. وقيل: هو

السَّجِيَّةُ عَلَى الْإِنْسَانِ قَاهِرٌ حَسْبَمَا بَيَّنَّتْ فِي «الذَّرِيعَةِ إِلَى مَكَارِمِ الشَّرِيعَةِ»<sup>(١)</sup>، هَذَا كَمَا قَالَ ﷺ: «كُلُّ مُيَسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ»، وَالْأَشْكَالَةُ: الْحَاجَةُ الَّتِي تُقَيِّدُ الْإِنْسَانَ<sup>(٢)</sup>.

وقلت: الحديث هو ما رَوَيْنَا عَنْ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ وَأَحْمَدَ وَالتِّرْمِذِيِّ وَأَبِي دَاوُدَ وَابْنَ مَاجَةَ، عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَكَلَّمُ عَلَى كِتَابِنَا؟ فَقَالَ: «اعْمَلُوا، فَكُلُّ مُيَسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ؛ أَمَا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيَسِيرُ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَيَسِيرُ لِعَمَلِ الشَّقَاءِ»، ثُمَّ قَرَأَ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَكَّ﴾ [الليل: ٥] الْآيَةَ.

قَوْلُهُ: (مِنْ أَمْرِ اللَّهِ)، أَي: مِمَّا اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِعِلْمِهِ، يَعْنِي: مِنْ أَمْرِ رَبِّي لَا مِنْ أَمْرِي، فَلَا أَقُولُ لَكُمْ مَا هِيَ؟ وَالْأَمْرُ بِمَعْنَى الشَّانِ، أَي: مَعْرِفَةُ الرُّوحِ مِنْ شَأْنِ اللَّهِ لَا مِنْ شَأْنِ غَيْرِهِ، وَلِذَلِكَ طَابَقَهُ قَوْلُهُ: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾. قَالَ الْإِمَامُ: الْمُخْتَارُ: أَنَّهُمْ سَأَلُوهُ

(١) وَهُوَ كِتَابٌ حَاوَلَ فِيهِ الْجَمْعُ بَيْنَ الشَّرِيعَةِ وَالْحِكْمَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَهُوَ مَطْبُوعٌ مُتَدَاوِلٌ، وَانظُرْ: مِنْهُ ص ٣٩، حَيْثُ قَالَ: «وَأَمَّا حَدُوثُ السَّجِيَّةِ إِلَى خِلَافِ مَا خُلِقَتْ لَهُ فَمُحَالٌ، فَالسَّجِيَّةُ فِعْلُ الْخَالِقِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْعَادَةُ فِعْلُ الْمَخْلُوقِ، وَلَا يُبْطَلُ فِعْلُ الْمَخْلُوقِ فِعْلَ الْخَالِقِ». انْتَهَى. وَانظُرْ كَلَامَ الرَّاعِبِ فِي «مَفْرَدَاتِ الْقُرْآنِ» ص ٤٦٢-٤٦٣.

(٢) «أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (٦٢١) وَالبُخَارِيُّ (٤٩٤٦) وَمُسْلِمٌ (٢٦٤٧) وَالتِّرْمِذِيُّ (٢١٣٦) وَأَبُو دَاوُدَ (٤٦٩٤) وَابْنُ مَاجَةَ (٧٨) وَصَحَّحَهُ ابْنُ حَبَّانَ (٣٣٤) وَانظُرْ تَمَامَ تَحْرِيجِهِ فِي «مُسْنَدِ أَحْمَدِ».



خَلَقَ عَظِيمٌ رُوحَانِيٌّ أَعْظَمُ مِنَ الْمَلِكِ. وَقِيلَ: جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَقِيلَ: الْقُرْآنُ، وَ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ أَي: مِنْ وَحْيِهِ وَكَلَامِهِ، لَيْسَ مِنْ كَلَامِ الْبَشَرِ. بَعَثَ الْيَهُودَ إِلَى قُرَيْشٍ: أَنْ سَلُّوهُ عَنْ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، وَعَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ، وَعَنْ الرُّوحِ، فَإِنْ أَجَابَ عَنْهَا أَوْ سَكَتَ؛ فَلَيْسَ نَبِيًّا، وَإِنْ أَجَابَ عَنْ بَعْضٍ وَسَكَتَ عَنْ بَعْضٍ؛ فَهُوَ نَبِيٌّ، فَبَيَّنَ لَهُمُ الْقِصَّتَيْنِ وَأَبْهَمَ أَمْرَ الرُّوحِ، وَهُوَ مُبْهَمٌ فِي التَّوْرَةِ، فَتَدِمُوا عَلَى سُؤَالِهِمْ.

﴿وَمَا أُوتِيْتُمْ﴾ الْخَطَابُ عَامًّا. ....

عَنْ الرُّوحِ، وَأَنَّهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَجَابَ عَنْهُ بِأَحْسَنِ الْوَجُوهِ<sup>(١)</sup> بِقَوْلِهِ: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾، يَعْنِي أَنَّهُ مَوْجُودٌ مَحْدُوثٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَتَكْوِينُهُ، وَتَأْتِيرُهُ إِفَادَةُ الْحَيَاةِ لِلْجَسَدِ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ عَدَمِ الْعِلْمِ بِحَقِيقَتِهِ الْمَخْصُوصَةِ نَفْيُهُ، فَإِنَّ أَكْثَرَ حَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ وَمَاهِيَّاتِهَا مَجْهُولَةٌ، وَلَمْ يَلْزَمْ مِنْ كَوْنِهَا مَجْهُولَةً نَفْيُهَا، وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ: ﴿وَمَا أُوتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾، وَقَالَ الْقَاضِي: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ السُّؤَالُ عَنْ قَدِيمِهِ وَحُدُوثِهِ، فَأَجِيبَ: أَنَّهُ وُجِدَ بِأَمْرِهِ وَحَدُوثَ بِنُكْوِينِهِ<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ: ﴿﴿وَمَا أُوتِيْتُمْ﴾ الْخَطَابُ عَامًّا﴾، قَالَ الْقَاضِي: يَعْنِي قَوْلَهُ: ﴿﴿وَمَا أُوتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾﴾ أَتَمَّ تَسْتَفِيدُونَهُ بِتَوْسِطِ حَوَاسِكُمْ، فَإِنَّ اكْتِسَابَ الْعَقْلِ لِلْعُلُومِ النَّظَرِيَّةِ مُسْتَفَادٌ مِنْ إِحْسَاسِ الْجَزْئِيَّاتِ، وَلِذَلِكَ قِيلَ: مَنْ فَقَدَ حِسًّا فَقَدَ عِلْمًا، وَلَعَلَّ أَكْثَرَ الْأَشْيَاءِ لَا يُدْرِكُهَا الْحِسُّ وَلَا شَيْئًا مِنْ أَحْوَالِهَا الْمَعْرِفَةُ لِذَاتِهَا، وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الرُّوحَ مِمَّا لَا يُمَكِّنُ مَعْرِفَةَ ذَاتِهِ إِلَّا بِعَوَارِضٍ تُمَيِّزُهُ عَمَّا يَلْتَبِسُ بِهِ، فَلِذَلِكَ اقْتَصَرَ عَلَى هَذَا الْجَوَابِ، كَمَا اقْتَصَرَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي جَوَابِ ﴿﴿وَمَارَبُّ الْعَالَمِينَ﴾﴾ [الشعراء: ٢٣] بِذِكْرِ بَعْضِ صِفَاتِهِ. تَمَّ كَلَامُهُ<sup>(٣)</sup>.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَوْقِعُ هَذَا السُّؤَالِ فِي هَذَا الْمَقَامِ؟ قُلْتُ - وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ -: الرُّوحُ وَالْعِلْمُ تَوَاقِفٌ وَمَوْهَبَاتَانِ عَظِيمَتَانِ لَا سَبِيحَ الْوَحْيِيِّ، وَلِذَلِكَ قُرِنَ بِقَوْلِهِ: ﴿﴿وَمَا أُوتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾﴾ وَعَقَبَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿﴿وَلَكِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾﴾، وَعَقَّبَ بِهِ ﴿﴿وَنُنزِّلُ﴾﴾

(١) «مفاتيح الغيب» (٢١: ٣٧).

(٢) «أنوار التنزيل» (٣: ٤٦٤) وعبارة القاضي ثمة: «على أن السؤال عن قديمه وحدوثه انتهى. فهو جازم بمورد السؤال، لا على الجواز كما ذهب إليه الطيبي رحمه الله.

(٣) «أنوار التنزيل» (٣: ٤٦٤).

مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ ﴿١﴾، وقد تقدّم (١) مرارًا وأطوارًا أن فواتح السور بمقتضى براءة الاستهلال مؤذنة باشتغال السور على ما تضمّنت الفاتحة من المعنى، ولما افتتحت هذه السورة الكريمة بالكرامة السنّية والموهبة الرّفيعة لسيدنا صلوات الله عليه، وهي بيان مقام الدنوّ والزّلفى، واستجلب ذلك حديث الكليم عليه السلام وبنى إسرائيل، ثمّ حديث الكفّار من هذه الآية، وأريد العود إلى البدء، وتعداد كرائم وموانع أخرى، ابتدئ بها يناسب «الإسراء» من إقامة الصلوات مقرونة بذكر أوقاتها، فقيل: ﴿أَقْرَبُ الصَّلَاةِ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ﴾، ومن ثمّ قال صلوات الله عليه: «وجعلت قرّة عيني في الصلاة» (٢)، وأخرى: «أنّ تعبد الله كأنك تراه» (٣)، وتارة: «أرخنا يا بلال» (٤)، وجعل ذلك ذريعة إلى ذكر منقبتين جليلتين: أخروية، وهي مقام الشفاعة.

وقيل: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾. رَوَيْنَا عَنِ التِّرْمِذِيِّ، عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ، فَقَالَ: هُوَ الشَّفَاعَةُ (٥).

وعن الدارمي عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ، أنّه قال له: ما المقام المحمود؟ قال: «ذاك يوم ينزل الله تعالى على كرسيه، ويجاء بكم حفاة عراة غرلا، فيكون أوّل من يكسى إبراهيم، فيؤتى بربطتين (٦) من رباط الجنة، ثمّ أكسى على أثره، ثمّ أقوم عن يمين الله مقاما يغيطنى الأولون والآخرون» (٧).

(١) في (ف): «تقرّر».

(٢) هو جزء من حديث أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١٢٢٩٣)، والنسائي (٧: ٦١)، وأبو يعلى في «المسند» (٣٤٨٢)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٥١٩٩)، وصححه الضياء المقدسي في «المختارة» (١٧٣٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وانظر تمام تحريجه في «مسند أحمد».

(٣) سبق تحريجه.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٩٨٧) بلفظ: «يا بلال، أقم الصلاة أرخنا بها»، والطبراني في «المعجم الكبير» (٦٠٩٠).

(٥) «سنن الترمذي» (٣١٣٧) وقال: هذا حديث حسن، وأخرجه الطبراني في «جامع البيان» (١٥: ٩٨).

(٦) مفردة ربطة، وهي كل ثوب لين رقيق.

(٧) هو جزء من حديث طويل أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٣٧٨٧)، والدارمي في «السنن» (٢٨٠٠)، =

وعن الترمذي، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، بيدي لواء الحمد<sup>(١)</sup> ولا فخر، وما من نبيّ يومئذٍ، آدم فمن سواه، إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر»، قال: «فيقزع الناس ثلاث فزعَات، فيأتون آدم فيقولون: أنت أبونا آدم فاشفع لنا إلى ربك». فيقول: إني أذنبت...» وساق الحديث إلى قوله: «فأخِرُ ساجداً فيلهمني الله من الثناء والحمد، فيقال لي: ارفع رأسك، وسل تعطه، واشفع تُشفع، وقل يُسمع لقولك، وهو المقام المحمود الذي قال الله عز وجل: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾»<sup>(٢)</sup>.

وأما المنقبة النبوية فمفتتحها الأمر بالمهجرة إلى دار النصرة، وقوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ إشارة إلى ذلك. رَوينا في «شرح السنة» عن ابن عباس والحسن وقتادة: أدخلني: كان النبي ﷺ بمكة، أمر بالمهجرة، فنزلت عليه: ﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾<sup>(٣)</sup>. ألا ترى كيف ذكّل الإخراج والإدخال بما ينبيء عن استنزال النصر من جناب الفردانية، والحضرة الصمدانية، من قوله: ﴿وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾، ﴿لِيُحِقَّ الْحَقُّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال: ٨] ومن ثم قيل له: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾. وحين أراد الله أن يشرح غزارة علمه رمز إليه بقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني: أنه صلوات الله عليه يعترف بعلمه من البحر الذي تنفذ الأبحر السبعة دون نفاذه<sup>(٤)</sup>، ولما كان السؤال عن

= والبزار في «المسند» (٣٤٧٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠١٧)، بإسناد ضعيف لضعف عثمان بن عمير البجلي.

(١) أخرجه مسلم (٢٢٧٨)، والترمذي (٣١٤٨).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) «شرح السنة» للبخاري (١٣: ٣٥٣). وهذا نقل غير محرر، فالذي في «شرح السنة»: يروى عن ابن

عباس والحسن وقتادة: «أدخلني مدخل صدق»: المدينة، «وأخرجني مخرج صدق»: مكة.

(٤) فيه إنباء إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا

فِيَدَّتْ كَلِمَتُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧].

وروي: أن رسول الله ﷺ لما قال لهم ذلك قالوا: نحن محتصون بهذا الخطاب أم أنت معنا فيه؟ فقال: «بل نحن وأنتم لم تؤت من العلم إلا قليلاً»، فقالوا: ما أعجب شأنك! ساعة تقول: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]، وساعة تقول هذا؛ فنزلت: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ﴾ [القلم: ٢٧]، وليس ما قالوه بلازم؛ لأن القلّة والكثرة تدوران مع الإضافة، فيوصف الشيء بالقلّة مضافاً إلى ما فوقه، وبالكثرة مضافاً إلى ما تحته، فالحكمة التي أوتيها العبد خير كثير في نفسها؛ إلا أنها إذا أضيفت إلى علم الله فهي قليلة. وقيل: هو خطاب لليهود خاصة؛

الروح امتحاناً من المعاندين لعلمه، أوردّه في السنن، ألا ترى كيف كافحهم بنزارة عليهم بقوله: ﴿وَمَا أُوتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وبغزارة علمه على سبيل النصفه والاستدراج بقوله: ﴿وَلَكِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾؟ روينا عن الإمام أحمد والترمذي، عن ابن عباس قال: قالت قريش لليهود: أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح. فسألوه: فأنزل الله تعالى: ﴿وَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ الآية. قالوا: أوتينا علماً كثيراً، أوتينا التوراة، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيراً كثيراً، فأنزلت: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَتِي رَبِّي﴾ الآية (١).

فإن قلت: فما وجه اتصال قوله: ﴿وَإِذَا أَعْمَنَّا عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ الآيتين، بالكلام؟

قلت: هو اعتراض لمعنى الزيادة والنقصان، جاء مستطرداً في أثناء الكلام؛ لأن السياق دلّ على كون القرآن رحمةً وسبباً لمزيد المؤمنين، وما ينالون به الإفضال والقرب والزلقى عند الله، وخساراً وبعداً للقوم الظالمين.

وقد تقرّر أن ذلك السؤال كان امتحاناً من الظلمة، وتضمّن الإشعار بنزارة عليهم وغزارة علمه صلوات الله عليه، فلذلك كان مؤكداً للمعنيين، وينصره قوله: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾.

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٢٣٠٩)، والترمذي (٣١٤٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٣١٤)، وأبو يعلى في «المسند» (٢٥٠١)، وصححه ابن حبان (٩٩)، وفيه تمام تخريجه.

لأنهم قالوا للنبي ﷺ: قد أوتينا التوراة وفيها الحكمة، وقد تَلَوْتَ: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]، فقل لهم: إن علم التوراة قليل في جنب علم الله.

﴿ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا \* إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴾ [٨٦-٨٧]

﴿لَنَذْهَبَنَّ﴾: جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط. واللام الداخلة على «إن» موثقة للقسم. والمعنى: إن شئنا ذهبنا بالقرآن ومخونه عن الصدور والمصاحف فلم نترك له أثرًا، وبقيت كما كنت لا تدري ما الكتاب، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ﴾ بعد الذهاب ﴿بِهِ﴾ ﴿مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَيْنَا بِاسْتِرْدَادِهِ وَإِعَادَتِهِ مَحْفُوظًا مَسْطُورًا﴾ ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ﴾: إلا أن يرحمك ربك فيرده عليك، كأن رحمته تتوكل عليه بالردة، أو يكون على الاستثناء المنقطع، بمعنى: ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهب به. وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظًا بعد المنّة العظيمة في تنزيله وتحفيظه، فعلى كل ذي علم أن لا يغفل عن هاتين المنّتين والقيام بشكرهما؛ وهما: منّة الله عليه بحفظ العلم ورُسُوخه في صدره، ومنّته عليه في بقاء المحفوظ. وعن ابن مسعود رضي الله عنه: إن أول ما تفقدون من دينكم الأمانة، وآخر ما تفقدون الصلاة، وليصلين قوم

قوله: ﴿مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَيْنَا بِاسْتِرْدَادِهِ﴾، أي: يصير وكيلًا علينا. والتوكل والموكل بمعنى.

قوله: ﴿وَلَكِنْ رَحْمَةٌ مِن رَّبِّكَ تَرَكْتَهُ غَيْرَ مَذْهُوبٍ بِهِ﴾ يُرِيدُ أَنَّ الاسْتِثْنَاءَ مَنْقُوعٌ وَالْمُسْتَدْرَكُ

قوله: ﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ﴾، وعلى الأول الاستثناء متصل، والمستثنى منه: ﴿وَكَيْلًا﴾.

وقال أبو البقاء: ﴿إِلَّا رَحْمَةً﴾: مفعول له، أي: حفظناه عليك للرحمة، ويجوز أن يكون مصدرًا، أي: لكن رحمتك رحمة<sup>(١)</sup>.

(١) «التبيان في إعراب القرآن» (٢: ٨٣١).

ولا دين لهم، وإن هذا القرآن تُصْبِحُونَ يومًا وما فيكم منه شيء، فقال رجل: كيف ذلك وقد أثبتناه في قلوبنا وأثبتناه في مصاحفنا نعلمه أبناءنا ونعلمه أبناءنا أبناءهم؟ فقال: يُسرى عليه ليلاً فيُصيحُ الناسُ منه فقراء تُرْفَعُ المصاحفُ ويُزَعُ ما في القلوب.

[ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ

وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ]

﴿لَا يَأْتُونَ﴾: جوابُ قَسَمِ مَحذُوفٍ، ولولا اللامُ الموطئة لجازَ أن يكونَ جوابًا

للشُرطِ، كقولِهِ: .....

قوله: (كيف ذلك وقد أثبتناه في قلوبنا؟)، رَوينا عن الإمام أحمد بن حنبلٍ والترمذي وابن ماجه والدارمي، عن زياد بن لبيد قال: ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ شيئًا فقال: «ذلك عند أوانِ ذهابِ العِلْمِ» فقلتُ: يا رسولَ الله، وكيف يذهبُ العِلْمُ ونحنُ نقرأُ القرآنَ ونُقرئُهُ أبناءنا وبقريتهُ أبناءنا أبناءهم إلى يومِ القيامة؟ فقال: «ثكلتكَ أمُّك يا زياد، إن كنتُ لأراك من أفقه رجلٍ بالمدينة، أو ليسَ هذه اليهودُ والنصارى يقرأونَ التوراةَ والإنجيلَ لا يعملونَ بشيءٍ مما فيها؟»<sup>(١)</sup>.

وفي «شرح السنّة»: عن عبدِ الله بن عمرو: «لا تقومُ الساعَةُ حتّى يرجعَ القرآنُ من حيثُ نزل، له دويٌّ حولَ العرشِ كدويِّ النحل. يقولُ الرَّبُّ: ما لك؟ فيقول: يا ربِّ، أتلى، ولا يُعملُ بي»<sup>(٢)</sup>.

وفيه أيضًا، عن ابنِ مسعود: لا تقومُ الساعَةُ حتّى<sup>(٣)</sup> يُرْفَعَ القرآنُ، ثمَّ يُفيضونَ في الشُّعرِ<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١٧٤٧٣)، وابن ماجه (٤٠٤٨)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣٠٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٥٢٩١) بإسنادٍ صحيح.

(٢) «شرح السنّة» (٣١٧: ١).

(٣) من قوله: «يرجع القرآن من حيث نزل، له دويٌّ إلى هنا سقط من (ف).

(٤) «شرح السنّة» (٣١٧: ١).

### يقول لا غائب مالي ولا حرم

لأن الشرط وقع ماضيًا، أي: لو تظاهروا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في بلاغته وحسن نظمه وتأليفه، وفيهم العرب العاربة أرباب البيان؛ لعجزوا عن الإتيان بمثله. والعجب من النوابت ومن زعمهم أن القرآن قديم مع اعترافهم بأنه معجز،

قوله: (يقول لا غائب مالي ولا حرم)، أو له:

وإن أتاه خليل يوم مسغبة<sup>(١)</sup>

المسغبة: المجاعة، ورؤي: مسألة. البيت لزهير يمدح هرم بن سنان، يقول: إذا أتاه فقيرٌ وقد رفع إليه حاجته، لم يتشاغل بنوع العليل. وعنى بالمال: الإبل.

قوله: (لأن الشرط وقع ماضيًا)، تعليل بجواز وقوع ﴿لا يأتون﴾ جوابًا للشرط، يعني: لو لم تكن اللام في (لئن) لجاز لا يأتون مع وجود النون أن يقع جوابًا للشرط؛ لأن قوله: ﴿اجتمعت﴾ ماضي، فلما لم تعمل الأداة في الجزء الأول لا يعمل في الثاني<sup>(٢)</sup>.

قوله: (من النوابت)، والنوابت: الأحداث الأعمار<sup>(٣)</sup>. قال صاحب «التقريب»: واستدل صاحب «الكشاف» بإعجازه على حدوثه، إذ لو كان قديمًا لم يكن مقدورًا، فلا يكون معجزًا كالمحال، وجوابه: منع الملازمة، إذ مصحح المقدورية هو الإمكان، وهو حاصل، لا الحدوث.

وأيضًا، المعجز لفظه ولا يقال بقدمه، والقديم كلام النفس ولا يقال بإعجازه.

وأيضًا، سلمنا أن القديم لا يقدر البشر على عينه، لكن لم لا يقدر على مثله؟

قال صاحب «الانتصاف»: القديم: مدلول العبارات، وهو صفة قديمة قائمة بذات الله

(١) سبق تخريجه من «ديوان زهير». ووقع في (ف): يوم مسألة.

(٢) تقدمت هذه الفقرة في الأصول على التي قبلها، وأخرناها مراعاة لـ «الكشاف».

(٣) وهو لفظ تَنَبَّز به المعتزلة مخالفيها من أهل السنة تصغيرًا لشأنهم، وللجاحظ لهج كثير بهذا اللفظ الشيع، على عادة المعتزلة في قرف خصومهم وإطلاق الستهم فيهم.

وإنما يكون العجز حيث تكون القدرة، فيقال: الله قادرٌ على خلق الأجسام والعباد عاجزون عنه، وأما المحال الذي لا مجال فيه للقدرة، ولا مدخل لها فيه، كثنائي القديم؛ فلا يُقال للفاعل: قد عجز عنه، ولا هو مُعجز، ولو قيل ذلك لجاز وصف الله بالعجز؛ لأنه لا يوصف بالقدرة على المحال، إلا أن يكابروا فيقولوا: هو قادرٌ على المحال، فإن رأس ما لهم المكابرة وقلب الحقائق.

﴿ وَلَقَدْ صَرَفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾

[٨٩]

﴿ وَلَقَدْ صَرَفْنَا ﴾: ردّدنا وكرّرنا ﴿ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴾: من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه. والكفور: الجحود. فإن قلت: كيف جاز ﴿ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ ولم يجز: ضربتُ إلا زيدا؟ قلت: لأن «أبى» متاوّل بالنفي، كأنه قيل: فلم يرضوا إلا كفورا.

﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا \* أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا \* أَوْ تُسْقَطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَتِ

تعالى، ويُسمى قرآنا وكلمات أيضا، والمعجز: الدليل لا المدلول، لكن أهل السنة يتحرزون من إطلاق المخلوق لوجهين: لإيهامه، ولأن السلف الصالح كفّوا عنه، وكم من معتقد لا يطلّق القول به خشية من إيهام غيره، فلا يصح إلزام الزّخشي<sup>(١)</sup>.

وقلت: الوجه الأخير لصاحب «التقريب» هو الوجه، لما قرّره المصنّف في قوله: ﴿ قَاتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ ﴾ [البقرة: ٢٣] فإن قلت: ما مثله حتى يأتوا بسورة من ذلك المثل؟ قلت: معناه بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن النظم<sup>(٢)</sup>، ومن ثم لم تكن سائر الكتب السماوية معجزة، وإن كُنّ مثل القرآن في ذلك المعنى.

(١) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٢: ٦٩٢).

(٢) انظر: (٢: ٣٢٢).



عَلَيْنَا كَسْفًا أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةَ فَيَلَا \* أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرِفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي  
السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقَيْبِكَ حَتَّىٰ نُنزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ. قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا  
بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٠-٩٣﴾

لَمَّا تَبَيَّنَ إِعْجَازُ الْقُرْآنِ وَانضَمَّتْ إِلَيْهِ الْمُعْجِزَاتُ الْأُخْرَىٰ وَالْبَيِّنَاتُ وَلَزِمَتْهُمْ الْحُجَّةُ  
وَعُلبُوا، أَخَذُوا وَيَتَعَلَّلُونَ بِاقْتِرَاحِ الْآيَاتِ؛ فَعَمَلُ الْمَبْهُوتِ الْمَحْجُوجِ الْمُتَعَثِّرِ فِي أَذْيَالِ الْحَيْرَةِ،  
فَقَالُوا: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ وَحَتَّىٰ. (تَفَجَّرَ): تَفَتَّحَ. وَقُرِي: ﴿تَفَجَّرَ﴾ بِالتَّخْفِيفِ، ﴿مِنْ  
الْأَرْضِ﴾: يَعْنُونَ أَرْضَ مَكَّةَ، ﴿يَنْبُوعًا﴾: عَيْنًا غَزِيرَةً مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَتَّبِعَ بِالمَاءِ لَا تَقْطَعُ،  
«يَفْعُولُ» مِنْ: نَبَعَ المَاءُ، كـ «يَعْبُوبُ» مِنْ: عَبَّ المَاءُ. ﴿كَمَا زَعَمْتَ﴾: يَعْنُونَ قَوْلَ اللَّهِ  
تَعَالَى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُخَسِّفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمُ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [سبا: ٩]،

قَوْلُهُ: (وَقُرِي: ﴿تَفَجَّرَ﴾، بِالتَّخْفِيفِ)، الْكُوفِيُّونَ: بِفَتْحِ التَّاءِ وَضَمِّ الْجِيمِ مُخَفَّفًا<sup>(١)</sup>،  
وَالْبَاقُونَ: بِضَمِّ التَّاءِ وَكسْرِ الْجِيمِ مُشَدَّدًا<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ: (لَا تَقْطَعُ)، مَرْفُوعٌ بَعْدَ حَذْفِ «أَنْ»، أَي: لَا تَنْضَبُ، الْقَاضِي: الْيَنْبُوعُ: عَيْنٌ لَا  
يَنْضَبُ مَاوَهَا<sup>(٣)</sup>، كَأَنَّ الْبِنَاءَ دَلٌّ عَلَى الْمَبَالِغَةِ.

قَوْلُهُ: (عَبَّ المَاءَ)، أَي: زَخَرَ، مِنْ الْعُبَابِ. الْجَوْهَرِيُّ: الْعُبَابُ: - بِالضَّمِّ - مُعْظَمُ المَاءِ  
وَكَثْرَتُهُ وَارْتِفَاعُهُ.

قَوْلُهُ: ﴿كَمَا زَعَمْتَ﴾: يَعْنُونَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُخَسِّفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ  
عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾، وَكَانَ ذَلِكَ عِنَادًا وَتَمَرُّدًا، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ

(١) وَحُجَّتُهُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَنْبُوعًا﴾ وَالْيَنْبُوعُ وَاحِدٌ، وَالتَّشْدِيدُ إِنَّمَا يَكُونُ لِلتَّكْثِيرِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، فَلَا يَحْسُنُ  
مَعَهُ (فَعَلَّ) لَمَّا كَانَ الْيَنْبُوعُ وَاحِدًا. انظر: «حُجَّةُ الْقِرَاءَاتِ»، ص ٤٠٩.

(٢) وَحُجَّتُهُمْ إِجْمَاعُ الْجَمِيعِ عَلَى التَّشْدِيدِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَالَهَا نَهْرًا﴾ [الكهف: ٣٣] وَالنَّهْرُ وَاحِدٌ  
كَالْيَنْبُوعِ، فَشَدَّدُوا فِي فِعْلِ الْوَاحِدِ لِتَكَثُّرِ الْإِنْفِجَارِ مِنْهُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ. انظر: «حُجَّةُ الْقِرَاءَاتِ»، ص ٤١٠.

(٣) «أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ» (٣: ٤٦٦).

قُرِي: (كِسْفًا) بِسُكُونِ السَّيْنِ جَمَعَ كِسْفَةً كَسِدْرَةٌ وَسِدْرٌ، وَبِفَتْحِهِ. ﴿قَبِيلًا﴾: كَفَيْلًا بِهَا تَقُولُ شَاهِدًا بِصِحَّتِهِ. وَالْمَعْنَى: أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ قَبِيلًا، وَبِالْمَلَأْتِكَةَ قُبَلَاءً، كَقَوْلِهِ:

..... كُنْتُ مِنْهُ وَوَالِدِي بَرِيًّا .....

فَلَيْتِي وَقِيَّازُ بِهَا لَعْرِبُ

أَوْ مُقَابِلًا، كَالْعَشِيرِ بِمَعْنَى الْمُعَايِرِ، وَنَحْوُهُ: ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْمَلْتِكَةَ أَوْ نَزَى

سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾ [الطور: ٤٤]، قَالَ: لَوْ أَسْقَطْنَاهُ عَلَيْهِمْ لَقَالُوا: سَحَابٌ مَرْكُومٌ<sup>(١)</sup>، وَلَمْ يُصَدِّقُوا أَنَّهُ كِسْفٌ سَاقِطٌ لِلْعَذَابِ<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ: (قُرِيَّ «كِسْفًا» بِسُكُونِ السَّيْنِ) نَافِعٌ وَعَاصِمٌ وَابْنُ عَامِرٍ: ﴿كِسْفًا﴾ بِفَتْحِ السَّيْنِ، وَالباقونَ: بِإِسْكَانِهَا<sup>(٣)</sup>.

قَوْلُهُ: (أَوْ مُقَابِلًا): عَطَفَ عَلَى قَوْلِهِ: «كَفَيْلًا»، يَعْنِي: إِذَا كَانَ ﴿قَبِيلًا﴾ بِمَعْنَى: كَفَيْلًا، كَانَ التَّقْدِيرُ: أَوْ يَأْتِي بِاللَّهِ قَبِيلًا وَبِالْمَلَأْتِكَةَ قَبِيلًا، وَإِذَا كَانَ بِمَعْنَى «مُقَابِلًا» يَعُودُ الْمَعْنَى: تَأْتِي بِاللَّهِ مُقَابِلًا وَبِالْمَلَأْتِكَةَ مُقَابِلِينَ، وَاسْتَشْهَدَ لِلأَوَّلِ بِقَوْلِهِ: ﴿أَوْ نَزَى رَبَّنَا﴾ [الفرقان: ٢١] بِنَاءً عَلَى مَذْهَبِهِ<sup>(٤)</sup>؛ لِأَنَّ النَّظَرَ إِلَى الشَّيْءِ يَقْتَضِي الْمُقَابِلَةَ، وَلِلثَّانِي: ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْمَلْتِكَةَ﴾ [الفرقان: ٢١]، وَقَوْلُهُ: «أَوْ جَمَاعَةً» اِحْتِمَالٌ آخَرَ، بِمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَالْمَلْتِكَةَ قَبِيلًا﴾.

الجَوْهَرِيُّ: الْقَبِيلُ: الْجَمَاعَةُ، تَكُونُ مِنَ الثَّلَاثَةِ فَصَاعِدًا مِنْ قَوْمٍ شَتَّى، وَعَلَى هَذَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿قَبِيلًا﴾: حَالًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَالمَلَأْتِكَةَ مَعًا، قَالَ أَبُو الْبَقَاءِ: ﴿قَبِيلًا﴾: حَالٌ مِنَ المَلَأْتِكَةَ، أَوْ مِنَ اللَّهِ وَالمَلَأْتِكَةَ<sup>(٥)</sup>.

(١) قوله: «عليهم لقالوا: سحابٌ مركوم» سقط من (ف).

(٢) انظر: (١٥: ٦٥).

(٣) انظر: «معاني القراءات» للأزهري، ص ٢٦١-٢٦٢، حيث أجاد في تحرير هذا المقام.

(٤) يعني في نفي رؤية الله تبارك وتعالى.

(٥) «البيان في إعراب القرآن» (٢: ٨٣٢).

رَبَّنَا ﴿ [الفرقان: ٢١]، أو جَمَاعَةً حَالًا مِنَ المَلَائِكَةِ. ﴿مِن زُخْرُفٍ﴾: من ذَهَب. ﴿فِي السَّمَاءِ﴾: فِي مَعَارِجِ السَّمَاءِ، فَحُذِفَ المُضَافُ. يُقَالُ: رَقِيَ فِي السَّلْمِ فِي الدَّرَجَةِ، ﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾: وَلَنْ نُؤْمِنَ لِأَجْلِ رُقِيِّكَ ﴿حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا﴾ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ تَصْدِيقُكَ. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أَمِيَّةٍ: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَتَّخِذَ إِلَى السَّمَاءِ سُلْمًا، ثُمَّ تَرْقَى فِيهِ وَأَنَا أَنْظُرُ حَتَّى تَأْتِيَهَا ثُمَّ تَأْتِي مَعَكَ بِصَكِّ مَنشور، مَعَهُ أَرْبَعَةٌ مِنَ المَلَائِكَةِ يَشْهَدُونَ لَكَ أَنَّكَ كَمَا تَقُولُ. وَمَا كَانُوا يُقْصِدُونَ بِهَذِهِ الاِقْتِرَاحَاتِ إِلَّا العِنَادَ وَاللَّجَاجَ، وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ لَقَالُوا: هَذَا سِحْرٌ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرطَابٍ﴾ [الأنعام: ٧]، ﴿وَلَوْ فَدَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ [الحجر: ١٤]، وَحِينَ أَنْكَرُوا الْآيَةَ الْبَاقِيَةَ - الَّتِي هِيَ الْقُرْآنُ - وَسَائِرَ الْآيَاتِ وَلَيْسَتْ بِدُونِ مَا اقْتَرَحُوهُ، بَلْ هِيَ أَعْظَمُ - لَمْ يَكُنْ إِلَى تَبْصِرَتِهِمْ سَبِيلٌ. ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾ وَقُرَيْ: (قَالَ سُبْحَانَ رَبِّي) أَي: قَالَ الرَّسُولُ. وَ﴿سُبْحَانَ رَبِّي﴾ تَعَجُّبٌ مِنْ اقْتِرَاحَاتِهِمْ عَلَيْهِ ﴿هَلْ كُنْتُ إِلَّا﴾ رَسُولًا كَسَائِرِ الرُّسُلِ ﴿بَشَرًا﴾ مِثْلَهُمْ، وَكَانَ الرُّسُلُ لَا يَأْتُونَ قَوْمَهُمْ إِلَّا بِمَا يُظْهِرُهُ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْآيَاتِ، فَلَيْسَ أَمْرُ الْآيَاتِ إِلَيَّ، إِنَّمَا

قَوْلُهُ: ﴿مِن زُخْرُفٍ﴾: مِنْ ذَهَبٍ، الرَّاعِبُ: الزُّخْرُفُ: الزَّيْنَةُ الْمَرْوَقَةُ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلذَّهَبِ: زُخْرُفٌ، وَقَالَ: ﴿أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ [يونس: ٢٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾ [الإسراء: ٩٣]، أَي: ذَهَبٍ مَرْوَقٍ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿زُخْرُفٍ الْقَوْلِ غَرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]، أَي: الْمَرْوَقَاتِ مِنَ الْكَلَامِ<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ: (وَقُرَيْ: «قَالَ سُبْحَانَ رَبِّي»): ابْنُ كَثِيرٍ وَابْنُ عَامِرٍ: «قَالَ» بِالْأَلْفِ<sup>(٢)</sup>، وَالباقونَ: بِغَيْرِ أَلْفٍ.

(١) «مفردات القرآن»، ص ٣٧٩.

(٢) قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: وَكَذَلِكَ هِيَ فِي مِصَاحِفِ أَهْلِ مَكَّةَ وَأَهْلِ الشَّامِ. فَمَنْ قَرَأَ: ﴿قَالَ﴾ فَهُوَ خَبَّرَ عَمَّنْ قَالَهُ، وَمَنْ قَرَأَ: ﴿قُلْ﴾، فَهُوَ أَمَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ. انظر: «معاني القراءات»، ص ٢٦٢.

[﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ ٩٦]

﴿شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على آتي بَلَّغْتُ ما أُرْسِلْتُ به إليكم، وأنكم كَدَّبْتُمْ وعاندتُمْ. ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ﴾ المُنذِرِينَ وَالمُنذَرِينَ ﴿خَبِيرًا﴾ عالِمًا بأحوالهم، فهو مُجَازِيهم، وهذه تَسْلِيَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَوَعِيدٌ لِلْكَفَرَةِ. وَ﴿شَهِيدًا﴾: تَمَيِّزٌ، أَوْ حَالٌ.

[﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيًَّا وَبُكَاءً وَصَمًّا مَا وَنَهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا \* ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفَاتًا إِنْ نَأْتِينَا مَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ ٩٧ -

[٩٨]

﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ﴾: وَمَنْ يُوفِّقُهُ وَيَلطُفُ بِهِ ﴿فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾؛ لَأنه لَا يَلطُفُ إِلَّا بِمَنْ عَرَفَ أَنَّ اللطْفَ يَنْفَعُ فِيهِ، ﴿وَمَنْ يُضِلِلْ﴾: وَمَنْ يَحْذِلُ ﴿فَلَنْ تَجِدَ لَهُمَ أَوْلِيَاءَ﴾: أَنْصَارًا. ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ [القمر: ٤٨].

والإثبات في السؤال والجواب، ولم يحسن هذا الحسن، ألا ترى إلى قول صاحب «المفتاح»: قال في «سورة المؤمنون»: ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاءُؤُنَا هَذَا﴾ [المؤمنون: ٨٣]: فذكر بعد المرفوع وما تبعه المنصوب، وهو موضعه، وقال في «النمل»: ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاءُؤُنَا﴾ [النمل: ٦٨]: فَقَدِّمَ لكونه منها أهم<sup>(١)</sup>.

وإنما خالفنا المصنّف في قولنا: لأنّ الجنس إلى الجنس أميل، لئلا يلزمنا الاعتزال الذي عناه بقوله: «وأما الإنس فما هم بهذه المثابة»، ولذلك عدل القاضي إلى قوله: ﴿لَنزَلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ لتمكّنهم من الاجتماع به والتلقّي منه، والإنس عاقبتهم عماء عن إدراك الملك والتلقّف منه، فإن ذلك مشروطٌ بنوع من التناسب والتجانس<sup>(٢)</sup>.

(١) «مفتاح العلوم» للسكاكي، ص ١٠٤.

(٢) «أنوار التنزيل» (٣: ٤٦٨).

وقيل لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: كَيْفَ يَمْشُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ؟ قَالَ: «إِنَّ الَّذِي أَمْشَاهُمْ عَلَى أَقْدَامِهِمْ، قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَمْشِيَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ» ﴿عُمِيًّا وَبُكْمًا وَصَمًّا﴾ كما كانوا في الدنيا، لا يَسْتَبْصِرُونَ ولا يَنْطِقُونَ بِالْحَقِّ، وَيَتَصَامُونَ عَنْ اسْتِمَاعِهِ، فَهُمْ فِي الْآخِرَةِ كَذَلِكَ: لا يُبْصِرُونَ ما يُقَرُّ أَعْيُنُهُمْ، ولا يَسْمَعُونَ ما يَلِدُّ مَسَامِعَهُمْ، ولا يَنْطِقُونَ بها يُقْبَلُ مِنْهُمْ. ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ [الإسراء: ٧٢]. وَيَجُوزُ أَنْ يُحْشَرُوا مَوُوفِي الْحَوَاسِّ مِنَ الْمَوْقِفِ إِلَى النَّارِ بَعْدَ الْحِسَابِ، فَقَدْ أُخْبِرَ عَنْهُمْ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَنَّهُمْ يَقْرَءُونَ وَيَتَكَلَّمُونَ. ﴿كَلَّمَا حَبَّتْ﴾: كما أَكَلْتُ جُلُودَهُمْ وَلَحْمَهُمْ وَأَفْتَتَهَا فَسَكَنَ لَهْبُهَا، بُدِّلُوا غَيْرَهَا، فَرَجَعَتْ مُلْتَهَبَةً مُسْتَعْرَةً، كَأَنَّهُمْ لَمَّا كَذَّبُوا بِالْإِعَادَةِ بَعْدَ الْإِفْنَاءِ جَعَلَ اللَّهُ جَزَاءَهُمْ أَنْ سَلَطَ النَّارَ عَلَى أَجْزَائِهِمْ تَأْكُلُهَا وَتُفْنِيهَا ثُمَّ يُعِيدُهَا، وَلا يَزَالُونَ عَلَى الْإِفْنَاءِ وَالْإِعَادَةِ؛ لِيَزِيدَ ذَلِكَ فِي تَحْشِرِهِمْ عَلَى تَكْذِيبِهِمُ الْبَعْثَ؛ وَلأنه أَدْخَلَ فِي الْإِنْتِقَامِ مِنَ الْجَاحِدِ، وَقَدْ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾.

[«أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَارْتِيَبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا» ﴿٩٩﴾]

قَوْلُهُ: (إِنَّ الَّذِي أَمْشَاهُمْ عَلَى أَقْدَامِهِمْ)، رَوَيْنَا عَنِ التِّرْمِذِيِّ، عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ، صِنْفًا مُشَاةً، وَصِنْفًا رُكْبَانًا، وَصِنْفًا عَلَى وُجُوهِهِمْ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يَمْشُونَ؟<sup>(١)</sup> الْحَدِيثُ.

قَوْلُهُ: (وَيَجُوزُ أَنْ يُحْشَرُوا): عَطْفٌ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى عَلَى قَوْلِهِ: «كَمَا كَانُوا فِي الدُّنْيَا»، وَعَلَى «عُمِيًّا وَبُكْمًا وَصَمًّا» عَلَى الْمَجَازِ، وَالْحَشْرُ الثَّانِي بِمَعْنَى: الْجَمْعُ وَالسُّوقُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ صُحًى﴾ [طه: ٥٩]، وَالْأَوَّلُ بِمَعْنَى: الْبَعْثِ وَحَشْرِ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. قَوْلُهُ: (مَوُوفِي الْحَوَاسِّ)، الْجَوْهَرِيُّ: الْآفَةُ: الْعَاهَةُ، وَقَدْ أُبْفِ الزَّرْعُ، عَلَى مَا لَمْ يُسَمَّ

(١) «سنن الترمذي» (٣١٤٢) وهو في «مسند أحمد» (٨٧٥٥) بإسنادٍ ضعيف.

فإن قلت: علامَ عَطِفَ قَوْلُهُ: ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا﴾؟ قلت: على قَوْلِهِ: ﴿أَوْلَمَ يَرَوْا﴾؛ لأنَّ المعنى: قَدْ عَلِمُوا بِدَلِيلِ الْعَقْلِ أَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى خَلْقِ امْتِثَالِهِمْ مِنَ الْإِنْسِ؛ لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا بِأَشَدَّ خَلْقًا مِنْهُمْ، كَمَا قَالَ: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ﴾ [النَّازِعَاتِ: ٢٧]. ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾: وَهُوَ الْمَوْتُ، أَوْ الْقِيَامَةُ، فَأَبُوا مَعَ وُضُوحِ الدَّلِيلِ إِلَّا جُحُودًا.

[﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ ١٠٠]

فاعله، أي: أصابته آفة، فهو مؤوف، مثل معوف.

قَوْلُهُ: (على قَوْلِهِ: ﴿أَوْلَمَ يَرَوْا﴾)، أي: ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ﴾ عَطِفٌ عَلَى ﴿أَوْلَمَ يَرَوْا﴾، يَعْنِي: لَا يَجُوزُ أَنْ يُعْطَفَ عَلَى ﴿خَلَقَ﴾ وَيَدْخُلَ فِي حَيْزِ صِلَةِ الْمَوْصُولِ لِلْفَصْلِ بِخَيْرِ (إِنَّ)، وَهُوَ ﴿قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾، وَلَا ﴿عَلَى أَنْ يَخْلُقَ﴾ لَفْظًا وَمَعْنَى؛ لِأَنَّهُ لَا يَحْسُنُ إِبْقَاعُ الْقُدْرَةِ عَلَى الْأَجْلِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَطْفًا عَلَى ﴿أَوْلَمَ يَرَوْا﴾.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ فَلَيْسَ تَقْدِيرًا لِتَصْحِيحِ مَعْنَى الْعَطْفِ، إِذْ لَا يَلْتَمُسُ أَنْ يُقَالَ: ﴿أَوْلَمَ يَرَوْا﴾ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا، بَلْ هُوَ ابْتِدَاءٌ تَفْسِيرٌ بِشَهَادَةِ قَوْلِهِ: «وَهُوَ الْمَوْتُ أَوْ الْقِيَامَةُ»، فَإِذَا التَّقْدِيرُ: قَدْ عَلِمُوا بِدَلِيلِ الْعَقْلِ أَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى خَلْقِ امْتِثَالِهِمْ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ [يَس: ٨١] أَي: فِي الصَّغَرِ وَالْقَمَاءِ، وَأَنَّ مَنْ جَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، لَا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ بِهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ [الْحَج: ٧].

فَظَهَرَ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: «عَطِفٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿أَوْلَمَ يَرَوْا﴾» أَنَّهُ عَطِفٌ عَلَى التَّقْدِيرِ، وَأَنَّ يُضْمَرَ فِي الْكَلَامِ مَا يَتِمُّ بِهِ الْمَعْنَى، وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُ الْإِمَامِ: لَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى بِالذَّلِيلِ الْمَذْكُورِ أَنَّ الْبَعْثَ وَالْقِيَامَةَ أَمْرٌ مُمَكِّنُ الْوُجُودِ فِي نَفْسِهِ أَرْدَفَهُ بِأَنَّ لِقُوعَهُ وَدُخُولَهُ فِي الْوُجُودِ وَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى<sup>(١)</sup>.

(١) «مفاتيح الغيب» (٢١: ٦٢).

«لَوْ» حَقُّهَا أَنْ تَدْخُلَ عَلَى الْأَفْعَالِ دُونَ الْأَسْمَاءِ، فَلَا بُدَّ مِنْ فِعْلٍ بَعْدَهَا فِي «لَوْ» أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ»، وَتَقْدِيرُهُ: لَوْ تَمْلِكُونَ تَمْلِكُونَ، فَأُضْمِرَ «تَمْلِكُ»؛ إِضْمَارًا عَلَى شَرِيحَةِ التَّفْسِيرِ، وَأُبْدِلَ مِنَ الضَّمِيرِ الْمُتَّصِلِ الَّذِي هُوَ الْوَاوُ ضَمِيرٌ مُنْفَصِلٌ، وَهُوَ: «أَنْتُمْ»، لِسُقُوطِ مَا يَتَّصِلُ بِهِ مِنَ اللَّفْظِ، فَ«أَنْتُمْ»: فَاعِلُ الْفِعْلِ الْمُضْمَرِ، وَ«تَمْلِكُونَ»: تَفْسِيرُهُ، وَهَذَا هُوَ الْوَجْهُ الَّذِي يَقْتَضِيهِ عِلْمُ الْإِعْرَابِ. فَأَمَّا مَا يَقْتَضِيهِ عِلْمُ الْبَيَانِ؛ فَهُوَ: أَنْ «أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ» فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى الْإِخْتِصَاصِ؛ وَأَنَّ النَّاسَ هُمْ الْمُخْتَصَّصُونَ بِالشَّحِّ الْمَتْبَالِغِ،

وَالنَّظْمُ يَسَاعِدُ هَذَا التَّقْدِيرَ الَّذِي قَدَّرْنَاهُ وَتَخْصِيصَ مَا خَصَّصْنَاهُ مِنْ أَنَّ الْمَرَادَ بِالْأَجْلِ: الْقِيَامَةُ لَا غَيْرُ، لَوُرُودِ الْآيَةِ بَعْدَ إِنْكَارِ مَا أَنْكَرُوهُ فِي قَوْلِهِمْ: «وَقَالُوا لَوْذَا كُنَّا عِظَمًا وَرَفْنَا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا» [الإسراء: ٤٩].

قَوْلُهُ: («لَوْ» حَقُّهَا أَنْ تَدْخُلَ عَلَى الْأَفْعَالِ)، قَالَ ابْنُ الْحَاجِبِ فِي «الشَّرْحِ»<sup>(١)</sup>: لَا بُدَّ أَنْ يَلِيَهَا الْفِعْلُ لِأَنَّهَا حَرْفُ شَرْطٍ، وَالشَّرْطُ إِنَّمَا يُعْقَلُ بِالْفِعْلِ، فَالْتَزَمَ وَقُوعُ الْفِعْلِ لَفْظًا أَوْ تَقْدِيرًا. قَالَ صَاحِبُ «الْمِفْتَاحِ»: وَأَمَّا كَلِمَةُ «لَوْ» فَحِينَ كَانَتْ لَتَعْلِيْقٍ مَا امْتَنَعَ بِامْتِنَاعِ غَيْرِهِ عَلَى الْقَطْعِ امْتَنَعَتْ جُمْلَتَاهَا عَنِ الشُّبُوتِ، وَلَزِمَ أَنْ يَكُونَ فِعْلِيَّتَيْنِ وَالْفِعْلُ مَاضٍ<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ: (فَأَمَّا مَا يَقْتَضِيهِ عِلْمُ الْبَيَانِ فَهُوَ أَنَّ «أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ» فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى الْإِخْتِصَاصِ)، وَقَالَ صَاحِبُ «الْفَرَائِدِ»: لَمَّا كَانَ التَّقْدِيرُ: لَوْ تَمْلِكُونَ تَمْلِكُونَ، وَهَذَا لَا يُفِيدُ الْإِخْتِصَاصَ، وَجَبَ أَنْ لَا يُفِيدَهُ هَذَا أَيْضًا؛ لِأَنَّهُ غَيْرُ مُخَالَفٍ فِي تَأْوِيلِ الْمَعْنَى لِذَلِكَ؛ لِأَنَّ (أَنْتُمْ) وَضِعَ مَوْضِعَ الضَّمِيرِ الْمُتَّصِلِ، فَالْفِعْلُ مَرَادٌ وَالتَّكْرَارُ حَاصِلٌ عَلَى التَّقْدِيرَيْنِ، نَفَى أَنْ يُقَالَ: إِنَّ «أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ»، عَلَى صُورَةِ الْجُمْلَةِ الْإِسْمِيَّةِ بَدُونِ مَعْنَاهَا، فَالْإِخْتِصَاصُ مِنْ لَوَازِمِ مَعْنَى الْإِسْمِيَّةِ لَا مِنْ صُورَتِهَا، وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ فِي الْجَوَابِ: الْأَصْلُ «تَمْلِكُونَ» بَدُونِ التَّكْرَارِ، فَكَرَّرَ لِيُقِيدَ التَّأَكِيدَ<sup>(٣)</sup>، فَلَمَّا تَرَكَ الْفِعْلَ الْأَوَّلَ وَأُضْمِرَ لِبَقَاءِ فَاعِلِهِ، وَهُوَ فِي الْمَعْنَى غَيْرِ ضَمِيرِ الثَّانِي

(١) يعني: «الإيضاح في شرح المفصل» (٢: ٢٥٨).

(٢) «مفتاح العلوم»، ص ١٠٧.

(٣) في (ح): «التكثير».

وَنَحْوَهُ قَوْلُ حَاتِمٍ: «لَوْ ذَاتُ سِوَارٍ لَطَمْتَنِي»، وَقَوْلُ الْمُتَلَمِّسِ:

وَلَوْ غَيْرُ أَخْوَالِي أَرَادُوا نَقِصَتِي

المتصل، عَلِمَ بِأَنَّ الْإِهْتِمَامَ بِذِكْرِ فَاعِلِ هَذِهِ الْجُمْلَةِ أَكْثَرُ مِنْ ذِكْرِ فَعْلِهَا، فَكَانَ تَقْدِيمًا لِلْفَاعِلِ عَلَى الْفَعْلِ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى، وَالثَّانِي بِمَنْزِلَةِ الْمَكْرَرِ لِلتَّأْكِيدِ، فَأَفَادَ الْإِخْتِصَاصَ.

وَقُلْتُ: نَظَرَ أَصْحَابُ الْمَعَانِي فِي أَمْثَالِ هَذَا التَّرْكِيبِ إِلَى اللَّفْظِ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِ صَاحِبِ «الْمِفْتَاحِ»: تَرَكَ «يُودُوا» إِلَى الْمَاضِي الْمُؤَدَّنِ بِالتَّحْقُقِ نَظْرًا إِلَى لَفْظِهِ<sup>(١)</sup>، فَكَذَا هَاهُنَا النَّظْرُ إِلَى صُورَةِ «أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ» لَا إِلَى أَصْلِهِ، وَهُوَ مِثْلُ: أَنَا سَعَيْتُ فِي حَاجَتِكَ، فِي وَجْهِ إِفَادَةِ الْإِخْتِصَاصِ، وَإِلَى هَذَا الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: «بَرَزَ الْكَلَامُ فِي صُورَةِ الْمَبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ».

قَوْلُهُ: (لَوْ ذَاتُ سِوَارٍ لَطَمْتَنِي)، قَالَ الْمِيدَانِيُّ: لَوْ لَطَمْتَنِي ذَاتُ سِوَارٍ؛ لِأَنَّ «لَوْ» طَالِبَةٌ لِلْفَعْلِ دَاخِلَةٌ عَلَيْهِ، وَالْمَعْنَى: لَوْ ظَلَمْتَنِي<sup>(٢)</sup> مَنْ كَانَ كُفْرًا لِي هَذَا عَلَيَّ، وَلَكِنْ ظَلَمْتَنِي مَنْ هُوَ دُونِي، وَقِيلَ: أَرَادَ: لَوْ لَطَمْتَنِي حُرَّةً، فَجَعَلَ السِّوَارَ عَلَامَةً لِلْحُرِّيَّةِ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ قَلِمًا تُلْبَسُ الْإِمَاءُ السِّوَارَ، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَتِ اللَّاطِمَةُ حُرَّةً لَكَانَ أَخْفَ عَلَيَّ<sup>(٣)</sup>.

قَوْلُهُ: (وَلَوْ غَيْرُ أَخْوَالِي أَرَادُوا نَقِصَتِي)، تَمَامُهُ:

جَعَلْتُ لَهُمْ فَوْقَ الْعَرَانِينَ مِيسًا<sup>(٤)</sup>

(١) «مفتاح العلوم»، ص ١٠٥. وعبارته ثَمَّةٌ: «قَلِمًا يَتْرُكُ الْمَضَارِعُ فِي بَلِيغِ الْكَلَامِ عَلَى الْمَاضِي الْمُؤَدَّنِ بِالتَّحْقُقِ نَظْرًا عَلَى لَفْظِهِ غَيْرِ نَكْتَةٍ مِثْلَ مَا تَرَى فِي قَوْلِهِ عَلَتْ كَلِمَتُهُ: «إِنْ يَشْفِقُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُرُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا أَوْ تَكْفُرُونَ» [المتحنة: ٢] تَرَكَ «يُودُوا» عَلَى لَفْظِ الْمَاضِي إِذْ لَمْ تَكُنْ تَحْتَمِلُ وَدَادَتَهُمْ لِكُفْرِهِمْ مِنَ الشَّبَهَةِ مَا كَانَ يَحْتَمِلُهَا كُفْرُهُمْ إِنْ يَشْفِقُوهُمْ أَعْدَاءُ هُمْ، وَبِاسْطِي الْأَيْدِي وَالْأَلْسِنَةِ إِلَيْهِمْ لِلْقَتْلِ وَالشَّتْمِ. انْتَهَى.

(٢) فِي (ط): «لَطَمْتَنِي».

(٣) «مجمع الأمثال» (٢: ١٧٤) و(٢: ٢٠٢).

(٤) لِلْمُتَلَمِّسِ الضُّبَعِيِّ. انْظُرْ: «الأصمعيات»، ص ٢٨، و«الأغاني» (٢٤: ٢١٨).



وذلك؛ لأنَّ الفعلَ الأوَّلَ لَمَّا سَقَطَ لِأَجْلِ المفسِّر، بَرَزَ الكَلَامُ فِي صُورَةِ المبتدأ والخبر. ورحمةُ الله: رِزْقُهُ وسائرُ نِعَمِهِ على خَلْقِهِ، ولقد بَلَغَ هذا الوصفُ بِالشُّحِّ الغَايَةَ التي لا يَبْلُغُهَا الوَهْم. وقيل: هو لأهلِ مَكَّةَ الذين اقترَحُوا ما اقترَحُوا من الينبوع والأنهارِ وغيرِها، وأنهم لو ملكوا خَزَائِنَ الأرزاقِ لَبَخِلُوا بِهَا. ﴿قَتُورًا﴾: ضَيْقًا بَخِيلًا. فَإِنْ قُلْتَ: هل يُقَدَّرُ لـ «أَمَسَكْتُمْ» مفعول؟ قُلْتَ: لا؛ لأنَّ مَعْنَاهُ: لَبَخِلْتُمْ، من قولِكَ لِلبَخِيلِ: مُمَسِكَ.

[﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسْتَلَّ بِنِيٍّ إِسْرَافًا إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَكْفُرًا﴾ ١٠١]

عن ابن عباس رضي الله عنهما: هي العصا، واليد، والجراد، والقمل، والضفادع،

العرانين: الأنوف. والميسم: العلامة، يقول: لو كان الظلم والتقيصة جاءتني من غير أخوالي لوسمتهم بسمة الذل ليشتهروا بها ولم يمكنهم إخفاؤها.

قوله: ﴿قَتُورًا﴾: ضَيْقًا بَخِيلًا الرَّاعِب: القتر: تقليل النفقة، وهو بِلِزَاءِ الإسراف، وكلاهما مذمومان، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، ورجل قتور ومقتير. وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٠] تنبيه على ما جبل عليه الإنسان من البخل، وقد قترت الشيء وأقترته وقترته أي: قللته، ومقتير: فقير، قال تعالى: ﴿وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ﴾ [البقرة: ٢٣٦] وأصل ذلك من القتار والقتار، وهو الدخان الساطع من السواء والعود ونحوهما، فكان المقتير والمقتار هو الذي يتناول من الشيء قناره<sup>(١)</sup>.

قوله: (لا؛ لأن معناه: لبخلتكم)، وفيه وجهان: أحدهما: أن يكون مضمنا معنى البخل، والبخل لا يتعدى بنفسه، وثانيهما: أن يجعل مفعوله منسيا كقولهم: فلان يعطي ويمنع، فيكون كناية عن البخل، ذكره صاحب «الفرائد».

(١) «مفردات القرآن» ص ٦٥٥.

والدَّم، والحَجَر، والبَحْر، والطُّورُ الذي نَتَقَهُ على بني إسرائيل. وعن الحسن: الطُّوفان، والسُّنُون، ونَقْصُ مِنَ الثَّمَرَات - مكان الحجر - والبحر، والطُّور. وعن عُمَرَ بنِ عَبْدِ العَزِيز: أَنه سَأَلَ مُحَمَّدَ بنَ كَعْبٍ، فَذَكَرَ اللِّسَانَ والطُّمَسَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: كَيْفَ يَكُونُ الفَقِيهُ إِلَّا هَكَذَا! أَخْرَجَ يا غلامُ ذلك الجِرابَ، فَأَخْرَجَهُ فَنَقَضَهُ، فَإِذَا يَبِيضُ مَكْسُورٌ بِنِصْفَيْنِ، وَجَوْزٌ مَكْسُورٌ، وَفُومٌ وَحِمَصٌ وَعَدَسٌ، كُلُّهَا حِجَارَةٌ. وعن صَفْوَانَ بنِ عَسَّالٍ: أَن بَعْضَ اليَهُودِ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عن ذلك، فَقَالَ: «أَوْحَى اللهُ إِلَيَّ

قَوْلُهُ: (فَذَكَرَ اللِّسَانَ - وَهُوَ انْحِلَالُ العُقْدَةِ - وَالطُّمَسَ)، وَهُوَ قَلْبُ أَمْوَالِ القَبِيْطِ حِجَارَةٌ، يَعْنِي: كَمَا أَنَّ الحَسَنَ ذَكَرَ مَكَانَ الحَجَرِ والبَحْرِ والطُّورِ، فِيمَا ذَكَرَهُ أَوَّلًا مِنَ الآيَاتِ التَّسْعِ الطُّوفَانِ والسُّنَيْنِ وَنَقْصِ الثَّمَرَاتِ، وَوَضَعَ مُحَمَّدٌ مَكَانَ البَحْرِ والطُّورِ: اللِّسَانَ وَالطُّمَسَ، قَالَ الوَاحِدِيُّ: قَالَ المَفْسُرُونَ: صَارَتْ أَمْوَالُهُمْ حِجَارَةً<sup>(١)</sup>، وَقَالَ القُرْطُبِيُّ<sup>(٢)</sup>: جَعَلَ سُكَّرَهُمْ حِجَارَةً. وَقَالَ قتادة: بَلَّغْنَا أَنَّ حُرُوثَهُمْ صَارَتْ حِجَارَةً<sup>(٣)</sup>، وَلَمَّا وافقَ هَذَا القَوْلُ دُونَ ما عِنْدَ عُمَرَ بنِ عَبْدِ العَزِيزِ قال: كَيْفَ يَكُونُ الفَقِيهُ إِلَّا هَكَذَا، إِعْجَابًا وَتَعْجَبًا، ثُمَّ أَمَرَ بِإِخْرَاجِ الجِرابِ تصديقًا لَهُ.

قَوْلُهُ: (وعن صفوان بن عسال)، الحديثُ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ والنَّسَائِيُّ<sup>(٤)</sup> عَنْهُ مَعَ تَفَاوُتٍ يَسِيرٍ، وَفِيهِ إِشْكَالٌ؛ لِأَنَّ المَذْكَورَ عَشْرَةٌ، وَالسُّؤَالُ عَنِ تِسْعٍ، وَقَدْ أَجَابَ عَنْهُ التَّورِبَشْتِيُّ بِأَجْوِبَةٍ، وَالَّذِي نَقَوَهُ: كَانَ رَسولُ اللهِ ﷺ يَقولُ: اعْلَمُوا مَعاشِرَ اليَهُودِ أَنَّ الآيَاتِ الَّتِي أُوتِيَ مُوسَى وَلَمْ تَنْسَخْها شَرِيعَةٌ، نَحْنُ وَأَنْتُمْ فِيها سِوَاءٌ هَذِهِ المَذْكَورَاتُ، لَكِنَّ لَهُ آيَةً أُخْرَى

(١) «الوسيط للواحد» (٣: ١٣٠).

(٢) في (ح) و(ف): «القرطبي»، والمثبت من (ط)، وهو الصواب، وهو محمد بن كعب القرظي من مُفسري التابعين. له ترجمة في «طبقات المفسرين» للأدوني (٩: ١).

(٣) قوله: «وقال قتادة: بلَّغْنَا أَنَّ حُرُوثَهُمْ صَارَتْ حِجَارَةً»، سقط من (ح).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١٨٠٩٢)، وابن ماجه (٣٧٠٥)، والتِّرْمِذِيُّ (٣١٤٤)، والنَّسَائِيُّ (٧):

(١١١)، وفي «السنن الكبرى» (٣٥٤١)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٦٤)، وغيرهم بإسناد

ضعيف لضعف عبد الله بن سلمة المرادي.

موسى: **أَنْ قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَلَا تَسْحَرُوا، وَلَا تَأْكُلُوا الرِّبَا، وَلَا تَمْشُوا بِبَرِّيءٍ إِلَى ذِي سُلْطَانٍ لِيَقْتُلَهُ، وَلَا تَقْدِفُوا مَحْصَنَةً، وَلَا تَقْرُوا مِنَ الرَّحْفِ، وَأَنْتُمْ يَا يَهُودُ خَاصَّةً لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ.** ﴿فَسَأَلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: فقلنا له: سأل بني إسرائيل، أي: سألهم من فرعون، وقيل له: أرسل معي بني إسرائيل، أو سألهم عن إيمانهم، وعن حال دينهم، أو: سألهم أن يعاضدوك وتكون قلوبهم وأيديهم معك. وتدل عليه قراءة رسول الله ﷺ: (فسأل بني إسرائيل)، على لفظ الماضي بغير همز، وهي لغة قريش. وقيل: فسأل يا رسول الله المؤمنين من بني إسرائيل؛ وهم: عبد الله بن سلام وأصحابه، عن الآيات؛ ليزدادوا يقيناً وطمأنينة قلب؛ لأن الأدلة إذا تظاهرت كان ذلك أقوى وأثبت، كقول إبراهيم: ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]. فإن قلت: بم تعلق ﴿إِذْ جَاءَهُمْ﴾؟ قلت: أما على الوجه الأول: فبالقول المحذوف، .....

تختص بكم، وهي هذه، وهذه الزيادة كالإيغال<sup>(١)</sup> والتميم، يعني: أخذوا ما سألتهموني عنه وأزيدكم ما يختص بكم لتعلموا وقوفي على ما يشتمل عليه كتابكم.

قوله: (أما على الوجه الأول فبالقول المحذوف)، روي عن صاحب «التهذيب للكشاف» أنه قال: رأيت في «حاشية الكشاف» دلالة الآية على تقدير: «ما<sup>(٢)</sup> قلنا» من حيث إنه خبر، كما أن ذلك خبر، والأولى عندي أن يقال: إن دلالتها من حيث إنها تدل على أن السائل من بني إسرائيل هو موسى لا عمدة صلوات الله عليهما.

وقلت: تحقيقه أن يفصل ما أجمله المصنف ليظهر الحق، فإنه ذكر في الآية وجوها كثيرة، لكن يجمعها معيان؛ لأن السائل إما موسى عليه السلام أو رسول الله ﷺ، وعلى أن يكون السائل موسى ﴿إِذْ جَاءَهُمْ﴾ إما أن يتعلق بـ«قلنا» المحذوف أو بالسؤال نفسه.

(١) في (ح) و(ف): «كالإيصال».

(٢) لفظة «ما» سقطت من (ح) و(ف).

والأول على وجهين: أحدهما: المسؤول فرعون، والمسؤول عنه إنقاذ بني إسرائيل منه، المعنى: ولقد آتينا موسى تسع آيات بيّنات، وأرسلناه إلى فرعون وملئه وقلنا له إذ جاءهم: سَلْ بني إسرائيل من فرعون؟ أي: قل له: أرسل معي بني إسرائيل واخلّهم وشأهم؛ لأنهم كانوا كالأسرى بيد فرعون، قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنَ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ٤٩]، فالسؤال بمعنى الطلب.

وثانيهما: المسؤول: بنو إسرائيل، والمسؤول عنه شيثان.

والمعنى على الأول: قلنا لموسى: ﴿فَسْتَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ﴾ عن حال دينهم، أنتم ثابتون على ملة إبراهيم؟ أم دخلتم في دين فرعون؟

والمعنى على الثاني: قلنا له إذ جاءهم: سلهم أن يعاضدوك، وتكون قلوبهم وأيديهم معك، حتى يخلصهم الله من الأسر ويورثهم أرض أعدائهم، كما قال موسى لقومه: ﴿أَسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّا الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، والثاني: وهو أن يتعلق بالسؤال نفسه على قراءة النبي ﷺ، ترتب عليه المعاني الثلاثة كلها، وهذه القراءة ترجح احتمال أن يكون الأمر<sup>(١)</sup> بقوله: ﴿فَسْتَلْ﴾ في القراءة المشهورة، وهو موسى، ودون رسول الله ﷺ.

وعلى الثاني، وهو أن يكون السائل رسول الله ﷺ، ومتعلق ﴿إِذْ جَاءَهُمْ﴾ ﴿إِنَّمَا آتَيْنَا﴾ المذكور، أي: ولقد آتينا موسى تسع آيات بيّنات إذ جاء بني إسرائيل وفرعون، وقلنا لك: سل عن ذلك مسلمي أهل الكتاب يُخبروك به كما أخبرت، وهو من أسلوب قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤]، وهو من باب التهيج والإلهاب تبيّنا ومزيد طمأنينة، أو متعلقه محذوف، وهو إما «اذكُر»، والمعنى: ولقد آتينا موسى تسع آيات بيّنات وأرسلناه إلى فرعون وملئه «اذكُر» إذ جاءهم فقال له فرعون، فيكون قوله: ﴿فَسْتَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ على الوجهين مُعْتَرِضًا، أو «يُخبروك»

(١) في (ح) و(ط): المأمور.

أي: فقلنا له: سلهم حين جاءهم، أو بـ(سال) في القراءة الثانية، وأما على الأخير: فبـ ﴿مَائِنَا﴾، أو بإضمار: اذكر، أو: يُخبروك. ومعنى ﴿إِذْ جَاءَهُمْ﴾: إذ جاء آباءهم. ﴿مَسْحُورًا﴾: سُجِرَتْ فحُوِلَطَ عَقْلُكَ.

[ ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هُنُورًا إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَافِرَعُونَ مَثْبُورًا \* فَأَرَادَ أَنْ يَنْفِرَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا \* وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرِ وَجِنَابِكُمْ لَئِيفًا ﴿١٠٢-١٠٤﴾ ]

﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ يا فرعون ﴿مَا أَنْزَلَ هُنُورًا﴾ الآياتِ إِلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿بَصَائِرَ﴾: بَيِّنَاتٍ مَكْشُوفَاتٍ، وَلَكِنَّكَ مُعَانِدٌ مُكَابِرٌ: وَنَحْوُهُ: ﴿وَحَدِّثُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]. وَقُرِي: (عَلِمْتُ) بِالضَّمِّ، عَلَى مَعْنَى: إِنِّي لَسْتُ بِمَسْحُورٍ كَمَا وَصَفْتَنِي، بَلْ أَنَا عَالِمٌ بِصِحَّةِ الْأَمْرِ، وَأَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ مُنْزَلُهَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ. ثُمَّ قَارَعَ ظَنَّهُ بِظَنِّهِ، كَأَنَّهُ قَالَ: إِنِّي ظَنَنْتَنِي مَسْحُورًا فَأَنَا أَظُنُّكَ ﴿مَثْبُورًا﴾:

على تقدير جواب الأمر، المعنى: سل بني إسرائيل عن حال الآيات التسع، فإنهم يخبرونك القصة بتامها من لدن مجيء موسى من مدين إلى مصر عند آبائهم وهم أسرى بيد فرعون وملئيه يسومونهم سوء العذاب، ثم ذهابه إلى فرعون وطلبه منه إرسال بني إسرائيل معه وأدعائه النبوة، وإظهار تلك الآيات القاهرة بأسرها وظهور عجز فرعون وعناده، وقوله: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا﴾ فالفاء في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ﴾ فصيحة.

قوله: ﴿بَصَائِرَ﴾: بَيِّنَاتٍ مَكْشُوفَاتٍ، الْأَسَاسُ: هَذِهِ الْآيَةُ مُبْصِرَةٌ، وَأَبْصَرَ الطَّرِيقُ: اسْتَبَانَ وَوَضَّحَ.

قوله: (وَقُرِي: «عَلِمْتُ» بِالضَّمِّ)، الْكَسَائِيُّ<sup>(١)</sup>، وَالْبَاقُونَ: بَفَتْحِهَا.

قوله: (ثُمَّ قَارَعَ ظَنَّهُ بِظَنِّهِ)، الْأَسَاسُ: قَرَعَهُ بِالرَّمْحِ، وَقَارَعَهُ، وَتَقَارَعُوا بِالرَّمْحِ، وَقَارَعْتَهُ فَرَعْتَهُ.

(١) وَحُجَّتُهُ مَا رُوِيَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «وَاللهُ مَا عَلِمَ مُوسَى عَدُوَّ اللهِ، إِنَّمَا عَلِمَ مُوسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ» قَرَأَهَا بِالرَّفْعِ. انظر: «حُجَّةُ الْقَرَاءَاتِ»، ص ٤١١.

هَالِكًا، وَظَنِّي أَصْحَ مِنْ ظَنِّكَ؛ لَأَنَّ لَهُ أَمَارَةً ظَاهِرَةً؛ وَهِيَ إِنْكَارُكَ مَا عَرَفْتَ صِحَّتَهُ، وَمُكَابَرَتُكَ لآيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ وَضُوحِهَا، وَأَمَّا ظَنُّكَ فَكَذِبٌ بَحْتٌ؛ لَأَنَّ قَوْلَكَ مَعَ عِلْمِكَ بِصِحَّةِ أَمْرِي: إِنِّي لَأَظُنُّكَ مَسْحُورًا: قَوْلُ كَذَابٍ. وَقَالَ الْفَرَاءُ: ﴿مَنْجُورًا﴾: مَصْرُوفًا عَنِ الْخَيْرِ مَطْبُوعًا عَلَى قَلْبِكَ، مِنْ قَوْلِهِمْ: مَا تَبَرَّكَ عَنْ هَذَا؟ أَيْ: مَا مَنَعَكَ وَصَرَفَكَ؟ وَقَرَأَ أَبِي بِنُ كَعْبٍ: (وَإِنْ إِخَالُكَ يَا فِرْعَوْنَ لِمَثُورًا) عَلَى «إِنْ» الْمَخْفَفَةِ وَاللَّامِ الْفَارِقَةِ ﴿فَارَادَ﴾ فِرْعَوْنَ أَنْ يَسْتَخِفَّ مُوسَى وَقَوْمَهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ وَيُخْرِجَهُمْ مِنْهَا، أَوْ يُنْهِيَهُمْ عَنِ ظَهْرِ الْأَرْضِ بِالْقَتْلِ وَالِاسْتِثْصَالِ، فَحَاقَ بِهِ مَكْرَهُ بِأَنْ اسْتَفَزَّهُ اللَّهُ بِإِعْرَاقِهِ مَعَ قَبْطِهِ. ﴿أَسْكِنُوا الْأَرْضَ﴾ الَّتِي أَرَادَ فِرْعَوْنُ أَنْ يَسْتَفِزَّكُمْ مِنْهَا، ﴿فَلِذَا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةَ﴾: يَعْنِي قِيَامَ السَّاعَةِ ﴿جِنَانًا يَكْرَهُ لَفِيفًا﴾ جَمْعًا مَخْتَلِطِينَ إِيَّاكُمْ وَإِيَاهُمْ، ثُمَّ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَيُمَيِّزُ بَيْنَ سَعْدَائِكُمْ وَأَشْقِيَائِكُمْ. وَاللَّفِيفُ: الْجَمَاعَاتُ مِنْ قِبَائِلَ شَتَى.

[﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ١٠٥]

﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾: وَمَا أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ إِلَّا بِالْحِكْمَةِ الْمُقْتَضِيَةِ لِإِنْزَالِهِ، وَمَا نَزَلَ إِلَّا مُلْتَبَسًا بِالْحَقِّ وَالْحِكْمَةِ؛ لِاسْتِمَالِهِ عَلَى الْهُدَايَةِ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ، أَوْ: مَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَّا بِالْحَقِّ مَحْفُوظًا بِالرَّصِدِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَمَا نَزَلَ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا مَحْفُوظًا بِهِمْ

قَوْلُهُ: (إِلَّا بِالْحَقِّ مَحْفُوظًا بِالرَّصِدِ)، فَسَّرَ الْحَقَّ تَارَةً بِالْحِكْمَةِ، وَأُخْرَى بِالثَّابِتِ الَّذِي يُقَابِلُ الْبَاطِلَ، فَقَوْلُهُ: «مَحْفُوظًا بِالرَّصِدِ» تَفْسِيرٌ لِمَعْنَى الْحَقِّ، وَتَوْضِيحٌ لِمَحَلِّهِ، وَأَنَّهُ نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ، يَعْنِي: هُوَ مَحْفُوظٌ بِالرَّصِدِ، لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، وَنَحْوَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَنْزَلْنَاهُ بِعِلْمِهِ﴾ [النساء: ١٦٦] قَالَ الْمَصْنِفُ: «أَنْزَلَهُ وَهُوَ رَقِيبٌ عَلَيْهِ حَافِظٌ لَهُ مِنَ الشَّيَاطِينِ بِرَّصِدٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، كَمَا قَالَ فِي آخِرِ سُورَةِ الْجِنِّ: ﴿وَاحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ [الجن: ٢٨].

قَالَ أَبُو الْبَقَاءِ: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ﴾ أَيْ: وَبِسَبَبِ إِقَامَتِهِ الْحَقَّ ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ فَتَكُونُ الْبَاءُ مُتَعَلِّقَةً بِ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا، أَيْ: أَنْزَلْنَاهُ وَمَعَهُ الْحَقُّ، أَوْ: وَفِيهِ الْحَقُّ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ

من تَحْلِيظِ الشَّيَاطِينِ، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا لِنُبَشِّرَهمْ بِالْجَنَّةِ، وَنُنذِرَهمْ مِنَ النَّارِ، لَيْسَ إِلَيْكَ وَرَاءَ ذَلِكَ شَيْءٌ، مِنْ إِكْرَاهٍ عَلَى الدِّينِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ.

[﴿وَقُرْءَانَا فَرَقْتَهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلاً﴾ ١٠٦]

﴿وَقُرْءَانَا﴾ منصوبٌ بِفِعْلِ يُفَسِّرُهُ ﴿فَرَقْتَهُ﴾. وقرأ أبي: (فَرَّقْنَاهُ) بالتشديد، أي: جَعَلْنَا نُزُولَهُ مُفَرَّقًا مُنَجَّمًا. وعن ابن عباس رضي الله عنه: أنه قرأ مُشَدَّدًا، وقال: لم ينزل في يومين أو ثلاثة، بل كان بين أوله وآخره عشرون سنة. يعني: أن «فَرَّقَ» بالتخفيف يدلُّ على فصلٍ مُتقارب. ﴿عَلَى مُكْثٍ﴾ بالفتح والضم: على مهلٍ.....

حالا من الفاعل، أي: أنزلناه ومعنا الحق، ﴿وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ﴾ فيه الوجهان الأولان دون الثالث، لأنه ليس فيه ضميرٌ لغير القرآن<sup>(١)</sup>.

قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا لِنُبَشِّرَهمْ بِالْجَنَّةِ، وَنُنذِرَهمْ مِنَ النَّارِ، لَيْسَ إِلَيْكَ وَرَاءَ ذَلِكَ﴾، أي: التركيب من القصر الإفرادي، نَزَّلَ صَلَوَاتُ اللهُ عَلَيْهِ - لِحَرْصِهِ عَلَى إِيْمَانِ قَوْمِهِ - مِنْزِلَةً مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ، ومع ذلك: يُكْرَهُ<sup>(٢)</sup> على الدِّينِ أَيْضًا، فَقَصِرَ عَلَى الْبِشَارَةِ وَالنَّذَارَةِ، وَنَفَى<sup>(٣)</sup> كَوْنَهُ مُكْرَهَا<sup>(٤)</sup>.

قوله: (يعني أن «فَرَّقَ» بالتخفيف، يدلُّ على فصلٍ مُتقارب)، كأنه يُرَدُّ الْقِرَاءَةَ بِالتَّخْفِيفِ، فَإِنَّهَا تَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الْوَاقِعِ، وَهُوَ الْفَصْلُ الْمُبَاعِدُ. وَقَالَ ابْنُ جَنِّي: وَيُوَيِّدُهُ قَوْلُهُ: ﴿عَلَى مُكْثٍ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) «التبيان في إعراب القرآن» (٢: ٨٣٥).

(٢) في (ح) و(ف): «ومع ذلك ينكروا».

(٣) في (ح): «ويقي». وهو تصحيف ظاهر.

(٤) في (ح) و(ف): «كونه منكراً».

(٥) «المحتسب» (٢: ٢٣) وعبارته ثمة: «وقرأنا فرَّقناه» بالتشديد، تفسيره: فصلناه، ونزلناه شيئاً بعد شيء، ودليله قوله تعالى: ﴿عَلَى مُكْثٍ﴾ انتهى.

وَتُؤَدِّعُ وَتَثْبِتُ. ﴿وَزَلْنَاهُ نَزِيلًا﴾ على حَسَبِ الحَوَادِثِ.

[﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ﴾ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا سئِلُوا عَلَيْهِمْ يَخْرُونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا \* وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا \* وَيَخْرُونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٧-١٠٩﴾]

﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ﴾ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا: أمرٌ بالإعراضِ عنهم واحتقارِهم والازدراءِ بشأنهم، وأن لا يكثرَ بهم وبإيائهم وبامتناعهم عنه، وأنهم إن لم يدخلوا في الإيمان ولم يُصدِّقوا بالقرآن وهم أهلُ جاهليَّةٍ وشرك، فإنَّ خيرًا منهم وأفضل - وهم العلماءُ الذين قرؤوا الكتبَ وعلموا ما الوحيُّ وما الشرائع - قد آمنوا به وصدَّقوه، وثبتَّ عندهم أنه النبيُّ العربيُّ الموعودُ في كتبهم، فإذا تليَّ عليهم خرُّوا سُجَّدًا وسَبَّحُوا اللهَ تعظيمًا لأمره ولإنجازه ما وعدَ في الكتبِ المنزَّلةِ وبشَّرَ به من بعثه مُحَمَّدٌ ﷺ، وإنزالِ القرآنِ عليه، وهو المرادُ بالوعدِ في قوله: ﴿إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾، ﴿وَيَخْرُونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾: أي: يزيدهم القرآنُ لينَ قلبٍ ورطوبةَ عين. فإنَّ قلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ تعليلٌ لماذا؟ قلت: يجوزُ أن يكونَ تعليلًا لقوله: ﴿ءَامِنُوا بِهِ﴾ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا، وأن يكونَ تعليلًا لـ ﴿قُلْ﴾ على سبيلِ التَّسْلِيَةِ لرسولِ الله ﷺ وتطبيبِ نفسه، كأنه قيل: تَسَلَّ عن إيمانِ الجهلةِ بإيمانِ العلماءِ.....

قوله: (وَتُؤَدِّعُ)، التَّهْيَاةُ: يقالُ: اتَّأَدَّ في فعله: إذا تَأَتَّى وَتَثْبِتُ، ولم يَعَجَلْ.

قوله: (﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ﴾ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا)، أمرٌ بالإعراضِ عنهم، يعني: إنَّما يُؤمَّرُ بهذا القولِ مَنْ أيسَرَ من إيمانه ولم تَعْتَدَّ بحاله، فكانه قال له: اتركهم ولا تُبَالِ بهم.

قوله: (تعظيمًا لأمره، ولإنجازه ما وعدَ)، «لإنجازه» عطفٌ على «تعظيمًا»، وهو مفعولٌ له: ﴿خَرُّوا﴾، وإنَّما لم يأتِ باللامِ في الأوَّلِ وأتى بها في الثاني، لأنَّ الأوَّلَ فعلٌ لفاعلِ الفعلِ المعلَّل، والثاني ليس كذلك.



وعلى الأول: إن لم تؤمنوا به لقد آمنَ به مَنْ هُوَ خَيْرٌ منكم. فإن قلت: ما معنى الحُرُورِ للذَّقْنِ؟ قلت: السُّقُوطُ على الوجهِ، وإِنَّمَا ذَكَرَ الذَّقْنَ وهو مُجْتَمِعُ اللَّحْيَيْنِ؛ لأنَّ السَّاجِدَ أَوَّلَ مَا يَلْقَى بِهِ الْأَرْضَ مِنْ وَجْهِهِ الذَّقْنَ. فإن قلت: حَرَفُ الاسْتِعْلَاءِ ظَاهِرٌ

قوله: (وعلى الأول: إن لم تؤمنوا لقد آمنَ)، يعني: على الوجهِ الثاني: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾<sup>(١)</sup> تسليّةً لرسولِ الله ﷺ، وَيَلْزَمُ مِنْهُ تَوْبِيخُ الْقَوْمِ وَتَقْرِيعُهُمْ، وَعَلَى الْوَجْهِ الْأَوَّلِ بِالْعَكْسِ، لِأَنَّ التَّعْلِيلَ عَلَى الْأَوَّلِ مَقُولُ الْقَوْلِ بِخِلَافِ الثَّانِي.

وقلت: الوجهُ أن يَقْصِدَ التَّسْلِيَةَ، وَيَكُونُ التَّقْرِيعُ مُفْرَعًا عَلَيْهَا؛ لِأَنَّ فِي الْمَعْلَلِ إِشْعَارًا بِأَنَّ الرَّسُولَ قَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ مِنَ الْإِبْلَاحِ، وَأَنَّ الْحُجَّةَ قَدْ لَزِمَتْهُمْ، فَعَلِيهِ أَنْ يُتَارِكَهُمْ وَيَسْتَغْلَبَ بِمَنْ يُجِدِي فِيهِمْ الْإِنذَارُ وَيَنْجَعُ فِيهِمُ الْوَعْظُ، وَبِخَاصَّةِ نَفْسِهِ مِنْ عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَإِلَى الْأَوَّلِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾ وإلى الثاني بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ ومن ثمَّ قال: أَمَرَ بِالْإِعْرَاضِ عَنْهُمْ وَأَنْ لَا يَكْتَرَتْ بِلِيَابِنِهِمْ، فَإِنَّ خَيْرًا مِنْهُمْ وَأَفْضَلَ قَدْ آمَنُوا، وَإِلَى الثَّالِثِ بِقَوْلِهِ<sup>(٢)</sup>: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافَتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا \* وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، وَإِنَّمَا اسْتَدْعَى الْمَقَامَ الْمُتَارِكَةَ وَالتَّسْلِيَةَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا عَدَّ مَنَاقِبَ حَبِيبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فِي مُفْتَتِحِ السُّورَةِ وَخَتَمَهَا بِبَيَانِ الْمُعْجِزَةِ، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿قُلْ لَئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ﴾، فَكَانَتْ مُتَضَمِّنَةً لِمَا يَتَخَلَّصُ مِنْهُ إِلَى طَعْنِ الْقَوْمِ فِي الْقُرْآنِ وَرِسَالَتِهِ وَمُعَانَدَتِهِمْ فِي دَفْعِ<sup>(٣)</sup> آيَاتِ اللَّهِ الْبَيِّنَاتِ، فَذَكَرَ شَيْئًا صَالِحًا مِنْهُ، فَأَرَادَ أَنْ يُسَلِّيَ حَبِيبَهُ، ذَكَرَ حَدِيثَ الْكَلِيمِ وَجِيئَهُ بِالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ إِلَى قَوْمِهِ وَتَكْذِيبَهُمْ، ثُمَّ إِهْلَاكَهُمْ، وَكَانَ الْأَمْرُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَسَلِّ بَيْنَ إِسْرَائِيلَ﴾ تَمْمِيمًا لِمَعْنَى التَّسْلِيَةِ، وَذَكَرَ بَعْدَهُ هَذَا النُّوعَ مِنَ التَّسْلِيَةِ، وَخَتَمَ السُّورَةَ بِهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قوله: (أول ما يلقي به الأرض من وجهه الذَّقْنُ)، قال صاحبُ «التقريب»: وفيه نظر؛

(١) من قوله: «الأول فعلٌ لفاعل الفعل المعلل والثاني» إلى هنا سقط من (ف).

(٢) من قوله: «قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾ وإلى الثاني» إلى هنا سقط من (ط).

(٣) في (ط): «وقع».

المعنى إذا قلت: خَرَّ عَلَى وَجْهِهِ وَعَلَى ذَقْنِهِ، فَمَا مَعْنَى اللَّامِ فِي: خَرَّ لَذَقْنِهِ وَلَوْجْهِهِ؟  
قال:

فَخَرَّ صَرِيحاً لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِّ

قلت: معناه: جَعَلَ ذَقْنَهُ وَوَجْهَهُ لِلخُرُورِ واختصَّ به؛ لأنَّ اللَّامَ للاختصاص.

لأنَّ أَوَّلَ مَا يَلْقَى الأَرْضَ الجِبْهَةُ أو الأَتْفُ، وَوَجْهُهُ أَنَّهُ إِذَا ابْتَدَأَ الخُرُورَ، فَأَقْرَبُ الأَشْيَاءِ مِنْ وَجْهِهِ إِلَى الأَرْضِ هُوَ الذَّقْنُ، أو أَرَادَ مبالِغَةَ فِي الخُضُوعِ، وَهُوَ تَعْفِيرُ اللِّحْيِ عَلَى التُّرَابِ، والأَذْقَانُ كنايةٌ عنها، أو أَنَّهُ رَبَّما خَرَّ عَلَى الذَّقْنِ كالمَغْشِيِّ عَلَيْهِ لِحْشِيَةِ اللهُ تَعَالَى، وَقَوْلُهُ:

فَخَرَّ صَرِيحاً لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِّ

أَوَّلُهُ مِنْ رِوَايَةِ «المَطْلَعِ»:

دَلَفْتُ لَهُ بِالرُّمَحِ مِنْ دُونَ<sup>(١)</sup> ثَوْبِهِ<sup>(٢)</sup>

الدَّلَيفُ: المَشِيُّ رُويَدًا، دَلَفَتِ الكَتِيبَةُ فِي الحَرْبِ، أَي: قَدِمَتْ.

ويُروى:

أَمَكَّنُهُ بِالرُّمَحِ حِضْنِي قَمِيصِهِ

الحِضْبِيُّ: مَا دُونَ الإِبْطِ إِلَى الكَشْحِ، حِضْنَا الشَّيْءَ: جَانِبَاهُ.

قَوْلُهُ: (جَعَلَ ذَقْنَهُ وَوَجْهَهُ لِلخُرُورِ)، وَقَالَ صَاحِبُ «الفرائد»: لَمَّا كَانَ الذَّقْنُ أَبْعَدَ شَيْءٍ مِنْ وَجْهِهِ مِنَ الأَرْضِ فِي حَالِ السُّجُودِ، وَهِيَ حَالٌ وَضِعَ الجِبْهَةُ، كَانَ القَصْدُ بِالخُرُورِ إِلَى وَصُولِ الأَذْقَانِ إِلَى الأَرْضِ أبلَغَ مِنَ القَصْدِ إِلَى وَصُولِ الجِبْهَةِ إِلَيْهَا، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: يَخْرُونَ<sup>(٣)</sup>

(١) فِي (ح): «فوق».

(٢) سبق تخريجه، وأنه مما يزيد في معلقة عنتره. انظر: «ديوان عنتره»، ص ٢١٧. ويقال: هو لجابر بن حنيّ التغلبيّ.

(٣) فِي (ف): «الخرور».

فإن قلت: لم كرر ﴿يَجْرُونَ لِلْأَذْقَانِ﴾؟ قلت: لاختلاف الحالين؛ وهما: خروُرهم في حال كونهم ساجدين، وخروُرهم في حال كونهم باكين.

[﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (١١٠)]

عن ابن عباس رضي الله عنهما: سمعته أبو جهل يقول: يا الله يا رحمن، فقال: إنه ينهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو إليها آخر. وقيل: إن أهل الكتاب قالوا: إنك لتقل ذكر الرحمن وقد أكثر الله في التوراة هذا الاسم فنزلت. والدعاء: بمعنى التسمية، لا بمعنى النداء، وهو يتعدى إلى مفعولين، تقول: دعوتُه زيدًا، ثم يترك أحدهما؛ استغناء عنه فيقال: دعوتُ زيدًا. والله والرحمن: المراد بهما الاسم لا المسمى. و﴿أَوْ﴾ للتخيير، فمعنى ﴿ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾: سَمُوا بهذا الاسم أو بهذا، .....

لأجل وصول الأذقان إلى الأرض؛ لأن الانحطاط أكثر في وصول الأذقان من وصول الجهة إليها، وحاصله أنهم يباليغون في الخروُر، ويلصقون بالأرض ما أمكن إلصاقه بها من الوجه. تم كلامه.

فإن قلت: قوله: «جعل ذقنه وجهه للخروُر واختصه به» مخالف لظاهر الآية؛ لأنه جعل الخروُر مختصًا بالذقن لقوله: ﴿يَجْرُونَ لِلْأَذْقَانِ﴾. قلت: إن الخروُر إذا اختص بالذقن اختص الذقن به، وما عليه التلاوة أدل على خضوعهم وتواضعهم.

قوله: (فمعنى ﴿ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ سَمُوا بهذا الاسم أو بهذا)، قال القاضي: المراد بالتسوية بين اللفظين، هو أنها يُطلقان على ذات واحدة، وإن اختلف اعتبارًا لإطلاقهما، والتوحيد إنما هو للذات الذي هو المعبود<sup>(١)</sup>، هذا إذا كان ردًا لقول المشركين، وعلى أن يكون ردًا لليهود، المعنى: أنها سيان في حسن الإطلاق والإفضاء إلى المقصود، وهو أجود، لقوله: ﴿أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾.

(١) «أنوار التنزيل» (٣: ٤٧٢).

وقلت: إنما كان أجود لأن اعتراض اليهود، كان تعبيراً للمسلمين على ترجيح أحد الاسمين على الآخر، واعتراض المشركين كان تعبيراً على الجمع بين اللفظين فقوله: ﴿أَيُّاً مَا تَدْعُوا﴾ مطابق للرد على اليهود؛ لأن المعنى: أي اسم من الاسمين دعوتوه فهو حسن كما ذكره المصنف، وهو لا ينطبق على اعتراض المشركين الجواب: هذا مسلم إذا كان أو للتخيير فلم يمتنع أن يكون للإباحة كما في قولك: جالس الحسن أو ابن سيرين، فحيثئذ يكون ذلك أجوب، وتقريره: كل سموا ذاته المقدسة «بالله» أو بـ«الرحمن» فهما سيان في استصواب التسمية بهما فبأيهما سميته فأنت مصيب، وإن سميته بهما جميعاً فأنت أصوب؛ لأن له الأسماء الحسنى وقد أمرنا بأن ندعوه بها في قوله: ﴿فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ فعلى هذا الآية من فنون الإيجاز الذي هو من حلية التنزيل وعلى ما قال المصنف، والمعنى ﴿أَيُّاً مَا تَدْعُوا﴾ فهو حسن فوضع موضعه قوله: ﴿فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ هو من باب الإطناب فظهر من هذا أن الإباحة أنسب من التخيير لأن أبا جهل حظر الجمع بين الاسمين فردّ إباحة أن يجمع بين أسماء يعنى كيف يمنع من الجمع بين الاسمين وقد أبيض الجميع بين الأسماء المتكاثرة على أن الجواب بالتخيير في الرد على أهل الكتاب غير مطابق لأنهم اعترضوا بالترجيح.

وأجيب بالتسوية لأن ﴿أَوْ﴾ يقتضيها وكان الجواب العتيد أن يقال: إنما رجحنا «الله» على «الرحمن» في الذكر لأنه جامع لجميع صفات الكمال بخلاف «الرحمن»، ويساعد ما ذكرنا من أن الكلام مع المشركين قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلَكِ﴾ لأنه مناسب أن يكون تسهيلاً للرد على المشركين، كما يقول بعد إفحام الخصم: الحمد لله على ظهور الحق وزهوق الباطل، وأما بيان تنزيل الآية على الرد على المشركين فهو أن نداء ابن عباس: «يا الله يا رحمن» يحتمل وجهين: أحدهما: أن يراد بهما المسمى فيلزم منه التعدد في المسمى، والثاني: أن يراد بهما الاسم فلا يلزم التعدد إلا في الاسم، فحمل أبو جهل على الأول وقال ما قال، فرد الله تعالى زعمه بأن نزلّه على الاحتمال الثاني قائلاً: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ﴾ الآية، على ما سبق تقريره<sup>(١)</sup>.

(١) من قوله: «وقلت إنما كان أجود» إلى هنا أثبتّه من (ط)، وورد بـكَلْه في (ح) و(ف): «وقلت: الذي=

واذكروا إما هذا وإما هذا، والتنوين في ﴿أَيًّا﴾ عَوَّضَ من المضاف إليه. و﴿مَّا﴾: صِلَةٌ للإبهام المؤكِّد لِمَا في «أَيِّ»، أي: أَيُّ هَذَيْنِ الاسْمَيْنِ سَمَّيْتُمْ وَذَكَرْتُمْ ﴿فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾، والضمير في: ﴿فَلَهُ﴾ ليس براجع إلى أَحَدِ الاسْمَيْنِ المذكورين، ولكن إلى مُسَمَّاهِمَا؛ وهو ذاته تعالى؛ لأنَّ التَّسْمِيَةَ لِلذَّاتِ لا لِلإِسْمِ، والمعنى: أَيَّا مَا تَدْعُو فَهُوَ حَسَنٌ، فَوَضَعَ موضِعَهُ قوله: ﴿فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾؛ لأنه إذا حُسِنَتْ أَسْمَاؤُهُ كُلُّهَا حَسُنَ هَذَانِ الاسْمَانِ؛ لأنَّهما منها، ومعنى كَوْنِهما أَحْسَنَ الْأَسْمَاءِ: أَنَّهُمَا مُسْتَقَلَّةٌ بِمَعَانِي التَّمَجِيدِ وَالتَّقْدِيسِ وَالتَّعْظِيمِ. ﴿بِصَلَاتِكَ﴾: بِقِرَاءَةِ صَلَاتِكَ، على حَذْفِ المُضَافِ؛ لأنه لا يَلْبَسُ، مِنْ قِبَلِ أَنَّ الجَهْرَ وَالمُخَافَةَ صِفَتَانِ تَعْتَبِرَانِ على الصَّوْتِ لا غَيْرِ، وَالصَّلَاةُ أَفْعَالٌ وَأَذْكَارٌ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْفَعُ صَوْتَهُ بِقِرَاءَتِهِ، فَإِذَا سَمِعَهَا المَشْرِكُونَ لَعَنُوا وَسَبَّوْا، فَأَمَرَ بِأَنْ يُخَفِّضَ مِنْ صَوْتِهِ، والمعنى: وَلا تَجْهَرُ حَتَّى تُسْمِعَ المَشْرِكِينَ ﴿وَلَا تُخَافِتْ﴾ حَتَّى لا تُسْمِعَ مَنْ خَلْفَكَ ﴿وَأَبْتَعْ بَيْنَ﴾ الجَهْرِ وَالمُخَافَةِ ﴿سَبِيلًا﴾ وَسَطًا. وَرُوِيَ: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يُخْفِي صَوْتَهُ بِالقِرَاءَةِ فِي صَلَاتِهِ وَيَقُولُ: أَنَا جِي رَبِّي وَقَدْ عَلِمَ حَاجَتِي. وَكَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَرْفَعُ صَوْتَهُ وَيَقُولُ: أَزْجُرُ الشَّيْطَانَ وَأُوقِظُ الوَسْوَانَ. فَأَمَرَ أَبَا بَكْرٍ أَنْ يَرْفَعَ قَلِيلًا وَعُمَرَ أَنْ يُخَفِّضَ قَلِيلًا.

قوله: (يرفعُ صوته بقراءته) الحديث مع التفسير متفق عليه، رواه البخاري ومسلم، عن ابن عباس رضي الله عنهما<sup>(١)</sup>.

قوله: (رُوي أن أبا بكر) الحديث مختصر من رواية أبي داود والترمذي، عن أبي قتادة<sup>(٢)</sup>.

= يقتضيه النَّظْمُ أَنْ يَكُونَ رَدًّا لِلْمَشْرِكِينَ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ لِنَا وَلَكِنْ يَكُنْ لَكُمْ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ مُنَاسِبٌ لَهُمْ، وَالمُظَاهَرُ مَا ذَكَرَهُ المصنِّفُ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ وَضَعَ موضِعَ (فَهُوَ حَسَنٌ).

(١) أخرجه البخاري (٤٧٢٢)، ومسلم (٤٤٦)، والترمذي (٣١٤٥) وغيرهم.

(٢) أخرجه أبو داود (١٣٢٩)، والترمذي (٤٤٧)، والحاكم في «المستدرک» (١: ٣١٠)، وقال الترمذي: هذا حديث غريب.

وقيل: معناه: ولا تَجَهَّرْ بِصَلَاتِكَ كُلِّهَا وَلَا تُخَافِ بِهَا كُلَّهَا، وابتغ بين ذلك سبيلاً بأن تَجَهَّرَ بِصَلَاةِ اللَّيْلِ وَتُخَافِ بِصَلَاةِ النَّهَارِ، وقيل: ﴿بِصَلَاتِكَ﴾: بدُعَاؤِكَ. وَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ الْآيَةَ مَنْسُوخَةٌ بِقَوْلِهِ: ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]. وابتغاء السَّبِيلِ: مَثَلٌ لانتحاءِ الْوَجْهِ الْوَسْطِ فِي الْقِرَاءَةِ.

[﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكِبَرُهُ تَكْبِيرًا﴾ [١١١]

﴿وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ﴾: نَاصِرٌ مِنَ الذَّلِّ وَمَانِعٌ لَهُ مِنْهُ؛ لِاعْتِرَازِهِ بِهِ، أَوْ لَمْ يُوَالِ أَحَدًا مِنْ أَجْلِ مَدَّلَةٍ بِهِ لِيَدْفَعَهَا بِمُؤَالَاتِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ لَاقَ وَصْفَهُ بِنَفْيِ الْوَلَدِ وَالشَّرِيكِ وَالذَّلِّ بِكَلِمَةِ التَّحْمِيدِ؟ قُلْتَ: لِأَنَّ مِنْ هَذَا وَصْفُهُ هُوَ الَّذِي يَقْدِرُ عَلَى إِبْلَاءِ كُلِّ نِعْمَةٍ، فَهُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ جِنْسَ

قَوْلُهُ: (مَثَلٌ لانتحاءِ الْوَجْهِ)، يَعْنِي: شَبَّهَ مَنْ يَنْبَغِي أَنْ يَتَوَسَّطَ فِي الْقِرَاءَةِ بِمَنْ يَتَوَخَّى بَيْنَ السَّبِيلَيْنِ قَضْدًا سَوِيًّا.

قَوْلُهُ: (أَوْ لَمْ يُوَالِ أَحَدًا)، جَعَلَ «وَلِيًّا» عَلَى الْأَوَّلِ بِمَعْنَى النَّاصِرِ، وَعَلَّقَ «مِنْ» بِهِ عَلَى تَضْمِينِ مَعْنَى الْمَنْعِ، الْمَعْنَى: لَيْسَ لَهُ ذُلٌّ وَلَا مَانِعٌ مِنَ الذَّلِّ يَمْنَعُهُ لِاعْتِرَازِهِ بِنَفْسِهِ؛ لِأَنَّهُ عَزِيزٌ بِذَاتِهِ، مَانِعٌ لِغَيْرِهِ مِنْهُ، وَعَلَى الثَّانِي: إِجْرَاؤُهُ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَجَعَلَ «مِنْ» ابْتِدَائِيَّةً، وَمِنْ ثَمَّ قَالَ: «وَلَمْ يُوَالِ أَحَدًا» مِنْ أَجْلِ مَدَّلَةٍ، وَعَلَى التَّقْدِيرَيْنِ، التَّرْكِيبُ مِنْ بَابِ قَوْلِهِ:

عَلَى لَاحِبٍ لَا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ<sup>(١)</sup>

قَوْلُهُ: (لِأَنَّ مِنْ هَذَا وَصْفُهُ هُوَ الَّذِي يَقْدِرُ عَلَى إِبْلَاءِ كُلِّ نِعْمَةٍ)، وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ اتَّخَذَ وَلَدًا يَحْتَاجُ إِلَى الْإِمْسَاكِ لِأَجْلِهِ، وَمِنْ ثَمَّ قَالَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ: «الْوَالِدُ مَجْبُتٌ مَبْخَلَةٌ»<sup>(٢)</sup>، وَمَنْ

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه أبو يعلى في «المسند» (١٠٣٢)، والحاكم في «المستدرک» (٣: ١٧٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٦٤٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨: ٧٦) وقال: رواه أبو يعلى والبزار، وفيه عطية العوفي، وهو ضعيف.

الحمد. وكان النبي ﷺ إذا أفصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية.  
عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة بني إسرائيل فرَّق قلبه عند ذكر الوالدين

كان له شريك في ما يتصرفه، فهو ممنوع من التصرف التام، ومن احتاج إلى ناصر يدفع عنه  
الدُّلَّ، كيف يقدر على دفعه عن الغير؟ والله سبحانه وتعالى مُنَزَّهٌ عن كل هذه الموانع، فهو  
يقدر على إيلاء كل نعمة، فلذلك يستحق كل الحمد.

وإنما سلك هذا التأويل لأن الحمد هو: الثناء على الجميل الاختياري من نعمة أو  
غيرها، وعدم اتخاذ الولد ونفي الشريك عنه ليس من الفضائل الاختيارية ظاهراً، وقد  
رتب عليه الحمد، فعدل<sup>(١)</sup> إلى لازم هذه المذكورات، وهو القدرة على إيلاء كل نعمة،  
ورتب عليها الحمد.

قال القاضي: نفى أن يكون له ما يؤليه ويُشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختياراً  
واضطراراً، وما يُعاونُه ويُقويه، ورتب الحمد عليه للدلالة على أنه مستحق جنس الحمد؛  
لأنه كامل الذات المنفرد بالإيجاد، المنعم على الإطلاق، وما عداه ناقص، مملوك نعمة أو  
منعم عليه، ولذلك عطف عليه قوله: ﴿وَكَبِيرَةٌ كَبِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>.

وقلت: والآية من باب التقسيم الحاصر؛ لأن المانع من الإيتاء: إما فوقه فهو القسم  
الثالث، أو دونه فهو القسم الأول، أو مثله فهذا القسم الثاني.

ثم المناسب أن يجعل التعريف في الحمد للاستغراق لا للجنس كما قال؛ لأن موجب  
مستغرق للمراتب كلها. وسورة الإخلاص واردة على هذا التقسيم فليحذ حذوها.

قوله: (إذا أفصح الغلام)<sup>(٣)</sup>، الأساس: أفصح الصبي في منطيقه: فهم ما يقول في أول

(١) في (ف): فظهر العدول إلى لازم. وحاصل العبارتين واحد.

(٢) «أنوار التنزيل» (٣: ٤٧٣).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥١٧) و(٣٠٩٠٨)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٧٩٧٦)،  
وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٤٢٣).

كَانَ لَهُ قِنطَارٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالْقِنطَارُ: أَلْفُ أَوْقِيَّةٍ وَمِثْلَا أَوْقِيَّةٍ». رَزَقَنَا اللهُ بِفَضْلِهِ الْعَمِيمِ  
وَإِحْسَانِهِ الْجَسِيمِ.

مَا يَتَكَلَّمُ، يُقَالُ: أَفْصَحَ فُلَانٌ ثُمَّ فَصَّحَ، وَأَفْصَحَ الْعَجْمِيُّ: تَكَلَّمَ بِالْعَرَبِيَّةِ، وَفَصَّحَ: انْطَلَقَ  
لِسَانَهُ بِهَا وَخَلَصَتْ لُغَتُهُ مِنَ اللَّكْنَةِ، وَاللُّكْنَةُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ.

انتهت السُّورة





## سورة الكهف

مكيةٌ وهي مئةٌ وإحدى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا \* فَيَمَّا لِيُذِرَ بِأَسَا شَدِيدًا  
مَنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا \* مَلَائِكِينَ  
فِيهِ أَبْدًا \* وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا \* مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ  
كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿١-٥﴾]

لَقَنَّ اللهُ عِبَادَهُ وَفَقَّهَهُمْ كَيْفَ يُثْنُونَ عَلَيْهِ وَيَحْمَدُونَهُ عَلَى أَجْرٍ نَعْمَائِهِ عَلَيْهِمْ؛

## سورة الكهف

مكيةٌ، وهي مئةٌ وإحدى عشرة آية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: (لَقَنَّ اللهُ عِبَادَهُ وَفَقَّهَهُمْ كَيْفَ يُثْنُونَ عَلَيْهِ)، ضَمَّنَ «لَقَنَّ» معنى العِلْمِ، ولذلك  
فَسَّرَهُ بالفقه، والمفعول الأول: «عبادَهُ»، والثاني: الجُمْلَةُ الاستفهاميةُ، وليس<sup>(٢)</sup> بتعليقٍ لِذِكْرِ

(١) في (ط): «وهي مئة وخمسُ آياتٍ»، وهذا إنما يستقيم على عَدِّ المدنين والمكيين، أما على عَدِّ الشاميين  
فهي مئة وست آيات، وعلى عَدِّ الكوفيين فمئة وعشر آيات، وعلى عَدِّ البصريين فمئة وإحدى عشرة  
آية.

(٢) من قوله: «معنى العِلْمِ، ولذلك فسره بالفقه» إلى هنا سقط من (ف).

وهي نعمة الإسلام، وما أنزل على عبده مُحَمَّدٍ ﷺ من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم

المفعول الأول، يُريدُ ما ذكره في الفاتحة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ مقولٌ على ألسنة العباد، ومعناه: تعليمُ عباده كيف يتبركون باسمه، وكيف يحمّدونه ويُمجّدونه ويُعظّمونه<sup>(١)</sup>.

قوله: (وما أنزل على عبده مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ)، عطفٌ تفسيريٌّ على قوله: «نعمة الإسلام»، وفيه: أن المذكور - من كونه مُنزلاً على عبده مستقيماً بريئاً من الاعوجاج بشيراً للمؤخدين الذين يعملون الصالحات، نذيراً لمن أشرك بالله وعمِلَ عملاً غير صالح - هو الإسلام.

الراغب: العبدُ يُطلقُ على الإنسان الذي يصحُّ بيعه نحو: ﴿العَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾ [البقرة: ١٧٨]، وعلى عبد بالإيجاد، وإيأه عنى بقوله: ﴿إِنْ كُنْ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣]، وعلى عبد بالعبادة والخدمة، والناسُ فيه ضربان: عبدُ الله مُخلصاً، وهو المقصودُ بنحو قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾؛ وعبدُ الدنيا، وهو المعتكفُ على خدمتها ومُراعاتها، وإيأه عنى ﷺ: «تعس عبد الدرهم، تعس عبد الدينار»، وعلى هذا يصحُّ أن يُقال: ليس كلُّ إنسانٍ عبداً لله تعالى<sup>(٢)</sup>.

وقلتُ: الحديثُ من رواية البخاري، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «تعس عبدُ الدينارِ وعبدُ الدرهمِ وعبدُ الحميصة، إن أعطيَ رضي، وإن لم يُعطَ سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبدٍ آخذٍ بعنانِ فرسه في سبيلِ الله، أشعثَ رأسه، مُعَبَّرَةٌ قدماءه، إن كان في الحِراسَةِ، كان في الحِراسَةِ<sup>(٣)</sup>، وإن كان في السَّاقَةِ، كان في السَّاقَةِ، إن استأذَنَ لم يُؤذَنَ له، وإن شَفَعَ لم يُشَفَّعْ»<sup>(٤)</sup> الحديثُ جمعٌ بين النوعين من العبدَيْنِ.

(١) لتهاجم الفائدة انظر: «لطائف الإشارات» للقسيري (٢: ٣٧٦).

(٢) «مفردات القرآن»، ص ٥٤٢.

(٣) قوله: «كان في الحِراسَةِ» سقط من (ح).

(٤) أخرجه البخاري (٢٨٨٧).

وفوزهم، ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ ولم يجعل له شيئاً من العوج قط، والعوج في المعاني كالعوج في الأعيان، والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه، وخروج شيء منه من الحكمة والإصابة فيه. فإن قلت: بِمَ انتصب ﴿قِيَمًا﴾؟ قلت: الأحسن أن ينتصب بمضمّر ولا يجعل حالاً من الكتاب؛ لأن قوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ﴾ معطوف على ﴿أَنْزَلَ﴾، فهو داخل في حيز الصلة، فجاعله حالاً من الكتاب فاصل بين الحال وذي الحال ببعض الصلة، وتقديره: ولم يجعل له عوجاً جعله قِيَمًا؛ لأنه إذا نفى عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة. فإن قلت: ما فائدة الجمع بين نفي العوج وإثبات الاستقامة، وفي أحدهما غنى عن الآخر؟ قلت: فائدته التأكيد، فربّ مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج .....

قوله: (والعوج في المعاني)، الرّاعب: العوج: العطف عن حال الانتصاب، يقال: عُجْتُ البعير بزمامه، وفلان ما يعوج عن شيء يهّم به، أي: لا يرجع، والعوج: يقال فيما يدرك بالبصر، كالحشب المنتصب، والعوج: فيما يدرك بالبصيرة والفكر، كما يكون في أرض بسيطة، وكالدين والمعاش<sup>(١)</sup>.

قوله: (وخروج شيء منه من الحكمة والإصابة فيه)، الضمير المجرور في «فيه» عائد إلى الشيء، المعنى: لا تجد شيئاً في القرآن المجيد، ولا كلمة إن أمعنت النظر فيه خارجاً عن إصابة محرّز البلاغتين، من حيث اللفظ، ومُتجاوزاً عن الاشتغال على الحكمتين، أعني: العلميّة والعملية من حيث المعنى.

قوله: (ولا يجعل حالاً من الكتاب)، لثلاً يلزم الفصل بين الحال وذي الحال بأجنبي، وهو ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾، وهو معطوف على الصلة، قال أبو البقاء: ويجوز أن يكون حالاً من الضمير في ﴿لَهُ﴾، ويجوز أن تكون الواو في: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ﴾ للحال؛ فيكونان حالين، أي: أنزله منفيًا عنه العوج قِيَمًا<sup>(٢)</sup>.

(١) «مفردات القرآن»، ص ٥٩٢.

(٢) «التيبان في إعراب القرآن» (٢: ٨٣٧).

عند السِّرِّ والتَّصَفُّحِ. وقيل: ﴿قَيْمًا﴾ على سائرِ الكتُبِ مُصدِّقًا لها، شاهدًا بصِحَّتِها. وقيل: قَيْمًا بمصالحِ العبادِ وما لا بُدَّ لهم منه من الشَّرَائِعِ، وقُرئ: (قَيْمًا). (أندَر) مُتعدِّ إلى مفعولين، كقوله: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ [النبا: ٤٠]، فاقْتَصَرَ على أحدهما، وأصلُهُ ﴿لِيُنذِرَ﴾ الذينَ كفروا ﴿بِأَسَا شَدِيدًا﴾ والبأسُ من قوله: ﴿بِعَذَابِ بَيْيسٍ﴾ [الأعراف: ١٦٥]، وقد بَوَّسَ العذابَ وبَوَّسَ الرجلُ بِأَسَا وبِأَسَةٍ، ﴿مَنْ لَدُنْهُ﴾ صادرًا

قوله: (عند السِّرِّ)، النِّهَايةُ: وفي حديثِ الغارِ: قالَ له أبو بكرٍ رضي اللهُ عنه: لا تَدْخُلْهُ حَتَّى أَسْبِرَهُ قَبْلَكَ، أي: أَخْتِرُهُ وَأَعْتِرَهُ وَأَنْظُرَ فِيهِ، هل فِيهِ أَحَدٌ أَوْ شَيْءٌ يُؤْذِي.

قوله: (وقيل: ﴿قَيْمًا﴾ على سائرِ الكتُبِ): عطفٌ على قولِهِ: «لأنه إذا نَفَى عَنْهُ العُوجَ فَقَدْ أَثَبَتْ لَهُ الاستِقَامَةَ»، وعلى هذا لا يَرِدُ السُّؤَالُ<sup>(١)</sup>. وتلخيصُ الجوابِ<sup>(٢)</sup>: أَنَّ ﴿قَيْمًا﴾ إِذَا لم يُقَدَّرْ لَهُ مُتَعَلِّقٌ كانَ بِمعنى مُستَقِيمًا، فَكانَ توكِيدًا دَفْعًا لِلتَّجَوُّزِ، مِنْ بابِ الطَّرْدِ والعكسِ<sup>(٣)</sup> إِذْ مَفهُومُ الثَّانِي مُؤَكِّدٌ لِمَنْطُوقِ الأوَّلِ، وبالعكسِ، وَإِذَا قُدِّرَ لَهُ مُتَعَلِّقٌ فإِذَا أُقْدِرَ: (على)، كما فِي قولِهِ تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣] أي: رَقِيبٌ حَافِظٌ شَهِيدٌ، كانَ تَمِيمًا؛ لأنَّهُ حينئِذٍ كَامِلٌ فِي نَفْسِهِ مُكَمَّلٌ لغيرِهِ، فيكونُ بِالْعَاقِبَةِ فِي الاستِقَامَةِ حَدَّهَا، أَوْ يُقَدَّرُ لَهُ البَاءُ، على نَحْوِ قولِهِم: فلانٌ قَيِّمٌ بِهذا الأَمْرِ، فيكونُ تَكْمِيلًا؛ لأنَّهُ إِذْنِ مُستَقِيمٌ فِي نَفْسِهِ، قَيِّمٌ بِأُمُورٍ غيرِهِ. وَقَالَ القَاضِي: ﴿قَيْمًا﴾: مُستَقِيمًا مُعتَدِلًا لا إِفْرَاطَ فِيهِ ولا تَفْرِيطَ، أَوْ: قَيِّمًا بِمِصَالِحِ العِبادِ، فيكونُ وَصْفًا لَهُ بِالتَّكْمِيلِ بَعْدَ وَصْفِهِ بِالكَمالِ<sup>(٤)</sup>.

قوله: ﴿بِعَذَابِ بَيْيسٍ﴾، الأساس: وَقَعَ فِي البُؤْسِ والبِأَسَاءِ، وَفِي أَمْرِ بَيْيسٍ: شَدِيدٍ.

(١) من قوله: «بين الحال وذو الحال» - في الفقرة السابقة - إلى هنا سقط من (ح).

(٢) في (ح): «الوجه».

(٣) انظر: «التعريفات» للجرجاني ص ١٤٦، ١٥٨ على التوالي حيث عرّف الطرد بقوله: ما يوجب الحكم لوجود العلة وهو التلازم في الثبوت، وعرّف العكس بأنه: عبارة عن تعليق نقيض الحكم المذكور بنقيض علة المذكورة ردًا إلى أصل آخر. انتهى.

(٤) «أنوار التنزيل» (٣: ٤٧٥).

من عنده. وقرئ: (من لَدْنِهِ) بسكون الدال مع إشمام الضمة وكسر النون، ﴿وَيُبَشِّرَ﴾  
 بالتخفيفِ والثقل. فإن قلت: لِمَ اقتصرَ على أحدِ مفعولي «يُنذِرُ»؟ قلت: قد جعلَ  
 المُنذِرَ به هو الغرضُ المسوقُ إليه، فوجبَ الاقتصارُ عليه. والدليلُ عليه تكريرُ

قوله: (وَقُرِئَ «من لَدْنِهِ»)، أبو بكرٍ يقرأ: «من لَدْنِهِ» بإسكانِ الدالِ وإشمامِها شيئاً من  
 الضَّمِّ، وبكسرِ النونِ والهاءِ، وَيَصِلُ الهاءُ بياءِ. والباقونَ: بضمِّ الدالِ وإسكانِ النونِ وضمِّ  
 الهاءِ<sup>(١)</sup>، وابنُ كثيرٍ على أصلِهِ: يَصِلُها بواو<sup>(٢)</sup>.

قوله: ﴿وَيُبَشِّرَ﴾ بالتخفيفِ والثقلِ، بالتخفيفِ: حمزةٌ والكسائيُّ<sup>(٣)</sup>.

قوله: (قد جعلَ المُنذِرَ به هو الغرضُ)، اعلمَ أنَّ الفعلَ المتعدِّيَ إلى مفعولٍ واحدٍ  
 إذا لم يُتَوَّ مفعولُهُ بقيَ مُطلقاً فيكونُ الغرضُ منه الإطلاقُ، كقولك: فلانُ يُعطي ويمنعُ،  
 فالغرضُ: إيجادُ حقيقتيها، والمتعدِّي إلى المفعولينِ إذا اقتصرَ على واحدٍ يجري ذلك الحُكمُ  
 على المذكورِ، فيكونُ هو الغرضُ لا المنسِي.

قوله: (والدليلُ عليه)، أي: على أن المُنذِرَ به هو الغرضُ الذي سبقَ له الكلامُ: تكريرُ  
 ﴿وَيُنذِرُ الَّذِينَ قَالُوا أَخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ الآية، وجعلها قرينةً لقوله: ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ  
 الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ الآية، وهو موجبٌ لأن يُذكرَ فيها المُنذِرُ  
 والمُنذِرُ به كما ذُكِرَ في أختيها المبشِّرُ والمبشِّرُ به، وإنما تُركَ المُنذِرُ به في الثالثة للاكتفاءِ بها سبقَ  
 له الكلامُ، ولو لم يكن أصلاً [و] ثابتاً في نفسه وأنه هو الغرضُ الأولى لم يُستغنَ به عن ذكرِ  
 مثله في القرينةِ الثالثة.

فإن قلت: لم لم يجعلَ قوله: ﴿لَيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ قرينةً لقوله: ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ  
 يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾<sup>(٤)</sup> أنَّهُم أَجْرًا حَسَنًا؟ فيقدَّرُ المُنذِرُ فيه، وتُتركُ القرينةُ الثالثةُ على  
 إطلاقِها ليكونَ الغرضُ في الإيرادِ ذَكَرَ المُنذِرِينَ؟

(١) قوله: «وَضَمُّ الهاءِ» سقط من (ح).

(٢) وانظر الاحتجاج لهذه الاختيارات في «حُجَّةِ القراءات»، ص ٤١٢.

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر»، ص ٢٨٨.

(٤) من قوله: «الأولى لم يُستغنَ به عن ذكرِ مثله» إلى هنا سقط من (ف).

الإندار في قوله: ﴿وَنُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ متعلقًا بالْمُنذَرِينَ من غير ذكر الْمُنذَرِ به، كما ذكر الْمُبَشِّرَ به في قوله: ﴿أَن لَّهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ استغناءً بتقدُّم ذكره. والأجرُ الْحَسَنُ: الجنةُ. ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي: بالوَلَدِ أو باتخاذِهِ، يعني: أَنَّ قَوْلَهُمْ هذا لم يَصُدُّرْ عن علمٍ ولكن عن جَهْلٍ مُفْرِطٍ وتقليدٍ للأبَاءِ، وقد اسْتَمَلَّتْهُ آبَاؤُهُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ وَتَسْوِيلِهِ. فَإِنَّ قُلْتَ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا فِي نَفْسِهِ مُحَالٌ، فَكَيْفَ قِيلَ: مَا لَهُمْ

قُلْتُ: لَيْسَ جَعَلَ سَاقَةَ<sup>(١)</sup> الْكَلَامِ أَصْلًا فِي الْإِعْتِبَارِ وَمَقْدَمَتِهِ<sup>(٢)</sup> فَرَعًا أَوْلَى مِنَ الْعَكْسِ؛ لِأَنَّهُمْ يُقَدِّمُونَ الْأَهَمَّ وَمَا هُمْ بِبَيَانِهِ أَعْنَى<sup>(٣)</sup>، عَلَى أَنَّ ﴿بِأَسَا﴾ ثَانِي مَفْعُولِي الْإِنذَارِ، وَهُوَ أَوْلَى بِالْحَذْفِ، فَتَرَكَ الْأَوَّلَ إِلَى ذِكْرِ الثَّانِي أَوْعَلَ فِي إِرَادَةِ خِلَافٍ مُقْتَضِي الظَّاهِرِ، وَالذَّهَابُ إِلَيْهِ أَحْرَى وَأَنْسَبُ؛ لِأَنَّهُ مِنْ جَلِيَةِ التَّنْزِيلِ، وَلِأَنَّ ذِكْرَ الْمُنذَرِ بِهِ، لَا سِيَّمَا اخْتِصَاصُهُ بِذِكْرِ الْبَاسِ، أَنْفَعُ لِلنَّاسِ: مُؤْمِنِهِمْ وَكَافِرِهِمْ، فَلَوْ قُدِّرَ الْمُنذَرُ لِاخْتِصَاصِ الْإِنذَارِ بِالْكَافِرِينَ، وَالْمَرَادُ: الشُّمُولُ.

قوله: (متعلقًا)، هو: حالٌ من الإندار، و«استغناء»: مفعولٌ له، أي: تكريرُ الإندار - من غيرِ ذِكْرِ الْمُنذَرِ بِهِ - لِأَجْلِ الْإِسْتِغْنَاءِ، لِتَقْدُّمِ ذِكْرِ الْمُنذَرِ بِهِ وَلِلذَلِكَ كَرَّرَ الْإِنذَارَ. قوله: (وقد استمَلَّتْهُ)، التَّهْيَاةُ: يُقَالُ: أَمَلَّتُ الْكِتَابَ وَأَمَلَيْتُهُ: إِذَا أَلْقَيْتَهُ عَلَى الْكَاتِبِ لِيَكْتُبَهُ.

الجوهري: اسْتَمَلَّتْهُ الْكِتَابَ: سَأَلْتَهُ أَنْ يُمَلِّئَهُ عَلَيَّ.

قوله: (اتَّخَذَ الْوَلَدَ فِي نَفْسِهِ مُحَالٌ)<sup>(٤)</sup>، يعني: إِنَّمَا يَنْبَغِي مِنَ الشَّخْصِ الْعِلْمُ بِالشَّيْءِ إِذَا

(١) وهي مؤخره الشيء.

(٢) في (ط): «وقدمته».

(٣) وهذا كالمستفاد من قول سيبويه بعد أن تكلم عن طريقة العرب في التقديم والتأخير ثم قال: «كانتهم إنما يُقَدِّمُونَ الَّذِي بَيَانُهُ أَهَمُّ لَهُمْ، وَهَمَّ بَيَانُهُ أَعْنَى، وَإِنْ كَانَ جَمِيعًا يُبَيِّنُهُمْ وَيَعْنِيَانَهُمْ» انتهى من «الكتاب» (١: ٣٤)، ولتِهام الفائدة انظر: «دلائل الإعجاز» لعبد القاهر الجرجاني، ص ١٠٧.

(٤) كذا في الأصول الخطية، وفي «الكشاف»: «اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا فِي نَفْسِهِ مُحَالٌ».

به من علم؟ قلت: معناه ما لهم به من علم؛ لأنه ليس مما يُعلم لاستِحَالَتِهِ، وانتفاء العلم بالشيء إما للجَهْل بالطريق المُوَصِّل إليه، وإما لأنه في نفسه مُحَال لا يستقيم تَعَلُّقُ الْعِلْمِ بِهِ. قُرئ: ﴿كَبَّرْتَ كَلِمَةً﴾ و(كلمة)؛ بالنصب على التمييز والرفع على الفاعلية، والنصب أقوى وأبلغ، .....

كَانَ ذَلِكَ الشَّيْءُ ثَابِتًا فِي نَفْسِهِ، وَأَنَّهُ فَاقِدٌ لِلطَّرِيقِ الْمُوَصِّلِ إِلَيْهِ، وَاتِّخَاذُ الْوَالِدِ فِي نَفْسِهِ مُحَالًا، فَكَيْفَ قِيلَ: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ؟﴾ وتلخيصُ الجواب: جازَ ذلك إرادةً للمبالغة، وأنَّ ما تفوهوا به معدومٌ بالطريق البرهاني، كأنه قيل: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ؟﴾؛ لأنه ليس مما يتعلَّقُ به العِلْمُ؛ لأنَّ العِلْمَ تابعٌ للمعلوم، والمُحَال لا يستقيم تَعَلُّقُ الْعِلْمِ بِهِ، لكنَّ هذا السؤالُ مُسْتَدْرَكٌ؛ لأنه قالَ أَوْلَا: إنَّ قَوْلَهُمْ هَذَا لَمْ يَصْدُرْ عَنْ عِلْمٍ لَكُنْ عَنْ جَهْلٍ مُفْرِطٍ وَتَقْلِيدٍ لِلآبَاءِ (١).

قوله: (وقرئ): ﴿كَبَّرْتَ كَلِمَةً﴾، و«كلمة»، قال ابنُ جني: بالرفع قرأ يحيى بنُ يعمر، والحسن، وابنُ محيَّصن.

سَمِيَ قَوْلَهُمْ: ﴿أَتَخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾: كلمة، كما سَمُوا القصيدَةَ - وإن كانت مئة بيتٍ - كلمة، وهذا كوضعهم الاسم الواحد على جنسه، ولله فصاحةُ الحجاج وكثرةُ قوله على المنبر: يا أيُّها الرَّجُلُ وكُلُّكُمْ ذلك الرَّجُلُ (٢).

الرَّاعِب: وَتُسْتَعْمَلُ الْكَبِيرَةُ فِيمَا يَشُقُّ وَيَصْعَبُ، نَحْوُ: ﴿وَأَنَّهَا الْكَبِيرَةُ إِلَّا عَلَى الْخَشِيعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]، وقوله: ﴿كَبَّرْتَ كَلِمَةً﴾ ففيه تنبيهٌ على عِظَمِ ذَلِكَ مِنْ بَيْنِ الذُّنُوبِ، وَعِظَمِ عَقُوبَتِهِ، وَكَذَلِكَ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الصف: ٣] (٣).

قوله: (والنصب أقوى)؛ لأنه فاعلٌ مُزَالٌ عن أصلِهِ للإبهام والتبيين.

(١) ونظيره ما قاله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ [الاعراف: ٣٣]: فيه تهكم؛ لأنه لا يجوزُ أن يُنَزَّلَ برهانًا بأن يُشْرَكَ بِهِ غَيْرُهُ.

(٢) «المحتسب» (٢: ٢٤) وزاد: ألا تره لما أشفق أن يُظنَّ به أنه يريدُ رجلاً واحداً بعينه قال: وكُلُّكُمْ ذلك الرَّجُلُ.

(٣) «مفردات القرآن»، ص ٦٩٦-٦٩٧.

وفيه معنى التعجب، كأنه قيل: ما أكبرها كلمة. و﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ صفة للكلمة تفيدها استعظاماً لا جبرائهم على النطق بها وإخراجها من أفواههم، .....

قوله: (وفيه معنى التعجب)، قال في قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الصف: ٣]:  
«قَصَدَ فِي ﴿كَبُرَ﴾ التَّعَجُّبَ مِنْ غَيْرِ لَفْظِهِ، كَقَوْلِهِ:

..... غَلَّتْ نَابٌ كَلِيبٌ بَوَاؤُهَا<sup>(١)</sup>

ومعنى التعجب: تعظيم الأمر في قلوب السامعين؛ لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج من نظائره.

قوله: (و﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾: صفة للكلمة)، هذا إذا كانت مرفوعة ظاهرة، وإن نُصِبَتْ تَمِيزًا يَلْزَمُ وَصْفُ التَّمِيزِ، وَهُوَ جَائِزٌ<sup>(٢)</sup>، وقد جاء معرفة في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠]، وقول الشاعر:

ولا بفزارة الشعر الرقابا<sup>(٣)</sup>

على أن الوصف غير مخصص، بل هو مؤكد، نحو قوله: ﴿وَلَا طَيْرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقال أبو البقاء: ﴿كَلِمَةٌ﴾: تَمِيزٌ، وَالْفَاعِلُ مُضَمَّرٌ، أَي: كَبُرَتْ مَقَالَتُهُمْ، وَفِي: ﴿تَخْرُجُ﴾ وَجْهَانِ، أَحَدُهُمَا: هُوَ فِي مَوْضِعِ نَصْبِ صِفَةٍ لـ «كَلِمَةٌ»، وَالثَّانِي: فِي مَوْضِعِ رَفْعِ تَقْدِيرِهِ: «كَبُرَتْ كَلِمَةٌ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ»؛ لِأَنَّ «كَبُرَ» بِمَعْنَى «بَشَسَ»، فَالْمَحذُوفُ هُوَ الْمَخْصُوصُ بِالذَّمِّ<sup>(٤)</sup>.

(١) هو جزء من بيت لرجل من بني بكر، ذكره الزمخشري بتامه في «الكشاف» (١١: ٢٠٨) وروايته ثمة:

وجارة جساس أبانا بناها  
كليبيا، غلت ناب كليب بواؤها

(٢) وتقديره: كبرت كلمة خارجة كلمة. انظر: «الدر المصون» (٤: ٤٣٣).

(٣) للحارث بن ظالم، وصدره:

فما قومي بتغلبة بن سعيد

انظر: «المقتضب» للمبرد (١: ٢٤١)، و«معاني القرآن» للقرآبي (٢: ٤٠٨).

(٤) «التبيان في إعراب القرآن» (٢: ٨٣٨).



فإن كثيرا مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس ويحدثون به أنفسهم من المنكرات لا يتألمون أن يتفوهوا به ويطلقوا به ألسنتهم، بل يكظمون عليه تشورا من إظهاره، فكيف بمثل هذا المنكر؟ وقرئ: (كبرت) بسكون الباء مع إشمام الضمة. فإن قلت: إلام يرجع الضمير في كبرت؟ قلت: إلى قولهم: ﴿أَخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾، وسميت «كلمة» كما يسمون القصيدة بها.

[﴿فَلَعَلَّكَ بِنِعْمِ نَفْسِكَ عَلَيَّ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ ٦]

شبهه وإياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الوجد والأسف على توليهم، برجل فارقه أحيته وأعزته فهو يتساقط حسرات على آثريهم، وينبع نفسه

قوله: (فإن كثيرا مما يوسوسه الشيطان)، إلى قوله: (بل يكظمون عليه تشورا من إظهاره)، مقتبس من قوله ﷺ، عن عبد الله بن مسعود، قال: سئل رسول الله ﷺ عن الوسوسة، فقالوا: إن أحدنا ليجد في نفسه لأن يحرق أو يخر من السماء أحب إليه من أن يتكلم به، قال: «ذلك محض الإيوان»، أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

قوله: (شبهه وإياهم)، يعني: شبه الله رسول الله ﷺ وقومه في قوله: ﴿فَلَعَلَّكَ بِنِعْمِ نَفْسِكَ عَلَيَّ آثَرِهِمْ﴾، فالاستعارة تمثيلية لكون المشبه حاله وحال قومه، والمشبه به: حال الرجل مع أحيته.

قوله: (وينبع نفسه). الراغب: البع: قتل النفس عما، وقوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بِنِعْمِ نَفْسِكَ عَلَيَّ آثَرِهِمْ﴾ حث على ترك التأسف، نحو: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾ [فاطر: ٨]، قال الشاعر:

ألا أيها الباع الوجد نفسه<sup>(٢)</sup>

وبع فلان بالطاعة، وبها عليه من الحق: إذا أقر به وأذعن مع كراهية شديدة تجري مجرى: بع نفسه في شدته.

(١) «صحيح مسلم» (١٣٣).

(٢) لذي «الزومة» في ديوانه، ص ٢٥١، وتمام البيت: «الشيء نخته عن يديه المقادير».

وَجَدَا عَلَيْهِم تَلَهُمَا عَلَى فِرَاقِهِمْ. وَقُرئ: ﴿بَخِعَ نَفْسَكَ﴾ على الأصل وعلى الإضافة، أي: قَاتِلُهَا وَمُهْلِكُهَا، وهو للاستقبال فيمن قرأ: ﴿إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا﴾، وللمُضِيِّ فيمن قرأ: (أَنْ لَمْ يُؤْمِنُوا)، بمعنى: لأنْ لَمْ يُؤْمِنُوا ﴿بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ بالقرآن، ﴿أَسْفًا﴾ مفعولٌ له، أي: لِفِرْطِ الْحُزْنِ. ويجوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا. وَالْأَسْفُ: الْمَبَالِغَةُ فِي الْحُزْنِ وَالغَضَبِ. يُقَالُ: رَجُلٌ أَسْفٌ وَأَسِيفٌ.

[﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ \* وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا \* أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا \* إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا \* فَضَرْبَنَا عَلَىٰ عِزِّ آدَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ ٧-١١]

﴿مَا عَلَى الْأَرْضِ﴾ يعني: ما يصلح أن يكون زينة لها ولأهلها من زخارف الدنيا وما يُسْتَحْسَنُ منها، ﴿لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ وحُسْنُ الْعَمَلِ: الزُّهُدُ فِيهَا وَتَرْكُ

قوله: (وللمُضِيِّ فيمن قرأ: «أَنْ لَمْ يُؤْمِنُوا»)، قال أبو البقاء: «أَنْ لَمْ يُؤْمِنُوا» بالفتح: شاذةٌ، والجمهورُ على الكسر<sup>(١)</sup>. ومُرَادُ الْمَصْنُفِ أَنْ الْمُنَاسِبَ عَلَى قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ «أَنْ لَمْ يُؤْمِنُوا» بِفَتْحٍ (أَنْ) حَمَلٌ ﴿بَخِعَ﴾ على المعنى بناءً على حكاية الحالِ الماضية، قال أبو البقاء: كأنه قيل: لعلك بَخَعْتَ نَفْسَكَ لِأَجْلِ عَدَمِ إِيْمَانِهِمْ، فَجِيءَ بِاسْمِ الْفَاعِلِ لِتَصْوِيرِ تِلْكَ الْحَالَةِ فِي ذَهْنِ السَّمَاعِ وَاسْتِحْضَارِهَا، وَعَلَى مَنْ قَرَأَ (إِنْ) بِالْكَسْرِ، الْمُنَاسِبُ حَمَلٌ ﴿بَخِعَ﴾ عَلَى الْاسْتِقْبَالِ لِأَجْلِ الشَّرْطِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: لَعَلَّكَ تَبَخَعُ نَفْسَكَ الْآنَ أَوْ غَدًا إِنْ لَمْ يَصْدُرْ مِنْهُمْ إِيْمَانٌ.

قوله: (رجلٌ أسِفٌ وأسيفٌ)، رُوِيَ عَنِ الْمَصْنُفِ: الْأَسْفُ أَصْلٌ مَعْنَاهُ: الْجَهْدُ دُونَ الْعَقْوِ<sup>(٢)</sup>، وَمِنْهُ الْأَسِيفُ: الْأَجْبُرُ، لَجَهْدِهِ فِي الْعَمَلِ، أَلَا تَرَاهُ سُمِّيَ عَسِيفًا مِنَ الْعَسْفِ؟  
قوله: (وحُسْنُ الْعَمَلِ: الزُّهُدُ فِيهَا). قال القاضي: ﴿لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ فِي

(١) «البيان في إعراب القرآن» (٢: ٨٣٨). ولتمام الفائدة انظر: «مختصر شواذ القراءات»، ص ٧٨.

(٢) في (ف) العقوبة. وهو خطأ.

الاعتذار بها، ثُمَّ زَهَّدَ فِي الْمَيْلِ إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَأِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا﴾ مِنْ هَذِهِ الزَّيْنَةِ، ﴿صَعِيدًا جُرْزًا﴾ يَعْنِي: مِثْلَ أَرْضٍ بِيضَاءَ لَا نَبَاتَ فِيهَا، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ خَضْرَاءَ مُعْشِبَةً، فِي إِزَالَةِ بَهْجَتِهِ، وَإِمَاطَةِ حُسْنِهِ، وَإِبْطَالِ .....

تعاطيه، وَهُوَ مَنْ زَهَدَ فِيهِ وَلَمْ يَغْتَرَّ بِهِ، وَقَنَّعَ مِنْهُ بِمَا يُزْجِي بِهِ أَيَّامَهُ وَصَرَفَهُ عَلَى مَا يَنْبَغِي فِيهِ، وَفِيهِ تَسْكِينٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ: (ثُمَّ زَهَّدَ فِي الْمَيْلِ إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَأِنَّا لَجَاعِلُونَ﴾)، يَعْنِي: قَالَ أَوَّلًا: إِنَّا زَيْنًا وَجْهَ الْأَرْضِ ابْتِلَاءً وَاجْتِبَارًا، ثُمَّ بَيَّنَّا أَنَّهَا فِي غُرُضِ الْفَنَاءِ وَوَشِكِّ الزَّوَالِ لِيُزْهَدُوا<sup>(٢)</sup> فِيهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا الْأَرْضَ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا رَبَّ عَالَمِينَ إِنَّهَا تُرْمَىٰ لِيَلًا أَوْ تَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ﴾ [يونس: ٢٤].

قَوْلُهُ: (مِنْ هَذِهِ الزَّيْنَةِ)، جَاءَ بِـ (هَذِهِ) لِيُشِيرَ إِلَى تَحْقِيرِ شَأْنِ الزَّيْنَةِ.

قَوْلُهُ: (بِيضَاءَ لَا نَبَاتَ فِيهَا)، الرَّاعِبُ: ﴿جُرْزًا﴾، أَي: مُنْقَطِعَ النَّبَاتِ مِنْ أَصْلِهِ، وَأَرْضٌ مَجْرُوزَةٌ: أُكِلَ مَا فِيهَا، وَالْجُرُوزُ: الَّذِي يَأْكُلُ مَا عَلَى الْخِيَوَانِ<sup>(٣)</sup>، وَفِي الْمَثَلِ: «لَا تَرْضَى شَانَتَهُ إِلَّا بِجُرْزَةٍ»، أَي: بِالِاسْتِصْصَالِ، وَالْجُرْزُ: الْقَطْعُ بِالسَّيْفِ، وَسَيْفٌ جُرَازٌ<sup>(٤)</sup>.

قَوْلُهُ: (بِهَجَّتِهِ)، الْجَوْهَرِيُّ: الْبَهْجَةُ: السَّرُورُ.

الرَّاعِبُ: الْبَهْجَةُ: حُسْنُ اللَّوْنِ وَظَهْوُ السَّرُورِ فِيهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ [النمل: ٦٠]، وَقَدْ بَهَجَ فَهُوَ بَهِيحٌ، وَيُقَالُ: بَاهِجٌ<sup>(٥)</sup>، وَقَدْ ابْتَهَجَ بِكَذَا، أَي: سَرَّ بِهِ سُرُورًا بَانَ أَثَرُهُ عَلَى وَجْهِهِ، وَأَبْهَجَهُ كَذَا<sup>(٦)</sup>.

(١) «أنوار التنزيل» (٣: ٤٧٨).

(٢) في (ح): «للزهد»، وهما بمعنى.

(٣) بكسر الخاء، وهو المائدة التي يؤكل عليها.

(٤) «مفردات القرآن»، ص ١٩١، وانظر المثل المذكور في «مجمع الأمثال» (٢: ٢١٢) ومعنى المثل: أَنْ الْمِبْغِضَةَ لَا تَرْضَى إِلَّا بِاسْتِصْصَالٍ مَنْ تُبْغِضُ.

(٥) كذا في الأصول الخطية، وفي «المفردات»: «ويقال: بهج»، ثم استشهد له بقول الشاعر: «ذاتِ خلقي

بهج».

(٦) «مفردات القرآن»، ص ١٤٨.

ما به كان زينة: من إمامة الحيوان، وتجفيف النبات والأشجار، ونحو ذلك. ذكر من الآيات الكليّة تزيين الأرض بما خلق فوقها من الأجناس التي لا حصر لها وإزالة ذلك كلّها كأن لم يكن، ثم قال: ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ يعني: أن ذلك أعظم من قصة

قوله: (ما به كان زينة)، أي: ما كانت الأرض<sup>(١)</sup> مزينة به، أو: الذي كان ما على الأرض مزيّناً به.

قوله: (من إمامة الحيوان)، بيان لقوله: «إزالة بهجته» أو «ما» في «ما به».

قوله: (ثم قال: ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾)، يعني: أن ذلك أعظم من قصة أصحاب الكهف، يعني: (أم): منقطعة، والهمزة فيه للتعجب، يعني: يتعجب من قصة أصحاب الكهف ويترك ما سبق، والإنسان من عادته أن يتعجب من شيء قلّ إيناسه به، وإن كان الذي بحضرة أعجب منه، وتلخيص ما ذكره الإمام في هذا المعنى هو: أنه تعالى لما قال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا﴾ أي: أخرجنا أنواع زخارف الأرض وزينتها، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ﴾ [يونس: ٢٤]، وأصناف المنافع الفاتية للحضر على طبائع متباعدة، وهيئات متخالفة، من مادة واحدة، ابتلاء لبني آدم، قال بعده: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ﴾ أي: أحسبت أن أحوالهم كانت أعجب من آياتنا؟ فلا تحسبن ذلك، فإن آياتنا كلّها أعجب، فإن من كان قادراً على خلق السماوات والأرض، ثم تزيين الأرض بأنواع المعادن والنبات والحيوان، ثم تقليبها ﴿صَعِيدًا جُرُزًا﴾ كيف يستبعد من قدرته ورحمته حفظ طائفة في النوم سنين متطولة؟<sup>(٢)</sup>

وقال موحى السنة: ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾: أظننت يا محمد ﴿أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾، أي: هم عجب من آياتنا. وقيل: معناه: ليسوا بأعجب من آياتنا، فإن ما خلقت من السماوات والأرض وما فيهن أعجب<sup>(٣)</sup> منهم<sup>(٤)</sup>.

(١) سقط لفظ «الأرض» من (ح).

(٢) «مفاتيح الغيب» (٢١: ٨٠).

(٣) في النسخ الخطية: «بأعجب»، وهو غير سائغ في العربية، وصوبناه من «معالم التنزيل».

(٤) «معالم التنزيل» (٥: ١٤٤).

أصحاب الكهف وإبقاء حياتهم مدة طويلة. و﴿الكَهْفِ﴾: الغار الواسع في الجبل، و﴿الرَّقِيمِ﴾ اسم كلبهم. قال أمية بن أبي الصلت:

وقلت: تقريب هذين المعنيين إنما يظهر بتحقيق معنى الهمزة في «أم»؛ لأنها منقطعة متضمنة للهمزة و«بَل»، كما قال الراغب: «أم»، إذا قُوِيَلَ به همزة الاستفهام، فمعناه: أي، نحو: أزيد عندك أم عمرو، أي: أيها؟ وإذا جُرِّدَ عن ذلك يقتضي معنى أَلِفِ الاستفهام مع «بَل»، نحو: «أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ» [ص: ٦٣]، أي: بل زَاغَتْ<sup>(١)</sup>. فإن حُمِلَتْ على الإنكار أفادَ النَّفْيَ، أي: لا يُتَعَجَّبُ منه، وإن حُمِلَتْ على التَّسْبِيهِ أفادَ التَّقْرِيرَ، أي: هم عَجَبٌ مِنْ آيَاتِنَا فَاعْلَمُوهُ، ولعل هذا أقرب؛ لأن الإضرابَ عن الكلام الأول إنما يحسن إذا كان الكلام الثاني أغرب وأحسن ليحصل الترقى. وأيضاً، يقتضي المنكر أن يكون مقررًا عند السامع معلومًا عنده، وما لا يعلمه كيف يقال له: لا تتعجب منه؟ وكيف لا<sup>(٢)</sup> وإن هذا ابتداء إعلام من الله بقصتهم بشهادة سُؤَالِ الْمُنْكَرِينَ، وإمساك النبي ﷺ وانقطاع الوحي أربعين أو خمسة عشر يوماً<sup>(٣)</sup>، ثم نزول الآيات تصديقاً له؟ فالوجه أن يُجْرَى الكلام على التَّسْلِي وَالِاسْتِفْهَامِ عَلَى التَّسْبِيهِ.

ويقال: إنه ﷺ لما أخذَهُ مِنَ الْكَأْبَةِ وَالْأَسْفِ مِنْ إِبَاءِ الْقَوْمِ وَامْتِنَاعِهِمْ عَنِ الْإِيْمَانِ مَا بَلَغَ أَنْ يَبْخَعَ نَفْسَهُ، قِيلَ لَهُ: ﴿فَلَعَلَّكَ بَخِيعٌ نَفْسَكَ عَلَى مَا نَرِيهِمْ إِنْ لَرِيؤُنَا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسْفًا﴾، وعلل ذلك بقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، أي: جعلنا ذلك لنختبرهم، وحين لم تتعلق إرادتنا بإيمانهم بها، تلهوا بها، وتشاغلوا عن آياتنا، وغفلوا عن شكرها، وبدلوا الإيمان<sup>(٤)</sup> بالكفران، فلا تُبَالِ بهم، فإننا لجاعلون أبدانهم جرراً لأسيافكم، كما إننا لجاعلون ما عليها صعيداً جرراً، ألا ترى إلى أولئك الفتيان

(١) «مفردات القرآن» ص ٨٨.

(٢) في (ح): «وكيف يقال لا».

(٣) وسيأتي تخريجه في بيان سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا نَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدَا﴾ [الكهف:

.٢٣]

(٤) من قوله: «ما بلغ أن يبخع نفسه، قيل له:» إلى هنا سقط من (ف) و(ح).

وَلَيْسَ بِهَا إِلَّا الرَّقِيمُ مُجَاوِرًا وَصَيْدُهُمْ وَالْقَوْمُ فِي الْكَهْفِ هُمُودٌ

وقيل: هو لوح من رصاص رُقِمَتْ فِيهِ أَسْمَاؤُهُمْ، جُعِلَ عَلَى بَابِ الْكَهْفِ. وقيل: إِنَّ النَّاسَ رَقَمُوا حَدِيثَهُمْ نَقْرًا فِي الْجَبَلِ. وقيل: هو الوادي الذي فِيهِ الْكَهْفُ. وقيل: الجبل. وقيل: قَرَيْتُهُمْ. وقيل: مَكَائِهِمْ بَيْنَ غُضْبَانَ وَأَيْلَةَ دُونَ فِلَسْطِينَ ﴿كَانُوا﴾ آيَةً ﴿عَجَبًا﴾ مِنْ آيَاتِنَا، وَضَفًّا بِالمصدر، أَوْ عَلَى: ذَاتِ عَجَبٍ، ﴿مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ أَي: رَحْمَةً مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِكَ، وَهِيَ المَغْفِرَةُ وَالرِّزْقُ وَالْأَمْنُ مِنَ الأَعْدَاءِ، ﴿وَهِيَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا﴾ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ مَفَارِقَةِ الكُفَّارِ، ﴿رَشَدًا﴾ حَتَّى نَكُونَ بِسَبِيهِ رَاشِدِينَ مُهْتَدِينَ، أَوْ اجْعَلْ أَمْرَنَا رَشَدًا كُلَّهُ، كَقَوْلِكَ: رَأَيْتُ مِنْكَ أَسَدًا، ﴿فَضَرَبْنَا عَلَيَّ إِذْ أَنِيتُهُمْ﴾

كَيْفَ اهْتَدَوْا وَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ وَتَرَكَوا زِينَةَ الدُّنْيَا وَزُخْرُفَهَا فَأَوَّأُوا إِلَى الْكَهْفِ قَائِلِينَ: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَلَيْنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهِيَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾، وَكَمَا تَعَلَّقَتِ الإِرَادَةُ بِإِرْشَادِهِمْ فَاهْتَدَوْا، يَتَعَلَّقُ بِإِرْشَادِ قَوْمٍ مِنْ أُمَّتِكَ: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْرَضُوا عَلَى الْكٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ.

قوله: (وليس بها إلا الرقيم) البيت<sup>(١)</sup>، الوصيد: فناء البيت، وهو مفعول «مجاورًا»، يعني: أن أصحاب الكهف كانوا رُقودًا في الغار وكلبهم مُجاوِرًا لَوَصِيدِهِمْ.

قوله: (أيلة): دون فلسطين. النهاية: أيلة - بفتح الهمزة وسكون الياء - البلد المعروف فيما بين مصر والشام<sup>(٢)</sup>.

قوله: (أو: اجعل أمرنا رشداً كله، كقولك: رأيت منك أسداً)، ﴿مِنْ﴾ عَلَى الأَوَّلِ: صِلَةٌ ﴿هِيَ﴾، وَعَلَى هَذَا بَيَانٌ وَتَجْرِيدٌ، جَرَّدَ مِنَ الأَمْرِ رَشَدًا وَهُوَ الأَمْرُ بِعَيْنِهِ مَبَالِغَةٌ فِي رَشَادِهِ، وَلِهَذَا قَالَ: رَشَدًا كُلَّهُ<sup>(٣)</sup>.

(١) لأمية بن أبي الصلت، ولم أجد في «ديوانه»، صنعة الدكتور بهجت الحديثي.

(٢) وهي العقبة الآن في جنوب الأردن.

(٣) من قوله: «رأيت منك أسداً» ﴿مِنْ﴾ عَلَى الأَوَّلِ إلى هنا سقط من (ف) و(ح).

أي: ضَرَبْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِنْ أَنْ تَسْمَعَ، يعني: أَنْمَنَاهُمْ إِنْأَمَةً ثَقِيلَةً لَا تُنْبَهُهُمْ فِيهَا الأصوات، كما ترى المُسْتَقِيلَ فِي نَوْمِهِ يُصَاحُ بِهِ فَلَا يَسْمَعُ وَلَا يَسْتَنْبَهُ، فَحَدَفَ الْمَفْعُولَ الَّذِي هُوَ الْحِجَابُ. كما يقال: بنى على امرأته، يُريدون: بنى عليها القُبَّة، ﴿سِنِينٌ عَدَدًا﴾ ذواتِ عَدَدٍ، فَيُحْتَمَلُ أَنْ يَرِيدَ الْكَثْرَةَ وَأَنْ يَرِيدَ الْقَلَّةَ؛ لِأَنَّ الْكَثِيرَ قَلِيلٌ عِنْدَهُ، كَقَوْلِهِ: ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وَقَالَ الزَّجَّاجُ: إِذَا قَلَّ فَهِمْ مَقْدَارُ عَدَدِهِ فَلَمْ يَحْتَجَّ أَنْ يُعَدَّ، وَإِذَا كَثُرَ احْتِجَّ إِلَى أَنْ يُعَدَّ.

قوله: (أَنْمَنَاهُمْ إِنْأَمَةً ثَقِيلَةً)، يريدُ أَنْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فَضْرَبْنَا عَلَيَّ إِذَا نِينَهُمْ﴾: كِنَايَةٌ عَنِ الْإِنْأَمَةِ الثَّقِيلَةِ؛ لِأَنَّ الْمُسْتَقِيلَ فِي نَوْمِهِ يُصَاحُ بِهِ فَلَا يَسْمَعُ، وَإِنَّمَا خُصِّصَتِ الْأَذَانُ دُونَ الْعَيُونِ، مَعَ أَنَّ النَّوْمَ يَتَعَلَّقُ بِهَا؛ لِأَنَّ الْمَرَادَ الْمُبَالِغَةَ فِي النَّوْمِ، فَإِنَّ النَّائِمَ فِي الْأَكْثَرِ يَتَنَبَّهُ بِسَبَبِ نُفُوزِ الصُّرَاخِ فِي مَنْفَذِ الصُّمَّاحِ<sup>(١)</sup>.

قوله: (بنى على امرأته)، الأساس: بنى على أهله: دَخَلَ عَلَيْهَا، وَأَصْلُهُ أَنَّ الْمُعْرَسَ كَانَ يَبْنِي عَلَى أَهْلِهِ حِجَابًا.

قوله: (وقال الزججاج: إذا قلَّ فهمَ مقدارُ عدده، فلم يحتج أن يُعدَّ، وإذا كثُر احتجَّ إلى أن يُعدَّ)<sup>(٢)</sup>، هذا مختصرٌ من كلامه، وكلامه أن ﴿عَدَدًا﴾: مَنْصُوبٌ عَلَى ضَرْبَيْنِ، أَحَدُهُمَا: عَلَى الْمَصْدَرِ، الْمَعْنَى<sup>(٣)</sup>: يَعَدُّ عَدَدًا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نَعْتًا لِلْسِّنِينَ: وَالْمَعْنَى سِنِينَ ذَاتَ عَدَدٍ، وَالْفَائِدَةُ فِي قَوْلِكَ: عَدَدٌ فِي الْأَشْيَاءِ الْمَعْدُودَاتِ: أَنَّكَ تَرِيدُ تَوْكِيدَ كَثْرَةِ الشَّيْءِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا قَلَّ فَهِمْ مَقْدَارُ عَدَدِهِ فَلَمْ يَحْتَجَّ إِلَى أَنْ يُعَدَّ، وَإِذَا كَثُرَ يَحْتَجُّ إِلَى أَنْ يُعَدَّ، وَالْعَدْدُ فِي قَوْلِكَ: أَقْمَتُ أَيَّامًا عَدَدًا، تَرِيدُ بِهِ الْكَثْرَةَ، وَجَائِزٌ أَنْ يُؤَكِّدَ بَعْدَ مَعْنَى الْجَمَاعَةِ أَنَّهَا قَدْ خَرَجَتْ مِنْ مَعْنَى الْوَاحِدِ.

وقلت: ويؤيده ما روينا عن البخاريِّ ومسلم، عن عائشة رضي الله عنها في حديثٍ بدءً

(١) وهو خرقُ الأذن، ويقال بالسِّنِ أَيْضًا.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» (٣: ٢٧١).

(٣) سقط لفظ «المعنى» من (ف).

[ ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾ ١٢ ]

﴿ أَيُّ ﴾ يتضمَّن معنى الاستفهام، فعَلَّقَ عنه ﴿ لِنَعْلَمَ ﴾ فلم يَعْمَلْ فيه. وقرئ: (لِيَعْلَمَ) وهو مُعَلِّقٌ عنه أيضًا؛ لأنَّ ارتفاعه بالابتداء لا بإسنادِ (يَعْلَمُ) إليه، وفاعلُ (يَعْلَمُ) مضمونُ الجُمْلَةِ كما أنه مفعولُ (نعلمَ)، ﴿ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ ﴾ المختلفين منهم في مدَّة لُبُّثِهِمْ؛ لأنهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك، وذلك قوله: ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمَ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ﴾ [الكهف: ١٩]، وكان الذين قالوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بما لبثتم: هم الذين علموا أنَّ لُبُّثَهُمْ قد تطاول، أو أيُّ الحزبين المختلفين من غيرهم، و﴿ أَحْصَى ﴾ فعلٌ ماضٍ، أي: أيُّهم صَبَطَ ﴿ أَمَدًا ﴾ لأوقات

الوحي: وكان يخلو بغارٍ جِراءٍ فَيَتَحَنَّنُ فيه، وهو التَعَبُّدُ، الليلي ذوات العدد. الحديث<sup>(١)</sup>، قيل: فيه نظر؛ لأنَّ العَدَدَ يُعَبَّرُ به عن القِلَّةِ، كقوله تعالى: ﴿ دَرَّهَمٌ مَّعْدُودَةٌ ﴾ [يوسف: ٢٠]، أي: قليلة تُعَدُّ عَدًّا، ولأنَّ الكثرة<sup>(٢)</sup> يَمْنَعُ من عَدِّها كَثْرَتُها، فإنَّها تُهَالُ هَيْلًا، أو تُكَالُ كَيْلًا. وأجيب: بأنَّ الكثرة والقِلَّةَ بحسبِ اقتضاءِ المقام، فإنَّ مقامَ التَعَجُّبِ من خَرَقِ العادة يقتضي الكثرة، على أنَّ المراد بقوله: ﴿ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ [الكهف: ١١]، ﴿ تِلْكَ مِائَةٌ سِنِينَ وَازْدَادُوا ﴾<sup>(٣)</sup> [الكهف: ٢٥]، ومقامُ التَّهَاوُنِ بيوسفَ والرَّهْدِ في قيمته يقتضي القِلَّةَ.

قوله: ﴿ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ الْمُخْتَلِفَيْنِ ﴾، الرَّاعِبُ: الحِزْبُ: جماعةٌ فيها غَلَطٌ، وحِزْبُ الشَّيْطَانِ. وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُرْسِيُّونَ الْأَحْزَابَ ﴾ [الأحزاب: ٢٢] عبارةٌ عن المُجْتَمِعِينَ لمُحَارِبَةِ النَّبِيِّ ﷺ، ﴿ فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾<sup>(٤)</sup>.

قوله: ﴿ أَحْصَى ﴾ فعلٌ ماضٍ، الرَّاعِبُ: الإحصاءُ: التَّحْصِيلُ بالعَدَدِ، يقال: أَحْصَيْتُ كَذَا، وذلك من لَفْظِ الحِصْيِ، واستعمالُ ذلك فيه من حيثُ إنَّهم كانوا يعتمدونهُ بالعَدِّ كاعتقادنا

(١) أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠) (٢٥٣).

(٢) في (ط): «الكثير»، وفي (ح): «القليل»، وهو خطأ.

(٣) من قوله: «الكثرة والقلة بحسب اقتضاء المقام» إلى هنا سقط من (ف).

(٤) «مفردات القرآن»، ص ٢٣١.



لُبَيْهِمْ. فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا تَقُولُ فِيمَنْ جَعَلَهُ مِنْ «أَفْعَل» التفضيل؟ قلت: ليس بالوجه

فيه على الأصابع. قال تعالى: ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٨]، أي: حصَّله وأحاط به. وفي الحديث: «مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»<sup>(١)</sup>، وفيه: «نَفْسٌ تُنْجِيهَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ إِمَارَةٍ لَا تُحْصِيهَا»<sup>(٢)</sup>، وفيه: «استقيموا ولن تحصوا»<sup>(٣)</sup>، أي: لن تحصّلوا ذلك، ووجهُ تَعَدُّرٍ<sup>(٤)</sup> إحصائه وتحصيله: هو أن الحقَّ واحدٌ والباطل كثيرٌ، بل الحقُّ بالإضافة إلى الباطل كالتنقطة بالإضافة إلى سائر أجزاء الدائرة، وكالمرمى من الهدف، فإصابة ذلك شديد<sup>(٥)</sup>.

وقال أبو البقاء: ﴿أَيُّ الْحَزِينَيْنِ﴾: مبتدأ، والخبْرُ: ﴿أَحْصَى﴾، و﴿أَمَدًا﴾: مفعولُه: و﴿لِمَا لَيْسُوا﴾: نعتٌ له، قدّم فصارَ حالاً أو مفعولاً له، أي: لأجلِ لُبَيْهِمْ<sup>(٦)</sup>.

قوله: (فَمَا تَقُولُ فِيمَنْ جَعَلَهُ مِنْ «أَفْعَل» التفضيل؟)، هذا السؤال وجوابه إشارة إلى ما ذهب إليه الزجاج في «تفسيره»، وما أورده عليه أبو علي في «الإغفال». قال الزجاج: الأمد: الغاية، وهو منصوبٌ، إمّا على التمييز أو على أنه مفعولٌ ﴿أَحْصَى﴾، كأنه قيل: لِنَعْلَمَ أهؤلاء أحصى للأمد أو هؤلاء؟ أو يكونُ منصوباً بـ﴿لَيْسُوا﴾، و﴿لِمَا﴾: متعلّقٌ بـ﴿أَحْصَى﴾. المعنى: أَيُّ الْحَزِينَيْنِ أَحْصَى لَلْبَيْهِمْ فِي الْأَمَدِ<sup>(٧)</sup>. وقال أبو علي: الحَمْلُ على التمييز عندي غير مستقيم؛ لأنَّ ﴿أَحْصَى﴾ لا يجوزُ أن يكونَ أَفْعَلُ التفضيلَ لِأَمْرَيْنِ، أَحَدُهُمَا: أَنْ أَفْعَلٌ يَفْعُلُ لَا يُبْنَى مِنْهُ أَفْعَلٌ مِنْ كَذَا. وَأَمَّا قَوْلُهُمْ: مَا أَوْلَاهُ لِلْخَيْرِ وَمَا أَعْطَاهُ لِلدَّرْهِمِ! فَمَنْ الشَّاذُّ النَّادِرُ الَّذِي لَا يُقَاسُ عَلَيْهِ.

(١) يعني أسماء الله الحُسنى. والحديثُ أخرجه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٠٦٢)، وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) هو جزءٌ من حديثٍ أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنّف» (٣٣٢١١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩٦: ١٠) من حديث العباس رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الإمام مالك في «الموطأ» (١: ٣٤)، والإمام أحمد في «المسند» (٢٢٤٣٢)، وابن ماجه (٢٧٨)، وغيرهم من حديث ثوبان رضي الله عنه، وصحّحه ابن حبان (١٠٣٧)، وفيه تمامٌ تحريجه.

(٤) في (ح) و(ف): «ووجه بُعْد».

(٥) «مفردات القرآن»، ص ٢٤٠. وفيه: «فإصابة ذلك شديدة».

(٦) «التيبان في إعراب القرآن» (٢: ٨٣٩).

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» (٣: ٢٧١).

السَّديد، وذلك أنّ بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس. ونحو: (أعدى من

وثانيتها: أن التمييز في نحو: هو أكثر مالا وأحسن وجهًا: فاعلٌ في المعنى، وإن كان مُتَّصِبًا في اللفظ؛ لأنَّ الوجّه هو الذي حَسَنَ، والمال هو الذي كَثُرَ، ليس الأمدُّ هو الذي أحصى<sup>(١)</sup>. كذا ذكر ابنُ الحاجب في «الأمالي»<sup>(٢)</sup>. وقال أبو علي: وفيه وجهٌ آخر لو جَوَزَ حَمَلُ ﴿أَحْصَى﴾ على أفعالِ التفضيلِ في الشذوذِ، يكونُ ﴿أَمَدًا﴾ مُتَّصِبًا بفعلٍ يدلُّ عليه ﴿أَحْصَى﴾.

وقال صاحبُ «التقريب»: التفضيلُ هو السابقُ إلى الفَهم، والتقسيمُ غيرُ مُنحصِر، لجوازِ انتصابه تمييزًا ﴿لِمَا﴾، والمعنى: أضبَطُ للأمدِ الذي لَبِثوه.

وقال صاحبُ «الانتصاف»: لقائل أن يَنْصِبَهُ تمييزًا لقوله: ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٨]، وإن كانت ﴿أَحْصَى﴾ هناك فعلًا، ويؤيِّده أن الواقعة في اختلافِ الأحزابِ مقدارُ اللَّبْثِ، ﴿إِذْ يَقُولُ أَفِئْتُهُمْ طَرِيقَةً﴾ فأمثلهم طريقة هو أحصاهم أمدًا<sup>(٣)</sup>.

وقال صاحبُ «الإنصاف»<sup>(٤)</sup>: لا بُدَّ فيما استبعده الزمخشريُّ من إضمارِ فعلٍ من جنسِ أفعالٍ، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [النحل: ١٢٥] يحتاجُ إلى إضمارِ فعلٍ آخرٍ من جنسِ أفعالٍ؛ إذ الإضافةُ مُستحيلةٌ هناك، وللزمخشريِّ أن يُجيبَ بأنَّ هناك بناءً على ضرورة، ولا ضرورة هاهنا؛ ولذلك قال: «أبعدت المتناول وهو قريب».

قوله: (أنَّ بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس)، الانتصاف: جعلَ بعضُ النحاةِ بناءَ أفعالٍ من المزيدِ فيه الهمزةُ قياسًا، ونسبَه إلى سيبويه، وعلَّله بأنَّ بناءه منه لا يُغيِّرُ نَظْمَ الكلمة، إنَّما هو تعويضُ همزةٍ همزة<sup>(٥)</sup>.

(١) «الإغفال» (١: ٣٢٩).

(٢) «الأمالي النحوية» لابن الحاجب (١: ٢٧٧).

(٣) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٢: ٧٠٥).

(٤) في (ف): «الانتصاف»، وهو خطأ.

(٥) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٢: ٧٠٥). ولتعام الفائدة انظر: «شرح المفصل» لابن يعيش النحوي

الجرب) و(أفلس من ابن المذلق) شاذ. والقياس على الشاذ في غير القرآن ممتنع، فكيف به؟ ولأن ﴿أَمَدًا﴾ لا يخلو: إما أن ينتصب بـ«أفعل»، فـ«أفعل» لا يعمل، وإما أن يُنصب بـ﴿لَبِثُوا﴾، فلا يُسَدُّ عليه المعنى. فإن زعمت أني أنصبه بإضمار فعل يدل عليه ﴿أَحْصَى﴾، كما أضمر في قوله:

### وَأَضْرَبَ مِنَّا بِالسُّيُوفِ الْقَوَانِيسَا

قوله: (وأفلس من ابن المذلق)، قال الميداني: يُروى بالذالِ والذال، وهو رجلٌ من بني عبد شمس، وأبوه وأجداده يُعرفون بالإفلاس. قال الشاعر في أبيه:

فإنك إذ ترجو غيماً ونفعها كراجي الندى والعرف عند المذلق<sup>(١)</sup>

قوله: (وإما أن يُنصب بـ﴿لَبِثُوا﴾، فلا يُسَدُّ عليه المعنى)، هو ردٌ على الزجاج، أو يكون منصوباً بـ﴿لَبِثُوا﴾ أي: أي الحزبين أحصى للبيهم في الأمد؟ لأن المعنى: أيكم أضبط للأمد الذي لبثوه؟ فالمحصى الأمد لا اللبث. وقيل: إنما لا يُسَدُّ عليه المعنى لأن «أمدًا» معناه: انتهاء المدّة وغايتها، وليس المعنى على أنهم لبثوا انتهاء المدّة، وفيه نظر؛ لأن «الأمد» يُطلق على المدّة كلّها وعلى غايتها.

النهاية: قال الحجاج للحسن: ما أمدك؟ قال: سنتان لخلافة عمر، وللإنسان أمدان: مولده وموته.

قوله: (فلا يُسَدُّ عليه) بفتح السين في النسخ. الجوهري: سدّ قوله يسدّ، بالكسر، أي: صار سديداً. الأساس: وسدّ الرجل يسدّ: صار سديداً، وسدّ قوله وأمره يسدّ، وأمره سديدٌ، وقلت له سداً من القول، وسدداً: صواباً.

قوله: (وأضرب منّا بالسُّيوفِ القَوَانِيسَا)، قبله:

ولم أر مثل الحيّ حياً مُصَبَّحًا ولا مثلنا يومَ التقينا قواريسا

(١) «مجمع الأمثال» (٢: ٨٣).

على: نضربُ القوانس، فقد أبعدت المتناول وهو قريب، حيث أُبَيِّنَت أن يكون ﴿أَحْصَى﴾ فعلاً، ثم رجعت مُضْطَرّاً إلى تقديره وإضماره. فإن قلت: كيف جعل الله تعالى العلم بإحصائهم المدة غرضاً في الضرب على آذانهم؟ قلت: الله عز وجل لم يزل عالماً بذلك، وإنما أراد ما تعلق به العلم من ظهور الأمر لهم؛ ليزدادوا إيماناً واعتباراً، ويكون لطفاً لمؤمني زمانهم، وآية بيّنة لكفارهم.

[﴿مَنْ نَفَسْ عَلَيْكَ تَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى \* وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ الْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا \* هَؤُلَاءِ قَوْمًا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ

أَكْرَ وَأَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ وَأَضْرَبَ مِنَّا بِالسُّيُوفِ الْقَوَانِسَ<sup>(١)</sup>

المُصْبِحُ: المغار عليه وقت الصبح، وحقيقة الرجل: ما لزمه الدفاع عنه من أهل بيته، والقوانس: جمع قونس: وهو أعلى البيضة<sup>(٢)</sup>، مدح كلا الفريقين عدوهم ونفسهم، يقول: لم أر مغاراً عليهم كالذين صَبَحناهم، ولا مغيراً مثلنا يوم لقيناهم.

قوله: (فقد أبعدت المتناول)، وهو أنه منصوب بـ ﴿أَحْصَى﴾؛ لأنك أثبتت أولاً أنه منصوب به، ثم يُقدِّره بعد ارتكاب هذه التكاليف.

قوله: (وإنما أراد ما تعلق به العلم من ظهور الأمر لهم)، يعني: ضربنا على آذانهم ليظهر معلوم العلم، وهو أنهم أحصى أمد لبثهم، فالتعليل ليس لحصول العلم، بل لظهور المعلوم، يعني: كان هذا الأمر العجيب معلوماً لله تعالى في الأزل، فتعلقت إرادته بإظهاره للمكلفين ليتعجبوا منه ويعتبروا به، فيكون مزيداً للإيمانهم ولطفاً لمؤمني زمانهم، بأن يستنوا بسنتهم، ودليلاً ظاهراً على وجود الصانع لكافريهم، فيستدلوا به ثم يؤمنوا.

(١) للعباس بن مرداس السلمي من أبيات ذكرها أبو تمام في «الحماسة» بشرح المرزوقي (١: ٤٤١).

(٢) وهي ما يوضع على الرأس يتقى به في الحرب.

عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيْنَ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٣ - ١٥﴾

﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ بالتوفيق والتثبيت، ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ وقويناها بالصبر على هجر الأوطان والتعميم، والفرار بالدين إلى بعض الغيران، وجسرتناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالإسلام ﴿إِذْ قَامُوا﴾ بين يدي الجبار وهو دقيانوس، من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم، ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ.. شَطَطًا﴾ قولاً ذا شطط، وهو الإفراط في الظلم والإبعاد فيه، من: شَطَطَ: إذا بُعد. ومنه: أَشْطَطَ فِي السَّوْمِ وفي غيره، ﴿هَتُوْلَاءَ﴾ مبتدأ، و﴿قَوْمَنَا﴾

قوله: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ وقويناها بالصبر، الأساس: ربط الدابة: شدّها بالرباط<sup>(١)</sup>، والمربط هو الحبل، ومن المجاز: ربط الله على قلبه: صبره، وربط الرجل رابط الجأش، فالربط هنا تمثيل، ومعنى الاستعلاء في ﴿عَلَى﴾ المبالغة؛ لأن ربط يتعدى بنفسه، فجعل بمنزلة اللازم، وعُدِّي بـ«على»، نحو قوله:

..... يَجْرُحُ فِي عِرَاقِهَا نَضْلِي<sup>(٢)</sup>

قوله: (ومنه: أَشْطَطَ فِي السَّوْمِ)، الأساس: أَشْطَطَ فِي السَّوْمِ واشتط، يقال: «لا وَكَسَ ولا شَطَطَ»<sup>(٣)</sup>، وَأَشْطَطَ فِي الْحُكْمِ، وَأَشْطَوَا فِي طَلْبِهِ: أَمَعَنُوا. الرَّاغِبُ: الشَّطَطُ: الإفراط في<sup>(٤)</sup> البعد، يقال شَطَطَتِ الدَّارُ، وَأَشْطَطَ، يقال في المكان، وفي الحكم، وفي السوم، قال:

شَطَّ الْمَزَارُ بِحَزْوِي<sup>(٥)</sup> وانتهى الأمل<sup>(٦)</sup>

(١) وفي (ف): «بالرُّبُط».

(٢) سبق تخريجه من شعر ذي الرمة.

(٣) هو جزء من حديث أخرجه مسلم (١٢٨٧)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) من قوله: «أَشْطَطَ فِي السَّوْمِ واشتطَّ» إلى هنا سقط من (ف).

(٥) في (ف): «بحزولي»، وهو خطأ، وفي «المفردات»: «بجدوي».

(٦) لابن أحمَرَ في «ديوانه»، ص ١٣٣، وتمام البيت:

فلا خيال ولا عهد ولا طلل

عطفُ بيان، ﴿أَتَّخَذُوا﴾ خبر، وهو إخبارٌ في معنى إنكار، ﴿لَوْلَا يَأْتُونَكَ عَلَيْهِمْ﴾ هَلَّا يَأْتُونَ على عِبَادَتِهِمْ، فَحَذَفَ المُضَافَ ﴿بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ وهو تَبَكُّيْتُ؛ لِأَنَّ الإِتْيَانَ بِالسُّلْطَانِ على عِبَادَةِ الأَوْثَانِ مُحَالٌ، وهو دَلِيلٌ على فَسَادِ التَّقْلِيدِ، وَأَنَّهُ لَا بُدَّ فِي الدِّينِ مِنَ الحُجَّةِ حَتَّى يَصِحَّ وَيَثْبُتَ، ﴿أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بِنَسْبَةِ الشَّرِيكِ إِلَيْهِ.

[وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبِّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا] ﴿١٦﴾

﴿وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ﴾ خَطَابٌ مِنْ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، حِينَ صَمَمَتْ عَزِيمَتُهُمْ عَلَى الفِرَارِ بِدِينِهِمْ، ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ نَصَبٌ؛ عَطْفٌ عَلَى الضَّمِيرِ، يَعْنِي: وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَاعْتَرَلْتُمْ مَعْبُودِيهِمْ، ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اسْتِثْنَاءً مُتَّصِلًا، عَلَى مَا رُوِيَ: أَنَّهُمْ كَانُوا يُقَرُّونَ بِالْخَالِقِ وَيَشْرَكُونَ مَعَهُ كَمَا أَهْلُ مَكَّةَ، وَأَنْ يَكُونَ مُنْقَطِعًا. وَقِيلَ: هُوَ كَلَامٌ مُعْتَرِضٌ إِخْبَارٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَنِ الفِتْنَةِ أَنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوا غَيْرَ اللَّهِ، .....

وَعَبَّرَ بِالشُّطَطِ عَنِ الجَوْرِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾، وَشَطَطُ النَّهْرِ: حَيْثُ يَبْعُدُ عَنِ المَاءِ مِنْ حَافَتِهِ<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ: (وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى فَسَادِ التَّقْلِيدِ)، قَالَ القَاضِي: وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَا لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ مِنَ الدِّيَانَاتِ مَرْدُودٌ، وَأَنَّ التَّقْلِيدَ فِيهِ غَيْرُ جَائِزٍ<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اسْتِثْنَاءً مُتَّصِلًا، فـ(ما) فِي ﴿مَا يَعْبُدُونَ﴾: مَوْصُولَةٌ، وَ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اسْتِثْنَاءً مُتَّصِلًا، وَ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾ مُسْتَشْنَى مِنْ (ما)، أَوْ مِنَ العَائِدِ المَحذُوفِ.

قَوْلُهُ: (وَقِيلَ: هُوَ كَلَامٌ مُعْتَرِضٌ)، فَالتَّقْدِيرُ: وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ فَأَوُوا إِلَى الكَهْفِ،

(١) «مفردات القرآن»، ص ٤٥٣.

(٢) «أنوار التنزيل» (٣: ٤٨٢).

﴿مَرْفَقًا﴾ قُرئ بفتح الميم وكسرها، وهو ما يُرْتَفَقُ به، أي: يُتَنَفَّع، إما أن يقولوا ذلك ثقةً بفضلِ الله وقُوَّةً في رجائِهِم لتوكُّلِهِم عَلَيْهِ ونُصُوعِ يَقِينِهِم، وإما أن يخبرَهُم به نبيٌّ في عصرِهِم، وإما أن يكون بعضهم نبيًّا.

[﴿وَتَرَى السَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَوَّرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ يَجْدَلَهِ. وَإِلَّا مُرْشِدًا﴾ ١٧]

﴿تَزَوَّرُ﴾ أي: تمايل، أصله: تَزَاوَرُ، فَحُفَّفَ بِإِدْغَامِ التَّاءِ فِي الزَّايِ أَوْ حَذْفِهَا. وَقَدْ قُرئَ بِهَا، وَقُرئَ: (تَزَوَّرُ) وَ(تَزَوَّارُ) بوزن: تَحْمَرُّ وَتَحْمَارُ، وَكُلُّهَا مِنَ الزَّوَرِّ، وَهُوَ الْمِيلُ،

فَاعْتَرَضَ بَيْنَ الشَّرْطِ وَالْجُزْأِ جُمْلَةٌ مَنفِيَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ لِمَعْنَى مَا اعْتَرَضَتْ فِيهِ، وَهُوَ إِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ تَعَالَى.

قوله: ﴿مَرْفَقًا﴾ قُرئَ بِفَتْحِ الْمِيمِ وَكَسْرِهَا، نَافِعٌ وَابْنُ عَامِرٍ: بِفَتْحِ الْمِيمِ وَكَسْرِ الْفَاءِ، وَالباقونَ: بِكَسْرِ الْمِيمِ وَفَتْحِ الْفَاءِ<sup>(١)</sup>.

قوله: (وَنُصُوعِ يَقِينِهِم)، الجوهري: النَّاصِعُ: الْخَالِصُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

قوله: (وقد قُرئَ بِهَا، وَقُرئَ: «تَزَوَّرُ»)، ابنُ عَامِرٍ: بِإِسْكَانِ الزَّايِ وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ، وَالكُوفِيُّونَ: بِفَتْحِ الزَّايِ مَخْفَفَةً، وَأَلْفٍ بَعْدَهَا، وَالباقونَ: يُشَدِّدُونَ الزَّايَ وَيُثَبِّتُونَ الْأَلْفَ.

قوله: (و«تَزَوَّارُ»)<sup>(٢)</sup>، قَالَ ابْنُ جَنِّي: قَرَأَهَا الْجَحْدَرِيُّ<sup>(٣)</sup>، وَقَلَّمَا جَاءَتْ «أَفْعَالٌ» إِلَّا فِي الْأَلْوَانِ، نَحْوَ: أَسْوَادٌ وَأَحْمَارٌ وَأَصْفَارٌ، أَوْ الْعَيُوبِ الظَّاهِرَةِ نَحْوَ: أَحْوَالٌ وَأَحْوَالٌ، وَأَعْوَرٌّ وَأَعْوَرٌّ، وَقَدْ جَاءَتْ أَفْعَالٌ وَأَفْعَلٌ، وَهِيَ مَقْصُورَةٌ<sup>(٤)</sup> مِنْ أَفْعَالٍ، فِي غَيْرِ الْأَلْوَانِ، قَالُوا:

(١) وَالرَّاجِعُ فِيهَا أَتَاهُمَا لَعْنَان. انظر: «حجّة القراءات»، ص ٤١٢.

(٢) فِي (ف): «تَزَوَّرُ».

(٣) أَبُو يَحْيَى، كَامِلُ بْنُ طَلْحَةَ، (ت ٢٣١هـ).

(٤) فِي (ح): «مَقْصُودَةٌ»، وَلَعَلَّ مَا أَثْبَتْنَاهُ هُوَ الْأَشْبَهُ بِالصَّوَابِ.

ومنه: زاره: إذا مالَ إليه. والزَّور: الميلُ عن الصِّدق، ﴿ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ جهةُ اليمين، وحققتها: الجهةُ المُستأهةُ باليمين، ﴿تَقْرِيضُهُمْ﴾ تقطعُهُم لا تقربُهُم، من معنى القطيعة والصَّرم، قال ذو الرِّمَّة:

إلى طَعْنٍ يَقْرِضُنْ أَقْوَارَ مُشْرِفٍ شِمَالًا وَعَنْ أَيْمَانِهِنَّ الْفَوَارِسُ

ازعوى، وهو أفعَل، واقتوى، أي: خدَمَ وساسَ، من القنوّ، وهو الخِدمة. وقالوا: اشعَّ رأسه، أي: تفرَّقَ شعْرُه<sup>(١)</sup>.

الرَّاغِب: الزُّورُ: أعلى الصِّدر، وزُرْتُ فلاتًا: تَلَقَّيْتُهُ بزوري، أو قصدتُ زورَه، نحو: وجهته، والزُّورُ: مَيْلٌ في الزورِ، ﴿تَزَوَّرُ عَنْ كَهْفِهِمْ﴾ أي: تَمِيلُ، وقُرئ: «تزوَّرُ». قال أبو الحسن: لا معنى لـ«تزوَّرُ» هنا؛ لأنَّ الازورارَ: الانقباضُ، وقيل للكذبِ: زورٌ لميله عن جهته<sup>(٢)</sup>.

وقوله: ﴿تَقْرِيضُهُمْ﴾ تقطعُهُم، الرَّاغِب: القَرَضُ: ضَرَبٌ مِنَ القَطْع، ويُسمى قَطْعُ المَكَانِ وتجاوزُه قَرَضًا، كما سُمِّيَ قَطْعًا. قال: ﴿تَقْرِيضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ أي: تَجَوَّرُهُمْ، وسُمِّيَ ما يُدْفَعُ إلى الإنسانِ مِنَ المَالِ بِشَرْطِ رَدِّ بَدَلِهِ قَرَضًا، وسُمِّيَ المَفاوِضَةُ في الشُّعْرِ مُقَارِضَةً، والقَرَضُ<sup>(٣)</sup> للشُّعْرِ مُستعارٌ استعارةُ النَّسْجِ والحَوَكِ<sup>(٤)</sup>.

قوله: (إلى طَعْنٍ)، وقبله:

نَظَرْتُ بِجَرَءِ السَّيِّئَةِ<sup>(٥)</sup> نَظْرَةً  
إلى طَعْنٍ يَقْرِضُنْ أَقْوَارَ مُشْرِفٍ  
ضُحَى وَسَوَادُ العَيْنِ في المَاءِ شامِسُ  
شِمَالًا، وَعَنْ أَيْمَانِهِنَّ الْفَوَارِسُ<sup>(٦)</sup>

(١) «المحتسب» (٢: ٢٥).

(٢) «مفردات القرآن»، ص ٣٨٦.

(٣) في «المفردات»: «والقريض».

(٤) «مفردات القرآن»، ص ٦٦٦.

(٥) في «ديوان ذي الرمة»: «السبيبة»، وهو خطأ.

(٦) انظر: «ديوان ذي الرمة»، ص ٣١٣.



﴿وَهُمْ فِي فَجْوَعٍ مِّنْهُ﴾ وهم في مُتَسَّعٍ مِنَ الكَهْفِ. والمعنى: أَنَّهُمْ فِي ظِلِّ نَهَارِهِمْ كُلَّهُ لَا تُصِيبُهُمُ الشَّمْسُ فِي طُلُوعِهَا وَلَا غُرُوبِهَا، مَعَ أَنَّهُمْ فِي مَكَانٍ وَاسِعٍ مُّنتَفِحٍ مُّعْرَضٍ لِإِصَابَةِ الشَّمْسِ لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ يَجْجُبُهَا عَنْهُمْ. وقيل: فِي مُتَفَسِّحٍ مِنْ غَارِهِمْ يَنَالُهُمْ فِيهِ رَوْحُ الهَوَاءِ وَبَرْدُ النَّسِيمِ وَلَا يُحْسُونَ كَرَبَ الغَارِ، ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ أي: مَا صَنَعَهُ اللَّهُ بِهِمْ مِنْ اذْوَارِ الشَّمْسِ وَقَرَضِهَا طَالِعَةً وَغَارِبَةً آيَةً مِنْ آيَاتِهِ، يَعْنِي: أَنَّ مَا كَانَ فِي ذَلِكَ السَّمْتِ تَصِيْبُهُ الشَّمْسُ وَلَا تَصِيْبُهُمْ، اِخْتِصَاصًا لَهُمْ بِالكَرَامَةِ. وقيل: بَابُ الكَهْفِ شِمَالِيٌّ مُسْتَقْبِلُ لِبَنَاتِ نَعَشٍ، فَهَمْ فِي مَقْنَأَةٍ أَبَدًا، وَمَعْنَى ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾: أَنَّ شَأْنَهُمْ وَحَدِيثَهُمْ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ ثَنَاءٌ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ جَاهَدُوا فِي اللَّهِ وَأَسْلَمُوا لَهُ وَجَوْهَهُمْ، فَلَطَفَ بِهِمْ وَأَعَانَهُمْ، وَأَرْشَدَهُمْ إِلَى نَيْلِ تِلْكَ الكَرَامَةِ السَّنِّيَّةِ وَالِاِخْتِصَاصِ بِالآيَةِ العَظِيمَةِ، وَأَنَّ كُلَّ مَنْ سَلَكَ طَرِيقَةَ المُهْتَدِينَ الرَّاشِدِينَ فَهُوَ الَّذِي أَصَابَ الفَلَاحَ، وَاهْتَدَى إِلَى السَّعَادَةِ، وَمَنْ تَعَرَّضَ لِلخِذْلَانِ، فَلَنْ يَجِدَ مَنْ يَلِيهِ وَيُرْشِدُهُ بَعْدَ خِذْلَانِ اللَّهِ.

الجزءاء: الرَّمْلَةُ لَا تُنْبِتُ، وَالسَّبِيَّةُ: المَرَأَةُ تُسَبَى. شَامِسٌ: مِنْ شَمَسَ الفَرَسُ شِمَاسًا، أَي: مَنَعَ ظَهْرُهُ، سَبَّهَ كَلَالَ العَيْنِ بِشِمَاسِ الفَرَسِ. الطُّعْنُ: النِّسَاءُ فِي الهُدُوجِ. الأَقْوَاذُ: جَمْعُ قَوْزٍ، وَهُوَ الكَثِيبُ، مُشْرِفٌ: رَمْلٌ مَعْرُوفٌ، وَكَذَا الفَوَارِسُ: عَلِمَ أَرْمَالٍ مَعْرُوفَةٍ بِالدَّهْنَاءِ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ جَمْعُ فَرْسَانٍ. يَقُولُ: نَظَرْتُ إِلَى طُعْنٍ يَقْطَعُنَ الأَرْضَ فِي السَّرِيرِ بِحَيْثُ كَانَتِ الأَقْوَاذُ عَنِ شِمَالِهِنَّ وَعَنْ أَيْمَانِهِنَّ الفَوَارِسُ تَحْمِيهِنَّ.

قوله: (فِي مُتَسَّعٍ مِنَ الكَهْفِ)، الرَّاعِبُ: ﴿فِي فَجْوَعٍ﴾، أَي: سَاحَةٍ وَاسِعَةٍ، وَمِنْهُ: قَوْسٌ فَجَاءَ وَفَجَّوَأَ: بَانَ وَتَرَّهَا عَنِ كَبِدِهَا، وَرَجُلٌ أَفْجَى: بَيْنَ الفَجَاءِ، أَي: مُتَبَاعِدُ مَا بَيْنَ العُرُقَيْنِ<sup>(١)</sup>.

قوله: (فَهُمْ فِي مَقْنَأَةٍ أَبَدًا)، الجَوْهَرِيُّ: مَقْنَأَةٌ: نَقِيضُ مَضْحَاةٍ، يُهَمَزُ وَلَا يَهْمَزُ.

قوله: (وَأَنَّ كُلَّ مَنْ سَلَكَ طَرِيقَةَ المُهْتَدِينَ)، يَرِيدُ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ﴾ الآيَةَ، كَالتَّذْيِيلِ

﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ [١٨]

﴿ وَتَحْسَبُهُمْ ﴾ بكسر السين وفتحها: خطابٌ لكلِّ أحد، والأيقاظ: جمع يقظ، كأنكاد في نكد. قيل: عيونهم مفتحة وهم نيام، فيحسبهم الناظرُ لذلك أيقاظًا، وقيل: لكثرة تقلبهم، وقيل: لهم تقلبتان في السنة، وقيل: تقلبته واحدة في يوم عاشوراء.

للكلام السابق، وجيء به عامًا في كلِّ مَنْ سلك طريق المهديين، ومن تعرَّض للخذلان ليُدخل فيه هؤلاء دخولًا أوليًا فيكون ثناء عليهم بأبلغ وجه، كلام حسن، لكن فيه اعتزال خفي خفي على صاحب «الانتصاف»؛ حيث نسبته إلى أفعالهم، فهلا حمله على فعل الله تعالى لينظر إلى بيان إرادة الله تعالى ومشيئته واختصاصهم بهذه الكرامة السنّية، وتحريم غيرهم عنها، فيكون تذييلًا لقوله: ﴿ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ لقوله: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾؛ فيكون ثناء على الله تعالى. وفي تكرير أمر واحد في الشَّرْطِ والجزاء في المَوْضِعَيْنِ للدلالة على ما قررناه. وأيضًا، لو أريد مدحهم لاكتفى بقوله: ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ﴾<sup>(١)</sup> فحسب، قال القاضي: المراد به إما الثناء عليهم أو التنبية على أن أمثال هذه الآيات كثيرة، ولكن المتنفع بها من وفقه الله للتأمل والاستبصار<sup>(٢)</sup>.

قوله: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ ﴾، بكسر السين: نافع وابن كثير وأبو عمرو والكسائي<sup>(٣)</sup>.

قوله: (وقيل: لكثرة تقلبهم)، روى الإمام عن الزجاج: لكثرة تقلبهم فظن أنهم أيقاظًا، والدليل عليه قوله: ﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ﴾<sup>(٤)</sup>. وقلت: على هذا يجوز

(١) في (ح): «المهتدي»، وهي قراءة، وبها قرأ نافع وأبو عمرو ويعقوب. انظر: «إتحاف فضلاء البشر» (١: ١٥٤).

(٢) «أنوار التنزيل» (٣: ٤٨٣).

(٣) وهما لغتان. انظر: «حجّة القراءات»، ص ١٤٨.

(٤) «مفاتيح الغيب» (٢١: ١٠١) وانظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (٣: ٢٧٤).

وَقُرئ: ﴿وَيُقَلِّبُهُمْ﴾ بالياء، والضمير لله تعالى. وَقُرئ: ﴿وَتَقَلِّبُهُمْ﴾ على المصدر منصوبًا، وانتصابُهُ بفعلٍ مُضْمَرٍ يدلُّ عليه ﴿وَتَحَسَّبُهُمْ أَيَقَاطًا﴾، كأنه قيل: وترى وتشاهد تَقَلِّبُهُمْ. وَقُرأ جعفرُ الصادِق: ﴿وَكَالِيَهُمْ﴾ أي: وصاحبُ كلبِهِمْ، ﴿بَسِطَ ذِرَاعِيهِ﴾ حِكَايَةُ حَالٍ ماضية؛ لأنَّ اسمَ الفاعِلِ لا يعملُ إذا كانَ في معنى المُضَيِّ، وإضافته إذا أُضيفَ حَقِيقَةً مُعَرَّفةً، كغلام زيد، إلا إذا نَوَيْتَ حِكَايَةَ الحَالِ الماضية. والوَصيد: الفناء، وقيل: العتبة. وقيل: الباب. وأنشد:

بَارِضٍ فِضَاءٍ لَا يُسَدُّ وَصِيدُهَا      عَلِيٌّ وَمَعْرُوفِي بِهَا غَيْرُ مُنْكَرٍ

وَقُرئ: ﴿وَلَمُلِّتْ﴾ بتشديد اللام للمبالغة. وَقُرئ بتخفيف الهمزة وقلبها ياء.

أن تكون الواو في: ﴿وَتَقَلِّبُهُمْ﴾ للحال أيضًا بخلاف الأول.

قوله: ﴿وَقُرئ: ﴿وَتَقَلِّبُهُمْ﴾﴾. قَالَ ابْنُ جَنِّي: وهي قراءة الحسن، كأنه قال: وترى أو تُشَاهِدُ تَقَلِّبُهُمْ<sup>(١)</sup>.

قوله: ﴿بَارِضٍ فِضَاءٍ﴾، البيت<sup>(٢)</sup>. قيل: يصفُ حاله في البدو، أي: ضيافتي في البدو مشهورة. وقيل: نزلنا بَارِضٍ فِضَاءٍ لَا يُسَدُّ بِأُهَا عَلِيٌّ، وَعِرْفَانُ النَّاسِ إِيَّايَ بِهِذِهِ الْأَرْضِ غَيْرُ مُنْكَرٍ عِنْدَهُمْ. و«لَا يُسَدُّ وَصِيدُهَا»: من قولهم:

لَا تَرَى الضَّبَّ بِهَا يَنْجَحِرُ<sup>(٣)</sup>

قوله: ﴿«وَلَمُلِّتْ»﴾، بتشديد اللام: نافع وابن كثير، وبتخفيف الهمزة: أبو عمرو<sup>(٤)</sup>، و﴿رُعْبًا﴾، بالثقل: ابن عامر والكسائي، والباقون بالتخفيف.

(١) «المحتسب» (٢: ٢٦) وانظر: «البحر المحيط» (٧: ١٥٣).

(٢) اختلف في نسبه، فقيل لزهير بن أبي سلمى، ولم أجده في ديوانه، وقيل: لعبيد بن وهب كما في «سيرة ابن هشام» (١: ٣٢٦)، وذكره الزبيدي في «تاج العروس» (٣٩: ٢٤١) من غير عزو لأحد.

(٣) سبق تخريجُه.

(٤) وهما لغتان. انظر: «حجة القراءات»، ص ٤١٣.

و﴿رُغَبًا﴾ بالتخفيف والتثقيل، وهو الخَوْفُ الذي يُرْعِبُ الصَّدْرَ، أي: يَمَلِّؤُهُ، وذلك لِمَا أَلْبَسَهُمُ اللهُ مِنَ الْهَيْبَةِ. وقيل: لِطُولِ أَظْفَارِهِمْ وشُعُورِهِمْ وَعِظَمِ أَجْرَائِهِمْ. وقيل: لَوْحِشَةِ مَكَانِهِمْ. وعن مُعَاوِيَةَ: أَنَّهُ غَزَا الرُّومَ فَمَرَّ بِالْكَهْفِ فَقَالَ: لَوْ كُشِفَ لَنَا عَنْ هَؤُلَاءِ فَنَظَرْنَا إِلَيْهِمْ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لَيْسَ لَكَ ذَلِكَ، قَدْ مَنَعَ اللهُ تَعَالَى مِنْهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ، فَقَالَ: ﴿لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ فَقَالَ مُعَاوِيَةَ: لَا أَنْتَهِيَ حَتَّى أَعْلَمَ عِلْمَهُمْ، فَبَعَثَ نَاسًا وَقَالَ لَهُمْ: اذْهَبُوا فَانظُرُوا، فَفَعَلُوا، فَلَمَّا دَخَلُوا الْكَهْفَ بَعَثَ اللهُ عَلَيْهِمْ رِيحًا فَأَحْرَقَتْهُمْ. وَقُرئ: (لَوْ أَطَّلَعْتَ) بِضَمِّ الْوَاوِ.

[﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا \* إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ ١٩ - ٢٠]

﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ﴾ وكما أُنْمِنَاهُمْ تِلْكَ النَّوْمَةَ كَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ، إِذْكَارًا

الرَّاعِبُ: الرَّعْبُ: الانْقِطَاعُ مِنْ امْتِلَاءِ الْخَوْفِ، يُقَالُ: رَعَبْتُهُ فَرَعَبَ رُغَبًا فَهُوَ رَعِبٌ، وَالتَّرْعَابَةُ: الْفُرُوقُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ [الاحزاب: ٢٦]، ﴿وَلَمَلَيْتَ مِنْهُمْ رُغَبًا﴾، وَلِتَصَوُّرِ الْامْتِلَاءِ مِنْهُ قِيلَ: رَعَبْتُ الْحَوْضَ: مَلَأْتُهُ، وَسَيْلٌ رَاعِبٌ: يَمْلَأُ الْوَادِيَّ، وَباعتبارِ الْقَطْعِ قِيلَ: رَعَبْتُ السَّنَامَ: قَطَعْتُهُ (١).

قَوْلُهُ: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ﴾، إِذْكَارًا. الرَّاعِبُ: أَصْلُ الْبَعْثِ إِثَارَةُ الشَّيْءِ وَتَوْجِيهُهُ، يُقَالُ: بَعَثْتُهُ فَانْبَعَثَ، وَالْبَعْثُ ضَرْبَانُ: إِلَهِيٌّ، وَهُوَ أَنْوَاعٌ، أَحَدُهَا: إِيجَادُ الْأَعْيَانِ وَالْأَجْنَاسِ وَالْأَنْوَاعِ عَنِ الْعَدَمِ. وَثَانِيهَا: بَعْثُ الْمَوْتَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللهُ﴾

بقدرته على الإنامة والبعث جميعاً؛ ليسأل بعضهم بعضاً ويعرفوا حالهم وما صنع الله بهم، فيعتبروا، ويستدلوا على عظم قدرة الله تعالى ويزدادوا يقيناً، ويشكروا ما أنعم الله به عليهم وكرموا به، ﴿قَالُوا لَبِئْسَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ جوابٌ مبنيٌّ على غالبِ الظَّنِّ. وفيه دليلٌ على جواز الاجتهاد والقول بالظنِّ الغالب، وأنه لا يكون كذباً، وإن جاز أن يكون خطأً ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَيْدْتُمْ﴾ إنكارٌ عليهم من بعضهم، وأن الله أعلمُ بمدّة لُبُّهم، كأنَّ هؤلاء قد علموا بالأدلة أو بإلهام من الله أنَّ المدّة متطاوِلة، وأنَّ مقدارها مُبهمٌ لا يعلمه إلا الله. وروى أنهم دخلوا الكهفَ غدوةً وكان انتباههم بعد الزوال، فظنوا أنهم في يومهم، فلما نظروا إلى طولِ أظفارهم وأشعارهم قالوا ذلك. فإن قلت: كيف وصلوا قولهم: ﴿فَاَبْعَثُوا﴾ بتذاكُرِ حديثِ المدّة؟ قلت: كأنهم

[الأنعام: ٣٦]، أي: يُحْرِجُهُمْ وَيَنْشُرُهُمْ. وثالثها: بعثه الرّسل لإرشاد الخلق وتكميل الناقصين. ورابعها: الإلهام، قال تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٣١]. وخامسها: مُشابهة لبعث الموتى، قال تعالى: ﴿بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى﴾ [الكهف: ١٢]. والضرب الثاني: بشري، نحو قولهم: بعثت زيداً في حاجة فلان، وبعثت الجيش والبعوث، وبعثت البعير: أثرته وسيرته (١).

قوله: (كيف وصلوا قولهم: ﴿فَاَبْعَثُوا﴾ بتذاكُرِ حديثِ المدّة)، يعني: ما المناسبة بين قوله: ﴿قَالُوا لَبِئْسَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ وبين قوله: ﴿فَاَبْعَثُوا أَحَدَكُمْ﴾؟ وأجاب: أنه من بابِ الأسلوبِ الحكيم، كقوله:

أتت تشتكي عندي مُزاولَةَ القِرى      وقد رأيتِ الضَّيفانَ يَنحونَ منزلي  
فقلتُ كأنسي ما سمِعتُ كلامها:      همُ الضَّيفُ جدِّي في قِراهمُ وعَجَلِي (٢)

قال القاضي: وقيل: إنهم دخلوا الكهفَ غدوةً وانتبهوا ظهيرةً وظنوا أنهم في يومهم،

(١) «مفردات القرآن»، ص ١٣٢.

(٢) البيتان في «مفتاح العلوم» للسكاكي، ص ١٤٥ من غير عزوٍ لأحد، وذكرهما الألويسي في «روح

المعاني» (٨: ٢١٩).

قالوا: رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِذَلِكَ، لا طَرِيقَ لَكُمْ إِلَى عِلْمِهِ، فَخُذُوا فِي شَيْءٍ آخَرَ مِمَّا يُهْمُكُمْ. وَالْوَرِقَ: الْفِضَّةُ، مَضْرُوبَةٌ كَانَتْ أَوْ غَيْرَ مَضْرُوبَةٍ. وَمِنَ الْحَدِيثِ: أَنْ عَرَفَجَةَ أُصِيبَ أَنْفُهُ يَوْمَ الْكَلَابِ فَاتَّخَذَ أَنْفًا مِنْ وَرِقٍ فَاتَّنَنَ، فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَتَّخِذَ أَنْفًا مِنْ ذَهَبٍ. وَقُرِيَ: (بَوْرَقِكُمْ) بِسُكُونِ الرَّاءِ وَالْوَاوِ مُفْتُوحَةً أَوْ مَكْسُورَةً. وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ: (بَوْرَقِكُمْ) بِكَسْرِ الرَّاءِ وَإِدْغَامِ الْقَافِ فِي الْكَافِ. وَعَنْ ابْنِ مُحَيِّصٍ: أَنَّهُ كَسَرَ الْوَاوَ وَأَسْكَنَ الرَّاءَ وَأَدْغَمَ، وَهَذَا غَيْرُ جَائِزٍ؛ لِالتَّقَاءِ السَّاكِنِينَ، لا عَلَى حِدَّةٍ. وَقِيلَ: الْمَدِينَةُ طَرَسُوسٌ. قَالُوا: وَتَزَوَّدَهُمْ مَا كَانَ مَعَهُمْ مِنَ الْوَرِقِ عِنْدَ فِرَارِهِمْ: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ حَمَلَ النَّفْقَةِ وَمَا يُصْلِحُ الْمَسَافِرَ هُوَ رَأْيُ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَى اللَّهِ، دُونَ الْمُتَكِلِينَ عَلَى الْإِتِّفَاقَاتِ وَعَلَى مَا فِي أَوْعِيَةِ الْقَوْمِ مِنَ النَّفَقَاتِ. وَمِنْهُ قَوْلُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لَمَنْ سَأَلَهَا عَنْ

قالوا ذلك فلما نظروا إلى طولِ أظفارهم وأشعارهم قالوا هذا، ثم لما علموا أن الأمر مُلْتَبَسٌ لا طَرِيقَ لَهُمْ إِلَى عِلْمِهِ أَخَذُوا فِيهَا يَهْمُهُمْ وَقَالُوا: ﴿فَكَأَبَعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ﴾ (١).

قوله: (يَوْمَ الْكَلَابِ)، النِّهَايَةُ: الْكَلَابُ، بِالضَّمِّ وَالتَّخْفِيفِ: اسْمٌ مَاءٍ، وَكَانَ بِهِ يَوْمٌ مَعْرُوفٌ مِنْ أَيَّامِ الْعَرَبِ (٢)، قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي «الاسْتِعَابِ»: هُوَ عَرَفَجَةُ بْنُ أَسْعَدَ بْنِ صَفْوَانَ التَّمِيمِيُّ، أُصِيبَ أَنْفُهُ يَوْمَ الْكَلَابِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَاتَّخَذَ أَنْفًا مِنْ وَرِقٍ فَاتَّنَنَ، فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَتَّخِذَ أَنْفًا مِنْ ذَهَبٍ (٣).

قوله: (وَقُرِيَ: «بَوْرَقِكُمْ»)، أَبُو بَكْرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَحَمْزَةُ: بِإِسْكَانِ الرَّاءِ (٤)، وَالباقون:

بِكسرها.

(١) «أنوار التنزيل» (٣: ٤٨٥).

(٢) انظر خبره في «العقد الفريد» لابن عبد ربّه (٢: ٢٨٨).

(٣) «الاستيعاب» (٣: ١٠٦٢). وحديثُ عَرَفَجَةَ أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «المسند» (٢٠٢٨٣)، وَأَبُو دَاوُدَ

(٤٢٣٢)، وَالتِّرْمِذِيُّ (١٧٧٠)، وَالتَّسَاتِي (٨: ١٦٣)، وَغَيْرِهِمْ.

(٤) وَعَلَّلَهُ أَبُو زُرْعَةَ بِقَوْلِهِ: «مَنْ سَكَنَ الرَّاءَ طَلَبَ التَّخْفِيفَ بِإِسْكَانِ الرَّاءِ؛ لِأَنَّ الرَّاءَ بِتَكْرِرِهَا بِمَنْزِلَةِ

حَرْفَيْنِ». انتهى من «حُجَّةِ الْقَرَاءَاتِ»، ص ٤١٣.

مُحْرَمٍ يَشُدُّ عَلَيْهِ هِمْيَانَهُ: أَوْثَقَ عَلَيْكَ نَفَقَتَكَ. وَمَا حُكِيَ عَنْ بَعْضِ صَعَالِيكَ الْعُلَمَاءِ: أَنَّهُ كَانَ شَدِيدَ الْحَنِينِ إِلَى أَنْ يُرْزَقَ حَجَّ بَيْتِ اللَّهِ، وَتُعُولِمَ مِنْهُ ذَلِكَ، فَكَانَتْ مَيَاسِيرُ أَهْلِ بَلَدِهِ كُلَّمَا عَزَمَ مِنْهُمْ فَوْجٌ عَلَى حَجِّ آتَوْهُ فَبَدَّلُوا لَهُ أَنْ يَحْجُوا بِهِ وَالْحُوا عَلَيْهِ، فَيَعْتَذِرُ إِلَيْهِمْ وَيَحْمَدُ إِلَيْهِمْ بِذَهْمٍ، فَإِذَا انْفَضُّوا عَنْهُ قَالَ لِمَنْ عِنْدَهُ: مَا لِهَذَا السَّفَرِ إِلَّا شَيْئَانِ: شَدُّ الْهِمْيَانِ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَى الرَّحْمَنِ. ﴿أَيُّهَا﴾ أَيُّ أَهْلِهَا، فَحَدَفَ الْأَهْلَ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، ﴿أَزْكَى طَعَامًا﴾ أَحْلَى وَأَطْيَبُ وَأَكْثَرُ وَأَرْخَصُ، ﴿وَلَيْسَ تَلَطَّفٌ﴾ وَلَيْتَكَلَّفَ اللَّطْفَ وَالنَّبِيقَةَ فِيمَا يُبَاشِرُهُ مِنْ أَمْرِ الْمُبَایَعَةِ حَتَّى لَا يُغْبِنَ. أَوْ فِي أَمْرِ التَّخْفِي حَتَّى لَا يُعْرَفَ ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ يَعْنِي: وَلَا يَفْعَلَنَّ مَا يُؤَدِّي مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ مِنْهُ إِلَى الشُّعُورِ بِنَا، فَسَمَى ذَلِكَ إِشْعَارًا مِنْهُ بِهِمْ؛ لِأَنَّهُ سَبَبٌ فِيهِ، الضَّمِيرُ فِي ﴿إِنَّهُمْ﴾ رَاجِعٌ إِلَى الْأَهْلِ الْمُقَدَّرِ فِي ﴿أَيُّهَا﴾. ﴿بِرَجْمُوكُمْ﴾ يَقْتُلُوكُمْ

قوله: (أوثق عليك نفقتك)<sup>(١)</sup>، من الأسلوب الحكيم، أي: لا شك في جوازه، وإنما الذي يهيمك هو هذا.

قوله: ﴿أَزْكَى طَعَامًا﴾: أَحْلَى وَأَطْيَبُ، الرَّاعِبُ: أَصْلُ الزَّكَاةِ النَّمُوِّ الْحَاصِلُ مِنْ بَرَكَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَيُعْتَبَرُ ذَلِكَ بِالْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْآخِرَوِيَّةِ، يُقَالُ: زَكَا الزَّرْعُ يَزْكُو: إِذَا حَصَلَ مِنْهُ نَمُوٌّ وَبَرَكَةٌ. وَقَوْلُهُ: ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا﴾ إِشَارَةٌ إِلَى حَلَالٍ لَا يَسْتَوْحَمُ عَقْبَاهُ. وَمِنْهُ الزَّكَاةُ بِجَرِّهَا الْإِنْسَانَ إِلَى الْفُقَرَاءِ لِمَا فِيهَا مِنْ رَجَاءِ الْبَرَكَةِ، أَوْ لِتَرْكِيَةِ النَّفْسِ، أَي: تَنْمِيَّتِهَا بِالْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ، أَوْ هُنَّ جَمِيعًا، فَإِنَّ الْخَيْرَيْنِ مَوْجُودَانِ فِيهَا<sup>(٢)</sup>.

قوله: (والنبيقة). الأساس: تتوق في الأمر، وفلان له نبيقة، ومن المجاز: تأنق في عمله، وفي كلامه: أي: فعل فعل المتأنق.

قوله: ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ من باب قولهم: لا أزيئك هاهنا، ولهذا قال: ﴿وَلَا يَفْعَلَنَّ مَا يُؤَدِّي مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ مِنْهُ إِلَى الشُّعُورِ﴾.

(١) أخرجه ابن أبي شيبَةَ في «المصنف» (١٥٦٨٦).

(٢) «مفردات القرآن»، ص ٣٨٠.

أَحَبَّتِ الْقِتْلَةَ، وَهِيَ الرَّجْمُ، وَكَانَتْ عَادَتَهُمْ، ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ﴾ أَوْ يُدْخِلُوكُمْ ﴿فِي مَلَّتِهِمْ﴾ بِالْإِكْرَاهِ الْعَنِيفِ وَيُصَيِّرُوكُمْ إِلَيْهَا. وَالْعَوْدُ فِي مَعْنَى الصَّرِيرَةِ أَكْثَرُ شَيْءٍ فِي كَلَامِهِمْ، يَقُولُونَ: مَا عُدْتُ أَفْعَلُ كَذَا، يُرِيدُونَ ابْتِدَاءَ الْفِعْلِ، ﴿وَلَنْ تَقْلِحُوا إِذَا أَبَدًا﴾ إِذْ دَخَلْتُمْ فِي دِينِهِمْ.

[﴿وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنْتَ وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ ٢١]

﴿وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ وَكَمَا أَنْمَنَاهُمْ وَبَعَثْنَاهُمْ، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِكْمَةِ أَطَّلَعْنَا عَلَيْهِمْ، لِيَعْلَمَ الَّذِينَ أَطَّلَعْنَاهُمْ عَلَىٰ حَالِهِمْ. ﴿أَنْتَ وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا﴾ وَهُوَ الْبَعْثُ؛ لِأَنَّ حَالَهُمْ فِي تَوَمَّتِهِمْ وَانْتِبَاهَتِهِمْ بَعْدَهَا كَحَالِ مَنْ يَمُوتُ ثُمَّ يُبْعَثُ. ﴿وَإِذْ يَتَنَزَّعُونَ﴾ مُتَعَلِّقٌ بـ ﴿أَعْتَرْنَا﴾. أَي: أَعْتَرْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ حِينَ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَ دِينِهِمْ وَيَخْتَلِفُونَ فِي حَقِيقَةِ الْبَعْثِ، فَكَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ: تُبْعَثُ الْأَرْوَاحُ دُونَ الْأَجْسَادِ. وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: تُبْعَثُ الْأَجْسَادُ مَعَ الْأَرْوَاحِ، لِيَرْتَفَعَ الْخِلَافُ، وَلِيَتَبَيَّنَ أَنَّ الْأَجْسَادَ تُبْعَثُ حَيَّةً حَسَّاسَةً فِيهَا أَرْوَاحُهَا كَمَا كَانَتْ قَبْلَ الْمَوْتِ، ﴿فَقَالُوا﴾ حِينَ تَوَقَّى اللَّهُ أَصْحَابَ الْكَهْفِ، ﴿ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا﴾ أَي: عَلَىٰ بَابِ كَهْفِهِمْ؛ لِثَلَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِمُ النَّاسُ صَنًّا بِتُرْبَتِهِمْ وَمُحَافَظَةً عَلَيْهَا كَمَا حَفِظَتْ تَرَبَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْحَظِيرَةِ، ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ﴾ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمَلَكَهُمْ وَكَانُوا أَوْلَىٰ بِهِمْ وَبِالْبِنَاءِ عَلَيْهِمْ، ﴿لَنَتَّخِذَنَّ﴾ عَلَىٰ بَابِ الْكَهْفِ،

قوله: (وَمَا أَنْمَنَاهُمْ وَبَعَثْنَاهُمْ... أَطَّلَعْنَا عَلَيْهِمْ)، يعني: المشار إليه بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ مَا سَبَقَ مِنَ الْإِنْمَانَةِ وَالْبَعْثِ، وَهُوَ الْمَشَبَّهُ بِهِ، وَالْمُشَبَّهِ: إِطْلَاعُ النَّاسِ عَلَيْهَا، وَوَجْهَ التَّشْبِيهِ: مَا اشْتَمَلَا عَلَيْهِ مِنَ الْحِكْمَةِ، وَفَائِدَتُهَا: حُصُولُ الْيَقِينِ لِمَنْ يَشْكُ فِي الْبَعْثِ وَفِي ﴿أَنْتَ وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا﴾.

قوله: (وَكَانُوا أَوْلَىٰ بِهِمْ وَبِالْبِنَاءِ عَلَيْهِمْ)، هُوَ: حَالٌ مِنْ فَاعِلٍ ﴿غَلَبُوا﴾؛ لِأَنَّ الْقَوْمَ لَمَّا



﴿مَسْجِدًا﴾ يُصَلِّي فِيهِ الْمُسْلِمُونَ وَيَتَبَرَّكُونَ بِمَكَانِهِمْ. وقيل: ﴿إِذْ يَنْتَزِعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾، أي: يتذكروا الناس بينهم أمر أصحاب الكهف، ويتكلمون في قصصهم وما أظهر الله من الآية فيهم. أو يتنازعون بينهم تدبير أمرهم حين توفؤا، كيف يخفون مكائهم؟ وكيف يسدون الطريق إليهم، فقالوا: ابنوا على باب كهفهم بنيانا. روي: أن أهل الإنجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الأصنام وأكروهوا على عبادتها، ومن شدد في ذلك دقيانوس، فأراد فتيمة من أشراف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل، فأبوا إلا الثبات على الإيمان والتصلب فيه، ثم هربوا إلى الكهف ومروا بكلب فتبعهم فطرده، فأنطقه الله فقال: ما تريدون مني، أنا أحب أحبَاء الله،

تنازعوا في أمر دينهم، وعرفوا حقيقة الحال، فمن غالب صاحبه في النزاع، وأن البعث لا بد منه، هو أولى من الآخر في اتخاذ المسجد، وإثارة مكان أصحاب الكهف لتعبده.

الأساس: تغالبوا على البلد، وغلبته على الشيء: أخذته منه، و«أغلب أحدكم أن يصاحب الناس معروفا؟» بمعنى: أيعجز.

قوله: (وقيل: ﴿إِذْ يَنْتَزِعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾)، اعلم أن الأمر في قوله تعالى: ﴿إِذْ يَنْتَزِعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ هو الأمر من واحد الأمور والشؤون، ثم لا يخلو الضمير المضاف إليه: إما أن يكون للقوم فيقدر مضاف آخر؛ ليكون الحديث في تدبير أمر دينهم، وهو المراد من قوله: ﴿يَنْتَزِعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ (١) دينهم، فالفاء في قوله: ﴿فَقَالُوا﴾: فصيحة (٢)، فإن القوم لما فرغوا من أمر حقيقة البعث، وتيقنوا أن لا بد منه، فأمنوا، ثم اهتموا بشأن أولئك الأصحاب، وتشاؤروا فيه فقالوا: ﴿أَبْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتَنَا﴾ كما سبق.

أو الضمير لأصحاب الكهف، فالكلام حينئذ من ابتدائه في شأنهم، وهو: إما في كون

(١) في (ح): «أمرهم».

(٢) وهي العاطفة على جواب محذوف.

فناموا وأنا أحرُسُكم. وقيل: مروا براح معه كلبٌ فتبعَهُم على دينهم، ودخلوا الكَهْفَ فكانوا يعبدون الله فيه، ثُمَّ صَرَبَ اللهُ على آذانهم، وقبل أن يبعثَهُم اللهُ مَلَكٌ مدينتَهُم رجُلٌ صالحٌ مؤمن. وقد اختلفَ أهلُ مملكته في البعثِ مُعترفين وجاحدين، فدخَلَ الملكُ بيته وأغلقَ بابَه وليسَ مسحًا وجلسَ على رماد، وسألَ رَبَّهُ أن يُبينَ لهم الحقَّ، فألقى اللهُ في نفسِ رَجُلٍ من رُعيانِهِم، فهَدَمَ ما سُدَّ به فمُ الكهفِ لِيَتَّخِذَهُ حَظِيرَةً لِعَنَمِهِ، ولما دخلَ المدينةَ من بَعثُوهُ لابتِباعِ الطعامِ وأخرجَ الوَرِقَ وكانَ من صُرْبِ دِقْيَانوسَ اتممُوهُ بأنه وجدَ كنزًا، فذهبوا به إلى الملكِ فَقصَّ عليه القِصَّةَ، فانطلقَ الملكُ وأهلُ المدينةَ معه وأبصروهم، وحمدوا الله على الآيَةِ الدالَّةِ على البعثِ، ثمَّ قالتِ الفتيةُ للملكِ: نَسْتَدْعُكَ اللهُ ونُعيدُكَ به من شرِّ الجنِّ والإنسِ، ثمَّ رجعوا إلى مَضاجِعِهِم وتَوَقَّى اللهُ أَنفُسَهُم، فألقى الملكُ عليهم ثيابه، وأمرَ فجعِلَ لكلِّ واحدٍ تابوتٌ من ذهبٍ، فرآهم في المنامِ كارِهينَ للذهبِ، فجعلَها من السَّاجِ، وبنى على بابِ الكهفِ مسجدًا، ﴿رَبِّهِمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ من كلامِ المتنازِعِينَ، كأثمهم تذاكروا أمرهم وتناقلوا الكلامَ في أنسابهم وأحوالهم ومدةِ لبثهم، فلما لم يهتدوا إلى حقيقةِ ذلكَ قالوا: ربُّهم أعلمُ بهم، أو هوَ من كلامِ الله عزَّ وجلَّ؛ ردُّ لِقولِ الخائِضِينَ في حديثهم من أولئك المتنازِعِينَ، أو من الذين تنازَعوا فيهم على عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ من أهلِ الكتابِ.

[﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [٢٢]

ذلك آيةٌ من آياتِ الله، فمعنى الفاء: ما سبق، أو: كيف يدبُّروا أمرَ الأصحابِ، وكيف تجهِزُهُم؟ فالفاءُ حينئذٍ: تعقيبٌ أو تسيبٌ<sup>(١)</sup> عن قوله: ﴿إِذْ يَنْتَظِرُونَ﴾؛ لأنَّ قوله: ﴿فَقَالُوا﴾ نتيجةٌ لما دبُّروا في شأنهم واتَّفَقَ سِ ذلكَ بعدَ الاختلافِ فيه.

قوله: (فناموا): أمرٌ بالنوم.

(١) في (ط): «تعقيبٌ وتسيبٌ».

﴿ سَيَقُولُونَ ﴾ الضمير لمن خاص في قصتهم في زمن رسول الله ﷺ من أهل الكتاب والمؤمنين، سألوا رسول الله ﷺ عنهم، فأخرا الجواب إلى أن يوحى إليه فيهم، فنزلت إخبارا بما سيجري بينهم من اختلافهم في عددهم، وأن المصيب منهم من يقول: سبعة وثامنهم كلبهم. قال ابن عباس رضي الله عنه: أنا من أولئك القليل. وروي أن السيد والعاقب وأصحابهما من أهل نجران كانوا عند النبي ﷺ، فجرى ذكر أصحاب الكهف، فقال السيد وكان يعقوبياً: كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم، وقال العاقب وكان نسطورياً: كانوا خمسة سادسهم كلبهم، وقال المسلمون: كانوا سبعة وثامنهم كلبهم، فحقق الله قول المسلمين. وإنما عرفوا ذلك بإخبار رسول الله ﷺ عن لسان جبريل عليه السلام. وعن علي رضي الله عنه: هم سبعة نفر أسماؤهم: يملخا، ومكشلينيا، ومشلينيا: هؤلاء أصحاب يمين الملك، وكان عن يساره: مرنوش، ودبرنوش، وشادنوش. وكان يستشير هؤلاء الستة في أمره، والسابع: الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس. واسم مدينتهم: أفسوس. واسم كلبهم: قطمير.

فإن قلت: لم جاء بسين الاستقبال في الأول دون الآخرين؟ قلت: فيه وجهان: أن تدخل الآخرين في حكم السين، كما تقول: قد أكرم وأنعم، تريد معنى التوقع في الفعلين جميعاً، وأن تريد بـ «يفعل» معنى الاستقبال الذي هو صالح له، ﴿ رَجَمًا ﴾

قوله: (أن تدخل الآخرين في حكم السين)، قال صاحب «الفرائد»: الواو لما كان مطلق الجمع، كان ﴿ سَيَقُولُونَ ﴾ و﴿ يَقُولُونَ ﴾ في حكم: ستحصل الأقوال منهم، ألا ترى أنك تقول: جاءني الزيدان، وجاءني زيد وعمرو، ولا فرق في المعنى؟ إلا أن زيدا وعمراً لا يمكن جمعها بلفظ واحد، كما أمكن زيد وعمرو. فجيء بواو العطف لذلك، فعلى هذا لو قيل: ﴿ سَيَقُولُونَ ﴾ بعد ﴿ سَيَقُولُونَ ﴾ كان تكراراً لما يدل على الاستقبال.

قوله: (وأن تريد بـ «يفعل» معنى الاستقبال) أي: يفعل: مشترك بين الحاضر

بِالْغَيْبِ ﴿ رَمِيًا بِالْخَيْرِ الْخَفِيِّ وَإِتْيَانًا بِهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَيَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [سبأ: ٥٣]،  
 أَي: يَأْتُونَ بِهِ، أَوْ وُضِعَ «الرَّجْمُ» مَوْضِعَ «الظَّنِّ»، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: ظَنًّا بِالْغَيْبِ؛ لِأَنَّهُمْ أَكْثَرُوا  
 وَالِاسْتِقْبَالَ، وَالسَّيْنُ قَرِينَةٌ مُحْصَصَةٌ لَهُ، تُحْصَصُ الْأَوَّلَ بِهِ، وَالْآخِرَانِ مُحْصَصَتُهُمَا صَلَاحِيَّتُهُمَا  
 لَهُ بِوَأَسْطَةِ قَرِينَةِ الْمَقَامِ.

قَوْلُهُ: (كَقَوْلِهِ: ﴿وَيَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [سبأ: ٥٣])، أَي: هُوَ اسْتِعَارَةٌ مِثْلُهُ. قَالَ صَاحِبُ  
 «الْفَرَائِدِ»: مَعْنَى ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ رَمَى بِالْغَائِبِ عَنْ عِلْمِهِ عَنِ الدَّهْنِ، وَهُوَ مِنْ قَبِيلِ تَشْبِيهِ  
 الْمَعْقُولِ بِالْمَحْسُوسِ، شَبَّهَ إِخْرَاجَ الْكَلَامِ عَنِ الدَّهْنِ بِإِخْرَاجِ السَّهْمِ عَنِ الْقَوْسِ، وَيُدَلُّ عَلَيْهِ  
 قَوْلُهُ: رَجَمَ بِالظَّنِّ، مَكَانَ قَوْلِهِمْ: ظَنَّ، وَالْمَرَادُ بِالظَّنِّ هَاهُنَا الْمَظْنُونُ، كَأْتَمَهُمْ قَالُوا: رَمَى عَنِ  
 ذَهَبِهِ بِمَا كَانَ غَائِبًا عَنْ عِلْمِهِ حَاضِرًا فِي ذَهَبِهِ، تَكَلَّمَ بِمَا لَيْسَ بِمَعْلُومٍ.

وَقُلْتُ: بَلْ شَبَّهَ إِيرَادَ الْكَلَامِ - الَّذِي لَمْ يُخْرَجْ عَنْ طُمَأْنِينَةِ قَلْبِ، بَلْ عَنِ قَلْقٍ وَاضْطِرَابٍ؛  
 لِأَنَّ مَعْرِفَةَ عِلْمِ الْغَيْبِ مَخْتَصَّةٌ بِاللَّهِ - بِقَذْفِ الْحَجَرِ الَّذِي يَقْدِفُهُ الْقَازِفُ، فَإِنَّ الْحَجَرَ قَلَمًا  
 يُصِيبُ الْغَرَضَ إِصَابَةَ السَّهْمِ الْمُسْتَوِيِّ، وَلِهَذَا قِيلَ: ﴿رَجْمًا﴾، وَلَمْ يُقَلَّ: رَمِيًا بِالْغَيْبِ، ثُمَّ  
 اسْتَعِيرَ لِحَاظِ الْمَشَبِّهِ لَفْظُ الرَّجْمِ، فَهُوَ اسْتِعَارَةٌ مَصْرُوحَةٌ بِحَقِيقَتِهِ؛ لِأَنَّ الْمَشَبَّهَ الْمَتْرُوكَ عَقْلِيًّا،  
 وَإِنَّمَا يَصْحُحُ تَشْبِيهُ قَوْلِهِ: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ بِقَوْلِهِ: ﴿وَيَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ﴾ إِذَا اجْتَمَعَا فِي مَعْنَى  
 الْقَذْفِ لَا الرَّمِيِّ.

الرَّاعِبُ: الرَّجَامُ: الْحِجَارَةُ، وَالرَّجْمُ: الرَّمِيُّ بِهَا، وَيُسْتَعَارُ الرَّجْمُ لِلرَّمِيِّ بِالظَّنِّ  
 وَالتَّوَهُّمِ، نَحْوُ: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾، وَلِلشَّيْءِ وَالطَّرْدِ، نَحْوُ: ﴿لَارْجَمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا﴾  
 [مريم: ٤٦]، أَي: لَا قَوْلَنَّ فِيكَ مَا تَكْرَهُ، وَالشَّيْطَانُ رَجِيمٌ، مَطْرُودٌ عَنِ الْحَيَاتِ، وَعَنْ مَنَازِلِ  
 الْمَلَأِ الْأَعْلَى، وَقَالَ فِي الشُّهُبِ<sup>(١)</sup>: ﴿رُجُومًا لِلشَّيْطَانِ﴾ [الملك: ٥]، وَالْمَرَاجِمَةُ: الْمَسَابَةُ الشَّدِيدَةُ؛  
 اسْتِعَارَةٌ، كَالْمُقَادِفَةِ<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ: (أَوْ وُضِعَ «الرَّجْمُ» مَوْضِعَ «الظَّنِّ»)، أَي: صُوِّرَ حَقِيقَةٌ عُرْفِيَّةٌ بَعْدَ الْاسْتِعَارَةِ،  
 فَاسْتُعْمِلَ حَقِيقَةٌ فِيهِ، كَالْأَلْفَازِ الْمُرَادِفَةِ.

(١) فِي الْأَصُولِ الْخَطِيئَةِ: «الشَّهَابُ»، وَصَوَّبْنَاهُ مِنْ «مَفْرَدَاتِ الْقُرْآنِ».

(٢) «مَفْرَدَاتِ الْقُرْآنِ»، ص ٣٤٥-٣٤٦.

أن يقولوا: رَجِمُ بِالظَّنِّ، مكانَ قولهم: ظنّ، حتّى لم يبقَ عندهم فَرْقٌ بين العبارَتَيْنِ، ألا ترى إلى قولِ زُهَيْرٍ:

وما هوَ عنها بالحديثِ المرَّجَمِ

أي المَظنون. وقُرى: (ثلاثٌ رابعهم) بإدغامِ التاءِ في تاءِ التانيثِ. و﴿ثَلَاثَةٌ﴾ خبرٌ مبتدأٌ محذوف، أي: هم ثلاثة. وكذلك ﴿خَمْسَةٌ﴾ و﴿سَبْعَةٌ﴾ و﴿رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ جملةٌ من مُبتدأٍ وخبرٍ واقعةٌ صِفَةٌ لـ﴿ثَلَاثَةٌ﴾، وكذلك ﴿سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾، و﴿ثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾.

فإن قلت: فما هذه الواوُ الداخلةُ على الجملةِ الثالثة، ولمَ دخلتَ عليها دون الأوّلين؟ قلت: هي الواوُ التي تدخلُ على الجملةِ الواقعةِ صِفَةً للنكرة، كما تدخلُ

قوله: (وما هوَ عنها بالحديثِ المرَّجَمِ)<sup>(١)</sup>، صدره من رواية الزجاج:

وما الحزبُ إلّا ما عَلِمْتُمْ ودُقْتُمْ<sup>(٢)</sup>

يقول: ليستِ الحزبُ إلّا ما عَلِمْتُمُها<sup>(٣)</sup>، وما هذا الذي أقولُ بحديثِ مرَّجَمٍ محكوم عليه بِالظَّنِّ.

قوله: (هي الواوُ التي تدخلُ على الجملةِ الواقعةِ صِفَةً للنكرة) إلى آخره. قال صاحبُ «الانتصاف»: هذا هو الصوابُ<sup>(٤)</sup>، لا كمن يزعمُ أنها واوُ الثمانية، ويضيفُ إليها: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] في الجنة؛ إذ أبوابها ثمانية، وعدوا منه ﴿وَالنَّكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ١١٢] في «التوبة»، وهو الثامنُ من قوله: ﴿التَّائِبُونَ﴾، فهَبْ أَنْ في اللغةِ واوُ

(١) لزهير في «ديوانه» بشرح الشنتمري، ص ١٨.

(٢) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» (٣: ٢٧٧).

(٣) في (ح): «جربتموها»، وفي (ط): «عهدتموها».

(٤) في (ح): «الجواب»، وكلاهما صحيح.

على الواقعة حالاً عن المعرفة في نحو قولك: جاءني رجلٌ ومعه آخر. ومَرَزْتُ بزيدٍ

تصحَبُ الثمانية، فأين ذُكِرَ العَدَدُ في أبوابِ الجَنَّةِ؟ وفي «التوبة» ذُكِرَتْ لِرَبْطِ الأَمْرِ بالمعروفِ بالنهي عن المُنْكَرِ ﴿وَأْمُرًا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [لقمان: ١٧]، ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، ومنهم مَنْ عَدَّ ﴿قِيَّيْنَتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحریم: ٥]، وهو غَلَطٌ فاجِحٌ، فإنَّها أوُ التَّقْسِيمِ<sup>(١)</sup> التي لو حَذَفْتَهَا لم يَصِحَّ الكلامُ<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو البقاء: الجملةُ إذا وَقَعَتْ صفةً للنكرة جازَ أن تَدْخُلَهَا الواوُ، وهذا هو الصَّحِيحُ في إدخالِ الواوِ في ﴿وَأَمَّتُهُمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال صاحبُ «الفرائد»: دخولُ الواوِ بينَ الصِّفَةِ والموصوفِ غيرُ مستقيم، لِاتِّحَادِ الصِّفَةِ والموصوفِ ذاتًا وحُكْمًا، وتأكيدًا لِلصُّوقِ يَقْتَضِي الاثْنَيْنِ، مع أَنَا نَقُولُ: لا نُسَلِّمُ بِأَنَّ الواوُ تُفِيدُ التَّأَكِيدَ وَشِدَّةَ اللُّصُوقِ؛ غَايَةُ ما في البَابِ أَنَّهَا تَفِيدُ الجَمْعَ، والجَمْعُ يُنْبِئُ<sup>(٤)</sup> عن الاثْنَيْنِ، واجتماعُ الصِّفَةِ والموصوفِ يُنْبِئُ عن الاتِّحَادِ بالنظَرِ إلى الذَّاتِ، وقد ذَكَرَ صاحبُ «المفتاح»: أن قولَ مَنْ قال: إِنَّ الواوُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرِيْبَةٍ إِلَّا وَهَلَا كُنَّا بِمَعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٤] داخِلَةٌ بَيْنَ الصِّفَةِ والموصوفِ، سَهُوٌّ مِنْهُ، وإِنَّا هِيَ واوُ الحالِ، وذو الحالِ ﴿قَرِيْبَةٍ﴾، وهِيَ موصوفةٌ، أي: ما أَهْلَكْنَا قَرِيْبَةً مِنَ القُرَى<sup>(٥)</sup>.

وأما قولُهُ: «جاءني رجلٌ ومعه آخرُ»، فقلتُ: فيه وجهان: أحدهما: أن يكونَ «جاءني رجلٌ»: جملةٌ، و«معه آخرُ»: جملةٌ أخرى معطوفةٌ عليها. وثانيهما: أن يكونَ «آخرُ»: معطوفًا على «رجُلٌ»، أي: جاءني رجلٌ ومعه رجلٌ آخرُ<sup>(٦)</sup>.

(١) وهي الواو التي تقع بين صفتين هما تقسيمٌ لِمَنْ اشتملَ على جميع الصفات السابقة فلا يصح إسقاطها نحو قولهِ تعالى: ﴿قِيَّيْنَتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحریم: ٥] بعد قولهِ ﴿مُسَلِّمَتٍ مُّؤْمِنَتٍ﴾ إذ لا تجتمع الثبوتُ والبكارة، فلا بُدَّ مِنْ تَوْسُطِ الواوِ بينهما. انتهى من «مغني اللبيب» لابن هشام (٢: ٣٦٤).

(٢) «الانتصاف بحاشية الكشف» (٢: ٧١٣).

(٣) «البيان في إعراب القرآن» (٢: ٨٤٣).

(٤) سقط لفظ «يُنْبِئُ» من (ح).

(٥) «مفتاح العلوم»، ص ١٠٩.

(٦) في (ح): «ومعه آخرُ معه».

وفي يده سيف، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ [الحجر: ٤]، وفائدتها تأكيدُ لصوقِ الصفةِ بالموصوف، والدلالةُ على أن اتصافه بها أمرٌ ثابتٌ مُستَقَرٌّ، وهذه الواوُ هي التي آذنتُ بأنَّ الذينَ قالوا: سبعةٌ وثامنهم كلبهم، قالوه عن ثباتِ علمٍ وطمأنينةِ نفسٍ ولم يربحوا بالظنِّ كما غيرهم، والدليلُ عليه: أن الله سبحانه أتبعَ القولينِ الأوَّلينِ قوله: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ وأتبعَ القولَ الثالثَ قوله: ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ وقال ابنُ عباسٍ رضي اللهُ عنه: .....

فإن قيل: فالوجهُ أن يُقالَ: جاءني رجلانِ، في مثلِ هذا؟

قلتُ: فائدته أن يفهمَ أنَّها جاءا مُصاحِبَيْنِ. وأما الواوُ في مثلِ «مررتُ بزيدٍ وفي يده سيفٌ»، فإنها جازَ دخولها بينَ ذي الحالِ والحالِ لكونِ الحالِ في حُكمِ مُجْمَلَةٍ، بخلافِ الصِّفَةِ بالنسبةِ إلى الموصوف، فإن: «جاء زيدٌ راجبًا» في حُكمِ «جاءني زيدٌ وهو راجبٌ» بخلاف: «جاءني زيدٌ الراجبُ»، فافهمه<sup>(١)</sup> راشدًا. سلَّمنا أنها داخلةٌ بينَ الصِّفَةِ والموصوفِ لتأكيدِ اللُّصوقِ. فأما الدلالةُ على أن اتصافه بها أمرٌ ثابتٌ مُستَقَرٌّ، فغيرُ مُسَلَّمٍ، فأينَ الدليلُ على ذلك؟ وقوله: «وهذه الواوُ هي التي آذنتُ بأنَّ الذينَ قالوا: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ قالوه عن ثباتِ علمٍ وطمأنينةِ نفسٍ» في غايةِ البعدِ.

قوله: (والدليلُ عليه أن الله سبحانه وتعالى) إلى آخره؛ إن كان المرادُ به أنه دالٌّ على إيدانِ الواوِ على ما ذُكِرَ، فامتناعُ ذلك ظاهرٌ. فإن كان المرادُ به أنه دالٌّ على صِدْقِ مَنْ قال: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ فحاصلهُ ظنُّ ضعيفٍ بحسبِ أن ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ لم يؤخَّرَ إلى أن قيل<sup>(٢)</sup>: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾، وأما قوله: ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ فهو غيرُ دالٍّ على ذلك البتَّة. وأما قولُ ابنِ عباسٍ رضي اللهُ عنه، فهو غيرُ دالٍّ على أنه أرادَ ما ذُكِرَ، بل الظاهرُ أنه عَلِمَ ذلكَ من رسولِ الله ﷺ.

(١) في (ح): «فافقه»، من الفقه، وهو جيّدٌ مُتَّجِهٌ.

(٢) من قوله: «فحاصله ظن ضعيف» إلى هنا سقط من (ط).

حِينَ وَقَعَتِ الْوَائِ انْقَطَعَتِ الْعِدَّةُ، أَي: لم يَبْقَ بعدها عِدَّةٌ عَادًا يُلتَفَتُ إليها.

وقوله: «حِينَ وَقَعَتِ الْوَائِ انْقَطَعَتِ الْعِدَّةُ»، الظاهر أن مراده منه أن الذي هو صدق، هو الذي وَقَعَتِ الْوَائِ فيه وانقَطَعَتِ الْعِدَّةُ به.

فظَهَرَ مِنْ هَذَا أَنَّ الْوَائِ فِي «وَتَأْمِنُهُمْ كِتَابُهُمْ»: وَائِ الْعَطْفِ، وَهِيَ جُمْلَةٌ مَعطُوفَةٌ عَلَى الْجُمْلَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ.

قلت - وبالله التوفيق -: واعلم أننا قبل الشروع في الجواب لا بد أن نبيّن المقصودَ تحريراً للبحث، فالواو هاهنا ليست على الحقيقة، ولا يُعتَبَرُ في المجازِ النَّقْلُ في الأحاد كما في الحقيقة، بل المُعْتَبَرُ فيه اعتبارُ نوعِ العلاقة، وأنَّ المِجَازَ في عُرْفِ البلاغةِ أُولَى بالدُّكْرِ من الحقيقة، وأبلغُ منها وأحسنُ لتزيينِ الكلامِ والمبالغةِ فيه، ألا ترى إلى قولِ المصنّفِ بُعِيدَ هذا: «لأنَّ ما كانَ فيه مِن آفةِ الجهلِ وسُقمِ الفهمِ أراهُ أعلى الكلامِ طبقةً أدناه منزلةً»، فتمحّل ليرُدّه إلى ما هو عنده أصحُّ وأفصح - وعنده أن ما كان أبعدَ من المِجَازِ كانَ أدخَلَ في الإعجاز، إلى آخره - وإلى كلامِ صاحبِ<sup>(١)</sup> «المثل السائر»: اعلم أن أقسامَ النَّحوِ أخذتَ عن واضعِها بالتقليد، حتّى لو عكسَ القضيةَ فيها لجاز؛ لأنَّ العقلَ لا يأتي أن لو جعلَ الفاعلَ منصوبًا والمفعولَ مرفوعًا، وأما قسمُ البيانِ فليس كذلك؛ لأنَّهُ استنبطَ بالنظرِ وقضيةَ العقلِ من غيرِ واضع، ولم يُفتقرَ فيه إلى التوقيفِ<sup>(٢)</sup>، بل أخذتَ ألفاظُ ومعاني، على هيئةِ مخصوصةٍ وحكمَ لها العقلُ بمزِيّةٍ من الجُسنِ<sup>(٣)</sup> لا يُشاركُها فيها غيرها، فإنَّ كلَّ عارفٍ بأسرارِ الكلامِ أيّ لغةٍ كانت، يَعْلَمُ أنَّ إخراجَ المعاني في ألفاظِ جامعةٍ رائقةٍ حسنةٍ يلدّها<sup>(٤)</sup> السَّمعُ ولا يَنبُو عنها الطَّبَعُ خيراً من عكسِهِ، ولو أرادَ واضعُ اللّغةِ خلافَ ذلكَ لَمَّا تَقَلَّدناه<sup>(٥)</sup>.

(١) قوله: «صاحب» زيادة من (ف).

(٢) في النسخ الخطية: «التوقف»، والجادة ما أثبتناه.

(٣) قوله: «من الحسن» سقط من (ج).

(٤) من قوله: «إلى التوفيق بل أخذت ألفاظ ومعاني» إلى هنا سقط من (ط).

(٥) انظر: «المثل السائر» لابن الأثير (١: ٨٥).



وقال أيضًا: اعلم أن مدار علم البيان على حكم الذوق السليم الذي هو أنفع من ذوق التعليم. مضى كلامه<sup>(١)</sup>.

ثم إن المجاز كما يقع في الأسماء والأفعال، قد يقع في الحروف، ألا ترى إلى الاستعارة التَّبعية، فإن نوعًا منها الكلام في الحروف، ونقل شارح «اللُّباب» عن سيبويه أن الواو في قولهم: بعثُ الشاءَ شاةً ودرهماً، بمعنى: الباء، أي: بدرهم، وتحقيقه: أن الواو للجمع والاشتراك، والباء للإلصاق، والجمع والإلصاق من وإد واحد، فسلك به طريق الاستعارة. وذكر المصنّف في أوّل سورة الأعراف: أن واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل<sup>(٢)</sup>، ولا شك أن واو العطف تقتضي المغايرة وتتضمن معنى الجمعيّة، فإذا أريد منها معنى الجمعيّة دون المغايرة كان من باب إطلاق اسم الكلّ على الجزء، ونحوه في الاستعمال الاستفهام في قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦٦]، فإن الهمزة هنا مسلوبُ الدلالة عن الاستفهاميّة لمجرد الاستواء والنداء في قولهم: إن نفعل كذا أيّها العصابة، لمجرد الاختصاص. وذكر المصنّف في «مريم» عند قوله تعالى: ﴿لَسَوْفَ أَخْرِجُ حَيًّا﴾ [مريم: ٦٦] أن اللام هنا لام ابتداء أُخْلِصَتْ للتوكيد<sup>(٣)</sup>، ووافقهُ ابنُ الحاجب في سورة ﴿وَالصَّحَى﴾ فيه<sup>(٤)</sup>، وفي الأمثلة كثرة.

إذا علم هذا فقولهُ: «فانديتها: توكيدٌ لُصوقِ الصِّفةِ بالموصوف»، معناه: أن للصِّفةِ نوعَ اتِّصالٍ بالموصوف، فإذا أريد توكيدُ اللُصوقِ وسَطَ بينهما بهذه الواو ليؤدّن أن هذه الصِّفة غيرُ منفكّةٍ عن الموصوف، لازمةٌ له<sup>(٥)</sup> غيرُ مُفارقة، وإليه الإشارة بقوله: إن اتّصافها أمرٌ ثابتٌ مُستقرٌّ، وليعلم أيضًا أن الحال في الحقيقة صفةٌ لا فَرْقٌ إلّا في الاعتبار، ألا ترى أن

(١) «المثل السائر» (١: ٢٥).

(٢) انظر: (٦: ٣٢٢).

(٣) انظر: (١٠: ٦٤-٦٥).

(٤) انظر: «أمالي ابن الحاجب» (١: ٢٧٧-٢٧٨).

(٥) سقط لفظ «له» من (ف).

الصِّفَةِ الواقعةَ عن النكرة إذا تقدّمت عليها وهي بعينها تصويرٌ حالًا، ولو لم يكونا مُتحدّينِ معنى لم يصحَّ ذلك؟ ثمَّ قولك: «جاءني رجلٌ ومعه آخرٌ»، وقولك: «مررتُ بزَيْدٍ ومعه آخرٌ» لما كانا سواءً في الصُّورة - اللهمَّ إلا في اعتبارِ المعرفةِ والنكرة - كان حكمُهما سواءً في الواو. وذَكَرَ نحوه أبو البقاء<sup>(١)</sup> في إعراب<sup>(٢)</sup> قوله: ﴿عَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]، هذا مرادُ المصنّفِ من إيرادِ المثالينِ، لا ما فهمَ بعضهم.

وأما قولُ صاحبِ «الفرائد»: لا تُحدِّدِ الصِّفَةَ والموصوفِ ذاتًا وحكمًا فمبنيٌّ على أن الواو عاطفةٌ، وهي تقتضي المُغايرةَ كما قال صاحبُ «المفتاح»، وقدّمنا وَجْهَ مجازِهِ لمجرّدِ الرِّبْط. وأما قوله: «جاءني رجلٌ ومعه آخرٌ» وهي مُجملتان، فسيجيءُ جوابُهُ. وأما قوله: «فإنَّ: جاء زيدٌ ركبًا، في حكم: جاءني زيدٌ وهو ركبٌ» فمن المعكوس؛ فإنَّ الأصلَ في الحالِ الإفرادِ. قال ابنُ الحاجبِ في قوله: كلّمته فوه إلى في: إنَّها بمعنى مُشافهها<sup>(٣)</sup>. وقال: إنَّ الجُمْلَ تُستعملُ استعمالَ المفرداتِ ولا تُعكّس.

وأما قوله: «سلمنا أنّها داخلَةٌ بين الصِّفَةِ والموصوفِ للتأكيد، وأما الدلالةُ على أن اتّصافَهُ به أمرٌ ثابتٌ فغيرُ مسلمٍ»، فمما لا يقوله من به أدنى مُسكّة: كيف سلّم التأكيد ولم يُسلم فائدته؟ وأما الأسئلةُ الباقيةُ على كلامِ المصنّفِ فمراده أنّها أماراتٌ تدلُّ على ما ثبتَ وتقرّر.

وقال ابنُ الحاجبِ في «الأمالي»: يجوزُ أن يكونَ ﴿رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ جملةً ابتدائيةً صفةً لـ ﴿ثَلَاثَةٌ﴾، و﴿ثَلَاثَةٌ﴾ خبرٌ مبتدأٌ محذوف، ولا يجوزُ أن يكونَ ﴿كَلْبُهُمْ﴾ مرفوعًا بـ ﴿رَابِعُهُمْ﴾ لأنَّ المرادَ به المُضَيُّ، ولا أن تكونَ الجملةُ حالًا، إذ ليسَ معنا ما يصحُّ أن يكونَ عاملاً فيها؛ لأنَّ التقديرَ: سيقولون: هم ثلاثةٌ، وليسَ فيها أيضًا واوٌ، ويجوزُ أن يكونَ ﴿رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ جملةً خبرًا للمبتدأِ المحذوفِ بعدَ خبرٍ، فيكونَ قد أخبرَ بخبرينِ: مفردٍ وجملةً.

(١) «التيبان في إعراب القرآن» (١: ١٧٣).

(٢) سقط لفظ «إعراب» من (ح).

(٣) انظر: «شرح الرضي على الكافية» (١: ٣٣٣).

وَيُقَوِّي هَذَا الْوَجْهَ أَنَّ الْجُمْلَةَ الثَّلَاثَةَ جَاءَتْ بِالْوَاوِ، وَالْمَعْنَى فِيهَا كَالْمَعْنَى فِيهَا تَقَدَّمَ، وَيَتَعَدَّرُ أَنْ تَكُونَ صِفَةً مَعَ الْوَاوِ، مَعَ أَنَّكَ لَا تَقُولُ: مَرَزْتُ بِرَجُلٍ وَعَاقِلٌ، فَتَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ خَبْرًا بَعْدَ خَبْرٍ، وَالْأَخْبَارُ إِذَا تَعَدَّدَتْ جَازَ أَنْ يَكُونَ الثَّانِي بَوَاوٍ وَبِغَيْرِ وَاوٍ.

هَذَا إِنْ سُلِّمَ أَنَّ الْمَعْنَى فِي الْجُمْلَةِ وَاحِدٌ. وَأَمَّا إِنْ قِيلَ: إِنَّ قَوْلَهُ ﴿وَتَأْمِنُهُمُ كَلِمَتُهُمْ﴾ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى، يَكُونُ اسْتِثْنَاءً لَا حِكَايَةَ عَنْهُمْ، بَأَنَّ ﴿تَأْمِنُهُمُ كَلِمَتُهُمْ﴾، فَيَفْهَمُ عَلَى ذَلِكَ بَأَنَّ الْقَائِلِينَ بِأَنَّهُمْ سَبْعَةٌ أَصَابُوا فِي ذَلِكَ، وَلَا يَلْزَمُ عَلَى هَذَا أَنْ يَكُونَ خَبْرًا بَعْدَ خَبْرٍ، وَيُقَوِّيهِ قَوْلُهُ قَبْلَ ذَلِكَ: ﴿رَجِمًا بِالْغَيْبِ﴾، ثُمَّ ذَكَرَ بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿رَجِمًا بِالْغَيْبِ﴾ الْجُمْلَةَ الثَّلَاثَةَ، فَذَلَّ عَلَى أَنَّهَا مَخَالِفَةٌ لِمَا قَبْلَهَا فِي الرَّجْمِ بِالْغَيْبِ، وَإِذَا خَالَفَتْهَا<sup>(١)</sup> فِي ذَلِكَ وَجَبَ أَنْ تَكُونَ صِدْقًا، إِلَّا أَنْ هَذَا الْوَجْهَ يَضْعُفُ مِنْ حَيْثُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾، فَلَوْ جَعَلْنَا قَوْلَهُ: ﴿وَتَأْمِنُهُمُ كَلِمَتُهُمْ﴾ تَصْدِيقًا لِمَنْ قَالَ: سَبْعَةٌ، لَوَجِبَ أَنْ يَكُونَ الْعَالِمُ بِهِ كَثِيرًا، فَإِنَّ أَخْبَارَ اللَّهِ صِدْقٌ، فَذَلَّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَصْدُقْ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ وَجَبَ أَنْ تَكُونَ الْجُمْلَةُ كُلُّهَا مَتَسَاوِيَةً فِي الْمَعْنَى، وَقَدْ تَعَدَّرَ أَنْ تَكُونَ الْأَخِيرَةُ وَضْفًا، فَوَجِبَ أَنْ يَكُونَ الْجَمِيعُ كَذَلِكَ. تَمَّ كَلَامُهُ<sup>(٢)</sup>.

وَقَدْ عَلِمَ مِنْ مَفْهُومِهِ أَنَّ الْوَاوِيَّ الْمَانِعَةَ مِنَ الْوَصْفِيَّةِ، وَدَاوُهُ دَاوَاهُمْ، فَالدَّوَاءُ الدَّوَاءُ. وَأَمَّا قَوْلُهُ: «وَجَبَ أَنْ تَكُونَ الْجُمْلَةُ كُلُّهَا مَتَسَاوِيَةً»، فَكَلَامٌ عَنْ مَقْتَضَى الْبَلَاغَةِ بِمَرَاحِلٍ؛ لِأَنَّ فِي كُلِّ اخْتِلَافٍ فَوَائِدَ، وَابْتِلَاجٌ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى تِلْكَ الْفَوَائِدِ لَا مَنْ يَرُدُّهُ إِلَى التَّطْوِيلِ وَالْحَشْوِ فِي الْكَلَامِ. وَأَيْضًا، لَا بَدَّ مِنْ قَوْلٍ صَادِقٍ بَيْنَ الْأَقْوَالِ الثَّلَاثَةِ لِيَنْطَبِقَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ مَعَ قَوْلِهِ: ﴿رَجِمًا بِالْغَيْبِ﴾؛ لِأَنَّهُ قَدْ ائْتِيَ بِهِ الْقَوْلَانِ الْأَوَّلَانِ، فَيَكُونُ الصَّادِقُ هَذَا، وَتَعْقِيْبُهُ بِهِ أَمَارَةٌ عَلَى صِدْقِهِ، وَعَلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ السَّائِلُ مَفْقُودٌ ذَلِكَ، وَمَعَ هَذَا أَيْنَ طَلَاوُةُ الْكَلَامِ؟ أَمْ أَيْنَ اللَّطْفُ وَالْمَرَامُ؟ وَهَاهُنَا نُكْتَةٌ لَا بَدَّ مِنْ إِظْهَارِهَا؛ وَذَلِكَ أَنَّ قِصَّةَ الْكَهْفِ لَامِحَةٌ إِلَى قِصَّةِ الْغَارِ، وَمُشَابِهَةٌ لَهَا مِنْ حَيْثُ اسْتِثْمَالُهَا عَلَى حُكْمِ بَدِيْعِ الشَّانِ<sup>(٣)</sup>.

(١) فِي النِّسْخِ الْخَطِيئَةِ: «خَالَفَهَا».

(٢) «أَمَالِي ابْنِ الْحَاجِبِ» (١: ٢٤٨-٢٤٩).

(٣) فِي (ف): «الْبَيَانُ»، وَهِيَ قِرَاءَةٌ مُحْتَمَلَةٌ.

رَوَيْنَا عَنِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: نَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ وَنَحْنُ فِي الْغَارِ وَهُمْ عَلَى رُؤُوسِنَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بَانْتِنِ اللَّهِ تَالِثُهُمَا؟»<sup>(١)</sup> يَعْنِي: لَسْنَا مِثْلَ كُلِّ اثْنَيْنِ اصْطَحَبَا، لِمَا خُصِّصَتْ بِشَرَفِ صُحْبَةِ حَبِيبِ اللَّهِ، وَالتَّجَاتَ بِسَبَبِهَا إِلَى حَرَمِ كَنْفِ اللَّهِ، كَمَا قَالَ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْرُجْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] فَالتَّرْبِيعُ وَالتَّسْدِيسُ فِي قِصَّةِ الْكَهْفِ نَاطِرَانِ إِلَى التَّثْلِيثِ فِي قِصَّةِ الْغَارِ، لَكِنْ نَظَرًا كَلًّا وَإِلَّا فَعَلَى هَذَا يَجِبُ أَنْ يُجْعَلَ ﴿رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ وَ﴿سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ تَابِعَيْنِ لِثَلَاثَةِ وَخَمْسَةِ، وَالصَّمَاثُرُ الْأَرْبَعَةُ فِيهَا رَاجِعَةٌ إِلَيْهَا لَا إِلَى الْمَبْتَدَأِ. وَمَنْ تَمَّ اسْتِغْنَى عَنْهُ بِالْحَذْفِ، وَإِلَّا كَانَ الظَّاهِرُ أَنْ يُقَالَ: هُمْ ثَلَاثَةٌ وَكَلْبٌ، فَلَمَّا أُرِيدَ اخْتِصَاصُهَا بِحُكْمِ بَدِيعِ الشَّانِ عَدَلَ إِلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ لِيُبَيِّنَ بِاللُّغَةِ الدَّلَالَ عَلَى التَّفْصِيلَةِ وَالتَّمْيِيزِ عَلَى أَنَّ أَوْلَثِكَ الْفَتِيَّةَ لَيْسُوا مِثْلَ كُلِّ ثَلَاثَةٍ أَوْ خَمْسَةٍ أَوْ سَبْعَةٍ اصْطَحَبُوا، وَمِنْ تَمَّ قَرَنَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ أَحْسَنَ الْحَيَوَانَ بِبَرَكَةِ صُحْبَتِهِمْ مَعَ زُمْرَةِ الْمُتَّبِعِينَ إِلَى اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَالْمَعْتَكِفِينَ فِي جَوَارِ اللَّهِ، فَقَالَ: ﴿كَلْبُهُمْ بَسِيطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ﴾ وَأَضَافَهُ إِلَيْهِمْ مُكْرَّرًا، وَاخْتَلَفَتْ آرَاءُ الْمُتَتِّينِ فِي التَّنْقِيرِ عَنْ قِصَّتِهِمْ وَالتَّفْتِيشِ عَنْ أَحْوَالِهِمْ. رَوَى السُّلَمِيُّ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْوَرَّاقِ أَنَّهُ قَالَ: مُجَالَسَةُ الصَّالِحِينَ وَمُجَاوَرَتُهُمْ تَوَثَّرُ فِي الْخَلْقِ، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا أَجْنَاسًا، أَلَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَيْفَ ذَكَرَ أَصْحَابَ الْكَهْفِ فَذَكَرَ كَلْبَهُمْ مَعَهُمْ لِمُجَاوَرَتِهِ إِيَّاهُمْ؟<sup>(٢)</sup>

وَإِذَا تَقَرَّرَ هَذَا فَالْوَاجِبُ أَنْ تُرَاعَى هَذِهِ النُّكْتَةُ فِي الْفَقَرَاتِ الثَّلَاثِ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى الزُّمْرَةِ الزَّائِدَةِ فِي الْأَخِيرَةِ لِاخْتِصَاصِهَا بِحَرْفِ<sup>(٣)</sup> زَائِدٍ، وَهِيَ مَا ذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُ جَزَاءَهُ اللَّهُ أَحْسَنَ الْجَزَاءِ عَلَى أَنْ تَأْوِيلَ صَدْرِ الْكَلَامِ وَالْعُدُولَ مِنَ الْوَصْفِ إِلَى الْخَيْرِ لِأَجْلِ عَجْزِهِ بِسَبَبِ الْوَاوِ، لَيْسَ أَوْلَى مِنَ الْعَكْسِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) أخرجه البخاري (٤٦٦٣)، ومسلم (٢٣٨١).

(٢) انظر: «حقائق التفسير» للسلمي (٤٠٦:١).

(٣) سقط لفظ «حرف» من (ف).

وثبت أنهم سبعة وثامنهم كلُّبهم على القطع والبتات. وقيل: إلا قليل من أهل الكتاب، والضمير في ﴿سَيَقُولُونَ﴾ على هذا لأهل الكتاب خاصة، أي: سيقول أهل

وأما قوله: ﴿وَتَأْمِنُهُمُ كَلْبُهُمْ﴾: استئناف، فقد ذهب إليه المفسرون، قال الزجاج: دخول الواو هاهنا وإخراجها من الأول واحد، وقد يجوز أن يكون دخولها على الدلالة على انقطاع القصة<sup>(١)</sup>، وهو من قول ابن عباس: حين وقعت الواو انقطعت العدة.

وقال أبو البقاء: وقيل: دخلت الواو لتدل على أن ما بعدها مستأنف حق، وليس من جنس القول برجم الظنون<sup>(٢)</sup>.

ولعل مراد ابن الحاجب من قوله: لوجب أن يكون العالم بذلك كثيرًا، أن القائل به المسلمون، وهم بالنسبة إلى القائلين - وهما السيّد والعاقب - كثيرون، كما سبق، وجوابه من وجهين، أحدهما: أن القائلين من المسلمين ليسوا كلهم بل بعضهم، يدل عليه قول ابن عباس رضي الله عنهما: أنا من ذلك القليل. ذكره محيي السنة<sup>(٣)</sup>. والمراد بالقائلين: السيّد والعاقب، هما ومن تابعهما، بدليل قول المصنّف: «إن السيّد والعاقب وأصحابهما». وثانيهما: أن قوله: ﴿إلا قليل﴾: استئناف من أعم العام لكونه معاقبًا لقوله: ﴿قل ربّي أعلم بعبدّتهم﴾، ولا شك في قلة المسلمين في جنب الناس. والله أعلم بالصواب.

قوله: ﴿فَلَا تُعَارَفُ فِيهِمْ﴾: فلا تجادل. الراغب: المزية: التردد في الأمر، وهو أخص من الشك: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ [الحج: ٥٥]، وقوله: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْْبُدُ هَتُولَاءُ﴾ [هود: ١٠٩]، والامتراء والمهارة: حاجة فيها فيه مزية. قال تعالى: ﴿قَوْلِكَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [مریم: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تُعَارَفُ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهَرَ﴾، وأصل ذلك [من]<sup>(٤)</sup>: مريت الناقة: إذا مسحت ضرعها للحلب<sup>(٥)</sup>.

(١) «معاني القرآن وإعرابه» (٣: ٢٧٧).

(٢) «التيان في إعراب القرآن» (٢: ٨٤٣).

(٣) «معالم التنزيل» (٥: ١٦١).

(٤) زيادة من «مفردات القرآن».

(٥) «مفردات القرآن»، ص ٧٦٦.

الكِتَابِ فِيهِمْ كَذَا وَكَذَا، وَلَا عِلْمَ بِذَلِكَ إِلَّا فِي قَلِيلٍ مِنْهُمْ، وَأَكْثَرُهُمْ عَلَى ظَنٍّ وَتَحْمِينٍ، ﴿فَلَا تُعَارِ فِيهِمْ﴾ فَلَا تُجَادِلْ أَهْلَ الْكِتَابِ فِي شَأْنِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ إِلَّا جِدَالًا ظَاهِرًا غَيْرَ مُتَعَمِّقٍ فِيهِ، وَهُوَ أَنْ تُقْصَّ عَلَيْهِمْ مَا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْكَ فَحَسَبْ، وَلَا تَزِيدَ، مِنْ غَيْرِ تَجْهِيلٍ لَهُمْ وَلَا تَعْنِيفٍ بِهِمْ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ، كَمَا قَالَ: ﴿وَجَدَلْتَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

﴿وَلَا تَسْتَفْتِ﴾ وَلَا تَسْأَلْ أَحَدًا مِنْهُمْ عَنْ قِصَّتِهِمْ سِوَالِ مُتَعَنِّتٍ لَهُ، حَتَّى يَقُولَ شَيْئًا فَتَرُدَّهُ عَلَيْهِ وَتُزَيِّفُ مَا عِنْدَهُ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ خِلَافٌ مَا وَصِيَّتُ بِهِ مِنَ الْمَدَارَاةِ وَالْمَجَامَلَةِ، وَلَا سِوَالِ مُسْتَرَشِدٍ؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَرَشَدَكَ بِأَنْ أَوْحَى إِلَيْكَ قِصَّتَهُمْ.

[﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَأْنِي﴾ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدَا \* إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَأَذْكَرَ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ ٢٣ - ٢٤]

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَأْنِي﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِأَجْلِ شَيْءٍ تَعَزِمُ عَلَيْهِ ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ﴾ الشَّيْءِ ﴿عَدَا﴾ أَي: فِيمَا يُسْتَقْبَلُ مِنَ الزَّمَانِ، وَلَمْ يُرِدِ الْعَدَا خَاصَّةً، ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِالنَّهْيِ لَا بِقَوْلِهِ: ﴿إِنِّي فَاعِلٌ﴾؛ لِأَنَّهُ لَوْ قَالَ: إِنِّي فَاعِلٌ كَذَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ، كَانَ مَعْنَاهُ: إِلَّا أَنْ تَعْتَرِضَ مَشِيئَةُ اللَّهِ دُونَ فِعْلِهِ، .....

قَوْلُهُ: (إِلَّا أَنْ تَعْتَرِضَ مَشِيئَةُ اللَّهِ دُونَ فِعْلِهِ). الْإِنْتِصَافُ: وَلَيْتَ شِعْرِي! مَا مَعْنَى قَوْلِ الزَّمْخَشَرِيِّ: إِلَّا أَنْ تَعْتَرِضَ الْمَشِيئَةُ دُونَ فِعْلِهِ؟ وَاعْتِقَادُهُ أَنَّ مَشِيئَةَ اللَّهِ لَا تَعْتَرِضُ عَلَى فِعْلِ أَحَدٍ، فَلَمْ يَشَأْ - عِنْدَهُمْ - فِعْلًا فَتَرِكَ، وَتَرَكَ فَفُعِلَ، حَتَّى إِتَمَّ يَقُولُونَ: إِنَّ قَوْلَ الْقَائِلِ: وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ أَنْ أَفْعَلَهُ، كَذِبٌ إِذَا كَانَ مُبَاحًا؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَشَاوُهُ بِزَعْمِهِمْ، فَسُخِّفًا لِعَقْدِهِمْ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ ابْنُ الْحَاجِبِ: الْوَجْهُ فِيهِ أَنْ يَكُونَ اسْتِثْنَاءً مَفْرَعًا، كَقَوْلِكَ: لَا يَجِيءُ إِلَّا بِأَذْنِ زَيْدٍ وَلَا يَخْرُجُ إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ، عَلَى أَنْ يَكُونَ الْأَعْمُ الْمَحْذُوفُ: حَالًا، أَوْ مَصْدَرًا، وَحُذِفَتْ

(١) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٢: ٧١٤).

الباء من ﴿أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، أي: إلا بذكر المشيئة، وقد عَلِمَ أَنَّ ذِكْرَ المشيئة المُستصحبة في الإخبارِ عن الفعلِ المُستقبلِ هي المشيئة المذكورة بحَرْفِ الشَّرْطِ أو معناها، كقولك: إن شاء الله وبمشيئة الله وما أشبههما، هذا هو المعنى من قولِ المصنّف. والثاني: ولا تقولنَّ إلا بأن يشاء الله.

وقال ابنُ الحاجب: وأما ما ذكر أنه مُتَّصِلٌ بقوله: ﴿إِنِّي فَاعِلٌ﴾ ففاسدٌ، إذ يصيرُ المعنى: إِنِّي فاعِلٌ بكلِّ حالٍ إلا في حالٍ مشيئةِ الله، فيصيرُ المعنى النَّهْيَ عن أن يقولَ: إِنِّي فاعِلٌ إن شاء الله، وهذا لا يقوله أحدٌ. وأما ما ذكر من أنه استثناءٌ مُنقطعٌ بعبءٍ؛ لأنه يؤدي إلى نهي كلِّ واحدٍ عن أن يقولَ: إِنِّي فاعِلٌ غداً، كذا مُطلقاً، قيده بشيءٍ أو لم يُقيّد، وهو خلافُ الإجماع لجوازِ قولِ القائلِ: لأفعلنَّ كذا إن شاء الله، وأما ما ذكره بعضُ المتأخرينَ أن «إلا» ليستُ باستثناءٍ لا مُتَّصِلٍ ولا مُنقطعٍ، فهو جهلٌ وعباوةٌ، ولا خفاءً في أنه عنى قوله: وهو أن يكونَ إن شاء الله كلمةً تأييد، كأنه قيل: ولا تقولنَّ أبداً<sup>(١)</sup>.

والجوابُ عنه: أنا نقلنا عن الزجاج<sup>(٢)</sup> في قوله تعالى: ﴿خَلْدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧] نحو هذا المعنى، وسبيله سبيلُ الكناية من المجموع، كقوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ [الدخان: ٥٦]، وقد عَلِمَ وحُقِّقَ أَنَّ ذَوْقَ المَوْتِ الأولى في الجنةِ مُحالٌ، فيكونُ كنايةً عن التأييد، فالمعنى: لا تقولنَّ فيما يتعلَّقُ بالوحي: أن أُخبركم به إلا أن يشاء الله، واللهُ تعالى لم يشأ أن تقولهُ من عندك، فإذاً لا تقولنَّ أبداً، وعليه قوله: «لأنَّ عودَهُم في ملَّتِهِم مما لن يشاءهُ الله»، وعلى هذا جعلَ الاستثناءَ منقطعاً، لا تقولنَّ يا محمدُ فيما يتعلَّقُ بالوحي: إِنِّي أُخبركم به، لكن قل: أُخبركم بإذنِ الله وبمشيئته، كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]، فالمخاطبُ على التقديرينَ رسولُ الله ﷺ، يؤيِّده قوله: «وهذا نهيٌ تأديب من الله تعالى لنبية حين قالت اليهودُ لقريشٍ» إلى آخره. والحاصلُ أن خصوصيةَ المقامِ مُجَوِّزٌ كثيراً من نحو هذا.

(١) «أما لي ابن الحاجب» (١: ١٩٦-١٩٧).

(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٢: ٢٩١-٢٩٢).

وذلك مما لا مدخل فيه للنهي، وتعلُّقه بالنهي على وجهين: أحدهما: ولا تقولنَّ ذلك القول إلا أن يشاء الله أن تقوله، بأن يَأْذَنَ لَكَ فيه. والثاني: ولا تقولنَّه إلا أن يشاء الله، أي: إلا بمشيئة الله، وهو في موضع الحال؛ يعني: إلا ملتبسًا بمشيئة الله قائلًا: إن شاء الله، وفيه وجهٌ ثالث، وهو: أن يكون ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٧٠] في معنى كلمة تأبید، كأنه قيل: ولا تقولنَّه أبدًا. ونحوه قوله: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٨٩]، لأنَّ عودهم في ملتتهم مما لَنَ يشاءه الله. وهذا نهى تأديبٍ من الله لنبيه حين قالت اليهودُ لقريش: سلوه عن الروح، وعن أصحاب الكهف، وذوي القرنين، فسألوه فقال: اتوني غدًا أخبركم، ولم يستن، فأبطأ عليه الوحي حتى شقَّ عليه وكذبتهُ قريش.

﴿وَأَذْكَرَ رَبِّكَ﴾ أي: مشيئة ربك وقل: إن شاء الله إذا فرط منك نسيانٌ لذلك. والمعنى: إذا نسيت كلمة الاستثناء، ثم تنبّهت عليها، فتداركها بالذكر. وعن ابن عباس رضي الله عنه: ولو بعد سنة ما لم تحنث، وعن سعيد بن جبیر: ولو بعد يومٍ أو أسبوعٍ أو شهرٍ أو سنة. وعن طاووس: هو على ثنياه ما دام في مجلسه. وعن الحسن نحوه، وعن عطاء: يُستثنى على مقدار حلبِ ناقةٍ غزيرة، .....

قوله: (هو على ثنياه)، المغرب: يقال: ثنى العود: إذا حناه وعطفه؛ لأنه ضم أحد طرفيه إلى الآخر، ثم قيل: ثناه عن وجهه: إذا كفه وصرّفه؛ لأنه مسبب عنه<sup>(١)</sup>، ومنه: استثنيت الشيء: زويته لنفسي، ومنه: الثنيا بوزن الدنيا، وفي الحديث: «من استثنى فله ثنياه»<sup>(٢)</sup> أي: ما استثناه<sup>(٣)</sup>.

(١) قوله: «لأنه مسبب عنه» سقط من (ف).

(٢) هو جزءٌ من حديث أخرجه الدارقطني في «السنن» (٤: ٥٤) من حديث معاذ بن جبل، وذكره الحافظ ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٣: ٤٥٨)، وعزاه لأبي موسى المدني في «ذيل الصحابة» من حديث معدي كرب.

(٣) «المغرب في ترتيب المغرب» (١: ١٢٤).



وعند عامة الفقهاء أنه لا أثر له في الأحكام ما لم يكن موصولاً. ويحكى: أنه بلغ المنصور أن أبا حنيفة خالف ابن عباس رضي الله عنه في الاستثناء المنفصل، فاستحضره لينكر عليه: فقال أبو حنيفة: هذا يرجع عليك، إنك تأخذ البيعة بالأيمان، أفترضى أن يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك؟ فاستحسن كلامه ورضي عنه.

ويجوز أن يكون المعنى: واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت كلمة

الاستثناء، .....

قوله: (وعند عامة الفقهاء: أنه لا أثر له في الأحكام ما لم يكن موصولاً). قال القاضي: «لأنه لو صح ذلك لم يقر إقراراً ولا طلاقاً ولا عتاقاً، ولم يعلم صدق ولا كذب، وليس في الآية أن الاستثناء المتدارك به من القول السابق، بل هو مقدر مدلول به عليه»<sup>(١)</sup> مثل أن يقول: أفعل إن شاء الله، أي: ﴿وَلَا نَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدًّا﴾ إلا أن تقول: أفعل إن شاء الله.

قوله: (إنك تأخذ البيعة بالأيمان، أفترضى أن يخرجوا من عندك فيستثنوا؟)، الانتصاف: ظاهر الآية الأمر بتدارك المشيئة عند التذكار ولو بعد طول<sup>(٢)</sup>، وأما حملها لليمين حيث<sup>(٣)</sup>، فلا دليل للآية عليه<sup>(٤)</sup>.

وقلت: مسألة البيعة واليمين جاءت رادة لمن قاس الاستثناء في الأحكام على مسألة التدارك بالتذكار في نسيان ذكر الله في الأمور، وصورة المبايعه بأن يقول: أبايعك على السمع والطاعة، ثم يؤكد باليمين، بأن يقول: والله لا أخرج من هذه البيعة، ثم يخرج ويستثنى إلا زمان كذا، ويوم كذا، ولأمر كذا<sup>(٥)</sup>، أو أوان يفعل كذا.

(١) «أنوار التنزيل» (٣: ٤٩٠).

(٢) قوله: «ولو بعد طول» سقط من (ط).

(٣) في (ط): «وأما حمل اليمين عليها»، وفي (ف): «وأما حمل اليمين عليه».

(٤) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٢: ٧١٥).

(٥) قوله: «ولأمر كذا» زيادة من (ط).

تشديدًا في البَعثِ على الاهتمام بها، وقيل: واذكُرْ رَبَّكَ إِذَا تَرَكْتَ بَعْضَ مَا أَمَرَكَ بِهِ، وقيل: واذكُرْهُ إِذَا اعْتَرَكَ النَّسيانُ لِيذَكَّرَكَ المنسي، وقد حُجِّلَ على أداءِ الصَّلَاةِ المنسيَّةِ عندَ ذكْرِها.

﴿هَذَا﴾ إشارة إلى نَبأ أصحابِ الكهفِ.....

قوله: (تشديدًا في البَعثِ على الاهتمام)، يعني: الأمرُ بالاستغفارِ من بابِ التَغْلِيظِ والتشديد، كأنَّ تَرَكَ الاستثناءِ مِنَ الذَّنْبِ الذي تجبُّ فيه التوبةُ والاستغفارُ.

قوله: (واذكُرْ رَبَّكَ إِذَا تَرَكْتَ بَعْضَ مَا أَمَرَكَ بِهِ)، فالنسيانُ قد يُستعملُ في التَّرْكِ مجازًا؛ لأنَّ التَّرْكَ سببُ النسيانِ.

الراغب: النسيانُ: تَرَكَ الإنسانِ ضَبَطَ ما استودِعَ؛ إمَّا لضعفِ قلبه، وإمَّا عن غفلةٍ أو عن قصدٍ حتى يَنحِذِفَ عن القلبِ ذِكْرَهُ. وقوله تعالى: ﴿سُقِّرْتُكَ فَلَا تَنسَى﴾ [الأعلى: ٦] إخبارٌ وضمانٌ من الله تعالى أَنه يجعلُهُ بحيثٌ إنهُ لا ينسى ما يسمعه عن الحقِّ<sup>(١)</sup>، وكلُّ نسيانٍ مِنَ الإنسانِ ذمَّةُ الله تعالى به، فهو ما كان أصلُهُ عن تعمُد، وما عُدِرَ فيه نحو ما رُوِيَ في الحديث: «رُفِعَ عن أُمَّتِي الخَطَأُ والنسيانُ»<sup>(٢)</sup>، فهو ما لم يكن سببُهُ منه، وإذا نُسِبَ ذلك إلى الله تعالى فهو تَرَكَه إِيَّاهُم استهانةً بهم، ومجازةٌ لما تَرَكوهُ. قال الله تعالى: ﴿سُئِلُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]، وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ﴾ [الحشر: ١٩] فتنبيةٌ أَنَّ الإنسانَ بمعرفةِ بنفسه يَعْرِفُ اللهَ، فنسيانُهُ لله هو من نسيانِهِ نفسَهُ. وقال عكرمة: معنى ﴿نَسِيَتْ﴾: ارتكبتُ ذنبًا، ومعناه: اذكُرْ اللهَ إِذَا أَرَدْتَ وَقَصَدْتَ ارتكابَ ذنبٍ يَكُنْ ذلك دافعًا لك<sup>(٣)</sup>.

قوله: (﴿هَذَا﴾ إشارة إلى نَبأ أصحابِ الكهفِ)، أي: لفظُ ﴿هَذَا﴾ في قوله تعالى: ﴿لَا قَرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾.

(١) في (ح) و(ط): «من».

(٢) سبق تخريجه.

(٣) «مفردات القرآن وإعرابه»، ص ٨٠٣.

ومعناه: لعلَّ الله يُؤتيني مِنَ البَيِّنَاتِ والحُجَجِ على أني نبيُّ صادقٌ ما هو أعظمُ في الدلالةِ وأقربُ رُشداً مِن نبيِّ أصحابِ الكهفِ، وقد فعلَ ذلك، حيثُ آتاهُ مِن قَصَصِ الأنبياءِ والإخبارِ بالغيوبِ ما هو أعظمُ مِن ذلكِ وأدَلِّ، والظاهرُ أن يكونَ المعنى: إذا نسيتَ شيئاً فاذكُرْ رَبَّكَ. وذكُرْ ربكَ عندَ نسيانِهِ أن تقول: عسى ربي أن يهديني لشيءٍ آخرَ بدَلِ هذا المنسيِّ أقربَ منه، ﴿رُشداً﴾ وأدنى خيراً ومنفعة. ولعلَّ النسيانَ كانَ .....

قوله: (ومعناه: لعلَّ الله يُؤتيني مِنَ البَيِّنَاتِ... ما هو أعظمُ في الدلالةِ وأقربُ رُشداً مِن نبيِّ أصحابِ الكهفِ)، الانتصاف: يؤيِّده قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾، افتتَحَ القِصَّةَ بتقليلِ شأنِها، ثُمَّ ختمَها بأمرِهِ صلواتُ الله عليه بما هو أرسدُ منها.

الإنصاف: هذا يؤهِّمُ أن أيَّ قِصَّةٍ ذُكِرَتْ في الكتابِ العزيزِ لِيَتَعَطَّ بها ينبغي أن يُحَقَّرَ شأنُها ويُسألَ إنزالُ ما هو خيرٌ منها وأرسدُ. جوابُه: أن المشركينَ سألوا رسولَ الله ﷺ عن خيرِهم، وقالوا: هُم فتيةٌ ذهبَتْ بهم في الأرضِ<sup>(١)</sup> مذاهبُ، فقلَّلَ اللهُ ما أكثرُوهُ وحَقَّرَ ما استعظَمُوهُ، ولم يَقُصَّ اللهُ نَبأَها إلا لإعلامِ المشركينَ أن رسولَ الله ﷺ يتلقى الوحيَ مِنَ السَّماءِ، وأنه لا يَحُلُو عن فائدةٍ وموعظةٍ وعبرة<sup>(٢)</sup>.

قوله: (يهديني لشيءٍ آخرَ، بدَلِ هذا المنسيِّ أقربَ) يقال: هداه لكذا، أو إلى كذا، لا بُدَّ مِن تقديرِ شيءٍ يَصْحُحُ الكلامُ معه، فالتقديرُ: يهديني لشيءٍ آخرَ يكونُ ذلكَ الشيءُ بدَلِ هذا المنسيِّ أقربَ منه رُشداً، قال الزجاجُ: عسى أن يُعطيني مِنَ الدَّلالاتِ ما يكونُ أقربَ في الرَّسَدِ، وأدَلِّ مِن قِصَّةِ أصحابِ الكهفِ<sup>(٣)</sup>.

وقال في «المطلع»: يهدي إلى ما هو أقربُ، و«أقربُ» في تركيبِ المصنَّفِ يجوزُ أن يكونَ بدَلًا مِن بدَلِ، وأن يكونَ صفةً إن جُعِلَ «أقربُ» من «معرفة»، أو حالًا إن جُعِلَ نكرةً.

(١) في (ح): «ذهب بهم الأرض»، وفي (ف): «ذهبوا في الأرض».

(٢) سقط لفظ: «وعبرة» من (ح).

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» (٣: ٢٧٨).

خَيْرَةً، كقولهِ: ﴿أَوْ نُنسِهَا نَأْتٍ بِخَيْرٍ مِّنْهَا﴾ [البقرة: ١٠٦].

[﴿وَلِيَثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ \* قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِيَثُوا لَهُ. غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصَرَ بِهِ، وَأَسْمَعُ مَا لُهُمْ مِنْ دُونِهِ، مِنْ وَلِيِّ وَلَا يَشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ ٢٥-٢٦]

﴿وَلِيَثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ﴾ يُرِيدُ لُبُّهُمْ فِيهِ أَحْيَاءٌ مَّضْرُوبًا عَلَى آذَانِهِمْ هَذِهِ الْمُدَّةَ، وَهُوَ بَيَانٌ لِّمَا أُجْمِلَ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَيَّآ آذَانَهُمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾، وَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِيَثُوا﴾ أَنَّهُ أَعْلَمُ مِنَ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِمْ

قَوْلُهُ: (خَيْرَةً) أَي: مَخْتَارًا<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ: (بَيَانٌ لِّمَا أُجْمِلَ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَيَّآ آذَانَهُمْ﴾)، فَإِنَّ قُلْتَ: مَا فَائِدَةُ إِيرَادِ الْبَيَانِ فِي آخِرِ الْقِصَّةِ وَالْمُبَيِّنُ فِي أَوَّلِهَا؟ قُلْتُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ: جِيءَ أَوَّلًا بِاخْتِلَافِ الْأَحْزَابِ فِي كَمِيَّةِ لُبُّهُمْ فِي الْكَهْفِ. وَثَانِيًا: بِاخْتِلَافِهِمْ فِي كَمِيَّةِ أَشْخَاصِهِمْ، فَبَيَّنَ الثَّانِي بِقَوْلِهِ: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ﴾ وَبَيَّنَ الْأَوَّلُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلِيَثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِيَثُوا﴾ وَسَجَّلَ لِكَلِمَتِي الْجُمْلَتَيْنِ بِإِثْبَاتِ الْعِلْمِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَهَذِهِ الدَّقِيقَةُ تَنْهِي<sup>(٢)</sup> لُطْفَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمَصْنُفُ فِي ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾.

وَأَمَّا تَوْسِيطُ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا نَقُولَنَّ لِشَأْنِي وَإِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدَا﴾ الْآيَةِ، بَيْنَ الْبَيَانِ وَالْمُبَيِّنِ، فَإِنَّهُ مِنْ جُمْلَةِ التَّأْدِيبِ الَّذِي أَدَّبَهُ اللَّهُ بِهِ، وَالتَّهْذِيبِ الَّذِي هَدَّبَهُ مِمَّا هُوَ خَلَقَ لَهُ، وَهُوَ هَذَا الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ؛ جَاءَ مُسْتَطَرَّدًا عَطْفًا عَلَى قَوْلِهِ: ﴿فَلَا تَمَارِ﴾، ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ﴾ مُتَضَمَّنًا مَعْنَى مَا لِأَجْلِهِ أَبْطَأَ عَلَيْهِ الْجَوَابَ عَنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ، قَالَ الزَّجَّاجُ: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِيَثُوا﴾: إِخْبَارٌ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى بِطَوْلِ لُبُّهُمْ.

(١) كَذَا قَالَ الْمَوْلَفُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَالظَّاهِرُ أَنَّ الَّذِي أوردَهُ الزَّمخَشَرِيُّ «خَيْرَةً» مِنَ الْخَيْرِيَّةِ، لَا «خَيْرَةً»

مِنَ الْإِخْتِيَارِ، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ اسْتِشْهَادُهُ بِآيَةِ ﴿نَأْتٍ بِخَيْرٍ مِّنْهَا﴾.

(٢) فِي (ح) وَ(ط): تُنْهِي.

بمَدَّة لُبُّهُمْ، والحقُّ ما أخبركَ اللهُ به. وعن قتادة: أنه حكايةٌ لكلامِ أهلِ الكتاب. و﴿قُلِ اللهُ أَعْلَمُ﴾ ردُّ عليهم. وقال في حرفِ عبدِ الله: (وقالوا لبثوا). و﴿سِنِينَ﴾: عطفُ بيانٍ لـ ﴿ثَلَاثَ مِائَةٍ﴾.....

وأعلم أنه أعلمٌ بذلك، وكان هذا أبلغَ من أن يُقال: الصَّحِيحُ أنهم قد لبثوا هذا العددَ كلّه<sup>(١)</sup>.

قوله: (و﴿سِنِينَ﴾ عطفُ بيانٍ لـ ﴿ثَلَاثَ مِائَةٍ﴾)، قال الزجاج: ﴿سِنِينَ﴾ جائزٌ أن يكونَ نَصْبًا وأن يكونَ جَرًّا، فالنَّصْبُ على معنى: ولَبثوا في كهفهم سِنِينَ ثَلَاثَ مِئَةٍ، عطفَ «سِنِينَ» على «ثَلَاثَ» عطفَ البيانِ والتوكيد، والجرُّ على أن يكونَ نَعْتًا للمئة، وهو بالغٌ في المعنى إلى ثلاثٍ، كما قال:

فيها اثنتانِ وأربعونَ حلوبةً  
سودًا كخافيةِ العُرابِ الأسحَمِ<sup>(٢)</sup>

جعل «سودًا» نَعْتًا لـ «حلوبة»، وهو في المعنى نَعْتٌ لجملةِ العدد، هكذا في «تفسيره»<sup>(٣)</sup>، ونَقَلَ المصنِّفُ عنه في «المفصل»<sup>(٤)</sup> أنه قال: لو انتصبَ ﴿سِنِينَ﴾ على التمييزِ لوجبَ أن يكونوا قد لبثوا تسعَ مئة سنة. قال ابنُ الحاجب: وجَّهه أنه قد فهمَ من لَعْنَتِهِم أن تمييزَ المِئَةِ واحدٌ من مئة، فإذا قلت: مئة رجلٍ فمُمَيِّزُها رجلٌ، وهو واحدٌ من المئة، فعلى هذا لو قلت: مئة سنين، فيكونُ السِّنِينَ واحدةً من المئة، وهي ثلاث مئة، وأقلُّ السِّنِينَ ثلاثة، فيجبُ أن يكونَ تسعَ مئة، وهذا الذي ذكره يُردُّ: على قراءةِ حمزةَ والكِسائيِّ، إذ ليسَ لقراءتهما وَجْهٌ سوى التمييزِ<sup>(٥)</sup>.

وهذا غيرُ لازمٍ، لأنَّ الذي ذكره مخصوصٌ بأن يكونَ المُمَيِّزُ مُفْرَدًا، وأما إذا كانَ جَمْعًا فيكونُ القَصْدُ فيه كالقَصْدِ في وقوعِ التمييزِ جَمْعًا في نحوِ ثلاثةِ أبوابٍ، على أنَّ الأصلَ في

(١) «معاني القرآن وإعرابه» (٣: ٢٧٩).

(٢) لعنترة في «ديوانه»، ص ١٩٣.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (٣: ٢٧٩).

(٤) ص ٢٥٦.

(٥) انظر: «الإيضاح في شرح المفصل» لابن الحاجب (١: ٦١٢).

وَقُرِّي: (ثلاث مئة سنين) بالإضافة، على وَضْعِ الجَمْعِ مَوْضِعِ الوَاحِدِ فِي التَّمْيِيزِ، كَقَوْلِهِ: ﴿بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَدًا﴾ [الكهف: ١٠٣] وَفِي قِرَاءَةِ أَبِي: (ثَلَاثُ مِئَةِ سَنَةٍ). ﴿تَسْعًا﴾ تَسْعَ سِنِينَ؛ لِأَنَّ مَا قَبْلَهُ يَدُلُّ عَلَيْهِ. وَقَرَأَ الْحَسَنُ: (تَسْعًا) بِالْفَتْحِ، ثُمَّ ذَكَرَ اخْتِصَاصَهُ بِمَا

التَّمْيِيزِ الْجَمْعِ، وَإِنَّمَا عَدَلَ إِلَى الْمَفْرَدِ لِعَرَضٍ، فَإِذَا اسْتَعْمِلَ الْجَمْعُ اسْتَعْمِلَ عَلَى الْأَصْلِ لَا عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي أَلْزَمَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ عَلَى الْمَفْرَدِ.

وَقُلْتُ: الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمَصْنُفُ عَكْسُ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ جَعَلَ الْمَفْرَدَ أَصْلًا وَالْجَمْعَ مَفْرَعًا عَلَيْهِ لِقَوْلِهِ: «عَلَى وَضْعِ الْجَمْعِ مَوْضِعِ الْوَاحِدِ فِي التَّمْيِيزِ»، وَقَالَ ابْنُ الْحَاجِبِ: ﴿ثَلَاثُ مِائَةِ سِنِينَ﴾، فَيَمِّنُ قِرَاءً بِالتَّنْوِينِ، مَحْمُولٌ عَلَى الْبَدَلِ، وَإِلَّا لَزِمَ الشُّذُودُ مِنْ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: جَمْعُ مُمَيِّزٍ مِثْلِهِ. وَالْآخَرُ: نَضْبُهُ، فَإِذَا جُعِلَ بَدَلًا خَرَجَ عَنِ الشُّذُودَيْنِ وَاسْتَقَامَ الْإِعْرَابُ<sup>(١)</sup>، كَأَنَّهُ قَالَ: وَلِبِشْوَا سِنِينَ.

قَوْلُهُ: (وَقُرِّي: «ثلاث مئة سنين» بالإضافة)، حمزة والكسائي: بغير تنوين، والباقون: بتنوين<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ: (لأن ما قبله يدل عليه). قَالَ الزَّجَّاجُ: أَمَا قَوْلُهُ: ﴿وَأَزْدَادُوا تَسْعًا﴾ فَلَا يَكُونُ تَسْعَ لِيَالٍ وَتَسْعَ سَاعَاتٍ؛ لِأَنَّ الْعَدَدَ يُعْرَفُ بِتَفْسِيرِهِ، فَإِذَا تَقَدَّمَ تَفْسِيرُهُ اسْتَغْنَى بِهَا تَقَدَّمَ عَنْ إِعَادَةِ ذِكْرِهِ<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ الْإِمَامُ: فَإِنْ قَالُوا: لِمَ لَمْ يُقَلَّ: ثَلَاثُ مِئَةٍ وَتَسْعَ سِنِينَ؟ وَمَا الْفَائِدَةُ فِي الْعَدُولِ؟ قُلْنَا: قَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَتْ الْمُدَّةُ ثَلَاثَ مِئَةِ سَنَةٍ مِنَ السِّنِينَ الشَّمْسِيَّةِ وَثَلَاثَ مِئَةٍ وَتَسْعَ سِنِينَ مِنَ الْقَمَرِيَّةِ، وَهَذَا مُشْكِلٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يَصِحُّ بِالْحِسَابِ، وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: لَعَلَّهُمْ لَمَّا اسْتَكْمَلُوا ثَلَاثَ مِئَةِ سَنَةٍ قَرَّبَ أَمْرُهُمْ مِنَ الْإِتْبَاهِ، ثُمَّ اتَّفَقَ مَا أَوْجَبَ بَقَاءَهُمْ فِي النَّوْمِ بَعْدَ ذَلِكَ تَسْعَ سِنِينَ<sup>(٤)</sup>.

(١) المصدر السابق، (١: ٦١١).

(٢) انظر: «حجة القراءات»، ص ٤١٤.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» (٣: ٢٧٩).

(٤) «مفاتيح الغيب» (٢١: ١١٢).

غَابَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَفِيَ فِيهَا مِنْ أَحْوَالِ أَهْلِهَا وَمِنْ غَيْرِهَا، وَأَنَّهُ هُوَ وَحْدَهُ الْعَالَمُ بِهِ، وَجَاءَ بِمَا دَلَّ عَلَى التَّعَجُّبِ مِنْ إِدْرَاكِهِ الْمَسْمُوعَاتِ وَالْمُبْصَرَاتِ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى

وَقَالَ الْقَاضِي: وَقِيلَ: إِنَّهُ حِكَايَةُ كَلَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَإِنَّهُمْ اخْتَلَفُوا فِي مُدَّةِ لُبِّهِمْ كَمَا اخْتَلَفُوا فِي عِدَّتِهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: ثَلَاثَ مِئَةِ سَنَةٍ، وَبَعْضُهُمْ: ثَلَاثَ مِئَةِ وَتِسْعَ سِنِينَ<sup>(١)</sup>.

وَقُلْتُ: وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ كَمَا اخْتَلَفُوا فِي عِدَّتِهِمْ اخْتَلَفُوا فِي مُدَّةِ لُبِّهِمْ، فَكَمَا جِيَءَ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ بِمَا يَرْفَعُ الْاِخْتِلَافَ، جِيَءَ هَاهُنَا كَذَلِكَ، فَإِنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَأَزْدَادُوا تَسْعًا﴾ بَيَانٌ لِنُصُوصِيَّةِ اللَّبِّ وَتَقْرِيرٌ لَهُ، وَدَفْعٌ لِلاَحْتِمَالِ، وَنَظِيرُهُ الْاِسْتِثْنَاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا اِخْمَسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤]، وَسَيَجِيءُ بَيَانُهُ. فَقَوْلُهُ: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا﴾ مِثْلُ: ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ﴾ هُنَاكَ. وَهَذَا التَّأْوِيلُ يُرَجِّحُ قَوْلَ مَنْ قَالَ: إِنَّ هَذَا مِنْ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَوْلُهُ: (وَجَاءَ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ التَّعَجُّبُ مِنْ إِدْرَاكِهِ الْمَسْمُوعَاتِ وَالْمُبْصَرَاتِ). قَالَ الْقَاضِي: وَالِهَاءُ تَعْوِذٌ إِلَى «اللَّهِ»، وَمَحَلُّهُ الرَّفْعُ عَلَى الْفَاعِلِيَّةِ، وَالبَاءُ مَزِيدَةٌ عِنْدَ سَبْيُوِيَّةِ، وَكَانَ أَصْلُهُ أَبْصَرَ، أَي: صَارَ ذَا بَصَرٍ، ثُمَّ نُقِلَ إِلَى صَيْغَةِ الْأَمْرِ بِمَعْنَى الْإِنْشَاءِ، فَبَرَزَ الضَّمِيرُ لِعَدَمِ لِيَاقِ الصَّيْغَةِ، وَهُوَ أَنَّ ضَمِيرَ الْغَائِبِ لَا يُمْكِنُ اسْتِثْنَاؤُهُ فِي أَمْرِ الْمُخَاطَبِ أَوْ لَزِيَادَةِ الْبَاءِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَكَفَى بِهِ﴾ [النساء: ٥٠]، وَالتَّصْبُّ عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ عِنْدَ الْأَخْفَسِ، وَالفَاعِلُ: ضَمِيرُ الْمَأْمُورِ، وَهُوَ كُلُّ أَحَدٍ، وَالبَاءُ مَزِيدَةٌ إِنْ كَانَتِ الْهَمْزَةُ لِلتَّعْدِيَةِ<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ صَاحِبُ «الْكَشْفِ»: وَكَانَ الْقِيَاسُ إِضْمَارَ «بِهِ» فِي الثَّانِي؛ لِأَنَّ الْجَارَ وَالْمَجْرُورَ فِي مَوْضِعِ الْفَاعِلِ، لَكِنْ اسْتَغْنَى بِذِكْرِهِ فِي الْأَوَّلِ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ الْعَطْفُ عَلَى عَامِلَيْنِ كَمَا فَعَلَ فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ:

(١) «أنوار التنزيل» (٣: ٤٩١).

(٢) المصدر السابق (٣: ٤٩٢).

أن أمره في الإدراك خارج عن حد ما عليه إدراك السامعين والمبصرين، لأنه يُدركُ  
الطف الأشياء وأصغرهما كما يُدرك أكبرهما حجماً وأكثرها جرماً، ويُدرك البواطن  
كما يُدرك الظواهر، ﴿مَا لَّهُمْ﴾ الضمير لأهل السماوات والأرض، ﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾ من  
مُتَوَلٍّ لأمرهم ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ﴾ في قضائه ﴿أَحَدًا﴾ منهم، وقرأ الحسن:  
(ولا تُشرك)، بالتاء والجرم على النهي.

[﴿وَأَنْتَ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابٍ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ

مُلْتَحَدًا﴾ [٢٧]

كانوا يقولون له: ﴿أَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ﴾ [يونس: ١٥]، فقيل له:  
﴿وَأَنْتَ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ﴾ من القرآن، ولا تسمع لِمَا يَهْدُونَ به من طلب التبديل، فلا  
مُبَدِّلَ لكلمات ربك، أي: لا يقدر أحدٌ على تبديلها وتغييرها، وإنما يقدرُ على ذلك هو  
وحده، ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾ [النحل: ١٠١]. ﴿وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ  
مُلْتَحَدًا﴾ مُلتجأً تعدل إليه إن همتَ بذلك.

أَكُلُّ أَمْرٍ يُحْسِنُ أَمْرًا      وَنَارٌ تُوقَدُ بِاللَّيْلِ نَارًا<sup>(١)</sup>

أي: وكلُّ نارٍ، واستغنى<sup>(٢)</sup> بذكره أولاً عن ذكره ثانياً.

الرَّاضِبُ: ﴿أَبْصَرَ بِهِ وَأَسْمَعَ﴾ يقولُ فيه تعالى ذلك مَنْ وَقَفَ على عجائبِ حِكْمَتِهِ،  
ولا يقالُ فيه: ما أبصره وما أسمعهُ؛ لأنَّ الله تعالى لا يوصفُ إلا بما ورَدَ به السَّمْعُ<sup>(٣)</sup>. وقدَّرَ  
أبو البقاء: أوقع أيها المخاطبُ إبصاراً بأمر الكهفِ، فهو أمرٌ حقيقة<sup>(٤)</sup> والفاعلُ مضمرٌ.

قوله: (وإنما يقدرُ على ذلك هو وحده)، أو: ﴿إِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾

(١) «كشف المشكلات» للباقولي (٢: ٧٥٤-٧٥٥)، والبيت لأبي دؤاد الإيادي في «ديوانه»، ص ٣٥٣.

(٢) في (ط): «استغناء»، والمعنى واحد.

(٣) «مفردات القرآن»، ص ٤٢٦.

(٤) «التيبان في إعراب القرآن» (٢: ٨٤٤).



[وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعِسَى يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ، عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾]

وقال قومٌ من رؤساء الكفرة لرسول الله ﷺ: نح هؤلاء الموالى الذين كأن ريحهم ريح الضأن، وهم: صهيبٌ وعمارٌ وخبابٌ وغيرهم من فقراء المسلمين، حتى نجالسك كما قال قوم نوح: ﴿أَتُومِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَالُونَ﴾ [الشعراء: ١١١]، فنزلت: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ واحبسها معهم وثبتها. قال أبو ذؤيب:

فصبرتُ عارفةً لذلك حرةً      ترسو إذا نفس الجبان تطلّع

[النحل: ١٠١]، أراد أن في هذه الآية الدلالة الظاهرة على أن الكتاب لا يُنسخ بالسنة<sup>(١)</sup>؛ لأنه تعالى أمر نبيه صلوات الله عليه بأن يتلو ما أوحى إليه من كتاب الله حين قالوا: ﴿أَنْتِ بِقُرْبِهِ إِنْ عَيَّرَ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ﴾ [يونس: ١٥] وأعلمه أن لا تبدل لكلمات الله البتة، لا يُبدلها هو ولا غيره، حيث نفى جنس التبدل وخص هذا العام بقوله: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ﴾ [النحل: ١٠١]، فبقي العام فيما عداه على أصله، ولهذا أكد دلالة الحضر في قوله: إنما يقدر على ذلك هو بقوله وحده، ثم أتى بتذييل يؤكد ذلك المعنى، وهو قوله: ﴿وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ بـ(لن) المؤكدة، قال المصنّف: تقول لصاحبك: لا أقيم غذا. فإن أنكرك عليك قلت: لن أقيم غذا، كما تفعل في «أنا مقيم»، و«إني مقيم»، نزل صلوات الله عليه منزلة من هم أن له ملجأ يعدل إليه من أمره ونهيه، فقيل له: ﴿وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ تهيبًا وإلهابًا، وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾، تعدل إليه إن هممت بذلك. قال الزجاج: ولن تجد معدلاً عن أمره ونهيه ولا ملجأ إلا إليه<sup>(٢)</sup>.

قوله: (فصبرتُ عارفةً) البيت<sup>(٣)</sup>، أي: حبستُ نفساً عارفةً بأحوال الحرب.

(١) وهي مسألة فيها خلاف بين علماء الأصول. انظر: «أصول البزدوي» (١: ٢٢٢)، و«البحر المحيط في

أصول الفقه» للبدر الزركشي (٣: ١٨٦).

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» (٣: ٢٨٠).

(٣) لأبي ذؤيب الهذلي من قصيدته الشهيرة في رثاء أبنائه. وقيل: هو لعنترة، كما في «الصحاح» (٤: ١٤٠٢).

﴿بِالْغَدُوَّةِ وَالْعِشِيِّ﴾ دائِبِينَ عَلَى الدُّعَاءِ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَقِيلَ: الْمَرَادُ صَلَاةُ الْفَجْرِ وَالْعَصْرِ. وَقُرئ: (بِالْغَدُوَّةِ)، و﴿بِالْغَدُوَّةِ﴾ أَجُودٌ؛ لِأَنَّ «غَدُوَّةً» عَلِمَ فِي أَكْثَرِ الْأَسْتِعْمَالِ، وَإِدْخَالِ اللَّامِ عَلَى تَأْوِيلِ التَّنْكِيرِ كَمَا قَالَ:

..... وَالزَّيْدُ زَيْدُ الْمَعَارِكِ

الجوهري: العارِفُ: الصَّبُورُ. تَرَسَّوْ: تَرَسَّخُ وَتَثَبْتُ، تَطَلَّعُ: يَنْقَطِعُ عَنْ مَكَانِهِ. وَقِيلَ: يَنْظُرُ سَاعَةً وَيَخْتَفِي سَاعَةً، كَمَا هُوَ عَادَةُ الْجَبَانِ، يَصِفُ صَبْرَهُ وَتَجَلُّدَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ، وَأَنَّ نَفْسَهُ ثَابِتَةٌ صَابِرَةٌ عَلَى الْمَكَارِهِ فِي حَالِ تَكُونِ نَفْسِ الْجَبَانِ فِيهَا مُضْطَرِبَةٌ.

قوله: (وَقُرئ: بِالْغَدُوَّةِ): ابْنُ عَامِرٍ، وَالباقون: ﴿بِالْغَدُوَّةِ﴾<sup>(١)</sup>. قَالَ أَبُو الْبَقَاءِ: «بِالْغَدَاةِ: أَصْلُهَا غَدُوَّةٌ، فَقَلْبْتُ الْفَا<sup>(٢)</sup> لِتَحَرُّكِهَا وَانْفِتَاحِ مَا قَبْلَهَا، وَهِيَ نَكْرَةٌ، وَتُقْرَأُ بِالْغَدُوَّةِ، بِضَمِّ الْغَيْنِ وَسُكُونِ الدَّالِ، وَوَاوٍ بَعْدَهَا، وَقَدْ عَرَفْنَا بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ، وَأَكْثَرُ مَا تُسْتَعْمَلُ مَعْرِفَةً عَلَمًا<sup>(٣)</sup> بغيرِ اللَّامِ.

قوله: (وَالزَّيْدُ زَيْدُ الْمَعَارِكِ)، أَوَّلُهُ<sup>(٤)</sup>:

وَقَدْ كَانَ مِنْهُمْ حَاجِبٌ وَابْنُ أُمِّهِ أَبُو جَنْدَلٍ .....

حاجب: هُوَ ابْنُ لَقِيْطِ بْنِ زُرَّارَةَ، أَرَادَ بِقَوْلِهِ: «زَيْدُ الْمَعَارِكِ»: شِجَاعَتَهُ، ذَكَرَهُ شَاهِدًا عَلَى صِحَّةِ الْإِضَافَةِ وَإِدْخَالِ اللَّامِ عَلَى تَأْوِيلِ التَّنْكِيرِ، وَفِيهِ ضَعْفٌ؛ لِأَنَّ الْعَلَمَ إِنَّمَا وُضِعَ لِشَيْءٍ بَعِيْنِهِ غَيْرِ مُتَنَاولٍ مَا أَشْبَهَهُ، فَإِذَا نَكَّرَ فَقَدْ اسْتَعْمِلَ عَلَى خِلَافِ مَا وُضِعَ لَهُ، وَوَجْهُهُ أَنَّهُ لَمَّا وُضِعَ لِمَسْمُومٍ ثُمَّ وُضِعَ لِأَخْرَ صَارَتْ نِسْبَتُهُ إِلَى الْجَمِيعِ نِسْبَةً وَاحِدَةً، فَأَشْبَهَ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ قَوْلِكَ: رَجُلٌ.

(١) انظر: «حجّة القراءات»، ص ٤١٥.

(٢) في (ح) و(ف): «الياء»، والصواب ما أثبتناه.

(٣) «التبيان في إعراب القرآن» (١: ٤٩٨).

(٤) «للأخطل في ديوانه»، ص ٣٧٩.

ونحوه قليل في كلامهم، يُقال: عَدَاهُ: إذا جَاوَزَهُ، ومنه قولهم: عدا طَوْرَهُ، وجاءني القومُ عدا زيدا. وإنما عُدِّيَ بـ«عَن» لتضمين «عدا» معنى: نَبَا وَعَلَا، في قولك: نَبَتْ عَنْهُ عَيْنُهُ وَعَلَتْ عَنْهُ عَيْنُهُ: إذا اقْتَحَمْتَهُ ولم تَعْلَقْ به. فإن قلت: أيُّ عَرَضٍ في هذا التضمين؟ وهلا قيل: ولا تُعَدُّهُمْ عيناك، أو: لا تَعْلُ عيناك عنهم؟ قلت: العَرَضُ فيه إعطاءُ مجموعِ مَعْنِيَيْنِ، وذلك أقوى من إعطاءِ مَعْنَى فَدَى، ألا ترى كيف رَجَعَ المعنى إلى قولك: ولا تَقْتَحِمُهُمْ عيناك مجاوِزَتَيْنِ إلى غيرهم؟ ونحوه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، أي: ولا تَضْمُوها إليها آكِلِينَ لها. وقرئ: (ولا تُعَدِّ عيناك) و(لا تُعَدِّ عيناك)، من: أعداهُ وَعَدَّاهُ، نقلاً بالهمزة وتثقيب الحشو، ومنه قوله:

قوله: (عدا طوره)، أي: جاوز حده.

النهاية: في حديثِ سَطِيحٍ<sup>(١)</sup>:

فإنَّ ذا الدَّهْرِ أَطْوَارٌ دَهَارِيْرٌ<sup>(٢)</sup>

الأطوارُ: الحالاتُ المُخْتَلِفَةُ والنازِلَاتُ والحدودُ، واجدُها: طَوْرٌ، أي: مرَّةٌ مُلْكٌ، ومرَّةٌ هُلْكٌ، ومرَّةٌ بُؤْسٌ، ومرَّةٌ نَعْمٌ. ومنه حديثُ النبيِّ: «تَعَدَّى طَوْرَهُ»، أي: جَاوَزَ حُدَّهُ وحالَهُ الذي يُخْصُهُ ويَحِلُّ فيه شُرْبُهُ.

قوله: (إذا اقْتَحَمْتَهُ)، الجوهريُّ: اقْتَحَمْتَهُ عيني، أي: ازْدَرْتَهُ.

قوله: (وَقُرئَ: «ولا تُعَدِّ عيناك»)<sup>(٣)</sup>: ولا تَصْرَفْها. قال ابنُ جَنِّي: هي قراءةُ الحَسَنِ، وهذا منقولٌ من: عدتُ عيناك، أي: جَاوَزْتا، من قولهم: جاء القومُ عدا زيدا، أي: جَاوَزَ بعضهم زيدا، ثُمَّ نُقِلَ إلى أَعْدَيْتُ عيني عن كذا، أي: صرَفْتُها<sup>(٤)</sup>.

(١) يعني سَطِيحًا الكاهن. وقد كان في العربِ كَهَنَةً كَثِيْفًا وسَطِيحًا وغيرهما. انظر: «تاج العروس» ٣٦: ٨٢.

(٢) لسَطِيحِ الكاهن كما في «تهذيب اللغة» للأزهري (٤: ١٦٣)، و«لسان العرب» (٤: ٥٠٧).

(٣) في (ح): «عيناك».

(٤) «المحتسب» (٢: ٢٧). ومن قوله: «الحسن وهذا منقولٌ من» إلى هنا سقط من (ح).

## فَعَدَّ عَمَّا تَرَى إِذْ لَا ارْتِمَاجَ لَهُ

لأنَّ معناه: فَعَدَّ هَمَّكَ عَمَّا تَرَى. نُهِىَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَزْدَرِيَ بِفُقَرَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنْ تَنْبُوَ عَيْنُهُ عَنِ رِثَاةِ زَيْمِمْ طُمُوْحًا إِلَى زَيِّْ الْأَغْنِيَاءِ وَحُسْنِ شَارَتِهِمْ، ﴿تُرِيدُ زَيْنَةَ الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا﴾ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، ﴿مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ﴾ مَنْ جَعَلْنَا قَلْبَهُ غَافِلًا عَنِ الذِّكْرِ بِالْخِذْلَانِ، أَوْ: وَجَدْنَاهُ غَافِلًا عَنْهُ، كَقَوْلِكَ: أَجَبْتُهُ وَأَفْحَمْتُهُ وَأَبْخَلْتُهُ؛ إِذَا وَجَدْتَهُ كَذَلِكَ، أَوْ مِنْ: أَغْفَلَ إِبِلَهُ؛ إِذَا تَرَكَهَا بِغَيْرِ سِمَةٍ، أَيْ: لَمْ نَسِمُهُ بِالذِّكْرِ وَلَمْ نَجْعَلْهُمْ مَنْ

قَوْلُهُ: (فَعَدَّ عَمَّا تَرَى إِذْ لَا ارْتِمَاجَ لَهُ)، وَتَمَامُهُ:

وَأَنْتُمْ الْقَتُودُ عَلَى عَيْرَانَةٍ أُجْدٍ<sup>(١)</sup>

نَمَيْتُ الشَّيْءَ عَلَى الشَّيْءِ: رَفَعْتُهُ عَلَيْهِ، وَالْقَتْدُ: خَشَبُ الرَّحْلِ، وَجَمْعُهُ أَقْتَادٌ وَقَتُودٌ، وَالْعَيْرَانَةُ: النَّاقَةُ، شُبِّهَتْ بِالْعَيْرِ فِي سُرْعَتِهَا وَنَشَاطِهَا، وَنَاقَةٌ أُجْدٌ: قَوِيَّةٌ مُوثِقَةٌ الْحَلْقِ، يَقُولُ: فَعَدَّ هَمَّكَ عَمَّا تَرَى، فَإِنَّهُ قَدْ فَاتَ عَنكَ بَحِيثٌ لَا ارْتِمَاجَ لَهُ، أَيْ: انصَرَفَ عَمَّا تَرَى مِنْ تَغْيِيرِ الدَّارِ وَمَا أَنْتَ فِيهِ إِذَا أَيْقَنْتَ أَنْ لَا رَجْعَةَ، وَتَشَاغَلَ<sup>(٢)</sup> بِالرَّحْلَةِ.

قَوْلُهُ: (وَحُسْنِ شَارَتِهِمْ). الشَّارَةُ: اللَّبَاسُ وَالْهَيْئَةُ.

قَوْلُهُ: (جَعَلْنَا قَلْبَهُ غَافِلًا عَنِ الذِّكْرِ بِالْخِذْلَانِ، أَوْ: وَجَدْنَاهُ غَافِلًا)، الْإِنْتِصَافُ: شَمَرُ الزَّمْخَشَرِيِّ هَارِبًا مِنَ الْحَقِّ، وَتَجَرَّأَ عَلَى نَفْيِ مَا نَسَبَهُ اللَّهُ أَتْبَاعًا لَهَا<sup>(٣)</sup>.

قَوْلُهُ: (وَأَفْحَمْتُهُ)، الْجَوْهَرِيُّ: كَلَّمْتُهُ حَتَّى أَفْحَمْتُهُ، أَيْ: أَسَكَمْتُهُ، وَأَفْحَمْتُهُ أَيْ: وَجَدْتُهُ مُفْصِحًا لَا يَقُولُ الشُّعْرَ.

قَوْلُهُ: (أَوْ مِنْ: أَغْفَلَ إِبِلَهُ؛ إِذَا لَمْ يَجْعَلْ لَهَا وَسْمًا<sup>(٤)</sup>)، الْإِنْتِصَافُ: هَذَا يُمَكِّنُ مَعَ خَلْقِ الْعَفْلَةِ، فَلَا ضَرُورَةَ إِلَى صَرْفِ اللَّفْظِ عَنْ ظَاهِرِهِ<sup>(٥)</sup>.

(١) لِلنَّبَاغَةِ الذِّيْبَانِي فِي «دِيْوَانِهِ»، ص ١٨.

(٢) فِي (ط): «وَلَا تَشَاغَلَ».

(٣) «الْإِنْتِصَافُ بِحَاشِيَةِ الْكِشَافِ» (٢: ٧١٨).

(٤) كَذَا فِي الْأَصُولِ الْخَطِيئَةِ، وَفِيهِ اخْتِلَافٌ عَمَّا فِي «الْكَشَافِ».

(٥) انصدر السابق (٢: ٧١٨).

الذين كَتَبْنَا فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ، وَقَدْ أَبْطَلَ اللَّهُ تَوْهَمَ الْمُجْبِرَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ﴾،  
وَقُرِّي: (أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ) بِإِسْنَادِ الْفِعْلِ إِلَى الْقَلْبِ عَلَى مَعْنَى: حَسِبْنَا قَلْبَهُ غَافِلِينَ، مِنْ:

قَوْلُهُ: (وَقَدْ أَبْطَلَ اللَّهُ تَوْهَمَ الْمُجْبِرَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ﴾) حَيْثُ أَسْنَدَ الْإِتْبَاعَ إِلَيْهِمْ،  
وَعَطَفَ بِالْوَاوِ وَلَمْ يُرْتَبْ عَلَيْهِ بِالْفَاءِ، فَذَلَّ عَلَى الْإِسْتِقْلَالِ، وَأَتَمَّ بِأَنْفُسِهِمْ يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ،  
وَلَيْسَ ﴿أَغْفَلْنَا﴾ سَبَبًا فِي الْإِتْبَاعِ.

الانتصاف: قَدَّمَ وَجْهَ نِسْبَةِ فِعْلِ الْعَبْدِ إِلَى نَفْسِهِ، لِكَوْنِهِ مَقْرُونًا بِقُدْرَتِهِ، وَإِلَى اللَّهِ لِكَوْنِهِ  
مُوجِدًا لَهُ، فَأَدِلَّةُ السُّنَّةِ تَتَّبِعُهُ حَيْثُ سَلَكَ لَا مَحِيصَ لَهُ عَنْهَا<sup>(١)</sup>.

وَقُلْتُ: يُمَكِّنُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الْعَطْفَ مِنْ أَسْلُوبِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ  
عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [النمل: ١٥] عَلَى رَأْيِ صَاحِبِ «الْمِفْتَاحِ»<sup>(٢)</sup> أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ خَلَقَ  
قُلُوبَهُمْ مَخْتُومًا عَلَيْهَا وَجَعَلَ فِيهَا الْعَقْلَةَ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُمْ اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ، وَلَمْ يُرْتَبِ الثَّانِي  
عَلَى الْأَوَّلِ تَفْوِيضًا لِاسْتِفَادَتِهِ إِلَى فَهْمِ السَّامِعِ، أَوْ مِنَ الْإِضْهَارِ، كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمُصَنِّفُ فِي  
تِلْكَ الْآيَةِ، أَي: جَعَلْنَا قَلْبَهُ غَافِلًا عَنِ الذِّكْرِ فَضَلَّ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ، كَمَا قَالَ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ  
وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾، فَعَمِلَا بِهِ وَعَلِمَا<sup>(٣)</sup> النَّاسَ وَعَرَفَا حَقَّ النِّعْمَةِ ﴿وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [النمل: ١٥].

قَوْلُهُ: (وَقُرِّي: «أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ»)، قَالَ ابْنُ جَنِّي: قَرَأَهَا عَمْرُو بْنُ فَاثِدٍ<sup>(٤)</sup>، يُقَالُ: أَغْفَلْتُ  
الرَّجُلَ، وَجَدْتُهُ غَافِلًا<sup>(٥)</sup>.

(١) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٢: ٧١٨).

(٢) «مفتاح العلوم»، ص ١٢٣.

(٣) في (ح): «وعرفا».

(٤) أبو علي الأسواري البصري، عمرو بن فائد بالفاء. روي عنه غير ما حريف من القراءات. روى عنه  
حسان بن محمد الضرير وغيره. له ترجمة في «غاية النهاية في طبقات القراء» لابن الجزري (١: ٢٦٨).

(٥) «المحتسب» (٢: ٢٨) وزاد ابن جني: فإن قيل: فكيف يجوز أن يجده الله غافلاً؟ قيل: لما فعل أفعال  
من لا يرتقب ولا يخاف صار كأن الله سبحانه غافل عنه، وعلى هذا وقَعَ النفي عن هذا الموضع فقال:  
﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤] أي: لا تظنوا الله غافلاً عنكم... فكانه قال: «ولا تطع من  
ظننا غافلين عنه» انتهى.

أَغْفَلْتُهُ؛ إِذَا وَجَدْتُهُ غَافِلًا، ﴿فُرُطًا﴾ مُتَقَدِّمًا لِلْحَقِّ وَالصَّوَابِ نَابِذًا لَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿فَرَسٌ فُرُطٌ﴾ مُتَقَدِّمٌ لِلخَيْلِ.

[﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [٢٩].

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: ﴿الْحَقُّ﴾ خبرٌ مبتدأٌ محذوف، والمعنى: جاء الحق وزاغت

قوله: ﴿الْحَقُّ﴾: خبرٌ مبتدأٌ محذوف، أي: هو الحق، كذا قُدِّرَ في «آل عمران»، والخبرُ هو العاملُ في الظرفِ. فإن قلت: ما دَعَاهُ إلى هذا؟ ولم لم يجعل ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ الخبرَ؟ ومع ذلك كيف قال: جاء الحق؛ فإنه ليس بمقتضى التقدير؟

قلت: دَعَاهُ مجيءُ قوله: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ كالفعلِ لِمَا ذَكَرَ مِنْ مُفْتَحِ السُّورَةِ أَوْ جَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، ثُمَّ تَرْتَبَ مَا بَعْدَهُ بِالْفَاءِ عَلَيْهِ، فَالضَّمِيرُ الْمُقَدَّرُ بِمَنْزِلَةِ اسْمِ الإِشَارَةِ، وَمِنْ ثَمَّ قَدَّرَ الْوَاحِدِيُّ: أَي: هَذَا الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ<sup>(١)</sup>، قَالَ الزَّجَّاجُ: الَّذِي آتَيْكُمْ بِهِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ<sup>(٢)</sup>، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: مَا جِئْتُكُمْ بِهِ مِنْ حَدِيثِ الْكِتَابِ الْقَوِيمِ الْمَعْرَى عَنْ كُلِّ الْاِعْوِجَاجِ، الظَّاهِرِ الْإِعْجَازِ، الْكَاشِفِ عَنِ الْمَغْيِبَاتِ، الْمَحْتَوِي عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، الْمُزِيحِ لِلْعَلَلِ وَالْأَعْدَارِ، الْمُزِيلِ لِلرَّيْبِ وَالشُّبُهَاتِ - حَقٌّ وَاجِبٌ نَابِتٌ مِنَ الرَّبِّ الْمَالِكِ الرَّحِيمِ، ثُمَّ رَتَّبَ عَلَيْهِ وَعَيْدٌ مَنْ كَابَرَ عَقْلَهُ<sup>(٣)</sup> وَعَانَدَ رَبَّهُ، وَدَفَعَ الْحَقَّ الصُّرَاحَ، وَوَعَدَ مَنْ أَدْعَنَ لِلْحَقِّ وَأَمَّنَ وَعَمِلَ بِمُقْتَضَاهُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾، وَعَلَّلَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ. وَيُؤَيِّدُ هَذَا التَّأْوِيلَ مَا ذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ: قَالَ: قَالَ مُجَاهِدٌ وَالسُّدِّيُّ: قَوْلُهُ: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ وَعَيْدٌ مِنَ اللَّهِ وَإِنْدَارٌ، وَقَدْ بَيَّنَّ

(١) «الوسيط» للواحدِي (٣: ١٤٦).

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» (٣: ٢٨١).

(٣) في (ح) و(ف): «عَقْلَةً»، وهو تصحيف.

العِلْلُ فلم يبقَ إلا اختيارُكم لأنفسِكُم ما شتُم من الأخذِ في طريقِ النجاةِ أو في طريقِ الهلاكِ. وجيءَ بلفظِ الأمرِ والتخييرِ، لأنه لما مُكِّنَ من اختيارِ أيِّها شاء، فكانه مُخَيَّرٌ مأمورٌ بأن يتخَيَّرَ ما شاء من النَّجْدَيْنِ. شُبِّهَ ما يحيطُ بهم من النَّارِ بالسُّرَادِقِ، وهو الحُجْزَةُ التي تكونُ حولَ الفُسطاطِ، وبيتٌ مُسَرَّدَقٌ: ذو سُرَادِقِ، وقيل: هو دخانٌ

بعده ما لكلِّ فريقٍ من مؤمنٍ وكافرٍ، فقال: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا﴾ ﴿الآيات (١)﴾، فظهر أن قوله: ﴿جَاءَ الْحَقُّ﴾، وزاحتِ العِلْلُ «تحريرٌ للمعنى وتلخيصٌ له. والله أعلم.

قوله: (وجيءَ بلفظِ الأمرِ والتخييرِ؛ لأنه لما مُكِّنَ من اختيارِ أيِّها شاء فكانه مُخَيَّرٌ مأمورٌ بأن يتخَيَّرَ ما شاء من النَّجْدَيْنِ)، قال القاضي: وهو لا يقتضي استقلالَ العبدِ بفعله، فإنه وإن كانَ بمشيئته فمشيئته ليست بمشيئة (٢). المعنى: لا أبالي بإيمانٍ من آمنَ وكُفِرَ مَنْ كَفَرَ. وقال الزجاجُ: هذا الكلامُ ليسَ بأمرٍ لهم، ما فعلوه منه فهم فيه مُطيعونَ ولكنه كلامٌ فيه وعيدٌ وإنذارٌ (٣).

قوله: (بالسُّرَادِقِ، وهو الحُجْزَةُ (٤)). الرَّاغِبُ: فارسيٌّ مُعَرَّبٌ، وليسَ في كلامهم اسمٌ مفردٌ ثالته ألفٌ وبعده حرفان، قال تعالى: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾، وقيل: مُسَرَّدَقٌ: مجعولٌ على هيئةِ السُّرَادِقِ (٥).

(١) «الوسيط» للواحيدي (٣: ١٤٦).

(٢) «أنوار التنزيل» (٣: ٤٩٤).

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» (٣: ٢٨١). زاد الزجاجُ: وقد بيَّنَّ بعده ما لكلِّ فريقٍ من مؤمنٍ وكافرٍ.

(٤) في الأصول الخطية: «الحجرة» بالراء، وكذا هو في نصِّ «الكشاف» من (ط)، وكذا في بعض النسخ المطبوعة من «الكشاف»، وأثبت ما يوافق الأصل الخطي من «الكشاف»، وهو الصواب، والمراد: الحاجز الذي يحيط بالخيمة يمنع الوصول إليها، كما في «التحرير والتنوير» (١٥: ٣٠٨).

(٥) «مفردات القرآن»، ص ٤٠٦. وإلى القول بكونه فارسيًّا معرَّبًا ذهب الجواليقي في «المعرب من الكلام الأعجمي»، ص ٢٠٠ وعلَّق عليه العلامة أحمد محمد شاكر بقوله: «والكلمة قرآنية... ولم يزعم أحدٌ - فيما رأيتُ - أنها معرَّبة إلا الجواليقي والرَّاغِبُ في «المفردات»، والكلمة عربية، قال ابنُ دُرَيْدٍ في «الجمهرة» (٣: ٣٣٢): «وسَرَّدَقُ البيت: جعلَ له سُرَادِقًا»، وذكر شاهدًا من بيتِ الأعشى. انتهى كلامه.

يَحِيطُ بِالْكَفَّارِ قَبْلَ دُخُولِهِمُ النَّارَ، وَقِيلَ: حَائِطٌ مِنْ نَارٍ يُطِيفُ بِهِمْ، ﴿يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾ كَقَوْلِهِ:

.....فَاعْتَبُوا بِالصَّيْلَمِ

وفيه تهكم. والمهْلُ: ما أُذِيبَ من جواهرِ الأرض. وقيل: دُرْدِيُّ الزَّيْتِ، ﴿يَسْئُرِي أَلْوَجُوهَ﴾ إِذَا قُدِّمَ لِشُرْبِ انشَوَى الوجهُ من حرارته. عن النبي ﷺ: «هو كَعَكْرِ الزَّيْتِ، فَإِذَا قُرَّبَ إِلَيْهِ سَقَطَتْ فِرْوَةٌ وَجِهَهُ»، ﴿بِئْسَ الشَّرَابُ﴾ ذلك، ﴿وَسَاءَتْ﴾ النَّارُ ﴿مُرْتَفَقًا﴾ مُتَكِنًا مِنَ الْمِرْفَقِ، وَهَذَا لِمُشَاكَلَةِ قَوْلِهِ: ﴿وَحَسَنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٣١]، وَإِلَّا

قَوْلُهُ: (فَاعْتَبُوا بِالصَّيْلَمِ) أَوْلُهُ:

غَضِبْتَ تَمِيمٌ أَنْ تُقْتَلَ عَامِرٌ يَوْمَ النَّسَارِ.....<sup>(١)</sup>

«النَّسَارُ»<sup>(٢)</sup> بَكْسِرُ النَّوْنِ: مَاءٌ لِبَنِي عَامِرٍ. وَ«الصَّيْلَمُ»: الدَّاهِيَةُ وَالْأَمْرُ الْعَظِيمُ. «أَعْتَبُوا» أَي: أَرْضُوا. جَعَلَ الدَّاهِيَةَ لَهُمْ مَكَانَ الْعِتَابِ الَّذِي يَجْرِي بَيْنَ الْأَحْبَةِ. قَوْلُهُ: (كَعَكْرِ الزَّيْتِ)، الْحَدِيثُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ<sup>(٣)</sup>، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ. النَّهْيَةُ: الْعَكْرُ: الدَّنَسُ وَالذَّرَنُ.

قَوْلُهُ: (﴿مُرْتَفَقًا﴾: مُتَكِنًا، مِنَ الْمِرْفَقِ). الْجَوْهَرِيُّ: بَاتَ مُرْتَفَقًا، أَي: مُتَكِنًا عَلَى مِرْفَقِ يَدِهِ. وَالْمِرْفَقَةُ بِالْكَسْرِ: الْمِحْدَةُ.

قَوْلُهُ: (وَهَذَا لِمُشَاكَلَةِ قَوْلِهِ: ﴿وَحَسَنَتْ مُرْتَفَقًا﴾)، أَرَادَ أَنَّ الْآيَةَ الثَّلَاثَةَ مُقَابِلَةٌ لِهَذِهِ، وَهِيَ مُفْصَلَةٌ بِذِكْرِ الْإِرْتِفَاقِ، فَأَوْجَبَ بِمَوْجِبِ الْمُشَاكَلَةِ الْمُجَاوِبَةَ بَيْنَ الْقَرِينَتَيْنِ وَإِنْ تَأَخَّرَ

(١) لِبَيْشَرَ بْنِ أَبِي خَازِمٍ فِي دِيْوَانِهِ، ص ١٩١. وَقَبْلَهُ:

سَائِلٌ تَمِيمًا فِي الْحُرُوبِ وَعَامِرًا وَهَلِ الْمُجَرَّبُ مِثْلُ مَنْ لَمْ يَعْلَمْ

(٢) لَفْظَةُ «النَّسَارُ» سَقَطَتْ مِنْ (ج) وَ(ف).

(٣) «سِنَنُ التِّرْمِذِيِّ» (٢٥٨١)، وَأَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (١١٦٧٢)، وَأَبُو يَعْلَى (١٣٧٥)، وَغَيْرِهِمْ بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ فِيهِ رِشْدِينَ بْنِ سَعْدٍ مُتَكَلِّمٌ فِيهِ، وَأَبُو السَّمْحِ دِرَاجٌ يُضَعِّفُ فِي رِوَايَتِهِ.



فَلَا ارْتِفَاقٌ لِأَهْلِ النَّارِ وَلَا اتِّكَاءٌ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ قَوْلِهِ:

إِنِّي أَرِقْتُ فِيتُ اللَّيْلِ مُرْتَفِقًا      كَأَنَّ عَيْنِي فِيهَا الصَّابُ مَذْبُوحٌ

[﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا \* أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نَبْعَ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ مُرْتَفِقًا﴾ ٣٠ - ٣١]

﴿أُولَئِكَ﴾ خبرٌ «إن»، و﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ اعتراض، ولك أن تجعل ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ و﴿أُولَئِكَ﴾ خبرين معاً. أو تجعل ﴿أُولَئِكَ﴾ كلاماً مستأنفاً بياناً للأجر المبهم. فإن قلت: إذا جعلت ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ خبراً، فأين الضمير الراجع منه إلى المبتدأ؟ قلت: ﴿مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ و﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يتنظمهما معنى واحد، فقام: ﴿مَنْ أَحْسَنَ﴾ مقام الضمير. أو أردت: من أحسن عملاً منهم، فكان كقولك: السمن متوان بدرهم. (من) الأولى: للابتداء، والثانية: للتبيين، وتنكير

المتبوع عن التابع، ولولا المشاكلة كان إثبات ﴿مُرْتَفِقًا﴾ للكفار على سبيل التهكم كإثبات ﴿يَعَانُوا﴾ لهم.

قوله: (إلا أن يكون من قوله): أي: هذا من المشاكلة، إلا أن يراد معنى قول الشاعر، وذلك أن ﴿مُرْتَفِقًا﴾ وكأن عيني إلى آخره: حالان مترادفان. ودلت الثانية على أن الأولى محمولة على غير المتعارف، جعل بالادعاء أفراد جنس المتكأ نوعين، على نحو قوله: تحية بينهم ضربٌ وجميع<sup>(١)</sup>.

فالمنى إن صحَّ: أن تكون النار متكأ، فكان المتكأ ذاك.

قوله: (إني أرقْتُ): سهرتُ، و«الصابُ»: شجرة لها لبن إذا أصاب العين خلبها. الجوهري: الصابُ: عصارَةُ شجرٍ مرّ.

(١) سبق تخريجه.

﴿أَسَاوِرَ﴾ لإبهام أمرها في الحُسن. وجمع بين السُّنْدُسِ وهو ما رُقِّ من الدِّيَّاج، وبين الإِسْتَبْرَقِ وهو الغليظ منه، جمعاً بين النوعين، وخصَّ الاتِّكَاء؛ لأنه هيئةُ المنعمين والملوكِ على أَسِرَّتِهِمْ.

﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا \* كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمِ مَتَهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا \* وَكَانَ لَهُ شَمْرُقًا لِيَصْحَبَهُ وَهُوَ يَحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفْرًا﴾ [٣٢ - ٣٤]

﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ﴾ أي: ومثل حال الكافرين والمؤمنين، بحال رجلين وكانا أخوين في بني إسرائيل: أحدهما كافرٌ اسمه قَطْرُوس، والآخر مؤمنٌ اسمه يَهُودَا، وقيل: هما المذكوران في سورة ﴿وَالصَّفَّاتِ﴾ في قوله: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ [الصافات: ٥١]، ورتنا من أبيهما ثمانية آلاف دينار، فتشاطرها، فاشتري الكافر أرضاً بألف، فقال المؤمن: اللهم إن أخي اشتري أرضاً بألف دينار، وأنا اشتري منك أرضاً في الجنة بألف، فتصدق به. ثم بنى أخوه داراً بألف، فقال: اللهم إنني اشتري منك داراً في الجنة بألف، فتصدق به. ثم تزوج أخوه امرأة بألف، فقال: اللهم إنني جعلت ألفاً صداقاً للحور، ثم اشتري أخوه خدماً ومتاعاً بألف، فقال: اللهم إنني اشتريت منك الولدان المخلدين بألف، فتصدق به، ثم أصابته حاجة، فجلس لأخيه على طريقه فمرَّ به في حشمه، فتعرض له، فطرده ووبَّخه على التصدقِ بإله.

قوله: ﴿﴿أَسَاوِرَ﴾﴾. الرَّاغِبُ: سوارُ المرأة: مُعَرَّبٌ، وأصله دِسْتَوَارُه، وكيف ما كان فقد استعمله العربُ، واشتقَّ منه: سَوَّرْتُ الجاريةَ، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَلْفِي عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ﴾ [الزخرف: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَحُلُّوْاْ أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ٢١]، واستعمال أسورة في الذهبِ وتخصيُّصها بقوله: ﴿أَلْفِي﴾، واستعمالها في الفضة وتخصيُّصها به بقوله: ﴿حُلُّوْاْ﴾ فائدة، فليتأمل<sup>(١)</sup>.

(١) «مفردات القرآن»، ص ٤٣٣.

وقيل: هُما مثلُ لأخوينِ من بني مخزوم: مؤمنٌ وهو أبو سلمةَ عبدُ الله بنُ عبدِ الأسد، وكان زَوْجَ أمِّ سلمةَ قبلَ رسولِ الله ﷺ. وكافرٌ وهو الأسودُ بنُ عبدِ الأسد.

﴿جَنَّيْنٍ مِّنْ أَعْنَبٍ﴾ بُسْتَانَيْنِ مِنْ كُرُومٍ، ﴿وَحَقَّقْنَاهُمْ يُخَلِّ﴾ وجعلنا النَّخْلَ مُحِيطًا بِالْجَنَّتَيْنِ، وهذا مما يُؤثِرُهُ الدَّهَاقِينِ فِي كُرُومِهِمْ: أَنْ يَجْعَلُوهَا مُؤَزَّرَةً بِالأَشْجَارِ المُثْمِرَةِ، يُقَالُ: حَقَّقُوهُ؛ إِذَا أَطَافُوا بِهِ، وَحَقَّقْتُهُ بِهِمْ؛ أَي: جَعَلْتُهُمْ حَافِينَ حَوْلَهُ، وَهُوَ مُتَعَدٌّ إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ، فَتَزِيدُهُ البَاءُ مَفْعُولًا ثَانِيًا، كَقَوْلِكَ: عَشِيْبُهُ وَعَشِيْبَتُهُ بِهِ، ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ جَعَلْنَاهَا أَرْضًا جَامِعَةً لِلْأَقْوَاتِ وَالْفَوَاكِهِ. وَوَصَفَ العِمَارَةَ بِأَنَّهَا مُتَوَاصِلَةٌ مُتَشَابِكَةٌ لَمْ يَتَوَسَّطْهَا مَا يَقْطَعُهَا وَيَفْصِلُ بَيْنَهَا، مَعَ الشَّكْلِ الحَسَنِ وَالتَّرْتِيبِ الأَنِيقِ، وَنَعْتَهُمَا بِوَفَاءِ الثَّمَارِ وَتَمَامِ الأَكْلِ مِنْ غَيْرِ نَقْصٍ، ثُمَّ بِمَا هُوَ أَصْلُ الخَيْرِ وَمَادَّتُهُ مِنْ أَمْرِ الشَّرْبِ، فَجَعَلَهُ أَفْضَلَ مَا يُسْقَى بِهِ، وَهُوَ .....

قوله: (عبدُ الله بنُ عبدِ الأسد) بالشَّيْنِ المُعْجَمَةِ. وَفِي «الْجَامِعِ»: هُوَ أَبُو سَلْمَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الأَسَدِ بْنِ هَلَالِ المُخْزُومِيِّ، الأَسَدُ، بِالشَّيْنِ المُهْمَلَةِ<sup>(١)</sup>. وَفِي «الاسْتِيعَابِ»: هُوَ زَوْجُ أُمِّ سَلْمَةَ قَبْلَ النَّبِيِّ ﷺ<sup>(٢)</sup>.

قوله: (مؤزرة بالأشجار). الأَسَاسُ: وَمَنْ المَجَازِ: الزَّرْعُ يُؤَازِرُ بَعْضُهُ بَعْضًا؛ إِذَا تَلَاحَقَ وَالتَّفَّ، وَتَآزَرَ النَّبْتُ<sup>(٣)</sup>.

قوله: (من أمرِ الشَّرْبِ): بَيَانُ مَا هُوَ أَصْلُ الخَيْرِ. الشَّرْبُ: يُرْوَى بِكسْرِ الشَّيْنِ. الجَوْهَرِيُّ: شَرِبَ المَاءَ وَغَيْرَهُ شُرْبًا، وَقُرِيَ: ﴿فَشَرِبُوا شَرْبَ الأَهِيرِ﴾ [الوَاقِعَةُ: ٥٥] بِالْوَجْهِ الثَّلَاثَةِ. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: بِالفَتْحِ: المِصْدَرُ، وَبِالضَّمِّ وَالكسْرِ: اسْمَانِ. وَهَاهُنَا: اسْمٌ<sup>(٤)</sup>.

(١) «جامع الأصول» (١٢: ٤٨٦).

(٢) «الاستيعاب» (٣: ٩٣٩).

(٣) وَفِي (ح): «البيت»، وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٤) قوله: «وهاهنا: اسمٌ» سَقَطَ مِنْ (ف).

السَّيْحُ بالنَّهْرِ الجَارِي فِيهَا. وَالْأَكْلُ: الثَّمَرُ. وَقُرئَ بِضَمِّ الكَافِ، ﴿وَلَمْ تَظَلِمِ﴾ ولم تنقص. و﴿ءَأَنْتَ﴾ حَمَلٌ عَلَى اللفظ؛ لِأَنَّ ﴿كَلْتَا﴾ لفظُهُ لفظٌ مُفْرَدٌ، وَلَوْ قِيلَ: آتْنَا عَلَى المَعْنَى: لَجَازٌ، وَقُرئَ: (وَفَجَّرْنَا) عَلَى التَّخْفِيفِ، وَقَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ: (كُلُّ الْجَنَّتَيْنِ آتَى أَكْلَهُ)

وهذا المعنى يَنْظُرُ إِلَى مَا قَالَ فِي «البقرة» فِي قَوْلِهِ: ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٢٥]، وَلَوْلَا أَنَّ المَاءَ الجَارِيَّ مِنَ النِّعْمَةِ العُظْمَى واللَّذَّةِ الكَبْرَى، وَأَنَّ الجِنَانَ والرِّيَاضَ، وَإِنْ كَانَتْ أَتْقَى شَيْءٍ وَأَحْسَنُهُ لَا تَرُوقُ النَوَاطِرَ وَلَا تُبْهِجُ الأنفُسَ حَتَّى يَجْرِيَ فِيهَا المَاءُ، ثُمَّ قَوْلُهُ: «فَجَعَلَهُ أَفْضَلَ مَا يُسْقَى بِهِ، وَهُوَ السَّيْحُ بالنَّهْرِ» إِشَارَةٌ إِلَى فَائِدَةِ تَخْصِيسِ ذِكْرِ النَّهْرِ وَأَنَّهُ تَمِيمٌ للمَعْنَى، وَتَرْتِيبُهُ لِلْفَائِدَةِ المَطْلُوبَةِ.

قَوْلُهُ: (السَّيْحُ بالنَّهْرِ الجَارِي). الأَسَاسُ: سَاحَ المَاءُ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ سَيْحًا، وَمَاءٌ سَائِحٌ، وَأَسَاحَ فُلَانٌ مَهْرًا: أَجْرَاهُ.

قَوْلُهُ: (لِأَنَّ ﴿كَلْتَا﴾ لفظُهُ لفظٌ مُفْرَدٌ<sup>(١)</sup>)، وَلَوْ قِيلَ: آتْنَا، عَلَى المَعْنَى: لَجَازٌ. قَالَ الحَرِيرِيُّ فِي «دُرَّةِ الغَوَاصِ»: يَقُولُونَ: كَلَا الرَّجُلَيْنِ خَرَجَا، وَكَلْتَا المَرَاتَيْنِ حَضَرَتَا، وَالاخْتِيارُ أَنَّ يُوَحِّدُ الخَبَرَ فِيهِمَا؛ لِأَنَّ كَلْتَا وَكَلْتَي: اسْمَانِ مُفْرَدَانِ وَوَضِعَا لِتَأْكِيدِ الاثْنَيْنِ وَالاثْنَتَيْنِ، وَبِهَذَا نَطَقَ التَّنْزِيلُ: ﴿كَلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَأَنْتَ أَكْلَهُمَا﴾، وَعَلَيْهِ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

كَلَانَا يُنَادِي يَا نِزَارُ وَبَيْنَنَا قَنَا مِنْ قَنَا الحَطِطِيِّ أَوْ مِنْ قَنَا الهِنْدِ<sup>(٢)</sup>

حَيْثُ لَمْ يَقُلْ: يُنَادِيانِ. وَقَالَ الأَخْرُ:

كَلَانَا غَنِيٌّ عَنِ أُخِيهِ حَيَاتِهِ وَنَحْنُ إِذَا مِتْنَا أَشَدُّ تَغَانِيَا<sup>(٣)</sup>

حَيْثُ لَمْ يَقُلْ: غَنِيَّانِ، فَإِنَّ وَجِدَ فِي الأَشْعَارِ تَثْنِيَةَ الخَبَرِ عَنِ «كَلَا» وَ«كَلْتَا» فَهُوَ مِمَّا حَمَلَ

(١) فِي (ط): «لِأَنَّ ﴿كَلْتَا﴾ لفظُهُ مُفْرَدٌ»، وَفِي (ح) وَ(ف): «لِأَنَّ ﴿كَلْتَا﴾ لفظٌ مُفْرَدٌ»، وَجَمَعَتْ بَيْنَهُمَا مُوَافَقَةُ لَلْفِظِ «الكِشَاف».

(٢) لِلْعَدِيلِ بنِ الفَرُخِ العِجْلِيِّ. انظُر: «ديوان الحِمَاسَةِ» بِشرحِ المَرْزُوقِيِّ (١: ٢٢٦).

(٣) لِلْمَغِيرَةِ بنِ حَبْنَاءِ التَّمِيمِيِّ. انظُر: «لسانِ العَرَبِ» (غَنِي).

بَرَدُ الضَّمِيرِ عَلَى «كُلِّ»، ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ﴾ أَي: أَنْوَاعٍ مِنَ الْمَالِ، مِنْ: ثَمَرَ مَالَهُ؛ إِذَا كَثُرَ. وَعَنْ مُجَاهِدٍ: الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ، أَي: كَانَتْ لَهُ إِلَى الْجَنَّتَيْنِ الْمُوصَفَتَيْنِ الْأَمْوَالُ الدَّيْرَةُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَغَيْرَهُمَا، وَكَانَ وَافِرَ الْيَسَارِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ، مُتَمَكِّنًا مِنْ عِمَارَةِ الْأَرْضِ كَيْفَ شَاءَ، ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ يَعْنِي: أَنْصَارًا وَحَشَمًا. وَقِيلَ: أَوْلَادًا ذَكَورًا؛ لِأَنَّهُمْ يَنْفِرُونَ مَعَهُ دُونَ الْإِنَاثِ، ﴿يُحَاوِرُهُ﴾ يُرَاجِعُهُ الْكَلَامَ، مِنْ: حَارَ يَحْوِرُ؛ إِذَا رَجَعَ، وَسَأَلْتُهُ فَمَا أَحَارَ كَلِمَةً.

على المعنى أو لصورة<sup>(١)</sup> الشعر<sup>(٢)</sup>.

قوله: (الدَّيْرَةُ). الأساس: وهو يتدثر بالمال، وماله دثر، وذهب أهل الدثور بالأجور<sup>(٣)</sup>.  
النهاية: الدثر: المال الكثير، يقع على الواحد والاثنتين والجمع.

قوله: (من: حَارَ يَحْوِرُ؛ إِذَا رَجَعَ). الرَّاعِبُ: الْحَوْرُ: التَّرْدُّدُ إِمَّا بِالذَّاتِ أَوْ بِالتَّفَكُّرِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحْوِرَ﴾ [الانشقاق: ١٤]، أَي: لَنْ يُبْعَثَ، وَحَارَ فِي الْغَدِيرِ: تَرَدَّدَ فِيهِ، وَحَارَ فِي أَمْرِهِ تَحَيَّرَ، وَمِنْهُ الْمِحْوَرُ: لِلْعُودِ الَّذِي تَجْرِي عَلَيْهِ الْبَكْرَةُ لِتَرَدُّدِهِ، وَبِهَذَا النَّظَرُ قِيلَ: «سَيْرُ السَّوَانِي أَبَدًا لَا يَنْقَطِعُ»<sup>(٤)</sup>، وَمِحَارَةُ الْأُذُنِ: لظَاهِرِهِ الْمُتَقَعِرُ: تَشْبِيهًا بِمِحَارَةِ الْمَاءِ، لِتَرَدُّدِ الْهَوَاءِ بِالصَّوْتِ فِيهِ كَتَرَدُّدِ الْمَاءِ فِي الْمِحَارَةِ، وَالْقَوْمُ فِي مِحْوَرٍ، أَي: تَرَدَّدُوا إِلَى نُقْصَانٍ. وَقِيلَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْحَوْرِ بَعْدَ الْكُورِ<sup>(٥)</sup>، أَي: مِنَ التَّرَدُّدِ فِي الْأَمْرِ بَعْدَ الْمَضِيِّ فِيهِ، أَوْ مِنْ نُقْصَانٍ وَتَرَدُّدٍ فِي الْحَالِ بَعْدَ الزِّيَادَةِ فِيهَا. وَقِيلَ: حَارَ بَعْدَ مَا كَارَ، وَالْمِحَاوِرَةُ وَالْحَوَارُ: الْمُرَادَةُ فِي الْكَلَامِ، وَمِنْهُ التَّحَاوُرُ، وَكَلِمَتُهُ فَمَا رَجَعَ إِلَيَّ حَوَارًا أَوْ حَوِيرًا أَوْ مِحْوَرَةً، وَالْحَوْرُ: جَمْعُ أَحْوَرٍ وَحَوْرَاءَ<sup>(٦)</sup>.

(١) في (ط): «فهو مما حمل على ضرورة».

(٢) «درة الغواص»، ص ١٢٣.

(٣) قوله: «ذهب أهل الدثور بالأجور» هو جزء من حديث أخرجه البخاري (٨٤٣)، ومسلم (٥٩٥)، وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وانظر تمام تحريجه في «مسند الإمام أحمد» (٧٢٤٣).

(٤) السواني جمع سانية، وهي الناقه تحمل عليها الماء دائما فهي أبدا في السير، وهو مثل للعرب ذكره الميداني في «مجمع الأمثال» (١: ٣٤٢).

(٥) وهو جزء من حديث السفر، أخرجه مسلم (١٣٤٣)، من حديث عبد الله بن سرجس رضي الله عنه.

(٦) «مفردات القرآن»، ص ٢٦٢. ومن قوله: «ومحارة الأذن» إلى هنا سقط من (ط).

[﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا \* وَمَا أَظُنُّ  
السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٥-٣٦﴾]

يعني: قطروسَ أَخَذَ بِيَدِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ يَطُوفُ بِهِ فِي الْجَنَّتَيْنِ وَيُرِيهِ مَا فِيهِمَا وَيُعَجِّبُهُ مِنْهُمَا وَيَفَاخِرُهُ بِمَا مَلَكَ مِنَ الْمَالِ دُونَهُ. فَإِنْ قَلت: فَلِمَ أَفْرَدَ الْجَنَّةَ بَعْدَ التَّشْنِئَةِ؟ قَلت: مَعْنَاهُ: وَدَخَلَ مَا هُوَ جَنَّتُهُ مَا لَهُ جَنَّةٌ غَيْرُهَا، يَعْنِي: أَنَّهُ لَا نَصِيبَ لَهُ فِي الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُؤْمِنُونَ، فَمَا مَلَكَهُ فِي الدُّنْيَا هُوَ جَنَّتُهُ لَا غَيْرَ، وَلَمْ يَقْصِدِ الْجَنَّتَيْنِ وَلَا وَاحِدَةً مِنْهُمَا، ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ وَهُوَ مُعْجَبٌ بِمَا أُوتِيَ مُفْتَخِرٌ بِهِ كَافِرٌ لِنِعْمَةِ رَبِّهِ، مُعَرِّضٌ بِذَلِكَ

قَوْلُهُ: (مَعْنَاهُ: وَدَخَلَ مَا هُوَ جَنَّتُهُ)، أَي: مَا يُقَالُ لَهُ: إِنَّهُ جَنَّتُهُ. قَالَ الْقَاضِي: الْمُرَادُ مَا هُوَ جَنَّتُهُ، وَهُوَ: مَا مُتَّعَ بِهِ مِنَ الدُّنْيَا تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّهُ لَا جَنَّةَ لَهُ غَيْرُهَا وَلَا حِظًّا لَهُ فِي الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ<sup>(١)</sup>، وَالتَّعْرِيفُ فِيهِ لِلْعَهْدِ الدَّهْنِيِّ، وَ«مَا» مَوْصُولَةٌ مَنْصُوبَةٌ الْمَحَلُّ بِـ «دَخَلَ».

قَوْلُهُ: (مَا لَهُ جَنَّةٌ غَيْرُهَا). الْجُمْلَةُ مُؤَكَّدَةٌ لِمَعْنَى الْأُولَى؛ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ جِنْسُ جَنَّتِهِ هَذَا، لَا يَكُونُ لَهُ غَيْرُهَا. قَالَ صَاحِبُ «الْفَرَائِدِ»: هُنَاكَ الْقَصْدُ إِلَى أَنَّهُ لَهُ كَذَا وَكَذَا، فَلَا بُدَّ مِنْ ذِكْرِ التَّشْنِئَةِ، وَمَا كَانَ بَيْنَهُمَا وَمَا يُضَافُ إِلَيْهِمَا، وَهَاهُنَا الْقَصْدُ إِلَى أَنَّهُ قَالَ وَقْتَ الدَّخُولِ مَا لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَقُولَ، فَلَا افْتِقَارَ إِلَى ذِكْرِ التَّشْنِئَةِ، بَلْ يُكْتَفَى بِهَا يَدُلُّ عَلَى جِنْسِ مَا كَانَ لَهُ، فَالوَاحِدُ وَالتَّشْنِئَةُ سِوَاءٌ بِهَذَا الْاِعْتِبَارِ.

وَقَالَ الْقَاضِي: وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْجَنَّتَانِ لَا تَصَالِ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ جَنَّتَيْهِ بِالْأُخْرَى<sup>(٢)</sup> كَجَنَّةٍ وَاحِدَةٍ، أَوْ يَكُونُ الدَّخُولُ وَاحِدَةً وَاحِدَةً<sup>(٣)</sup>.

قَوْلُهُ: ﴿﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾﴾: وَهُوَ مُعْجَبٌ بِمَا أُوتِيَ مُفْتَخِرٌ بِهِ. قَالَ صَاحِبُ «الْفَرَائِدِ»: هُوَ نَاقِضٌ لِنَفْسِهِ؛ لِأَنَّ مَنْ كَفَرَ النِّعْمَةَ نَقَصَ نَفْسَهُ، بِاِعْتِبَارِ أَنَّ الْكُفْرَانَ يَوْجِبُ فُقْدَانَ

(١) «أنوار التنزيل» (٣: ٤٩٦).

(٢) في النسخ الخطية: «من الأخرى»، وصوبناه من «أنوار التنزيل» للبيضاوي.

(٣) «أنوار التنزيل» (٣: ٤٩٧).

نفسه لسَخَطِ الله، وهو أَفْحَشُ الظُّلْمِ؛ إخباره عن نفسه بالشكِّ في بَيُدُودَةِ جَنَّتِهِ؛ لطولِ أَمَلِهِ، واستيلاءِ الحرصِ عليه، وتَمَادِي غَفْلَتِهِ واغْتِرَارِهِ بِالْمُهْلَةِ، واطِّرَاجِهِ النَّظَرَ فِي عَوَاقِبِ أَمثَالِهِ. وترى أَكْثَرَ الأَغْنِيَاءِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَإِنْ لَمْ يُطْلِقُوا بَنَحْوِ هَذَا أَلَسْتَهُمْ، فَإِنَّ أَلْسِنَةَ أَحْوَالِهِمْ نَاطِقَةٌ بِهِ مُنَادِيَةٌ عَلَيْهِ، ﴿وَلَيْنَ رُدُّدْتُ إِلَى رَبِّي﴾ إقسامٌ منه على أنه إِنْ رُدَّ إِلَى رَبِّهِ عَلَى سَبِيلِ الْفَرَضِ وَالتَّقْدِيرِ وَكَمَا يَزْعُمُ صَاحِبُهُ لِيَجِدَنَّ فِي الآخِرَةِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِهِ فِي الدُّنْيَا، تَطْمَعًا وَتَمَنِّيًّا عَلَى اللَّهِ، وَاذْعَاءً لِكِرَامَتِهِ عَلَيْهِ وَمَكَانَتِهِ عِنْدَهُ، وَأَنَّهُ مَا أَوْلَاهُ الْجَنَّتَيْنِ إِلَّا لِاسْتِحْقَاقِهِ وَاسْتِثْنَائِهِ، وَأَنَّ مَعَهُ هَذَا الْاسْتِحْقَاقَ أَيْنَمَا تَوَجَّهَ، كَقَوْلِهِ: ﴿إِن لِي عِنْدَهُ لِلْحُسْنَى﴾ [فُصِّلَتْ: ٥٠]، ﴿لَا وَتَيْبِكَ مَا لَأَوْلَادًا﴾ [مَرْيَم: ٧٧].....

النَّعْمَةَ، فَكَأَنَّ نَفْسَهُ مَنْقُوصَةٌ، أَوْ لِأَنَّ الْكُفْرَانَ مُؤَدِّ إِلَى الْهَلَاكِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَيْنَ كَفَرْتُمْ إِنَّا عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إِبْرَاهِيم: ٧].

وقلتُ: مرادُ المصنِّفِ أَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ مَحْمُولٌ عَلَى مَعْنَى الظُّلْمِ، وَهُوَ وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، وَكَانَ مِنْ مَوْجِبِ دُخُولِ جَنَّتِهِ وَنَظَرِهِ أَرْضًا جَامِعَةً لِلْأَقْوَاتِ وَالْفَوَاقِحِ مَعَ الشَّكْلِ الْحَسَنِ وَالتَّرْتِيبِ الْأَنْبِيَّ، كَمَا وَصَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنْ يَتَوَاضَعَ لِلَّهِ وَيَشْكُرُهُ عَلَى ذَلِكَ بِمَا يَسْتَطِيعُ مِنْ بَذْلِ الْجُهْدِ وَاسْتِفْرَاحِ الطُّوقِ، فَوَضَعَ مَكَانَ الشُّكْرِ وَالتَّوَاضُعِ الْإِعْجَابَ وَالِافْتِحَارَ وَالكُفْرَانَ، فَعَرَّضَ بِذَلِكَ نَفْسَهُ لِسَخَطِ اللَّهِ وَغَايَةِ الْهَوَانِ وَالنَّكَالِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكذِّبُونَ﴾ [الوَاقِعَةُ: ٨٢]، أَي: تَجْعَلُونَ شُكْرَ رِزْقِكُمْ التَّكْذِيبَ، أَي: وَضَعْتُمْ التَّكْذِيبَ مَوْضِعَ الشُّكْرِ.

قوله: (فِي بَيُدُودَةِ جَنَّتِهِ). الْجَوْهَرِيُّ: بَادَ الشَّيْءُ بَيَّيْدُ بَيِّدًا وَيُبُودَا: هَلَكَ.

قوله: ﴿وَلَيْنَ رُدُّدْتُ إِلَى رَبِّي﴾: إِقْسَامٌ مِنْهُ، أَي: اللَّامُ مُوطَّئَةٌ لِلْقَسَمِ.

قوله: ﴿لَا وَتَيْبِكَ مَا لَأَوْلَادًا﴾ [مَرْيَم: ٧٧]: يَرِيدُ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ يُشْبِهُ قَوْلَ الْعَاصِ بْنِ وَاثِلٍ حِينَ تَقَاضَاهُ خَبَابٌ مَا لَأُ لَهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: لَا، حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ. قَالَ: لَا وَاللَّهِ، لَا

وَقُرَى: (خَيْرًا مِنْهُمَا) رَدًّا عَلَى الْجَنَّتَيْنِ، ﴿مُنْقَلَبًا﴾ مَرَجِعًا وَعَاقِبَةً. وَانْتِصَابُهُ عَلَى التَّمْيِيزِ، أَي: مُنْقَلَبُ تِلْكَ خَيْرٌ مِنْ مُنْقَلَبِ هَذِهِ، لِأَنَّهَا فَانِيَةٌ وَتِلْكَ بَاقِيَةٌ.

﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ

رَجُلًا﴾ [٣٧]

﴿خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ﴾ أَي: خَلَقَ أَصْلَكَ، لِأَنَّ خَلْقَ أَصْلِهِ سَبَبٌ فِي خَلْقِهِ، فَكَانَ خَلْقُهُ خَلْقًا لَهُ ﴿سَوَّكَ﴾ عَدَلَكَ وَكَمَّلَكَ إِنْسَانًا ذَكَرًا بِالغَا مَبْلَغَ الرِّجَالِ. جَعَلَهُ كَافِرًا بِاللَّهِ جَاحِدًا لِأَنْعَمِهِ.....

أَكْفَرُ بِمُحَمَّدٍ حَيًّا وَلَا مَيِّتًا، وَلَا حِينَ تُبْعَثُ. قَالَ: فَإِنِّي إِذَا مِتُّ بُعِثْتُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ<sup>(١)</sup>. قَالَ: فَإِذَا بُعِثْتُ جِئْتَنِي فَيَكُونُ لِي ثُمَّ مَالٌ وَوَلَدٌ فَأَعْطِيكَ<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ: (وَقُرَى: «خَيْرًا مِنْهُمَا»): نَافِعٌ وَابْنُ عَامِرٍ<sup>(٣)</sup>.

قَوْلُهُ: (جَعَلَهُ كَافِرًا بِاللَّهِ)، أَي: جَعَلَ صَاحِبَهُ كَافِرًا بِاللَّهِ بِقَوْلِهِ: ﴿أَكَفَرْتَ﴾ لِأَجْلِ شَكِّهِ فِي الْبَعْثِ، حَيْثُ قَالَ: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَاسِمَةً﴾؛ لِأَنَّ مَنَشَأَةَ الشُّكِّ فِي كِمَالِ قُدْرَةِ اللَّهِ وَفِي كَوْنِهِ عَالِمًا بِالْحَرَكَاتِ، كَمَا يَلْزَمُ مِنْ تَكْذِيبِ الْمُرْسَلِ الْكُفْرُ بِالْمُرْسَلِ، وَفِيهِ تَغْلِيظُ الْإِنْكَارِ الْحَشْرُ. قَالَ الْقَاضِي: وَلِذَلِكَ رَتَّبَ الْإِنْكَارَ عَلَى خَلْقِهِ إِيَّاهُ مِنَ التُّرَابِ، فَإِنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى مَا خَلَقَهُ مِنْهُ قَدَرَ أَنْ يُعِيدَهُ مِنْهُ<sup>(٤)</sup>.

(١) قَوْلُهُ: «نَعَمْ» سَقَطَ مِنْ (ح) وَ(ف).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٢٠٩١)، وَمُسْلِمٌ (٢٧٩٥) وَغَيْرُهُمَا مِنْ حَدِيثِ خُبَّابِ بْنِ الْأُرْتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَلِتِهَامِ الْفَائِدَةِ انظُرْ: «أَسْبَابُ النُّزُولِ» لِلْوَاحِدِيِّ، ص ٣٤٩.

(٣) وَحُجَّتُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى قَبْلَ ذَلِكَ: ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾ [الكهف: ٣٢] فَذَكَرَ جَنَّتَيْنِ، فَكَذَلِكَ

﴿مِنْهُمَا مُنْقَلَبًا﴾ وَقَرَأَ الْبَاقُونَ ﴿مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ بِغَيْرِ مِيمٍ، وَحُجَّتُهُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ

وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾. انْتَهَى مِنْ «حُجَّةِ الْقِرَاءَاتِ»، ص ٤١٦-٤١٧.

(٤) «أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ» (٣: ٤٩٧).



لشكِّهِ فِي البَعْثِ، كَمَا يَكُونُ المَكْذِبُ بِالرَّسُولِ ﷺ كَافِرًا.

﴿لَيْكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [٣٨]

﴿لَيْكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّي﴾ أَصْلُهُ: (لَكِن أَنَا)، فَحُذِفَتِ الهمزةُ وَالْقِيَّتِ حَرَكَتُهَا عَلَى

وَقَلْتُ: إِنَّمَا قَرَنَ المَصْنُفُ قَوْلَهُ: «جَاحِدًا لِأَنعِمِهِ» بِقَوْلِهِ: «كَافِرًا بِاللَّهِ» لِيُؤْذِنَ بِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ﴾ رَدٌّ لِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾، وَلِدخُولِهِ ظَلَمًا لِنَفْسِهِ وَاضْعًا مَوْضِعَ الشُّكْرِ الْإِفْتِخَارِ وَالْإِعْجَابِ كَمَا سَبَقَ، فَجَعَلَ ﴿أَكْفَرْتَ﴾ مُسْتَعْمَلًا فِي الكُفْرِ بِاللَّهِ وَكُفْرَانِ النِّعْمَةِ وَلِكُونِهَا مُتَوَافِقِينَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الْأَحْزَاب: ٥٦] أَوْ فِي القَدْرِ المَشْتَرَكِ، وَهُوَ السَّرُّ وَالتَّغْطِيَةُ، فَكَمَا أَنَّ كَافِرَ النِّعْمَةِ يُجَاوِلُ فِي سَرِّ مَا يَوجِبُ الإِسَادَةَ وَالظُّهُورَ مِنَ النِّعَمِ، كَذَلِكَ الكَافِرُ يُزَاوِلُ فِي لَبْسِ الحَقِّ بِالْبَاطِلِ.

وَقَوْلُهُ: (لَشكِّهِ فِي البَعْثِ) يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَعْلِيلًا لِجَعْلِهِ كَافِرًا بِاللَّهِ، وَأَنْ يَكُونَ لَهُ وَقَوْلُهُ: «جَاحِدًا لِأَنعِمِهِ»؛ لِأَنَّ فِي الإِعَادَةِ نِعْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، وَأَيُّ نِعْمَةٍ لَيْسَتْ فَوْقَهَا نِعْمَةٌ؟

قَوْلُهُ: (﴿لَيْكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّي﴾ أَصْلُهُ: «لَكِن أَنَا»). قَالَ صَاحِبُ «التَّيْسِيرِ»<sup>(١)</sup>: قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ ﴿لَيْكِنَّا﴾ بِإِثْبَاتِ الألفِ فِي الوَضَلِ، وَالبَاقُونَ بِحَذْفِهَا، وَإِثْبَاتُهَا فِي الوَقْفِ إِجْمَاعٌ.

وَقَالَ ابْنُ جَنِّي: قَرَأَ أَبُو بِن كَعْبٌ وَالحَسَنُ: «لَكِن أَنَا»، وَهِيَ أَصْلُ قِرَاءَةِ أَبِي عَمْرٍو وَغَيْرِهِ: ﴿لَكِنَّ هُوَ اللهُ رَبِّي﴾ فَحُفِّفَتْ هَمْزُهُ «أَنَا» بِأَنَّ حُذِفَتْ وَالْقِيَّتِ حَرَكَتُهَا عَلَى مَا قَبْلَهَا فَصَارَتْ «لَكِنَّا» لِكِنَّا، ثُمَّ التَّقَاتِ التَّوَانِ مَتَحَرِّكَتَيْنِ فَأَسْكِنَتِ الأُولَى وَأَدغَمَتْ فِي الثَّانِيَةِ فَصَارَتْ «لَكِنَّ» فِي الإِدْرَاجِ، فَإِذَا وَقَفْتَ أَلْفَ لَبِيَانِ الحِرْكَةِ، فَقُلْتُ: ﴿لَيْكِنَّا﴾ فَ«أَنَا» عَلَى هَذَا: مَرْفُوعٌ بِالابتداءِ، وَخَبْرُهُ: الجُمْلَةُ، وَهِيَ مَرْكَبَةٌ مِنْ مَبْتَدَأٍ وَخَبْرٍ، فَالْمَبْتَدَأُ: ﴿اللهُ﴾، وَالخَبْرُ: ﴿رَبِّي﴾، وَالجُمْلَةُ خَبْرٌ: ﴿هُوَ﴾، وَ﴿هُوَ﴾ وَمَا بَعْدَهُ مِنَ الجُمْلَةِ: خَبْرٌ عَنِ (أَنَا)، وَالعَائِدُ عَلَيْهِ مِنَ الجُمْلَةِ بَعْدَهُ الياءُ فِي ﴿رَبِّي﴾، كَقَوْلِكَ: أَنَا قَامَ غُلَامِي.

(١) يَعْنِي أَبُو عَمْرٍو الدَانِي فِي كِتَابِهِ «التَّيْسِيرِ فِي القِرَاءَاتِ السَّبْعِ»، ص ٩٩، وَلِتِهَامِ الفَائِدَةِ انظُر: «حُجَّةُ القِرَاءَاتِ»، ص ٤١٧.

نونٍ «لكن»، فتلاقت النونان فكان الإدغام، ونحوه قول القائل:

وترمينني بالطرف أي أنت مُذنبٌ      وتقلينني لكن إياك لا أقلي

أي: لكن أنا لا أقليك، وهو ضمير الشأن، والشأن الله ربي، والجملة خبر «أنا»، والراجع منها إليه ياء الضمير. وقرأ ابن عامر بإثبات ألف «أنا» في الوصل والوقف جميعاً، وحسن ذلك وقوع الألف عوضاً من حذف همزة، وغيره لا يثبتها إلا في الوقف. وعن أبي عمرو أنه وقف بالهاء: (لكنه). وقرئ: (لكن هو الله ربي)، بسكون

فإن قلت: فما العائد على ﴿هُوَ﴾ من الجملة بعده التي هي خبر عنه؟ قلت: لا عائد على المبتدأ أبداً إذا كان ضمير الشأن والقصة؛ لأن المبتدأ إنما احتاج إلى العائد من الخبر إذا كانت جملة؛ لأنها ليست هي المبتدأ، نحو<sup>(١)</sup>: زيد قائم أبوه؛ لأن «زيداً» ليس بقولك: «قائم أبوه» في المعنى، فاحتاجت إلى عود ضمير منها عليه ليلتبس ذلك الضمير بجملة. وأما ما نحن بصددده فهو الجملة نفسها<sup>(٢)</sup>.

قوله: (وترمينني بالطرف) البيت<sup>(٣)</sup>، تقلينني: أي: تُبغضينني. قيل: «لكن» وجهه أن يكون أصله: لكنة إياك، على أن الضمير للشأن، ثم حذف. ولو قيل: إن الأصل: لكنني إياك، ثم حذف اسم «لكن» وهو ضمير المتكلم مع نون الوقاية لكان وجهها.

قوله: (وترمينني بالطرف). الأساس: ومن المجاز: رمأه بعينه، ورمأه بالفاحشة.

قوله: (أي: لكن أنا لا أقليك). يريد: أن «إياك» ليس منصوباً بـ«لكن»، وهو ضمير مفعول قُدِّم على عامله، إما للاختصاص أو للقافية.

قوله: (وقرئ: «لكن هو الله ربي»)، قال ابن جني: هي قراءة عيسى الثقفي<sup>(٤)</sup>، و«هو»:

(١) في (ح) و(ف): «يجوز».

(٢) انظر: «المحتسب» (٢: ٢٩-٣٠).

(٣) ذكره البغدادي في «خزانة الأدب» (١: ٢٣٨) من غير عزو لأحد.

(٤) «المحتسب» (٢: ٢٩).

النون وطرح أنا. وقرأ أبي بن كعب: (لكن أنا) على الأصل. وفي قراءة عبد الله: (لكن أنا لا إله إلا هو ربي). فإن قلت: هو استدراك لما إذا؟ قلت: لقوله: ﴿أَكْفَرْتَ﴾ قَالَ لِأَخِيهِ: أَنْتَ كَافِرٌ بِاللَّهِ، لَكِنِّي مُؤْمِنٌ مُوَحَّدٌ، كَمَا تَقُولُ: زَيْدٌ غَائِبٌ، لَكِنَّ عَمْرًا حَاضِرٌ.

[﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ \* فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ \* أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾ [٣٩ - ٤١]

﴿مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ يجوز أن تكون ﴿مَا﴾ موصولة مرفوعة المحل على أنها خبر مبتدأ محذوف، تقديره: الأمر ما شاء الله، أو شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف، بمعنى: أي شيء شاء الله كان. ونظيرها في حذف الجواب: ﴿لَوْ﴾ في قوله: ﴿وَلَوْلَا أَنْ﴾

ضَمِيرُ الشَّانِ، وَالْجُمْلَةُ بَعْدَهُ: خَبْرٌ عَنْهُ.

قوله: (أنت كافر بالله، لكني مؤمن موحد)، هذا تلخيص الكلامين المتغايرين لتصحيح إدخال «لكن» بينهما، وأما اعتبار مفردات التركيب فمفوض إلى الذهن، فقوله: ﴿أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾ مقابل لقوله: ﴿هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾، وقوله: ﴿أَكْفَرْتَ﴾ مقابل لقوله: ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ دَلَّ هَذَا عَلَى التَّوْحِيدِ الصَّرْفِ وَالْإِخْلَاصِ التَّامِّ.

قوله: (أو شرطية منصوبة الموضع). قال أبو البقاء: هي شرطية في موضع نصب بـ ﴿شَاءَ﴾، والجواب محذوف، أي: ما شاء الله كان<sup>(١)</sup>.

قوله: (ونظيرها)، أي: نظير «ما» الشرطية في حذف الجواب: لفظه «لو» في تلك الآية، فـ «نظيرها»: مبتدأ، والخبر: «لو».

(١) «التبيان في إعراب القرآن» (٢: ٨٤٨).

قُرْءَ أَنَا سَتَرْتُ بِهِ الْجِبَالَ ﴿ [الرعد: ٣١]، والمعنى: هَلَّا قَلَّتْ عِنْدَ دُخُولِهَا وَالنَّظْرَ إِلَى مَا رَزَقَكَ اللَّهُ مِنْهَا: الأَمْرُ مَا شَاءَ اللَّهُ، اعْتِرَافًا بِأَنَّهَا وَكُلُّ خَيْرٍ فِيهَا إِنَّمَا حَصَلَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ، وَأَنَّ أَمْرَهَا بِيَدِهِ؛ إِنْ شَاءَ تَرَكَهَا عَامِرَةً وَإِنْ شَاءَ حَرَبَهَا، وَقَلَّتْ: ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ إِقْرَارًا بِأَنَّ مَا قُوِيَتْ بِهِ عَلَى عِبَارَتِهَا وَتَدْبِيرِ أَمْرِهَا إِنَّمَا هُوَ بِمَعُونَتِهِ وَتَأْيِيدِهِ، إِذْ لَا يَقْوَى أَحَدٌ فِي بَدَنِهِ وَلَا فِي مَلِكِ يَدِهِ إِلَّا بِاللَّهِ تَعَالَى. وَعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّهُ كَانَ يَثْلُمُ حَائِطَهُ أَيَّامَ الرُّطْبِ، فَيَدْخُلُ مِنْ شَاءَ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَهُ رَدَّدَ هَذِهِ الْآيَةَ حَتَّى يَخْرُجَ. مَنْ قَرَأَ ﴿أَقْلَ﴾ بِالنَّصْبِ فَقَدْ جَعَلَ ﴿أَنَا﴾ فَضْلًا، وَمَنْ رَفَعَ جَعَلَهُ مُبْتَدَأً وَ﴿أَقْلَ﴾ خَبْرَهُ، وَالجُمْلَةُ مَفْعُولًا ثَانِيًا لـ ﴿تَرَنَّ﴾. وَفِي قَوْلِهِ: ﴿وَوَلَدًا﴾ نُصْرَةٌ لِمَنْ فَسَّرَ النَّفَرَ بِالْأَوْلَادِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف: ٣٤]، وَالْمَعْنَى: إِنْ تَرَنِي أَفْقَرَ مِنْكَ فَأَنَا أَتَوَقَّعُ مِنْ صُنْعِ اللَّهِ أَنْ يَقْلِبَ مَا بِي وَمَا بَكَ مِنَ الْفَقْرِ وَالْغِنَى، فَيَرْزُقَنِي لِإِيْبَانِي جَنَّةَ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ، وَيَسْلُبَكَ لِكُفْرِكَ نِعْمَتَهُ وَيَخْرِبُ بَسْتَانَكَ. وَالْحُسْبَانُ: مُصَدَّرٌ كَالْفُفْرَانِ وَالْبُطْلَانِ، بِمَعْنَى الْحِسَابِ، أَي: مِقْدَارًا قَدَّرَهُ اللَّهُ وَحَسَبَهُ، وَهُوَ الْحَكْمُ بِتَخْرِيْبِهَا. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: عَذَابُ حُسْبَانٍ، وَذَلِكَ الْحُسْبَانُ حِسَابٌ مَا كَسَبَتْ يَدَاكَ. وَقِيلَ: حُسْبَانًا مَرَامِي، الْوَاحِدَةُ: حُسْبَانَةٌ؛ وَهِيَ الصَّوَاعِقُ، ﴿صَعِيدًا زَلْقًا﴾ أَرْضًا بِيضَاءَ يُزَلَّقُ عَلَيْهَا لِمَلَأَتْهَا، ﴿زَلْقًا﴾ وَ﴿غَوْرًا﴾ كِلَاهُمَا وَصْفٌ بِالْمُصَدَّرِ.

قَوْلُهُ: (وَالْحُسْبَانُ مُصَدَّرٌ، كَالْفُفْرَانِ وَالْبُطْلَانِ<sup>(١)</sup>)، بِمَعْنَى الْحِسَابِ). قَالَ صَاحِبُ «الْفَرَائِدِ»: هُوَ مُصَدَّرٌ بِمَعْنَى اسْمِ الْمَفْعُولِ، أَي: شَيْئًا تَمَّا يُعَدُّ، أَي: يَدْخُلُ فِي الْحِسَابِ وَيُعْتَدُّ بِهِ، مِنْ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ الْمُرْتَبَةِ عَلَى الْأَمْرِ<sup>(٢)</sup> الْمَتَوَقَّعِ أَنْ يَقَعَ بِسَبَبِ الْكُفْرِ.

الرَّاعِبُ: ﴿حُسْبَانًا﴾: نَارًا وَعَذَابًا، وَإِنَّمَا هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ: مَا يُحَاسَبُ عَلَيْهِ، فَيُجَازَى بِحَسَبِهِ<sup>(٣)</sup>.

قَوْلُهُ: (يُزَلَّقُ عَلَيْهَا لِمَلَأَتْهَا). الرَّاعِبُ: الزَّلْقُ وَالزَّلْكَ مُتَقَارِبَانِ. قَالَ تَعَالَى:

(١) فِي (ح): وَالْوِزَانَ.

(٢) سَقَطَ لَفْظُ «الْأَمْرِ» مِنْ (ف)، وَفِي (ط): «الْكَفْرِ».

(٣) «مَفْرَدَاتُ الْقُرْآنِ»، ص ٢٣٢.

[﴿وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ، فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا بَلَّتْنِي لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا \* وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصِرًا﴾ ٤٢-٤٣]

﴿وَأُحِيطَ﴾ به عبارة عن إهلاكه، وأصله من: أحاط به العدو؛ لأنه إذا أحاط به فقد ملكه واستولى عليه، ثم استعمل في كل إهلاك، ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ ومثله قولهم: أتى عليه؛ إذا أهلكه، من: أتى عليهم العدو؛ إذا جاءهم مستعليًا عليهم. وتقليب الكفّين: كناية عن الندم والتحسر؛ لأن الندم يُقَلِّبُ كَفَيْهِ ظَهْرًا لِبَطْنٍ، كما كُنِيَ عن ذلك بَعْضُ الكَفِّ والسَّقُوطِ في اليد، ولأنه في معنى الندم عُدِّي تعديته بـ«على»، كأنه قيل: فأصبح يندم ﴿عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا﴾ أي: أنفق في عمارتها ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى

﴿فَنُصِّحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ أي: دحضًا لا نبات<sup>(١)</sup> فيه، كقوله تعالى: ﴿فَرَكَّهُ صَلَدًا﴾ [البقرة: ٢٦٤]، يقال: زلقه وأزلقه فزلق، قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ﴾ [القلم: ٥١]، وذلك كقول الشاعر:

نَظْرًا يُزِيلُ مَوَاطِعَ الْأَقْدَامِ<sup>(٢)</sup>

قال يونس: لم يُسَمِعِ الزَّلَقُ وَالْإِزْلَاقُ إِلَّا فِي الْقُرْآنِ، وَرُوِيَ أَنَّ أَبِي بَنَ كَعْبٍ قَرَأَ: (وَأَزْلَقْنَا نَمَّ الْأَخْرِينَ) [الشعراء: ٦٤]، أي: أهلكنا<sup>(٣)</sup>.

قوله: (ظَهْرًا لِبَطْنٍ). الأساس: قَلَّبْتُ الْأَمْرَ ظَهْرًا لِبَطْنٍ، قَالَ عَمْرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ:

وَضَرَبْنَا الْحَدِيثَ ظَهْرًا لِبَطْنٍ وَأَتَيْنَا مِنْ أَمْرِنَا مَا اشْتَهَيْنَا<sup>(٤)</sup>

نَصَبَ «ظَهْرًا لِبَطْنٍ» عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ، أَي: يُقَلِّبُ كَفَيْهِ تَقْلِيلًا.

(١) في (ط): «لا نبات».

(٢) ذكره ابن منظور في «اللسان» (دحَضَ) و(زَلَقَ) من غير عزو لأحد.

(٣) وهي قراءة شاذة، وقرأ بها ابن عباس أيضًا. انظر: «مختصر في شواذ القرآن» لابن خالويه، ص ٢١٠٧ و«الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١٠٦: ١٣).

(٤) «ديوان عمر بن أبي ربيعة»، ص ٣٠٥.

عُرُوشِهَا ﴿ يعني: أن كرومها المِعْرَشَةَ سَقَطَتْ عرُوشِهَا على الأرض، وسَقَطَتْ فوقها الكُرُوم. قيل: أَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهَا نَارًا فَأَكَلَتْهَا، ﴿يَلْتَنِي﴾ تَذَكَّرَ موعظةَ أَخِيهِ فَعَلِمَ أَنَّهُ أَتَى مِنْ جِهَةِ شِرْكَهِ وَطَغْيَانِهِ، فَتَمَنَّى لَوْ لَمْ يَكُنْ مُشْرِكًا حَتَّى لَا يُهْلِكَ اللهُ بَسْتَانَهُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَوْبَةً مِنَ الشِّرْكِ، وَنَدَمًا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ، وَدُخُولًا فِي الْإِيْمَانِ، وَقُرِئَ: ﴿وَلَمْ تَكُنْ﴾ بِالْبَيَاءِ وَالتَّاءِ، وَمُجْمَلٌ ﴿يَنْصُرُونَهُ﴾ عَلَى الْمَعْنَى دُونَ اللفظِ، كَقَوْلِهِ: ﴿فِيئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٣]. فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ﴾؟ قُلْتَ: مَعْنَاهُ: يَقْدِرُونَ عَلَى نُصْرَتِهِ مِنْ دُونِ اللهِ، أَي:

قَوْلُهُ: (وَقُرِئَ: ﴿وَلَمْ تَكُنْ﴾ بِالْبَيَاءِ وَالتَّاءِ)، حَمَزَةٌ وَالكِسَائِيُّ: بِالْبَيَاءِ التَّحْتَانِيَّ، وَالباقُونَ: بِالتَّاءِ (١).

قَوْلُهُ: (وَمُجْمَلٌ ﴿يَنْصُرُونَهُ﴾ عَلَى الْمَعْنَى)؛ لِأَنَّ الْفِيئَةَ نَاسٌ وَجَمَاعَةٌ، وَلَوْ كَانَ ﴿تَنْصُرُونَهُ﴾ (٢) بِالتَّاءِ الْفَوْقَانِيَّةِ لَكَانَ حَمَلًا عَلَى اللفظِ، وَالاستشهادُ بِقَوْلِهِ: ﴿فِيئَةٌ تُقَاتِلُ﴾ [آل عمران: ١٣] بِالتَّاءِ الْفَوْقَانِيَّةِ، لِأَجْلِ الْحَمَلِ عَلَى اللفظِ.

قَوْلُهُ: (مَعْنَاهُ: يَقْدِرُونَ عَلَى نُصْرَتِهِ)، قَالَ صَاحِبُ «الفرائد»: وَضَعُ «يَنْصُرُونَ» مَوْضِعَ «يَقْدِرُونَ»: وَضَعُ الْمَلْزُومَ مَوْضِعَ الْمَلْزَمِ، وَهُوَ مِنْ بَابِ الْمَجَازِ، وَتَرَكُ الْحَقِيقَةَ إِلَى الْمَجَازِ لَا يَجُوزُ إِلَّا بِقَرِينَةٍ، وَهِيَ هَاهُنَا: ﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾؛ لِأَنَّ حَاصِلَ ﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾: إِلَّا اللهُ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: لَا يَنْصُرُهُ أَحَدٌ إِلَّا اللهُ، وَهُوَ كَقَوْلِكَ: لَمْ يَنْصُرْنِي أَحَدٌ مِنْ دُونِ زَيْدٍ، يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ زَيْدًا يَنْصُرُكَ، وَلَمَّا لَمْ يَنْصُرْهُ اللهُ عِلْمٌ أَنَّ الْمَرَادَ مِنَ النُّصْرَةِ الْقُدْرَةُ عَلَيْهِ.

وَقُلْتُ: نَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُنَّا فَتَعِيلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] أَي: قَادِرِينَ، وَقَوْلُهُ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ﴾ [النحل: ٩٨]، أَي: إِذَا أَرَدْتَ الْقِرَاءَةَ فَاسْتَعِذْ؛ لِأَنَّ الْفِعْلَ يُوَجِّدُ بِقُدْرَةِ الْفَاعِلِ تَارَةً وَأُخْرَى بِإِرَادَتِهِ، فَهُوَ مِنْ إِطْلَاقِ الْمَسْبَبِ عَلَى السَّبَبِ.

(١) وَحَجَّتُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَنْصُرُونَهُ﴾ وَلَمْ يَقُلْ «تَنْصُرُهُ» فَكَانَ تَذَكِيرٌ مَا تَقَدَّمَ مِنْ فِعْلِهِمْ أَوْلَى لِتَلَيُّفِ

الْفِعْلَانِ عَلَى لَفْظٍ وَاحِدٍ. انظر: «حجة القراءات»، ص ٤١٨.

(٢) فِي النسخِ الْخَطِيئَةِ: «تَنْصُرُهُ».

هو وحده القادر على نصرته لا يقدر أحد غيره أن ينصره إلا أنه لم ينصره لصارف؛ وهو استيجابه أن يُخَدَل، ﴿وَمَا كَانَ مُنْصِرًا﴾ وما كان ممتنعًا بقوته عن انتقام الله.

[﴿هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ ٤٤]

﴿الْوَلِيَّةُ﴾ بالفتح: النصرَةُ والتوليُّ، وبالكسر: السُّلْطَانُ والمُلْكُ، وقد قرئَ بهما. والمعنى هنالك، أي: في ذلك المقامِ وتلك الحالِ النصرَةُ لله وحده، لا يملكها غيره، ولا يستطيعها أحدٌ سواه، تقريرًا لقوله: ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةً يَصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الكهف: ٤٣].

أو: هنالك السلطانُ والمُلْكُ لله لا يُغَلَبُ ولا يمتنعُ منه، أو في مثل تلك الحالِ الشديدة يتولى الله ويؤمنُ به كلُّ مُضْطَرٍّ، يعني: أن قوله: ﴿يَلْتَنِي لَأَشْرِكَ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٢]، كلمة أُلجئَ إليها فقَالَهَا جَزَعًا مِمَّا دَهَأَهُ مِنْ سُؤْمٍ كُفِرِهِ، ولولا ذلك

قوله: (وهو استيجابه أن يُخَدَل)، معناه: أنه تعالى أوجِبَ على نفسه خذلانهُ بناءً على مذهبه، اللهمَّ إلا أن يقال: الإيجابُ بمعنى الوعد، وفيه دليلٌ أن قوله: ﴿يَلْتَنِي لَأَشْرِكَ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ لم يصدُرْ عنه توبةً وندمًا. نعم، يجوزُ أن يقال: إن تلك التوبة كانت عندَ مشاهدةِ البأس.

قوله: (وقد قرئَ بهما)، بالكسرة: حمزةٌ والكسائي، والباقون: بالفتح<sup>(١)</sup>.

قوله: (يعني: أن قوله: ﴿يَلْتَنِي﴾ كلمة أُلجئَ إليها، فقَالَهَا)، تلخيصٌ لما حصلَ من تفسيره لقوله: ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةً يَصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصِرًا﴾، وجعلَ قوله: ﴿هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ تقريرًا له، بعدَ سبقِ ذِكْرِ قوله تعالى: ﴿يَلْتَنِي لَأَشْرِكَ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ يعني: لما رأى ألا ناصرَ هنالك إلا الله، وهو قد خذَلَهُ، فَالَهَا جَزَعًا مِمَّا دَهَأَهُ، وهذا مؤذِنٌ بأنَّ قوله: ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةً يَصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ﴾ إمَّا حالٌ من فاعلٍ يقول، أو:

(١) لتيام الفائدة انظر: «حجّة القراءات»، ص ٤١٨.

لم يَقُلْهَا، ويجوزُ أن يكونَ المعنى: هنالك الولايةُ لله يَنْصُرُ فيها أولياءه المؤمنينَ على عطفٍ على يقول، وإيدانٌ بحصولِ مضمونِ الجُمْلَتَيْنِ، وَبَعَثُ لِلسَّامِعِ عَلَى التَّفَكُّرِ واستنباطِ الرُّتَبِ بَيْنَهُمَا.

ويجوزُ أن يتعلَّقَ قوله: «يعني» بِالوَجْهِ الأَخِيرِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ مَتَعَلِّقٌ بِالوَجْهِ الثَّلَاثَةِ الْمَبْنِيَّةِ عَلَى مَعْنَى الْوِلَايَةِ مِنَ النُّصْرَةِ وَالتَّوَلَّى وَالسُّلْطَانِ وَالْمَلِكِ عَلَى سَبِيلِ اللَّفِّ وَالنَّشْرِ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ ذَلِكَ أَتَى بِهَا يَجْمَعُهَا مِنَ الْمَعْنَى، يَعْنِي: إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ الْخَاسِرُ النَّادِمُ: ﴿يَلْبِثُنِي لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ لَمَّا رَأَى أَلَّا نَاصِرًا أَوْ لَا مُتَوَلَّى أَوْ لَا مَانِعَ لَهُ هُنَاكَ.

الرَّاعِبُ: التَّوَلَّى: كَوْنُ الشَّيْءِ بِجَنْبِ الأَخْر، وَيُعْتَبَرُ ذَلِكَ تَارَةً بِالْمَكَانِ، فيقالُ لَهُ: الْوِلَايَةُ، وَتَارَةً بِالنُّصْرَةِ، فيقالُ لَهُ: الْوِلَايَةُ وَالْمُؤَالَاةُ، لَكِنَّ الْوِلَايَةَ عَلَى صَرِيحَيْنِ: صَرُبٌ بِاعْتِبَارِ نَسْبَةِ الأَعْلَى إِلَى الأَسْفَلِ، وَصَرُبٌ بِاعْتِبَارِ نَسْبَةِ الأَسْفَلِ إِلَى الأَعْلَى، وَهَذَا يُقَالُ لِلخَادِمِ وَالْمَخْدُومِ: مَوَلَى وَوَلَّى؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يُوَالِي (١) الأَخْر؛ الخَادِمُ بِالطَّاعَةِ وَالنَّصِيحَةِ، وَالْمَخْدُومُ بِالإِشْفَاقِ وَالكِفَايَةِ.

وَقَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: التَّوَلَّى: المَالِكُ وَالمَمْلُوكُ، وَالمُعْتَقُ وَالمُعْتَقُ، وَالنَّاصِرُ وَالمَنْصُورُ، وَابْنُ العَمِّ، وَالحَلِيفُ وَالجَارُ وَالقَيِّمُ، فَاعْتَبَرُوا فِي كُلِّ ذَلِكَ المُتَضَافَيْنِ؛ لَكُونِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُوَالِيًا لِالأَخْر (٢) بِوَجْهِ (٣).

قوله: (ويجوزُ أن يكونَ المعنى) هذا معنى آخِرُ متفرِّعٌ على معنى الولاية إذا كانت بمعنى النُّصْرَةِ، مِنْ قَوْلِكَ: انْتَصَرَ مِنْهُ: إِذَا انْتَقَمَ مِنْهُ، وَيُوَيِّدُ هَذَا الْوَجْهَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ خَيْرٌ نَوَابًا وَخَيْرٌ عَقَبًا﴾ [الكهف: ٤٤]، وَذَلِكَ أَنَّ صَاحِبَهُ لَمَّا افْتَحَرَ وَتَعَزَّزَ عَلَيْهِ بِالمَالِ وَالبَيْنِ وَكَفَرَ بِاللهِ وَبالبَعْثِ، وَأجابه بما أجاب، ثُمَّ خَتَمَ بقوله: ﴿فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ - صَدَّقَ اللهُ قَوْلَهُ بِأَنَّ أَحَاطَ بِشَمْرِهِ وَتَرَكَهُ مَخْذُولًا

(١) في (ف): «موالي»، وهو وجه.

(٢) في (ف): «يُوَالِي الأخر».

(٣) «تفسير الراغب» (١: ٥٣٢)، وانظر: «مفردات القرآن»، ص ٨٨٥.



الكَفْرَةَ وَيَنْتَقِمُ لَهُمْ، وَيَشْفِي صُدُورَهُمْ مِنْ أَعْدَائِهِمْ، يَعْنِي: أَنَّهُ نَصَرَ فِيهَا فَعَلَ بِالْكَافِرِ إِخَاهَ الْمُؤْمِنِ، وَصَدَّقَ قَوْلَهُ: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الكهف: ٤٠]، وَيَعْضُدُهُ قَوْلَهُ: ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ أَي: لِأَوْلِيَائِهِ، وَقِيلَ: ﴿هُنَالِكَ﴾ إِشَارَةٌ إِلَى الْآخِرَةِ، أَي فِي تِلْكَ الدَّارِ الْوَلَايَةِ لِلَّهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦]، وَقُرئ: ﴿الْحَقُّ﴾ بِالرَّفْعِ وَالْجَرِّ صِفَةً لِلْوَلَايَةِ لِلَّهِ. وَقَرَأَ عَمْرُو بْنُ عَبِيدٍ بِالنَّصْبِ عَلَى التَّأَكِيدِ، كَقَوْلِكَ: هَذَا عَبْدُ اللَّهِ الْحَقُّ لَا الْبَاطِلَ، وَهِيَ قِرَاءَةٌ حَسَنَةٌ فَصِيحَةٌ، وَكَانَ عَمْرُو بْنُ عَبِيدٍ مِنْ أَفْصَحِ النَّاسِ وَأَنْصَحِهِمْ، .....

مَقْهُورًا، وَشَفَى صَدْرَهُ. وَالتَّشْفَى مِنْ أَعْدَاءِ الدِّينِ خَيْرٌ مِنَ الْحَيْرَاتِ، وَمَوْهَبَةٌ مِنَ الْمَوَاهِبِ، فَيَكُونُ مَوْعُظٌ ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ﴾ مِمَّا سَبَقَ، مَوْعِظٌ قَوْلَهُ: ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَقَطَّعَ دَائِرَ الْقَوْرِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ فَهِيَ كَالْتَّذِيلِينَ؛ لِأَنَّ مَعْنَاهُمَا يَلْتَقِيَانِ فِي التَّشْفَى عَنْ أَعْدَاءِ الدِّينِ، وَلِذَلِكَ قَالَ هُنَاكَ: «هُوَ إِيْذَانٌ بِوُجُوبِ الْجَهْرِ عِنْدَ إِهْلَاكِ الظُّلْمَةِ، وَأَنَّهُ مِنْ أَجْلِ النِّعَمِ وَأَجْزَلِ الْقَسَمِ»، وَقَالَ هُنَا: «﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ﴾ يَنْصُرُ فِيهَا أَوْلِيَاءَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْكُفْرَةِ، وَيَنْتَقِمُ لَهُمْ، وَيَشْفِي صُدُورَهُمْ». [قَوْلُهُ]: (وَقُرئ: ﴿الْحَقُّ﴾ بِالرَّفْعِ وَالْجَرِّ) أَبُو عَمْرٍو وَالْكَسَائِيُّ: بِالرَّفْعِ، وَالْبَاقُونَ: بِالْجَرِّ.

قَوْلُهُ: (وَكَانَ عَمْرُو بْنُ عَبِيدٍ مِنْ أَفْصَحِ النَّاسِ وَأَنْصَحِهِمْ). الْإِنْتِصَافُ: وَقَدْ تَقَدَّمَ الْإِنْكَارُ عَلَيْهِ أَنَّ الْقِرَاءَةَ مَوْكُولَةٌ إِلَى رَأْيِ الْفَصِيحَاءِ، وَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَقْرَأَ إِلَّا بِمَا سَمِعَهُ، وَرُوي مُفْصَّلًا عَنِ النَّبِيِّ مَخْبَرًا عَنْ إِنْزَالِهِ مِنَ السَّمَاءِ، فَلَا وَجْهَ لِفَصَاحَةِ الْفَصِيحِ، وَلَكِنْ الرَّغْشَرِيُّ لَا يَفُوتُ الشُّنَاءَ عَلَى رَأْسِ الْبِدْعَةِ وَمَعْدِنِ الْفِتْنَةِ عَمْرُو بْنُ عَبِيدٍ، فَإِنَّهُ مِنْ كِبَارِ الْمُعْتَزِلَةِ<sup>(١)</sup>.

ذَكَرَ الْإِمَامُ مُسْلِمُ بْنُ الْحِجَّاجِ فِي «صَحِيحِهِ» أَنَّ سَلِيمَانَ بْنَ أَبِي مَطِيحٍ كَانَ يَقُولُ: بَلَغَ أَيُّوبُ أَنِّي آتَى عَمْرُو بْنُ عَبِيدٍ، فَأَقْبَلَ<sup>(٢)</sup> عَلَيَّ يَوْمًا فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا لَا تَأْمَنُهُ عَلَى دِينِهِ،

(١) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٢: ٧٢٥).

(٢) مِنْ قَوْلِهِ: «﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَقَطَّعَ دَائِرَ الْقَوْرِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ فَهِيَ كَالْتَّذِيلِينَ» إِلَى هُنَا سَقَطَ مِنْ (ح) وَ(ف).

وَقُرِئَ: ﴿عُقْبًا﴾ بِضَمِّ الْقَافِ وَسُكُونِهَا، وَ(عُقْبَى) عَلَى: فُعْلَى، وَكُلُّهَا بِمَعْنَى: الْعَاقِبَةُ.

[ ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ

فَأَصْبَحَ حَشِيمًا نَذْرُهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقَدِّرًا ﴾ [٤٥]

﴿فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ فَالْتَفَّ بِسَبَبِهِ وَتَكَاثَفَ حَتَّى خَالَطَ بَعْضُهُ بَعْضًا،

وَقِيلَ: .....

كَيْفَ تَأْمَنُهُ عَلَى الْحَدِيثِ (١)؟ قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدِي الدِّينِ فِي «شَرْحِهِ» (٢): «أَمَّا عَمْرُو بْنُ عُيَيْدٍ فَهُوَ الْقَدْرِيُّ الْمُعْتَرِيُّ الَّذِي كَانَ صَاحِبَ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، قَالَ مُسْلِمٌ أَيْضًا: كَانَ عَمْرُو بْنُ عُيَيْدٍ يَكْذِبُ فِي الْحَدِيثِ. قَالَ: قِيلَ لِأَيُّوبَ: إِنَّ عَمْرُو بْنَ عُيَيْدٍ رَوَى عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: لَا يُجِلَّدُ السَّكَرَانُ مِنَ النَّبِيذِ، فَقَالَ: كَذَبَ، أَنَا سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ: يُجِلَّدُ السَّكَرَانُ مِنَ النَّبِيذِ.

قَوْلُهُ: (وَقُرِئَ: ﴿عُقْبًا﴾، بِضَمِّ الْقَافِ)، عَاصِمٌ وَهَمْزَةٌ: بِالْإِسْكَانِ، وَالْبَاقُونَ: بِالضَّمِّ (٣).

الرَّاعِبُ: الْعُقْبُ: مُؤَخَّرُ الرَّجْلِ. وَقِيلَ: عُقْبٌ وَجَمْعُهُ أَعْقَابٌ، وَاسْتُعِيرَ الْعُقْبُ لِلْوَلَدِ وَالْوَلَدِ

الْوَلَدِ، وَرَجَعَ عَلَى عَقْبِهِ: إِذَا انْتَهَى رَاجِعًا، وَانْقَلَبَ عَلَى عَقْبِهِ، نَحْوُ رَجَعَ عَلَى حَافِرَتِهِ وَنَحْوُ:

﴿فَأَرْتَدَّ عَلَى آثَارِهِمَا﴾ [الكهف: ٦٤]، وَعَقْبُهُ: إِذَا تَلَاهُ، نَحْوُ: ذَبْرَهُ وَقَفَاهُ. وَالْعُقْبُ وَالْعُقْبَى

يَخْتَصَّانِ بِالثَّوَابِ، نَحْوُ: ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾

[الرعد: ٢٢]، ﴿فَتَنَمَّ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤]، وَالْعَاقِبَةُ إِطْلَاقُهَا يَخْتَصُّ بِالثَّوَابِ، نَحْوُ:

﴿وَالْعُقْبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾، وَبِالإِضَافَةِ قَدْ يُسْتَعْمَلُ فِي الْعُقُوبَةِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَكَانَ عَنُقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا

فِي النَّارِ﴾ [الحشر: ٨٣] فَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ اسْتِعَارَةً مِنْ ضِدِّهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ

بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١]، وَالْعُقُوبَةُ وَالْعِقَابُ وَالْمُعَاقِبَةُ يَخْتَصُّ بِالْعَذَابِ (٤).

(١) «صحيح مسلم» (١: ٢٣) في المقدمة.

(٢) يعني «شرح النووي على صحيح مسلم» (١: ١٠٩).

(٣) وهما لغتان بمعنى العاقبة. انظر: «حجّة القراءات»، ص ١٩٤.

(٤) «مفردات القرآن»، ص ٥٧٥.

نَجَعَ فِي النَّبَاتِ الْمَاءَ فَاخْتَلَطَ بِهِ حَتَّى رَوِيَ وَرَفَّ رَفِيفًا، وَكَانَ حَقُّ اللَّفْظِ عَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ: فَاخْتَلَطَ بِنَبَاتِ الْأَرْضِ، وَوَجْهُ صَحَّتِهِ أَنَّ كُلَّ مُخْتَلِطَيْنِ مَوْصُوفٌ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِصِفَةِ صَاحِبِهِ. وَالهَشِيمُ: مَا تَهَشَّمَ وَتَحَطَّمَ، الْوَاحِدَةُ هَشِيمَةٌ.....

قوله: (نَجَعَ فِي النَّبَاتِ). الْأَسَاسُ: نَجَعَ فِيهِ الدَّوَاءُ: نَفَعَهُ، وَمَاءٌ نَجُوعٌ: نَمِيرٌ.

قوله: (وَرَفَّ رَفِيفًا). الْأَسَاسُ: رَفَّ النَّبَاتُ يَرِفُّ، وَلَهُ وَرِيفٌ وَرَفِيفٌ؛ وَهُوَ أَنْ يَهْتَزَّ نَضَارَةً وَتَلَالُؤًا.

قوله: (وَوَجْهُ صَحَّتِهِ أَنَّ كُلَّ مُخْتَلِطَيْنِ مَوْصُوفٌ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِصِفَةِ صَاحِبِهِ)، قَالَ صَاحِبُ «الْفَرَائِدِ»: حَقُّ اللَّفْظِ كَمَا ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى؛ لِأَنَّ النَّبَاتَ هُوَ الْمُخْتَلِطُ؛ لِأَنَّ الْفِعْلَ مِنْ جِهَتِهِ؛ إِذْ هُوَ الْجَاذِبُ لِلْمَاءِ، وَلَا فِعْلَ مِنْ جِهَةِ الْمَاءِ يُعْرَفُ بِالتَّامُّلِ، فَيُقَالُ: إِنَّ الْمَصْنُفَ فِي صَدَدِ تَأْوِيلِ قَوْلِ الْقَائِلِ: نَجَعَ فِي النَّبَاتِ الْمَاءَ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: هَذَا عَلَى التَّفْسِيرِ، وَلِلْمَاءِ أَيْضًا فِعْلٌ لِسَرِيَانِهِ فِي النَّامِيِّ لِلطَّافَةِ، وَلَا تُسَلَّمُ أَنَّ نَفْسَ الْجَذْبِ الْاِخْتِلَاطُ؛ لِأَنَّ الْاِخْتِلَاطَ مِنَ الْجَائِزِينَ.

فَإِنْ قُلْتَ: الْمَاءُ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِنَّمَا يَخْلِطُ الْأَرْضَ وَأَصَلَ النَّبَاتِ، لَا النَّبَاتِ، لِأَنَّهُ يُنْبِتُ بِهِ جِزَاءً مِنْهُ<sup>(١)</sup>. قُلْتَ: لِلْمَاءِ مَعَ النَّامِيِّ أَطْوَارٌ: فِي الطَّوْرِ الْأَوَّلِ تَخْتَلِطُ بِهِ الْأَرْضُ وَأَصَلَ النَّبَاتِ، ثُمَّ يَخْتَلِطُ بِالنَّبَاتِ فَيُصْبِحُ مُخَضَّرًا رَفِيفًا، كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ الْمَصْنُفُ، ثُمَّ يُخْرِجُ مِنْهُ الْحَبَّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى امْتِنَانًا: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا ﴾ [الأنعام: ٩٩] الْآيَةَ، وَالَّذِي لَهُ سَوْقُ الْكَلَامِ، هُوَ الطَّوْرُ الثَّانِي؛ لِأَنَّ الْقَصْدَ تَشْبِيهُ حَيَاةِ الدُّنْيَا فِي حُسْنِهَا وَبِهَجَّتِهَا فِي بَدْءِ الْأَمْرِ بِاخْضِرَارِ النَّبَاتِ وَغَضَارَتِهِ وَأَخْذِ الْأَرْضِ زُخْرُفَهَا وَزَيْتَهَا، ثُمَّ اسْتِصْالَهَا فِي الْعَاقِبَةِ، فَلَا يَدْخُلُ فِي الْكَلَامِ الطَّوْرُ الْأَوَّلُ وَلَا الثَّلَاثُ، وَالتَّشْبِيهُ مُخْتَصَرٌّ مِمَّا فِي سُورَةِ يُونُسَ: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [يونس: ٢٤] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.

الرَّاعِبُ: الْخَلْطُ: هُوَ الْجَمْعُ بَيْنَ أَجْزَاءِ الشَّيْئَيْنِ فَصَاعِدًا، سِوَاءَ كَانَا مَاتِعَيْنِ أَوْ جَامِدَيْنِ

(١) قوله: «لأنه ينبت به جزءاً منه» سقط من (ط).

وَقُرَى: (تَذْرُوهُ الرِّيحُ)، وعن ابن عباس: (تَذْرِيهِ الرِّيحُ)، من: أذرى، شَبَّهَ حَالِ الدُّنْيَا فِي نُضْرَتِهَا وَبَهْجَتِهَا وَمَا يَتَعَقَّبُهَا مِنَ الْهَلَاكِ وَالْفَنَاءِ، بِحَالِ النَّبَاتِ يَكُونُ أَخْضَرَ وَارِقًا ثُمَّ يَبْهِجُ فَتَطِيرُهُ الرِّيحُ كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ مِنَ الْإِنْسَاءِ وَالْإِفْنَاءِ ﴿مُقَدِّرًا﴾.

[﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ﴾]

[أملاً ﴿٤٦﴾]

﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ أَعْمَالُ الْخَيْرِ الَّتِي تَبْقَى ثَمَرَتُهَا لِلْإِنْسَانِ وَتَفْنَى عَنْهُ كُلُّ مَا تَطْمَحُ إِلَيْهِ نَفْسُهُ مِنْ حُظُوظِ الدُّنْيَا. وقيل: هي الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، .....

أَوْ مُخْتَلِفِينَ، وَهُوَ أَعْمٌ مِنَ الْمَرْجِ، وَيُقَالُ: اخْتَلَطَ الشَّيْءُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَخْلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ [يونس: ٢٤]. وَيُقَالُ لِلصَّدِيقِ وَالْمُجَاوِرِ وَالشَّرِيكِ: خَلِيطٌ، وَالخَلِيطُ يُقَالُ لِلوَاحِدِ وَالْجَمْعِ، وَيُقَالُ: أَخْلَطَ فَلَانٌ فِي كَلَامِهِ: إِذَا كَانَ ذَا تَخْلِيطٍ فِيهِ، وَأَخْلَطَ الْفَرَسُ فِي جَرِيهِ: كَذَلِكَ، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ تَقْصِيرِهِ فِيهِ<sup>(١)</sup>.

قوله: (وَقُرَى: «تَذْرُوهُ الرِّيحُ»): حمزة والكسائي<sup>(٢)</sup> مُفْرَدًا.

قوله: (وارقًا). الأساس: وَرَفَ النَّبَاتُ وَرَيْفًا، فَهُوَ وَارِقٌ: لَهُ بَهْجَةٌ مِنَ الرِّيِّ.

قوله: (ثُمَّ يَبْهِجُ). الجوهرية: هَاجَ النَّبْتُ هَيْجًا، أَي: يَبْسُ.

قوله: (وَتَفْنَى عَنْهُ كُلُّ مَا تَطْمَحُ إِلَيْهِ)، قيل: هو حالٌ، وَالظَّاهِرُ الْعَطْفُ عَلَى «تَبْقَى» لِمَجِيءِ الْوَاوِ فِي الْمَضَارِعِ الْمُثَبَّتِ، أَي: تَبْقَى ثَمَرَتُهَا لَهُ، وَيَفْنَى عِنْدَهَا عَنْهُ كُلُّ مَا يَطْمَحُ إِلَيْهِ، كَأَنَّهُ عَرَفَ «الْبَاقِيَاتِ» بِالصَّفَةِ الْكَاشِفَةِ، أَي: هِيَ أَعْمَالٌ يَبْقَى ثَوَابُهَا لِلْإِنْسَانِ بَعْدَ فَنَاءِ كُلِّ مَا رَجَا مِنْهُ الْحُظُوظَ؛ لِأَنَّ الْبَقِيَّةَ تَقْتَضِي مَا يَفْضَلُ عَنْهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ﴾

(١) «مفردات القرآن»، ص ٢٩٣.

(٢) وقد سبق تفسير هذا الحرف في «البقرة» الآية (١٦٤)، ولتمام الفائدة انظر: «حجّة القراءات»،

وقيل: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. وعن قتادة: كل ما أريد به

[هود: ٨٦]، قال: ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم، خير لكم.

وقريب منه ما رَوينا عن مسلم والترمذي والنسائي، عن عبد الله بن الشخير، عن رسول الله ﷺ: «يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيته، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟»<sup>(١)</sup>، أي: فأبقيت.

قوله: (وقيل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر)، روى أحمد بن حنبل في «مسنده»، عن النعمان بن بشير، عن رسول الله ﷺ: «ألا وإن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر هي الباقيات الصالحات»<sup>(٢)</sup>، ونحوه رواه مالك بن أنس<sup>(٣)</sup>، عن ابن المسيب<sup>(٤)</sup>.

أقول - والعلم عند الله تعالى -: لعله صلوات الله عليه خص هذه الكلمات بالباقيات الصالحات؛ لكونها جامعيات<sup>(٥)</sup> للأمهات؛ فالتسبيح تقديس لذاته عما لا يليق بجلاله وتنزيه لصفاته عن النقائص. والتحميد مُشتمل على معنى الفضل والإفضال المؤذنين بالصفات الذاتية والإضافية بعد السلبية. والتهليل: توحيد الذات ونفي الضد والنّد، وتنبية على التبرؤ عن الحول والقوة إلا به<sup>(٦)</sup>. والتكبير: اعتراف بالقصور في الأفعال والأقوال، قال: «لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»<sup>(٧)</sup>، وفي هذا التدرج لَمعة من معنى

(١) أخرجه مسلم (٢٩٥٨)، والترمذي (٢٣٤٢)، والنسائي (٦: ٢٣٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١٣٨٥٨)، وأخرجه البرزالي في «المسند» (٤٠٥)، من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه، وفي الباب عن أبي سعيد الخدري عند الإمام أحمد في «المسند» (١١٧١٣)، وأبي يعلى (١٣٨٤) وغيرهما بإسناد حسن لغيره.

(٣) في «الموطأ» (٤٩١).

(٤) في (ف): «عن علي بن أبي طالب»، وهو خطأ، وهو بياض في (ح)، والمثبت من (ط).

(٥) في (ح): «جامعة».

(٦) في (ح): «الله».

(٧) هو جزء من حديث أخرجه الترمذي (٣٥٦٦)، وأبو داود (١٤٢٧)، والنسائي (٣: ٢٤٨)، وأبو يعلى =

وجهه الله ﴿خَيْرٌ... قَوَابِلًا﴾ أي: ما يتعلّق بها من الثواب وما يتعلّق بها من الأمل؛ لأن صاحبها يأمل في الدنيا ثواب الله، ويصيّبه في الآخرة.

[ ﴿ وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَنَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا \* وَعَرَضُوا عَلَيَّ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَحَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴾ [٤٧-٤٨]

العروج للسالك العارف، وهذه الأسرار وردت عن الصادق المصدوق: «لقيت ليلة أسري بي إبراهيم، فقال<sup>(١)</sup>: يا محمد، أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أنّ الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر». أخرجه الترمذي<sup>(٢)</sup> عن ابن مسعود.

ثم إنه سبحانه وتعالى قابل بالباقيات الصالحات، الفانيات<sup>(٣)</sup> الزائلات، أعني ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ ﴾ [الكهف: ٤٥] وخص منها ما هو العمدة فيها، ويحصل منه تزيين المجالس والتفاخر في المحافل من المال والبنين، ألا ترى إلى أحد الرجلين في القصة السابقة وقوله: ﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾؟ وفيه تلويح إلى بيان النظم؛ فإن قوله: ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَوةِ الدُّنْيَا ﴾ الآية، ينظر إلى قوله: ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾ في معنى اجتماعهما على الابتداء المبهج والانتهاج المشير للجنة، وكذا ما قوبل به هذه الآية من الباقيات الصالحات، خبر مقارب لما قوبل به تلك الآية بقوله: ﴿ لَنَكُنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ وقوله: ﴿ فَعَسَى رَبِّي أَن يُوْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ ﴾.

= (٢٧٥)، وغيرهم من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه بإسناد قوي، وانظر تمام تحريجه في «مسند الإمام أحمد» (٧٥١).

(١) سقط لفظ «فقال» من (ح).

(٢) «سنن الترمذي» (٣٤٦٢)، وفي الباب عن أبي يوب الأنصاري عند الإمام أحمد في «المسند» (٢٣٥٥٢)، و«صحيح ابن حبان» (٨٢١)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٣٨٩٨)، وغيرهم بإسناد حسنه المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢: ٤٤٥).

(٣) في (ح). «المقابلة».

قُرئ: ﴿تَسِيرٌ﴾ مِنْ: سِيرَت، و﴿تُسِيرٌ﴾ مِنْ: سَيَّرْنَا، و﴿تَسِيرٌ﴾ مِنْ: سَارَت، أَي: تَسِيرٌ فِي الْجَوِّ، أَوْ يُذْهَبُ بِهَا، بَأَنْ تُجْعَلَ هَبَاءٌ مُنْبِتًا. وَقُرئ: (وَتُرَى الْأَرْضُ) عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ، ﴿بَارِزَةٌ﴾ لَيْسَ عَلَيْهَا مَا يَسْتُرُهَا مِمَّا كَانَ عَلَيْهَا، ﴿وَحَشَرْتَهُمْ﴾ وَجَمَعْنَاهُمْ إِلَى الْمَوْقِفِ، وَقُرئ: ﴿فَلَمْ تُغَادِرْ﴾ بِالنُّونِ وَالْيَاءِ، يُقَالُ: غَادَرَهُ وَأَغْدَرَهُ؛ إِذَا

قَوْلُهُ: (وَقُرئ: «تَسِيرٌ» مِنْ: سِيرَت)، قَرَأَ الْكُوفِيُّونَ وَنَافِعٌ: ﴿تُسِيرٌ﴾ بِضَمِّ النُّونِ وَكسْرِ الْيَاءِ، وَ﴿الْجِبَالُ﴾ بِالنَّصْبِ، وَالْباقُونَ: بِالتَّاءِ وَفَتْحِ الْيَاءِ وَرَفْعِ ﴿الْجِبَالُ﴾<sup>(١)</sup>. و﴿تَسِيرٌ﴾ بِفَتْحِ التَّاءِ: شَادَةٌ.

قَوْلُهُ: ﴿وَحَشَرْتَهُمْ﴾: وَجَمَعْنَاهُمْ إِلَى الْمَوْقِفِ). الرَّاعِبُ: الْحَشْرُ: إِخْرَاجُ الْجَمَاعَةِ عَنْ مَقَرِّهِمْ وَإِزْعَاجُهُمْ عَنْهُ إِلَى الْحَرْبِ وَنَحْوِهَا، وَرُوي: النَّسَاءُ<sup>(٢)</sup> لَا يُحْشَرْنَ، أَي: لَا يُخْرَجْنَ إِلَى الْعَزْوِ، وَلَا يُقَالُ: الْحَشْرُ إِلَّا فِي الْجَمَاعَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥]، وَسُمِّيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ الْحَشْرِ، كَمَا سُمِّيَ يَوْمَ الْبَعْثِ وَيَوْمَ النَّشْرِ<sup>(٣)</sup>.

قَوْلُهُ: (وَقُرئ: «فَلَمْ تُغَادِرْ﴾ بِالنُّونِ): الْجَمَاعَةُ كُلُّهُمْ، وَبِالْيَاءِ: شَادَةٌ<sup>(٤)</sup>.

الرَّاعِبُ: الْعَدْرُ: الْإِخْلَالُ بِالشَّيْءِ وَتَرْكُهُ، وَالْعَدْرُ يُقَالُ لَتَرْكِ الْعَهْدِ، وَمِنْهُ قِيلَ: فَلَانٌ غَادِرٌ، وَجَمَعُهُ: عَدْرَةٌ، وَعَدَارٌ: كَثِيرُ الْعَدْرِ، وَأَعْدَرُ وَاسْتَعْدَرَ الْعَدِيرُ: صَارَ فِيهِ الْمَاءُ، وَالْعَدِيرُ: الشَّعْرُ الَّذِي تَرَكَ حَتَّى طَالَ، وَجَمَعُهَا: عَدَائِرٌ. وَجَمَعُ عَدِيرِ الْمَاءِ: عُدْرٌ وَعُدْرَانٌ، وَعَدَّرَتِ الشَّاةُ: تَخَلَّفَتْ، فَهِيَ عَدْرَةٌ<sup>(٥)</sup>.

(١) وَحُجَّتُهُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَسِيرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبا: ٢٠] فَرَدَّوْا مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ إِلَى مَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ.

انظر: «حجّة القراءات»، ص ٤١٩.

(٢) فِي (ف): «وروى النسائي» وهو خطأ.

(٣) «مفردات القرآن»، ص ٢٣٧.

(٤) وَتَمَن قَرَأَ بِذَلِكَ أَبَانُ بْنُ عَاصِمٍ. انظر: «مختصر شواذ القرآن»، ص ٨٠.

(٥) «مفردات القرآن»، ص ٦٠٢.

تَرَكَه، ومنه: الغَدْرُ: تركُ الوفاء، والغَدِيرُ: ما غادرَه السَّيْلُ، وشُبِّهتْ حالُهُم بحالِ الجُنْدِ المعروفينَ على السُّلطانِ، ﴿صَفًّا﴾ مُصْطَفَيْنَ ظاهِرِينَ، يَرى جماعتَهُم كما يَرى كُلَّ واحدٍ لا يَحْجُبُ أحدٌ أحدًا، ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ أي: قلنا لهم: لقد جِئْتُمُونَا. وهذا المضمَرُ هو عاملُ النَّصْبِ في (يَوْمَ نُسَيِّرُ)، ويجوزُ أن يُنْصَبَ بإضمار: اذْكَرُ،

قوله: ﴿صَفًّا﴾: مُصْطَفَيْنَ، أي: ﴿صَفًّا﴾: حالٌ مِنَ الواوِ<sup>(١)</sup> في: ﴿وَعَرِضُوا﴾؛ وإِنما قال: ﴿ظَاهِرِينَ﴾ لأنَّ المقصودَ مِنْ عَرَضِ الجُنْدِ على السُّلطانِ إظهارَهُم عنده<sup>(٢)</sup>، فجَعَلَ ﴿صَفًّا﴾ ترشيحًا لاستعارة ﴿وَعَرِضُوا عَلَى رَبِّكَ﴾، كقوله: ﴿وَبَرِّزُوا لِلَّهِ الْوَحِيدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

قوله: (وهذا المضمَرُ هو عاملُ النَّصْبِ في «يَوْمَ نُسَيِّرُ»). قال أبو البقاء: وقيل: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ﴾ معطوفٌ على قوله: ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾، أي: الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ وخَيْرٌ يَوْمَ نُسَيِّرُ<sup>(٣)</sup>.

الرَّاعِبُ: السَّيْرُ: المُضِيُّ في الأرضِ، ورجُلٌ سائرٌ وسائرٌ، والسَّيْرَةُ: الجماعةُ، يقالُ: سَيرْتُ، وسَيرْتُ بفلانٍ، وسَيرتُهُ أيضًا، وسَيرتُهُ، على التَّكثيرِ، فمنَ الأوَّلِ قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الحج: ٤٦]، ومنَ الثاني قوله ﴿وَسَارَ بِأَهْلِيهِ﴾ [القصص: ٢٩]، ولم يَجِئ في القرآنِ القِسْمُ الثالثُ. ومنَ القِسْمِ الرَّابِعِ<sup>(٤)</sup> قوله تعالى: ﴿وَسَيرَتِ الْجِبَالُ فَكانَتْ سَرابًا﴾ [النبا: ٢٠]. والتَّسْيِيرُ صَرْبان، أحدهما: بالأمرِ والاختيارِ والإرادة مِنَ السَّائِرِ، نحو: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [يونس: ٢٢]. والثاني: بالقَهْرِ والتَّسْخِيرِ، كقوله تعالى: ﴿وَإِذا الْجِبَالُ سُيرَتِ﴾ [التكوير: ٣]. والسَّيْرَةُ: الحالةُ التي يكونُ عليها الإنسانُ وغيرُهُ غَرِيزيًا كان أو مُكْتَسَبًا، يقالُ: فلانٌ لَهُ سَيرةٌ حَسَنَةٌ وسَيرةٌ قبيحةٌ<sup>(٥)</sup>.

(١) وهو الذي جزم به أبو البقاء في «التيان» (٢: ٨٥).

(٢) في (ح): «لأنَّ المقصودَ مِنْ عرضِ الجُنْدِ ظهورَهُم عندَ السُّلطانِ».

(٣) «التيان في إعراب القرآن» (٢: ٨٥٠).

(٤) سقط لفظ «القِسْمِ» من (ف).

(٥) «مفردات القرآن»، ص ٤٣٢-٤٣٣.



والمعنى: لقد بعثناكم كما أنشأناكم، ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ وقيل: جئتمونا عرأة لا شيء معكم كما خلقناكم أولاً، كقوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى﴾ [الأنعام: ٩٤]. فإن قلت: لم جيء به (حشَرناهم) ماضياً بعد (نُسِر) و(ترى)؟ قلت: للدلالة على أن حشَرهم قبل التَّسِيرِ وقبلَ البروز، ليعاينوا تلك الأهوال العظائم، كأنه قيل: وحشَرناهم قبل ذلك، ﴿مَوْعِدًا﴾ وقتاً لإنجاز ما وعدتم على السنة الأنبياء من البعث والنشور.

[﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [٤٩]

قوله: (والمعنى: لقد بعثناكم، كما أنشأناكم): تفسير لقوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

قوله: (للدلالة على أن حشَرهم قبل التَّسِيرِ)، قال صاحب «الفرائد»: الواو للحال في ﴿وَحَشَرْتَهُمْ﴾، فلو كان للعطف، كان ينبغي أن يُقال: وَنَحَشَرُهُمْ.

قلت: إنَّ المصنَّفَ سألَ عن فائدة الاختلافِ الواقعِ بينَ هذه الأفعالِ الثلاثة، والجواب ما ذكره، يعني: خولفَ بينَ التَّسِيرِ والرؤية، حيثُ جيءَ بهما مضارعين، وجيءَ بالحشَرِ ماضياً، ليُشعرَ بصيغة المضارع بأن المراد استحضار تلك الصورة العجيبة الشأن في مشاهدة السامع، ليتعجب لها، وإليه الإشارة بقوله: «ليعاينوا تلك الأهوال»، ولو قيل: نحشَرهم على مقتضى الظاهر، لفات المقصود. ونظر أصحاب<sup>(١)</sup> المعاني إلى فائدة العدول عن مقتضى الظاهر.

وقال القاضي: ومجيئه ماضياً بعد ﴿نُسِر﴾ و﴿تَرَئِي﴾ لتحقيق الحشَر، أو للدلالة على أن حشَرهم قبل التَّسِيرِ<sup>(٢)</sup>.

(١) في (ط): «صاحب».

(٢) «أنوار التنزيل» (٣: ٥٠١).

﴿الْكِنْبُ﴾ للجنس، وهو صُحْفُ الأعمالِ ﴿يَوَيْلُنَا﴾ ينادون هَلَكْتَهُمُ التي هَلِكُوها خاصةً من بينِ الهَلَكاتِ، ﴿صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ هَنَّةٌ صَغِيرَةٌ وَلَا كَبِيرَةٌ، وهي عبارةٌ عنِ الإحاطة، يعني: لا يتركُ شيئاً منِ المعاصي إلا أحصاه، أي: أحصاها كُلَّها كما تقول: ما أعطاني قليلاً ولا كثيراً؛ لأنَّ الأشياءَ إما صغارٌ وإما كبار، ويجوزُ أن يريد: وإما كانَ عندهم صغائرٌ وكبائرٌ، وقيل: لم يجتنبوا الكبائرَ فَكُتِبَتْ عليهمِ الصغائرُ؛ وهي المناقشة. وعن ابنِ عباسٍ: الصَّغِيرَةُ: التَّبَسُّمُ، والكَبِيرَةُ: القَهْقَهةُ. وعن سعيدِ بنِ جبْرِ: الصَّغِيرَةُ: المَسِيسُ، والكَبِيرَةُ: الزَّنى. وعن الفُضَيْلِ: كانَ إذا قرأها قال: صَجُّوا

قوله: (يُنَادُونَ هَلَكْتَهُمُ التي هَلِكُوها خاصةً من بينِ الهَلَكاتِ)، وذلك أن حرفَ النِّداءِ لاختصاصِ المَنادي بالإقبال، وهما هنا خَصَّوا<sup>(١)</sup> الهلاكَ بالنِّداءِ، وأضافوا إلى أنفُسِهِم قائلين: ﴿يَوَيْلُنَا﴾ على الاستعارة، فإنَّ الوَيْلَ: الهلاكُ، قالَ في قوله تعالى: ﴿يَحْسِرَةَ عَلَى الْعِبَادِ﴾ [يس: ٣٠]: نداءٌ للحسرةِ عليهم، كأنها<sup>(٢)</sup> قيلَ لها: تعالِي يا حَسْرَةُ، فهذه من أحوالِك التي من حَقِّكَ<sup>(٣)</sup> أن تحضري فيها.

قوله: (هَنَّةٌ صَغِيرَةٌ). الأساس: وفيه هَنَاتٌ وهَنَاتٌ: خِصَالٌ سَوَاءٌ.

قوله: (وهي عبارةٌ عنِ الإحاطة)، أي: التكريرُ للاستيعاب، كما في قوله: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةٌ وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢].

قوله: (وهي المناقشة). النِّهاية: وفي حديثِ عائشةَ: «مَنْ نَوَقَشَ الحِسابَ فَقَدْ هَلَكَ»<sup>(٤)</sup>، أي: من استقصيَ في مُحاسِبَتِهِ وَحُوقِقَ. وأصلُ المناقشةِ من: نَقَشَ الشُّوكَةَ؛ إذا استخرَجَها من جَسْمِهِ وقد نَقَشَها وَأَنْقَشَها، وبه سُمِّيَ المِنْقَاشُ.

(١) في (ط): «حصول».

(٢) في النسخ الخطية: «وإنما». وهو خطأ.

(٣) سقط لفظ «من» من (ف) و(ط).

(٤) أخرجه البخاريُّ (١٠٣)، ومسلم (٢٢٠٥) وغيرهما.

والله من الصغائرِ قبلَ الكبائرِ، ﴿إِلَّا أَحْصَنَهَا﴾ إلا ضبطها وحصرها، ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ في الصحفِ عتيدًا أو جزاءً ما عملوا ﴿وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ فيكتبُ عليه ما لم يعمل أو يزيدُ في عقابِ المستحقِّ، أو يعذبُه بغيرِ جُرمٍ، كما يَزَعُمُ مَنْ ظَلَمَ اللهُ في تعذيبِ أطفالِ المشركينَ بذنوبِ آبائهم.

قوله: (كما يزعم من ظلم الله) أي: نسبه إلى الظلم، من قولك: خطأته، أي: نسبته إلى الخطأ، أو قلت له: يا خاطئ، وليس المعنى: صيره ظالمًا، نحو: قرحته.

والأحاديثُ المرويةُ في أطفالِ المشركينَ مشهورةٌ، منها: ما رواه مسلمٌ وأبو داودَ والنسائيُّ، في آخرِ حديثِ عائشةَ رضي اللهُ عنها: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ لِلجَنَّةِ أَهْلًا خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلًا خَلَقَهُمْ وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ».

وفي روايةِ أبي داودَ: قالتُ: فقلتُ: يا رسولَ اللهُ، ذراري المؤمنين؟ فقال: «هم من آبائهم»، فقلتُ: يا رسولَ اللهُ، بلا عمل؟ قال: «اللهُ أعلمُ بما كانوا عاملين»، قلتُ: يا رسولَ اللهُ، فذراري المشركين؟ فقال: «من آبائهم»، فقلتُ: بلا عمل؟ قال: «اللهُ أعلمُ بما كانوا عاملين»<sup>(١)</sup>. و«من» فيه اتصاليةٌ.

ومنها: ما روى البخاريُّ ومسلمٌ والنسائيُّ عن أبي هريرةَ، قال: سئل رسولُ اللهِ ﷺ عن أطفالِ المشركينَ عمَّن يموتُ منهم وهو صغيرٌ، قال: «اللهُ أعلمُ بما كانوا عاملين»<sup>(٢)</sup>. فظهرَ من هذه النصوصِ مَنْ ظَلَمَ اللهُ بسببِ نسبةِ رسوله إلى الظلم.

قال القاضي: معنى ﴿وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ يَكْتُبُ عليه ما لم يفعل<sup>(٣)</sup>. وقال أيضًا: كرَّرَ قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِئِكَةِ اسْجُدُوا﴾ في مواضعٍ لكونه مقدِّمةً للأمرِ المقصودِ ببيانها في تلكِ الحالِ، وهأهنا لما شنعَ على المُفتخرينَ واستقبحَ صنيعهم، قرَّرَ ذلكَ أنه من سننِ إبليسَ، أو لما بينَ حالِ المغرورِ بالدُّنيا والمُعْرِضِ عنها، وكان سببَ الاغترارِ بها حبَّ الشَّهواتِ

(١) أخرجه مسلم (٢٠٥٠)، وأبو داود (٤٧١٥)، والنسائي (٥٧: ٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٨٤)، ومسلم (٢٦٦)، والنسائي (٢٠٨٨).

(٣) «أنوار التنزيل» (٥٠٣: ٣).

[ ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۗ أَفَتَسْتَحْذِرُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أُولَئِكَ مِنْ دُونِكُمْ وَلَهُمْ لَكُمْ عِدَّةٌ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا \* مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مُتَعَدِّينَ عِضْدًا ﴿ ٥٠ - ٥١ ﴾ ]

﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ كلامٌ مستأنفٌ جارٍ مجرى التعليل بعد استثناء إبليس من الساجدين، كأنَّ قائلًا قال: ما له لم يسجد؟ فقيل: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ والفاء للتسبب أيضًا، جعل كونه من الجن سببًا في فسقه؛ لأنه لو كان ملكًا كسائر من سجد لآدم لم يفسق عن أمر الله؛ لأنَّ الملائكة معصومون البتة لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والإنس، كما قال: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٧]، وهذا الكلام المعتبرُ تعمُّدٌ من الله تعالى لصيانة الملائكة عن وقوع شبهة في عصمتهم، فما أبعد البون بين ما تعمده الله، وبين قول من ضاده وزعم أنه كان ملكًا ورئيسًا على الملائكة، فعصى، فلعين ومسخ شيطانًا، ثم ورَّكه على ابن عباس،

وتسويل الشيطان، زهدهم أولًا في زخارف الدنيا بأثما عرضة للزوال، والأعمال الصالحة خيرٌ وأبقى، ثم نفرَّهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة، وهكذا مذهب كلِّ تكرير في القرآن<sup>(١)</sup>.

قوله: (ثم ورَّكه على ابن عباس)، الأساس: عن الحسن: من أنكر القدر<sup>(٢)</sup> فقد فجر، ومن ورَّك ذنبه على الله فقد كفر.

قال في «الانتصاف»: الحقُّ معه إلا في قوله: «وهذا الكلام المعتبرُ تعمُّدٌ من الله»، فإنه يُطلق على من يفعل فعلًا حينًا<sup>(٣)</sup> خطأ، فلا يليق إطلاقه على الله تعالى<sup>(٤)</sup>.

(١) «أنوار التنزيل» (٣: ٥٠٣).

(٢) في (ح) و(ف). «العداوة». وصوبناه من (ط) ومن «أساس البلاغة».

(٣) في (ح) و(ف): «حسنًا»، وهو تحريف.

(٤) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٢: ٧٢٧). وعبارته ثمة: «غير أن قوله: «تعمده الله تعالى» لفظه لا

تروق ولا تليق».

ومعنى ﴿فَسَقَّ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾: خرج عما أمره به ربه من السجود، قال:

فَوَاسِقًا عَنْ قَصْدِهَا جَوَائِرًا

أَوْ صَارَ فَاسِقًا كَافِرًا بِسَبَبِ أَمْرِ رَبِّهِ الَّذِي هُوَ قَوْلُهُ: ﴿أَسْجُدُوا لِأَدَمَ﴾.

﴿أَفَنَسَخْذُونَهُ﴾ الهمزة للإنكار والتعجب، كأنه قيل: أعقيب ما وجد منه

قَالَ مُحِبِّي السُّنَّةِ: كَانَ بَيْنَ حَيٍّ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، يُقَالُ لَهُمْ: الْجِنُّ، خُلِقُوا مِنْ نَارِ السَّمُومِ<sup>(١)</sup>. وَقَالَ الْإِمَامُ: وَكَوْنُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَا يُنَافِي كَوْنَهُ مِنَ الْجِنِّ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِجَابًا﴾ [الصفات: ١٥٨]، ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، وَلِأَنَّ الْجِنَّ إِنَّمَا سُمُّوا جِنًّا لِلِاسْتِتَارِ، وَالْمَلَائِكَةُ أَيْضًا يَسْتَتِرُونَ<sup>(٢)</sup>، يَعْنِي أَنَّهُ تَعَالَى كَلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ مَرْتَبَةِ الْمَلَائِكَةِ سَمَاهُمْ جِنًّا، كَذَلِكَ هَاهُنَا.

قَوْلُهُ: (فَوَاسِقًا عَنْ قَصْدِهَا جَوَائِرًا)، أَوْلُهُ:

يَذْهَبْنَ فِي تَجْدٍ وَغَوْرًا غَائِرًا

مَضَى شَرْحُهُ فِي «الْبَقْرَةِ»<sup>(٣)</sup>.

قَوْلُهُ: (أَوْ صَارَ فَاسِقًا كَافِرًا)، وَعَلَى هَذَا ﴿فَسَقَّ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ: ﴿أَسْجُدُوا﴾، وَالْفَاءُ: لِلتَّعْقِيبِ، وَ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾: اعْتِرَاضٌ، وَ﴿عَنْ﴾ فِي ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ كَمَا فِي قَوْلِهِ:

يُنْهَوْنَ<sup>(٤)</sup> عَنْ أَكْلِ وَعَنْ شُرْبِ

أَي: أُصْدِرَ فِسْقُهُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَسْجُدُوا﴾ أَي: كَانَ قَوْلُهُمْ: ﴿أَسْجُدُوا﴾ سَبَبًا لِفِسْقِهِ.

(١) «معالم التنزيل» (٥: ١٧٨).

(٢) «مفاتيح الغيب» (٢١: ١٣٦).

(٣) يعني عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦] ومضى تخريج الرجز هناك.

(٤) من ناه ينوه إذا أبى وترك. ومنه قول بعض العرب: إذا أكلنا التمر وشربنا الماء ناهت أنفسنا عن

اللحم. أي: أبته فتركته. انتهى من «تاج العروس» (نوه).

تَتَّخِذُونَهُ ﴿وَدُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي﴾ وتستبدلونهم بي، بشس البدل من الله إبليس لمن استبدلته، فأطاعه بدل طاعته ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ﴾ وقرئ: (ما أشهدناهم)، يعني: أنكم اتخذتموهم شركاء لي في العبادة، وإنما كانوا يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الإلهية، فنفي مشاركتهم في الإلهية بقوله: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لأعتصد بهم في خلقها ﴿وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: ولا أشهدت بعضهم خلق بعض، كقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]. ﴿وَمَا كُنْتُمْ مَخْذَ الْمُضِلِّينَ﴾ بمعنى: وما كنتُم متخذهم ﴿عَضْدًا﴾ أي: أعوانًا، فوضع «المضلين» موضع الضمير ذمًا لهم بالإضلال، فإذا لم يكونوا عَضْدًا لي في الخلق، فما لكم تتخذونهم شركاء لي في

قوله: (وإنما كانوا يكونون)، عن بعضهم: التقدير إنما يصح كما تبين، والظاهر أن قوله: «يكونون» مزيده، كما في قول الفرزدق:

وجيران لنا - كانوا - كرام<sup>(١)</sup>

ويؤيده إسقاطه في بعض النسخ.

قوله<sup>(٢)</sup>: ﴿عَضْدًا﴾ أي: أعوانًا. الراغب: العَضْدُ: ما بين المرفق إلى الكتف، وعَضْدَتُهُ: أصبَتْ عَضْدَهُ، وعنه استعير: عَضْدَتُ الشَّجَرِ بِالْعَضْدِ، ويُستعارُ العَضْدُ للمُعِينِ كَالْيَدِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ مَخْذَ الْمُضِلِّينَ عَضْدًا﴾<sup>(٣)</sup>.

قوله: (فإذا لم يكونوا عَضْدًا لي في الخلق، فما لكم تتخذونهم شركاء؟) إشارة إلى تحقيق ما أنكر عليهم أولاً بقوله تعالى: ﴿أَفَلَنْتَّخِذُونَهُ وَدُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي﴾؛ وذلك أنه تعالى لما عقب امتناع إبليس عن سجدة آدم - لعصيانه وفسقه - إنكار اتخاذه وليًا من دون الله استبعادًا، أراد أن يُقدَّرَ هذا الاستبعاد بوجه بُرْهَانِيٍّ، وقال: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يعني: إنما كانوا شركاء لي أن لو كانوا شركاء فيما يصحُّ به اسم الإلهية،

(١) سبق تحريجه.

(٢) هذه الفقرة سقطت من (ط).

(٣) «مفردات القرآن»، ص ٥٧١.

العبادة؟ وقرئ: (وما كنتَ) بالفتح؛ الخطابُ لرسولِ الله ﷺ، والمعنى: وما صحَّ لك الاعتصامُ بهم، وما ينبغي لك أن تعتزَّ بهم، وقرأ عليُّ رضي الله عنه: (وما كنتُ متخذًا المضلِّين) بالتنوين على الأصل، وقرأ الحسن: (عُضْدًا) بسكونِ الضاد، ونقلَ ضمَّتها إلى العين. وقرئ: (عُضْدًا) بالفتح وسكونِ الضاد، و(عُضْدًا) بضمَّتَيْن، و(عُضْدًا) بفتحَتَيْن: جمع عاضِد، كخادِمٍ وخَدَم، وراصِدٍ ورَصَد، ومن: عَضَدَه؛ إذا قَوَّاهُ وأعانَه.

[ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا \* وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٢-٥٣﴾ ]

﴿يَقُولُ﴾ بالياء والنون. وإضافة الشركاء إليه على زعمهم: توبيخًا لهم وأراد الجنَّ، والموبق: المهلك، من: وَبَقَّ يَبِقُ وَبُوقًا، وَوَبَقَّ يَوْبِقُ وَبِقًا: إذا هلك، وأوبقه غيره. ويجوز أن يكون مصدرًا كالمورد والموعِد، .....

وهو خلقُ السماواتِ والأرض، وإنكم مقرّون بأنَّ الله تعالى هو وحده خالقُ السماواتِ والأرض: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، وإذا لم يكونوا كذلك فلا يكونوا شركاء لي، فقرَّر ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تُخَذِلُونَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ أي: شركاء، فلما لزم من هذه المقدرات تقريرُ قوله: ﴿أَفَنَسْتَجِدُّونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أُولِيَاءَ﴾ قال: فما لكم تتخذونهم شركاء؟ فالإشهادُ بمعنى الإحضار، أي: ما أحضرتهم لأعتضد بهم، قال الإمام: ما أشهدتُ الذين اتَّخذتموهم أولياءَ خلقِ السماواتِ والأرضِ لأعتضد بهم، والدليلُ عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تُخَذِلُونَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ (١).

قوله: ﴿يَقُولُ﴾ بالياء والتون، حمزة: بالنون (٢)، والباقون: بالياء التَّحتاني.

(١) «مفاتيح الغيب» (٢١: ١٣٨).

(٢) وحجته ما تقدّم قبل الآية وما تأخر عنها. فأما ما تقدّم فقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تُخَذِلُونَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ فكما أن «كنتُ» للمتكلّم كذلك «نقول»، وأما ما تأخر فقوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ انتهى بتصريف من «حجة القراءات»، ص ٤٢٠.

يعني: وجعلنا بينهم واديًا من أودية جهنم هو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشتركًا يهلكون فيه جميعًا. وعن الحسن: ﴿مَوْرِقًا﴾: عداوة، والمعنى: عداوة هي في شدتها هلاك، كقوله: لا يكن حُبُّكَ كَلْفًا، ولا بغضُكَ تَلْفًا. وقال الفراء: البَيْنُ: الوصل،

قوله: (يعني: وجعلنا بينهم واديًا)، هذا على تقدير أن يكون الموبق اسم مكان<sup>(١)</sup>. وقوله: ﴿مَوْرِقًا﴾: عداوة على تقدير أن يكون مصدرًا، فيكون مبالغة، كقولك: رجلٌ عدلٌ.

قوله: (والمعنى: عداوة هي في شدتها هلاك)، أي: وضع المسبب موضع السبب؛ لأن العداوة تستلزم الهلاك، أو هو من باب المجاز باعتبار ما يؤول إليه، كأنه قيل: جعلنا بينهم عداوة تجرهم وتؤدبهم إلى الهلاك والتلف، كقوله: «ولا بغضك تلفًا» أي: لا يكن بغضك بحيث يجرُّ إلى التلف والهلاك.

قوله: (كقوله: لا يكن حُبُّكَ كَلْفًا). قيل: هو من كلام أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه<sup>(٢)</sup>.

التَّهْيَاةُ: الكَلْفُ: الولوعُ بالشيء مع شغل قلبٍ ومشقة، ومنه قول عمر رضي الله عنه: عثمانٌ كَلِفٌ بأقاربه، أي: شديد الحب لهم.

قوله: (البَيْنُ: الوصل). الرَّاغِبُ: بَيْنُ: موضوعٌ للخلل بين الشيئين ووسطهما، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَبْرًا﴾ [الكهف: ٣٢]، يقال: بانَ كذا، أي: انفصلَ وظهرَ ما كان مُستترًا منه، ولما اعتبرَ فيه معنى الانفصالِ والظهورِ استعملَ في كلِّ منهما مُفردًا، حتى قيل للبئرِ البعيدةِ القعرُ: بِيونٌ، وبانَ الصُّبْحُ: ظهرَ، يقال: بانَ واستبانَ وتبينَ، والبيئَةُ: الدلالةُ الواضحةُ، عقليَّةٌ كانت أو محسوسةً، وسُميتْ شهادةُ الشاهدينِ بيئَةً، وهو أعمُّ من النطق؛ لأنَّ النطقَ يختصُّ بالإنسان<sup>(٣)</sup>.

(١) وحكاها البغويُّ عن ابن عباس. ونقل عن ابن الأعرابي أنه قال: كلُّ حاجزٍ بين شيئين فهو موبق. انظر: «معالم التنزيل» (٥: ١٨١).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنّف» (٢٠٢٦٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٣٢٢)، والخطابي في «العزلة»، ص ٢٣٨.

(٣) «مفردات القرآن»، ص ١٥٦.



أي: وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكاً يوم القيامة، ويجوز أن يريد الملائكة وعزيراً وعيسى ومريم، وبالمؤبق: البرزخ البعيد، أي: وجعلنا بينهم أمداً بعيداً تهلك فيه الأشواط لفرط بعده؛ لأنهم في قعر جهنم، وهم في أعلى الجنان ﴿فَطَنُوا﴾ فأيقنوا ﴿مُؤَافِعُوهَا﴾ مخالطوها واقعون فيها ﴿مَصْرِفًا﴾ معدلاً، قال:

### أزْهَرَ هل عن شَيْبَةٍ من مَصْرِفٍ

قوله: (ويجوز أن يريد الملائكة): عطف على قوله: وأراد الجن، والمؤبق: المهلك. المعنى على الأول: نادوا شركائي الذين زعمتم من الجن، والحال أن بينهم واديًا من جهنم، أو بينهم عداوة. وعلى الثاني: أن بينهم أمداً بعيداً؛ لأنهم في قعر جهنم وهم في أعلى الجنان.

المغرب: ﴿مَوْبِقًا﴾، أي: مهلكًا من أودية جهنم أو مسافة بعيدة<sup>(١)</sup>.

قوله: (البرزخ): الجوهري: هو الحاجز بين الشيتين.

قوله: (تهلك فيه الأشواط)، المغرب: الأشواط: جمع شوط، وهو جري مرة إلى الغاية<sup>(٢)</sup>، يعني فيه السير<sup>(٣)</sup>، كناية عن البعد البعيد.

قوله: (أزهر هل عن شيبية من مصرف)؟ تمامه من «المطلع»:

أم لا خلود لباذل متكلف<sup>(٤)</sup>؟

«زهير»: يروي بفتح الراء: ترخيم «زهيرة» اسم امرأة.

«من مصرف»، الأساس: صرف عن عمله: غير<sup>(٥)</sup>، وإنه ليتصرف: يخال.

يقول: أيتها اللائمة، هل تقدر أحدًا أن يخال في تغيير الشيبية؟ بل أتزعمين أن من بذل ماله في إنفاقه لا يبقى اسمه مخلدًا على وجه الزمان؟

(١) «المغرب في ترتيب المعرب» (٢: ٣٣٩).

(٢) المصدر السابق (١: ٤٥٧).

(٣) في (ط): «أي: يغني فيه السير».

(٤) لأبي كبير الهذلي كما في «ديوان الهذليين» (٢: ١٠٤).

(٥) في «أساس البلاغة»: «عزل»، وهو الأشبه بالصواب.

[﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ ٥٤]

﴿أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ أكثر الأشياء التي يتأتى منها الجدال إن فصلتها واحداً بعد واحد، خصومة وممارسة بالباطل. وانتصاب ﴿جدلاً﴾ على التمييز، يعني: أن جدل الإنسان أكثر من جدل كل شيء، ونحوه: ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُتَّبِعٌ﴾ [النحل: ٤].

[﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيهِمْ سُنَّةٌ الْأُولَىٰ أَوْ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾ ٥٥]

(أن) الأولى نصب، والثانية رفع، وقبلها مضاف محذوف تقديره: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ﴾ الإيمان والاستغفار ﴿إِلَّا﴾ انتظار ﴿أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأُولَىٰ﴾، وهي الإهلاك، ﴿أَوْ﴾ انتظار أن ﴿يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ﴾ يعني: عذاب الآخرة، (قبلاً) عياناً. وقرئ: ﴿قُبُلًا﴾ أنواعاً؛ جمع قبيل، و(قبلاً) بفتحتين؛ مستقبلاً.

قوله: (إن فصلتها واحداً بعد واحد)، وذلك من إضافة «أفعل» التفضيل إلى الواحد، فإن الإضافة فيه إذا أريد بيان زيادته، يقتضي أن يكون المفضل داخلاً فيمن أضيف إليهم فرداً منهم ليحصل المقصود من الشركة والزيادة، قال ابن مالك: إن أفعل إذا أضيف إلى نكرة، نحو: زيد أفضل رجل، وهما أفضل رجلين، وهم أفضل رجال، معناه: زيد أفضل من كل رجل قيس فضله بفضلهم، وهما أفضل من كل رجلين قيس فضلهما بفضلها، وعلى هذا.

قوله: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ﴾ الإيمان والاستغفار) أي: من الإيمان.

قوله: (وقرئ: ﴿قُبُلًا﴾ الكوفيون: بضمّتين<sup>(١)</sup>، والباقون: بكسر القاف وفتح الباء<sup>(٢)</sup>).

(١) جمع قبيل، وهو الصنف والنوع. والمعنى: أو يأتيهم العذاب صنفاً صنفاً أي: أنواعاً من العذاب. وقد

الزجاج: قبلاً بمعنى قبيل: مما يقابلهم من قبيل وجوهمهم. انظر: «حجّة القراءات»، ص ٤٢٠.

(٢) أي: عياناً ومواجهة.

﴿ وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَمُجَدِّدِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْعَقْلَ وَاتَّخِذُوا عَاقِبَتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴾ [٥٦]

﴿لِيُدْحِضُوا﴾ ليزيلوا ويُبطلوا، من إِدْحَاضِ الْقَدَمِ؛ وهو إِزْلَاقُهَا وإِزَالَتُهَا عن مَوَاطِنِهَا ﴿وَمَا أُنذِرُوا﴾ يجوزُ أَنْ تَكُونَ ﴿مَا﴾ موصولة، ويكونُ الرَّاجِعُ مِنَ الصَّلَاةِ مَحذُوفًا، أَي: وَمَا أُنذِرُهُ مِنَ الْعَذَابِ. أو مصدريةً بمعنى: وإِنذَارَهُمْ. وقُرئ: (هَزَاءً) بِالسُّكُونِ، أَي: اتَّخَذُوا مَوْضِعَ اسْتِهْزَاءٍ. وَجِدَاهُمْ: قَوْلُهُم لِلرُّسُلِ: ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾ [المؤمنون: ٢٤] وما أشبه ذلك.

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ [٥٧]

﴿بَيَّانَاتِ رَبِّهِ﴾ بِالْقُرْآنِ، وَلِذَلِكَ رَجَعَ إِلَيْهَا الضَّمِيرُ مَذْكَرًا فِي قَوْلِهِ: ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾. ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ فَلَمْ يَتَذَكَّرْ حِينَ ذُكِّرَ وَلَمْ يَتَذَبَّرْ ﴿وَنَسِيَ﴾ عَاقِبَةُ ﴿مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ﴾ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، غَيْرَ مُفَكِّرٍ فِيهَا وَلَا نَاطِقٍ فِي أَنْ الْمُسِيءَ وَالْمُحْسِنَ لَا بَدَلَهُمَا مِنْ جَزَاءٍ، ثُمَّ عُلِّلَ إِعْرَاضَهُمْ وَنَسْيَانَهُمْ بِأَنَّهُمْ مَطْبُوعٌ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَجَمَعَ بَعْدَ الْإِفْرَادِ حَمَلًا عَلَى لَفْظِ «مِنْ» وَمَعْنَاهُ، ﴿فَلَنْ يَهْتَدُوا﴾ فَلَا يَكُونُ مِنْهُمْ اهْتِدَاءُ الْبَتَّةِ، .....

قوله: (من إِدْحَاضِ الْقَدَمِ)، الْأَسَاسُ: وَمِنْ الْمَجَازِ: دَحَضْتُ حُجَّتَهُ، و﴿جَحَّوهُمْ دَاحِضَةً﴾ [الشورى: ٦١].

الرَّازِبُ: يَقَالُ: أَدْحَضْتُ فَلَانًا فِي حُجَّتِهِ فَدَحَضْتُ، وَأَدْحَضْتُ حُجَّتَهُ فَدَحَضْتُ، وَأَصْلُهُ مِنْ دَحَضِ الرَّجْلِ، وَعَلَى نَحْوِهِ فِي وَصْفِ الْمُنَاطَرَةِ:

نَظَرًا يُزِيلُ مَوَاقِعَ الْأَقْدَامِ<sup>(١)</sup>

(١) ذكره الأمدى في «الموازنة»، ص ٣٨، وصدْرُهُ:

يتقارضون إذا التقوا في منزل

كأنه محالٌ منهم لشدة تصميمهم، ﴿أَبَدًا﴾ مُدَّة التَّكْلِيفِ كُلِّهَا، و﴿إِذَا﴾ جزاءٌ وجوابٌ، فدلَّ على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول، بمعنى: أنهم جعلوا ما يجب أن يكون سببَ وجودِ الاهتداء سببًا في انتفائه، وعلى أنه جوابٌ للرسولِ .....

وَدَحَضَتِ الشَّمْسُ، مُسْتَعَارًا مِنْ ذَلِكَ (١).

قوله: (كأنه محالٌ)، يريدُ أنه نفى الاهتداء بـ«لَنْ»، وهي لتأكيد النفي.

قوله: (و﴿إِذَا﴾: جزاءٌ وجوابٌ)، فيه لَفٌّ.

قوله: (فدلَّ على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول) بيانٌ أن يكونَ جزاءً، أي: جعلَ دعوة الرسولِ سببًا لانتفاء اهتدائهم، فإنَّ الجزاءَ مُسَبَّبٌ عَنِ الشَّرْطِ، وَلَا يَصِحُّ هَذَا إِلَّا عَلَى تَقْدِيرِ الْإِخْبَارِ وَالْإِعْلَامِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: إِنْ تَجْتَهَدُ فِي دَعْوَتِهِمْ فَاعْلَمْ أَنَّ مَعَهُمْ مَا يَدْعُوهُمْ إِلَى مَزِيدٍ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعِنَادِ وَشِدَّةِ الشُّكِيمَةِ، أَي: يجعلونَ ما هو سببٌ للاهتداء سببًا لمزيد الضلال.

وقوله: (وعلى أنه جوابٌ للرسول) بيانٌ للجواب، ولما كانَ مَوْرِدُ السُّؤَالِ قَوْلَهُ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ كما سيجيء، قَدَّرَ: ما لي لا أدعوهم، وفيه تعسُّفٌ.

قال صاحبُ «الفرائد»: يُمكنُ أن يُقالَ: ﴿إِذَا﴾ هاهنا: جزاءً، أي: إن تدعهم إلى الهدى - وحالهم ما ذُكِرَ - لن يهتدوا، أي: جزاءٌ ما هم عليه عدَمُ الاهتداء، وجوابٌ لسؤال الرسولِ على تقدير: لمَ لن يهتدوا بعدَ أن دعوتهم؟ فأجيب: لأنهم على تلك الحال (٢)؛ لأنَّ ﴿إِذَا﴾: إشارةٌ إلى ما مرَّ، وهو ﴿إِنَّا جَعَلْنَا﴾ الآية، وهذا أظهرٌ، والنَّظْمُ لَهُ أَدْعَى، وَلَا يَلَزَمُ مِنَ التَّعْكِيسِ الَّذِي ارْتَكَبَهُ الْمُصَنِّفُ بِالتَّعْسُفِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: ﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى﴾ بعدَ ما جعلنا على قلوبهم أكنةً وفي آذانهم وقْرًا فلن يهتدوا إذا أبدًا.

قال الإمام: والعجبُ أن قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَا﴾ مُتَمَسِّكُ الْقَدْرِيَّةِ، وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ مُتَمَسِّكُ الْجَبْرِيَّةِ، وَقَلَمَا

(١) «مفردات القرآن»، ص ٣٠٨.

(٢) وهو أحدُ الوجهين اللذين ذكرهما ابن عطية في «المحرر الوجيز»، ص ١٢٠٠ في تفسير هذه الآية في

تجدُّ في القرآن آيةً لأحدِ هذينِ الفريقينِ إلَّا ومعها آيةٌ للفريقِ الآخرِ، والتجربةُ تكشفُ عنِ صِدْقِ قولنا، وما ذاكِ إلَّا امتحانٌ شديدٌ من الله تعالى ألقاهُ على عباده لِيتميِّزَ العلماءَ الراسخونَ من المقلِّدينِ<sup>(١)</sup>.

وقلتُ - والله أعلم - : قلما تجدُّ في القرآنِ المَجيدِ كلامًا أكشَفَ وأبَيَّنَ دليلًا على صحَّةِ<sup>(٢)</sup> مذهبِ أهلِ السُّنَّةِ من هذا؛ وذلك أن قولَه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ﴾ كالتذليلِ للآيةِ السابقة. وقولُه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا﴾: استئناف<sup>(٣)</sup> لبيانِ موجبِ إعراضِ الظالمِ ونسيانِه، أي: تشاغلهُ وتغافلُه عما يُهمُّه من تدارُكِ ما قدَّمتْ يَدَاؤُهُ من الكُفْرِ والمعاصي بعد ما ذُكِّرَ بآياتِ ربِّه، وإليه أشارَ المصنِّفُ بقولِه: «ثمَّ علَّلَ إعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوعٌ على قلوبهم».

ثمَّ في بناءِ ﴿جَعَلْنَا﴾ على ﴿إِنَّا﴾ على سبيلِ تقويِّ الحُكْمِ والتخصيصِ وتوكيده بـ«أن»، وإيثارُ صيغةِ التعظيمِ الدلالةُ على أنه فعَّالٌ لما يشاء، ويحكُّمُ ما يريدُ، لا اعتراضَ لأحدٍ عليه، وأنه تعالى فعَّالٌ لذلك البتَّةِ وهو مختصٌّ به، ثمَّ أوقعَ قولَه: ﴿وَلِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ نتيجةً عن التعليلِ مقرَّرًا لما سيقتُ له العِلَّةُ.

والحاصلُ أن لا جَبَرَ ولا قَدَرَ، فقولُه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾ الآية، إشارةٌ إلى الكتبِ، وقولُه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا﴾ الآية، إشارةٌ<sup>(٤)</sup> إلى الخلقِ والإيجادِ، والله أعلم.

ثمَّ استشهدَ على ذلك بتركِ مؤاخِذةِ أهلِ مكَّةَ، يعني: أخبرَ اللهُ عزَّ وجلَّ أنه تعالى بليغُ المغفرةِ والموصوفُ بالرحمةِ، ثمَّ جاءَ بقولِه: ﴿لَوْ يُوَاحِدُهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ استشهدًا بأنه بليغُ الرحمةِ، يعني: أنهم استوجِبوا بمُكابرتهم أن يُصَبَّ عليهم العذابُ صبيًا، ولكنَّ صرفَ ذلك عنهم؛ لأنَّه الرَّبُّ الغفورُ ذو الرَّحمةِ يُمهِّلُ ولا يُعاجِلُ.

(١) «مفاتيح الغيب» (٢١: ١٤٢).

(٢) سقط لفظ «صحَّة» من (ف).

(٣) في (ح) و(ف): «استناد».

(٤) قوله: «إلى الكتب»، وقولُه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا﴾ الآية إشارةٌ سقط من (ط).

على تقدير قوله: ما لي لا أدعوهم جزواً على إسلامهم؟ فقيل: ﴿وَأِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا﴾.

[﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً﴾ ٥٨]

﴿الْغَفُورُ﴾ البليغ المغفرة ﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾ الموصوف بالرحمة، ثم استشهد على ذلك بترك مؤاخذه أهل مكة عاجلاً من غير إمهال مع إفراطهم في عداوة رسول الله ﷺ ﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ﴾ وهو يوم بدر ﴿لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً﴾ منجى ولا ملجأ، يقال: وآل؛ إذا نجا، وآل إليه؛ إذا لجأ إليه.

[﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً﴾ ٥٩]

﴿وَتِلْكَ الْقُرَى﴾ يريد: قرى الأولين من ثمود وقوم لوط وغيرهم: أشار لهم إليها ليعتبروا. ﴿وَتِلْكَ﴾ مبتدأ، و﴿الْقُرَى﴾ صفة؛ لأن أسماء الإشارة توصف بأسماء الأجناس، و﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ خبر.

ويجوز أن يكون ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى﴾ نصباً بإضمار «أهْلَكْنَا» على شريطة التفسير، والمعنى: وتلك أصحاب القرى أهلكناهم ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾ مثل ظلم أهل مكة، ﴿وَجَعَلْنَا

قوله: (والمعنى: وتلك أصحاب القرى)، إلى قوله: (مثل ظلم أهل مكة)، هذا معنى الآية على التقديرين. وفيه أن المشار إليه بقوله: ﴿تلك﴾: ما دل عليه قوله: ﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَدِّدُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَطْلِ﴾ يعني: إن كان مقتضى المغفرة والرحمة ترك مؤاخذه أهل مكة عاجلاً، لكن مقتضى الوعد إهلاكهم عاجلاً، وبذلك مضت سنة الأولين، وكما أهلكننا القرون الماضية بعد إرسال الرسل إليهم مبشرين ومنذرين وبعد مجادلتهم إياهم بالباطل ليدحضوا به الحق، كذلك يهلك أهل مكة؛ لأنهم ظلموا مثل ظلمهم.

لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿ وَضَرَبْنَا لِإِهْلَاقِهِمْ وَقْتًا مَعْلُومًا لَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْهُ كَمَا ضَرَبْنَا لِأَهْلِ مَكَّةَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَالْمَهْلِكُ: الْإِهْلَاكُ وَوَقْتُهُ. وَقُرَى: ﴿لِمَهْلِكِهِمْ﴾ بفتح الميم واللام مفتوحة أو مكسورة، أي: هلاكهم أو وقت هلاكهم، والموعِد: وقت أو مصدر.

[ ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَا آتِبِحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا \* فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا \* فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ ءَإِنَّا غَدَاءٌ لَّكَ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَسِيًا \* قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتِينَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسِينِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ، وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا \* قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا \* فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَإِيْنَتُهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿ ٦٠ - ٦٥ ]

قوله: (وقرى: ﴿لمهلكهم﴾)، أبو بكر: بفتح الميم واللام، وحفص: بفتح الميم وكسر اللام، والباقون: بضم الميم وفتح اللام<sup>(١)</sup>.

قوله: (أي: هلاكهم أو وقت هلاكهم، والموعِد: وقت أو مصدر)، قال صاحب «الإيجاز»: ﴿لمهلكهم﴾ مصدر، كقوله: ﴿مُدْخَلٌ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: ٨٠]، ويجوز «مهلكهم»: اسمُ زمانِ الهلك، أي: جعلنا لوقتِ إهلاكهم<sup>(٢)</sup> موعداً، ولكن المصدرَ أولى لتقدم أهلكناهم، والفعل يقتضي المصدرَ وجوداً وحصولاً، وهو المفعولُ المطلق. ويقتضي الزمانَ والمكانَ محلاً وظرفاً، وكلُّ فعل زاد على ثلاثة أحرفٍ فالمصدرُ واسمُ الزمانِ والمكانِ منه على مثالِ المفعول، وإذا كانَ المَهْلِكُ اسمَ زمانِ الهلاكِ لا يجوزُ الموعِدُ اسمَ الزمانِ؛ لأنَّ الزمانَ وُجِدَ في المَهْلِكِ فلا يكونُ للزمانِ زمانٌ، بل يكونُ الموعِدُ بمعنى المصدرِ، أي: جعلنا الزمانَ هلاكهم ووعداً وعلى العكس<sup>(٣)</sup>.

(١) لتمام الفائدة انظر: «حجة القراءات»، ص ٤٢١، و«معاني القراءات»، ص ٢٦٩-٢٧٠.

(٢) في (ح): «هلاكهم».

(٣) «إيجاز البيان عن معاني القرآن» (٢: ٥٢٤).

﴿لَفَتَسَهُ﴾ لعَبْدِهِ. وفي الحديث: «لَيَقْلُ أَحَدُكُمْ: فتايَ وفتاتي، ولا يقل: عَبْدِي وأمتي». وقيل: هو يوشعُ بن نون، وإنما قيل: فتاه؛ لأنه كان يخدمه ويتبعه، وقيل: كَانَ يأخذُ منه العِلْمَ. فإن قلت: ﴿لَا أَبْرَحُ﴾ إن كَانَ بمعنى: لا أزال، من: بَرَحَ المكانَ، فقد دَلَّ على الإقَامَةِ لا على السَّفَرِ، وإن كَانَ بمعنى: لا أزال، فلا بُدَّ من الخبر. قلت: هو بمعنى: لا أزال، وقد حُذِفَ الخبر؛ لأنَّ الحالَ والكلامَ معًا يَدُلُّانِ عليه. أمَّا الحالُ فلأنها كانت حالَ سَفَرٍ، وأمَّا الكلامُ فلأنَّ قوله: ﴿حَقَّقَ أَبْلَغَ مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ﴾ غايةٌ مضرُوبَةٌ وتَسْتَدْعِي ما هي غايةٌ له، فلا بُدَّ أن يكونَ المعنى: لا أبرحُ أسيرُ حتى أبلغَ مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ. ووجهٌ آخر: وهو أن يكونَ المعنى: لا يبرحُ مسيري حتى أبلغَ، على أنَّ ﴿حَقَّقَ أَبْلَغَ﴾ هو الخبر، فلما حُذِفَ المضافُ أقيمَ المضافُ إليه مقامه، وهو ضميرُ

قوله: (لَيَقْلُ أَحَدُكُمْ: فتايَ وفتاتي) الحديثُ أخرجهُ أحمدُ بنُ حنبلٍ في «مُسْنَدِهِ» عن أبي هُرَيْرَةَ<sup>(١)</sup>.

قوله: (كان يأخذُ منه العِلْمَ) فيه إدماجُ أنْ مَنْ أخذَ العلمَ بمنزلة العبدِ لمن يأخذُ منه<sup>(٢)</sup>.  
قوله: (تَسْتَدْعِي ما هي غايةٌ له)، أي: قوله: ﴿مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ﴾: غايةٌ معيَّنةٌ، وهي - أي: مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ - مُسْتَدْعِيَةٌ ذا غايةٍ، وهو السَّيرُ؛ لأنه لا بُدَّ للسَّيرِ من ابتداءِ الغايةِ وانتهائها.

قوله: (المعنى: لا يَبْرَحُ مَسِيرِي حتى أبلغَ)، يعني: المرادُ من الآيةِ هذا، لكنِ اختَصَرَ، فعلى هذا متعلِّقُ الخبرِ: فعلٌ خاصٌّ بقريئةِ المقامِ، وهو «يسيرُ» كما قُدِّرَ فيها مرَّ «أسيرُ»، أي: لا يَبْرَحُ مَسِيرِي حتى أبلغَ، على الإسنادِ المَجَازِيِّ، كأنه قال: أبلغَ في السَّيرِ وأبذلُّ فيه مجهودي حتى يسيرَ سَيرِي، نحو: جَدَّ جَدُّهُ، وطريقُه سائرٌ، ومن ثمَّ قال: «وهو وَجْهٌ لطيفٌ»، وقد يقال: إنَّ اللَّطْفَ في التخرِيجِ هو الوَجْهُ النَّحْوِيُّ.

(١) «مسند الإمام أحمد» (٩٤٥١)، وأصلُه في «الصحيح»، أخرجه البخاري (٢٥٥٢)، ومسلم (٢٢٤٩)،

وغيرهما، وانظر تمام تخرِيجِه في «مسند أحمد».

(٢) هذه الفقرة سقطت من (ح) و(ف).



الْمُتَكَلِّمُ، فَنَاقَلَبَ الْفِعْلُ عَنِ لَفْظِ الْغَائِبِ إِلَى لَفْظِ الْمُتَكَلِّمِ، وَهُوَ وَجْهٌ لَطِيفٌ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: لَا أْبْرَحُ مَا أَنَا عَلَيْهِ، بِمَعْنَى: الْأَزْمُ الْمَسِيرَ وَالطَّلَبَ وَلَا أتركُهُ وَلَا أَفَارِقُهُ حَتَّى أَبْلُغَ، كَمَا تَقُولُ: لَا أْبْرَحُ الْمَكَانَ. وَمَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ: الْمَكَانُ الَّذِي وُعد فِيهِ مُوسَى لِقَاءَ الْخَضِرِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَهُوَ مُلتَقَى بَحْرَيِ فَارِسَ وَالرُّومِ مِمَّا يَلِي الْمَشْرِقَ، وَقِيلَ: طَنْجَةٌ، وَقِيلَ: إِفْرِيقِيَّةٌ. وَمَنْ بَدَعَ التَّفَاسِيرَ: أَنَّ الْبَحْرَيْنِ مُوسَى وَالْخَضِرَ، لِأَنَّهَا كَانَا بَحْرَيْنِ فِي الْعِلْمِ. وَقُرِي: (مَجْمَعٌ) بِكسْرِ الْمِيمِ، وَهِيَ فِي الشُّذُوذِ مِنْ «يَفْعَلُ»، كَالْمَشْرِقِ

قوله: (ويجوز أن يكون المعنى: لا أبرح ما أنا عليه): عطف على قوله: «هو بمعنى: لا أزال». قال أبو البقاء: «(لا أبرح) يجوز أن تكون تامة، والمفعول محذوف، أي: لا أفرق السير حتى أبلغ، كقولك: لا أبرح المكان، أي: لا أفرقه»<sup>(١)</sup>.

قوله: (وقري: «مجمع» بكسر الميم، وهي في الشذوذ)، يعني به: قراءة وقياسًا. قال ابن جنّي: «وهي قراءة عبد الله بن مسلم بن يسار»<sup>(٢)</sup>، المصدر من فعل يفعل، والمكان والزمان كلهن على<sup>(٣)</sup> «مفعل» بالفتح، نحو: «مذهب»، بمعنى: الذهاب، و«مذهب» بمعنى<sup>(٤)</sup>: مكان يذهب فيه، و«هذا مذهبك»، أي: زمان ذهابك، إلا أنه قد جاء «المفعل» بالكسر، نحو: المشرق والمغرب والمنسك والمطلع؛ لأنه من يشرق ويعرب وينسك ويطلع. ونحو من هذا «مجمع البحرين»، وهو مكان كما ترى؛ لأنه من: جمع يجمع، فقياسه «مجمع» لولا ما ذكرناه من الحمل على نظيره<sup>(٥)</sup>.

(١) «التبيان في إعراب القرآن» (٢: ٨٥٤).

(٢) له ترجمة في «طبقات ابن سعد» (٧: ٢٣٩).

(٣) قوله: «على»: زيادة من «المحتسب».

(٤) في (ح) و(ف): «مفعل»، بالفتح، كقولك: ذهب مذهبًا، بمعنى الذهاب، أي: ذهابًا، ومذهب بمعنى، والمثبت من (ط)، والأول أقرب إلى لفظ ابن جنّي في «المحتسب»، لكن فيه إشكال نحوي في قوله: «ومذهب»، والمثبت سالم منه.

(٥) «المحتسب» (٢: ٣٠).

والمطلع من «يفعل»، ﴿أَوْ أَمْضَى حُقُبًا﴾ أو أسيرَ زمانًا طويلًا، والحُقْبُ: ثمانون سنة. وروي: أنه لما ظهر موسى على مصر مع بني إسرائيل واستقرّوا بها بعد هلاك القبط، أمره الله أن يذكرّ قومه النعمة، فقام فيهم خطيبًا فذكر نعمة الله وقال: إنه اصطفى نبيكم وكلمه، فقالوا له: قد علمنا هذا، فأئى الناس أعلم؟ قال: أنا، فعتب الله عليه حين لم يرّد العلم إلى الله، فأوحى إليه: بل أعلم منك عبد لي عند جمع البحرين وهو الخضر، وكان الخضر في أيام أفريدون قبل موسى عليه السلام، وكان على مقدّمة ذي القرنين الأكبر، وبقي إلى أيام موسى. وقيل: إن موسى سأل ربه: أيّ عبادك أحب إليك؟ قال: الذي يذكرني ولا ينساني، قال: فأئى عبادك أفضى؟ قال:

الرّاعب: ﴿بَجَمَعَ بَيْنَهُمَا﴾ يجوز أن يكون «البيّن» مصدرًا، أي: موضع المقترب<sup>(١)</sup>.

قوله: (فقام فيهم خطيبًا) إلى قوله: (عند جمع البحرين)، ما يقرب منه رواه الشيخان والترمذي عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن أبي بن كعب، عن رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>.

قوله: (وكان الخضر في أيام أفريدون)، قال ابن الأثير صاحب «الكامل في التاريخ»: قول من قال: إن الخضر كان في أيام أفريدون وذي القرنين الأكبر قبل موسى بن عمران أشبه بالحديث، يعني الحديث الذي رواه أبو بن كعب، ورسول الله ﷺ أعلم الخلق بالكائن من الأمور، فيحتمل أن يكون الخضر على مقدّمة ذي القرنين قبل موسى عليه السلام وأنه شرب من ماء الحياة فطال عمره. ولم يرسل في أيام إبراهيم عليه السلام، وبعث في أيام بشتاسب بن هراسب<sup>(٣)</sup>.

وقال الإمام في «تفسيره»: إن ذا القرنين ليس الإسكندر صاحب أرسطون؛ لأن الله تعالى مدحه في كتابه، وصاحب أرسطون ليس ممن يمدحه الله تعالى<sup>(٤)</sup>.

(١) «مفردات القرآن»، ص ١٥٦.

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٢٥)، ومسلم (٢٣٨٠)، والترمذي (٣١٤٩) وغيرهم.

(٣) «الكامل في التاريخ» (١: ٩٠).

(٤) «مفاتيح الغيب» (٢١: ١٦٣).

الذي يقضي بالحقِّ ولا يتَّبِعُ الهوى، قال: فأبىَّ عبادك أعلم؟ قال: الذي يتبني علمَ الناسِ إلى علمِهِ، عسى أن يصيبَ كلمةً تدلُّه على هدى، أو تردُّه عن ردى، فقال: إن كانَ في عبادك من هو أعلمُ مِنِّي فادلُّني عليه، قال: أعلمُ منك الخضر. قال: أينَ أطلُّبه؟ قال: على الساحلِ عندَ الصخرة، قال: يا ربِّ، كيف لي به؟ قال: تأخذُ حوتًا في مِكتَلٍ، فحيثُ فُقدته فهو هناك، فقالَ لِفتاه: إذا فُقدتَ الحوتَ فأخبرني، فذهبَا يمشيان، فرَقَدَ موسى، فاضطربَ الحوتُ ووقعَ في البحرِ، فلما جاء وقتُ الغداءِ طلبَ موسى الحوتَ، فأخبره فتاهُ بوقوعِهِ في البحرِ، فأتيا الصخرةَ، فإذا رجلٌ مُسجى بثوبه، فسَلَّمَ عليه موسى، فقال: وأتى بأرضنا السلام، فعرفه نفسه، فقال: يا موسى، أنا على علمِ علمِنيهِ اللهُ لا تعلمه أنت، وأنتَ على علمِ علمِكهُ اللهُ لا أعلمه أنا، فلما ركبا السفينةَ جاءَ عصفورٌ فوقَ على حَرْفِها فنقرَ في الماء، فقال الخضر: ما ينقصُ علمي وعلمك من علمِ الله مقدارَ ما أخذَ هذا العصفورُ من البحرِ، ﴿نَسِيَا حَوْتَهُمَا﴾ أي: نسيَا تَفَقُّدَ أمرِهِ وما يكونُ منه مما جُعِلَ أمارَةً على الظَّفَرِ بالطلُّبة، .....

قوله: (الذي يتبني علمَ الناسِ إلى علمِهِ)، أي: الذي يَضُمُّ علمَ الناسِ إلى علمِهِ مُبتغياً لَهُ طالباً، على تضمينِ «يتبني» معنى «يَضُمُّ». الجوهري: أَبغيتُكَ الشيءَ: أعتك على طلبِهِ، وَأَبغيتُكَ الشيءَ: جعلتُكَ طالباً لَهُ، وابتغيتُ الشيءَ وَتَبَغَيْتَهُ: إذا طلبتَهُ.

قوله: (كيف لي به؟) أي: كيف يتهياً ويتيسر لي أن أظفر به؟

قوله: (تأخذُ حوتًا في مِكتَلٍ) إلى قوله: (العصفورُ من البحرِ) من حديثِ أبي بن كعبٍ بالإسنادِ السابق، مع تغييرٍ يسير.

النهاية: المِكتَلُ، بكسرِ الميمِ: الزَّنْبِيلُ الكبيرُ، ويجمَعُ على مِكاتِلَ.

قوله: (فحيثُ فُقدته)، النهاية: فُقدتُ الشيءَ أفقدته: إذا غابَ عنك.

قوله: (أي: نسيَا تَفَقُّدَ أمرِهِ وما يكونُ منه، مما جُعِلَ أمارَةً على الظَّفَرِ بالطلُّبة). وما يكونُ منه: عطفٌ تفسيريٌّ على قوله: «تَفَقُّدَ أمرِهِ»، و«مِنَ» - في «مما جُعِلَ أمارَةً» - بيانٌ

وقيل: نسي يوشع أن يقدمه، ونسي موسى أن يأمره فيه بشيء، وقيل: كان الحوت سمكة مملوحة، وقيل: إن يوشع حمل الحوت والخبز في المكنل، فنزلا ليلة على شاطئ عين تسمى عين الحياة، ونام موسى، فلما أصاب السمكة برد الماء ورؤحه عاشت، ورؤي أنها أكلت منها، وقيل: توضع يوشع من تلك العين، فانتضح الماء على الحوت، فعاش ووقع في الماء، ﴿سرباً﴾ أمسك الله جزية الماء على الحوت فصار عليه مثل الطاق، وحصل منه في مثل السرب معجزة لموسى أو للخضر، ﴿فلما جاؤزا﴾ الموعد وهو الصخرة لنسيان موسى تفقد أمر الحوت وما كان منه، ونسيان يوشع أن يذكر لموسى

«ما»، وهو التوصية بأنه حيث فقدته فالحضر<sup>(١)</sup> هناك.

قوله: (وقد قيل: نسي يوشع أن يقدمه)، أي: يُقدّم الحوت بين يدي موسى عليه السلام، ونسي موسى أن يأمره بإحضاره ليُشاهد منه تلك الأمانة التي جعلت لها، وذلك أن موسى عليه السلام وعد أن لقاء الخضر عند مجمع البحرين كما سبق، وأن فقدان الحوت علامة للقاء، فلما بلغ الموعد كان من حقها أن يتفقد أمر الحوت، أما الفتى فلكونه خادماً له، وكان عليه أن يقدمه بين يديه، وأما موسى فلكونه أميراً عليه، كان عليه أن يأمره بالإحضار، فنسي كل واحد ما عليه، وإنما احتجج إلى التأويل لأن النسيان لا يتعلق بالدواب، كما سبق عن الراغب في تعريفه: النسيان: ترك ضبط ما استودع، إما لضعف قلبه، وإما عن غفلة أو عن قصد حتى ينحذف عن القلب ذكره<sup>(٢)</sup>.

قوله: (فانتضح الماء)، الجوهرى: النضح: الرش، نضحت البيت أنضحه، بالكسر.

قوله: (وحصل منه في مثل السرب)، الأساس: ما حصل في يدي شيء منه، أي: ما رجع، وما حصلت منه على شيء، المعنى<sup>(٣)</sup>: ورجع من الماء في مثل السرب، و«في»: تجريدية؛ لأنه انتزع من الماء شيئاً يشبه السرب، نحو: رأيت زبداً في مثل الأسد. قال

(١) في (ح): «فهو».

(٢) «مفردات القرآن»، ص ٨٠٣.

(٣) سقط لفظ «المعنى» من (ح).

ما رأى من حياته ووقوعه في البحر. وقيل: سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلة والغد إلى الظهر، وألقي على موسى النَّصْبُ والجوع حينَ جاوزَ الموعد، ولم ينصَبْ ولا جاع قبل ذلك، فتذكر الحوتَ وطلبه. وقوله: ﴿مَنْ سَفَرْنَا هَذَا﴾ إشارة إلى مسيرهما وراء الصخرة. فإن قلت: كيف نسي يوشع ذلك، ومثله لا ينسى، لكونه أماراً لهما على الطلبة التي تناهضاً من أجلها، ولكونه معجزتين ثنتين: وهما حياة السمكة المملوحة

القاضي: نصب ﴿سَرَبًا﴾ على المفعول الثاني، و﴿فِي الْبَحْرِ﴾: حالٌ منه، أو من «السبيل»، ويجوزُ تعلُّقه بـ«اتَّخَذَ»<sup>(١)</sup>.

النهاية: السَّرْبُ، بالتَّحريك: المسلكُ في الخفية.

الراغب: السَّرْبُ: الذهابُ في حُدُورٍ، والسَّرْبُ: المنحدرُ. قال تعالى: ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾، يقال: سَرَبَ سَرَبًا وسَرَبًا، نحو: مرَّ مرًا ومرورًا. وأنسَرَبَ انسرابًا: كذلك، لكنَّ سَرَبَ يقالُ على تصوُّر الفعلِ من فاعله، وأنسَرَبَ على تصوُّر الانفعالِ منه، وأنسَرَبَ الدَّمْعُ: سَالَ، وأنسَرَبَتِ الحَيَّةُ إلى جُحْرِها، وسَرَبَ الماءُ من السَّقَاءِ، وماءٌ سَرَبٌ وسَرِبٌ: مُتَقَطِّرٌ من سِقَائِهِ. والسَّارِبُ: الذَّاهِبُ في سَرِبِهِ أيَّ طريقٍ كان. قال تعالى: ﴿وَسَارِبًا بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠]. والسَّرْبُ: جمعُ سَارِبٍ كَرَكِبٍ وراكبٍ، وتُعرَفُ في الإبلِ حتى قيل: دُعِرَتْ سَرِبُهُ، أي: إبلُهُ، وهو آمنٌ في سَرِبِهِ، أي: في نَفْسِهِ<sup>(٢)</sup>، وقيل: في أهله ونسائه، فجُعِلَ السَّرْبُ كنايةً، وقيل: اذهبي فلا أئدُّه سَرِبِكَ، في الكناية عن الطَّلَاقِ، ومعناه: لا أُرِدُّ إِبْلِكَ الذَّاهِبَةَ في سَرِبِها، والسَّرِبَةُ: قطعةٌ من الخَبْلِ من العَشْرَةِ إلى عَشْرِينَ، والسَّرَابُ: اللامعُ في المَفَاذَةِ كالماءِ، وذلك لانسرابِهِ في مَرَأَى العَيْنِ، وكانَ السَّرَابُ فيما لا حقيقةَ له كالسَّرَابِ فيما له حقيقةٌ<sup>(٣)</sup>.

قوله: ﴿هَذَا﴾ إشارة إلى مسيرهما وراء الصخرة، وفي الإشارة بهذا إشعارًا بأنَّ هذا المسيرَ كانَ أُتِعِبَ هُما مِمَّا سَبَقَ، فإنَّ رجاءَ المطلوبِ يُقَرَّبُ البعيدِ، والحَيَّةُ تُبْعَدُ القريبِ؛ ولهذا

(١) «أنوار التنزيل» (٣: ٥٠٩).

(٢) في (ج) و(ط): «قطيعه».

(٣) «مفردات القرآن»، ص ٤٠٥-٤٠٦.

المأكول منها، وقيل: ما كانت إلا شق سمكة، وقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب منه؟ ثم كيف استمر به النسيان حتى خلفا الموعد وسارا مسيرة ليلة إلى ظهر الغد، وحتى طلب موسى عليه السلام الحوت؟ قلت: قد شغله الشيطان بوساوسه فذهب بفكره كل مذهب حتى اعتراه النسيان، وانضم إلى ذلك أنه ضري بمشاهدة أمثاله عند موسى عليه السلام من العجائب، واستأنس بإخوانه فأعان الإلف على قلة الاهتمام ﴿أَرَأَيْتَ﴾ بمعنى: أخبرني.

فإن قلت: ما وجه الثام هذا الكلام، فإن كل واحد من ﴿أَرَأَيْتَ﴾ و﴿إِذْ أَوْتَيْنَا﴾ و﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾ لا متعلق له؟ قلت: لما طلب موسى عليه السلام الحوت، ذكر

ورّد في الحديث: أن موسى عليه السلام لم ينصب إلا منذ جاوز الموضع الذي حده الله تعالى له (١).

قوله: (وقيام الماء)، هو عطف على «حياة السمكة»، والجمله - وهي: «وقيل: ما كانت إلا شق سمكة» - معترضة للتأكيد والمبالغة، فإن حياة السمكة المملوحة عجيبة، وكونها نصف سمكة أعجب.

قوله: (قد شغله الشيطان بوساوسه)، قال القاضي: ولعله نسي ذلك لاستغراقه في الاستبصار وانجذاب شرايره (٢) إلى جناب القدس بما عراه من مشاهدة الآيات الباهرة، وإثنا نسبة إلى الشيطان هضمًا لنفسه (٣).

قوله: (لا متعلق له)، يعني: ليس له ﴿أَرَأَيْتَ﴾ مفعول، وله ﴿إِذْ أَوْتَيْنَا﴾ مظروف، وله ﴿فَإِنِّي﴾ سبب؟ وأجاب: أن المتعلق: ما دهاني، وهو مفعول ﴿أَرَأَيْتَ﴾، و«دهاني»: مظروف، وهو سبب أيضًا، فحذف لدلالة مقام الحيرة عليه كما أشار إليه بقوله: «فحذف

(١) أخرجه عبد الرزاق في «التفسير» (٢: ١٧٠٤)، والطبري في «جامع البيان» (١٥: ٣٢٤)، وغيرهما عن أبي بن كعب رضي الله عنه.

(٢) سبق تفسيره، وأنه بمعنى إلقاء النفس على الشيء حرصًا ومحبة.

(٣) «أنوار التنزيل» (٣: ٥١٠).

يُوشَعُ ما رأى منه وما اعتراه من نسيانه إلى تلك الغاية، فذهش وطفق يسأل موسى عليه السلام عن سبب ذلك، كأنه قال: أرأيت ما دهاني إذ أوتينا إلى الصخرة؟ فإني نسيْتُ الحوت، فحذَفَ ذلك. وقيل: هي الصخرة التي دون نهر الزيت، و﴿أَنْ أَذْكَرُهُ﴾ بَدَلٌ مِنَ الْهَاءِ فِي ﴿أَنْسَيْنِي﴾ أي: وما أنساني ذكره إلا الشيطان. وفي قراءة عبد الله: (أَنْ أَذْكَرَكُهُ)، و﴿عَجَبًا﴾ ثاني مفعولي (اتَّخَذَ)، مِثْلُ ﴿سَرِيًّا﴾ يعني: واتَّخَذَ سَبِيلَهُ سَبِيلًا عَجَبًا، وهو كونه شبيه السَّرْبِ. أو قال: «عَجَبًا» في آخر كلامه، تعجبًا من حاله في رؤية تلك العجيبة ونسيانه لها أو مما رأى من المعجزتين، وقوله: ﴿وَمَا أَنْسَيْنِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكَرُهُ﴾ اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه، وقيل: إن ﴿عَجَبًا﴾ حكاية لتعجب موسى عليه السلام، وليس بذاك. ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى اتخاذه سبيلًا، أي: ذلك الذي

ذلك»، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا آفَكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف: ١١] قال تقديره: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ﴾، ظَهَرَ عِنْدَهُمْ ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾، وهذا المضمَرُ صَحَّ بِهِ الْكَلَامُ، حَيْثُ انْتَصَبَ بِهِ الظَّرْفُ، وَكَانَ ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ مَسْبَبًا عَنْهُ.

قوله: (نهر الزيت) سُمِّيَ بِهِ لِكثْرَةِ أَشْجَارِ الزَّيْتِ عَلَى شَاطِئِهِ، فَقَوْلُهُ: «وقيل: هي الصخرة»: عطفٌ على قوله: «فلما جاؤا الموعد» وهو الصخرة.

قوله: (و﴿أَنْ أَذْكَرُهُ﴾: بَدَلٌ مِنَ الْهَاءِ فِي ﴿أَنْسَيْنِي﴾) أي: بدل اشتغال.

قوله: (إن ﴿عَجَبًا﴾ حكاية لتعجب موسى، وليس بذاك)، أي: ليس هذا القول بذاك القول الذي يُعْرَجُ عَلَيْهِ، كقولك: ليس بشيء، أي: شيء يُعْتَدُّ بِهِ، بيانه: أن موسى عليه السلام لما قال ليوشع: ﴿إِنَّا عَدَاءُ نَا﴾، أجاب بقوله: ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتِينَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾، وهي كلمة تعجب، فلما بلغ قوله: ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ﴾ تعجب موسى من ذلك فحكى الله تعالى تعجبه، ولا ارتياب في تعسفه وبعده من بلاغة التنزيل، ولكن ﴿عَجَبًا﴾ مَقُولٌ فَنَى مُوسَى: إمَّا عَلَى أَنَّهُ صِفَةٌ مُوصُوفٍ مَحْذُوفٍ، وَهُوَ ثَانِي مَفْعُولِي «اتَّخَذَ» كَمَا قَدَّرَهُ الْمُصَنِّفُ، أَوْ:

كنا نطلب، لأنه أمانة الظفر بالطلبة من لقاء الحضر عليه السلام. وقرئ: ﴿نَبِغْ﴾ بغير ياءٍ في الوصل، وإثباتها أحسن، وهي قراءة أبي عمرو، وأما الوقف، فالأكثر فيه طرح الياء أتباعاً لخطِّ المصحف، ﴿فَارْتَدَّا﴾ فَرَجَعَا فِي أَدْرَاجِهِمَا ﴿قَصَصًا﴾.....

لَمَّا فَرَعَ مِنْ كَلَامِهِ قَالَ: يَا عَجَبًا، فَحَكَى اللَّهُ تَعَالَى (١) ذَلِكَ مِنْهُ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ، أَيْ: قَالَ ذَلِكَ الْكَلَامَ تَعَجُّبًا.

قَالَ أَبُو الْبَقَاءِ: ﴿عَجَبًا﴾: مَفْعُولٌ ثَانٍ لـ (اتَّخَذَ)، وَقِيلَ: هُوَ مُصَدَّرٌ، أَيْ: قَالَ مُوسَى: عَجَبًا، فَعَلَى هَذَا يَكُونُ الْمَفْعُولُ الثَّانِي لـ (اتَّخَذَ): ﴿فِي الْبَحْرِ﴾ (٢).

قَوْلُهُ: (قَرِئَ: ﴿نَبِغْ﴾ بغير ياءٍ في الوصل)، نافعٌ وأبو عمرو والكسائي: أثبتوا في الوصل، وابن كثير: في الحالين، والباقون: بالحدف في الحالين، قال أبو البقاء: الجيد إثبات الياء، والحدف على التشبيه بالفواصل، وسهل ذلك أن الياء لا تُضمُّ هاهنا (٣).

رَوَى صَاحِبُ «الْمُرْشِدِ»، عَنْ أَبِي حَاتِمٍ، أَنَّهُ قَالَ: وَمَنْ الْوَقْفِ التَّامِّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا كُنَّا نَبِغْ﴾ (٤).

وَقُلْتُ: بَيَانُهُ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فَارْتَدَّا﴾ عَطْفٌ عَلَى جُمْلَةٍ قَوْلِهِ: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ إِلَى آخِرِهِ. وَأَمَّا الْفَصْلُ بَيْنَ الْأَقْوَالِ الثَّلَاثَةِ، فَالْأُولَى: جَوَابٌ لِلشَّرْطِ، وَالْآخِرَانِ مَفْصُولَانِ لِمَا يَسْتَدْعِيهِ مَقَامُ الْمَقَاوِلَةِ مِنَ السُّؤَالِ، وَهُوَ: مَاذَا قَالَ فَتَى مُوسَى بَعْدَ قَوْلِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّا غَدَاءَنَا﴾؟ وَمَاذَا قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ قَوْلِ فَتَاهُ: ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتَيْنَا﴾؟

قَوْلُهُ: (فَرَجَعَا فِي أَدْرَاجِهِمَا)، الْجَوْهَرِيُّ: قَوْلُهُمْ: خَلَّ دَرْجَ الضَّبِّ، أَيْ: طَرِيقَهُ، وَالْجَمْعُ: الْأَدْرَاجُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: رَجَعْتُ أَدْرَاجِي، أَيْ: رَجَعْتُ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي جِئْتُ مِنْهُ.

(١) من قوله: «تعجبه ولا ارتياب في تعسفه» إلى هنا سقط من (ط).

(٢) «التيبان في إعراب القرآن» (٢: ٨٥٥).

(٣) المصدر السابق (٢: ٨٥٥).

(٤) انظر: «المقصد لتلخيص ما في المرشد» للقاضي زكريا، ص ٤٧١. وهو الذي اختاره الإمام الداني في

«المكتفى في الوقف والابتداء»، ص ٣٧١.



يُقَصِّانِ قَصَصًا، أي: يتبعان آثارهما أتباعًا. أو فازتدا مُقْتَصِّين ﴿رَحْمَةً مِنِّ عِنْدِنَا﴾ هي الوحي والنبوة ﴿مِن لَّدُنَّا﴾ مما يختصُّ بنا من العلم، وهو الإخبار عن الغيوب.

[﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِنَّمَا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ ٦٦]

﴿رُشْدًا﴾ قَرِيٌّ بِفَتْحَتَيْنِ وَبِضْمَةٍ وَسُكُونٍ، أَي: عَلِمًا ذَا رَشْدٍ، أَرَشِدُ بِهِ فِي دِينِي. فَإِنْ قُلْتُ: أَمَا دَلَّتْ حَاجَتُهُ إِلَى التَّعَلُّمِ مِنْ آخِرِ فِي عَهْدِهِ أَنَّهُ كَمَا قِيلَ مُوسَى بْنِ مِيثَا، لَا مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ أَعْلَمَ أَهْلِ زَمَانِهِ وَإِمَامَهُمُ الْمَرْجُوعَ إِلَيْهِ فِي

قَوْلِهِ: (يُقَصِّانِ قَصَصًا). قَالَ صَاحِبُ «الْكَشْفِ»: ﴿قَصَصًا﴾: مُصَدَّرٌ لِفِعْلِ مُضْمَرٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ ﴿فَازَتْدَا عَلَىٰ آثَارِهِمَا﴾، وَاقْتَصَا الْأَثَرَ: وَاحِدٌ<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ: (مُقْتَصِّين) أَي: يَكُونُ الْمَصْدَرُ بِمَعْنَى اسْمِ الْفَاعِلِ، فَنَصَبُهُ عَلَى الْحَالِ.

قَوْلُهُ: (﴿رُشْدًا﴾ قَرِيٌّ بِفَتْحَتَيْنِ)، أَبُو عَمْرٍو، وَالباقونَ: بِضْمَةٍ وَسُكُونٍ<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ: (أَي: عَلِمًا ذَا رَشْدٍ)، قَالَ أَبُو الْبَقَاءِ: ﴿رُشْدًا﴾: مَفْعُولٌ ﴿تُعَلِّمَنِ﴾<sup>(٣)</sup>، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَفْعُولٌ ﴿عَلِّمْتَ﴾؛ لِأَنَّهُ لَا<sup>(٤)</sup> عَائِدَ إِذْنٍ عَلَى الَّذِي، وَلَيْسَ بِحَالٍ مِنَ الْعَائِدِ الْمَحذُوفِ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى عَلَى ذَلِكَ يَبْعُدُ<sup>(٥)</sup>. وَقَالَ الْقَاضِي: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عِلَّةٌ لـ ﴿أَتَيْتُكَ﴾، أَوْ: مُصَدَّرًا بِإِضْمَارِ فِعْلِهِ<sup>(٦)</sup>.

وقوله<sup>(٧)</sup>: (أنه كما قيل: موسى بن ميثا، لا موسى بن عمران)، رويانا عن البخاري

(١) «كشف المشكلات» للباقولي (٢: ٧٧٠).

(٢) وهما لغتان مثل الحزن والحزن. قال أبو زرعة: وأجود الوجهين الرشد بضم الراء، وإنما قلت ذلك لتوفيق ما بينه وبين ما قبله وما بعده من أواخر الآي. انتهى من «حجّة القراءات»، ص ٤٢٢.

(٣) في النسخ الخطية: «تعلّمني» بإثبات الياء.

(٤) لفظة «لا» سقطت من (ط).

(٥) «التيبان في إعراب القرآن» (٢: ٨٥٥). ووقع في (ط): «على ذلك يبرز»، وهو تحريف يُفسد المعنى.

(٦) «أنوار التنزيل» (٣: ٥١١).

(٧) هذه الفقرة وردت في الأصول الخطية قبل فقرة «قوله: وعلل ذلك بأنه يتولى أمورًا»، وقدّمته هنا =

أبواب الدين؟ قلت: لا غضاضة.....

ومسلم والترمذي، عن سعيد بن جبير، قال: قلت لابن عباس: إن نؤفا البكالي يزعم أن موسى صاحب بني إسرائيل ليس هو صاحب الحضر، قال: كذب عدو الله، سمعت أبي بن كعب يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قام موسى خطيباً في بني إسرائيل» إلى تمام الحديث<sup>(١)</sup>.

قال بعضهم: التعليم: تنبيه النفس لتصور المعاني، والتعلم: تنبيهها لتصور ذلك، وربما استعمل في معنى الإعلام إذا كان فيه تكرير<sup>(٢)</sup>، نحو: ﴿أَتَمَلَّكُمُ اللَّهُ بِدِينِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٦]، فمن التعليم قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ \* عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن: ١-٢]، وتعليم آدم الأسماء هو أن جعل له قوة لها نطق ووضع أسماء الأشياء، وذلك بإلقائه في روعه، وكتعليمه تعالى الحيوانات كل واحد منها فعلاً يتعاطاه.

وقوله: ﴿مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾، قيل: عني بالعلم: الخاص الحقي على البشر الذي يروونه ما لم يعرفهم الله منكراً، وقيل: وعلى هذا العلم في قوله تعالى: ﴿الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ [النمل: ٤٠]، العلم: الأثر الذي يعلم به الشيء، وسُمِّيَ الجبل علماً لذلك، والعالم: اسم للفلك وما يلحق به من الجواهر والأعراض، وهو في الأصل: اسم لما يعلم به كالتابع والخاتم لما يطبع به ويختتم به، وجعل بناؤه على هذه الصيغة لكونه كالألة، والعالم: آلة في الدلالة على صانعه، ولهذا أحالنا تعالى عليه في معرفة وحدانيته، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥]<sup>(٣)</sup>.

قوله: (لا غضاضة)، الجوهري: يقال: ليس عليك في هذا الأمر غضاضة، أي: ذلة ومنقصة، قال القاضي: لا ينافي ثبوته وكونه صاحب الشريعة أن يتعلم من غيره ما لم يكن

= مراعاة لترتيب «الكشاف».

(١) أخرجه البخاري (٤٧٢٧)، ومسلم (٢٣٨٠)، والترمذي (٣١٤٩)، وغيرهم.

(٢) في (ط): «تكرير».

(٣) «مفردات القرآن»، ص ٥٨٠.

بالنبي في أخذ العلم من نبي مثله: وإنما بغض منه أن يأخذه من دونه. وعن سعيد بن جبير أنه قال لابن عباس: إن نوحاً ابن امرأة كعب يزعم أن الخضر ليس بصاحب موسى، وأن موسى هو موسى بن ميثا، فقال: كذب عدو الله.

﴿ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا \* وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ، خَبْرًا ﴾ [٦٧-٦٨]

نفياً استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد، كأنها مما لا يصح ولا يستقيم، وعلل ذلك بأنه يتولى أموراً هي في ظاهرها مناكير، والرجل الصالح .....

شروطاً في أبواب الدين، فإن الرسول ينبغي أن يكون أعلم ممن أرسل إليه فيما بعث به من أصول الدين وفروعه لا مطلقاً<sup>(١)</sup>، ويؤيده قوله تعالى حكاية عن الهدهد مخاطباً سليمان عليه السلام: ﴿ أَحَطُّ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ، ﴾ [النمل: ٢٢].

الراغب: العلم: إدراك الشيء بحقيقته، وذلك ضربان: إدراك ذات الشيء، والثاني: الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له، أو نفى شيء منفي عنه. فالأول متعد إلى واحد كقوله تعالى: ﴿ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وأعلمته وعلمته - في الأصل - واحد، إلا أن الإعلام اختص بما كان بإخبار سريع، والتعليم بما يكون بتكرير وتكثير حتى يحصل منه أثر في نفس المتعلم.

قوله: (وعلل ذلك بأنه يتولى أموراً)، أي: أكد نفياً استطاعته بقوله: ﴿ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾، وهو علة لمنعه من اتباعه، فإن موسى عليه السلام قال: ﴿ هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي ﴾، كأنه قال: لا؛ لأنك ﴿ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾، ثم علل العلة بقوله: ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ، خَبْرًا ﴾، أي: كيف تصبر على شيء هو في الظاهر منكر مفسدة وفي الحقيقة مصلحة وصلاح، ويحتاج في معرفته إلى دقة نظر وفضل خبرة مستفاد من العلم اللدني.

قوله: (والرجل الصالح): مبتدأ، وقوله: «لا يتالك»: الخبر، وقوله: «كيف إذا كان

(١) «أنوار التنزيل» (٣: ٥١١).

- فكيفَ إذا كان نبياً - لا يتمالكُ أن يشمئزَّ ويمتعضَ ويجزعَ إذا رأى ذلك ويأخذُ في الإنكار. و﴿خُبْرًا﴾ تمييز، أي: لم يُحِطْ به خبرك، أو لأنَّ لم يُحِطْ به بمعنى: لم تَخْبُرْه، فنَصَبَهُ نَصَبَ الْمَصْدَرِ.

[﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ ﴿٦٩﴾]

﴿وَلَا أَعْصِي﴾ في محلِّ النصب عطفًا على ﴿صَابِرًا﴾ أي: ستجدني صابراً وغير عاص، أو في لا محل، عطفًا على ﴿سَتَجِدُنِي﴾.

نبيًّا؟» موضعه التأخير، فاعترض بين المبتدأ والخبر اهتمامًا، والكلامُ مُجْرَى مُجْرَى المثالِ لموسى عليه السلام، مثله قوله: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾<sup>(١)</sup> [النور: ٢٦] في وجه تمثيل لأمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها. المعنى: إني أتولى أمورًا ظاهرها متاكبر، وأنت لا تتمالكُ أن تشمئزَّ.

قوله: (فكيفَ إذا كان نبياً لا يتمالكُ أن يشمئزَّ ويمتعضَ)، الانتصاف: يدُلُّ عليه أنه قال في حَرْقِ السَّفِينَةِ: ﴿أَخْرَقَهَا النَّفْرَقَ أَهْلَهَا﴾ ولم يقل: لتغرِقنا، فنسيَ نفسه واشتغلَ بغيره في حالة يقول فيها المرء: نَفْسِي نَفْسِي<sup>(٢)</sup>.

الجوهري: اشمأزَّ الرجلُ اشمئزازًا: انقبَضَ ومِعِضْتُ مِنْ ذَلِكَ الْأَمْرِ أَمْعُضُ مَعْضًا، وامتعضتُ منه: إذا غضبتَ وشقَّ عليك.

قوله: (أو في لا محل<sup>(٣)</sup>، عطفًا على ﴿سَتَجِدُنِي﴾)، لعلَّ هذا القولُ مبنيٌّ على أن الجملة الواقعة بعد «قال»: مُسْتَأْنَفَةٌ، بيانٌ للقولِ المضمَر؛ فلا يكونُ لها محلٌّ، كما قال أبو البقاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(٤)</sup> [البقرة: ١١]: والمفعولُ القائمُ

(١) في الأصول الخطية: «الطيبات للطيبين» دون واو، والمثبت لفظ الآية الكريمة.

(٢) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٢: ٧٣٤).

(٣) كذا في الأصول الخطية، ومنها (ط)، وكذا في الأصل الخطي من «الكشاف»، لكن في نص «الكشاف»

من (ط) وفي النسخ المطبوعة: «أو لا في محل»، والمعنى واحد.

(٤) قوله: ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: لم يرد في (ف).

مقامَ الفاعلِ مصدرًا، وهو القولُ، وأضْمِرَ؛ لأنَّ الجُمْلَةَ بعد مُفسِّرَةِ، والتقديرُ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ قولٌ، وهو: ﴿لَا تُفْسِدُوا﴾، ونظيره: ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِنَا لَيْسَ جُنْحُنُهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [يوسف: ٣٥]، أي: بدأ لهم بدءًا ورأيًا<sup>(١)</sup>، كذا قدَّرَ المصنَّفُ هذه الآيةَ، أو يقال: إنَّ قوله: ﴿وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾: عطفٌ على مَقولِ القولِ باعتبارِ الجُمْلَةَ لا باعتبارِ الإفرادِ، وكونُهُ منصوبًا على المصدريةِ أو المفعوليةِ على الخلافِ الذي سبقَ بيأنُهُ في «البقرة»، ونحوهُ في الاعتبارِ قوله تعالى: ﴿نُقَيِّلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ﴾ [الفتح: ١٦]، على تقدير: أو هم يُسَلِّمُونَ، وسيجيءُ بيأنُهُ في موضِعِهِ.

ورُوِيَ عن الشيخِ بَدْرِ الدِّينِ الجُرْجَانِيِّ رحمه الله تعالى<sup>(٢)</sup> أنه قال: إنَّ قوله: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾ بجُمْلَتِهِ مَقولٌ للقولِ، والشَّرْطُ يقتضي الجزاءَ. وقوله: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾، لا يصلحُ أن يكونَ جَزَاءً لَتَقَدُّمِهِ، لكنَّهُ دالٌّ عليه، فلا يكونُ له محلٌّ. وقوله: ﴿وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾: عطفٌ عليه وحده، فيكونُ التقديرُ: ستجدني إن شاء الله صابِرًا ولا أعصي لك إن شاء الله أمرًا، والشَّرْطُ مع الجزاءِ المحذوفِ مُعْتَرِضٌ بَيْنَ المَفْعُولَيْنِ. وقدَّرَ المصنَّفُ في قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا مِصرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩]: «ادخلوا مصرَ آمِنِينَ إن شاء الله دخلتم آمِنِينَ».

أما بيانُ بلاغَةِ هذا التركيبِ، فإنه لو قُدِّمَ الشَّرْطُ بأنَّ يقال: إن شاء الله ستجدني صابِرًا لفاتَ التكريرُ والتوكيدُ المطلوبِ، ولو أُخِّرَ بأنَّ يُقال: ستجدني صابِرًا إن شاء الله لا اختلَّ إرادةُ الاهتمامِ لكلمةِ التبرُّكِ، ولَعَدِمَ حُسْنُ موقعِ الاعتراضِ، فإنه من تحاسينِ الكلامِ، فالتركيبُ قريبٌ من قوله: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦] فيكونُ من بابِ الطَّرْدِ والعكسِ.

(١) «التبيان في إعراب القرآن» (١: ٢٧).

(٢) لم أهتدِ إلى ترجيحِهِ. ولعلَّهُ يريدُ القاضي الجرجاني: أبا الحسن علي بن عبد العزيز (ت ٣٩٢هـ) له «تفسيرٌ كبيرٌ» كما في ترجيحِهِ من «سير النبلاء» (١٧: ٢١) و«طبقات المفسرين» للداوودي (١: ٤١٤).

رجا موسى عليه السلام لحرصه على العلم وازدياده، أن يستطيع معه صبرا بعد إفصاح الخضر عن حقيقة الأمر، فوعده بالصبر معلقا بمشيئة الله، علما منه بشدة الأمر وصعوبته، وأن الحمية التي تأخذ المصلح عند مشاهدة الفساد شيء لا يُطاق، هذا مع علمه أن النبي المعصوم الذي أمره الله بالمسافة إليه واتباعه واقتباسه العلم منه، بريء من أن يباشر ما فيه غميرة في الدين، وأنه لا بد لما يُستسمح ظاهره من باطن حسن جميل، فكيف إذا لم يُعلم.

[﴿ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ ٧٠]

قُرئ: (فلا تسألني) بالنون الثقيلة، يعني: فمن شرط اتباعك لي أنك إذا رأيت

قوله: (فوعده بالصبر)، عطف على «رجا»، و«أن يستطيع» مفعول «رجا»، والرجاء هو قوله: ﴿سَتَجِدُنِي﴾، و«علما» مفعول له لوعده الصبر معلقا. و«أن الحمية» عطف على شدة الأمر على البيان والتفسير.

قوله: (هذا) أي: كل هذه المبالغات متضمنة مع علم موسى أن الخضر مع جلالته بريء أن يركب أمرا يُعاب عليه، فكيف مما يُستسمح؟ ظاهره ممن لا يعلم مرتبته في الدين، فإنه لا يُطاق قطعا، فالضمير في «مع علمه»: راجع إلى المصلح وهو موسى، مظهر أقيم مقام المضمّر إيدانا أن المصلح شأنه أن لا يصبر على مثل تلك الحالة ويرى الصالح.

قوله: (غميرة)، الأساس: ومن المجاز: ما فيه مغمز ولا غميرة، أي: معاب، وغمز فيه: طعن. قال القاضي: وتعليق الوعد بالمشيئة إما للتيئن، وخلفه ناسبا لا يقدح في عصمته، أو لعلمه بصعوبة الأمر، فإن مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد شديد، فلا خلف. وفيه دليل على أن أفعال العباد واقعة بمشيئة الله<sup>(١)</sup>.

قوله: (وأنه لا بد) الضمير للشأن، والجملة معطوفة على قوله: «أن النبي».

قوله: (قُرئ: «فلا تسألني»)، نافع وابن عامر: بفتح اللام وتشديد النون، والباقون:

(١) «نور التنزيل» (٣: ٥١٢).

مَنِّي شَيْئًا وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ صَحِيحٌ إِلَّا أَنَّهُ خَفِيَ عَلَيْكَ وَجْهُ صِحَّتِهِ فَحَمِيتَ وَأَنْكَرْتَ فِي نَفْسِكَ أَنْ لَا تُفَاتِحَنِي بِالسُّؤَالِ، وَلَا تَرَاوِجِعَنِي فِيهِ، حَتَّى أَكُونَ أَنَا الْفَاتِحُ عَلَيْكَ. وَهَذَا مِنْ آدَابِ الْمُتَعَلِّمِ مَعَ الْعَالِمِ وَالْمَتَّبِعِ مَعَ التَّابِعِ.

﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقْنَاهَا تَغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾ قَالَ الرَّاقِلُ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿ ٧١ - ٧٢ ﴾

﴿ فَانْطَلَقَا ﴾ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ يَطْلُبَانِ السَّفِينَةَ، فَلَمَّا رَكِبَا قَالَ أَهْلُهَا: هُمَا مِنْ اللَّصُوصِ، وَأَمْرُهُمَا بِالْخُرُوجِ، فَقَالَ صَاحِبُ السَّفِينَةِ: أَرَى وَجُوهَ الْأَنْبِيَاءِ. وَقِيلَ: عَرَفُوا الْخَضِرَ فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ، فَلَمَّا لَجَّجُوا أَخَذَ الْخَضِرُ الْفَأْسَ فَخَرَّقَ السَّفِينَةَ؛ بِأَنْ قَلَعَ لَوْحَيْنِ مِنْ أَلْوَاحِهَا مِمَّا يَلِي الْمَاءَ فَجَعَلَ مُوسَى يَسُدُّ الْخَرْقَ بِشَيْبِهِ وَيَقُولُ: ﴿ أَخْرَقْنَاهَا تَغْرِقَ أَهْلَهَا ﴾ وَقُرئ: (لِتُغْرِقَ) بِالتَّشْدِيدِ وَ(لِيُغْرِقَ أَهْلَهَا) مِنْ غَرِقَ، وَأَهْلَهَا

بِاسْكَانِ اللَّامِ وَتَخْفِيفِ النَّونِ<sup>(١)</sup>.

قوله: (أَنْ لَا تُفَاتِحَنِي)، خبرٌ «إِنَّ»، و«إِذَا» ظَرْفٌ، وَالْجُمْلَةُ فِي تَأْوِيلِ الْمَبْتَدَأِ، وَخَبْرُهُ: «مِنْ شَرَطِ اتِّبَاعِكَ»، الْمَعْنَى: مِنْ شَرَطِ اتِّبَاعِكَ عِنْدَ الرَّؤْيَةِ عَدَمُ الْمُنْفَاعَةِ.

قوله: (بِغَيْرِ نَوْلٍ)، النِّهَایَةُ: بِغَيْرِ أَجْرٍ وَلَا جُعَلٍ<sup>(٢)</sup>: مُصَدَّرٌ نَالَه يَنْوُلُهُ: إِذَا أُعْطَاهُ.

قوله: (لَجَّجُوا)، الْأَسَاسُ: لَجَّجَ الْقَوْمُ: دَخَلُوا فِي اللَّجِّ. الْجَوْهَرِيُّ: لُجَّةُ الْمَاءِ، بِالضَّمِّ: مُعْظَمُهُ، وَكَذَلِكَ اللَّجُّ.

قوله: (وَلِيُغْرِقَ أَهْلَهَا)، حِزْبَةٌ وَالْكِسَائِيُّ: «لِيُغْرِقَ» بِالْيَاءِ مَفْتُوحَةٌ وَفَتْحُ الرَّاءِ، وَ«أَهْلَهَا»: بَرَفَعِ اللَّامِ<sup>(٣)</sup>، وَالْبَاقُونَ: بِضَمِّ التَّاءِ وَكَسْرِ الرَّاءِ وَنَضْبِ اللَّامِ، وَالتَّشْدِيدُ: شَادٌّ<sup>(٤)</sup>.

(١) لَتِھَامِ الْفَائِدَةِ انظُر: «حِجَّةُ الْقِرَاءَاتِ»، ص ٣٤٣، و٤٢٣.

(٢) بِضَمِّ فَسْكَونِ، وَهُوَ مَا جُعِلَ لِلْإِنْسَانِ عَلَى عَمَلِ شَيْءٍ، وَكَذَا الْجِعَالَةُ بِالْكَسْرِ.

(٣) وَحُجَّتُهُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أَخْرَقْنَاهَا ﴾ فَجَعَلُوا الْفِعْلَ الثَّانِي مِثْلَ الْأَوَّلِ، وَيُقَوِّي هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾ انْتَهَى مِنْ «حِجَّةِ الْقِرَاءَاتِ»، ص ٤٢٣.

(٤) وَهِيَ قِرَاءَةُ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ. انظُر: «الْبَحْرُ الْمَحِيطُ» (٧: ٢٠٧).

مرفوع ﴿حِثَّتْ شَيْئًا إِمْرًا﴾ آتَيْتَ شَيْئًا عَظِيمًا، مِنْ أَمْرِ الْأَمْرِ: إِذَا عَظُمَ، قَالَ:

دَاهِيَةٌ دَهْيَاءٌ إِذَا إِمْرًا

[﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْ بِيحَا نَسِيْتُ وَلَا تَرْهَقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ ٧٣]

﴿بِيحَا نَسِيْتُ﴾ بالذي نَسِيْتُهُ، أو بَشَيْءٍ نَسِيْتُهُ، أو بِنَسِيَانِي: أَرَادَ أَنَّهُ نَسِيَ وَصِيَّتَهُ وَلَا مُؤَاخَذَةً عَلَى النَّاسِي، أَوْ أَخْرَجَ الْكَلَامَ فِي مَعْرِضِ النَّهْيِ عَنِ الْمُواخَذَةِ بِالنَّسِيَانِ يَوْمَهُ أَنَّهُ قَدْ نَسِيَ لِيَبْسُطَ عِذْرَهُ فِي الْإِنْكَارِ، .....

قوله: (داهية دهياء إذا إمرا)، أوله:

قد لقي الأعداء شيئاً نكراً<sup>(١)</sup>

الدَّهْيَاءُ: مَبَالِغَةٌ فِي الشَّدَّةِ. الْأَسَاسُ: بَقِيْتُ مِنْهُ فِي دَاهِيَةِ إِدَّةٍ، وَلَقِيْتُ مِنْهُ كُلَّ شِدَّةٍ.

الرَّاعِبُ: ﴿إِمْرًا﴾، أَي: مُنْكَرًا، وَتَحْقِيقُهُ مِنْ: أَمْرِ الْأَمْرِ، أَي: كَثْرَ وَكِبْرَ، كَقَوْلِهِمْ: اسْتَفْحَلَ الْأَمْرُ<sup>(٢)</sup>.

قوله: (أو أخرج الكلام في معرض النهي): عطف على قوله: «أراد أنه نسي وصيته» فعلى الثاني: «نسيْتُ»: مُطْلَقٌ، يَعْنِي: مَا نَسِيَ فِي الْحَقِيقَةِ لَكِنْ عَرَّضَ، وَنَهَاهُ عَنِ الْمُواخَذَةِ بِنَسِيَانِهِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ مَجْبُولٌ عَلَيْهِ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُ سُمِّيَ إِنْسَانًا؛ لِأَنَّهُ عَهَدَ إِلَيْهِ فَنَسِيَ، وَعَلَيْهِ قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «هَذِهِ أُخْتِي: أَي: فِي الدِّينِ»<sup>(٣)</sup>، وَ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصَّافَاتُ: ٨٩] أَي: سَأْسُقَمُ، أَوْ: سَقِيمٌ لِمَا أَجِدُ مِنَ الْغَيْظِ.

(١) ذكره أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١: ٤٠٩)، والطبري في «جامع البيان» (١٥: ١٦٩) باختلاف يسير في الرواية.

(٢) «مفردات القرآن»، ص ٩٠. ووقع في النسخ الخطية: «استعجل الأمر» وهو خطأ.

(٣) هو جزء من حديث أخرجه البخاري (٣٣٥٧)، ومسلم (٢٣٧١)، وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.



وهو من معارضض الكلام التي يُتقى بها الكذب، مع التوصل إلى الغرض، كقول إبراهيم: هذه أختي، وإني سقيم. أو أراد بالنسيان: الترك، أي: لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك أول مرة. يُقال: رَهَقَهُ؛ إذا غَشِيَهُ، وأرَهَقَهُ إِيَّاهُ. أي: ولا تَغَشِّنِي، ﴿عُسْرًا﴾ من أمري، وهو اتِّبَاعُهُ إِيَّاهُ، يعني: ولا تُعَسِّرْ عَلَيَّ متابعتك، ويسرّها عليّ بالإغضاء وترك المناقشة. وقرئ: ﴿عُسْرًا﴾ بضمّتين.

[ ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ، قَالَ أَقْنَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا \* قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ٧٤-٧٥ ]

﴿فَقَتَلَهُ﴾ قيل: كان قتله قتل عنقه، وقيل: ضرب برأسه الحائط، وعن سعيد بن جبير: أضجعه ثم دبحه بالسكين. فإن قلت: لِمَ قيل: ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ بغير فاء و﴿حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ﴾ بالفاء؟ قلت: جعل خرقها جزاء للشرط، وجعل قتله من جملة الشرط معطوفاً عليه، والجزاء ﴿قَالَ أَقْنَلْتَ﴾. فإن قلت: فلم خولف بينهما؟ قلت: لأن خرق السفينة لم يتعقب الركوب، وقد تعقب القتل لقاء الغلام. وقرئ: (زاكية) و﴿زَكِيَّةً﴾، وهي الطاهرة من الذنوب، إما لأنها طاهرة عنده؛ لأنه لم يرها قد أذنبت، وإما لأنها صغيرة.....

قوله: (وهو من معارضض الكلام)، الأساس: عرفت ذلك في معارضض كلامه، وقولهم: خذ في عروض سوى هذه، أي: في ناحية.

قوله: (أو أراد بالنسيان: الترك)، الأساس: ومن المجاز: نسي الشيء، أي: تركته.

قوله: (وقرئ: «زاكية»)، الكوفيون وابن عامر: ﴿زَكِيَّةً﴾ بتشديد الياء من غير ألف، والباقون بالألف والتخفيف<sup>(١)</sup>، قال القاضي: قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: زاكية، والأول أبلغ، وقال أبو عمرو: الزاكية: التي لم تُذنب قط، والزكيدة: التي أذنبت ثم عُفرت،

(١) انظر: «حجة القراءات»، ص ٤٢٤.

لم تبلغ الحنث ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ يعني: لم تقتل نفساً فيقتص منها. وعن ابن عباس: أن نجدة الحروري كتبت إليه: كيف جاز قتله، وقد نهى رسول الله ﷺ عن قتل الولدان؟ فكتبت إليه: إن علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك أن تقتل. ﴿تُكْرًا﴾ وقرئ بضمّتين، وهو المنكر، وقيل: النكر أقل من الأمر؛ لأن قتل نفس واحدة أهون من إغراق أهل السفينة. وقيل: معناه: جئت شيئاً أنكروا من الأول؛ لأن ذلك كان خرقاً

ولعله اختار الأول لذلك، فإنها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم، أو أنه لم يرها أذنبت ذنباً يقتضي قتلها، أو قتلت نفساً فتقاد بها<sup>(١)</sup>.

قوله: (لم تبلغ الحنث). النهاية: أي: لم تبلغ مبلغ الرجال ولم يجر<sup>(٢)</sup> عليه القلم فيكتب عليه الحنث.

قوله: (أن نجدة الحروري)، النهاية: الحرورية: طائفة من الخوارج نُسبوا إلى حروراء، بالمد والقصر، وهو موضع قريب من الكوفة، كان أول مجمعهم وتحكيمهم فيها، وهم إحدى فرقتي الخوارج الذين قاتلهم علي رضي الله عنه، وكان عندهم من التشدد في الدين ما هو معروف<sup>(٣)</sup>.

قوله: ﴿تُكْرًا﴾، وقرئ بضمّتين: نافع وابن ذكوان في الموضعين، والباقون: بإسكانها<sup>(٤)</sup>.  
قوله: (لأن قتل نفس واحدة أهون من إغراق أهل السفينة). قال الإمام: النكر: ما أنكرته العقول ونفرت عنه النفوس، وهو أبلغ في تقبيح الشيء من الأمر، وقيل: بالعكس؛ لأن الأمر هو الداهية العظيمة المأل<sup>(٥)</sup>.

الراغب: النكر: الدهاء والأمر الصعب الذي لا يعرف<sup>(٦)</sup>.

(١) «نوار التنزيل» (٣: ٥١٣).

(٢) في النسخ الخطية: «يجري» بإثبات الياء، وهي لغة غير فاشية.

(٣) وقد قص الكثير من أخبارهم المبرّد في «الكامل» (٢: ١٢٩).

(٤) وهما لغتان كالرغب والرغب. انظر: «حجة القراءات»، ص ٤٢٤.

(٥) «مفاتيح الغيب» (٢١: ١٥٥).

(٦) «مفردات القرآن»، ص ٨٤٤.

يُمْكِنُ تَدَارُكُهُ بِالسَّدِّ، وَهَذَا لَا سَبِيلَ إِلَى تَدَارِكِهِ. فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى زِيَادَةِ ﴿لَكَ﴾؟  
قُلْتَ: زِيَادَةُ الْمَكَافَاحَةِ بِالْعِتَابِ عَلَى رَفْضِ الْوَصِيَّةِ، وَالْوَسْمُ بِقَلَّةِ الصَّبْرِ عِنْدَ الْكِرَّةِ  
الثَّانِيَةِ.

[﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّحْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ ٧٦]

﴿بَعْدَهَا﴾ بعد هذه الكِرَّةِ أَوْ الْمَسْأَلَةِ، ﴿فَلَا تُصَحِّحْنِي﴾ فَلَا تُقَارِبْنِي، وَإِنْ طَلَبْتُ  
صُحْبَتَكَ فَلَا تُتَابِعْنِي عَلَى ذَلِكَ. وَقُرِئَ: (فَلَا تُصَحِّحْنِي) فَلَا تَكُنْ صَاحِبِي. وَقُرِئَ:  
(فَلَا تُصَحِّحْنِي) أَي: فَلَا تُصَحِّحْنِي إِيَّاكَ وَلَا تَجْعَلْنِي صَاحِبَكَ، ﴿مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ قَدْ  
أَعَذَّرْتَ. وَقُرِئَ: (لَدُنِّي) بِتَخْفِيفِ النَّونِ، (وَلَدُنِّي) بِسُكُونِ الدَّالِ وَكَسْرِ النَّونِ،

وَقَالَ صَاحِبُ «الْفَرَائِدِ»: خَرَقُ السَّفِينَةِ أَقْرَبُ إِلَى أَنْ يُؤَوَّلَ بِهَا يَصْحُحُ، بِخِلَافِ قَتْلِ  
النَّفْسِ، فَإِنَّهُ ظَاهِرُ الْفَسَادِ، فَكُونُهُ مُنْكَرًا ظَاهِرًا، أَوْ تَقْوُلُ: قَتَلَ النَّفْسَ أَقْبَحُ؛ لِأَنَّهُ إِهْلَاكُ  
النَّفْسِ، وَخَرَقُ السَّفِينَةِ إِهْلَاكُ الْمَالِ، فَاخْتِيَرِ الْإِمْرَ لِلْخَرَقِ وَالنُّكْرَ لِلْقَتْلِ.

وَقُلْتُ: الَّذِي يَقْتَضِيهِ النَّظْمُ أَنْ يُؤَخَذَ مِنَ الْأَغْلَظِ ثُمَّ يُنْزَلَ إِلَى الْأَهْوَنِ، فَقَتَلَ النَّفْسَ  
أَهْوَنُ مِنَ الْخَرَقِ وَأَغْلَظُ مِنَ إِقَامَةِ الْجِدَارِ بِلَا أَجْرَةٍ.

قَوْلُهُ: (زِيَادَةُ الْمَكَافَاحَةِ)، الْأَسَاسُ: كَافَحَةٌ: لِقَاةٌ مُوَاجِهَةٌ، وَكَفَحْتُ الدَّابَّةَ وَأَكْفَحْتُهَا:  
تَلَقَّيْتُ فَاهَا بِاللِّجَامِ.

قَوْلُهُ: (وَالْوَسْمُ)، وَيُرْوَى: وَالْوَضْمُ. الْجَوْهَرِيُّ: وَالْوَضْمُ: الْعَيْبُ وَالْعَارُ.

قَوْلُهُ: (وَإِنْ طَلَبْتُ صُحْبَتَكَ فَلَا تُتَابِعْنِي). رَاعَى فِي هَذِهِ الْعِبَارَةِ مَعْنَى الْمَفَاعَلَةِ فِي  
﴿صَحِّحْنِي﴾.

قَوْلُهُ: (قَدْ أَعَذَّرْتَ)، أَي: لَمْ تُبْقِ مَوْضِعًا لِلْإِعْتِدَارِ، وَيُرْوَى: «أَعَذَّرْتُ» عَلَى التَّكْمُلِ،  
أَي: لَمْ أُبْقِ مَوْضِعًا لِلْإِعْتِدَارِ.

قَوْلُهُ: (وَقُرِئَ: «لَدُنِّي» بِتَخْفِيفِ النَّونِ، وَ«لَدُنِّي» بِسُكُونِ الدَّالِ وَكَسْرِ النَّونِ)، قَالَ

كقولهم في عَضُدٍ: عَضُدٌ. وعن رسولِ الله ﷺ: «رَحِمَ اللهُ أَخِي موسى اسْتَحْيَا فَقَالَ ذَلِكَ»، وقال: «رحمة الله علينا وعلى أخي موسى، لو لَبِثَ مع صاحبه لأَبْصَرَ أعْجَبَ الأعاجيب».

[﴿فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا آتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ، قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ ٧٧]

﴿أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ هي أنطاكية، وقيل: الأبلّة، وهي أبعدُ أرضِ الله من السماء، ﴿أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا﴾ وقرئ: (يُضَيِّفُوهُمَا)، يُقال: ضافه؛ إذا كان له ضيفًا. وحقيقته: مال إليه، من: ضاف السهم عن العرض، ونظيره: زاره؛ من الازورار. وأضافه وضيّقه: أنزله وجعله ضيقه، وعن النبي ﷺ: «كانوا أهل قرية لثامًا». وقيل: شر القرى التي لا يضاف الضيف فيها ولا يُعرف لابن السبيل حقه، ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ﴾ استعيرت الإرادة للمدانة والمشاركة، كما استعير الهمم والعزم لذلك. قال الراعي: .....

الزجاج: أجودُ القراءات بتشديد النون؛ لأن أصلَ لَدُنْ: الإسكان، فإذا أضفتها إلى نفسك زدت نونًا ليسلم سكون النون الأولى، فتقول: من لدني، كما تقول: عني ومني. ومن قال: لدني لم يجز له أن يقول: عني ومني بحذف النون؛ لأن «لدن» اسمٌ غيرٌ متمكن، و«من» و«عن»: حَرْفان، والدليل على أن الأسماء يجوزُ فيها حذفُ النون قولهم: قَدِي قَدِي في معنى حَسْبِي؛ لأنَّ قَدِي: اسمٌ غيرٌ متمكن، قال:

قَدِي مِنْ نَصْرِ الحُسْبِيِّ قَدِي (١)

ولأبي عليٍّ فيه كلامٌ طويل.

قوله: (استعيرت الإرادة للمدانة)، وذلك أن الإرادة لغةٌ: هي مصدرٌ: أردت الشيء؛ إذا طلبته نفسك، ومال إليه قلبك، واصطلاحًا: هي اسمٌ لنزوع النفس إلى أمرٍ مع الحكم

(١) البيت لحُميد الأرقط، قاله في هجاء عبد الله بن الزبير رضي الله عنه. انظر: «خزانة الأدب» (٢: ٤٤٩)، و«معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (٣: ٣٠٣).

فِي مَهْمِهِ قَلِقَتْ بِهِ هَامَاتُهَا قَلَقَ الْفُؤُوسِ إِذَا أَرَدْنَ نُصُولًا

فيه بأنه ينبغي أن يفعل أولاً، مضى بسطه في أول «البقرة» وسورة يوسف، وذلك في الجاد محال، فشبهت مشاركة الجدار للانقضاض بإرادة من هم بالانحطاط بعد أن كان منتصباً، والوجه: الميلان، ثم استعير بجانب المشبه: الإرادة، ثم سرى من المصدر إلى الفعل، فهو استعارة مصرية تبعية، ويجوز أن تكون مكنية.

قال ابن جني: يريد: معناه قارب وشارف، فهو عائد إلى معنى يكاد، وقد جاء ذلك عنهم وحسن ذلك؛ لأن الإرادة أقوى في وقوع الفعل؛ لأنها داعية إلى وقوعه، وهي أيضاً لا تصح إلا مع الحياة، وليس كذلك كاد؛ لأنه قد يقارب الأمر مما لا حيلة له فيه نحو: ميلان الحائط وإسراق ضوء الفجر<sup>(١)</sup>.

قوله: (في مهمه قَلِقَتْ بِهِ هَامَاتُهَا) البيت<sup>(٢)</sup>، المهمة: المفاضة، والهامة: وسط الرأس، إذا أردن، أي: شارفن الخروج من الخشب، ونصل السهم إذا خرج منه النصل. يصف شدة المفاضة، وأن هامات النوق فيها قلقة قلق الفؤوس<sup>(٣)</sup> إذا شارفن الخروج من نصالها.

قال الصولي<sup>(٤)</sup>: كان أبو فراس<sup>(٥)</sup> سمي الاعتقاد بالقرآن متعنتاً ظاهر الكفر، قال لي يوماً ونحن بمحضر من الناس: هل تعرف العرب إرادة لغير ميمز؟ فقلت: إنهم يعبرون عن الجمادات بالقول، قال:

امتلاً الحوض وقال قطني<sup>(٦)</sup>

(١) «المحتسب» (٢: ٣٠) بتصرف ملحوظ.

(٢) للزاعي النميري في «ديوانه»، ص ٢٢٢.

(٣) في (ح) و(ف): «القوس»، وما أثبتناه من (ط) هو الأشبه بالصواب.

(٤) أبو إسحاق إبراهيم بن العباس (ت ٢٤٣هـ)، كان كاتباً بليغاً عظيم المنزلة لدى خلفاء بني العباس.

له ترجمة في «الأغاني» (٩: ٢٠)، و«معجم الأدباء» (١: ٢٦١).

(٥) كذا في الأصول، ولعل الصواب: أبو نواس.

(٦) لأبي النجم العجلي كما في «الزاهر في معاني كلمات الناس» للأنباري (٢: ٢٧٠) وتمامه:

مهلاً روئداً قد ملأت بطني

وقال:

يُرِيدُ الرُّمْحُ صَدْرَ أَبِي بَرَاءٍ وَيَعْدِلُ عَنْ دِمَائِ بَنِي عَقِيلٍ

وقال حسان:

إِنَّ دَهْرًا يَلْفُ شَمْلِي بِجُمْلٍ لَسَزَمَانٌ يَهُمُّ بِالْإِحْسَانِ

وَسَمِعْتُ مَنْ يَقُولُ: عَزَمَ السَّرَاجُ أَنْ يَطْفَأَ، وَطَلَبَ أَنْ يُطْفَأَ. وَإِذَا كَانَ الْقَوْلُ وَالنُّطْقُ وَالشُّكَايَةُ وَالصَّدْقُ وَالْكَذِبُ وَالسُّكُوتُ وَالتَّمَرُّدُ وَالْإِبَاءُ وَالْعِزَّةُ وَالطَّوَاعِيَةُ وَغَيْرُ ذَلِكَ مُسْتَعَارًا لِلْجِهَادِ وَلِمَا لَا يَعْقِلُ، فَمَا بَالُ الْإِرَادَةِ؟ قَالَ:

إِذْ قَالَتِ الْأَنْسَاءُ لِلْبَطْنِ: الْحَقِ

تَقُولُ سِنِّي لِلنَّوَاةِ طِنِّي

وقال: لم أَرِدْ هذا، وكان غَرَضُهُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ﴾، فَأَيَّدَنِي اللَّهُ تَعَالَى بِأَنْ ذَكَرْتُ قَوْلَ الرَّاعِي: «فِي مَهْمِهِ قَلَقْتُ» الْبَيْتَ، فَكَأَنِّي أَلْقَمْتُهُ الْحَجَرَ، وَسَرَّ بِذَلِكَ مَنْ كَانَ صَحِيحَ النِّيَّةِ، وَسَوَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ.

قَوْلُهُ: (إِنَّ دَهْرًا يَلْفُ شَمْلِي)، الْبَيْتُ (١)، يُقَالُ: لَفَقْتُ الشَّيْءَ: إِذَا طَوَيْتَهُ وَأَدْرَجْتَهُ، وَالشَّمْلُ: تَأَلَّفُ الْأُمُورِ وَاسْتَوَاؤُهَا، وَجُمْلٌ: اسْمُ مَحْبُوبِيَّتِهِ، يَقُولُ: إِنَّ دَهْرًا يَجْمَعُ بَيْنِي وَبَيْنَ مَحْبُوبِيَّتِي دَهْرٌ هَمُّهُ الْإِحْسَانُ لَا الْإِسَاءَةَ.

قَوْلُهُ: (إِذَا قَالَتِ الْأَنْسَاءُ). مَضَى شَرْحُهُ فِي «الْبَقْرَةِ».

قَوْلُهُ: (تَقُولُ سِنِّي لِلنَّوَاةِ: طِنِّي)، أَوَّلُهُ:

وَيْلٌ لِيَرْنِي الْحَسْرِينَ مِنِّي إِذَا التَّقَتْ نَوَاتُهُ وَسِنِّي (٢)

(١) ذَكَرَهُ فِي «شَوَاهِدِ الْكُشَافِ» (٢: ٧٣٧) وَعِزَاهُ لِحَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ، وَهُوَ فِي مَلْحَقَاتِ «دِيوَانِهِ»، ص ٥١٧.

(٢) ذَكَرَهُ فِي «اللسان» (طنن).

لَا يَنْطِقُ اللَّهْوُ حَتَّى يَنْطِقَ الْعُودُ

وَشَكَا إِلَيَّ بَعْبِرَةٌ وَتَحْمَحْمُحُ

فَإِنْ يَكُ ظَنِّي صَادِقًا وَهُوَ صَادِقِي

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُوسَى الْغَضَبُ﴾ [الأعراف: ١٥٤].

تَمَرَّدَ مَارِدٌ وَعَزَّ الْأَبْلَقُ

قوله: (وشكا إليّ بعبرة وتحمحم)، أوله:

فازورّ من وقع القنا بلبانه<sup>(١)</sup>

الازوراز: الميل، ولبان الفرس: موضع اللب، والتحمحم: من صهيل الفرس، ما كان فيه، شبه الحنين لفراق صاحبه، يقول: فمال فرسي مما أصابت صدره رماح الأعداء، وشكا إليّ بعبرة وتحمحم<sup>(٢)</sup>.

قوله: (فإن يك ظني صادقاً وهو صادقي)، تمامه:

بشملة يحبسهم بها محبسنا وعرا

قائله أم شملة، والباء في «بشملة» يتعلّق بـ«ظني» أو بـ«صادقي»، والمراد بالظن: الفراسة، وهو صادقي، أي: ظني يصدّقني<sup>(٣)</sup>، والجملّة معترضة، تقول: إن كنت صادقاً الظن بابني شملة، وظني يصدّقني لا محالة، فإن شملة يحبس القوم بتلك المعركة ويأخذ بثأر أبيه.

وقوله: (تمرّد ماردٌ وعزّ الأبلق)، قال الميداني: مارد: حصن دومة<sup>(٤)</sup> الجندل، والأبلق:

(١) سبق تخريجه من ديوان «عنتره».

(٢) من قوله: «أوله»، ثم ذكر صدر البيت، إلى هنا، سقط من (ط).

(٣) قوله: «أي: ظني يصدّقني» سقط من (ف).

(٤) في (ط): «حصن ذو الرمة»، وهو تحريف.

ولبعضهم:

يَأْبَى عَلَى أَجْفَانِهِ إِغْفَاءَةً      هَمٌّ إِذَا انْقَادَ الِهْمُومُ تَمَرِّدًا  
أَبَتْ الرِّوَادِفُ وَالثُّدْيُ لِقَمْنِصِهَا      مَسَّ البُطُونُ وَأَنْ تَمَسَّ ظُهُورًا

﴿قَالَتْ أَيْنَمَا طَآءِبِينَ﴾ [فُصِّلَتْ: ١١].

ولقد بلغني أن بعضَ المُحَرِّفِينَ لكلامِ الله تعالى ممن لا يَعْلَمُ، كان يجعلُ الضميرَ للخصر؛ لأنَّ ما كان فيه من آفةِ الجهلِ وسَقَمِ الفهمِ، أراه أعلى الكلامِ طبقةَ أدناه منزلة، فتمَحَلَّ ليرُدَّه إلى ما هو عنده أصحُّ وأفصح، وعنده أن ما كان أبعدَ من المجازِ كان أدخَلَ في الإعجاز. ....

حِصْنُ السَّمَوَالِ بنِ عَادِيَا، وَصِفَ بِالْأَبْلَقِ؛ لِأَنَّهُ بُنِيَ مِنْ حِجَارَةٍ مَخْتَلِفَةٍ بِأَرْضِ تَيْمَاءَ، فَصَدَّتْهَا الرِّبَاءُ مَلِكَةُ الْجَزِيرَةِ فَلَمْ تَقْدِرْ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ: «تَمَرَّدَ مَارِدٌ وَعَزَّ الْأَبْلَقُ»، فَصَارَ مَثَلًا لِكُلِّ مَا يُعَزُّ وَيَمْتَنِعُ عَنِ طَالِبِهِ، عَزَّ، أَي: غَلَبَ، مِنْ عَزَّ يُعَزُّ بِضَمِّ الْعَيْنِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ عَزَّ يُعَزُّ بِكسْرِهَا<sup>(١)</sup>.

قوله: (يَأْبَى عَلَى أَجْفَانِهِ) البيت<sup>(٢)</sup>، أَي: يَأْبَى الِهْمُّ النَّوْمَ عَلَى أَجْفَانِهِ، وَذَلِكَ الِهْمُّ هَمٌّ مَتَمَرِّدٌ إِذَا انْقَادَ الِهْمُومُ. النَّهْيَاية: عَفَوْتُ عَفْوَةً، أَي: نِمْتُ نَوْمَةً خَفِيفَةً، يُقَالُ: أَغْفَى إِغْفَاءَةً: إِذَا نَامَ، وَقَلَّمَا يُقَالُ: غَفَا.

قوله: (أَبَتْ الرِّوَادِفُ) البيت<sup>(٣)</sup>، الرِّوَادِفُ: جَمْعُ رِدْفٍ، وَهُوَ الكَفَلُ، وَصَفَهَا بِأَنَّهَا نَاهِدَةُ الثُّدِيِّينَ دَقِيقَةُ الخَصْرِ لَطِيفَةُ البَطْنِ عَظِيمَةُ الكَفَلِ، فَالثُّدْيُ يَمْنَعُ القَمِيصَ أَنْ يَلْتَصِقَ بِبَطْنِهَا، وَالرِّدْفُ يَمْنَعُهُ أَنْ يَلْتَصِقَ بِظَهْرِهَا.

(١) «مجمع الأمثال» (١: ١٢٦) و(٢: ٤٣).

(٢) لم أهتدِ إلى قائله.

(٣) لعمر بن أبي ربيعة في «ديوانه»، ص ٢٥٨.



و«انْقَضَّ»: إذا أسرع سقوطه، من انقضاض الطائر، وهو انفعَل، مطاوعٌ قَضَضْتُهُ. وقيل: انقض من النقص، كاحمر من الحمرة. وقُرئ: (أن يُنْقَض) من النقص، و(أن يُنْقَاص) من: انقاصت السن؛ إذا انشقت طولاً، قال ذو الرمة:

..... مُنْقَاصٌ وَمُنْكَثِبٌ

بالصاد غير معجمة.

قوله: (انقض: إذا أسرع سقوطه)، الراجب: انقض الحائط: وقع، واقض عليه مضجعه: صار فيه قَضَضٌ، أي: حجارة صغار<sup>(١)</sup>.

قوله: (وقُرئ: «أن يُنْقَض»)، قال ابن جنى: وهي قراءة النبي ﷺ، برفع الياء وبالضاد المعجمة<sup>(٢)</sup>. وقرأ علي بن أبي طالب وعكرمة: «يُنْقَاص» بالصاد المهملة وبالألف، وهو مطاوع<sup>(٣)</sup> قَضْتُهُ، فانقاص، أي: كسرتَه فانكسر، وقد قالوا: قَضْتُهُ فانقاص، بالضاد المعجمة، أي: هدمته فانهدم، وقراءة العامة: «أن يُنْقَض» أشبه أولاً منها بأخر؛ لأن الإرادة في اللفظ له<sup>(٤)</sup>.

قوله<sup>(٥)</sup>: (مُنْقَاصٌ وَمُنْكَثِبٌ)، أوله:

يَعْنَى الْكِنَاسِ بَرَوْقِيهِ وَيَهْدِمُهُ مِنْ هَائِلِ الرَّمْلِ مُنْقَاصٌ وَمُنْكَثِبٌ<sup>(٦)</sup>

الكناس: موضع الوحش من البقر والظباء يستظل به، مشتق من الكنس؛ لأنها تكنس

(١) «مفردات القرآن»، ص ٦٧٤.

(٢) الذي جزم به أبو حيان في «البحر المحيط» (٧: ٢١٠) أنها قراءة أبي بن كعب، ثم قال: وهي مروية عن النبي ﷺ. انتهى كلامه، وهو كالمستمد من ابن عطية في «المحرر الوجيز»، ص ١٢٠٦.

(٣) في (ف) و(ط): «مضارع»، وهو على الجادة في «المحتسب».

(٤) «المحتسب» (٢: ٣١-٣٢).

(٥) هذه الفقرة سقطت من (ط).

(٦) لذي الرمة في «ديوانه»، ص ٢١.

﴿فَأَقَامَهُ﴾ قيل: أقامه بيده. وقيل: مَسَحَهُ بيده فقام واستوى. وقيل: أقامه بعمودٍ عَمَدَهُ به. وقيل: نَقَضَهُ وبناه. وقيل: كان طولُ الجدار في الساءِ مئة ذراع، كانتِ الحالُ حالَ اضطرابٍ وافتقارٍ إلى المَطْعَم، ولقد لَزَّتْهَا الحاجةُ إلى آخِرِ كَسْبِ المرء؛ وهو المسألة، فلم يجِدْ مُوَسِيًّا، فلما أقامَ الجدارَ لم يتالك موسى لما رأى من الحِرْمانِ ومَساسِ الحاجةِ أن ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَنَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ وطلبت على عملِكَ جُعَلًا حتى ننتعش ونستدفع به الضرورة، وقُرئ: (لَتَخَذْتَ)، والتاءُ في نَحْذُ، أصلٌ كما في تَبِعَ، واتَّخَذَ افْتَعَلَ منه، كاتَّبَعَ من تَبِعَ، وليس من الأَخَذِ في شيء.

الرَّمْلَ حَتَّى يَصِيرَ إِلَى بَرْدِ الثَّرَى، يقال: كَسَسَتِ الطَّبَاءُ وَتَكَسَّتْ: اسْتَرَتْ. وَالرَّوْقُ: القَرْنُ، وَمُنْقَاضٌ: أي مُنْهَدِمٌ، مُنْكَبٌ: هائلٌ. يَصِفُ الرَّمْلَةَ يَقُولُ: الثَّورُ يَغْشَى الكِنَاسَ بَقَرْتَيْهِ وَيَهْدِمُ الكِنَاسَ، مِمَّا انْهَالَ مِنَ الرَّمْلِ وَتَنَاطَرَتْ وَتَسَاقَطَتْ قِطْعَةً قِطْعَةً.

و«مُنْقَاضٌ»: يُرْوَى بِالصَّادِ المَعْجَمَةِ، مِنْ: انْقَاضِ الطَّائِرِ وَانْقِضَ؛ إِذَا أَسْرَعَ فِي سُقُوطِهِ. وَيُرْوَى بِالصَّادِ المَهْمَلَةِ، مِنْ: انْقَاصِ السَّنِّ؛ إِذَا انشَقَّتْ، وَهُوَ خَبْرٌ مُبْتَدَأٌ مَحذُوفٌ، أَي: هُوَ مُنْقَاضٌ، وَهُوَ يَعُودُ إِلَى الكِنَاسِ.

قوله: (وقرئ: «لَتَخَذْتَ»): ابن كثير وأبو عمرو<sup>(١)</sup>: بفتح التاء المخففة<sup>(٢)</sup>، والباقون: بتشديد التاء وفتح الخاء.

قوله: (والتاء في «نَحْذُ» أصلٌ)، ذَكَرَ فِي بَابِ الواوِ مَعَ الخاءِ فِي «الأساس»: وَخَذَ نَحْذُ وَخَذًا وَوَحْذَانًا. وَفِي بَابِ التاءِ مَعَ الخاءِ: اتَّخَذْتُهُ خَلِيلًا، وَهُوَ المرادُ مِنْ قولِهِ: «وليسَ مِنَ الأَخْذِ فِي شيءٍ»، قَالَ أبو البقاء: وَهُوَ مِنْ «نَحْذُ يَنْحُذُ»: إِذَا عَمِلَ شيئًا، وَأَمَّا «اتَّخَذَ» بِالتشديدِ

(١) وعَلَّه أبو زرعَةَ بِعَلاَلٍ بِهِ الزمخشريُّ واحتجَّ لأبي عمرو بِقولِ الشاعر:

وقد نَحَذْتُ رَجُلِي إِلَى جَنْبِ عَرَزِهَا

انظر: «حُجَّةُ القراءات»، ص ٤٢٥-٤٢٦.

(٢) قوله: «بفتح التاء المخففة» سقط من (ف) و(ط).

[ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِأَوْبِلٍ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ ]

فإن قلت: ﴿هَذَا﴾ إشارة إلى ماذا؟ قلت: قد تصوّر فراق بينهما عند حلول ميعاده على ما قال موسى عليه السلام: ﴿إِنْ سَأَلْتَكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَنِّجْنِي﴾، فأشار إليه وجعله مُبْتَدَأً وأخبر عنه، كما تقول: هذا أخوك، فلا يكون «هذا» إشارة إلى غير الأخ، ويجوز أن يكون إشارة إلى السؤال الثالث، أي: هذا الاعتراض سبب الفراق، والأصل: هذا فراق بيني وبينك، وقد قرأ به ابن أبي عبلة، فأضيف المصدر إلى الظرف كما يُضَافُ إلى المفعول به.

فهو: إِمَّا افْتَعَلَ مِنْ «تَحَذَّ» أَوْ مِنَ الْأَخْذِ، وَأَصْلُهُ: أَيْتَحَذُّ، فَأَبْدَلَتِ الْيَاءُ تَاءً وَأَدْغَمَتِ، وَأَصْلُ الْيَاءِ هَمْزَةٌ (١).

قوله: (هذا أخوك، فلا يكون «هذا» إشارة إلى غير الأخ)، قال ابن الحاجب في «الأمالي»: المشار إليه لا يُشْتَرَطُ أَنْ يَكُونَ موجودًا حاضراً، بل يكفي أن يكون موجوداً ذهنًا، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ [القصص: ٨٣] وهي معدومة، ومَنْ شَرَطَ وجودَ المشار إليه، فهو حاصل (٢).

وقال القاضي: الإشارة بهذا إلى الفراق المعهود بقوله: ﴿فَلَا تُصَنِّجْنِي﴾. أو إلى الوقت، أي: هذا الوقت وقت الفراق (٣).

قوله: (أي: هذا الاعتراض سبب الفراق)، في تخصيصه دون الأولين الإشارة إلى (٤) أن الطَّمَعَ أَرْدَأُ الخِصَالِ، فإنه عليه السلام مهَّدَ عُدْرَهُ فِيهَا لِمَا فِي ظَاهِرِهِمَا مِنَ النَّفْرَةِ فِي (٥) جِهَةِ الْإِتْلَافِ وَالْإِهْلَاكِ فِي الظَّاهِرِ، وَفِي هَذَا الْإِهْلَاكِ مِنَ جِهَةِ الْبَاطِنِ وَطَلَبُ حِطِّ النَّفْسِ، رَوَى

(١) «التبيان في إعراب القرآن» (٢: ٨٥٧).

(٢) «أمالي ابن الحاجب» (٢: ٧٠٤) وعبارته ثمة: «ومَنْ شَرَطَ وجودَ المشار إليه فهو جهلٌ محضٌ».

(٣) «أنوار التنزيل» (٣: ٥١٥).

(٤) من قوله: «الفراق المعهود بقوله: ﴿فَلَا تُصَنِّجْنِي﴾» إلى هنا سقط من (ف).

(٥) في (ط): «من».

﴿ أَمَا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ [٧٩]

﴿لِمَسْكِينٍ﴾ قيل: كانت لعشرة إخوة؛ خمسة منهم زَمَنِي، وخمسة يعملون في البحر ﴿وَرَاءَهُمْ﴾ أمامهم، كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]، وقيل: خَلْفَهُمْ، وكان طريقهم في رجوعهم عليه، وما كان عندهم خَبْرُهُ، فأَعْلَمَ اللهُ به الخَضَرَ وهو (جلندي). فإن قلت: قوله: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ مُسَبَّبٌ عن خوف الغضبِ عَلَيْهَا فكان حَقُّهُ أَنْ يتأخَّرَ عن السبب، فَلَمْ قُدِّمَ عليه؟ قلت: النية به التأخير، وإنما قُدِّمَ للعناية، ولأنَّ خوفَ الغضبِ ليس هو السببُ وحده، ولكن مع كونها للمساكين،

القشيري في «رسالته» عن بعضهم: لما نطق موسى عليه السلام بذكر الطمع، وقال: ﴿لَوْ شِئْتُ لَنَخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾، قال له الخضر: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾<sup>(١)</sup>.

قوله: (فكان حقه أن يتأخَّرَ عن السبب)، أي: كان حقُّ النَّظْمِ أن يتأخَّرَ قوله: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ عن قوله: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ﴾؛ لأنَّ إرادة التعيبِ مُسَبَّبٌ عن خوفِ الغضبِ<sup>(٢)</sup>.

قوله: (وإنما قُدِّمَ للعناية)، وهي أن لا يُحِيطَ به علمُ موسى عليه السلام، وأنه العالمُ بمثل ما خفي على مثله، لقوله: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾، قال صاحبُ «المطلع»: قُدِّمَ ليُشيرَ إلى العناية، أي: تتعجبُ منه يا موسى، وهذا مهمني وأنا مأمورٌ به.

قوله: (ولأنَّ خوفَ الغضبِ ليس هو السببُ وحده)، قال القاضي: إنَّ السببَ لما كان مجموعَ الأمرين: خوفِ الغضبِ ومسكنة الملاك، رَبُّهُ على أقوى الجزأين وأدعاهما، وعقبه بالآخر على سبيلِ التقييدِ والتتميمِ<sup>(٣)</sup>، وقال صاحبُ «الانتصاف»: كأنه جعلَ السببَ كونها

(١) «الرسالة القشيرية» (١: ٢٩٦) «باب القناعة».

(٢) وفي (ح) و(ف): «الغضب» بالضاد المعجمة، وهو تحريف.

(٣) «أنوار التنزيل» (٣: ٥١٦).

فكان بمنزلة قولك: زيدٌ ظَنِّي مُقيمٌ، وقيل في قراءة أبي وعبد الله: (كلٌ سفينةٌ صالحة).

[﴿وَأَمَّا الْعُلَمَاءُ فَكَانَ أَبُوهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يَرَهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا \* فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَهْمًا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا \* وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ ٨٠-٨٢]

قرأ الجحدري: (فكان أبواه مؤمنان)، على أن (كان) فيه ضميرُ الشأن، ﴿فَخَشِينَا أَنْ يُرَهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ فخشينا أن يغشى الوالدين المؤمنين طغيانًا عليهما، وكفراً لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه، ويلحق بهما شرًا وبلاءً، أو يقرن ببايئنها طغيانه وكفره، فيجتمع في بيتٍ واحدٍ مؤمنانٍ وطاغٍ كافر، أو يُعديهما بدائه ويضلُّهما بضلاله فيرتدا بسببه ويَطغيا ويكفرا بعد الإيـان، وإنما خشي الخضرُ منه ذلك؛ لأنَّ الله تعالى أعلمه بحاله وأطلعَه على سرِّ أمره. وأمره إياه بقتله كاخترامه لمفسدة عَرَفَهَا في حياته. وفي قراءة أبي: (فخاف ربك)، والمعنى: فكَرِهَ رَبُّكَ كراهةً من خافَ سوءَ عاقبةِ الأمرِ

للمساكين، ثم بيّن مناسبة هذا السببِ بِذِكْرِ عَادَةِ الْمَلِكِ فِي غَضَبِ السُّفْنِ الصَّحِيحَةِ، وهذا هو الترتيبُ: أن يُرتَّبَ الْحُكْمَ عَلَى سَبَبٍ ثُمَّ يَوْضَحَ الْمُنَاسِبَةَ فِيهَا بَعْدُ، فَلَا يُجْتَاجُ إِلَى جَعْلِهِ مُتَقَدِّمًا<sup>(١)</sup>، وَقُلْتُ: هَذَا هُوَ الْوَجْهُ.

قوله: (زيدٌ ظَنِّي مُقيمٌ)، قَالَ الْمَصْنُفُ: الظَّنُّ يَتَعَلَّقُ بِالطَّرْفَيْنِ، بِالْمَبْتَدَأِ وَالْخَبْرِ جَمِيعًا، كَمَا أَنَّ التَّعْلِيلَ فِي ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ متعلقٌ بِالْمَسْكُونَةِ وَالغَضَبِ، فَوَسَّطَ بَيْنَهُمَا.

قوله: (كاخترامه)، الجوهري: اخْتَرَمَهُمُ الدَّهْرُ: اقْتَطَعَهُمْ وَاسْتَأْصَلَهُمْ، وَهُوَ خَبْرٌ، وَالْمَبْتَدَأُ: «أمره»، هذا بناءٌ عَلَى رِعَايَةِ الْأَصْلَحِ، يَعْنِي جَوَازَ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى الْخَضِرَ بِقَتْلِ الْغُلَامِ لِرِعَايَةِ الْأَصْلَحِ لِجَوَازِ إِهْلَاكِ اللَّهِ وَاسْتِئْصَالِهِ إِيَّاهُ لِمُفْسَدَةِ عَرَفَهَا اللَّهُ فِي حَيَاتِهِ.

(١) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٢: ٧٤١).

فَعَيَّرَهُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: ﴿فَخَشِينَا﴾ حكاية لقول الله تعالى، بمعنى: فكَرِهْنَا،

قَوْلُهُ: (ويجوزُ أن يكونَ ﴿فَخَشِينَا﴾ حكاية لقولِ الله عزَّ وجلَّ) عَطَفٌ عَلَى قَوْلِهِ: «وَأَنَا خَشِيْتُ الْخَضِرُ مِنْهُ»، المعنى: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْلَمَهُ بِحَالِهِ وَأَطْلَعَهُ عَلَى سِرِّهِ وَقَالَ لَهُ: اقْتُلِ الْغُلَامَ؛ لِأَنَّا نَكْرَهُ كِرَاهِيَةً مِّنْ خَافِ سَوْءِ الْعَاقِبَةِ أَنْ يُغَيَّبِي الْغُلَامُ الْوَالِدَيْنِ الْمُؤْمِنِينَ طَغْيَانًا وَكُفْرًا، وَلَمَّا قَالَ الْخَضِرُ: ﴿وَأَمَّا الْفُلْكَ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ﴾ جَعَلَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَخَشِينَا﴾ وَضَلَّةً لِكَلَامِهِ بَدَلَ قَوْلِهِ: ﴿فَخَشِينَا﴾ إِيْبَاءً إِلَى اضْمِحْلَالِ إِرَادَتِهِ فِي إِرَادَةِ اللَّهِ، وَإِعْلَامًا بِأَنَّ عِلْمَهُ مُقْتَبَسٌ مِنَ الْمَشْكَاءِ الْقُدْسِيَّةِ، وَلَا شَوْبَ فِيهِ لِرَأْيِهِ، وَتَحْقِيقًا لِقَوْلِهِ: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾. رَوَى السُّلَمِيُّ عَنِ الْوَاسِطِيِّ: الْخَضِرُ شَاهَدَ الْمَلِكَ<sup>(١)</sup>، وَشَاهَدَ مُوسَى الْوَسَائِطَ، كَأَنَّهُ أَخْبَرَ الْخَضِرَ أَنَّ السُّؤَالَ مِنْهُ سَوْأَلٌ مِنَ اللَّهِ<sup>(٢)</sup>، أَي: لَا تَشْهَدُ الْأَسْبَابَ وَاشْهَدِ الْمُسَبَّبَ تَسْتَرِّحُ مِنْ هَوَاجِسِ النَّفْسِ.

وَأَمَّا عَلَى الْوَجْهِ الْآخَرَ: فَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّمَا عَظَّمَ نَفْسَهُ؛ لِأَنَّهُ اخْتَصَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِمَوْهَبَةٍ لَا يَخْتَصُّ بِهَا إِلَّا مَنْ هُوَ مِنْ خَوَاصِّ الْخَضِرَةِ، قَالَ الْإِمَامُ: إِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا ذَكَرَ الْعَيْبَ أَضَافَهُ إِلَى نَفْسِهِ، وَأَضَافَ الرَّحْمَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، عَلَى نَحْوِ ﴿أَنْفَسَتْ عَلَيْهِمْ غَيْرَ الْمَعْصُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]، وَعِنْدَ الْقَتْلِ عَظَّمَ نَفْسَهُ تَنْبِيْهَا عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْعِظْمَاءِ فِي عُلُومِ الْحِكْمَةِ<sup>(٣)</sup>.

وَقُلْتُ: وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ فِي اخْتِلَافِ الضَّمَائِرِ رَمَزًا إِلَى التَّرْقِيِ إِلَى مَعَارِجِ الْقُدْسِ، وَالتَّدرِجِ إِلَى مَخْدَعِ الْفَنَاءِ، فَفِي «أَرَدْتُ» إِثْبَاتٌ، وَفِي «فَخَشِينَا»<sup>(٤)</sup> ثُبُوتٌ<sup>(٥)</sup> مِنْهُ، وَفِي «فَأَرَادَ رَبُّكَ» فَنَاءٌ مَخْضٌ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧].

(١) فِي «حَقَائِقِ التَّفْسِيرِ»: شَاهَدَ أَنْوَارَ الْمَلِكِ.

(٢) «حَقَائِقِ التَّفْسِيرِ» (١: ٤١٣).

(٣) «مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ» (٢١: ١٦٢).

(٤) فِي (ف): «خَشِينَا».

(٥) فِي (ح) وَ(ف): «سُورًا».

كقوله: ﴿لَأَهَبَ لَكَ﴾ [مریم: ١٩]. وقرئ: (يُبدِّلهما) بالتشديد. والزكاة: الطهارة والنقاء من الذنوب، والرَّحْمُ: الرَّحْمَةُ والعطف. ورُوي أنه وُلدت لها جارية تزوجها نبيٌّ، فولدت نبيًّا هدى الله على يديه أمة من الأمم، وقيل: وُلدت سبعين نبيًّا، وقيل: أبدلها ابنًا مؤمنًا مثلها. قيل: اسما الغلامين: أصْرَمُ، وصَرِيم. والغلامُ المقتول: اسمه الحُسَيْن. واختلَفَ في الكَنْزِ، فقيل: مألٌ مدفونٌ من ذهبٍ وفضة، وقيل: لوحٌ من ذهبٍ مكتوبٌ فيه: عَجِبْتُ لمن يؤمنُ بالقَدَرِ كيفَ يحزن، وعَجِبْتُ لمن يؤمنُ بالرِّزْقِ كيفَ يتعب، وعَجِبْتُ لمن يؤمنُ بالموتِ كيفَ يفرح، وعَجِبْتُ لمن يؤمنُ بالحسابِ كيفَ يغفل، وعَجِبْتُ لمن يعرفُ الدنيا وتقلبها بأهلها كيفَ يطمئنُ إليها، لا إلهَ إلا اللهُ محمدٌ رسولُ اللهِ.

وقيل: صُحِفَ فيها علمٌ، والظاهرُ لإطلاقه: أنه مال. وعن قتادة: أُحِلَّ الكَنْزُ لمن قبلنا وحرَّم علينا، وحرِّمَتِ الغنيمَةُ عليهم وأُحِلَّت لنا: أراد قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ [التوبة: ٣٤]، ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ اعتدادٌ بصلاح أبيهما وحفظًا لحقه فيهما. وعن جعفر بن محمد الصادق: كان بين الغلامين وبين الأب الذي حُفِظَ فيه سبعةُ آباء. وعن الحُسَيْنِ بنِ عليٍّ رضي الله تعالى

قوله: (كقوله: ﴿لَأَهَبَ لَكَ﴾ [مریم: ١٩])، أي: كقولِ جبريلَ عليه السَّلامُ لمريم: ﴿لَأَهَبَ لَكَ﴾، والواهبُ هو اللهُ تعالى، لكنَّه مُبلِّغٌ لكلامِ اللهِ إليها.

قوله: (وقرئ: «يُبدِّلهما»، بالتشديد): نافعٌ وأبو عمرو<sup>(١)</sup>، والباقون: بالتخفيف.

قوله: (الذي حُفِظَ فيه)، أي: رُوعيَ جانبُها لأجلِهِ وكرامته. المغرب: الحِفظُ: خلافُ

(١) وقرأ بذلك في جميع القرآن، وهما لغتان، تقول: بَدَلٌ وأبْدَلٌ، مثل نَزَلٌ وأَنْزَلَ. وحجَّتُها قوله تعالى:

﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾ [النحل: ١٠١] وقوله: ﴿لَا بُدَّيْلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ﴾ [يونس:

٦٤]. انتهى بتصرفٍ يسيرٍ من «حجَّة القراءات»، ص ٤٢٧.

عنها أنه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما: بِمَ حَفِظَ اللهُ الْغَلَامَيْنِ؟ قال: بصلاح أبيهما، قال: فأبي وجدّي خيرٌ منه، فقال: قد أنبأنا الله أنكم قومٌ خصمون. ﴿رَحْمَةً﴾ مفعولٌ له، أو مصدرٌ منصوبٌ بـ(أراد ربُّك)، لأنه في معنى: رَحِمَهَا، ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ﴾ وما فعلتُ ما رأيتُ ﴿عَنْ أَمْرِي﴾ عن اجتهادي ورأيي، وإنما فعلته بأمر الله.

[﴿وَيَسْتَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ \* إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا \* فَأَتْبَعَ سَبَبًا \* حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَرْغُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَبْدَأُ الْقُرْنَيْنِ بِمَا آتَىٰ أَنْ تَعَذِّبَ وَإِنَّمَا أَنْ نَخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا \* قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ، ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ، عَذَابًا نُكْرًا \* وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ ٨٣-٨٨]

ذو القرنين: هو الإسكندرُ الذي ملكَ الدنيا. قيل: ملكها مؤمنان: ذو القرنين،

النسيان، وقد يُجعلُ عبارة عن الصَّونِ وتَرْكِ الابتدال<sup>(١)</sup>.

قوله: ﴿عَنْ أَمْرِي﴾: عن اجتهادي ورأيي، وإنما فعلته بأمر الله، الأمرُ الأول: واحدُ الأمور، والثاني: واحدُ الأوامر. قال القاضي: ومبني ذلك على أنه متى تعارضَ صَرَرَانِ يجبُ أن يُجْمَلَ أهوئهما للدفعِ أعظمهما، وهو أصلٌ ممهدٌ، غيرَ أن الشرائعَ في تفاصيله مختلفة. ومن فوائدِ هذه القصة: أن لا يُعجَبَ المرءُ بعلمه، ولا يُبادِرَ إلى إنكارِ ما لا يستحسِنُه، فلعلَّ فيه سرًّا لا يعرفه، وأن يُداوِمَ على التعلُّم، ويتذلَّلَ للمُعَلِّم، ويُراعِيَ الأدبَ في المقال، وأن يُنبِئَ المُجرِمَ، ويعفو عنه حتى يتحقَّقَ إصراره، ثم يُهاجِرَ عنه.

قوله: (ذو القرنين هو الإسكندرُ)، قد مرَّ عن الإمام أن في جعلِ إسكندرَ ذا الْقُرْنَيْنِ إشكالًا قويًّا، وهو أنه كان تلميذًا لأرسطو طاليس، فكانَ على مذهبه، فتعظيمُ الله إياه يوجبُ الحُكْمَ بأن مذهبَ أرسطو طاليس حقٌّ، وذلك مما لا سبيلَ إليه.

(١) «المغرب في ترتيب المعرب»، (١: ٢١٣).



وسُليمان. وكافران: نَمْرُودُ، وبُخْتَنَصَّر، وكان بعد نَمْرُود. واختُلِفَ فيه فقيل: كان عبداً صالحاً مَلَكَ اللهُ الأرض، وأعطاهُ العِلْمَ والحِكْمَةَ، وألَبَسَهُ الهَيْبَةَ، وسَخَّرَ له النورَ والظلمة، فإذا سَرى يَهْدِيهِ النورُ من أَمَامِهِ، وتحوطُهُ الظلمةُ من ورائِهِ، وقيل: نبياً، وقيل: مَلَكَ من الملائكة. وعن عُمَرَ رضي اللهُ عنه أَنه سَمِعَ رجلاً يقول: يا ذا القرنين، فقال: اللَّهُمَّ غَفِّراً، ما رَضِيتُمْ أَن تَسْمُوا بِأَسْمَاءِ الأنبياءِ حَتَّى تَسْمِيْتُمْ بِأَسْمَاءِ الملائكة، وعن عليٍّ رضي اللهُ عنه، سُخِّرَ له السحاب، ومُدَّتْ له الأسباب، وبُيَسِّطَ له النور، وسئل عنه فقال: أَحَبَّ اللهُ فَأَحَبَّهُ. وسأله ابنُ الكَوَّاءِ: ما ذو القرنين، أَمَلَكُ أم نبي؟ فقال: ليس بِمَلِكٍ ولا نبي، ولكن كان عبداً صالحاً، ضُرِبَ على قرنيه الأيمن

قوله: (اللَّهُمَّ غَفِّراً)<sup>(١)</sup>، أي: اغْفِرْ لَهُمْ غَفْراً.

قوله: (ومُدَّتْ له الأسباب)<sup>(٢)</sup>، أي: أَمَكَّنَهُ اللهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَأَقْدَرَهُ.

قوله: (فأَحَبَّهُ)، أي: مَكَّنَهُ اللهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَأَقْدَرَهُ.

قوله: (ابنُ الكَوَّاءِ) قَالَ الفقيه أبو حنيفة الدينوريُّ في «تاريخه»<sup>(٣)</sup>: هو: عبدُ اللهِ بنُ الكَوَّاءِ مِنْ كُتَبَاءِ الحَوَارِجِ، اختاروه لِيُحَاجَّ عَلِيَّ بنَ أَبِي طَالِبٍ رضي اللهُ عنه في أمرِ الحَكَمَيْنِ<sup>(٤)</sup>، وَجَرَّتْ بَيْنَهُمَا مَجَادَلَاتٌ حَتَّى قَالَ ابنُ الكَوَّاءِ في آخِرِ كَلَامِهِ: أَنْتَ صَادِقٌ في جَمِيعِ مَا تَقُولُ، غَيْرَ أَنكَ كَفَرْتَ حِينَ حَكَمْتَ الحَكَمَيْنِ<sup>(٥)</sup>، فَقَاتَلَهُمْ عَلِيٌّ رضي اللهُ عنه، وَكَانَ عَلَيْهِمْ عبدُ اللهِ بنُ وَهْبٍ الرَّاسِبِيُّ.

(١) هو من كلام عمر رضي اللهُ عنه، أخرجه الطبريُّ في «جامع البيان» (١٥: ٣٩٠)، وأبو الشيخ في كتاب «العظمة» (٤: ١٤٨٠).

(٢) من كلام عليٍّ رضي اللهُ عنه، أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٤: ١٤٤٩)، وصححه الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (١: ٢٣٧).

(٣) يعني كتابه «الأخبار الطوال» وهو مطبوع مشهور.

(٤) يعني أبا موسى الأشعري وعمر بن العاص رضي اللهُ عنهما.

(٥) «الأخبار الطوال»، ص ٢٠٩.

في طاعة الله فمات، ثم بعثه الله فصرَبَ على قرنيه الأيسر فمات، فبعثه الله فسميَ (ذو القرنين) وفيكم مثله. قيل: كان يدعوهم إلى التوحيد فيقتلونَه فيحبيه الله تعالى. وعن النبي ﷺ: «سُمِّيَ ذا القرنين؛ لأنه طاف قرني الدنيا»، يعني: جانبَيْها شرقها وغربها.

وقيل: كان له قرنان، أي: صَفِيرَتان. وقيل: انقرضَ في وقته قرنان من الناس. وعن وَهَب: لأنه مَلَك الرومَ وفارس. ورُوي: الرومَ والترك. وعنه كانت صفحتا رأسه من نحاس. وقيل: كان لتاجِه قرنان. وقيل: كان على رأسه ما يُشبهُ القرنين. ويجوزُ أن يُلقبَ بذلك لشجاعته، كما يُسمَى الشجاعُ كَبْشًا؛ لأنه ينطحُ أقرانه، وكان من الروم، وكَدَّ عجزو ليس لها ولدٌ غيرُه. والسائلون: هم اليهودُ سألوه على جهة الامتحان. وقيل: سأله أبو جهلٍ وأشباعه، والخطابُ في ﴿عَلَيْكُمْ﴾ لأحدِ الفريقين ﴿من كلِّ شيء﴾ أي: من أسبابِ كلِّ شيء، أرادَه من أغراضه ومقاصده في ملكه ﴿سَببًا﴾ طريقًا مُوصِلًا إليه، والسببُ ما يُتوصَّلُ به إلى المقصودِ من علم أو قدرة أو آلة، فأرادَ بلوغَ المغربِ ﴿فَاتَّبَعَ سَببًا﴾ يُوصِلُه إليه حتى بلغ، وكذلك أرادَ المشرق، فأتبعَ سببًا، وأرادَ بلوغَ السدَّينِ فأتبعَ سببًا. وقرئ: ﴿فَاتَّبَعَ﴾ وقرئ: ﴿حَمَتَهُ﴾، من: حَمَتِ البئر؛ إذا

قوله: ﴿وفيكم مثله﴾، يعني به: نفسه، أي: لم يكن نبيًا، بل كان وليًا.

قوله: ﴿كما يُسمَى الشجاعُ كَبْشًا﴾، الأساس: ومنَ المجاز: هو كَبْشٌ كتيبة.

قوله: ﴿وقرئ: ﴿فَاتَّبَعَ﴾﴾، الكوفيون وابنُ عامرٍ: ﴿فَاتَّبَعَ﴾ في الثلاثة، بقطعِ الهمزة مخففةً التاء، والباقون: بالوصلِ مُشددةً التاء<sup>(١)</sup>.

قوله: ﴿قرئ: ﴿حَمَتَهُ﴾﴾، ابنُ عامرٍ وأبو بكرٍ وحمزة والكسائي: «حامية» بألفٍ من غيرِ همزة، والباقون: بغيرِ أَلِفٍ مع الهمز<sup>(٢)</sup>.

(١) وهو الذي رجحه أبو عبيد لأنها من المسير، وأما الإتيانُ فمعناه اللحاق، كقوله: ﴿فَاتَّبَعُوهُمُ ثَمَرَاتِ﴾ [الشعراء: ٦٠]. انتهى من «حجة القراءات»، ص ٤٢٨.

(٢) لتام الفائدة انظر: «حجة القراءات»، ص ٤٢٨-٤٢٩.

صارَ فيها الحَمَاءُ، و(حَامِيَةٌ) بمعنى: حَارَّة. وعن أبي ذرٍّ: كنتُ رديفَ رسولِ الله ﷺ على الجَمَلِ، فرأى الشمسَ حينَ غابَت، فقال: «يا أبا ذرٍّ، أتدرِي أينَ تغرُبُ هذه؟» فقلت: اللهُ ورسولُه أعلم. قال: «فإنها تغرُبُ في عينِ حامية». وهي قراءةُ ابنِ مسعودٍ وطلحةَ وابنِ عُمرَ وابنِ عمرو والحسن. وقرأ ابنُ عباس: حَمِيَّة. وكان ابنُ عباسٍ عندَ مُعاوية؛ فقرأ معاوية: (حامية)، فقال ابنُ عباس: ﴿حَمِيَّةٌ﴾. فقال مُعاويةُ لعبدِ الله بنِ عمرو: كيفَ تقرأ؟ قال: كما يقرأ أميرُ المؤمنين، ثم وَجَّهَ إلى كعبِ الأحرار: كيفَ تجدُ الشمسَ تغرُبُ؟ قال: في ماءٍ وطين، كذلك نجدُه في التوراة. ورُوي: في ثأطٍ، فوافق قولَ ابنِ عباس، وكان ثَمَّةَ رجلٌ فأنشدَ قولَ تُبَع:

فرأى مغيبَ الشمسِ عندَ ما بها      في عينِ ذي حُلْبٍ وثأطٍ حَرَمَدِ

قوله: (وعن أبي ذرٍّ)، الحديث، رواه أحمدُ بن حنبلٍ في «مسنده»<sup>(١)</sup>، وأبو داودَ في «سُنَّته»<sup>(٢)</sup>.

قوله: (فرأى مغيبَ الشمسِ) البيت، أولُه من «المطلع»:

قد كان ذو القرنينِ عمي مسلماً      ملكاً تدينُ له الملوكُ وتَسجُدُ  
بلغَ المشارقَ والمغربَ بيتي      أسبابَ أمرٍ من حكيمٍ يُرشدُ<sup>(٣)</sup>

الصَّمِيرُ: في «بلغَ» لذي القرنينِ، ما بها، أي: مغيبها، والحُلْبُ: الطينُ والحَمَاءُ، والثأطُ: الحَمَاءُ، واحدها: ثأطَةٌ، وفي المثل: «ثأطَةٌ مُدَّتْ بهاء»<sup>(٤)</sup>، يُصْرَبُ للرجلِ يشتدُّ حُمُقه، فإنَّ الماءَ إذا زيدَ على الحَمَاءِ ازدادتْ فسادًا، والحَرَمَدُ: الأسودُ، ذَكَرَهُ في «النهاية»، وقال فيها:

(١) «مسند أحمد» (٢١٤٩٧).

(٢) «سنن أبي داود» (٤٠٠٤)، وأخرجه الحاكم في «المستدرک» (٢: ٢٦٧) وقال: هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يُخرِّجْناه، ووافقه الذهبي.

(٣) الأبيات لتبَع الأکبر البیانی كما في «شواهد الکشاف» (٢: ٧٤٤)، وعزاها ابن منظور في «اللسان» (ثأط) لأمية بن أبي الصلت.

(٤) «مجمع الأمثال» (١: ١٥٣).

أي: في عين ماء ذي طينٍ وحمأً أسود، ولا تنافي بين الحمئة والحامية، فجائز أن تكون العينُ جامعةً للوصفين جميعاً.

كانوا كفرةً فخيرَهم الله بين أن يعدَّهم بالقتلِ وأن يدعوهم إلى الإسلام، فاختر الدعوةَ والاجتهادَ في استيائهم، فقال: أما من دعوته فأبى إلا البقاء على الظلم العظيم الذي هو الشرك: فذلك هو المُعَذَّبُ في الدارين ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ﴾ ما يقتضيه الإيمان ﴿فَلَهُ جَزَاءُ الْحَسَنَى﴾، وقيل: خيرَه بين القتلِ والأسْرِ، وسماه إحصاناً في

أنشد ابن عباسٍ هذا البيتَ وقد حاجه عمرُ في قوله تعالى: ﴿تَقَرَّبُ فِي عَتَبِ حِمَّةٍ﴾.

قوله: (وقيل: خيرُهُ بينَ القتلِ والأسْرِ): عطفٌ على قوله: «فخيرَهُ اللهُ بينَ أن يُعَذِّبَهُم بالقتلِ وأن يدعوهم إلى الإسلام» المعني بقوله: ﴿أَنْ لَنُخَذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾، وهو على الأول ظاهرٌ، فأما الأسرُ فليس فيه إحصانٌ، حتى يُقال: ﴿أَنْ لَنُخَذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾؛ ولهذا قال: «وسماه إحصاناً في مقابلةِ القتلِ»؛ لأنَّ من استحقَّ القتلَ فإذا صولحَ معه بالأسْرِ فقد عوملَ معه بالإحصان. قال القاضي: ويؤيدُ الأولُ قوله: ﴿قَالَ آمَانٌ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا﴾ أي: اختارَ ذو القرنينِ الدعوةَ؛ ولذلك قال: ﴿أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾ أي: أما مَنْ دعوته فظلمَ نفسه بالإصرارِ على كفره وشركه؛ لأنَّ الشركَ ظلم، فأعذبه أنا ومن معي بالقتلِ في الدنيا، ثم يُعذِّبُهُ اللهُ في الآخرةِ عذاباً لم يُعهَدْ مثله<sup>(١)</sup>.

وقلبت: أما على الوجه الثاني فإنه تعالى لما خيرَهُ بينَ القتلِ والأسْرِ، وكان حقه أن يقول لهم: اختاروا إما القتلَ وإما الأسرَ، فترك ذلك إلى الدعوة، وقال: ﴿أَمَّا مَنْ ظَلَمَ﴾، ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ﴾، فآثر حقَّ الله على حقِّ نفسه، وقال<sup>(٢)</sup> من ظلمَ، أي: بقي على شركه، فالقتلُ والأسرُ مني ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا﴾، ومن آمنَ وعملَ صالحاً فجزأوه عند الله الجنة، وعندني القولُ الميسور، فقدَّم في جانبِ العذابِ ما كان منه على ما هو من الله، وعكس في جانبِ الرِّحمةِ.

(١) «أنوار التنزيل» (٣: ٥٢٠).

(٢) لفظة «وقال» سقطت من (ح) و(ف).

مقابلة القتل ﴿فله جزاء الحسنى﴾، فله أن يجازى المثوبة الحسنى، أو: فله جزاء الفعل الحسنى التي هي كلمة الشهادة. وقرئ: ﴿فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَى﴾ أي: فله الفعل الحسنى جزاءً. وعن قتادة: كان يطبخ من كَفَرَ في القُدور، وهو العذاب النُكْرُ، ومن آمن أعطاه وكساه ﴿مِنْ أَمْرٍ يُسْتَرًا﴾ أي: لا تأمره بالصَّعبِ الشَّاقِّ، ولكن بالسَّهلِ المُتيسِّرِ من الزكاة والخراج وغير ذلك، وتقديره: ذا يُسِّر، كقوله: ﴿قَوْلًا مَيْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٨]، وقرئ: (يُسْرًا) بضمَّتين.

[﴿ثُمَّ أَنْبَعُ سَبِيًّا \* حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا \* كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ ٨٩-٩١]

وقرئ: (مَطْلَعٌ) بفتح اللام، وهو مصدر. والمعنى: بلغ مكان مَطْلَعِ الشَّمْسِ، كقوله:

قوله: (وقرئ: ﴿فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَى﴾، أي: فله الفعل الحسنى جزاءً)، حَفْصٌ وحمزة والكسائي: ﴿فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَى﴾، بالتنوين ونصبه. والباقون: بالرفع من غير تنوين. قال مكِّي: من رفع «جزاء» جعله: مبتدأ، و﴿فَلَهُ﴾: الخبر، أي: فله جزاءً خلال الحسنى، ف﴿الْحُسْنَى﴾: مضاف إليه، وقيل: هي على تقدير الرفع على البدل من «جزاء»، وحذف التنوين لالتقاء الساكنين، والحسنى: الجنة، ومن نصب ونوَّنه، جعل<sup>(١)</sup> ﴿الْحُسْنَى﴾: مبتدأ، و«له»: الخبر، و﴿جَزَاءً﴾: نصب على الحال، أي: فله الجنة تجزيًا بها، وقيل: جزاء: نصب على التمييز. وقيل: على المصدر، أي: يجزى بها جزاءً، ومن نصب ولم ينوَّنه، حذف التنوين لالتقاء الساكنين، والحسنى رفع تقديرًا، وفيه بُعد<sup>(٢)</sup>.

قوله: («مَطْلَعٌ»، بفتح اللام، وهو مصدر) وفي «الكواشي»: ﴿مَطْلَعٌ﴾ بالكسر:

(١) من هنا إلى بداية فقرة «قوله: قرئ بالإدغام» بعد ست صفحات لم يُقابل على (ط) لفقدان بعض الأوراق من أصل النسخة، وليس سقطًا.

(٢) انظر: «الكشف عن وجوه القراءات السبع» لمكِّي بن أبي طالب (٢: ٧٤-٧٥) بتصرف.

## كَأَنَّ مَجَرَّ الرَّامِسَاتِ ذُبُولَهَا

يُرِيدُ: كَأَنَّ آثَارَ مَجَرَّ الرَّامِسَاتِ، ﴿عَلَى قَوْمٍ﴾ قِيلَ: هُمُ الرُّنَجُ. والسُّتْرُ: الأبنية، وعن كعب: أَرْضُهُمْ لَا تُمَسِّكُ الأبنيةَ وبها أسراب، فإذا طَلَعَتِ الشَّمْسُ دَخَلُوهَا. فإذا ارتفعَ النهارُ خرجوا إلى معایشِهِمْ، وعن بعضهم: خَرَجْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الصَّيْنَ، فَسَأَلْتُ عَنْ هَؤُلَاءِ فَقِيلَ: بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ مَسِيرَةٌ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَبَلَّغْتُهُمْ فَإِذَا أَحَدُهُمْ يَفْرُسُ

هِيَ المشهورة، وَهِيَ اسْمٌ لَوْقَتِ الطُّلُوعِ أَوْ لِمَوْضِعِ الطُّلُوعِ، وَبِالْفَتْحِ: مُصَدَّرٌ، أَي: مَكَانَ الطُّلُوعِ، وَهِيَ شَاذَةٌ<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ: (كَأَنَّ مَجَرَّ الرَّامِسَاتِ ذُبُولَهَا). تَمَامُهُ:

عَلَيْهِ قَضِيمٌ تَمَقَّتُهُ الصَّوَانِعُ<sup>(٢)</sup>

قَالَ فِي «المَطْلَعِ»: يَرِيدُ كَأَنَّ أَثَرَ مَجَرَّ الرَّامِسَاتِ، أَي: جَرُّهُنَّ، وَالرَّامِسَاتُ: المُثِيرَاتُ لِلرَّفْسِ، وَهُوَ التُّرَابُ، الرِّيَاحُ الرَّوَامِسُ: الَّتِي تُثِيرُ التُّرَابَ وَتَدْفِنُ الآثَارَ، وَرَمَسَتْ الرَّجُلَ وَأَرْمَسُهُ: دَفَنَتْهُ، وَالْقَضِيمُ: الجِلْدُ الأَبْيَضُ، وَنَمَقَّتْ الكِتَابُ: إِذَا حَسَّنَتْهُ وَجَوَّدَتْهُ، وَلَا بُدَّ مِنْ تَقْدِيرِ المِضَافِ لِیَحْسُنَ تَشْبِيهُهُ<sup>(٣)</sup> بِالقَضِيمِ، وَذُبُولَهَا: مَفْعُولٌ مَجَرَّ، أَي: جَرَّهِنَّ ذُبُولَهَا. وَقَضِيمٌ: خَبْرٌ «كَأَنَّ»، وَهُوَ المُشَبَّهُ بِهِ، أَي: كَأَنَّ آثَارَ مَجَرَّ ذُبُولَهَا جِلْدٌ تَمَقَّهُ الكَاتِبُ، وَلَا بُدَّ مِنْ عَامِلٍ فِي الذَّبُولِ، وَاسْمُ المَكَانِ لَا یَعْمَلُ.

قَوْلُهُ: (وَالسُّتْرُ: الأبنية)، وَفِي «إِيجَازِ البیانِ»<sup>(٤)</sup>: المَرَادُ دَوَامُ طُلُوعِهَا عَلَیْهِمْ فِي الصَّیْفِ، وَإِلَّا فَالْحَيَوَانُ یَحْتَارُ الكِنَّ<sup>(٥)</sup> حَتَّى الإِنْسَانُ، وَهَذَا المَكَانُ وَرَاءَ بَرْزَةِ مِنْ تَلْقَاءِ بُلْغَارَ، تَدَوَّرُ فِيهِ الشَّمْسُ بِالصَّیْفِ ظَاهِرَةً فَوْقَ الأَرْضِ، إِلَّا أَنَّهُ لَا تُسَامِتُ رُؤُوسَهُمْ<sup>(٦)</sup>.

(١) وَقَدْ قَرَأَ بِهَا ابْنُ مَحْبُوبٍ وَابْنُ کَثِيرٍ فِي رِوَايَةِ شَبَلٍ. انظُرْ: «مَخْتَصَرُ شَوَادِ القُرْآنِ» لابن خَالَوَيْهِ، ص ٨٢.

(٢) لِلنَّبَاغَةِ الذَّبِيَانِي فِي «دِيَوَانِهِ»، ص ٥٧.

(٣) فِي (ح) وَ(ف): «تَشْبِيهُهُ». وَمَا أَثْبَتْنَاهُ هُوَ الأَشْبَهُ بِالصَّوَابِ.

(٤) لِأَبِي القَاسِمِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الحَسَنِ النِّيسَابُورِيِّ. سَبَقَ التَّعْرِيفُ بِهِ.

(٥) يَعْنِي الاستتار.

(٦) «إِيجَازِ البیانِ عَنِ مَعَانِي القُرْآنِ» (٢: ٥٣١).

أذنه ويلبس الأخرى، ومعني صاحب يعرف لسائهم، فقالوا له: جئنا ننظر كيف تطلع الشمس؟ قال: فيينا نحن كذلك إذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي، ثم أفقت وهم يمسحونني بالدهن، فلما طلعت الشمس على الماء إذا هي فوق الماء كهيئة الزيت، فأدخلونا سربا لهم، فلما ارتفع النهار خر جوا إلى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم. وقيل: الستر: اللباس. وعن مجاهد: من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الأرض.

﴿كذلك﴾ أي: أمر ذي القرنين كذلك، أي: كما وصفناه تعظيما لأمره ﴿وقد﴾

قوله: ﴿كذلك﴾، أي: أمر ذي القرنين كذلك، اعلم أن «كذلك» إما: خبر مبتدأ محذوف، أو: صفة لموصوف مذكور، أو: صفة مصدر محذوف، فعلى الأول المشار إليه بذلك جميع ما سبق من أمر ذي القرنين، وفيه تفخيم للفعلية بعد التفصيل؛ ولهذا قال: «تعظيما لأمره»، وقوله: ﴿وقد أحطنا بما لديهِ خبرا﴾، الجملة تكميل؛ لأنه أزدف التعظيم التكثير، كأنه قيل: أمر ذي القرنين كما وصفنا، وله أسباب عدة غير ما ذكر، لا يحيط بها علم أحد غير الله تعالى لقوله تعالى: ﴿وما يعلم جود ربك إلا هو﴾ [الدثر: ٣١]، ﴿وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا﴾ [الجن: ٢٨].

وعلى الثاني: إما هو صفة لقوله: ﴿سيرا﴾، وإليه الإشارة بقوله: «سيرا مثل ذلك الستر»، وليس بذلك؛ لأن قوله: ﴿وقد أحطنا بما لديهِ خبرا﴾ لا يحسن التثامه على هذا؛ أو صفة لـ «قوم»، والمشار إليه بذلك أحوال القوم المار ذكرهم عند قوله: ﴿ووجد عندها قوما قلنا﴾ إلى آخره، ويحسن التثام قوله: ﴿وقد أحطنا﴾، أي: أحطنا بما لديهِ خبرا من التخبير والاختيار والدعوة والإحسان.

وعلى الثالث: المشار إليه ما سبق من البلوغ في قوله: ﴿حتى إذا بلغ مغرب الشمس﴾، وإليه الإشارة بقوله: ﴿بلغ مطلع الشمس﴾، كما بلغ مغربها، ومعنى ﴿وقد أحطنا بما لديهِ﴾ أي: بما عند ذي القرنين مما يتصل بالبلوغ من التعب والمشقة وإداب السير، فقوله: ﴿وقد أحطنا بما لديهِ﴾ على هذين التفسيرين: تميم ومبالغة.

أَحْطَنَآيْمَا لَدَيْهِ ﴿١﴾ من الجنود والآلاتِ وأسبابِ الملِكِ ﴿حَبْرًا﴾ تكثيرًا لذلك. وقيل: لم نجعل لهم من دونها سترًا مثل ذلك السّتر الذي جعلنا لكم من الجبالِ والحصونِ والأبنيةِ والأكنانِ من كلِّ جنس، والثيابِ من كلِّ صِنْف. وقيل: بلغَ مَطْلِعِ الشمسِ مثل ذلك، أي: كما بلغَ مغربها. وقيل: تطلّع على قومٍ مثل ذلك القبيلِ الذي تغربُ عليهم، يعني أنهم كَفَرَةٌ مثلهم، وحكْمُهُمْ مثل حكْمِهِمْ في تعذيبه لمن بقيَ منهم على الكُفْر، وإحسانه إلى مَنْ آمَنَ منهم.

[﴿ثُمَّ أَنْبَعُ سَبِيًّا \* حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ

قَوْلًا﴾ ٩٢-٩٣]

﴿بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ بين الجبلين، وهما جبلان سدّ ذو القرنين ما بينهما. قُرِيَ بِالضَّمِّ والفتح. وقيل: ما كان من خَلْقِ الله تعالى فهو مَضْمُومٌ، وما كان من عَمَلِ العبادِ فهو مَفْتُوحٌ؛ لأنَّ السَّدَّ بِالضَّمِّ: فُعْلٌ بمعنى: مفعول، أي: هو مما فَعَلَهُ اللهُ تعالى وخالقه. والسَّدُّ بالفتح: مصدرٌ حَدَثَ يُحْدِثُهُ النَّاسُ. وانتصب ﴿بَيْنَ﴾ على أنه مفعولٌ به مبلوغ، كما انجرَّ على الإضافة في قوله: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: ٧٨]، وكما ارتفع في قوله: ﴿لَقَدْ نَقَطَعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤]، لأنه من الظروفِ التي تُسْتَعْمَلُ

قوله: (قُرِيَ بِالضَّمِّ والفتح)، نافعٌ وابنُ عامرٍ وأبو بكرٍ: بضمِّ السِّين. والباقون:

بفتحها<sup>(١)</sup>.

قوله: (لأنَّ «السَّدَّ» بِالضَّمِّ: فُعْلٌ)، قال صاحبُ «التقريب»: ولا يخفى ضَعْفُ هذا التوجيه، قال محيي السُّنة: هذا قولٌ عِكْرِمَةَ، وقاله أبو عمرو، وقيل: هما لُغَتَانِ، وقيل: بِالضَّمِّ: اسمٌ وبالفتح: مصدرٌ<sup>(٢)</sup>.

(١) لتام الفائدة انظر: «حجّة القراءات»، ص ٤٣٠-٤٣١.

(٢) «معالم التنزيل» (٥: ٢٠١).



أَسْمَاءٌ وَظُرُوفًا، وَهَذَا الْمَكَانُ فِي مُنْقَطِعِ أَرْضِ التُّرْكِ مِمَّا يَلِي الْمَشْرِقَ ﴿مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا﴾ هُمُ التُّرْكُ ﴿لَا يَكَادُونَ يُفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ لَا يَكَادُونَ يَفْهَمُونَهُ إِلَّا بِجُهْدٍ وَمَشَقَّةٍ مِنْ إِشَارَةٍ وَنَحْوِهَا كَمَا يَفْهَمُ إِلَيْكُمْ، وَقُرِي: (يُفْقَهُونَ)، أَي: لَا يُفْهَمُونَ السَّامِعَ كَلَامَهُمْ وَلَا يَبِينُونَهُ، لِأَنَّ لُغَتَهُمْ غَرِيبَةٌ مَجْهُولَةٌ.

[﴿قَالُوا يَنْدَا الْقَرْنَيْنِ إِنْ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ ٩٤]

﴿يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ اسْمَانِ أَعْجَمِيَّانِ بِدَلِيلِ مَنَعِ الصَّرْفِ، وَقَرِنَا مَهْمُوزَيْنِ. وَقَرَأَ رُؤْبَةً: (أَجُوجَ وَمَأْجُوجَ)، وَهُمَا مِنْ وَكَدٍ يَافِثٌ. وَقِيلَ: يَأْجُوجُ مِنَ التُّرْكِ، وَمَأْجُوجُ مِنَ الْجَلِيلِ وَالِدَيْلَمِ<sup>(١)</sup>. ﴿مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ قِيلَ: كَانُوا يَأْكُلُونَ النَّاسَ، وَقِيلَ: كَانُوا يَخْرُجُونَ أَيَّامَ الرَّبِيعِ فَلَا يَتْرَكُونَ شَيْئًا أَحْضَرَ إِلَّا أَكَلُوهُ، وَلَا يَابَسًا إِلَّا احْتَمَلُوهُ،

قَوْلُهُ: (وَقُرِي: «يُفْقَهُونَ»)، حَمَزَةٌ وَالْكَسَائِيُّ: بِضَمِّ الْيَاءِ وَكسْرِ الْقَافِ، وَالْبَاقُونَ: بِفَتْحِهَا<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ: (وَقَرِنَا<sup>(٣)</sup> مَهْمُوزَيْنِ): عَاصِمٌ، وَالْبَاقُونَ: بِغَيْرِ هَمْزٍ<sup>(٤)</sup>، نَقَلَ صَاحِبُ «الْمَطْلَعِ» عَنِ الْأَنْبَارِيِّ، قَالَ: وَجْهٌ هَمْزِيهِ - وَإِنْ لَمْ يُعْرَفْ لَهُ أَصْلٌ -: أَنَّ الْعَرَبَ قَدْ هَمَزَتْ مَا لَا أَصْلَ لِلْهَمْزِ فِيهِ، نَحْوَ: لَبَّأْتُ بِالْحَجِّ، وَرَثَأْتُ الْمَيْتَ. وَإِذَا فَعَلُوا هَذَا فِي لُغَتِهِمْ لَا يُرْذَلُ ذَلِكَ فِي الْأَلْفَاظِ الْأَعْجَمِيَّةِ، وَأَمَّا رُؤْبَةٌ فَقَلْبُ الْيَاءِ هَمْزَةٌ كَأَثَرِيٍّ فِي يَثْرِيٍّ.

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ الْخَطِّيِّ، وَكَذَا وَقَعَ فِي النُّسخِ الْمَطْبُوعَةِ أَيْضًا، وَلَعَلَّ الصَّوَابَ: «مِنْ جَيْلِ الدَيْلَمِ»، وَفِي «الصَّحَاحِ»: جَيْلٌ مِنَ النَّاسِ، أَي: صَنَفٌ، التُّرْكُ جَيْلٌ، وَالرُّومُ جَيْلٌ، وَفِيهِ: الدَيْلَمِ: جَيْلٌ مِنَ النَّاسِ. (٢) وَهُوَ الَّذِي قَوَاهُ ابْنُ مَجَاهِدٍ، لِأَنَّكَ إِذَا ضَمَمْتَ الْيَاءَ فَقَدْ حَذَفْتَ مَفْعُولًا، وَالتَّقْدِيرُ: لَا يُفْقَهُونَ أَحَدًا قَوْلًا. انْتَهَى مِنْ «إِعْرَابِ الْقُرْآنِ السَّبْعِ» لِابْنِ خَالَوَيْهِ (١: ٤١٨).

(٣) فِي (ح): «رُؤْيَا».

(٤) وَهُوَ الْاِخْتِيَارُ عِنْدَ النُّحَوِيِّينَ؛ لِأَنَّ الْأَسْمَاءَ الْأَعْجَمِيَّةَ سِوَى هَذَا الْحَرْفِ غَيْرُ مَهْمُوزَةٌ نَحْوَ طَالُوتَ وَجَالُوتَ وَهَارُوتَ وَمَارُوتَ. انظُرْ: «إِعْرَابِ الْقُرْآنِ السَّبْعِ» (١: ٤١٨).

وكانوا يلقون منهم قتلاً وأذى شديداً. وعن النبي ﷺ في صفتهم: «لا يموت أحد منهم حتى ينظر إلى ألف ذكبر من ضلبي، كلهم قد حمل السلاح». وقيل: هم على صنفين: طوال مفروطو الطول، وقصار مفراطو القصر. وقُرى: ﴿خَرَجًا﴾ و﴿خَرَجًا﴾،

قوله: ﴿قُرِي: ﴿خَرَجًا﴾ و﴿خَرَجًا﴾»، حمزة والكسائي: «خَرَجًا»، والباقون: ﴿خَرَجًا﴾<sup>(١)</sup>.

الرَّاعِبُ: قيل لما يخرج من الأرض ومن وكبر الحيوان<sup>(٢)</sup> ونحو ذلك: خَرَجَ وخَرَجٌ، قَالَ تعالى: ﴿أَمْ كَسَبْتُمْ خَرْجًا فَقَرْجَبِكُمْ خَيْرٌ﴾ [المؤمنون: ٧٢]. فإضافته إلى الله تعالى تنبيه أنه هو الذي ألزمه وأوجبه، والخرج أعم من الخراج، وجعل الخرج بإزاء الدخّل، قَالَ تعالى: ﴿فَهَلْ يَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ [الكهف: ٩٤]، والخراج مُحْتَصٌّ - في الغالب - بالضريبة على الأرض. وقيل: العبد يُؤدّي خرجه، أي: غلته، والرعية تُؤدّي إلى الأمير الخراج، وقيل: «الخراج بالضمّان»<sup>(٣)</sup>، أي: ما يخرج من مال البائع فهو بإزاء ما سقط عنه من ضمان المبيع، والخارجي: الذي يخرج بذاته من أحوال أقرانه، ويقال على سبيل المدح إذا خرج إلى منزلة من هو أعلى منه، وتارة يُقال على سبيل الذم إذا خرج إلى منزلة من هو<sup>(٤)</sup> أدنى منه، وعلى هذا يُقال: فلان ليس بإنسان، مدحاً وذمّاً، والخرج: لوان من سواد وبياض، يقال: ظليم أخرج، ونعامه خرجاء، وأرض مُحَرَّجَةٌ: ذات لونين، لكون النبات فيها في مكان دون مكان<sup>(٥)</sup>.

وقال القاضي: كلاهما واحد، كالتول والنوال، وقيل: الخراج: على الأرض والذمة، والخرج: المصدر<sup>(٦)</sup>.

(١) قال ابن خالويه: والأمر بينهما قريب؛ لأن الخرج الجعل، والخراج: الإتاوة والضريبة التي يأخذها السلطان من الناس كل سنة. انتهى من «إعراب القراءات السبع» (١: ٤١٩).

(٢) في (ح) و(ف): «من الأرض وكري الحيوان»، والمثبت من «مفردات القرآن».

(٣) هذا حديث ثابت من حديث عائشة عن رسول الله ﷺ، أخرجه أبو داود (٣٠٥٨)، والترمذي (١٢٥٨)، وابن ماجه (٢٢٤٢)، والنسائي (٧: ٢٥٤)، وصححه ابن حبان (٤٩٢٧) وفيه تمام تحريمه.

(٤) قوله: «أعلى منه وتارة يُقال على سبيل الذم إذا خرج إلى منزلة من هو» سقط من (ح) و(ف)، واستدركناه من «مفردات القرآن».

(٥) «مفردات القرآن»، ص ٢٧٨-٢٧٩.

(٦) «أنوار التنزيل» (٣: ٥٢٣).

أي: جعلنا نخرجه من أموالنا، ونظيرهما: النول والنوال. وقُرى: ﴿سَدًا﴾ و﴿سُدًّا﴾، بالفتح والضم.

[﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقَوْلٍ أَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ \* ءَأَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَأَتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ \* فَمَا أَصْطَفُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقِيًّا﴾ ٩٥-٩٧]

﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ ما جعلني فيه مكيناً من كثرة المال واليسار، خير مما تبدلون لي من الخراج، فلا حاجة بي إليه، كما قال سُلَيْمَانُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ: ﴿فَمَا ءَاتَنِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا ءَاتَنَكُم﴾ [النمل: ٣٦]، قُرى بالإدغام وبفكّه. ﴿فَأَعِينُونِي بِقَوْلٍ﴾ بفعلة، وصناع محسنون البناء والعمل، وبالآلات ﴿رَدْمًا﴾ حاجزاً حصيناً مؤثقاً، والرَّدْمُ أكبرُ من السدِّ، من قولهم: ثوب مُرَدَّم، رِقَاعٌ فوق رِقَاع. وقيل: حفر الأساس حتى بلغ الماء، وجعل الأساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد،

وقوله: ﴿ءَأَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ لا يُنافي رَدَّ الخراج والاعتصار على المعونة، كأن الإيتاء بمعنى المناولة، يدلُّ عليه قراءةُ أبي بكرٍ: «إيتوني» بمعنى: جيثوني<sup>(١)</sup>.

قوله<sup>(٢)</sup>: ﴿قُرى بالإدغام وبفكّه﴾: ابنُ كثيرٍ: بالفكِّ، والباقون: بالإدغام. قال صاحبُ «المطلع»: مَنْ فَكَّ لَأَنَّ النَوْتَيْنِ اجتمعتا في كلمتين، والثانية غير لازمة، يقال: مَكَّنْته ومَكَّنْته<sup>(٣)</sup>، فلم يُدغم، ومَنْ أَدغَمَ فلاجتماع المثلين<sup>(٤)</sup>.

(١) واحتج له أبو زرعة بأن «إيتوني» أشبه بقوله: «فأعِينوني» لأنه كلفهم المعونة على عمل السدِّ، ولم يقبل الخرج الذي بذلوه له، فقوله: «إيتوني» معناه: جيثوني بما هو معونة على ما يفهم من قوله: ﴿فَأَعِينُونِي بِقَوْلٍ﴾. انتهى من «حجة القراءات»، ص ٤٣٤.

(٢) هنا تنتهي الأوراق المفقودة من (ط) التي تقدمت الإشارة إلى بدايتها قبل ست صفحات، وعادت المقابلة على الأصول الخطية الثلاثة.

(٣) كذا في النسخ الخطية. ولعل الصواب «مكَّنني ومكَّنني» فهو الدالُّ على المقصود.

(٤) وهو الذي مشى عليه أبو زرعة في «حجة القراءات»، ص ٤٣٣-٤٣٤.

بينهما الحطبُ والفحمُ حتى سدَّ ما بين الجبلين إلى أعلاهما، ثم وُضِعَ المنايخُ حتى إذا صارت كالنار، صبَّ النحاسُ المذابَ على الحديدِ المحيبيِّ فاختلطَ والتصقَ بعضه ببعضٍ وصارَ جبلاً صلداً. وقيل: بُعدُ ما بين السدَّين مئةُ فرسخ. وقُرى: (سوى)، و(سُوي). وعن رسولِ الله ﷺ: أن رجلاً أخبره به فقال: «كيف رأيتَه؟» قال كالبرُدِ المحبَّرِ؛ طريقةً سوداءً وطريقةً حمراء. قال: «قد رأيتَه». والصدَّان بفتحَتين: جانبا الجبلين، لأنهما يتصادفان، أي: يتقابلان، وقُرى: (الصدَّفين) بضمَّتَيْن، و(الصدَّفين) بضمَّةٍ وسكون، (الصدَّفين) بفتحَةٍ وضمَّة. والقطرُ، النحاسُ المذاب؛ لأنه يقطرُ ﴿قَطْرًا﴾ منصوبٌ بـ ﴿أفرغ﴾، وتقديره: آتوني قِطْرًا أفرغُ عليه قِطْرًا، فحذفَ الأوَّلَ

قوله: (كالبرُدِ المحبَّرِ)<sup>(١)</sup>، النهاية: الحبيرُ من البرود: ما كان مَوْشِيًا مَحْطَطًا، وهو بُرْدٌ يمان.

قوله: (وقُرى: «الصدَّفين» بضمَّتَيْن): ابنُ كثيرٍ وأبو عمرو<sup>(٢)</sup> وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ: بضمِّ الصادِ وإسكانِ الدالِّ، والباقون: بفتحَتين، وبضمِّ الدالِّ: شاذٌ<sup>(٣)</sup>. قال القاضي: كلُّها لغاتٌ من الصدِّفِ، وهو الميَلُ؛ لأنَّ كلاًَّ منهما مُنْعَزَلٌ عن الآخر، ومنه: التصادُفُ: التقابلُ<sup>(٤)</sup>.

قوله: (و﴿قَطْرًا﴾: منصوبٌ بـ ﴿أفرغ﴾)، فأعملَ الثاني على مذهبِ البصريين؛ لأنه لو أعملَ الأوَّلَ ل قيل: آتوني أفرغُه، إذ المختارُ أن لا يُحذفَ الضميرُ المفعولُ في الثاني؛ لأنه

(١) هذا جزءٌ من حديثٍ أخرجه الطبرانيُّ في «مسند الشاميين» (٢٧٥٨)، وعزاه الزيلعيُّ للبخاريِّ في مسنده بنقصٍ يسيرٍ، ولا بن مردويه والطبريِّ وغيرهم، انظر: «تخريج أحاديث الكشاف» (٢: ٣١٣).  
(٢) جعلوهما لُغَتَيْنِ مثل: السُّحْبِ والسُّحْبِ والرُّعْبِ والرُّعْبِ. انظر: «إعراب القراءات السبع» (١): ٤٢٠.

(٣) وبه قرأ عبد الملك بن عبد العزيز الماجشون (ت ٢١٣هـ)، من كبار أصحاب الإمام مالك. انظر: «المحتسب» (٢: ٣٤).

(٤) «أنوار التنزيل» (٣: ٥٢٣).

لدلالة الثاني عليه. وُقِرَى: (قال اثتوني)، أي: جيثوني، ﴿فَمَا اسْطَاعُوا﴾ بحذف التاء للخفة؛ لأن التاء قريبة المخرج من الطاء. وُقِرَى: (فما اصطاعوا)، بقلب السين صادًا، وأما من قرأ بإدغام التاء في الطاء، فمُلاقٍ بين ساكنتين على غير الحدِّ ﴿أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ أي: يعلوه، أي: لا حيلة لهم فيه من صعودٍ لارتفاعه وانملاسه، ولا نقبٍ لصلابته وثخائته.

[﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّي إِذْ أَجَاءَ وَعَدَرْتِي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدَ رَبِّي حَقًّا﴾ ٩٨]

﴿هَذَا﴾ إشارة إلى السدِّ، أي: هذا السدُّ نعمة من الله و﴿رَحْمَةً﴾ على عباده، أو هذا الإقدار والتَّمكن من تسويته ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعَدَرْتِي﴾ يعني: فإذا دنا مجيء يوم القيامة وشارف أن يأتي جعل السدِّ ﴿دَكَّاءَ﴾ أي: مذكوكًا مبسوطًا مُسَوًى بالأرض، وكلُّ ما انبسط من بعد ارتفاع فقد اندك. ومنه: الجملُ الأذك: المنبسطُ السنام. وُقِرَى: ﴿دَكَّاءَ﴾ بالمد؛

يؤدِّي إلى اللَّبس، فالهاء عائدة إلى ﴿قَطْرًا﴾ وهو المفعول الثاني، وإن جازَ حذفه لكن لا يليقُ بفصاحة القرآن ترك الاختيار.

قوله: (وُقِرَى: «قال اثتوني»، أي: جيثوني)، أبو بكرٍ وحمزة: بهمزة ساكنة بعد اللام من باب المجيء، وإذا ابتدأ كسرا همزة الوصل، وأبدلاً الهمزة الساكنة ياءً، والباقون: بقطع الألف ومدَّة بعدها في الحالين.

قوله: (وأما من قرأ بإدغام التاء)، قرأ حمزة: «فما اسطاعوا» بتشديد الطاء، والباقون: بتخفيفها.

قوله: (وُقِرَى: ﴿دَكَّاءَ﴾ بالمدِّ)، الكوفيون: بالمدِّ والهمز من غير تنوين<sup>(١)</sup>، والباقون: بالتنوين من غير همز<sup>(٢)</sup>.

(١) على أنه صفة، قال قطرب: والتقدير: جعله أرضاً دكَّاءً، أي: ملساء، فأقيمت الصفة مُقام الموصوف وحذف الموصوف. انتهى من «حجة القراءات»، ص ٤٣٥.

(٢) بمعنى مذكوكة. يوضحه قول ابن خالويه: والعرب تجعل المصدرَ بمعنى مفعولٍ وفاعلٍ فيقولون: =

أي أرضاً مُستَوِيَةً، ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ أَخْرَجُ حِكَايَةَ قَوْلِ ذِي الْقَرْنَيْنِ.

[﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ ٩٩]

﴿وَتَرَكْنَا﴾ وجعلنا ﴿بَعْضَهُمْ﴾ بعض الخلق ﴿يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ أي: يضطربون ويختلطون، إنسهم وجنهم خيارى، ويجوز أن يكون الضمير لياجوج ومأجوج، وأنهم يموجون حين يخرجون من وراء السدّ مزدحمين في البلاد، ورؤي: يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه، ثم يأكلون الشجر، ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس، ولا يقدر أن يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس، ثم يبعث الله نغفاً في أقفائهم، فيدخل في آذانهم فيموتون.

[﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا \* الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا

يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ ١٠٠-١٠١]

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ﴾ وبرزناها لهم فرأوها وشاهدوها ﴿عَن ذِكْرِي﴾ عن آياتي التي يُنظَرُ إليها فأذكرُ بالتعظيم، أو عن القرآن وتأمل معانيه وتبصرها، ونحوه ﴿صُمُّ بُكْمٌ

قوله: (نغفاً في أقفائهم)<sup>(١)</sup>، النهاية: النغف، بالتحريك: دودٌ يكون في أنوف الإبل والغنم، واحديتها: نغفة.

قوله: (عن آياتي التي يُنظَرُ إليها، فأذكرُ بالتعظيم)، يعني: الذكْرُ لا يقال فيه: أعيُنهم في غطاءٍ عنه، بل في آذانهم وقر، لكن النظر إلى الآيات الدالة على القدرة الباهرة سبب لذكر الله عند مشاهدتها، كما يقال: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا تُسَبِّحُكَ﴾ [آل عمران: ١٩١]،

= هذا درهم ضرب الأمير، أي: مضر وب الأمير. قال الله تعالى: ﴿إِن صَبَحَ مَاؤُكَ غَوْرًا﴾ [الملك: ٣٠] أي: غائراً. انتهى من «إعراب القراءات السبع» (١: ٤٢٢-٤٢٣).

(١) هذا جزء من حديث صحيح طويل أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١٠٦٣٢)، وابن ماجه (٤٠٨٠)، والترمذي (٣١٥٣)، والحاكم في «المستدرک» (٤: ٤٨٨)، وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه ابن حبان (٦٨٢٩)، وفيه تمام تخريجه.

عُمِّي ﴿البقرة: ١٨﴾، ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ يعني: وكانوا صُمًّا عنه، إلا أنه أبلغ؛ لأن الأصمَّ قد يستطيع السَّمْعَ إذا صِبحَ به، وهؤلاء كأثمهم أَصمَّيتَ أَسْماعَهُم فلا استطاعةَ بهم للسَّمْعِ.

﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِ أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾

[١٠٢]

﴿عِبَادِي مِنْ دُونِ أَوْلِيَاءَ﴾ هم الملائكة، يعني: أنهم لا يكونون لهم أولياء، كما حكى عنهم: ﴿سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِئِنَّا مِنْ دُونِهِمْ﴾ [سبا: ٤١]، وقرأ ابن مسعود: (أظن الذين كفروا)، وقراءة علي رضي الله عنه: (أفحسب الذين كفروا) أي: أفكافيهم ومحسبهم أن يتخذوهم أولياء، على الابتداء والخبر. ....

فأطلق المسبب وأريد السبب، وكذلك الباصرة لا تستعمل في الذكر إذا أريد به القرآن، بل تستعمل فيه البصيرة؛ ولذلك قال: «تأمل معانيه وتبصرها»، فقوله: ﴿يَكُمُ﴾ مناسب للتفسير الأول، و﴿عُمِّي﴾ للثاني.

قوله: (كما حكى عنهم): ﴿سُبْحَانَكَ﴾<sup>(١)</sup> [سبا: ٤١]، وجه المشابهة بين الآيتين هو أن قوله: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِ أَوْلِيَاءَ﴾ إنكارٌ لحسبانهم فيما عبدوا الملائكة، جعلوها شفعاء<sup>(٢)</sup> لأنفسهم، وأنهم يوالونهم عند الحقيقة، وأن هذا الإنكار واقع عند الحشر، لقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ لِحَمْعِنَهُمْ جَمَاعًا وَعَرْضًا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ إلى قوله: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، كما أن قوله: ﴿سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِئِنَّا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ آلِجِنَّ﴾ [سبا: ٤١] تخبيب من الملائكة فيما زعم الكفار أنهم ينصرونهم ويشفعون لهم بعد الحشر، لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكَةِ أَهْتَوْلَاءِ إِنَّا كَرِهْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَسْمَاءِ هَاتِهِمْ سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِئِنَّا مِنْ دُونِهِمْ﴾ [سبا: ٤٠].

(١) يعني قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكَةِ أَهْتَوْلَاءِ إِنَّا كَرِهْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَسْمَاءِ هَاتِهِمْ سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِئِنَّا مِنْ دُونِهِمْ﴾ [سبا: ٤٠-٤١].

(٢) قوله: «شفعاء»: زيادة من (ف).

أو على الفعلِ والفاعلِ؛ لأنَّ اسمَ الفاعِلِ إذا اعتمَدَ على الهمزةِ ساوى الفعلَ في العملِ، كقولك: أقائمُ الزيدانِ، والمعنى: أنَّ ذلكَ لا يكفيهم ولا ينفعُهم عندَ الله كما حَسِبوا. وهي قراءةٌ مُحكَّمةٌ جيِّدةٌ. النُّزُلُ: ما يَقامُ للنزِيلِ؛ وهو الضيفُ، ونحوه ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١].

[﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ \* الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ \* أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَوَطَّطُوا أَعْمَالَهُمْ فَلَا يُقِيمُونَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾ \* ذَلِكَ جَزَاءُهمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ [١٠٣-١٠٦]

﴿ضَلَّ سَعِيَّهُمْ﴾ ضَاعَ وَيَطَلُ؛ وهم الرُّهبان. عن عليِّ رضي الله عنه، كقوله: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ [الغاشية: ٣]، وعن مجاهد: أهل الكتاب، وعن عليِّ رضي الله عنه: أن

قوله: (أو على الفعلِ والفاعلِ)، يعني: تحتَمَلُ قراءةُ عليِّ رضي الله عنه<sup>(١)</sup> أن تُحْمَلَ على الابتداءِ والخبرِ، بأن يُقالَ: إنَّ حَسَبُ: مبتدأٌ مضافٌ إلى الذين كفروا، و﴿أَنْ يَنْخَدُوا﴾: الخبرُ، وكذا أيضًا عن أبي البقاء، أو على الفعلِ والفاعلِ، بأن يُقالَ: إنَّ «حَسَبُ» بمعنى «المُحْسِبِ»، واسمُ الفاعِلِ إذا اعتمَدَ على الهمزةِ يَعْمَلُ، والفاعلُ ﴿أَنْ يَنْخَدُوا﴾<sup>(٢)</sup>.

قوله: (أقائمُ الزيدانِ؟)، إنما مثلُ به دونَ: «أقائمُ زيدٍ»، لأنه أرادَ أن يُمثلَ بها يتعيَّنُ فيه عملُ اسمِ الفاعِلِ في الظاهرِ.

قوله: (وهي قراءةٌ مُحكَّمةٌ جيِّدةٌ)، قالَ ابنُ جني: القراءةُ ساكنةُ السينِ غايةٌ في الدِّمِّ لهم وذلك؛ لأنه جعله غايةً مرادهم ومجموعَ مَطْلَبِهِمْ<sup>(٣)</sup>.

قوله: (كقوله: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ [الغاشية: ٣])، أي: عملتُ ونصبتُ في أعمالِ<sup>(٤)</sup> لا تُجدي عليها في الآخرةِ.

(١) يعني قراءته «أحسبُ الذين كفروا» وانظر: «مختصر شواذ القرآن» لابن خالويه، ص ٨٢.

(٢) «البيان في إعراب القرآن» (٢: ٨٦٣).

(٣) «المحتسب» (٢: ٣٤).

(٤) في (ح): «أفعال».



ابن الكوّاء سأله عنهم؟ فقال: منهم أهل حروراء. وعن أبي سعيد الخدري: يأتي ناس بأعمال يوم القيامة هي عندهم في العظم كجبال تهامة، فإذا وزنوها لم تزن شيئا، ﴿فَلَا يُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ فنزدري بهم ولا يكون لهم عندنا وزنٌ ومقدار. وقيل: لا يُقام لهم ميزان؛ لأن الميزان إنما يوضع لأهل الحسنات والسيئات من الموحدين. وقري: (فلا يُقيم) بالياء. فإن قلت: الذين ضلّ سعيهم في أي محل هو؟ قلت: الأوجه أن يكون في محلّ الرفع، على: هم الذين ضلّ سعيهم؛ لأنه جوابٌ عن السؤال، ويجوز أن يكون نصبا على الذم، أو جراً على البدل ﴿جَهَنَّمَ﴾ عطف بيان لقوله: ﴿جَزَاؤُهُمْ﴾.

[إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا \* خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا

جَوْلًا ﴿١٠٧-١٠٨﴾]

الجول: التحول. يقال: حال من مكانه جولا، كقولك: عادني حبها عودا، يعني:

قوله: (أهل حروراء): قرية بالكوفة، والحرورية: فرقة من الخوارج منسوبة إليها.

قوله: ﴿جَهَنَّمَ﴾ عطف بيان لقوله: ﴿جَزَاؤُهُمْ﴾ ﴿فَذَلِكَ﴾ مبتدأ، و﴿جَزَاؤُهُمْ﴾: الخبر، والمشار إليه بقوله: ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ﴾، كما تقول: هذا زيد، وتحقيقه ما سبق في قوله: ﴿هَذَا فِرَاقٌ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾، وفيه بحث؛ لأنه لا يحسن أن يقال: ذلك جهنم. قال أبو البقاء: ﴿ذَلِكَ﴾، أي: الأمر ذلك، وما بعده مبتدأ وخبر<sup>(١)</sup>، وهذا جيد.

قوله: (عادني حبها عودا)، النهاية: وفي حديث فاطمة بنت قيس: «فإنها امرأة يكثر عودها»<sup>(٢)</sup>، أي: زوارها، وكل من أتاك مرة بعد أخرى، فهو عائد، وإن اشتهر ذلك في عبادة المريض حتى كأنه مختص به.

(١) «البيان في إعراب القرآن» (٢: ٨٦٣).

(٢) هو جزء من حديث أخرجه النسائي في «السنن» (٦: ٢٠٧)، وفي «السنن الكبرى» (٥٧٣٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» ٢٤: (٩٢٨)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣: ٦٦)، وصححه الحاكم في «المستدرک» (٤: ٥٥) من حديث فاطمة بنت قيس، وانظر تمام تحريجه في مسند الإمام أحمد (٢٢٣٣٦).

لا مزيدَ عليها حتى تُنازِعَهُمْ أَنفُسُهُمْ إلى أجمعٍ لأغراضِهِمْ وأمانِيهِمْ، وهذه غايةُ الوصف؛ لأنَّ الإنسانَ في الدنيا في أيِّ نعيمٍ كان فهو طامعُ الطَّرْفِ إلى أرفعَ منه، ويجوز أن يُرادَ نفيُ التَّحوُّلِ وتأكيدُ الخلودِ.

[﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَنفِدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾]

[١٠٩]

المِداد: اسمٌ ما تَمَدَّدَ به الدَّوَاءُ من الحِزْبِ وما يُمَدُّ به السَّرَاجُ من السَّلِيطِ. ويقال: السَّمَادُ مِدادُ الأرضِ. والمعنى: لو كُتِبَتِ كَلِمَاتُ عِلْمِ اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ وَكَانَ الْبَحْرُ مِدادًا

قوله: (لو كُتِبَ) يعني: لو فُرِضَ كَتَبْتُهَا كما تُفَرِّضُ المُحَالَاتُ لا بُدَّ لهذا المفروضِ من النفاذ، مع هذا يَنفَدُ حبسُ البحرِ قبلَ نفاذِها.

قوله: (كَلِمَاتُ عِلْمِ اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ) يُشْعِرُ بأنَّ الكَلِمَاتِ في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنْ كِتَابٍ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الكهف: ٢٧] أَحْصَى مِنْهَا؛ لأنَّ المُرادَ بها كَلِمَاتُ ما أَوْحَى إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، وهو القرآنُ المَجِيدُ، ومنِ اطَّلَعَ على أسرارِ النِّظْمِ، عَرَفَ مَوْجِبَ ذلك. والإضافةُ في قولِ المصنِّفِ: «كَلِمَاتُ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى»، تُؤدِّنُ بِأَتَمِّها غيرَ مُتَناهِيةٍ، وَلَفْظَةُ (قَبْلَ) تُؤهِمُ أَنَّ لها أيضًا نفاذاً.

قال الإمام: تَمَسَّكَتِ الْمُعْتَزِلَةُ بها، أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ مُحَدَّثٌ، بَأَنَّ ما نَبَتَ عَدَمُهُ امْتَنَعَ قَدَمُهُ. وأجاب: أَنَّ ذلك راجعٌ إلى الألفاظِ والحروفِ<sup>(١)</sup>، والجوابُ غيرُ مُرضِي؛ لأنَّ التمثيلَ بالبحرِ يَأْبَاهُ، ولأنَّ هذه الآيةَ مما اسْتَدَلُّوا بها على قَدَمِها، فكيف يُلْتَزَمُ حَدُّها؟ ألا تَرى كيف اسْتَشْهَدَ بها صاحبُ «شرحِ السُّنَّةِ»<sup>(٢)</sup> في بابِ الرَّدِّ على مَنْ قالَ بِخَلْقِ القرآنِ، ووجهُه أتمُّها واردةٌ على التَّنَزُّلاتِ الرَّبَّانِيَّةِ، حيثُ نَزَلَ غيرَ المُتَناهِيةِ مِنْزِلَةَ المُتَناهِيةِ فَرَضًا وتَقْدِيرًا، تفهيمًا للعبادِ وتقريبًا لهم، وهو من التمثيلِ الذي يَفْرُضُ المِثْلَ به فَرَضًا؛ مِثْلُ حالةِ الكَلِمَاتِ التاماتِ في سَعَتِها وفَرَطِ كَثَرَتِها بحالةِ ما لو فُرِضَ البحرُ مِدادًا لَهُ لَنَفِدَ قَبْلَهُ، ثُمَّ أَدْخَلَ المِثْلَ

(١) «مفاتيح الغيب» (٢١: ٥٠٣).

(٢) يعني الإمام البغوي في «شرح السنة» (١: ١٨٤).

لها، والمراد بالبحر الجنس ﴿لَفِدَا الْبَحْرِ قَبْلَ أَنْ نَفَدَ﴾ الكلمات ﴿وَلَوْ جِئْنَا﴾ بمثل البحر مداذا لنفد أيضًا. والكلمات غير نافدة. و﴿مَدَادًا﴾ تمييز، كقولك: لي مثله رجلاً. والمدد مثل المداد، وهو ما يمدُّ به. وعن ابن عباس رضي الله عنه: (بمثله مداذا)، وقرأ الأعرج: مدا، بكسر الميم؛ جمع مدة، وهي ما يستمدُّه الكاتب فيكتب به. ....

في جنس الممثل به فأجرى عليه حكم الإحصاء والكتب والنفاذ تزيلاً وتفهيماً، والمعنى: لو فرضنا أن غير المتناهي داخل تحت حكم المتناهي، وأنه نوع من جنسه، لنفد قبل نفاذه، فكيف وأنه ليس من جنسه؟ هيهات، أين الثرى من الثرى! ولذلك جمع كلمات جمع قلة تميمًا للمعنى، أي: إذا كان حكم الكلمات بهذه المثابة، فما ظنك بالكلم، ووضع المظهر موضع المضمّر في قوله: ﴿قَبْلَ أَنْ نَفَدَ كَمَنْتُ رَبِّي﴾ إشعارًا بالعلية، وأنها حقيق بأن تكون غير متناهية.

وأما بيان النظم فهو أن المخالفين لما اقترحوا على رسول الله ﷺ أن يُبدل آية مكان آية، قيل له: ﴿وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الكهف: ٢٧]، أي: دَعَهُمْ وَعِنَادَهُمْ<sup>(١)</sup>، واشتغل بالتلاوة ودُم عليها، فإنه لا يقدر على تقدير كلمات ربك إلا هو، ثم كشف بعد ذلك من قوله: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ إلى قوله: ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ عن بُدٍ من أسرار عجيبة محتجبة وراء أستار الغيب، ثم عقبها بقوله: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا﴾، يعني: قل لهم: لو كان البحر مداذا لهذا الجنس من الكلمات التامات، لنفد البحر قبل نفاذها، فكيف أبدلها من تلقاء نفسي؟ وأنا بشرٌ مثلكم لا فرق بيني وبينكم في عدم القدرة على التبديل إلا أنني خصصت بتلقي الوحي، وفُضِّلْتُ بمزية الرسالة، وإلى هذا المَح قولُه تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الأنعام: ١١٥].

وقرب من هذه المعاني ما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَحَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيَّنَّتْ قُلُوبَ الَّذِينَ لَا يُرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنْتَ بِشَرِّ بَشَرٍ مِثْلُكُمْ لَا فَرَقَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ فِي عَدَمِ الْقُدْرَةِ عَلَى التَّبْدِيلِ إِلَّا أَنِّي خُصِّصْتُ بِتَلْقَى الْوَحْيِ، وَفُضِّلْتُ بِمَزِيَّةِ الرِّسَالَةِ، وَإِلَى هَذَا الْمَح قولُه تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [يونس: ١٥].

(١) في (ط): «وهذايانهم».

وَقُرِّي: (يُنْفَذ) بالياء. وقيل: قال حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبٍ: فِي كِتَابِكُمْ ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]، ثم تَقْرَؤُونَ: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، فنزلت، يعني: أن ذلك خير كثير، ولكنه قطرةٌ من بحرِ كلماتِ الله.

[﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَجِدْ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ ١١٠]

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ فمن كان يُؤمِّلُ حُسْنَ لِقَاءِ رَبِّهِ، وأن يلقاه لقاءً رَضًا وقبول. وقد فسّرنا اللقاء. أو: فمن كان يخافُ سُوءَ لِقَائِهِ. والمراد بالنهي عن الإِشْرَاقِ

قوله: (وَقُرِّي: «يُنْفَذ»: بالياء): حمزةٌ والكِسَائِيُّ<sup>(١)</sup>، والباقون: بالتاءِ الفوقاني.

قوله<sup>(٢)</sup>: (قَالَ حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبٍ: فِي كِتَابِكُمْ)، إلى آخره، عن أحمد بن حنبلٍ والترمذِيِّ، عن ابن عباس، قال: قالت قُرَيْشٌ لليهود: اعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرَّجُلُ، فقالوا: سلوه عن الرُّوحِ، فسألوه عنها فنزلت: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ الآية، قالوا: أوتينا علماً كثيراً، أوتينا التَّورَةَ، ومن أوتي التَّورَةَ فقد أوتي خيراً كثيراً<sup>(٣)</sup>، فأُنزِلت: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ﴾ الآية<sup>(٤)</sup>.

قوله: (يخافُ سُوءَ لِقَائِهِ)، الأساس: ومن المجازِ استعمالُ الرَّجاءِ في الخوفِ والاكتراث، قال محيي السُّنة: الرَّجاءُ يكونُ بمعنى الخوفِ والأملِ جميعاً. قال:

(١) والحجّةُ فيهما ذهبا بالكلماتِ إلى معنى المصدر، فكأنه قال: كلامِ ربي، فذكرنا التذكير الكلام. والذين قرؤوا بالتاءِ أخرجوا الفِعْلَ على لفظِ الأسماءِ المؤنثة إذ لم يُحْمَلْ بين الاسمِ والفعلِ حائل. انظر: «حجّة القراءات»، ص ٤٣٦.

(٢) هذه الفقرة سقطت من (ط).

(٣) قوله: «أوتينا التَّورَةَ، ومن أوتي التَّورَةَ فقد أوتي خيراً كثيراً» سقط من (ح).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٢٣٠٩)، والترمذِيُّ (٣١٤٠)، والنسائيُّ في «السنن الكبرى» (١١٣١٤)، وأبو يعلى في «المسند» (٢٥٠١)، وصحّحه ابن حبان (٩٩)، وانظر تمام تحريجه في «مسند أحمد».

بالعبادة: أن لا يُرَائِي بِعَمَلِهِ، وأن لا يبتغِي به إلا وجهَ رَبِّهِ خَالِصًا لا يخلُطُ به غيرَه. وقيل: نزلت في جُنْدُب بن زُهَيْر، قال للنبي ﷺ: إني أعملُ العملَ لله، فإذا أطلعَ عليه سرِّي، فقال: «إن الله لا يقبلُ ما سُورِكَ فيه». ورُوي أنه قال له: «لك أجران: أجرُ السر، وأجرُ العلانية» وذلك إذا قَصَدَ أن يُقتدى به. وعنه ﷺ: «أتقوا الشرك الأصغر» قالوا: وما الشرك الأصغر؟ قال: «الرياء».

وعن رسولِ الله ﷺ: «من قرأ سورةَ الكهفِ من آخرها كانت له نورًا من قرنيه إلى قدمه، ومن قرأها كلها كانت له نورًا من الأرض إلى السماء»، وعنه ﷺ: «من قرأ عند مضجعه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ كان له من مضجعه نورًا يتلألأ إلى مكة، حشُو ذلك النورِ ملائكةٌ يصلُّونَ عليه حتى يقوم، وإن كان مضجعه بمكة كان له نورًا يتلألأ من مضجعه إلى البيتِ المعمور، حشُو ذلك النورِ ملائكةٌ يصلُّونَ عليه حتى يستيقظ». والله أعلم بالصواب.

ولا كلُّ ما ترجو من الخيرِ كائنٌ ولا كلُّ ما ترجو من الشرِّ واقعٌ<sup>(١)</sup>

قوله: (وقد فسّرنا اللقاء)، يعني: في سورة يونس<sup>(٢)</sup>، قال فيها: اللقاءُ مُستعارٌ للعلم المحقِّق الذي هو العلم بالشيء موجودًا، شبهَ بنظرِ الناظرِ وعيانِ المعاین. وفسّره في «العنكبوت» في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ﴾ [العنكبوت: ٥] أبسطَ وأشرحَ من ذلك، وقلت: إذا فسّرت الآية بقوله: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا﴾ يأملُ حُسنَ لقاءِ ربِّه، يجوزُ أن يجري على ظاهرها على مذهبِ أهلِ السنّة.

انتهى بحمدِ الله<sup>(٣)</sup>

\* \* \*

(١) «معالم التنزيل» (٥: ٢١٣). ولم اهتدِ إلى قائل البيت.

(٢) يعني في قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِقَوْلِهِمْ﴾ [يونس: ٤٥].

(٣) من بداية فقرة «قوله»: وقد فسّرنا اللقاء» إلى هنا سقط من (ط).

سورة مريم  
مكية، وهي تسعون وثماني أو تسع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿كَهَيْعَصَ \* ذَكَرْ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا \* إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾

[٣-١]

﴿كَهَيْعَصَ﴾ قرأ بفتح الهاء وكسر الياء حمزة، وبكسرهما عاصم، وبضمهما

الحسن.....

سورة مريم  
مكية، وهي ثمان وتسعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: (بفتح الهاء وكسر الياء) يريد بالكسر: الإمالة من: كسرت العقاب جناحها: إذا مالت للانقراض، قال صاحب «التيسير»: قرأ أبو بكر والكسائي: بإمالة فتحة الياء والهاء، وابن كثير وحفص: بفتحهما، وابن عامر وحمزة: بفتح الهاء وإمالة الياء، وأبو عمرو: بإمالة الهاء وفتح الياء، ونافع: بالهاء والياء بين بين<sup>(١)</sup>.

وقال ابن جني: قرأ الحسن بفتح الهاء ورفع الياء<sup>(٢)</sup>، وقرأ أيضا بضم الهاء وفتح الياء،

(١) «التيسير في القراءات السبع» للداني، ص ١٠١، وانظر: «حجة القراءات»، ص ٤٣٧.

(٢) يعني: بتفخيمها، كما تدل عليه تنمة كلام ابن جني.

وقال: الإمالة والتفخيمُ في حروف المعجمِ صَرَبٌ من ضروبِ التصرفِ<sup>(١)</sup>، وذلك أنها إذا فارقَتْ موضعها من الهجاءِ صارت أسماءً ودخلها صَرَبٌ من القوةِ فتصرفت، فحملتِ الإمالةَ والتفخيمَ، فمن قال: (يا) جنحَ بالإمالةِ إلى الياءِ كما في نحوِ السَّيَالِ<sup>(٢)</sup>، ومن فخمَ تصوَّرَ أنَّ عَيْنَ الفعلِ في الياءِ مُنْقَلِبَةٌ عن الواوِ، كالبابِ والدارِ والمالِ، وذلك أنَّ هذه الألفاتِ، وإن كانت مجهولةً، لأنه<sup>(٣)</sup> لا اشتقاقَ لها، فإنها تُحمَلُ على ما هو في اللفظِ مُشابهةً لها، والألفُ إذا وقعت عَيْنًا فجُهِلَتْ، فالواجبُ فيها أن يُعتَقَدَ أنها مُنْقَلِبَةٌ عن الواوِ. على ذلك وجدنا سرْدَ اللُّغةِ، هذا قولٌ جامعٌ في هذا الصَّرَبِ من الألفاتِ، فاعرفه واغنَ به عما وراءه<sup>(٤)</sup>.

وقال صاحبُ «التقريب»: ولا تنقلبُ الألفُ وأواها هذه الصِّمَّةُ، بل تُسمَّى أَلْفُهَا أَلْفُ التفخيمِ.

في «اللوامح»<sup>(٥)</sup>: هذه الكلماتُ الثلاثُ مُترجِمَةٌ عنها بالصِّمِّ، وليست مضموماتٍ بالحقيقة؛ لأنهنَّ لو كُنَّ كذلك لَوَجَبَ قَلْبُ ما بعدهنَّ من الألفاتِ واواي، بل نُحِيَتْ<sup>(٦)</sup> هذه الألفاتُ نحوَ الواوِ، على لُغَةِ أهلِ الحجازِ، وهي التي تُسمَّى أَلْفُ التفخيمِ بضدِّ الألفِ المُمالةِ. والمرادُ بالكلماتِ الثلاثِ: الكافُ والهَاءُ والياءُ؛ لأنه رُوِيَ عن الحسنِ ضَمُّ الكافِ أيضًا<sup>(٧)</sup>.

(١) في «المحتسب»: «الاتساع»، وهما بمعنى.

(٢) وهو نباتٌ له شوكةٌ أبيضٌ طويل، مُفَرَّدُهُ سَيْالَةٌ. «لسان العرب» مادة (سِيل).

(٣) كذا في النسخِ الخطيةِ، وفي «المحتسب»: «أنه»، وهي فصيحةٌ عالية على عادةِ ابنِ جنِّي في التنوُّقِ للُّغَةِ.

(٤) «المحتسب» (٢: ٣٦-٣٧).

(٥) يريد «اللوامح» لأبي الفضل عبد الرحمن بن أحمد المقرئ الرّازي (ت ٤٥٤هـ)، ذكره حاجي خليفة

في «كشف الظنون» (٢: ١٥٦٧)، وهو من كتب القراءات كما في «هدية العارفين» (١: ٩٧)، ويكثر

الألوسي في «روح المعاني» من النقل عنه.

(٦) في النسخة (ح): تجب. وهو تصحيف.

(٧) حكاه ابن جنِّي أيضًا في «المحتسب» (٢: ٣٦)، وانظر: «البحر المحيط» (٧: ٢٣٨).

وقرأ الحسن: (ذَكَرَ رَحْمَةً رَبِّكَ) أي: هذا المتلوه من القرآن ذَكَرَ رَحْمَةَ رَبِّكَ. وقُرِئ: (ذَكَرَ) على الأمر، راعى سُنَّةَ اللَّهِ في إخفاءِ دَعْوَتِهِ؛ لأنَّ الجَهْرَ والإخفاءَ عند الله سَيَّانٌ، فكان الإخفاءُ أولى؛ لأنه أبعدُ من الرِّياءِ وأدْخَلَ في الإخلاصِ. وعن الحسن: نداء لا رياء فيه. أو: أخفاه؛ لثلاثاً يُلَامَ على طَلَبِ الْوَلَدِ .....

قوله: (وقرأ الحسن: «ذَكَرَ رَحْمَةَ رَبِّكَ»)، قَالَ ابْنُ جَنِّي: فاعلُ «ذَكَرَ» ضميرٌ ما تقدَّم، أي: هذا المتلوه من القرآن الذي هذه الحروفُ أوَّلُهُ وفاتحته يُذَكِّرُ رَحْمَةَ رَبِّكَ، وإن شئتَ كان تقديره: مما يُقْصُصُ عليك أو يُتلى عليك: ﴿ذَكَرْتُ رَحْمَةَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾<sup>(١)</sup>.

قال أبو البقاء: و﴿ذَكَرَ﴾: مصدرٌ مضافٌ إلى المفعولِ، والتقدير: هذا إن ذَكَرَ رَبُّكَ رَحْمَتَهُ عَبْدَهُ. وقيل: هو مضافٌ إلى الفاعلِ، على الاتساعِ، والمعنى: هذا إن ذَكَرْتَ رَحْمَةَ رَبِّكَ، فعلى الأولِ يَنْتَصِبُ عَبْدُهُ بِرَحْمَةِ، وعلى الثاني بـ«ذَكَرَ»<sup>(٢)</sup>.

قوله: (راعى سنة الله)، «سنة الله» من إضافة المصدر إلى المفعول، لا إلى الفاعل، يعني: راعى زكريا سنة العبودية مع المعبود في إخفاء دعائه، فإذا ينطبق عليه التقليل بقوله: «لأن الجهد والخفاء عند الله سيان»، وأما قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ [الفتح: ٢٣] فمن إضافة المصدر إلى الفاعل.

قوله: (نداء لا رياء فيه)، فيكون الإخفاء ملزوماً للإخلاص الذي هو: عدمُ الرِّياءِ؛ لأنَّ الإخفاءَ أبعدُ من الرِّياءِ. ولما كُنِيَ<sup>(٣)</sup> عن عدمِ الرِّياءِ بِالْخَفَاءِ عَلِمَ أَنْ لا اعتبارَ للظاهر، وأنَّ الأمرَ يدورُ على الإخلاصِ حتَّى إنه لو نادى جَهْرًا بلا رياءٍ دَخَلَ فيه، أو نادى سِرًّا بلا إخلاصٍ خَرَجَ منه، وفي الجمعِ بينَ النِّداءِ والإخفاءِ إيحاءٌ إلى هذا المعنى.

الراغبُ: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾: أشارَ بالنِّداءِ إلى الله تعالى؛ لأنه تصوَّرَ نَفْسَهُ بعيداً منه

(١) «المحتسب» (٢: ٣٧).

(٢) «البيان في إعراب القرآن» (٢: ٨٦٥).

(٣) في النسخة (ف) و(ط): «جَوَّزَ»، ولم يتبيَّن لي وجه دلالة.



في إِبَانِ الكَبْرَةِ والشَّيْخُوخَةِ. أو: أَسْرَهُ مِنْ مَوَالِيهِ الَّذِينَ خَافَهُمْ. أو: خَفَّتْ صَوْتُهُ لَضَعْفِهِ وَهَرَمِهِ، كَمَا جَاءَ فِي صِفَةِ الشَّيْخِ: صَوْتُهُ خُفَّاتٌ، وَسَمْعُهُ تَارَاتٌ. وَاخْتُلِفَ فِي سِنِّ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فَقِيلَ: سِتُّونَ، وَخَمْسُ وَسِتُّونَ، وَسَبْعُونَ، وَخَمْسُ وَسَبْعُونَ، وَخَمْسُ وَثَمَانُونَ.

بذَنُوبِهِ وَأَحْوَالِهِ السَّيِّئَةِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوَلَيْكَ يُنَادُونَكَ﴾ [فصلت: ٤٤]، فَاسْتَعْمَلَ النَّدَاءَ فِيهِمْ تَنْبِيهًا عَلَى بُعْدِهِمْ عَنِ الْحَقِّ، وَقَوْلُهُ: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَسْمَعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾ [آل عمران: ١٩٣]، فَالِإِشَارَةُ بِالْمُنَادِي إِلَى الْعَقْلِ وَالْكِتَابِ الْمُنَزَّلِ وَالرَّسُولِ الْمُرْسَلِ وَسَائِرِ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى وَجُوبِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَجَعَلَهُ مُنَادِيًا لِلإِيمَانِ لِظُهُورِهِ ظَهْرَ النَّدَاءِ، وَحَثَّهُ عَلَى ذَلِكَ كَحَثِّ الْمُنَادِي<sup>(١)</sup>.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ جَمَعَ بَيْنَ النَّدَاءِ وَهُوَ رَفْعُ الصَّوْتِ، وَبَيْنَ ﴿خَفِيًّا﴾ وَهُوَ خَفْتُ الصَّوْتِ؟ قُلْتَ: جَعَلَ ﴿خَفِيًّا﴾ مَجَازًا عَنِ الْإِحْلَاصِ لَا كُنَايَةً؛ لِأَنَّ الْمَجَازَ يُنَافِي إِرَادَةَ الْحَقِيقَةِ، وَالنَّدَاءُ عِبَارَةٌ عَنِ إِظْهَارِ الْاسْتِكَانَةِ وَإِبْدَاءِ التَّضَرُّعِ وَالْخُشُوعِ.

قَوْلُهُ: (فِي إِبَانِ الكَبْرَةِ)؛ الْجَوْهَرِيُّ: إِبَانُ الشَّيْءِ، بِالْكَسْرِ وَالتَّشْدِيدِ: وَقْتُهُ، وَقَالَ: الْكِبْرُ فِي السِّنِّ، وَقَدْ كَبَرَ الرَّجُلُ يَكْبُرُ كِبْرًا، أَي: أَسَنَّ، وَالاسْمُ: الْكَبْرَةُ، بِفَتْحِ الْكَافِ وَسُكُونِ الْبَاءِ. يُقَالُ: عَلَتْ فَلَانًا كَبْرَةً.

قَوْلُهُ: (أَوْ: خَفَّتْ صَوْتُهُ)، بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ. الْجَوْهَرِيُّ: خَفَّتْ الصَّوْتُ خُفُوتًا: سَكَنَ، وَالْمُخَافَتَةُ وَالتَّخَافُتُ: إِسْرَارُ الْمَنْطِقِ، وَالْخَفْتُ مِثْلَهُ.

قَوْلُهُ: (صَوْتُهُ خُفَّاتٌ). الْأَسَاسُ: خَفَّتْ صَوْتُهُ خُفُوتًا، وَصَوْتُهُ خَافَتْ وَخَفِيْتُ، وَخَفَّتِ الرَّجُلُ: سَكَتَ فَلَمْ يَتَكَلَّمْ، وَأَخَذَهُ السُّكَاتُ وَالْخُفَّاتُ.

قَوْلُهُ: (وَسَمْعُهُ تَارَاتٌ)، أَي: مَسْمُوعُهُ، فَلَا يَحْتَاجُ<sup>(٢)</sup> إِلَى التَّكْرَارِ. الْأَسَاسُ: فَعَلَ ذَلِكَ تَارَاتٍ وَتَارَةً بَعْدَ أُخْرَى.

(١) «مفردات القرآن»، ص ٧٩٧.

(٢) قَوْلُهُ: «فَلَا يَحْتَاجُ» سَقَطَ مِنْ (ف).

[ ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ [٤].

قُرِي: ﴿وَهَنَ﴾ بِالْحَرَكَاتِ الثَّلَاثِ. وَإِنَّمَا ذَكَرَ الْعَظْمَ؛ لِأَنَّهُ عَمُودُ الْبَدَنِ وَبِهِ قِوَامُهُ وَهُوَ أَصْلُ بِنَائِهِ، فَإِذَا وَهَنَ تَدَاعَى وَتَسَاقَطَتْ قُوَّتُهُ، وَلِأَنَّهُ أَشَدُّ مَا فِيهِ وَأَصْلَبُهُ، فَإِذَا وَهَنَ كَانَ مَا وَرَاءَهُ أَوْهَنَ. وَوَحْدَهُ؛ لِأَنَّ الْوَاحِدَ هُوَ الدَّلَالُ عَلَى مَعْنَى الْجِنْسِيَّةِ، وَقَصْدُهُ إِلَى أَنَّ هَذَا الْجِنْسَ الَّذِي هُوَ الْعَمُودُ وَالْقِوَامُ وَأَشَدُّ مَا تَرَكَّبَ مِنْهُ الْجَسَدُ قَدْ أَصَابَهُ الْوَهْنُ، وَلَوْ جَمَعَ لَكَانَ قَصْدًا إِلَى مَعْنَى آخَرَ؛ وَهُوَ أَنَّهُ لَمْ يَهِنْ مِنْهُ بَعْضُ عِظَامِهِ وَلَكِنْ كُلُّهَا. إِدْغَامُ السَّيْنِ فِي الشَّيْنِ عَنِ أَبِي عَمْرٍو. ....

قَوْلُهُ: ﴿وَهَنَ﴾: بِالْحَرَكَاتِ الثَّلَاثِ، بَفَتْحِ الْهَاءِ: السَّبْعَةُ، وَالضَّمُّ وَالْكَسْرُ: شَادُّ.

الرَّاعِبُ: الْوَهْنُ: ضَعْفٌ مِنْ حَيْثُ الْخَلْقُ أَوْ الْخُلُقُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾ [النساء: ١٠٤] <sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ: (وَلِأَنَّهُ أَشَدُّ مَا فِيهِ)، عَطَفَ عَلَى «لِأَنَّهُ عَمُودُ الْبَدَنِ»، يَعْنِي: أَصْلُ الْكَلَامِ: ضَعْفَ بَدَنِي، وَإِنَّمَا كَتَبَ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ وَخَصَّ الْعَظْمَ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُ كَالْأَسَاسِ لِلْبَدَنِ وَكَالْعَمُودِ لِلْبَيْتِ، فَإِذَا وَقَعَ الْخَلْلُ فِي الْأَسِّ وَسَقَطَ الْعَمُودُ تَدَاعَى الْخَلْلُ فِي الْبِنَاءِ وَسَقَطَ الْبَيْتُ، فَالْكِنَايَةُ مُبْنِيَّةٌ عَلَى التَّشْبِيهِ، أَوْ أَنَّ الْعَظْمَ أَصْلَبُ مَا فِي الْإِنْسَانِ فَيَلْزَمُ مِنْ وَهْنِهِ وَهْنُ جَمِيعِ الْأَعْضَاءِ بِالطَّرِيقِ الْأُولَى، فَالْكِنَايَةُ غَيْرُ مَسْبُوقَةٍ بِالتَّشْبِيهِ.

قَوْلُهُ: (وَهُوَ أَنَّهُ لَمْ يَهِنْ مِنْهُ بَعْضُ عِظَامِهِ وَلَكِنْ كُلُّهَا)، قَالَ صَاحِبُ «الْفَرَائِدِ»: ذُكِرَ فِي أَصُولِ الْفِقْهِ أَنَّ اللَّامَ إِذَا دَخَلَتْ عَلَى الْجَمْعِ بَطَلَ الْجَمْعُ وَتَعَلَّقَ الْحُكْمُ بِكُلِّ فَرْدٍ فَرْدًا، بِاعْتِبَارِ الْجِنْسِ. سَلَّمْنَا أَنَّ الْجَمْعَ لَمْ يَبْطُلْ وَلَكِنْ مِنْ أَيْنَ يَلْزَمُ الْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرَهُ وَهُوَ الْقَصْدُ إِلَى أَنَّهُ لَمْ يَهِنْ مِنْهُ بَعْضُ عِظَامِهِ وَلَكِنْ كُلُّهَا؟ غَايَةُ مَا فِي الْبَابِ احْتِمَالُ عَدَمِ وَهْنِ الْبَعْضِ لَكِنْ مِنَ الْإِحْتِمَالِ لَا يَلْزَمُ الْوُجُودَ، بَلْ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ الْقَصْدُ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْعِظَامِ؛ لِأَنَّ هَذَا مُحْتَمَلُ اللَّفْظِ، كَمَا أَنَّ ذَلِكَ مُحْتَمَلُهُ، وَالْوَجْهُ أَنْ يُقَالَ: اخْتِيرَ الْوَاحِدُ احْتِرَازًا عَنْ هَذَا الْإِحْتِمَالِ.

شُبِّهَ الشَّيْبُ بِشَوَاطِئِ النَّارِ فِي بَيَاضِهِ وَإِنَارَتِهِ، وَانْتِشَارُهُ فِي الشَّعْرِ وَفُشُوهُ فِيهِ وَأَخْذُهُ مِنْهُ كُلُّ مَا خُذَ بِاشْتِعَالِ النَّارِ؛ ثُمَّ أَخْرَجَهُ مَخْرَجَ الِاسْتِعَارَةِ، .....

وأقول: إنَّ الكلامَ إذا كانَ مُنْصَبًّا إلى غَرَضٍ مِنَ الأَعْرَاضِ جُعِلَ سِيَأَقَهُ لَهُ وَتَوَجَّهَهُ إِلَيْهِ، كَأَنَّ مَا سِوَاهُ مَرْفُوضٌ مُطَّرَحٌ، هَذَا نَصُّ المِصْنَفِ فِي سِوَرَةِ «يَسَّ»<sup>(١)</sup>. والمَقْصُودُ مِنْ<sup>(٢)</sup> الإِيرَادِ فِي هَذَا المَقَامِ: إِظْهَارُ الضَّعْفِ فِي البَدَنِ وَإِبْدَاءُ تَسَاقُطِ القُوَى؛ أَلَا تَرَى إِلَى أَدَاةِ الحَضَرِ فِي قَوْلِهِ: «وَإِنَّمَا ذَكَرَ العَظْمَ لِأَنَّهُ عَمُودُ البَدَنِ وَبِهِ قِوَامُهُ» يَعْنِي: مَا ذَكَرَ العَظْمَ لِأَنَّ يَكُونُ الكَلَامُ فِيهِ، بَلْ لِأَنَّ يُنْبِئُ عَلَى أَنَّ هَذَا الجِنْسَ الَّذِي هُوَ عَمُودُ البَدَنِ وَقِوَامُهُ قَدْ أَصَابَهُ الوَهْنُ، وَلَوْ قِيلَ: العِظَامُ لَرَجَعَ القَصْدُ إِلَى أَنَّ الكَلَامَ فِي العِظَامِ فِي أَنَّهُ لَمْ يَبَيِّنْ بَعْضُهَا فَقَطُّ بَلْ كُلُّهَا؛ لِأَنَّ تَرَكَ المَفْرَدَ إِلَى الجَمْعِ ثُمَّ تَحَلَّيْتَهُ بِاللَّامِ الِاسْتِعْرَاقِيَّةِ يُنْبِئُ عَنِ أَنَّ القَصْدَ إِلَى أَنَّهُ لَمْ يَبَيِّنْ بَعْضَ العِظَامِ بَلْ كُلُّهَا، وَيَخْرُجُ عَنِ المَقْصُودِ، أَلَا تَرَى إِلَى تَصْرِيحِهِ بِالقَصْدِ فِي قَوْلِهِ: «لِكَانَ قَصْدًا إِلَى مَعْنَى آخَرَ» وَتَكَرَّرَهُ.

وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ: «وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَقْبَلَ» [طه: ٦٩]، فَإِنَّهُ لَوْ قِيلَ: السَّحْرَةُ، لِأَوْهَمَ أَنَّ الجَمْعِيَّةَ مُعْتَبَرَةً فِي الحُكْمِ بَعْدَ الفِلاحِ، بِخِلَافِ المَفْرَدِ، فَإِنَّ القَصْدَ فِيهِ أَنَّ هَذَا الجِنْسَ، وَأَنَّ مَا يُقَالُ لَهُ: السَّاحِرُ، مُحْكَمٌ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ.

قَوْلُهُ: (شُبِّهَ الشَّيْبُ بِشَوَاطِئِ النَّارِ)، إِلَى قَوْلِهِ: (وَفُشُوهُ... بِاشْتِعَالِ النَّارِ)، كَتَبَ صَاحِبُ «الإِيضَاحِ»<sup>(٣)</sup> فِي حَاشِيَةِ كِتَابِهِ: أَنَّ فِي جَعْلِ الآيَةِ مِنَ التَّشْبِيهِينَ نَظْرًا؛ لِأَنَّ المَذْكَورَ فِي طَرَفِي التَّشْبِيهِ فِي الِاسْتِعَارَةِ بِالكِنَايَةِ اسْمُ المُشَبَّهِ دُونَ المُشَبَّهِ بِهِ، وَالِاسْتِعَارَةُ بِالكِنَايَةِ تَسْتَلْزِمُ الِاسْتِعَارَةَ التَّخْيِيلِيَّةَ، فَإِنَّ التَّخْيِيلِيَّةَ هِيَ: إِمَّا إِثْبَاتُ أَمْرٍ مُخْتَصِّصٌ بِالمُشَبَّهِ بِهِ لِلْمُشَبَّهِ<sup>(٤)</sup>، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ أَمْرٌ ثَابِتٌ حَسًّا أَوْ عَقْلًا أُطْلِقَ عَلَيْهِ اسْمُ ذَلِكَ الأَمْرِ، وَإِمَّا إِطْلَاقَ لَفْظٍ عَلَى

(١) انظر: «الكشاف» (١٣: ٢١).

(٢) فِي النسخة (ف): «فِي».

(٣) قَدْ تَكَلَّمَ الخَطِيبُ القَزْوِينِي عَنِ أسْرَارِ هَذِهِ الآيَةِ فِي كِتَابِهِ «الإِيضَاحُ فِي عِلْمِ البَلَاغَةِ» ص ١٨٩-١٩٠.

(٤) مِنْ قَوْلِهِ: «وَالِاسْتِعَارَةُ بِالكِنَايَةِ تَسْتَلْزِمُ» إِلَى هُنَا سَقَطَ مِنْ (ح).

ثم أسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته؛ وهو الرأس. وأخرج الشيب ميمزاً، ولم

صورة وهمية فدرت مشابهة لصورة محققة هي معنى ذلك اللفظ، فلو كان تشبيه الشيب بشواظ النار كما ذكره مقصوداً في الآية لكانت استعارة بالكناية، ولو كانت استعارة بالكناية لكان قوله: ﴿وَأَشْتَعَلَ﴾: استعارة تخيلية، وذلك لا يمكن؛ لأنه جعل انتشار الشيب في الشعر وفشوه فيه وأخذه منه كل ما أخذ تشبيهاً باشتعال النار، وهو ينافي ذلك الأمر لما مر أن الاستعارة التخيلية لا تعتمد المشبه أمراً محققاً، والأولى أن يجعل المشبه انتشار الشيب في الشعر، والمشبه به اشتعال النار، والجامع: فشو الشيء في الشيء.

وقلت: إنما دخل عليه هذا من جعل التشبيهين تمهيداً لقاعدة الاستعارة المكنية؛ لأنها مستدعية لما ذكر، وذهب عنه أن التشبيهين تمهيداً للاستعارة التمثيلية وهو أن ينتزع التشبيه من عدة أمور متصورة فلا بد من سبق تشبيه حالة الشيب بحالة النار وحالة فشوه في الرأس وأخذه منه كل ما أخذ بحالة اشتعال النار في الحطب الجزل. كما قال:

وَأَشْتَعَلَ الْمُبْيِضُ فِي مُسَوِّدِهِ      مِثْلَ اشْتِعَالِ النَّارِ فِي جَزَلِ الْغَضَا<sup>(١)</sup>

والجامع: سرعة انبساط بياض في سواد مع تعذر التلافي، ثم حذف أحد طرفي التشبيه وهو المشبه وإخراج المشبه به مخرج المشبه ليتم أمر الاستعارة، وإليه الإشارة بقوله: «ثم أخرجه مخرج الاستعارة».

وأما اختيار صاحب «الإيضاح»: والأولى أن يجعل المشبه انتشار الشيب في الشعر، والمشبه به اشتعال النار، فمرجعه إلى الاستعارة التبعية، وهو لا ينافي ذلك التقرير، على أن التشبيه كلما كان أكثر تفصيلاً كان أدخل في الحسن.

قوله: (ثم أسند الاشتعال إلى مكان الشعر)، هذا أخذ في مشرع علم المعاني بعد الفراغ من مشرع علم البيان، يريد أن أصل الكلام: اشتعل شيب رأس، فترك هذه المرتبة إلى ما هي أبلغ، وهي اشتعل رأسي شيئاً، وكونها أبلغ من جهات، إحداهما: إسناد الاشتعال إلى الرأس لإفادة شمول الاشتعال؛ لأن وزان «اشتعل شيب رأسي» و«اشتعل رأسي شيئاً».

(١) لابن دُرَيْدٍ فِي مَقْصُورَتِهِ بِشَرْحِ ابْنِ خَالَوَيْهِ، ص ١٦٢.

يُضِفُ الرَّأْسَ؛ اِكْتِفَاءً بِعِلْمِ الْمَخَاطَبِ أَنَّهُ رَأْسُ زَكَرِيَّا، فَمِنْ ثَمَّ فَصَّحَتْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ وَشُهِدَ لَهَا بِالْبَلَاغَةِ. تَوَسَّلَ إِلَى اللَّهِ بِمَا سَلَفَ لَهُ مَعَهُ مِنَ الْاِسْتِجَابَةِ. وَعَنْ بَعْضِهِمْ: أَنَّ مُحْتَاجًا سَأَلَهُ وَقَالَ: أَنَا الَّذِي أَحْسَنْتَ إِلَيَّ وَقَتَ كَذَا. فَقَالَ: مَرْحَبًا بِمَنْ تَوَسَّلَ بِنَا إِلَيْنَا. وَقَضَى حَاجَتَهُ.

[ ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا \* يَرِنُ وَيَرِيثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ ] ٥-٦

كَانَ مَوَالِيَهُ وَهُمْ عَصَبَتُهُ: إِخْوَتُهُ وَبَنُو عَمِّهِ شَرَارَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَخَافَهُمْ عَلَى الدِّينِ أَنْ يُغَيِّرُوهُ وَيَبَدِّلُوهُ، وَأَنْ لَا يُحْسِنُوا الْخِلَافَةَ عَلَى أُمَّتِهِ، فَطَلَبَ عَقِبًا مِنْ صُلْبِهِ صَاحِلًا يَقْتَدِي بِهِ فِي إِحْيَاءِ الدِّينِ وَيَرْتَسِمُ مَرَايِمَهُ فِيهِ.

وَزَانُ «اشْتَعَلَ النَّارُ فِي بَيْتِهِ» وَ«اشْتَعَلَ بَيْتُهُ نَارًا». وَثَانِيهَا: الْإِجْمَالُ وَالتَّفْصِيلُ فِي طَرِيقِ التَّمْيِيزِ. وَثَالِثُهَا: تَنْكِيرُ «شَيْبًا» لِإِفَادَةِ التَّعْظِيمِ، ذَكَرَهُ صَاحِبُ «الْمِفْتَاحِ» تَفْسِيرًا لِقَوْلِ الْمَصْنُفِ (١).

وَلَمَّا بَيَّنَّ الْمَعْنَى مِنْ جِهَةِ الْبَيَانِ وَمِنْ جِهَةِ الْمَعَانِي قَالَ: «وَمِنْ ثَمَّ فَصَّحَتْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ وَشُهِدَ لَهَا بِالْبَلَاغَةِ».

قَوْلُهُ: (تَوَسَّلَ إِلَى اللَّهِ بِمَا سَلَفَ لَهُ مَعَهُ مِنَ الْاِسْتِجَابَةِ)، قَالَ الْقَاضِي: وَفِيهِ أَيْضًا تَنْبِيهُ عَلَى أَنَّ الْمَدْعُوَّ لَهُ (٢) وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُعْتَادًا فِإِجَابَتِهِ مُعْتَادَةً، وَأَنَّهُ تَعَالَى عَوْدَهُ بِالْإِجَابَةِ وَأَطْمَعَهُ فِيهَا، وَمِنْ حَقِّ الْكَرِيمِ أَلَّا يُجِيبَ مَنْ أَطْمَعَهُ (٣).

قَوْلُهُ: (وَيَرْتَسِمُ مَرَايِمَهُ). الْجَوْهَرِيُّ: رَسَمْتُ لَهُ كَذَا فَارْتَسَمَهُ، أَي: امْتَثَلَهُ.

(١) «مفتاح العلوم»، ص ١٢٧. وللإمام عبد القاهر الجرجاني مباحث نفيسة في الدلالة على أسرار هذا التركيب القرآني في كتابه الفريد «دلائل الإعجاز» ص ١٠٠، ٣٩٣ وغيرهما من المواطنين.

(٢) كذا في النسخ الخطية، وكذا هو أيضًا في «تفسير البيضاوي»، يُريد: الذي وقع عليه الدعاء، أي: المدعو به، فاللام على هذا للتعدية.

(٣) «أنوار التنزيل» (٤: ٤).

﴿مِنْ وَرَأَى﴾: بعد موتي. وقرأ ابن كثير: (من ورأي) بالقصر. وهذا الظرف لا يتعلّق بـ ﴿خَفَّتْ﴾؛ لفساد المعنى، ولكن بمحذوف، أو بمعنى الولاية في الموالى، أي: خَفَّتْ فِعْلَ الموالى؛ وهو تَبْدِيلُهُمْ وَسَوْءُ خِلَافَتِهِمْ مِنْ وَرَائِي. أو: خَفَّتْ الَّذِينَ يَلُونِ الأَمْرَ مِنْ وَرَائِي. وقرأ عثانٌ ومحمد بن عليّ وعليّ بن الحسين رضي الله عنهم: (خَفَّتِ الموالى من ورائي)، وهذا على معنيين: أحدهما: أن يكون ﴿وَرَأَى﴾ بمعنى: خَلْفِي وَبَعْدِي، فَيَتَعَلَّقُ الظَّرْفُ بِالموالى، أي: قَلُّوا وَعَجَزُوا عَنْ إِقَامَةِ أَمْرِ الدِّينِ، فَسَأَلَ رَبَّهُ تَقْوِيَتَهُمْ وَمُظَاهَرَتَهُمْ بِوَلِيِّ يُرْزُقُهُ. والثاني: أن يكون بمعنى قُدَامِي، فَيَتَعَلَّقُ بِ (خَفَّتْ)، ويريد أنهم خَفُّوا

قوله: (وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ)، وَهِيَ شَاذَّةٌ. قَالَ أَبُو الْبَقَاءِ: وَهُوَ مِنْ قَصْرِ الممدود<sup>(١)</sup>.

قوله: (لِفَسَادِ المعنى)، إِذِ المرادُ بِالموالى: العُصْبَةُ، لقوله: «كَانَ مَوَالِيَهُ وَهُمْ عُصْبَتُهُ». وَإِنَّمَا لَزِمَ فِسَادُ المعنى؛ لِأَنَّ الخَوْفَ وَاقِعٌ فِي الحَالِ لَا فِيهَا يُسْتَقْبَلُ، وَلَوْ جَعَلَ ﴿مِنْ وَرَأَى﴾ متعلّقاً بـ ﴿خَفَّتْ﴾ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ الخَوْفُ وَاقِعاً فِيهَا يُسْتَقْبَلُ، فَلَا بُدَّ مِنْ تَقْدِيرِ محذوف، أَوْ جَعَلَ المَوَالِي مِنَ الوِلَايَةِ بِالكسْرِ، أَي: كُلُّ مَنْ يَمْلِكُ بَعْدَهُ لَا العُصْبَةُ فَقَطْ لِيَصَحَّ، فيقال على الأوّل: ﴿خَفَّتْ﴾ فِعْلٌ عُصْبَتِي بَعْدَ موتي. وعلى الثاني: خَفَّتْ الَّذِينَ يَلُونِ الأَمْرَ مِنْ بَعْدِ موتي، فاللامُ فِي المَوَالِي على هذا: مَوْصُولَةٌ لِيَتَعَلَّقَ الظَّرْفُ بِصِلَتِهَا، وَهَذَا قَالَ: الَّذِينَ يَلُونِ الأَمْرَ مِنْ وَرَائِي، وَعَلَى الأوّل: اللامُ: حَرْفُ التَّعْرِيفِ. وَفِي الكَلَامِ لَفٌّ وَنَشْرٌ.

قوله: (خَفَّتِ المَوَالِي)، الأساس: وَمِنْ المَجَازِ خَفَّتْ حَالُهُ وَرَقَّتْ، وَأَخَفَّ فلانٌ: صَارَ خَفِيفَ الحَالِ، وَفَارَ المُخْفُونِ.

قوله: (فَيَتَعَلَّقُ الظَّرْفُ بِالموالى)، أَي: خَفَّتِ الَّذِينَ يَلُونِ الأَمْرَ مِنْ وَرَائِي. وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِالتَّعَلُّقِ أَنْ يَكُونَ حَالاً مِنْهُ. قَالَ ابْنُ جَنِّي: ﴿مِنْ وَرَأَى﴾: حَالٌ مُتَوَقَّعَةٌ مُحْكِمَةٌ، أَي: خَفُّوا مُتَوَقَّعاً مُتَّصِرًا كَوْنُهُمْ بَعْدِي. وَمِثْلُهُ مَسْأَلَةُ الكِتَابِ، مَرَزْتُ بِرَجُلٍ مَعَهُ صَقْرٌ صَائِداً بِهِ غَدًا، أَي: مُتَّصِرًا صَيْدُهُ غَدًا<sup>(٢)</sup>.

(١) «التبيان في إعراب القرآن» (٢: ٨٦٦)، ولتنام الفائدة انظر: «مختصر شواذ القرآن» لابن خالويه، ص ٨٣، و«حجّة القراءات»، ص ٤٣٨.

(٢) «المحتسب» (٢: ٣٦-٣٧). وانظر: «الكتاب» لسيبويه (٢: ٤٩) وما بعدها.

قَدَامَهُ وَدَرَجُوا وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَنْ بِهِ تَقْوٌ وَاعْتِضَادٌ. ﴿مِنْ لَدُنْكَ﴾: تأكيدٌ لكونه وليًّا مرَضِيًّا، بكونه مُضَافًا إلى الله تعالى وصادِرًا مِنْ عِنْدِهِ، وَإِلَّا فَهَبْ لِي وَلِيًّا يَرْتُنِي كَافٍ، أَوْ أَرَادَ اخْتِرَاعًا مِنْكَ بِلَا سَبَبٍ؛ لِأَنِّي وَأَمْرَاتِي لَا نَصْلِحُ لِلْوِلَادَةِ. ﴿يَرْتُنِي وَيَرِثُ﴾ ....

قوله: (وَدَرَجُوا)، الرَّاعِبُ: الدَّرَجُ: طَيُّ الكِتَابِ وَالثَّوْبِ، وَيُقَالُ لِلْمَطْوِيِّ: دَرَجٌ. وَاسْتَعِيرَ الدَّرَجُ لِلْمَوْتِ، كَمَا اسْتَعِيرَ الطِّيُّ لَهُ فِي قَوْلِهِمْ: طَوَّئَهُ الْمَيْتَةَ، وَقَوْلُهُمْ: مَنْ دَبَّ وَدَرَجَ، أَي: مَنْ كَانَ حَيًّا يَمْشِي، وَمَنْ مَاتَ تُطْوَى أَحْوَالُهُ<sup>(١)</sup>.

قوله: (وَإِلَّا فَهَبْ لِي وَلِيًّا يَرْتُنِي كَافٍ)، يَعْنِي ﴿مِنْ لَدُنْكَ﴾ يَجِبُ أَنْ يُجْمَلَ عَلَى التَّأْكِيدِ، وَإِلَّا فَالْكَلَامُ مُسْتَعْنَى عَنْهُ، وَذَلِكَ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿مِنْ لَدُنْكَ﴾: تَأْكِيدٌ لِمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا \* يَرْتُنِي﴾؛ لِأَنَّ هَذَا الْمَطْلُوبُ، وَمَا يَكُونُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَوْهَبَةً<sup>(٢)</sup> مِنْهُ وَمَنْسُوبًا إِلَيْهِ لَا يَكُونُ إِلَّا خَيْرًا مُخْتَصًّا، فَأَكَّدَ بِقَوْلِهِ: ﴿مِنْ لَدُنْكَ﴾ ذَلِكَ الْمَعْنَى، فَهُوَ عَلَى هَذَا ظَرْفٌ لَعَوٍّ<sup>(٣)</sup>، أَوْ: صِفَةٌ لَوْلِيٍّ قُدِّمَتْ فَصَارَتْ حَالًا مُؤَكَّدَةً، وَهُوَ مَعْنَى لَطِيفٍ.

وَالْبَاءُ فِي قَوْلِهِ: «بِكُونِهِ مُضَافًا» مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ: «تَأْكِيدٌ»، أَي: تَأْكِيدٌ بِسَبَبِ كَوْنِهِ مُضَافًا إِلَى اللَّهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿مِنْ لَدُنْكَ﴾ حَالًا مُنْتَقِلَةً، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: «اخْتِرَاعًا مِنْكَ» أَي: مُخْتَرَعًا.

قوله: (﴿يَرْتُنِي وَيَرِثُ﴾)، بِالْجَزْمِ: أَبُو عَمْرٍو وَالكِسَائِيُّ، وَالباقونَ: بَرَفَعِيهَا<sup>(٤)</sup>.

قَالَ الزَّجَّاجُ: «الْجَزْمُ عَلَى جَوَابِ الْأَمْرِ، وَالرَّفْعُ عَلَى صِفَةِ الْوَلِيِّ»<sup>(٥)</sup>.

(١) «مفردات القرآن»، ص ٣١١.

(٢) في (ح): «وهبة». وهما بمعنى.

(٣) في النسخة (ف): «آخر»، والمُتَبِّتُ هُوَ الْأَشْبَهُ بِالصَّوَابِ.

(٤) انظر: «حجّة القراءات»، ص ٤٣٨.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» (٣: ٣٢١). وزاد في (ح) بعد هذا: «وهي أقوى من الأول»، وفي هذه الزيادة

وقال أبو البقاء: الجَزْمُ على الجواب، أي: إن يَهَبُ يرث، والرَّفْعُ على الصِّفَةِ لـ «وَلِيٍّ»، وهو أقوى من الأول؛ لأنه سألَ وَلِيًّا هذه صِفَتُهُ، والجَزْمُ لا يَحْصُلُ بهذا المعنى (١).  
وقال صاحبُ «المفتاح»: وأما قراءة الرَّفْعِ، فالأولى حَمْلُها على الاستئنافِ دونَ الوَصْفِ، لثَلَا يَلْزَمُ منه أنه لم يوهبَ مَنْ وَصَفَ لهلاكِ يحيى قبلَ زكريا عليهما السلامُ (٢).

وقلتُ: وكانَ مِنْ قَصِيَّتَيْها على ما رواه ابنُ الأثيرِ في تاريخه «الكامل»: أن الله بعث عيسى عليه السلامَ رسولًا فنسخَ به بعضَ أحكامِ التَّوراةِ، وكانَ ممَّا نُسِخَ آيَةُ حُرْمَةِ نِكَاحِ بِنْتِ الأَخِ (٣)، وكانَ للملكهم (٤) بنتُ أخٍ تُعجِبُهُ يُريدُ أن يتزوَّجَها، فنهاه يحيى عنها، وكانَ لها كلُّ يومٍ حاجةٌ يقضيها لها، فلَمَّا بَلَغَ ذلكَ أمَّها قالتُ لها: إذا سَأَلَكِ المَلِكُ: ما حاجتُكِ؟ قولي: أن تَذْبِجَ يحيى بنَ زكريا، فلَمَّا سَأَلَهَا قالتُ: أريدُ ذَبْحَ يحيى، وأبَتْ إلَّا ذلكَ، فدعا بطسبٍ وذَبَحَ يحيى، فقَطَرَتْ من دِمِهِ قَطْرَةً على الأرضِ، فلم تَزَلْ تَعْلِي حَتَّى بَعَثَ اللهُ بُحْتًا نَصْرًا، وألقى اللهُ في قلبه أن يَقْتُلَ على الدَّمِ من بني إسرائيلَ حَتَّى يَسْكُنَ، فقتلَ سبعينَ ألفًا حَتَّى سَكَنَ. وروى السُّدِّيُّ نحوَ هذا وأبسطَ (٥).

ولَمَّا قَتَلَ المَلِكُ يحيى وسمِعَ أبوهُ قَتْلَهُ فرَّ هارِبًا، فدَخَلَ بُسْتَانًا فأرْسَلَ المَلِكُ في طلبِهِ فمَرَّ زكريا بشجرةٍ فنَادَتْه: هَلُمَّ إِلَيَّ يا نبيَّ اللهِ، فدَخَلَ وانطَبَقَتْ عليه، فدَلَّهم إبليسُ (٦)، فسَقَّوا الشجرةَ بالينشارِ، فماتَ زكريا فيها، فسَلَطَ اللهُ عليهمَ أخبثَ أهلِ الأرضِ فانتقمَ منهم.

(١) «التيان في إعراب القرآن» (٢: ٨٦٦).

(٢) «مفتاح العلوم»، ص ١٤٣.

(٣) في النسخة (ف): «الأخت»، والمُثَبِّتُ هو الموافق لكلام ابن الأثير في «الكامل».

(٤) واسمُه هيرودس على ما صرَّح به ابن الأثير.

(٥) «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (١: ١٧١)، وأخرجه الحاكم في «المستدرک» (٣١٤٦) من حديث

ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) قوله: «دَلَّهم إبليسُ» سقط من (ف).



وأما سؤال صاحب «المفتاح» فواردٌ على الوجوه المذكورة في ﴿يَرْثُنِي﴾ كلها؛ لأن قوله: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ مرَّتْ بالفاءِ على الدعاء، وهو: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنْ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ إلى قوله: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَأَى ي﴾، وهو وصفٌ مناسبٌ لطلبِ ولدٍ شأنه أن يرث بعده.

ويؤيدُه ما أوردهُ محيي السنَّة في «المعالم»: أنه خافَ تضييعَ بني عمِّه دينَ الله وتغييرَ أحكامه على ما شاهدَ من بني إسرائيل من تبديلِ الدينِ وقتلِ الأنبياء، فسألَ ربَّه ولداً صالحاً يأمنه على أمته ويرثُ نبوته وعلمه لئلا يضيعَ الدينُ، وهذا معنى قولِ عطاءٍ عن ابنِ عباسٍ<sup>(١)</sup>. وروى قريباً منه المصنّفُ.

على أن الاستئنافَ أيضاً رابطٌ معنويٌّ، سيَّما أنه في هذا المقامِ واردٌ لبيانِ الموجبِ، قال المصنّفُ في أوّلِ «البقرة»: «إن الكلامَ المبتدأَ عقيبَ «المُتَّقِينَ» سبيلُهُ الاستئنافُ، وإنه مبنيٌّ على تقديرِ سؤالٍ، فذلك إدراجٌ له في حكمِ «المُتَّقِينَ»، وتابعٌ له في المعنى، وإن كان مبتدأً في اللفظ، فهو في الحقيقة كالجارِ عليه»<sup>(٢)</sup>.

والجوابُ الصَّحيحُ: أن الأنبياءَ وإن كانوا مُستجابي الدَّعوة لكن ليس كلُّ ما دعوه استُجيبَ لهم؛ لأن قضاءَ الله لا يُدفع، ألا ترى إلى إبراهيمَ عليه السَّلامُ ودعائه في حقِّ أبيه، وإلى دعوة نبيِّنا صلواتُ الله عليه على ما رَوَيْنَاهُ عن الترمذيِّ والنسائيِّ، عن الخَبَّابِ بنِ الأَرْتِ، قال: صَلَّى رسولُ الله ﷺ صلاةً فأطالها، فقالوا: يا رسولَ الله، صَلَّيتَ صلاةً لم تكن تُصَلِّيها؟ قال: «أَجَلٌ، إنها صلاةٌ رغبةٌ ورهبةٌ، إنِّي سألتُ الله فيها ثلاثاً، فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة. سألتُه أن لا يهلكَ أمتي بسنةٍ فأعطانيها، وسألتُه أن لا يُسلِّطَ عليهم عدواً من غيرِهِم فأعطانيها، وسألتُه أن لا يُذيقَ بعضَهُم بأسَ بعضٍ فَمَنَعَنِيها»<sup>(٣)</sup>. وفي رواية

(١) «معالم التنزيل» (٥: ٢١٩).

(٢) انظر: (٢: ١٢٠ - ١٢١).

(٣) أخرجه الترمذي (٢١٧٥)، والنسائي (٢٣٩: ٣)، وغيرهما، وصحَّحه ابن حبان (٧٢٣٦)، وفيه تمامٌ

الجزء جواب الدعاء، والرفع صفة، ونحوه: ﴿رِذَاءٌ يُصَدِّقُونَ﴾ [القصص: ٣٤]، وعن ابن عباس والجحدري: (يرثني وارث آل يعقوب) نصب على الحال. وعن الجحدري: (أويرث) على تصغير وارث، وقال: عَلِيمٌ صغير. وعن علي رضي الله عنه وجماعة: (وارث من آل يعقوب) أي: يرثني به وارث، ويُسمى التجريد في علم البيان،

النسائي: «وسألت ربي أن لا يُلبسنا شيئاً فمَنعنيها». وروى ابن ماجه، عن معاذ بن جبل نحوه.

وكان من قضاء الله وقدره: أن يوجد يحيى نبياً صالحاً ثم يُقتل ويغلي دمه ليُتَّحَ لثاره بُخْت نَصْرَ، ويُسكَّنه بِقَتْلِ سَبْعِينَ أَلْفًا، فاستجيب دعاء زكريا في أن يُشْرَ بِغُلامِ اسْمِهِ يحيى، ولم يُجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلِ سَمِيًّا، ونودي: ﴿يَبِيحَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَأَنْتَ الْخَكَمُ صَبِيًّا \* وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً﴾، ومُنِعَ مِنْ أَنْ يَكُونَ وَاِرثًا لِأَبِيهِ مِنْ بَعْدِهِ. كما كان من قضاء الله وقدره: أن يُقتل عثمان رضي الله عنه مظلوماً فيهدر بسببه دمٌ جَمٌّ غفير من الصحابة والتابعين يوم صِفِّينَ والجمل وغيرهما، فاستجيب دعاؤه صلوات الله عليه في تئيب الخصلتين دون الثالثة ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، والله أعلم بحقائق الأمور.

قوله: (يرثني وارث آل يعقوب)، بنصب «وارث»، قيل: هو: حال، أي: يرث علمي ويرث علم آل يعقوب. وقال القاضي: هو نصب على الحال من أحد الضميرين<sup>(١)</sup>.

قوله: (ويُسمى التجريد في علم البيان)، والتجريد هو: أن يُتَنَزَّعَ مِنْ مَتَّصِفٍ بِصِفَةٍ آخَرَ مثله فيها مبالغة لكمالها فيه، نحو: رأيتُ بفلانٍ أسداً، ولقيتني منه أسد<sup>(٢)</sup>. قال ابن جني: وهي قراءة علي وابن عباس وابن يعمر والحسن والجحدري وقَتَادَةَ وجعفر بن محمد، وهو ضربٌ من العربية غريبٌ معناه التجريد، يريد: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا \* يَرِثُنِي﴾ منه أو به وارث من آل يعقوب، وهو الوارث نفسه، فكانه جرد منه وارثاً، ومثله قوله تعالى: ﴿لَهُمْ

(١) «أنوار التنزيل» (٥: ٢١٩).

(٢) انظر: «البيان في علم المعاني» للطبي، ص ١٣٤.

والمراذُ بالإرث إرثُ الشَّرْعِ والعِلْمِ؛ لأنَّ الأنبياءَ لا تُورَّثُ المالَ. وقيل: يرثني الحُبورةُ وكان حَبْرًا، وَيَرِثُ من آلِ يعقوبَ المُلْكُ. يقال: ورثتهُ وورثتُ منه، لُغتان. ....

فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ ﴿ [فصلت: ٢٨]، وهي بنفسها دارُ الخُلْدِ، فكانه جَرَدَ من الدارِ دارًا. وقد أفرَدنا لهذا الضَّرْبِ بابًا من كتابِ «الخصائص» فاعرفه، فإنه موضعٌ غريب لطيف<sup>(١)</sup>.

قوله: (والمراذُ بالإرث: إرثُ الشَّرْعِ والعِلْمِ)، قال الزجاجُ: قيل: لا يجوزُ أن يُقالَ: إنَّ زكريَّا خافَ أن يُورثَ المالَ؛ لأنَّ الأنبياءَ والصالحينَ لا يخافونَ أن يرثهم أقرباؤهم ما جعلَ لهم، وجاءَ عن النبي ﷺ: «إنَّا معاشرَ الأنبياءِ لا نُورَّثُ. ما تركناه صدقةً»<sup>(٢)</sup>.

الرَّاعِبُ: الوِراثَةُ: انتقالُ قُنْيَةٍ إليك عن غيرِكَ من غيرِ عَقْدٍ. ولا ما<sup>(٣)</sup> يجري مجرى العَقْدِ، وسُمِّيَ بذلك المُنْتَقِلُ عن المِيتِ فيقالُ للقُنْيَةِ المَورُوثَةِ: ميراثٌ وإرثٌ وُوراثٌ، ويقالُ: ورثتُ ما لا عن زيدٍ وورثتُ زيدا. قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمٰنُ دَاوُدَ﴾ [النمل: ١٦]، وقال: ﴿وَوَرِثَهُ اٰبَواهُ فَلِاٰمِهِ اَلْثُلُثُ﴾ [النساء: ١١]، وقال: الوِراثَةُ الحَقِيقِيَّةُ هي: أن يَحْصَلَ للإنسانِ شيءٌ لا يكونُ عليه فيه تَبِعَةٌ ولا عليه مُحاسَبَةٌ، وعبادُ الله الصَّالحونَ لا يَتَنَاولونَ مِنَ الدُّنْيَا إلا بَقَدْرٍ ما يَجِبُ، وفي وقتٍ ما يَجِبُ، على الوَجْهِ الذي يَجِبُ، وَمَنْ تَنَاولَ الدُّنْيَا على هذا الوَجْهِ لا يُحاسَبُ عليه ولا يُعاقَبُ، بل يكونُ له عَفْواً صَفْواً، كما روي: «مَنْ حاسَبَ نَفْسَهُ في الدُّنْيَا لم يُحاسَبْ في الآخِرَةِ»<sup>(٤)</sup>.

قوله: (الحُبورةُ)، قيل: وُجِدَ بخطَّ المصنِّفِ: كاتِبها مصدرُ «حَبْر» الرَّجُلُ، كـ «قَضُو»؛ إذا تُعجِبَ من قضاياه، وإلا الحُبورُ: هُوَ السُّرورُ.

(١) «المحتسب» (٢: ٣٨)، ولتأنيماً الفائدة انظر: «حجّة القراءات»، ص ٤٣٨، و«البحر المحيط» (٧: ٢٤١)، و«الخصائص» لابن جنبي (٢: ٤٧٣).

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» (٣: ٣٢٠) وانظر الحديث المذكور في «صحيح البخاري» (٣٠٩٤) من حديث مالك بن أوس رضي الله عنه.

(٣) سقط لفظ «ما» من النسخة (ف) و(ط).

(٤) «مفردات القرآن»، ص ٨٦٣-٨٦٥. والحديث المذكورُ أخرجه بنحوه الترمذي بعد الحديث (٢١٥٩) موقوفاً على عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وقيل: ﴿مِنْ﴾ للتبعيض لا للتعدية؛ لأنَّ آلَ يعقوبَ لم يكونوا كلُّهم أنبياءَ ولا علماء، وكان زكريّا عليه السلام من نسلِ يعقوبَ بنِ إسحاق. وقيل: هو يعقوبُ بنُ مَاتَانَ أخو زكريّا. وقيل: يعقوبُ هذا وعِمْرَانُ أبو مريمَ أَخوانِ من نسلِ سُلَيْمَانَ بنِ داود.

[ ﴿يَنْزَكِرِيآ إِنآ نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيآ﴾ [٧]

﴿سَمِيآ﴾: لم يُسمَّ أحدٌ بـ ﴿يَحْيَى﴾ قبله، وهذا شاهدٌ على أَنَّ الأسميَّ الشُّنْعَ جديرةٌ بالآثرة، وإياها كانت العربُ تتحى في التسمية؛ لكونها أنبى وأنوه وأنزه عن النَّبِزِ، حتى قَالَ القائلُ في مدحِ قوم:

النَّهْيَاةُ: الأَحْبَارُ: العلماءُ، جَمْعُ حَبْرٍ بالفتح والكسر، وكان يُقَالُ لابنِ عَبَّاسٍ: البَحْرُ والحَبْرُ، لَسَعَةِ عِلْمِهِ.

قوله: (وقيل: مِنْ: للتبعيض)، عطفٌ على قوله: «قيل: يَرْتُنِي الحُبُورَةُ»، على أَنَّ «مِنْ» على الأول: صِلَةٌ لـ «وَرِثَ»، لقوله: «وَرِثُهُ وورِثْتُ منه».

قوله: (على أَنَّ الأسميَّ الشُّنْعَ)، الأساس: شَنَعْتُ عليه هذا الأمر: قَبَحْتُهُ عليه، وله اسمٌ شَنِيعٌ، وقومٌ شُنْعُ الأسمي.

قوله: (جديرةٌ بالآثرة)، الجوهري: استأثر فلانُ بالشيء: إذا استبدَّ به والاسمُ: الآثرة<sup>(١)</sup>.

قوله: (وأنزه عن النَّبِزِ)، الجوهري: النَّبِزُ، بالتحريك: اللَّقْبُ، وفلانٌ يُنْبِزُ بالصَّبِيانِ: يُلقِبُهُم. قَالَ المصنِّفُ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرْزَأْتَنِي إِذْ أَنَا صَمٌّ﴾ [الأنعام: ٧٤]: «أَرْزَأْتَنِي»: يجوزُ أن يُنْبِزَ به للزومه عبادته، كما نُبِزَ ابنُ قَيْسٍ بالرَّقِيَاتِ اللاتي يُشَبِّبُ بهنَّ، وأنشدَ بعضهم:

أَدْعَى بِأَسْمَاءَ نَبِزًا فِي قِبَائِلِهَا      كَأَنَّ أَسْمَاءَ أَضَحَّتْ بِعَصِّ أَسْمَائِي<sup>(٢)</sup>

(١) قوله: «والاسم الآثرة» سقط من (ح).

(٢) انظر: «الكشاف» (٦: ١٤١).

## شُنْعُ الْأَسَامِي مُسْبِلِي أُزْرِ مُخْمَرٌ تَمَسُّ الْأَرْضَ بِالْهُدُبِ

وقال رُوْبَةُ للنسابة البكري وقد سأله عن نَسَبِهِ: أنا ابنُ العجاج. فقال: قَصَّرْتَ وَعَرَّفْتَ. وقيل: مثلاً وشبيهاً. عن مجاهد، كقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وإنما قيل للمِثْلِ «سَمِيٌّ»؛ لأنَّ كُلَّ متشاكلين يسمَّى كُلُّ واحدٍ منهما باسمِ المِثْلِ والشَّيْبَةِ، والشَّكْلِ والنَّظِيرِ، فكلُّ واحدٍ منهما سَمِيٌّ لصاحبه، ونحو: ﴿يَحْيَى﴾ في أسمائهم: «يَعْمَر»، و«يَعِيش» إن كانت التسمية عربية؛ وقد سَمَّوا بـ «يموت» أيضاً، وهو: يَمُوتُ بن المَزْرَع، قالوا: لم يكن له مِثْلٌ في أنه لم يَعْصِ ولم يَهْمُ بمعصية قط، وأنه وُلد بين شيخٍ فاني وعجوزٍ عاقر، وأنه كان حَصُورًا.

وإنما كان أنزَةً؛ لأنَّ الاسمَ القبيحَ لا يرعَبُ فيه أحدٌ فيختصُّ به ويُشتهر، فلم يحتج إلى التعريف والتلقيب به.

و«عن» متعلِّقٌ بـ «أنزَةٌ»، و«من»<sup>(١)</sup>: محذوف، أي: التسميةُ بالأسامي الشُّنْعُ لِيُنْفَرَدَ بها ويُشتهرَ أنزَةً من غيرها عن التلقيبِ والشُّهرة، ولهذا سَمِيَ كُلِّيًّا وعنترةً وتابطاً شراً، كأنهم اختاروا الاسمَ الشُّنْعَ لأجلِ الغرابةِ لِثَلَا يُشارِكهم فيه أحدٌ كـ «يحيى»، لا أن «يحيى» اسمٌ شنيع.

قوله: (مُسْبِلِي أُزْرِ مُخْمَرٌ)، «مُخْمَرٌ»: صفةُ «أزْرِ»، «مُسْبِلِي»: كنايةٌ عن الكِبَرِ.

قوله: (مِثْلًا وشبيهاً)، عطفٌ على قوله: «لم يسمَّ أحدٌ يحيى قبله».

قوله: (وأنه كان حَصُورًا)، يريدُ قوله تعالى فيه: ﴿أَنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَاتِهِ مِنْ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [آل عمران: ٣٩]. قال: الحَصُورُ: الذي لا يقربُ النِّسَاءَ حَصْرًا لنفسه، أي: منعًا لها من الشَّهوات. وقيل: هو الذي لا يدخلُ مع القومِ في المَيْسِرِ، فاستعيرَ لَمَنْ لا يدخلُ في اللَّعِبِ واللَّهُوِ<sup>(٢)</sup>.

(١) في النسخة (ف): «عن»، والمُثْبِتُ هو الأثبة بالصواب.

(٢) انظر: «الكشاف» (٤: ٩٩ - ١٠٠).

﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلْمٌ وَكَانَتْ أَمْرًا قِيًّا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ

عِتِيًّا ﴾ [٨]

أي: كانت على صفة العُقر حين أنا شابٌ وكَهْل، فما رُزقتُ الولد؛ لا اختلال أحد السَّبِين، أفحِينَ اختلَّ السببانِ جميعًا أرزُقه؟! فإن قلت: لِمَ طلبتُ أولًا وهو وامرأته على صفة العُتِيِّ والعُقر، فلَمَّا أُسِفَ بطلبته استبعدَ واستعجب؟ قلت: ليجابَ بما أُجيبَ به، فيزادَ المؤمنون إيقانًا، ويرتدع المُبطِلون، وإلَّا فمُعتقِدُ زكريا أولًا وآخرًا

قوله: (قلت: ليجابَ بما أُجيبَ به)، قال صاحبُ «الانتصاف»: لا يجوزُ لنبيِّ النطقِ بما لا يسوغُ لطلبِ مثل ذلك، أي: لتثبیت المؤمنِ ورَدِّ المُبطِل، إذ يُمكنُ حصوله بدونِه، فإن زكريا طلبَ ولدًا على الجملة، وليس في الآية<sup>(١)</sup> ما يدلُّ على أنه لا يوجدُ وهو هَرَمٌ، ولا أنه من زوجته وهي عاقرة، ولا أنه تُعادُ إليها قوتُها وشبابُها<sup>(٢)</sup>، كما فَعِلَ بغيرِهما، أو يكونُ الولدُ من غيرِ زوجِه العاقر، فاستخبرَ عن ذلك، فقيلَ له: ﴿كَذَلِكَ﴾، أي: يكونُ الولدُ وأنثا كذلك<sup>(٣)</sup>.

قلت: وخلاصته أن الاستفهامَ في الآية ليس للتعجبِ والاستبعاد، ولهذا قال الإمام: إن المقصودَ من قوله: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلْمٌ﴾ هو التعجبُ من أنه تعالى يجعلُها شابتين<sup>(٤)</sup> ثم يرزُقهما الولدَ أو يتركُهما شيخين ويرزُقهما الولدَ، والدليلُ عليه قوله: ﴿فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَاهُ، زَوْجَهُ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وما هذا الإصلاحُ إلا أنه أعادَ إليها قوةَ الولادة<sup>(٥)</sup>، أو أنه ما ذكرَ ذلك للشكِّ، لكن لتعظيمِ القدرة، وهذا كالرجل

(١) في «الانتصاف»: «الإجابة».

(٢) هذا نقلٌ غيرُ محرَّر، وعبارة ابن المنير في «الانتصاف»: «واحتويلُ أن تُعادَ لهما قوتُها وشبابُها كما فعل الله ذلك لغيرِهما». فليتأمل.

(٣) «الانتصاف بحاشية الكشاف» (٦: ٣).

(٤) في (ط): «إن المقصود من قوله: «أنى يكون لي ولد» الاستخبار في أنه تعالى أيجعلها»، والمثبت هو

الموافق لما في «مفاتيح الغيب».

(٥) «مفاتيح الغيب» (٢١: ١٨٨).

كان على منهاج واحد: في أنّ الله غنيّ عن الأسباب. أي: بلغت عتياً: وهو اليُسُّ والجسّاءة في المفاصِل والعظام كالعود القاحل، يقال: عتا العود وعسا من أجل الكبر والطعن في السنّ العالية. أو: بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يُسمّى عتياً.

الذي يرى صاحبه وقد وهب الكثير الخطير فيقول: أتى سمحت نفسك بإخراج مثل هذا؟ تعظيماً للموهوب، أو أنّ من شأن من فوجيء ببشارة ما يتمناه فرط الشور وقد الاستببات والذهول عن مقتضيات الفكر، كما قالت: ﴿أَلِدُّ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [هود: ٧٢]، حتى قيل لها: ﴿أَتَعَجِّبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [هود: ٧٣].

قوله: (كالعود القاحل)، الجوهرية: فحلّ الشيء يُقحلُّ فحولاً: يسّ فهو قاحل.

قوله: (والطعن في السنّ العالية)، الأساس: ومن المجاز: خرج يطعن الليل: يسري فيه، وطعن في السنّ العالية.

قوله: (ما يُسمّى عتياً)، قيل: «من» هنا للتبويض، حال من «عتياً»، أي: بلغت عتياً حال كونه بعض مراتب الكبر، وعلى الأول: ابتدائية، أي: بلغت سنّاً عاليةً ابتداؤها جهة الكبر، وقوله: «من أجل الكبر» يُشير به إلى أنّ «من» مثلها في قولك: جئتك من أجل إكرامك، أي: لأجل إكرامك، وتحقيقه أنّ «من»: ابتدائية، و«من الكبر»: مفعول له.

وقلت: ويُمكن أن يكون «من» على الوجه الأخير: بيانية، وهي مع المجرور: حال من ﴿عتياً﴾ فُدمت لأنّ صاحبها تكرة. ولما كانت «من» البيانية تجريدية قال: «ما يُسمّى عتياً»، أي: انتزع من مدارج الكبر ومراتبه مرتبة تُسمّى عتياً، كقولك: لقيت منه أسداً، يدلُّ عليه قوله - في تفسير قوله: ﴿هَبْ لَنَا مِنْ أَرْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: ٧٤] - «(من) يتحوّل أن تكون بيانية، كأنه قيل: هب لنا قرة أعين، ثم بيّنت القرّة بقوله: ﴿من أَرْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا﴾ [الفرقان: ٧٤]، وهو من قولهم: رأيت منك أسداً<sup>(١)</sup>، وعلى الوجه الآخر: ابتدائية»، ولما كان معنى الابتداء الإنشاء قال: «من أجل الكبر»، يدلُّ عليه قوله -

(١) انظر: (١١: ٣٠٢).

وقرأ ابن وثاب وحمزة والكسائي بكسر العين، وكذلك ﴿صَلِيًّا﴾ [مريم: ٧٠]، وابن مسعود بفتحهما فيهما. وقرأ أبي ومجاهد: (عُسيًّا).

﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَٰئِنٍ وَقَدْ خَلَقْتَنكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾ [٩]

﴿كَذَلِكَ﴾ الكاف رفع، أي: الأمر كذلك تصديق له، ثم ابتداء: ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾،

أو نصبٌ بـ ﴿قَالَ﴾، .....

في تفسير قوله: ﴿أَعْيَنَهُمْ تَفِيضٌ مِنَ الدَّمْعِ﴾ [المائدة: ٨٣] -: «(من) ابتدائية، على أن فيض الدَّمْعِ ابتداءً ونشأً من معرفة الحق، وكان من أجله وسببه»<sup>(١)</sup>.

قوله<sup>(٢)</sup>: (وقرأ ابن وثاب وحمزة والكسائي وحفص)، ﴿عَيْتًا﴾ و﴿صَلِيًّا﴾ و﴿جِنِيًّا﴾ وجميع ما في هذه السورة بكسر أوله، والباقون: بضم أول ذلك<sup>(٣)</sup>.

قوله: (بفتحهما فيهما)، أي: في ﴿عَيْتًا﴾ و﴿صَلِيًّا﴾. وروى ابن جني عن ابن مجاهد أنه قال: لا أعرِفُ لهما في العربية أصلاً، ويُقرأ مع ذلك بضم الباء في «بُكْيًا»، وأقول: له في العربية أصلٌ وهو ما جاء من المصادر على فعيل، نحو: الحَوِيلُ والزَوِيلُ والنَّخِيرُ، وأما البُكْيِيُّ فجماعةٌ، وهي فُعولٌ، كالحُخْيِيُّ والدُّلْيِيُّ والحُلْيِيُّ<sup>(٤)</sup>.

قوله: (أو نصبٌ بـ ﴿قَالَ﴾)، أي: «قال» الثانية، وكذا عن القاضي قال: الكاف منصوبٌ بـ ﴿قَالَ﴾ في ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾<sup>(٥)</sup>.

وقلت: إنما أعمل الثاني دون الأول، لأنه لا يكاد يوجد في الكلام الفصيح، لاسيما في التنزيل «كذلك» وهو منصوب، وعامله مُقدَّمٌ عليه، بل يكون موجزاً، نحو: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ إلى غير ذلك، وذلك لأنه واسطه يلحق ما بعده

(١) انظر: (٥: ٤٥٩).

(٢) هذه الفقرة سقطت من (ط).

(٣) انظر: «حجة القراءات»، ص ٤٣٩، وحجة من قرأ بالضم أنه قرأ على الأصل.

(٤) انظر: «المحتسب» (٢: ٣٩) وفيه تفسير بعض هذه الألفاظ الغريبة.

(٥) «أنوار التنزيل» (٤: ٧).



على ما قبله على سبيل التشبيه، بخلاف ما إذا كان مرفوعاً، فإن الجملة حينئذٍ للتقرير<sup>(١)</sup>، وعليه كلامُ صاحبِ «التقريب»: الكافُ إمَّا رَفَعٌ، وذلك إشارةٌ إلى قولِ زكريا أي: الأمرُ كذلك تصديقاً له. ثُمَّ ابْتَدَأَ ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾ فَيَنْتَصِبُ ﴿هُوَ عَلَى هَيْنٍ﴾، و«كذا» وهو على قراءة «الواو» بـ ﴿قَالَ﴾؛ أي: قال: وهو على ذلك يهون عليّ، وإما نصب بـ ﴿قَالَ﴾ وذلك مبهمٌ تفسيره ﴿هُوَ عَلَى هَيْنٍ﴾<sup>(٢)</sup>، فعلى قراءة الواو لا يكون تفسيراً لوجود العاطف، فالوجهُ أن يُشارَ بذلك إلى ما تقدّمَ من وعِدِ الله حتى لا يحتاج إلى تفسير، أي: قال قولاً مثل ذلك الوعد، فحينئذٍ يبقى ﴿عَلَى هَيْنٍ﴾ بالواو وبدونها غير منصوبٍ بـ ﴿قَالَ﴾ المُظْهِر، لاشتغاله بما قبله، فيُضْمَرُ «قال» على كلتا القراءتين لينصبه، أو لا يضمّر؛ لأن الله هو المخاطبُ.

وقلت: تمامُ تقريره أنّ المشارَ إليه بقوله: ﴿ذَلِكَ﴾ إمَّا الكلامُ السابقُ وهو قولُ زكريا: ﴿رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي عُلْمٌ...﴾ إلى آخره، أو اللاحقُ، وهو قولُ: ﴿عَلَى هَيْنٍ﴾، فعلى الأول، ﴿كَذَلِكَ﴾: خبرٌ مبتدأٌ محذوف، إذ التقديرُ: الأمرُ كما قلت، فتكونُ الجملةُ الثانيةُ على تقديرِ جوابٍ عن سؤالٍ سائل: فماذا قال الله تعالى بعد تصديقه إياه؟ فأجيب: قال ربُّك -يا محمد<sup>(٣)</sup> -: ﴿هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْتَنِي مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾. وعلى الثاني: المشارُ إليه ما في الذهن، والدالُّ<sup>(٤)</sup> عليه قوله: ﴿هُوَ عَلَى هَيْنٍ﴾.

وهذا إنّما يصحُّ على القراءة الأولى لا على إثبات الواو، لوجود العاطف، فحينئذٍ الواجبُ أن يُستنبطَ وجهٌ يشمُلُهما، وهو أن يُقالَ على تقدير النَّصب: إنّ المشارَ إليه ما تقدّمَ من وعِدِ الله، فلا يكونُ المَقُولُ مُبْهِمًا لِمَا عَلِمَ أنه قولٌ مثلُ ذلك الوعدِ في الغرابة، وهو المرادُ من قوله: «لاشتغاله بما قبله»، فكأنه قيل: قال الله قولاً مثل ذلك القولِ العجيبِ الشأن، وهو: ﴿يَنْزَكِرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ...﴾ إلى آخره، فأجبه لسائلٍ أن يقول: ما ذلك القولُ

(١) من قوله: «وقلت: إنّما أعمل الثاني» إلى هنا سقط من (ح) و(ف).

(٢) من قوله: «و«كذا» وهو على قراءة الواو» إلى هنا سقط من (ح) و(ف).

(٣) من قوله: «يا محمد» إلى هنا سقط من (ح) و(ف).

(٤) في (ط): «والدليل».

المُشَبَّهُ بِعَيْنِهِ؟ فقيل: قال: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ أو قال: أفعل ذلك، و﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾، وهو المعنى بقوله: «أي: قال: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾».

ويجوز أن لا يُقدَّر «قال»، إذ لا ارتياب أن المتكلم هو الله تعالى في الحقيقة، فإذا اعتبر معنى التجريد في «قال» الثاني يُقدَّر ثالثٌ يحكي<sup>(١)</sup> قول الله تعالى، فتقول: قال الله تعالى - يا محمد - لذكرياً قولاً مثل ذلك القول، فيتجه له أن يقول: ما ذلك القول الذي قال ربِّي؟ فيجيبه: قال: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾، وإذا لم يُعتبر معنى التجريد، يُقدَّر: قال الله تعالى لمحمد قلت لذكرياً قولاً مثل ذلك القول: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾، فلا يُقدَّر سؤال ولا «قال» ثالثاً.

و«قوله الحق» تذييل، كقولهم: فلان ينطق بالحق والحق أبلج، وحاصله: أن المشار إليه بـ«ذلك» إما قول ذكرياً أو ما في الذهن أو وعد الله تعالى، فعلى الأول: والكاف مرفوع خبر مبتدأ محذوف، والجملة مقول القول، و«قال» الثاني استئناف، فتكون الجملة الثانية على هذا التقرير جواباً عن سؤال مقدر، وهو: فماذا قال الله تعالى بعد تصديقه إياه؟ فأجيب: قال ربك: هو عليَّ هَيِّنٌ، أو: قال: أفعل ذلك وهو عليَّ هَيِّنٌ، وعلى الوجهين الأخيرين: الكاف صفة مصدر محذوف، والعامل «قال» الثاني: وهو مع ما في حيزه مقول لـ«قال» الأول، فعلى أن يكون المشار إليه ما في الذهن قوله: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ تفسير للمشار المبهم في الذهن، فلا يجوز إثبات الواو بين المفسر والمفسر، وعلى أن يكون المشار إليه الوعد يجوز أن يُقدَّر «قال» بعد «قال» الثانية، ليكون قوله: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ قولاً له بإثبات الواو وإسقاطه، فالتقدير أنه تعالى لما قال قولاً قبل ذلك القول المبشر به اتجه لسائل أن يقول: ما مثل ذلك المبشر به؟ فأجيب: مثله: قال هو عليَّ هَيِّنٌ، أو أفعل ذلك وهو عليَّ هَيِّنٌ، ويجوز أن لا يقدر «قال» لأن المتكلم لما كان هو الله تعالى جاز أن لا يقدر، لما سبق أن «قال» الثانية مع قولها مقول القول الأول، فالمعنى قال الله تعالى لمحمد ﷺ: قلت لذكرياً قولاً مثل ذلك القول هو عليَّ هَيِّنٌ، أو هو عليَّ هَيِّنٌ، فوضع «ربك» موضع ضمير المتكلم اشعاراً بالعلية، وأن كل ما يقوله الرب يكون حقاً ووعداً صدقاً.

(١) في (ط): «ثالث على».

وذلك إشارة إلى مُبهم يفسره: ﴿هُوَ عَلِيٌّ هَيِّنٌ﴾، ونحوه: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنْ دَايِرَ هَتُوْلَاءَ مَقْطُوعٍ مُصْحِحِينَ﴾ [الحجر: ٦٦]، وقرأ الحسن: (وهو عليٌّ هَيِّنٌ)، ولا يخرج هذا إلا على الوجه الأول، أي: الأمر كما قلت، وهو على ذلك يهونُ علي. ووجه آخر: وهو أن يُشارَ بذلك إلى ما تقدّم من وَعْدِ الله، لا إلى قول زكريّا. و﴿قَالَ﴾ محذوفٌ في كلتا القراءتين؛ أي: قال: هو عليٌّ هَيِّنٌ، قال: وهو عليٌّ هَيِّنٌ، وإن شئتَ لم تنوّه؛ لأنَّ الله هو المُخاطَب، والمعنى: أنه قال ذلك ووَعَدَهُ وقوله الحق. ﴿شَيْئًا﴾؛ لأنَّ المعدوم ليس بشيء. أو شيئًا يُعتدُّ به، كقولهم: عجبْتُ من لا شيء، وقوله:

فإن قلت: كيف موقع «قال» الأولى إذا كان المشار إليه وَعَدَ الله؟ قلت: استئناف أيضًا، وذلك أنه تعالى لما أخبر النبي ﷺ أنه بشر زكريا بالولد، ثم أخبر عن تعجيب زكريا من ذلك، سأل سائل: بماذا أخبر الله تعالى نبيّه؟ أجاب: قال: قال ربك إلخ<sup>(١)</sup>، إذ لا يحسنُ أن يُقال: قلتُ: قال: ﴿هُوَ عَلِيٌّ هَيِّنٌ﴾، فوضِعَ موضعَ المُضمر المُظهِر، وهو ﴿رَبُّكَ﴾ للإشعارِ بأنَّ قولَ رَبِّكَ حقٌّ ووَعْدُهُ صدق، وهو المرادُ من قوله: و«المعنى: أنه قال ذلك ووَعَدَهُ وقوله الحق»، و«قوله الحق» تذييلٌ، كقولهم: فلان ينطقُ بالحقِّ والحقُّ أبلج.

قوله: (عجبْتُ من لا شيء) يجوزُ فيه الفتح، وهو ظاهرٌ، والجرُّ وفيه وجهان، أحدهما: أن تكونَ «لا» زائدةً لفظاً لا معنى، أي: لا تكونُ عاملةً في اللفظ، ويكونُ مرادُه من حيث المعنى، فتكونُ صورتها صورةَ الزيادة، ومعنى النفي فيه: كقولِ النابغة:

أَمْسَى ببلدَةٍ لا عمٌّ ولا خالٍ<sup>(٢)</sup>

وقولِ الشَّماخ:

(١) من قوله: «وحاصله أن المشار إليه» إلى هنا سقط من (ح) و(ف)، وأثبتته من (ط)، وزاد قبله في (ط): «وقوله: الحق تذييلٌ كقولهم: فلان ينطق بالحق والحق أبلج»، وهي زيادة مقحمة هنا، وستأتي بعد أسطر.

(٢) «ديوان النابغة الذبياني»، ص ٧٥. وصدر البيت:

بعد ابنِ عاتكة الثاوي على أبوي

إِذَا رَأَىٰ غَيْرَ شَيْءٍ ظَنَّهُ رَجُلًا

وقرأ الأعمش والكسائي وابن وثاب: (خَلَقْنَاكَ).

[﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ ١٠]

إذا ما أدلجت وصفت يداها لها إدلاج ليلة لا هُجوع<sup>(١)</sup>

«لا هُجوع»: صفة «ليلة»، أي: ليلة النوم فيها مفقود؛ لأن الهُجوع: النوم.

وثانيهما: أن يكون (لا) غير زائدة، لا لفظاً ولا معنى، كقولهم: غَضِبْتُ مِنْ لاشيء، وحيثُ بلا مال. قال أبو علي: ف«لا» مع الاسم المنكور: في موضع جرٍّ، بمنزلة خمسة عشر وقد بُني الاسم بـ«لا».

قوله: (إذا رأى غير شيء ظنّه رجلاً)، أوله للمتنبي:

وضاقت الأرض حتى كان هاربهم<sup>(٢)</sup>

هو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُودُ﴾ [المنافقون: ٤].

قال صاحب «الانتصاف»: قوله: «المعدوم ليس بشيء» هو الحق، خلافاً للمعتزلة الذين يقولون: إن المعدوم الممكن شيء، فلهذا مال إلى التأويل الثاني، فنفى كونه شيئاً معتدّاً به مع بقاء كونه شيئاً، وبقاء الآية على ظاهرها<sup>(٣)</sup> أولى<sup>(٤)</sup>.

وقال القاضي: في الآية دليل على أن المعدوم ليس بشيء<sup>(٥)</sup>.

قوله: (وقرأ الأعمش والكسائي)، قال صاحب «التيسير»: وهمزة أيضاً<sup>(٦)</sup>.

(١) «ديوان الشماخ»، ص ٢٢٦.

(٢) «ديوان المتنبي» بشرح الواحدي (١: ١٤).

(٣) في النسخة (ح): ظاهره.

(٤) «الانتصاف بحاشية الكشف» (٣: ٧).

(٥) «أنوار التنزيل» (٤: ٧).

(٦) «التيسير في القراءات السبع» للداني، ص ١٤٨. وانظر: «حجّة القراءات»، ص ٤٣٩.

أي: اجعل لي علامة أعلم بها وقوع ما بُشِّرْتُ به. قال: علامتك أن تُمنع الكلام فلا تُطيقه، وأنت سليم الجوارح سوي الخلق ما بك خرس ولا بكم. دل ذكر الليالي هنا، والأيام في آل عمران، على أن المنع من الكلام استمرَّ به ثلاثة أيام ولياليهنّ.

[﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ ١١]

أوحى: أشار. عن مجاهد، ويشهد له ﴿الْأَرْمَأُ﴾ [آل عمران: ٤]، وعن ابن عباس: كتب لهم على الأرض ﴿سَبِّحُوا﴾: صلّوا، أو على الظاهر، و﴿أَن﴾: هي المفسرة.

[﴿يَبِيحِي خِذْ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَأَيِّنْهُ لِحُكْمِ صَبِيًّا﴾ ١٢]

أي: أخذ التوراة بجدّ واستظهارٍ بالتوفيق والتأييد. ﴿الْحُكْمُ﴾: الحكمة. ومنه: واحكّم كحكّم فتاة الحيّ.....

قوله: (أوحى: أشار)، الراغب: الوحي: الإشارة السريعة، ولتضمن السرعة قيل: أمرٌ وحي، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرّد، وإشارة ببعض الجوارح وبالكتابة، وقد حُمل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ فقد قيل: رمز، وقيل: أشار<sup>(١)</sup>، وقيل: كتب. وعلى الوجه المذكور في قوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ عَرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]<sup>(٢)</sup>.

قوله: (واحكّم كحكّم فتاة الحيّ) تمامه:

|   |                                 |
|---|---------------------------------|
| إلى حمامٍ شرّاعٍ وإرِدِ الثَّمَدِ       | واحكّم كحكّم فتاة الحيّ إذ نظرت |
| إلى حمامتين أو نضفّه فقد <sup>(٣)</sup> | قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا   |

(١) في النسخة (ف): «اعتبار»، ليس بشيء، وهو على الجادة في «مفردات القرآن».

(٢) «مفردات القرآن»، ص ٨٥٨.

(٣) للناطقة الذبياني في «ديوانه»، ص ٢١.

يقال: حَكَمَ حُكْمًا كَحَلَمَ؛ وهو الفَهْمُ للتوراةِ والفِقهُ في الدين. عن ابن عباس. وقيل: دَعَاهُ الصَّبِيَّانُ إِلَى اللَّعْبِ وهو صَبِيٌّ فقال: مَا لِلْعَبِّ خُلِقْنَا. عن الضَّحَّاك. وعن مَعْمَرٍ: الْعَقْلُ. وقيل: النُّبُوَّةُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَحْكَمَ عَقْلَهُ فِي صِبَاهِ وَأَوْحَى إِلَيْهِ.

«الْتَمُدُّ»: الماء القليل الذي لا مادة له. «إلى حمامتنا» أي: مع حمامتنا<sup>(١)</sup>. و«قد» بمعنى: حسب. الجوهري: قولهم: قدك أي: حسبك، فهو اسم، تقول: قَدِي وَقَدْنِي، وبالنون شاذًا. قال الميذاني: قال النابغة في زرقاء اليمامة، يخاطب النعمان: واحكمك كحكم فتاة الحي، وكانت نظرت إلى سرب حمام طائر فيه ست وستون حمامة، وعندها حمامة واحدة، فقالت:

لَيْتَ الْحَمَامَ لِيْهِ      إِلَى حَمَامَتِيْهِ  
وَنَصْفَهُ قَدِيْهِ      تَمَّ الْحَمَامُ مِيْهِ

وقال بعض أصحاب المعاني: إن النابغة لما أراد مدح هذه الحكمة الحاسية بسرعة إصابتها، شدد الأمر وضيقه ليكون أحسن له إذا أصابت، فجعلها حزرة للطير، إذ كان الطير أخف ما يتحرك، ثم جعله حمامًا، إذ كان الحمام أسرع الطير، ثم كثر العدد، إذ كانت المسابقة مقرونة بها؛ لأن الحمام يشتد طيرانها عند المسابقة، ثم ذكر أنها طارت بين نيقين<sup>(٢)</sup>؛ لأن الحمام إذا كان في مضييق من الهواء<sup>(٣)</sup> كان أسرع طيرانًا منه إذا اتسع عليه الفضاء، ثم جعله واردًا لما أعانته الحرص على الماء على سرعة الطيران<sup>(٤)</sup>.

قوله: (وقيل: النبوة)، قال الإمام: الأقرب هذا؛ لأنه تعالى ذكرها هنا مناقب شريفة ليحيى على سبيل المدح، ولا ارتياب أن أشرفها النبوة، فوجب حملها عليها<sup>(٥)</sup>. وروى الواحدي عن ابن عباس، أن الحكم: النبوة، وقال أيضًا: المعنى: فوهبنا له وقلنا: ﴿يَسْجُدْ﴾ خذ الكتاب بقوة وآتينه الحكم صبياً، والكتاب: التوراة<sup>(٦)</sup>.

(١) قوله: «أي: مع حمامتنا» سقط من (ف).

(٢) مفردة «نيق» بكسر النون وهو الجبل.

(٣) في (ح) و(ف): «من الهوي».

(٤) «مجمع الأمثال» (١: ٢٢٢).

(٥) «مفاتيح الغيب» (٢١: ١٩١).

(٦) «الوسيط في التفسير» للواحدي (٣: ١٧٨).

[﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾ \* وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٣﴾ -

[١٤]

«حَنَانًا»: رحمةٌ لأبويه وغيرهما، وتعطفًا وشفقة. أنشد سيبويه:

وقال الإمام: ويَحْتَمِلُ كتابًا خُصَّ به، كما خَصَّ الله تعالى الكثير من الأنبياء بذلك، والأوَّلُ أوجه؛ لأنَّ حَمَلَ التعريفِ على المعهودِ السابقِ أولى، ولا معهودَ سوى التوراة<sup>(١)</sup>.

وقلت: يُحْمَلُ على العَهْدِ الذَّهْنِيِّ لقرائنِ الأحوال، كقول عيسى: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَنِي آلِكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ والكتابُ هو الإنجيل.

قوله: («حَنَانًا» رحمةٌ لأبويه)، وهو مصدرٌ بمعنى الاسم، أي: التَّحَنُّنُ، بدليل قوله: «وتعطفًا». قال الرَّاعِبُ: الحَنِينُ: النَّزَاعُ المتضمَّنُ للإشفاقِ، يقال: حَنَّتِ<sup>(٢)</sup> المرأةُ والنَّاقَةُ لولدها، وقد يكونُ مع ذلك صوتٌ، ولذلك يُعَبَّرُ بالحنينِ عَنِ الصَّوتِ الدَّالِّ على النَّزَاعِ والشفقة، أو مُتَّصِرًا بصورته، وعلى ذلك حَنِينُ الجِدْعِ، ولَمَّا كَانَ الحَنِينُ متضمَّنًا للإشفاقِ، والإشفاقُ<sup>(٣)</sup> لا ينفكُ عَنِ الرَّحْمَةِ، عَبَّرَ عَنِ الرَّحْمَةِ به في نحوِ قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾، ومنه قيل: الحَنَانُ المَنَانُ، وحنائِكَ: إشفاقٌ بعدَ إشفاق<sup>(٤)</sup>.

وقال أبو البقاء: ﴿وَحَنَانًا﴾: معطوفٌ على الحُكْمِ، أي: وهبنا له تحنُّنًا. وقيل: هو مصدرٌ، وقوله: ﴿وَبَرًّا﴾، أي: وجعلناه برًّا، وقيل: برًّا: معطوفٌ على خيرِ «كان»<sup>(٥)</sup>.

وقلت: وسلامٌ: معطوفٌ مِن حيثُ المعنى على ﴿وَأَتَيْنَهُ الحُكْمَ﴾، كأنه قيل<sup>(٦)</sup> وأتينا الحُكْمَ صبيًّا وجعلناه برًّا لوالديه وسلَّمناه في تلكِ المواطنِ الموحِشةِ، فعدَّلَ إلى

(١) «مفاتيح الغيب» (٢١: ١٩١).

(٢) في النسخ الخطية: «حنين»، وصوبناه من «مفردات القرآن».

(٣) سقط لفظ «الإشفاق» من (ح) و(ف).

(٤) «مفردات القرآن»، ص ٢٥٩.

(٥) «التبيان في إعراب القرآن» (٢: ٨٦٨).

(٦) قوله: ﴿وَأَتَيْنَهُ الحُكْمَ﴾، كأنه قيل «سقط من (ف)».

وَقَالَ: حَنَانٌ مَا آتَى بِكَ هَاهُنَا أَذُو نَسَبٍ أَمْ أَنْتَ بِالْحَيِّ عَارِفٌ؟

وقيل: حناناً من الله عليه. وحنّ: في معنى ارتاح واشتاق، ثم استعمل في العطف والرأفة، وقيل لله: «حنان» كما قيل: «رحيم» على سبيل الاستعارة. والزكاة: الطهارة، وقيل: الصدقة، أي: يتعطف على الناس ويتصدق عليهم.

الجُمْلَةُ الاسْمِيَّةُ لِإِرَادَةِ الثَّبَاتِ وَالِدِّوَامِ، وَهِيَ كَالخَاتِمَةِ لِلْكَلامِ السَّابِقِ. وَمِنْ ثَمَّ شَرَعَ فِي قِصَّةٍ أُخْرَى. وَفِي قَوْلِهِ: ﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْقَتْلَ أَيْضًا مَوْتٌ مُقَدَّرٌ بِأَجَلٍ، خِلَافًا لِلْمَعْتَزَلَةِ.

قَوْلُهُ: (وَقَالَ: حَنَانٌ: مَا آتَى بِكَ) الْبَيْتِ<sup>(١)</sup>، رُوِيَ عَنِ الْمَصْنُفِ أَنَّهُ قَالَ: «مَا» فِي الْبَيْتِ: إِهَامِيَّةٌ، كَمَا تَقُولُ: أَمْرٌ مَا جَاءَ بِكَ هَاهُنَا، رَأَى رَجُلًا غَرِيبًا أَنْكَرَ جَمِيئَهُ إِلَى الْحَيِّ فَقَالَ: قُلْ لِي رَحْمَةً مِنْكَ: مَا جَاءَ بِكَ هَاهُنَا أَقْرَبُ ذُو نَسَبٍ آتَى بِكَ أَمْ أَنْتَ عَارِفٌ بِالْحَيِّ وَجِئْتَ لِمَعْرِفَتِكَ بِهِمْ؟ أَوْلَهُ:

وأحدث عهداً<sup>(٢)</sup> من أميمة نظرةً على جانبِ العلياءِ إذ أنا واقفٌ  
تقولُ حنانٌ.... البيت.

قَوْلُهُ: (وَحَنَّ: فِي مَعْنَى ارْتِاحٍ وَاشْتِاقٍ، ثُمَّ اسْتُعْمِلَ فِي الْعَطْفِ وَالرَّأْفَةِ)، فَيَكُونُ مَجَازًا؛ لِأَنَّ الْعَطْفَ وَالرَّأْفَةَ<sup>(٣)</sup> سَبَبَا الْإِشْتِاقِ وَالْإِرْتِاحِ. وَفِي «الْأَسَاسِ» بِخِلَافِهِ؛ لِأَنَّهُ ذَكَرَ فِي قِسْمِ الْحَقِيقَةِ: حَنَّ إِلَى وَطَنِهِ، وَحَنَّ عَلَيْهِ حَنَانًا: تَرَحَّمْ عَلَيْهِ، وَكَيْفَ مَا كَانَ اسْتِعْمَالُهُ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى اسْتِعَارَةً تَبْعِيَّةً لِمَعْنَى إِنْعَامِهِ عَلَى عِبَادِهِ وَلُطْفِهِ بِهِمْ؛ لِأَنَّ الْوَالِدَ إِذَا عَطَفَ عَلَى وَلَدِهِ وَأَظْهَرَ الشَّفَقَةَ فِي حَقِّهِ لَطَفَ بِهِ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ.

(١) البيت لمنذر بن درهم الكلبي كما في «شواهد الكشاف» (٣: ٨)، وهو من شواهد «الكتاب» لسيبويه (١: ٣٢٠).

(٢) كذا في الأصول الخطية، ولعل صوابه: «وأحدث عهد»، ويُروى هذا البيت أيضًا بلفظ: «وأحدث عهدي»، كما في «أوضح المسالك» (١: ٢١٥).

(٣) قوله: «فيكون مجازًا؛ لأن العطف والرأفة» سقط من (ح).



[﴿وَسَلَّمَ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ ١٥]

سَلَّمَ اللهُ عَلَيْهِ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ، قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: إِنَّهَا أَوْحَشُ الْمَوَاطِنِ.

[﴿وَأَذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مَرِيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ \* فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ

حِمَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ ١٦ - ١٧]

﴿إِذٍ﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿مَرِيَمَ﴾ بَدَلُ الْاِسْتِيْالِ؛ لِأَنَّ الْأَحْيَانَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى مَا فِيهَا. وَفِيهِ

أَنَّ الْمَقْصُودَ بِذِكْرِ مَرِيَمَ ذِكْرُ وَقْتِهَا هَذَا؛ لَوْ قُوعِ هَذِهِ الْقِصَّةِ الْعَجِيبَةِ فِيهِ. وَالْاِتِّبَازُ: الْاِعْتِزَالُ وَالْاِنْفِرَادُ، تَخَلَّتْ لِلْعِبَادَةِ فِي مَكَانٍ مِمَّا يَلِي شَرْقِيَّ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، أَوْ مِنْ دَارِهَا مُعْتَزِلَةً عَنِ النَّاسِ. وَقِيلَ: قَعَدَتْ فِي مَشْرِقَةِ لِاِعْتِسَالِ مِنَ الْحَيْضِ مُحْتَجِبَةً بِحَائِطٍ

قَوْلُهُ: (وَفِيهِ أَنَّ الْمَقْصُودَ بِذِكْرِ مَرِيَمَ ذِكْرُ وَقْتِهَا)، أَي: فِي الْاِبْدَالِ اِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْمَقْصُودَ الْأَوَّلِي فِي هَذَا الْمَقَامِ اسْتِحْضَارُ ذَلِكَ الْوَقْتِ الَّذِي حَدَّثَتْ تِلْكَ الْحَادِثَةُ الْغَرِيبَةُ فِيهِ فِي ذَهْنِ السَّمَاعِ وَمُشَاهَدَتُهُ لِيَتَعَجَّبَ مِنْهُ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ فِي قِصَّةِ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾.

قَوْلُهُ: (وَالْاِتِّبَازُ: الْاِعْتِزَالُ وَالْاِنْفِرَادُ)، الرَّاعِبُ: اِتَّبَعَتْ فَلَانَ: اِعْتَزَلَ اِعْتِزَالًا مَنْ تَقَلُّ مُبَالَاةً بِنَفْسِهِ فِيهَا بَيْنَ النَّاسِ، وَالنَّبْتُ: اِلْقَاءُ الشَّيْءِ وَطَرْحُهُ لِقَلَّةِ الْاِعْتِدَادِ بِهِ، وَلِذَلِكَ يُقَالُ: نَبَذْتُهُ نَبْذَ النَّعْلِ الْخَلْقِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّا لِيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ [الهمزة: ٤]، ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾. [آل عمران: ١٨٧] لِقَلَّةِ اِعْتِدَادِهِمْ بِهِ، وَصَبِيٌّ مَنبُودٌ وَنَبِيذٌ، كَقَوْلِكَ: لَقِيطٌ وَمَلْقُوطٌ، لَكِنْ يُقَالُ<sup>(١)</sup>: مَنبُودٌ بِاِعْتِبَارِ مَنْ طَرَحَهُ، وَمَلْقُوطٌ بِاِعْتِبَارِ مَنْ تَنَاوَلَهُ<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ: (أَوْ مِنْ دَارِهَا)، عَطْفٌ عَلَى «مِمَّا يَلِي»، بِأَنَّ يُقَدَّرَ: مِمَّا يَلِي شَرْقِيَّ دَارِهَا، أَي: مَكَانًا مِنْ الَّذِي يَقْرُبُ شَرْقِيَّ بَيْتِ الْمَقْدِسِ أَوْ يَقْرُبُ شَرْقِيَّ دَارِهَا.

قَوْلُهُ: (فِي مَشْرِقَةٍ)، أَي: مَوْضِعَ الْقُعُودِ لِاِشْرَاقِ الشَّمْسِ. الْاِسْتِئْذَانُ: قَعَدُوا فِي الْمَشْرِقَةِ وَتَشَرَّقُوا.

(١) لفظة: «يقال» زيادة من «مفردات القرآن».

(٢) «مفردات القرآن»، ص ٧٨٨.

أو شيء يَسْتُرُهَا، وكان موضعُها المسجد، فإذا حاضت تحوَّلت إلى بيتِ خالتها، فإذا طهرت عادت إلى المسجد، فبينما هي في مُغتسلِها أتاها المَلَكُ في صورة آدمي شابٍّ أمرَّدٍ وضيءِ الوجه جَعَدَ الشَّعر، ﴿سَوِيًّا﴾ سَوِيَّ الخَلْق، لم يَنْتَقِصْ من الصُّورةِ الأدمية شيئاً. أو: حَسَنَ الصُّورةِ مُستَوِيَّ الخَلْق، وإنما مُثِّلَ لها في صورة الإنسان؛ لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه، ولو بدا لها في الصُّورةِ المَلَكِيَّةِ لَنَفَرَتْ ولم تقدرْ على استماع كلامه. ودلٌّ على عَفَافِها ووَرَعِها أنها تعوذت بالله من تلك الصُّورةِ الجميلة الفاتكة الحُسن، وكان تمثيله على تلك الصِّفة ابتلاءً لها وسَبْرًا لعِفَّتِها. وقيل: كانت في منزلِ زوجِ أُختِها زكريَّا ولها محرابٌ على حِدة تسكنه، وكان زكريَّا إذا خرَّجَ أغلقَ عليها الباب، فتمنَّت أن تجِدَ خلوةً في الجبل لتفلي رأسها، فانفجرَ السَّقْفُ لها، فخرجت فجلست في المَشْرِفَةِ وراءَ الجبل، فأتاها المَلَكُ. وقيل: قام بين يديها في صورة تَرْبٍ لها، اسمه يوسُفُ من خَدَمِ بيتِ المَقْدَسِ. وقيل: إنَّ النصراني اتَّخذتِ المشرقَ قبلة؛

قولُه: ﴿سَوِيًّا﴾ سَوِيَّ الخَلْق، الرَّاغِب: السَّوِيُّ يقال: فيما يُصانُ عن الإفراطِ والتفريطِ من حيثِ القَدْرُ والكيفيَّةُ، قال تعالى: ﴿مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾ [طه: ١٣٥]، ورجُلٌ سَوِيٌّ: استوت أخلاقُه وخلقته عن الإفراطِ والتفريطِ<sup>(١)</sup>.

قولُه: (وسَبْرًا لعِفَّتِها)، المُغْرِب: سَبَرَ الجرحَ بالمسبار: قدَّرَ غَوْرَهُ بحديدةٍ أو غيرها<sup>(٢)</sup>.

قولُه: (زَوْجِ أُختِها) قيل: الصَّوابُ: خالَتِها، وقد سبقَ في آلِ عمرانَ تحقيقه.  
قولُه: (لتفلي رأسها). الأساس: فليتُ رأسي واستفليته واستفليتُ رأسي: طلبتُ أن يُفلى. ومنَ المَجازِ: فليتُ الشَّعرَ: تدبَّرتُه عن مُعَينَةٍ. الجوهري: فليتُ رأسه من القَمَلِ.  
قولُه: (في صُورةِ تَرْبٍ لها)، الجوهري: قولهم: هذه تَرْبُ هذه، أي: لِدَتْها، وهُنَّ أترابٌ.

(١) «مفردات القرآن»، ص ٤٤٠.

(٢) «المغرب في ترتيب المعرب» (١: ٣٧٩).

لانتبأذ مريم مكانًا شرفيًا. الرُّوح: جبريل؛ لأنَّ الدِّينَ يحيا به وبوحيه. أو سمَّاه الله رُوحَه على المَجَاز؛ محبةً له وتقريبًا، كما تقول لحبيبك: أنت رُوحِي. وقرأ أبو حنيفة: (رُوحَنَا) بالفتح؛ لأنه سببٌ لِمَا فِيهِ رُوحُ العِبَاد، وإصابةُ الرُّوحِ عند الله الذي هو عِدَّةُ المُقَرَّبِينَ في قوله: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ \* فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ [الواقعة: ٨٨ - ٨٩]، أو لأنه من المُقَرَّبِينَ، وهم الموعودون بالرُّوح، أي: مُقَرَّبَنَا وَذَا رُوحَنَا.

[﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ ١٨]

أرادت إن كان يرجى منك أن تتقي الله وتخشاه وتحفل بالاستعاذة به، فإني عائذة به منك، .....

قوله: (أو سمَّاه الله رُوحَه على المَجَاز)، هذا يوهم أنَّ الوَجْهَ الأوَّلَ لا مَجَازَ فِيهِ، لكنَّ هذا المَجَازَ في الإضافةِ للتشريفِ على نحو: بيتُ الله وناقَةُ الله، والأوَّلُ من إطلاقي المُسَبَّبِ على السببِ، لقوله: «لأنَّ الدِّينَ يحيا به»، وإحياؤُه الدِّينَ أيضًا مَجَازٌ عن إظهاره وتنويهه.

قوله: (وإصابةُ الرُّوحِ)، بالرفع، عطفٌ على «رُوحُ العِبَاد» على أن يُرادَ بالرُّوحِ: القرآنُ، فيكونُ من بابِ عطفِ الخاصِّ على العامِّ اهتمامًا؛ لأنَّ قوله: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ \* فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ [الواقعة: ٨٨ - ٨٩] بعضُ منه. ويؤيِّدُه روايةُ الجُرِّ عطفًا على «ما» في «لِما». ويجوزُ أن يكونَ الرَّفْعُ عطفًا على سبيلِ البيان، كما أنَّ قوله: «وَنُوحِيهِ» عطفٌ على الهاءِ في «به» كذلك، أي: أنه سببٌ لِمَا فِيهِ إصابةُ الرُّوحِ عندَ الله؛ لأنه عليه السَّلامُ نَزَلَ بقوله: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ \* فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ [الواقعة: ٨٨ - ٨٩] وهو عِدَّةُ المُقَرَّبِينَ.

قوله: (أو لأنه من المُقَرَّبِينَ)، أي: إنَّما قال: «رُوحَنَا» لأنه من المُقَرَّبِينَ، وإنَّما سُمِّيَ المُقَرَّبُونَ بالرُّوحِ، لأنهم وُعدوا به فيكونُ مَجَازًا بأدنى مُلابسةٍ، فالوَجْهَانِ في هذه القراءةِ كالوَجْهَيْنِ في القراءةِ الأولى مَجَازًا وإضافةً. نعمُ الإضافةُ الأولى أعلى وأسنَى.

قوله: (وَمُحْفَلٌ بالاستعاذة)، الجوهري: حَفَلْتُ بكذا، أي: باليَّت به، يقال: لا تُحْفَلُ به.

كقوله تعالى: ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ٨٦].

﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾ [١٩]

أي: إنما أنا رسول من استعذت به، ﴿لأهب لك﴾ لاكون سبباً في هبة الغلام

قوله: (كقوله تعالى: ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ٨٦])، قال المصنّف فيه: «ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزّه عما هو حرامٌ خيرٌ لكم إن كنتم مؤمنين»، ووجه الشبه أن المتقي إنما يكون متقياً إذا أشرف على محارم الله تعالى ولا يبتك حرمته فيها، كما أن المؤمن إنما يكمل إيمانه إذا اعتقد أن القليل من الحلال خيرٌ من الكثير من الحرام، وفائدة هذا الأسلوب: الانزجار على الوجه الأبلغ، ولا يسلك إلا<sup>(١)</sup> بمن يدعي أنه متصف بتلك الصفة، وهو غالٍ فيها، ومن ثم روى البخاري، عن أبي وائل، قال: علمت مريم أن التقي ذو نهيّة حين قالت: ﴿إِن كُنْتَ تَقِيًّا﴾. ذو نهيّة، أي: ذو عقل<sup>(٢)</sup>، وقال محيي السنّة: هذا كقول القائل: إن كنت مؤمناً فلا تظلمني<sup>(٣)</sup>، أي: ينبغي أن يكون إيمانك مانعاً من الظلم<sup>(٤)</sup>.

وقلت: مثاله في الشاهد قولك لمن تخاف غائلته وتعرف أنه ممن يتقي سطوات المملك العادل: أنا أستجيرُ منك إلى المملك العادل إن كنت تتقي سطواته، فإذا بلغ تماديه في الغي إلى أنه لا يرتدع بمثل هذا الرادع، قلت للمملك العادل: أنا ألوذ إليك وأستجيرُ بكتفك من معرة فلان، فقولها: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾<sup>(٥)</sup> [آل عمران: ٣٦] من هذا المقام.

قوله: (لاكون سبباً لهبة<sup>(٦)</sup> الغلام). الراغب: الهبة: أن تجعل ملكك لغيرك بغير

(١) سقط لفظ «إلا» من النسخة (ح).

(٢) ذكره البخاري في باب (٤٨) من كتاب: «أحاديث الأنبياء» من «الجامع الصحيح».

(٣) قوله: «فلا تظلمني»: سقط من النسخة (ح).

(٤) «معالم التنزيل» (٥: ٢٢٣).

(٥) كذا قال المصنّف، ولعله من بابة السهو، وكان الأولى أن يستشهد بقوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ

مِنكَ إِن كُنْتَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ١٨].

(٦) كذا في الأصول الخطية، وفي «الكشاف»: «في هبة».

بالتفخ في الدرع. وفي بعض المصاحف: (إنما أنا رسول ربك أمرني أن أهب لك). أو هي حكاية لقول الله تعالى.

[﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلْمٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشْرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ \* قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ ٢٠-٢١]

جعل المس عبارة عن النكاح الحلال؛ .....

عوض، وقوله: ﴿لَأَهَبَ لِكَ غُلْمًا زَكِيًّا﴾ نسب الملك الهبة إلى نفسه لكونه سبباً، وقريء: ﴿لِيَهَبَ لِكَ﴾<sup>(١)</sup> فنسب إلى الله عز وجل، فهو على الحقيقة، ويوصف الله تعالى بالواهب والوهاب بمعنى أنه: يعطي كلاً على قدر استحقاقه<sup>(٢)</sup>.

قوله: (أو هي حكاية لقوله عز وجل<sup>(٣)</sup>)، فالتقدير: أنا رسول ربك حاملاً لوحيه أني طهرتك واصطفيتك لأهب لك غلاماً زكياً، أي: مطهراً<sup>(٤)</sup>.

قوله: (جعل المس عبارة عن النكاح الحلال)، قال الإمام: ولقائل أن يقول: قولها: ﴿وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشْرٌ﴾ يدخل تحته قولها: ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ فلماذا أعادها؟ ويُقوي السؤال قولها في آل عمران: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشْرٌ﴾ [آل عمران: ٤٧]، والجواب من وجهين، أحدهما: أنها جعلت المس عبارة عن النكاح الحلال.

وثانيهما: أن أعادتها لتعظيم حالها، كقوله تعالى: ﴿وَمَلَأْ كِتَابَهُ وَرُسُلِهِ وَجَبْرِيلَ﴾ [البقرة: ٩٨]؛ فذكر البغي بعد دخوله في الكلام لأنه أعظم ما في بابه، لأن من لم تعرف من النساء بالتزوج فأغلظ أحوالها إذا أتت بوليد أن تكون زانية<sup>(٥)</sup>.

(١) وهي قراءة ورش ويعقوب وأبي عمرو ووافقهم الحسن والبيهقي على معنى: ليهب لك الذي استعذت به مني؛ لأن الله هو الواهب على الحقيقة. انظر: «حجة القراءات»، ص ٤٤٠.

(٢) «مفردات القرآن»، ص ٨٨٤.

(٣) كذا في (ط)، وفيه بعض اختلاف عن لفظ «الكشاف»، ولعله من باب الاختصار.

(٤) هذه الفقرة لم ترد في (ح) و(ف)، ووردت في (ط) قبل فقرة «قوله: وليس بقرن» بعد صفحتين، وقدّمها إلى هذا الموضع مراعاة لترتيب «الكشاف».

(٥) «مفاتيح الغيب» (٢١: ٥٢٣).

وقلت: الْوَجْهُ الْأَوَّلُ أَقْصَى لِحَقِّ الْبَلَاغَةِ، ولهذا اختارَه المصنّف؛ لأنّ قوله: ﴿وَلَمْ يَمَسَّ سِنِي بَشْرًا﴾: حالٌ مُقَرَّرَةٌ لجهة الإشكال، وَرَدَتْ عَلَى الْكِنَايَةِ عَنِ النِّكَاحِ الْحَلَالِ مَقْرُونَةٌ بِأُخْرَى لِإِرَادَةِ التَّقْسِيمِ الْحَاصِرِ<sup>(١)</sup>، فَيُقِيدُ أَنْ عُلُقَةَ الْوَالِدِ وَمَظْنَةَ حُصُولِ الْغُلَامِ عُرْفًا، إِنَّمَا يَكُونُ بِطَرِيقِ النِّكَاحِ أَوْ السَّفَاحِ، وما لم يوجدا كيف يُتَصَوَّرُ وجودُه؟ لكن في تعليقه جعلَ الْمَسَّ عبارةً عَنِ النِّكَاحِ الْحَلَالِ لِأَنَّهُ كِنَايَةٌ عَنْهُ، حِزَازَةٌ؛ لِأَنَّهُ جَاءَ فِي آلِ عِمْرَانَ وَلَمْ يُرِدْ بِهِ هَذِهِ الْكِنَايَةَ، بَلِ الْعِبَارَةُ الْجَيِّدَةُ أَنْ يُقَالَ: جَعَلَ الْمَسَّ عِبَارَةً عَنِ النِّكَاحِ فِي هَذَا الْمَقَامِ لَوْ قَوَّعَهُ قَرِينَةٌ لِقَوْلِهِ: ﴿وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا﴾ لِإِفَادَةِ التَّقْسِيمِ الْحَاصِرِ<sup>(٢)</sup>.

فإن قلت: كيف طابَق قولها: ﴿وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا﴾ قوله: ﴿لَأَهَبَ لِكَ غُلَمًا زَكِيًّا﴾، فإنه نفى كلَّ الرِّبِيَّةِ وَالتُّهْمَةِ بقوله: ﴿زَكِيًّا﴾؟

قلت: كأنها مِنْ فَرْطِ تَعْجُبِهَا وَغَايَةِ اسْتِبْعَادِهَا نَبَذَتْ الْوَصْفَ وَرَاءَهَا ظَهْرِيًّا، وَأَتَتْ بِالْمُوصُوفِ، وَأَخَذَتْ فِي تَقْرِيرِ نَفْيِهِ عَلَى أْبْلَغِ وَجْهِ، أَي: مَا أَبْعَدَ وَجُودَ هَذَا الْمُوصُوفِ مَعَ هَذِهِ الْمَوَاقِعِ، بَلَّةَ الْوَصْفِ! وَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ الْأَسْلُوبِ الْحَكِيمِ.

ولما كان الاهتمامُ بِشَأْنِ النَّفْيِ فِي الثَّانِي أَيْ «آثَرْتُهُ»، كَانَ الْإِيذَانَ بِأَنَّ انْتِفَاءَ الْفُجُورِ لَازِمٌ لَهَا، وَبَعِيدٌ أَنْ تَتَّصِفَ بِهَا يُخَالِفُ الْعَقَّةَ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ مِنْ بَيْتِ الْعَقَّةِ وَمَعْدِنِ الطَّهَارَةِ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِمْ: ﴿يَتَأَخَتِ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٨]؟ وَبِهَذَا ظَهَرَ أَنَّ قَوْلَ مَنْ قَالَ: إِنَّ هَارُونَ كَانَ رَجُلًا صَالِحًا أَخَاهَا هُوَ الْقَوْلُ.

قَالَ الرَّاعِبُ: كَانَ مَا اسْتَعْمَلَ مِنْهُ فِي جِنْسِ الشَّيْءِ مُتَعَلِّقًا بِوَصْفٍ لَهُ تَنْبِيهُ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الْوَصْفَ لَازِمٌ لَهُ قَلِيلُ الْإِنْكَكَارِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧]<sup>(٣)</sup>.

وقلت: وقد جاء في فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ الْجِنْسِ بِاعْتِبَارِ وَصْفٍ يَجْعَلُهُ كَالْجِنْسِ، نَحْوُ: ﴿مَا

(١) كذا في (ط)، وهو الصواب، وفي (ح) و(ف): «الحاضر» بالضاد المعجمة.

(٢) في (ح) و(ف): «الحاضر».

(٣) «مفردات القرآن» ص ٧٣٠.

كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴿ [الأحزاب: ٤٠] وما نحن بصددِهِ من هذا القبيل.

فإن قلت: قول الإمام: و«يُقَوِّي السؤال ما في آل عمران»، يُوهّم أن القرينة الأولى كافية في الجواب عن قوله: ﴿لَأَهَبَ لِكَ عَلَمًا زَكِيًّا﴾، فكيف وقوعها في هذا المقام دون ذلك، والقصة واحدة؟

قلت: يجوز أن يكون ما في آل عمران بشارَةً أُخْرَى مِنَ الْمَلَائِكَةِ بَعْدَ هَذِهِ الْبِشَارَةِ مِنْ جِبْرِيلَ، بُشِّرَتْ أَوْلًا بِمُوهَبٍ زَكِيٍّ ثُمَّ بِمُوهَبٍ مُّوصُوفٍ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ الْكَوَامِلِ، فَحَقِيقَةُ الْبِشَارَةِ فِي الْكُرَّةِ الثَّانِيَةِ: جَعَلَ ذَلِكَ الْمَهُولُ نَبِيًّا ذَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَشَرَّزْنَاهُ بِإِسْحَاقَ يَبْنَاءِ بْنِ الصَّلِيحِينَ﴾ لأن البشارة هي الإخبار بما يُظهِرُ<sup>(١)</sup> سُرُورَ الْمُخْبِرِ، فَالسُّرُورُ الثَّانِي غَيْرُ الْأَوَّلِ، وَإِنَّمَا لَمْ يُرَدِّفِ الْقَرِينَةَ الثَّانِيَةَ بِهَا فِي الْبِشَارَةِ الثَّانِيَةِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَلْحَقْهَا مَا تَسْتَشْعِرُ مَعَهُ الْخَوْفَ عَلَى نَفْسِهَا كَمَا لَحِقْهَا فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى، وَلِلذَلِكَ اسْتَعَاذَتْ فِيهَا بِقَوْلِهِ: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَقِيًّا﴾.

وأيضاً، لا ارتياب أن سورة مريم مكيّة؛ لأنّها تليّت على النجاشي في أولى الهجرتين. وسورة آل عمران كما قيل: مدنيّة.

ويمكن أن يقال: إن كلتيهما قصة واحدة، وإنّا اختلفت العبارات لما أنه عزّ شأنه ذكر قصتها الواحدة في كلّ مكان بحسب ما يقتضيه المقام من الإطناب والإيجاز، فهذا المقام مقام بيان<sup>(٢)</sup> المفاولة التي جرّث بينها وبين الملك، والحالات الواقعة بينهما، لا بيان وصف الغلام بتلك الأوصاف المذكورة في آل عمران، فأطنب في الأوّل واختصر في الثاني، بخلافه في «آل عمران»، لأنه مقام تقرير الامتنان على مريم بموهوب عظيم القدر بديع الشأن، فأطنب في الأوصاف، وأوجز في بيان المفاولة، وقد ذكرنا في سورة هود قانوناً يرجع إليه

(١) في (ط): «بما يوجب».

(٢) سقط لفظ «بيان» من النسخة (ح).

لأنه كنايةٌ عنه، كقوله تعالى: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [النساء: ٤٣]، والزنى ليس كذلك، إنما يقال فيه: فَجَرَ بها، وَخَبَثَ بها، وما أشبه ذلك، وليس بَقَمَنٍ أن تُراعى فيه الكِنَايَاتُ والآداب. والبَغْيُ: الفاجرة التي تَبْغِي الرِّجَالَ، وهي فَعُولٌ عند المُبَرِّدِ: «بَعُوِيٌّ» فأدْغِمَتِ الواوُ في الياء. وقال ابن جِنِّي في كتاب «التمام»: هي فَعِيلٌ، ولو كانت فَعُولًا لَقِيلَ: «بَعُوٌّ»، كما قيل: فلان تَهَوُّ عن المُنْكَرِ. ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً﴾: تعليلٌ معلله محذوف، أي: ولنجعله آيةً للناس فَعَلْنَا ذلك. أو هو معطوفٌ على تعليلٍ مُضْمَرٍ، أي: لِنَبِيِّنَ به قدرتنا ولنَجْعَلَهُ آيةً. ونحوه:

في أمرٍ قَصْبَةٍ واحدةٍ تَرُدُّ على أنحاءٍ مختلفةٍ في مواضعٍ شَتَّى، وبسَطْنَا الكلامَ فيه. والله أعلمُ بأسرارِ كلامِهِ.

قوله: (وليس بَقَمَنٍ)، يقال: أَنْتَ قَمَنٌ أن يفعلَ كذا، بالتحريك، أي: جديرٌ خَلِيقٌ، لا يُنْتَى ولا يُجْمَعُ ولا يؤنَّثُ، فإذا كَسَرَتِ الميمَ أو قَلَّتْ: قَمِينٌ، تُنْتَى وَجَمَعَتْ.

قوله: (وهي فَعُولٌ عند المُبَرِّدِ)، قال أبو البقاء: فلَمَّا اجْتَمَعَتِ الواوُ والياءُ قَلِبَتِ الواوُ ياءً وأدْغِمَتْ، وكَسِرَتِ العَيْنُ إِتْبَاعًا، ولذلك لم يُلْحَقْ تاءُ التأنِيثِ، كما لم تُلْحَقْ في امرأةٍ صَبُورٍ وشُكُورٍ<sup>(١)</sup>.

قوله: (هي فَعِيلٌ)، قال أبو البقاء: هي «فَعِيلٌ» بمعنى: فاعِلٌ، ولم تُلْحَقِ التاءُ أيضًا؛ لأنه للمبالغة؛ ولأنه على النَّسَبِ مثل: طالِقٍ وحائِضٍ<sup>(٢)</sup>.

قوله: (فلانٌ تَهَوُّ)، وهو شاذٌّ، قيل: لأنه إذا اجْتَمَعَ الواوُ والياءُ وسَبَقَ ساكنٌ قَلِبَتِ الواوُ ياءً وأدْغِمَ. وقال صاحبُ «التقريب»: نَصَّوا على أن «تَهَوُّا» شاذٌّ ليس بقباس.

قوله: (أو هو معطوفٌ على تعليلٍ مُضْمَرٍ)، والمعنى: أَهَبَ لِكَ وَأَنْتِ كَذَلِكَ لِنَبِيِّنَ، كقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ [الجنات: ٢٢] لِيَسْتَدِلَّ بها المكلَّفُ على

(١) «التيبان في إعراب القرآن» (٢: ٨٦٩).

(٢) المصدر السابق، (٢: ٨٦٩).



﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الجنائيات: ٢٢]، وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ﴾ [يوسف: ٢١]. ﴿مَقْضِيًّا﴾: مقدرًا مسطورًا في اللوح لا بدَّ لك من جزيه عليك. أو: كان أمرًا حقيقًا بأن يُكَوَّنَ ويُقْضَى؛ لكونه آيةً ورحمة. والمراد بالآية: العبرة والبرهان على قدرة الله. وبالرحمة: الشرائع والألطف، وما كان سببًا في قوَّة الاعتقاد والتوصُّل إلى الطاعة والعمل الصالح، فهو جديرٌ بالتكوين.

فُدرته، ولتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ. وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف: ٥٦] ليتصرَّف فيها ولنعلمه، ونظيرُ الأوَّل قوله في «الأنفال»: ﴿لَيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٢] ليقضي: متعلِّقٌ بمحذوف، أي: ليقضي أمرًا واجبًا أن يفعلَ دَبَّرَ ذلك. الحاصل: أنه على التقديرِ الأوَّل: عطَفَ الجُمْلَةَ على الجُمْلَةِ، وعلى الثاني: عطَفَ المَفْرَدَ على المَفْرَدِ.

فإن قلت: لِمَ يُقدَّرُ المُعلَّلُ مؤخَّرًا؟ قلت: فائدةُ هذا الأسلوب، وهو أن تُجاءَ العِلَّةُ بالواوِ للاهتمام بشأنِ العِلَّةِ المذكورة؛ لأنه إما أن يُقدَّرَ عِلَّةٌ أُخرى ليعطفَ عليها، فيكون اختصاصُ ذِكْرِها لكونها أهمَّ، وإما أن يُقدَّرَ معلَّلٌ، فيجب أن يكونَ مؤخَّرًا، ليشعرَ تقديمه بالاهتمام.

قوله: (أو كان أمرًا حقيقًا بأن يُكَوَّنَ ويُقْضَى)، فعلى الأوَّل: ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ تذييلٌ للكلامِ وتوكيدٌ له، وكالمُوجِبِ لتكوين ما يدُلُّ على القُدرةِ الكاملةِ والرحمةِ الشاملة. وعلى الثاني: كالمُوجِبِ بفتح الجيم، وذلك بالنظرِ إلى معنى الآية، وأنها البرهانُ على قدرةِ الله، ومفهومِ الرَّحمة، وأنَّ ابنها يصيرُ نبيًّا مباركًا، وأنَّ كونهما من المصالحِ الموجبةِ أن تُراعى. والأوَّلُ أنسَبُ لمذهبنا، والثاني لمذهبه<sup>(١)</sup>، ويدلُّ على أن المرادَ رعايةَ الأصلحِ قوله: «وما كان سببًا في قوَّة<sup>(٢)</sup> الاعتقادِ والتوصُّلِ إلى الطاعةِ والعملِ الصالحِ، فهو جديرٌ بالتكوين».

(١) قوله: «والثاني لمذهبه» سقط من (ف).

(٢) في النسخة (ح): «لوقاية»، وهي جيِّدةٌ مُتَّجِهَةٌ.

[فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَّتْ بِهِءٍ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾]

عن ابن عباس: فاطماتُ إلى قوله، فدنا منها فنفتح في جيب درعها، فوصلت النفخة إلى بطنها فحملت. وقيل: كانت مدة الحمل ستة أشهر. وعن عطاء وأبي العالية والضحاك: سبعة أشهر. وقيل: ثمانية، ولم يعيش مولودٌ وُضِعَ لثمانية إلا عيسى. وقيل: ثلاث ساعات. وقيل: حملته في ساعة، وصور في ساعة، ووضعته في ساعة، حين زالت الشمس من يومها. وعن ابن عباس: كانت مدة الحمل ساعة واحدة، كما حملته نبدته. وقيل: حملته وهي بنت ثلاث عشرة سنة. وقيل: بنت عشر، وقد كانت حاضت حيضتين قبل أن تحبل. وقالوا: ما من مولودٍ إلا يستهلُّ غيره. ﴿فَانْتَبَدَّتْ بِهِءٍ﴾ أي: اعتركت وهو في بطنها، كقوله:

قوله: (فاطماتُ إلى قوله، فدنا منها فنفتح في جيب درعها فوصلت النفخة إلى بطنها فحملت)، إشارة إلى أن الفاء في: ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ تعطف هذه الجملة على ما قبلها بواسطة هذه<sup>(١)</sup> المضمرات، فلا يعدُّ أن تُسمى فصيحة؛ لأن الاطمئنان يستدعي سبق انزعاج، وذلك أنه حين تمثل لها الرسولُ بشرًا سويًا انزعجت منه فاستعادت بالرحمن، فلما جرى بينهما تلك المواقلة اطمأنت إلى قوله، فدنا... إلى آخره.

قوله: (كما حملته نبدته)، بيان لمعنى الفاء في: ﴿فَانْتَبَدَّتْ﴾، ولقظة «كما» فيها معنى المفاجأة. قال صاحب «اللُّباب»: الكاف قد تأتي للقران في الوقوع، كقولك: كما حصر زيد غاب عمرو.

قوله: (وقالوا: ما من مولودٍ إلا يستهلُّ غيره)، «غيره»: بالنصب على الاستثناء، أشار بهذا إلى الحديث المشهور مضي شُرْحُه في «آل عمران»<sup>(٢)</sup>. وإنا أو ما إليه وهو أجنبي هاهنا؛ لأنه ذكر نبدًا من أحوالها الخارقة للعادات.

(١) سقط لفظ «هذه» من النسخة (ح).

(٢) عند الآية (٣٦) من «آل عمران».

## تَدُوسُ بِنَا الْجَمَاجِمِ وَالتَّرِيَا

أي: تدوس الجمام ونحن على ظهورها، ونحوه قوله تعالى: ﴿تَنبُتُ بِالدَّهْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠]، أي: تنبت ودُّهْنُهَا فِيهَا، الجارُّ والمجرور في موضع الحال. ﴿قَصِيًّا﴾: بعيدًا من أهلها وراء الجبل. وقيل: أقصى الدار. وقيل: كانت سُمِّيَتْ لابن عمِّها اسمه يوسف، فلما قيل: حملت من الزنى، خاف عليها قتل المَلِكِ، فهرب بها، فلما كان ببعض الطريق حدَّثته نفسه بأن يقتلها، فأتاه جبريلُ فقال: إنه من رُوحِ القُدس فلا تقتلها، فتركَها.

[﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِزَعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا

مَنَسِيًّا﴾ ٢٣]

﴿فَأَجَاءَهَا﴾ أجاء: منقولٌ من «جاء»، .....

قوله: (تدوس بنا الجمجم والتريا)<sup>(١)</sup>، أوله:

فَمَرَّتْ غَيْرَ نَافِرَةٍ عَلَيْهِمْ

قبله:

كَأَنَّ خِيُولَنَا كَانَتْ قَدِيًّا تُسْقَى فِي قُحُوفِهِمُ الحَلِيَا

التَّرَائِبُ: عِظَامُ الصَّدْرِ، وَالْقَحْفُ: العِظْمُ فَوْقَ الرَّأْسِ. وَالضَّمِيرُ يَعُودُ إِلَى الأَعَادِي، وَالعَرَبُ تُسْقَى اللَّبْنَ كِرَامَ خِيُولِهِمْ. يَقُولُ: خَيْلُنَا كَانَتْ تُسْقَى اللَّبْنَ فِي أَقْحَافِ رُؤُوسِ الأَعْدَاءِ لِأَلْفِهَا بَهَا، وَهَذَا كَانَتْ تَمُرُّ عَلَيْهِمْ وَعَلَى صُدُورِهِمْ وَنَحْنُ عَلَيْهَا وَلَمْ تَنْفِرْ عَنْهُمْ.

قوله: (فهرب بها)، أي: هرب ابن عمها<sup>(٢)</sup> مُسْتَصْحِبًا إِيَّاهَا، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ البَاءُ

للتعدية.

(١) للمتنبّي في «ديوانه»، بشرح الواحدي، ص ١٤٧.

(٢) في النسخ الخطية: «عمّه»، والمُتَّبَعُ هُوَ الأَشْبَهُ بِالصَّوَابِ، وَعَلَيْهِ يَدُورُ كَلَامُ الزَّمخَشَرِيِّ.

إلا أن استعماله قد تغير بعد النقل إلى معنى الإلجاء. ألا تراك تقول: جئت المكان وأجاءني زيد، كما تقول: بلغت وأبلغنيه؟ ونظيره «أتى» حيث لم يستعمل إلا في الإعطاء، ولم يقل: آتيت المكان وآتانيه فلان. قرأ ابن كثير في رواية: (المخاض) بالكسر. يقال: محضت الحامل مخاضاً ومخاضاً؛ وهو تمخض الولد في بطنها.

قوله: (إلا أن استعماله قد تغير بعد النقل إلى معنى الإلجاء)، الجوهري: أجأته إلى كذا: ألجأته واضطررته إليه. قال الفراء: أصله من جئت وقد جعلته العرب إلجاء<sup>(١)</sup>. وفي المثل: شر ما يجيئك إلى محه عرقوب<sup>(٢)</sup>، قال الأصمعي: وذلك أن العرقوب لا منح فيه، وإنما يحوج إليه من لا يقدر على شيء.

الراغب: المجيء: كالإتيان، لكن المجيء أعم؛ لأن الإتيان: مجيء بسهولة، ويقال: جاء في الأعيان والمعاني، وبما يكون مجيئه بذاته وبأمره، ولمن قصد مكاناً أو عملاً أو زماناً، يقال: جاء بكذا وأجاءه، قال تعالى: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾، قيل: ألجأها، وإنما هو معدى عن «جاء»، قال الشاعر:

### أجاءته المخافة والرجاء<sup>(٣)</sup>

قوله: (ولم يقل: آتيت المكان وآتانيه فلان)، الجوهري: آناه إيتاء، أي: أعطاه، وآناه أيضاً، أي: أتى به، ومنه قوله تعالى: ﴿ءإِنَّا عَدَاءُ نَا﴾ أي: ائتنا به. وقيل: معنى قوله: ﴿ءإِنَّا عَدَاءُ نَا﴾: إيتنا به أظهروا من قوله: أعطينا الغداء؛ لأن موسى عليه السلام طلب من يوشع إحضار الغداء لإعطاءه إياه، وسيجيء في قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾ [مريم: ٦١] اختياره لغير ما اختاره هاهنا.

قوله: (تمخض الولد)، الجوهري: مخض اللبن وامتحض، أي: تحرك في المخضة، وكذلك الولد إذا تحرك في بطن الحامل، والمخاض: وجع الولادة.

(١) «معاني القرآن» للفراء (٢: ١٦٤).

(٢) «مجمع الأمثال» (١: ٣٥٨).

(٣) «مفردات القرآن»، ص ٢١٢. والبيت المذكور لزهير بن أبي سلمى في «ديوانه» ص ١٣، وصدوره:

وسار جاء مُعْتَمِدًا إلينا

طَلَبَتِ الْجِدْعُ؛ لَتَسْتَرَبَ بِهِ وَتَعْتَمِدَ عَلَيْهِ عِنْدَ الْوِلَادَةِ، وَكَانَ جِدْعُ نَخْلَةٍ يَابِسَةٍ فِي الصَّحْرَاءِ لَيْسَ لَهَا رَأْسٌ وَلَا ثَمَرَةٌ وَلَا خُضْرَةٌ، وَكَانَ الْوَقْتُ شِتَاءً، وَالتَّعْرِيفُ لَا يَخْلُو: إِمَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ تَعْرِيفِ الْأَسْمَاءِ الْغَالِبَةِ، كَتَعْرِيفِ النَّجْمِ وَابْنِ الصَّعِقِ، كَأَنَّ تِلْكَ الصَّحْرَاءَ كَانَ فِيهَا جِدْعُ نَخْلَةٍ مُتَعَالِمٌ عِنْدَ النَّاسِ، فَإِذَا قِيلَ: جِدْعُ النَخْلَةِ؛ فَهِيَ مِنْهُ ذَلِكَ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ جُدُوعِ النَّخْلِ. وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ تَعْرِيفَ الْجِنْسِ، أَي: جِدْعُ هَذِهِ الشَّجَرَةِ خَاصَّةً، كَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا أَرْشَدَهَا إِلَى النَخْلَةِ لِطُعْمِهَا مِنْهَا الرُّطْبَ الَّذِي هُوَ خُرْسَةُ النُّفْسَاءِ الْمُوَافِقَةُ لَهَا، وَلِأَنَّ النَخْلَةَ أَقْلُ شَيْءٍ صَبْرًا عَلَى الْبَرْدِ، وَثِمَارَهَا إِنَّمَا هِيَ مِنْ جِمَارِهَا، فَلِمُؤَافَقَتِهَا لَهَا مَعَ جَمْعِ الْآيَاتِ فِيهَا اخْتَارَهَا لَهَا .....

قوله: (مُتَعَالِمٌ)، الجوهري: تعالَمَه الجميعُ أي: عَلِمُوهُ.

قوله: (خُرْسَةُ النُّفْسَاءِ)، الجوهري: الخُرْسُ بالضم: طعامُ الولادة. الأساس: أطعموا النُّفْسَاءَ خُرْسَتَهَا، وَهِيَ طَعَامُهَا خَاصَّةً، وَقَدْ خُرْسَتْ فَتَخُرْسَتْ، وَعَنْ بَعْضِهِمْ: الخُرْسُ بِالضَّمِّ: طَعَامُ الْوِلَادَةِ وَالْوَالِيْمَةِ، وَبِالتَّاءِ: طَعَامُ النُّفْسَاءِ.

قوله: (مِنْ جِمَارِهَا). الجوهري: الجِمَارُ: شَحْمُ النَّخْلَةِ، وَفِي تَذْكِيرِ ضَمِيرِ هُوَ بَحْثٌ؛ لِأَنَّهُ رَاجِعٌ إِلَى الثَّمَارِ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يُتِمَّحَلَ<sup>(١)</sup> أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى الْخَيْرِ، وَلَعَلَّهُ سَقَطَ مِنَ النَّسَاحِ.

قوله: (فَلِمُؤَافَقَتِهَا لَهَا مَعَ جَمِيعِ<sup>(٢)</sup> الْآيَاتِ اخْتَارَهَا لَهَا)<sup>(٣)</sup>، الْفَاءُ: فَصِيحَةٌ<sup>(٤)</sup>، وَالْمَرَادُ بِالْمُؤَافَقَةِ مَعَ جَمِيعِ الْآيَاتِ: مَا ذَكَرَهُ:

أُولَاهَا: قَوْلُهُ: «لِطُعْمِهَا مِنْهَا»، وَأَتَمَّهَا<sup>(٥)</sup> احْتِاجَتْ إِلَى الْخُرْسَةِ، وَقَدْ أُتِيَتْ بِهَا هِيَ مَحْتَاجَةٌ إِلَيْهِ.

(١) فِي (ط): «يَتَحْمَلُ».

(٢) كَذَا فِي الْأَصُولِ الْخَطِيَّةِ، وَكَذَا هُوَ فِي نَصِّ «الْكَشَافِ» مِنْ (ط)، لَكِنْ فِي الْأَصْلِ الْخَطِي مِنْ «الْكَشَافِ»

وَفِي الْمَطْبُوعِ: «مَعَ جَمْعٍ».

(٣) فِي (ح) وَ(ف): «اخْتِيَارَهَا».

(٤) فِي (ط): «نَتِيجَةٌ».

(٥) فِي (ط): «وَأَيَّتَهَا أَنْهَا».

وَأَلْجَأَهَا إِلَيْهَا. قُرئ: ﴿مِثٌّ بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ، يُقَالُ: مَاتَ يَمُوتُ، وَمَاتَ يَمَاتُ. النَّسِيُّ: مَا مِنْ حَقِّهِ أَنْ يُطْرَحَ وَيُنْسَى، كَخِرْقَةِ الطَّامِثِ وَنَحْوِهَا، كَالذَّبْحِ: اسْمٌ مَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُذْبَحَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَدَيْتُهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصفات: ١٠٧]. وَعَنْ يُونُسَ: الْعَرَبُ

وَتَانِيَتُهَا: قَوْلُهُ: «وَلَاَنَّ النَّخْلَةَ أَقْلُ شَيْءٍ صَبْرًا عَلَى الْبَرْدِ» فَصَبِرْتُ عَلَيْهِ بِأَنْ أَثْمَرْتُ، كَذَلِكَ النَّفْسَاءُ تَتَوَقَّى مِنْهُ لِاسْتَضْرَارِهَا بِهِ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَفِظَهَا مِنْهُ كَمَا حَفِظَ النَّخْلَةَ.

وَتَالِثَتُهَا: قَوْلُهُ: «وَتَمَارُهَا إِنَّمَا هُوَ مِنْ جُمَارِهَا» أَي: أَثْمَرْتُ مِنْ غَيْرِ لِقَاحٍ، وَفِي غَيْرِ الْأَوَانِ. قَالَ الْإِمَامُ: كَانَ اللَّهُ تَعَالَى أَرْشَدَهَا إِلَى النَّخْلَةِ لِيُطْعِمَهَا مِنْهَا الرُّطْبَ؛ لِأَنَّهُ أَشَدُّ الْأَشْيَاءِ مُوَافِقَةً لِلنَّفْسَاءِ، وَلَا تُثْمِرُ إِلَّا عِنْدَ اللَّقَاحِ، وَإِذَا قَطَعْتَ رَأْسَهَا لَمْ تُثْمِرْ، فَكَأَنَّهُ كَمَا قِيلَ: كَمَا أَنَّ الْأَنْثَى لَا تَلِدُ إِلَّا بِالذَّكَرِ، كَذَلِكَ النَّخْلَةُ لَا تُثْمِرُ إِلَّا عِنْدَ اللَّقَاحِ، ثُمَّ إِنِّي أَظْهَرُ الرُّطْبَ مِنْ غَيْرِ اللَّقَاحِ، لِيَدُلَّ عَلَى جَوَازِ ظَهْوَرِ الْوَلَدِ مِنْ غَيْرِ الذَّكَرِ<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ: (وَأَلْجَأَهَا إِلَيْهَا)، فِيهِ إِشْعَارٌ بِأَنَّ الْإِسْنَادَ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأَجَّأَهَا الْمَخَاضُ﴾ بِمَجَازِي الْمَعْنَى، أَلْجَأَهَا اللَّهُ تَعَالَى إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ، وَقَتَّ مَخَاضِهَا وَاخْتَارَهَا لَهَا.

قَوْلُهُ: (﴿مِثٌّ بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ﴾)، ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَابْنُ عَامِرٍ وَأَبُو بَكْرٍ: [بِالضَّمِّ]، وَبِالْقَوْنِ: بِالْكَسْرِ<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ: (النَّسِيُّ: مَا مِنْ حَقِّهِ أَنْ يُطْرَحَ)، الرَّاعِبُ: النَّسِيُّ: أَصْلُهُ مَا يُنْسَى، كَالنَّقْضِ: لِمَا يُنْقَضُ، فَصَارَ فِي التَّعَارُفِ اسْمًا لِمَا يَقْلُ الْعَتَادُ بِهِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿نَسِيًا مَنَسِيًا﴾ أَي: جَارِيًا مَجْرَى النَّسِيِّ الْقَلِيلِ الْعَتَادُ بِهِ، وَهَذَا عَقَبَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿مَنَسِيًا﴾ لِأَنَّ النَّسِيَّ قَدْ يُقَالُ لِمَا يَقْلُ الْعَتَادُ بِهِ وَإِنْ لَمْ يُنْسَ<sup>(٣)</sup>.

قَوْلُهُ: (وَعَنْ يُونُسَ)، قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: هُوَ يُونُسُ بْنُ حَبِيبِ الْبَصْرِيِّ، أَخَذَ عَنْ أَبِي

(١) «مفاتيح الغيب» (٢١: ٢٠٣).

(٢) وانظر تعليل ذلك في «حجّة القراءات»، ص ١٧٨.

(٣) «مفردات القرآن» ص ٨٠٤.

إذا ارتحلوا عن الدار قالوا: انظروا أنساءكم، أي: الشيء اليسير نحو العصا والقَدَحِ والشُّظاظ؛ تمتت لو كانت شيئاً تافهاً لا يُؤبَهُ له، من شأنه وحقه أن يُنسى في العادة، وقد نُسي وأطرح فوجد فيه النسيان الذي هو حقه؛ وذلك لما لحقها من فرط الحياء والتشور من الناس على حكم العادة البشرية، لا كراهة لحكم الله، أو لشدة التكليف

عمر بن العلاء، وسمع من العرب كما سمع من كان قبله، أخذ عنه سيبويه والكسائي والفرّاء، وله مذاهب وأقيسة تفرّد بها<sup>(١)</sup>.

قوله: (والشُّظاظ). الجوهري: هو العود الذي يُدخل في عروة الجوارق<sup>(٢)</sup>.

قوله: (تافهاً)، الجوهري: التافه: الحقيّر اليسير.

قوله: (وقد نُسي وأطرح): حال من فاعل «يُنسى»، وهو الضمير الرجوع إلى: ﴿نَسِيًا﴾ و«أن يُنسى»: فاعل «من شأنه»؛ لأنه صفة «نَسِيًا» قد اعتمد عليه، وإنما قال: «من شأنه أن يُنسى في العادة»، لما قال: النَّسِيُّ: ما من حقه أن يُطرح ويُنسى، وفائدة توكيده بـ﴿مَنَسِيًا﴾: الدلالة على المبالغة، فإن كل نسي لا يلزم أن يكون منسيًا، وإليه الإشارة بقوله: «فوجد فيه النسيان الذي هو حقه».

قوله: (لا كراهة)، قيل: هو عطف على «لما لحقها»، وإنما حذف اللام؛ لأن الكراهة فعلٌ لفاعل الفعل المُعلّل، ولم يحذف في «لما لحقها» لأن ما لحقها وإن كان عبارة عن الحياء، وهو فعله، لكن لما أسند اللُحوق إلى «ما» فكانه ليس فعله، أو ليؤذن أن الحذف جائز عند وجود شرائط الحذف لا واجب.

وقلت: ويمكن أن يُقال: إنه عطف على محلّ قوله: «على حكم العادة البشرية» من حيث المعنى؛ لأنه حال من الضمير المنصوب في «لحقتها». المعنى: لما لحقها من فرط الحياء جارية على حكم العادة البشرية لا كراهة لحكم الله، أو يقال: هو عطف على ما يتعلّق به

(١) انظر: «نزهة الألباء» للأنباري ص ٤٧.

(٢) نوع من الأوعية، وهو مُعرب، كما في «لسان العرب» (جلق).

عليها إذا بهتوها وهي عارفةٌ ببراءة الساحةِ وبضدِّ ما قُرِفتُ به، مِنْ اختصاصِ الله إياها بغاية الإجلال والإكرام؛ لأنه مقامٌ دَحْضٌ قلَّما تثبتُ عليه الأقدام: أن تعرف اغتباطك بأمرٍ عظيمٍ وفضلٍ باهرٍ تستحقُّ به المدحَ وتستوجبُ التعظيم، ثم تراه عند الناسٍ لجهلهم به عيياً يُعابُّ به ويُعتَفُ بسببه، أو لخوفها على الناس أن يعصوا الله بسببها. وقرأ ابنُ وثابٍ والأعمشُ وحمزةُ: ﴿نَسِيًّا﴾ بالفتح. قال الفراءُ: هما لغتان كالوتر والوتر، والجسر والجسر. ويجوزُ أن يكون مُسمًى بالمصدر، كـ«الحمل». وقرأ محمدُ بنُ كعبٍ القرظيُّ: (نَسَأً) بالهمز؛ وهو الحليبُ المخلوطُ بالماء، ينسؤه أهله؛ لقلته ونزارته. وقرأ الأعمشُ: (مُنْسِيًّا) بالكسرِ على الإتيانِ، كالغيرةِ والمنخرِ.

الجارُّ والمجرورُ، أي: بناءً على حُكمِ العادةِ البشريَّةِ لا كراهةً لحُكمِ الله، يدلُّ عليه عَطْفُ قوله: «أو لشدَّةِ التكليفِ» باللام، وقوله: «أو لخوفها على الناس» على «ما لحقها»، والخوفُ فعلها، ولأنَّ «لما لحقها»: خبرٌ «ذلك»، ولا يسوغُ «ذلك كراهةً لحُكمِ الله»، بالنَّصب.

قوله: (أن تعرف) في موضع النَّصبِ على أنه مفعولٌ مطلقٌ لقوله: «عارفة»، أي: هي براءة الساحةِ معرفتك اغتباطك بأمرٍ عظيمٍ. وعن بعضهم أنه في موضع الرَّفعِ خبراً مبتدأً محذوف، يعني: هو، أي: المقامُ الدَّحْضُ أن تعرف أنت، إلى آخره. وقيل: «أن تعرف» بدلٌ من اسم «إن».

قوله: (وقرأ ابنُ وثابٍ والأعمشُ وحمزةُ: ﴿نَسِيًّا﴾ بالفتح)، وحَفْصٌ أيضًا<sup>(١)</sup>.



(١) انظر: «حجّة القراءات» ص ٤٤١، و«الجامع لأحكام القرآن» (١١: ٩٣).





## فهرس زُمر الآيات المفسرة

الصفحة

الآيات

## سورة الحجر

|       |         |
|-------|---------|
| ٦-٥   | [١]     |
| ١٣-٧  | [٣-٢]   |
| ١٥-١٣ | [٥-٤]   |
| ١٥    | [٦]     |
| ١٦    | [٧]     |
| ١٧-١٦ | [٨]     |
| ١٩-١٧ | [٩]     |
| ٢٠-١٩ | [١١-١٠] |
| ٢١-٢٠ | [١٣-١٢] |
| ٢٣-٢٢ | [١٥-١٤] |
| ٢٥-٢٤ | [٢٠-١٦] |
| ٢٥    | [٢١]    |
| ٢٨-٢٦ | [٢٢]    |
| ٣٠-٢٨ | [٢٥-٢٣] |
| ٣١-٣٠ | [٢٧-٢٦] |

| الصفحة     | الآيات  |
|------------|---------|
| ٣٩-٣١      | [٤٤-٢٨] |
| ٤١-٣٩      | [٤٨-٤٥] |
| ٤٤-٤١      | [٥٦-٤٩] |
| ٤٩-٤٤      | [٦٠-٥٧] |
| ٥٢-٤٩      | [٦٦-٦١] |
| ٥٥-٥٢      | [٧٧-٦٧] |
| ٥٥         | [٧٩-٧٨] |
| ٥٧-٥٥      | [٨٤-٨٠] |
| ٥٧         | [٨٥]    |
| ٥٨         | [٨٦]    |
| ٦٠-٥٨      | [٨٧]    |
| ٦٢-٦٠      | [٨٩-٨٨] |
| ٦٥-٦٢      | [٩١-٩٠] |
| ٦٥         | [٩٣-٩٢] |
| ٦٦-٦٥      | [٩٤]    |
| ٦٧-٦٦      | [٩٦-٩٥] |
| ٧٠-٦٧      | [٩٩-٩٧] |
| سورة النحل |         |
| ٧٤-٧١      | [١]     |
| ٧٧-٧٥      | [٢]     |
| ٧٨-٧٧      | [٤-٣]   |
| ٨٠-٧٨      | [٥]     |

| الآيات  | المفسرة |
|---------|---------|
| [٦]     | ٨١-٨٠   |
| [٧]     | ٨٢-٨١   |
| [٨]     | ٨٧-٨٢   |
| [٩]     | ٨٨-٨٧   |
| [١١-١٠] | ٩٠-٨٩   |
| [١٢]    | ٩١-٩٠   |
| [١٣]    | ٩٢      |
| [١٤]    | ٩٣-٩٢   |
| [١٦-١٥] | ٩٦-٩٣   |
| [١٧]    | ٩٨-٩٦   |
| [١٩-١٨] | ٩٩-٩٨   |
| [٢١-٢٠] | ١٠٠-٩٩  |
| [٢٣-٢٢] | ١٠٢-١٠١ |
| [٢٥-٢٤] | ١٠٦-١٠٢ |
| [٢٩-٢٦] | ١١٠-١٠٧ |
| [٣٢-٣٠] | ١١٣-١١١ |
| [٣٤-٣٣] | ١١٤-١١٣ |
| [٣٥]    | ١١٦-١١٤ |
| [٣٦]    | ١١٧-١١٦ |
| [٣٧]    | ١١٩-١١٧ |
| [٣٩-٣٨] | ١٢١-١١٩ |
| [٤٠]    | ١٢٢-١٢١ |

| الصفحة  | الآيات  |
|---------|---------|
| ١٢٤-١٢٢ | [٤٢-٤١] |
| ١٢٦-١٢٤ | [٤٤-٤٣] |
| ١٢٨-١٢٦ | [٤٧-٤٥] |
| ١٣٠-١٢٨ | [٤٨]    |
| ١٣٣-١٣٠ | [٥٠-٤٩] |
| ١٣٥-١٣٣ | [٥١]    |
| ١٣٦     | [٥٢]    |
| ١٣٩-١٣٧ | [٥٥-٥٣] |
| ١٤٠     | [٥٦]    |
| ١٤٢-١٤٠ | [٥٩-٥٧] |
| ١٤٢     | [٦٠]    |
| ١٤٣-١٤٢ | [٦١]    |
| ١٤٤-١٤٣ | [٦٢]    |
| ١٤٦-١٤٤ | [٦٣]    |
| ١٤٦     | [٦٥-٦٤] |
| ١٥٠-١٤٧ | [٦٦]    |
| ١٥٣-١٥٠ | [٦٧]    |
| ١٥٨-١٥٤ | [٦٩-٦٨] |
| ١٥٩-١٥٨ | [٧٠]    |
| ١٦١-١٥٩ | [٧١]    |
| ١٦٣-١٦١ | [٧٢]    |
| ١٦٤-١٦٣ | [٧٣]    |

| الصفحة  | الآيات   |
|---------|----------|
| ١٦٥-١٦٤ | [٧٤]     |
| ١٦٨-١٦٥ | [٧٥]     |
| ١٦٩-١٦٨ | [٧٦]     |
| ١٧٠-١٦٩ | [٧٧]     |
| ١٧٢-١٧٠ | [٧٨]     |
| ١٧٢     | [٧٩]     |
| ١٧٤-١٧٣ | [٨٠]     |
| ١٧٥-١٧٤ | [٨١]     |
| ١٧٦-١٧٥ | [٨٣-٨٢]  |
| ١٧٦     | [٨٥-٨٤]  |
| ١٧٨-١٧٧ | [٨٧-٨٦]  |
| ١٧٨     | [٨٨]     |
| ١٧٩     | [٨٩]     |
| ١٨٥-١٨٠ | [٩٠]     |
| ١٨٨-١٨٥ | [٩٢-٩١]  |
| ١٨٨     | [٩٣]     |
| ١٨٩     | [٩٤]     |
| ١٩٠-١٨٩ | [٩٥]     |
| ١٩٠     | [٩٦]     |
| ١٩١-١٩٠ | [٩٧]     |
| ١٩٣-١٩١ | [١٠٠-٩٨] |
| ١٩٤-١٩٣ | [١٠١]    |

| الآيات                     | المفسر  |
|----------------------------|---------|
| [١٠٢]                      | ١٩٦-١٩٤ |
| [١٠٣]                      | ١٩٨-١٩٦ |
| [١٠٥-١٠٤]                  | ٢٠٠-١٩٩ |
| [١٠٩-١٠٦]                  | ٢٠٤-٢٠٠ |
| [١١١-١١٠]                  | ٢٠٧-٢٠٥ |
| [١١٣-١١٢]                  | ٢١٢-٢٠٧ |
| [١١٥-١١٤]                  | ٢١٤-٢١٢ |
| [١١٧-١١٦]                  | ٢١٧-٢١٤ |
| [١١٨]                      | ٢١٨-٢١٧ |
| [١١٩]                      | ٢١٨     |
| [١٢٢-١٢٠]                  | ٢٢٢-٢١٨ |
| [١٢٣]                      | ٢٢٢     |
| [١٢٤]                      | ٢٢٥-٢٢٢ |
| [١٢٥]                      | ٢٢٦-٢٢٥ |
| [١٢٨-١٢٦]                  | ٢٣١-٢٢٧ |
| سورة بني إسرائيل (الإسراء) |         |
| [١]                        | ٢٤٢-٢٣٢ |
| [٣-٢]                      | ٢٤٥-٢٤٢ |
| [٦-٤]                      | ٢٤٨-٢٤٥ |
| [٧]                        | ٢٥٠-٢٤٩ |
| [٨]                        | ٢٥١-٢٥٠ |
| [٩-١٠]                     | ٢٥٢-٢٥١ |

| الآيات  | الصفحة  |
|---------|---------|
| [١١]    | ٢٥٤-٢٥٣ |
| [١٢]    | ٢٥٥-٢٥٤ |
| [١٣-١٤] | ٢٥٧-٢٥٥ |
| [١٥]    | ٢٥٩-٢٥٨ |
| [١٦]    | ٢٦٢-٢٥٩ |
| [١٧]    | ٢٦٣     |
| [١٨-١٩] | ٢٦٦-٢٦٣ |
| [٢٠]    | ٢٦٧-٢٦٦ |
| [٢١]    | ٢٦٨-٢٦٧ |
| [٢٢]    | ٢٦٩-٢٦٨ |
| [٢٣-٢٤] | ٢٧٩-٢٦٩ |
| [٢٥]    | ٢٨٠-٢٧٩ |
| [٢٦-٢٧] | ٢٨٤-٢٨٠ |
| [٢٨]    | ٢٨٥-٢٨٤ |
| [٢٩]    | ٢٨٨-٢٨٥ |
| [٣٠]    | ٢٨٩-٢٨٨ |
| [٣١]    | ٢٨٩     |
| [٣٢]    | ٢٩٠     |
| [٣٣]    | ٢٩٢-٢٩٠ |
| [٣٤]    | ٢٩٣-٢٩٢ |
| [٣٥]    | ٢٩٤-٢٩٣ |
| [٣٦]    | ٢٩٧-٢٩٤ |



| المفردة | الآيات  |
|---------|---------|
| ٢٩٧-٢٩٠ | [٣٧-٣٨] |
| ٣٠٠-٣٠١ | [٣٩]    |
| ٣٠١-٣٠٢ | [٤٠]    |
| ٣٠٢-٣٠٣ | [٤١]    |
| ٣٠٣-٣٠٤ | [٤٢-٤٣] |
| ٣٠٤-٣٠٧ | [٤٤]    |
| ٣٠٧-٣١١ | [٤٥-٤٨] |
| ٣١١-٣١٢ | [٤٩-٥١] |
| ٣١٢-٣١٣ | [٥٢]    |
| ٣١٣-٣١٦ | [٥٣-٥٤] |
| ٣١٦-٣١٨ | [٥٥]    |
| ٣١٨-٣٢٠ | [٥٦-٥٧] |
| ٣٢٠     | [٥٨]    |
| ٣٢٠-٣٢٢ | [٥٩]    |
| ٣٢٢-٣٢٨ | [٦٠]    |
| ٣٢٨-٣٣٥ | [٦١-٦٥] |
| ٣٣٥     | [٦٦-٦٧] |
| ٣٣٥-٣٣٨ | [٦٨-٦٩] |
| ٣٣٨-٣٤٤ | [٧٠]    |
| ٣٤٤-٣٤٧ | [٧١]    |
| ٣٤٧-٣٤٨ | [٧٢]    |
| ٣٤٨-٣٥٣ | [٧٣-٧٥] |

| الصفحة  | الآيات    |
|---------|-----------|
| ٣٥٦-٣٥٣ | [٧٧-٧٦]   |
| ٣٥٩-٣٥٦ | [٧٩-٧٨]   |
| ٣٦١-٣٦٠ | [٨٠]      |
| ٣٦٣-٣٦١ | [٨١]      |
| ٣٦٥-٣٦٣ | [٨٢]      |
| ٣٦٧-٣٦٥ | [٨٤-٨٣]   |
| ٣٧٢-٣٦٧ | [٨٥]      |
| ٣٧٣-٣٧٢ | [٨٧-٨٦]   |
| ٣٧٥-٣٧٣ | [٨٨]      |
| ٣٧٥     | [٨٩]      |
| ٣٧٩-٣٧٥ | [٩٣-٩٠]   |
| ٣٨٠-٣٧٩ | [٩٥-٩٤]   |
| ٣٨١     | [٩٦]      |
| ٣٨٣-٣٨١ | [٩٨-٩٧]   |
| ٣٨٣     | [٩٩]      |
| ٣٨٦-٣٨٣ | [١٠٠]     |
| ٣٩٠-٣٨٦ | [١٠١]     |
| ٣٩١-٣٩٠ | [١٠٤-١٠٢] |
| ٣٩٢-٣٩١ | [١٠٥]     |
| ٣٩٣-٣٩٢ | [١٠٦]     |
| ٣٩٦-٣٩٣ | [١٠٩-١٠٧] |
| ٣٩٩-٣٩٦ | [١١٠]     |

| الآيات     | المفسر  |
|------------|---------|
| [١١١]      | ٤٠١-٣٩٩ |
| سورة الكهف |         |
| [٥-١]      | ٤١٠-٤٠٢ |
| [٦]        | ٤١١-٤١٠ |
| [١١-٧]     | ٤١٦-٤١١ |
| [١٢]       | ٤٢١-٤١٧ |
| [١٥-١٣]    | ٤٢٣-٤٢١ |
| [١٦]       | ٤٢٤-٤٢٣ |
| [١٧]       | ٤٢٦-٤٢٤ |
| [١٨]       | ٤٢٩-٤٢٧ |
| [٢٠-١٩]    | ٤٣٣-٤٢٩ |
| [٢١]       | ٤٣٥-٤٣٣ |
| [٢٢]       | ٤٤٧-٤٣٥ |
| [٢٤-٢٣]    | ٤٥٣-٤٤٧ |
| [٢٦-٢٥]    | ٤٥٧-٤٥٣ |
| [٢٧]       | ٤٥٧     |
| [٢٨]       | ٤٦٣-٤٥٨ |
| [٢٩]       | ٤٦٦-٤٦٣ |
| [٣١-٣٠]    | ٤٦٧-٤٦٦ |
| [٣٤-٣٢]    | ٤٧٠-٤٦٧ |
| [٣٦-٣٥]    | ٤٧٣-٤٧١ |
| [٣٧]       | ٤٧٤-٤٧٣ |

| الصفحة  | الآيات  |
|---------|---------|
| ٤٧٦-٤٧٤ | [٣٨]    |
| ٤٧٧-٤٧٦ | [٤١-٣٩] |
| ٤٨٠-٤٧٨ | [٤٣-٤٢] |
| ٤٨٣-٤٨٠ | [٤٤]    |
| ٤٨٥-٤٨٣ | [٤٥]    |
| ٤٨٧-٤٨٥ | [٤٦]    |
| ٤٩٠-٤٨٧ | [٤٨-٤٧] |
| ٤٩٢-٤٩٠ | [٤٩]    |
| ٤٩٦-٤٩٣ | [٥١-٥٠] |
| ٤٩٨-٤٩٦ | [٥٣-٥٢] |
| ٤٩٩     | [٥٤]    |
| ٤٩٩     | [٥٥]    |
| ٥٠٠     | [٥٦]    |
| ٥٠٣-٥٠٠ | [٥٧]    |
| ٥٠٣     | [٥٨]    |
| ٥٠٤-٥٠٣ | [٥٩]    |
| ٥١٤-٥٠٤ | [٦٥-٦٠] |
| ٥١٦-٥١٤ | [٦٦]    |
| ٥١٧-٥١٦ | [٦٨-٦٧] |
| ٥١٩-٥١٧ | [٦٩]    |
| ٥٢٠-٥١٩ | [٧٠]    |
| ٥٢١-٥٢٠ | [٧٢-٧١] |

| الصفحة    | الآيات    |
|-----------|-----------|
| ٥٢٢-٥٢١   | [٧٣]      |
| ٥٢٤-٥٢٢   | [٧٥-٧٤]   |
| ٥٢٥-٥٢٤   | [٧٦]      |
| ٥٣١-٥٢٥   | [٧٧]      |
| ٥٣٣-٥٣٢   | [٧٨]      |
| ٥٣٤-٥٣٣   | [٧٩]      |
| ٥٣٧-٥٣٤   | [٨٢-٨٠]   |
| ٥٤٢-٥٣٧   | [٨٨-٨٣]   |
| ٥٤٥-٥٤٢   | [٩١-٨٩]   |
| ٥٤٦-٤٥٤   | [٩٣-٩٢]   |
| ٥٤٨-٥٤٦   | [٩٤]      |
| ٥٥٠-٥٤٨   | [٩٧-٩٥]   |
| ٥٥١-٥٥٠   | [٩٨]      |
| ٥٥١       | [٩٩]      |
| ٥٥٢-٥٥١   | [١٠١-١٠٠] |
| ٥٥٣-٥٥٢   | [١٠٢]     |
| ٥٥٤-٥٥٣   | [١٠٦-١٠٣] |
| ٥٥٥-٥٥٤   | [١٠٨-١٠٧] |
| ٥٥٧-٥٥٥   | [١٠٩]     |
| ٥٥٨-٥٥٧   | [١١٠]     |
| سورة مريم |           |
| ٥٦٢-٥٥٩   | [٣-١]     |

| الصفحة  | الآيات  |
|---------|---------|
| ٥٦٦-٥٦٣ | [٤]     |
| ٥٧٣-٥٦٦ | [٦-٥]   |
| ٥٧٤-٥٧٣ | [٧]     |
| ٥٧٧-٥٧٥ | [٨]     |
| ٥٨١-٥٧٧ | [٩]     |
| ٥٨٢-٥٨١ | [١٠]    |
| ٥٨٢     | [١١]    |
| ٥٨٣-٥٨٢ | [١٢]    |
| ٥٨٥-٥٨٤ | [١٤-١٣] |
| ٥٨٦     | [١٥]    |
| ٥٨٨-٥٨٦ | [١٧-١٦] |
| ٥٨٩-٥٨٨ | [١٨]    |
| ٥٩٠-٥٨٩ | [١٩]    |
| ٥٩٤-٥٩٠ | [٢١-٢٠] |
| ٥٩٦-٥٩٥ | [٢٢]    |
| ٦٠١-٥٩٦ | [٢٣]    |

\* \* \*

